

رسائل بأنامل القدر

الدكتورة إخلص باقر هاشم النجار

إهداء

إلى

حقيقة الحياة المفعمة بألوان المشاعر الفياضة
 ،التواقة إلى العشق المغروز في كيان الكون ،إلى
 ينبوع الحب الذي يصب في مصبات الزمن ، إلى انهار
 الشوق المتدفق الرقراق السلسيل القراح ،إلى روح
 الوجود المسكوبة في أوداج الطبيعة،إلى مصباح
 السماء حين تنطفئ كل مصابيح الأرض ، إلى اللون
 والعطر والمذاق ،والبشر والجمال والإشراق والشوق
 والوجدان،إلى المعنى واللحن والقصيدة وخضرة
 الفردوس وثمر الكون الباسم ، إلى صورة الألق ويد
 اللطف وعين الرحمة وينبوع الحنان ،إلى مصدر
 وجودي ،وجذوة فكري ، ومداد يراعي،ومجداف
 طموحي،ونبراس زماني ، وإيناس مكاني...
 إلى من إرتمت الجنة صاغرة تحت قدميها
 أممي

قراءة نقدية

هذه الرواية تفوق كل الروايات روعة التي قرأتها عن البصرة بشكل خاص حيث تزوي الدكتورة إخلص باقر هاشم النجار حكاياتها بأبسط الطرق وأكثرها تسليماً للذهول ان السرد في هذه الرواية يخترع أحداثاً ظرفية هي اقرب ما تكون للخرافة المتأتية من خلق الانتظار بدواعي التسلية والإثارة وبمقدورنا القول إن رواية رسائل بأنامل القدر قد كتبت بلغة العامة المترافقة مع الخيال الذي يلعب بحرية وان مدينة البصرة هو مكان حدوث الرواية بالذات والتي ستصبح منطلقاً للتوسع وإضافة التفاصيل ورسم الشخصيات ببراعة إذ تعكس لنا هذه الشخصيات صورة مأساوية أحياناً ومفرحة أحياناً أخرى وبلا شك يتيح لنا هذا التناوب التراخيدي فهم مستويات الصراع في الرواية وامتداداته عبر استحضار أحداث الماضي بحكايات متشعبة وشخصيات تحرك الأحداث بخيوط التشويق التي تحظى بمتابعة القارئ ومشاركته .

فالرواية تنشغل عبر سياق السرد بمعاناة اليومي، وإرتياد أعماق المشاعر للشخصيات التي تدور في فلك أحداث متشابكة وأقدار متربصة ما يفضي إلى تشابك جذور الرواية وذلك يقود إلى استبصار حقيقة الفعل الروائي والاسترسال في مكابذاته ومصائره ، بقصد تنشيط الوحدات السردية وفعلها الفريد في هذه الرواية التي تقدم لنا فصلاً زاخرة بالأحداث والأمكنة حيث تتحراها المؤلفة في مدينتها البصرة لإستجلاء معنى الهوية والذات الإنسانية فيها والإحاطة بمجرياتها اللامتجلية للعيان والمفتوحة على مغريات الترقب والتشويق القائمة على المتاهة السردية واستطراداتها التي تشكل شبكة متواشحة من الأحداث الحياتية الرامزة لمعان بعينها وعلى نحو لا يخلو من الاختزال على الرغم من تعدد الثيمات السردية وتشعبها، عبر سياق من الأحداث والشخصيات والمواقف وما تبثه الملكة السردية للكاتبة من أفكار وتلميحات تستجيب لرؤيتها الواقعية التي تلامس الخيال أحياناً لتشكل معادلة لمجموعة العلائق الاجتماعية التي ينتجها السرد في سعي للكشف عن إرادة الفرد في مواجهة أقداره التي سيسفر عنها المستقبل ان رواية رسائل بأنامل القدر تعد جهداً استثنائياً في المنجز السردى العراقى وتستحق الوقوف عندها بروية وتفحص واهتمام.

الناقد جبار النجدي

المقدمة

المقدمة

{ } الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا إن هدانا الله (43)

{ { سورة الأعراف ، الحمد لله بكل المحامد على كل النعم ، الحمد لله حق حمده ومداد كلماته وزنة عرشه وعدد خلقه ، الحمد لله الذي أكتسب صفة الكمال ومنتهى الجمال في الأفعال والأحوال وحسن المقال ، الحمد لله الذي أحياني اليوم متقلبة بأنعمه عاجزة عن شكره ، وأنا أقطف ثماراً دائية قطفوها ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الصدقة أصرة روحية قد تتكون بين صديقين قريبين أو غريبين ، وان بداية الصداقة تعارف يبدأ بالطبع بين طرفين غريبين عن بعضهما البعض ، وبديهي إن من يروم إيجاد صديق لا يخرج الى الشارع ويصيح أريد صديق أو من يصادقني او يرفع لافته ويكتب فيها احتاج إلى صديق أو ينشر بوسائل الإعلام المرئية والمقرؤة والمسموعة ، ولكن سبحان الله الصديق يكون متواجد في طريقك في قدرك ، في المدرسة او المعهد او الكلية او الجامع او النادي ... الخ ، من المحافل التي يمكن ان يجتمع فيها البشر ، وعندما نتحدث هنا عن كلمة صديق ننزه هذه الكلمة من كل الإساءات التي تلتصق فيها دون فهم ، كأن يقول أحدهم لي صديق وخانني ، والأخر يقول لي صديق واستغلني وثالث يقول لي صديق صادقتني على مصلحة ما ، نحن هنا لا نتكلم عن هذا النوع من العلاقات ، لانها علاقات باطلة ولا تستحق أن يطلق عليها كلمة الصداقة ، لان الصداقة كلمة مقدسة في القرآن الكريم ، وان الله سبحانه وتعالى سمح لنا ان نأكل مثلاً في بيت الصديق وان الكلمة جاءت في الآية بعد ذكر الأقارب ، أي أن الصديق هنا جاء ليكمل العائلة ، بقول الله تعالى : **{ } ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت أبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً (61) { { سورة النور**

فلاحظ هنا تدرج صلة الرحم من الأبياء والأمهات وهي الأصرة الرئيسة الأولى التي نشأت بالزواج ثم تفرع منها الإخوة والأخوات ثم الأعمام والأخوال ثم الصديق ، الذي لا يربطه معهم بصلة رحم ، لكن الله سبحانه وتعالى أباح التعامل معه كالقربة ودخول بيوتهم ، والأكثر من ذلك الجلوس معه على مائدة واحدة ، جميعاً أو أشتاتاً ، والله حكمة بالغة في ذلك حتى يتم التعارف بين بني البشر إلى ما يحب ويرضى من قول أو فعل واستخلاف واستغلال لثروات الأرض ، بحسب قول الله تعالى : **{ يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير(13) }** سورة الحجرات

وان المرء في موقع تواجهه ليجد أمامه قائمة طويلة عريضة من الناس ، ولو نأخذ على سبيل المثال المدرسة أو الجامعة ، الطالب يلتقي بكل هذا القوم كقدر وصدفة ، كل يوم يلتقيه ، ولكن أين سيجد الصديق من بين كل هؤلاء ، بديهى انه سيرشح من تتوافق ميوله النفسية والعاطفية معه ، وعندما يحدث التعارف والاستئناس تتولد المودة وسينتخب من يقع عليه الاختيار ، وهنا لا أريد أن أتكلم عن أصدقاء السوء لأنى أجزمت سلفاً أن السيئ لا يستحق كلمة الصديق ، لان للصدقة شروط منها الاحترام والثقة والحب ، بالدرجة التي تجعل من الصديق كالنسمة الخفيفة أو الطيف الجميل الذي لا يمل أبداً حتى وان توالى عرضه في الذاكرة مراراً وتكراراً .

ولكن دعونا نرى هل فعلاً للقدر يد في رسم معالم الصداقة أو رسم طريق الصداقة ، لكل سجل حافل بالمعلومات فعلى سبيل المثال هناك صديقان إلتقيا في الثانوية ، ثم فرقتهما الحياة بالزعل وبالنقل إلى مدارس أخرى ، لكنهم سبحان الله التقوا صدفة بذات الكلية وذات القسم وذات الشعبة وتواصلوا من جديد وكان شيئاً لم يكن واستمرت صداقتهم إلى النهاية ، وفي الجامعة الكثير من يفهم الصداقة غلط كأن طالب يقول هذه صديقتي او بالعكس الطالبة تقول هذا الطالب صديقي ، لكن في إسلامنا هذا الأمر غير وارد ، وأنا أقصد هنا الصداقة بين طالبين أو بين طالبتين ، أي تتولد أصرة الإخوة بينهما ، وكل منهما لا يتورع عن تقديم النصح والإرشاد أن اقتضى الأمر وان

يكون بينهما الصدق أمانة والكذب خيانة ، وما أجمل أن يجد الصديق صديقه مرآة له يرى من خلاله حسناته وعيوبه ، بالشكل الذي يشعره بأنه مهم في حياته وانه يلتمس له العذر في كل الأمور .

وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عندما سطر الدرر في حكمته القائلة : (صحبة عشرون سنة قرابة) ، (إذا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فِي اللَّهِ فَلْيُعَلِّمَهُ ، فَإِنَّهُ أَبْقَى فِي الْأَلْفَةِ ، وَأَثْبَتُ فِي الْمَوَدَّةِ) ، إنما استلهم هذه الدرر من القرآن العظيم ، نلاحظ عشرون سنة من المودة كل منهما خبر أخلاق صديقه وعرف بمكونات حياته حتى إرتقى هذا الصديق إلى مكانة نسيب للروح وجزء من الأهل كما جاء في قول سيدنا الإمام علي ع : (الأخ نسيب الجسد والصديق نسيب الروح) ، وان لا مناص بينهما من الإيثار لبعضهما البعض ، أرواح ترفرف تتوق لرؤية من تحب حتى ولو في لحظة حلم على مسرح الحياة ، أرواح عقدت العزم على أن تحب في الله دون أن يكون للمحب مآرب أخرى ، صداقة تسكن الروح وتسير مسرى الدم في الجسد ، فتكون كالسر المتلألئ في الأوداج ، حتى وان فرقتهم الأيام فلا يمكن للصديق أن ينسى صديقه سيبقى يعيش معه في لحظاته وسكناته ولا ينساه في الدعاء حتى في سجوده في تلك العلاقة الربانية التي تربط العبد ببارئه ، كجزء من حياته يبقى يراه في مخيلته وتبقى روحه تكلمه وتناديه وتناجيه حتى وان أمتدت بينهما كل تضاريس الأرض وكل الظواهر الكونية ، يبقى الصديق كالهالة المرسومة حول العين ... ذكرى جميلة ، ولحظات رائعة وشعور جميل بالحياة ، وإبتسامة تدغدغ الشعور ، وتغازل الذاكرة ، وأمنيات متفائلة وأمل باللقاء ، وقرّة عين لا تنقطع ، لذلك الأخ الذي لم تلده أمك ، وتجده هو الآخر يبحث عن توأم الروح الذي عاصر الحياة معه لسنوات.

والمتتبع لأحداث رواية رسائل بأنامل القدر سيلاحظ هل بالإمكان بلورة هذه الأصرة المقدسة وديمومتها إلى ما لا نهاية ، أم إن هذه الأصرة ستضمحل وتجتث من العروق ، ولا يبقى لها أي أثر ولا حتى مجرد التحية ما دام الرباط الذي كان يربطهما قد تلاشى بإنقضاء السنة الدراسية ، وعليه تقصت الرواية كل الأمور التي تدور حول

هذه الأصرة في سلبياتها أن إعترتها سلبيات لتدارك فشل كل طريقة للدخول في هذا العالم المتناقض بطريقة أخرى جديدة تنبثق عن الأولى ، وإيجابياتها أن اكتنتتها الإيجابيات من خلال إزاحة النقاب عن أسرار مدهشة ترسوا على مرفئه الأمن وتتربع على رصيفه كل حاجاته وخصائصه السيكولوجية والفسولوجية ، التي تقود السفينة إلى شاطئ الأمان إذا إستذوق الصديق وحبذ تلوين روحه بلون الحب .

لِمَ تنشأ هذه العلاقة ، كيف تنشأ ، وهل منشؤها فعلي حقيقي ، أم أنه وهم وغرور وسراب وتعاطف واهن ، وإنما قد يتقبل ذلك مكرهاً ، فيجالسه ويبادر هو الآخر بالسؤال عن أحواله ، حتى ليخال له إنه أصبح بمثابة الصديق ، وإذا ما توخينا تقصي الدواعي التي تسوّغ منشأ مثل هذه العلاقة نعرف لِمَ يعجب الصديق بالآخر ، دون سواه ففي الميدان الكثير ،

ف نجد الصديق بعد إنقضاء العام الدراسي ، لا ينس صديقه وإنما يتشبث بأية وسيلة تقربه زلقى إليه عليها تزحف صاعدة وتقفز على السلم بخطى سريعة ، يسأل عنه ويزوره ويجالسه ويشركه في أموره الخاصة ويطلب منه الرأي والمشورة، ولكن هل هذا يكفي لتقبله كصديق وهل هي مسألة يسيرة ، كلا أنها ليست بالمسألة اليسيرة، لأن من شروط الصداقة السرمدية ثلاث أولهما : الإحترام المتبادل لأنه تاج الصداقة ، وثانيهما : الثقة المتبادلة لأنها عقد الصداقة المرصع بالألىء وثالثهما : التعاطف الروحي الحقيقي لأنه خافق الصداقة الرؤوم ، هذا يعني أن الصداقة بين طرفين غير متكافئين ليس بالمسألة الغريبة على الرغم من أننا أجزمنا سلفاً بأنها ليست مسألة يسيرة ، وقد يكونان غير متكافئان في المزايا العلمية أو الاجتماعية ، بيد أنهما كبشر يمتلكان ذات الخصائص السيكولوجية والفسولوجية والطبيعية ، ولاسيما إذا لم تنطو هذه العلائق على مآرب مادية ، شاد لها بالقدسية والراقي الدائم إن صادق المحب على هذه الصداقة ، وأرتضى أن يكون ذلك الفيض المنقطع النظير الذي لا ينضب مهما نهل من أمدائه.

نرى من ثنايا هذا التوافق بين الطرفين جمال الوجود وروعة الحياة فنقطف حزمة مضيئة من الإيجابيات ذات العبير الرقيق الجذاب الذي ينشد المحبة ويمقت النسيان ، ففي تلك اللحظات الندية المرطبة بالمحبة والثقة والإحترام ، يمكن للصديق عندئذ ان يستلهم من تلك الطاقات الكامنة في صديقه ويشحذ بها طاقاته المتسربلية ، حتى تأتلق بذاك البريق الذي كان يصبو إليه ، سواء في الخصال أو في الفعال ، فينشأ عن هذا التبلور علاقة طيبة تؤتي أكلها كل حين بأعمال طيبة ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة من طيب ، وهنا تكمن الحقيقة .

بيد أن هذه العلاقة قد تبدو بوجه باسر ، يكتنفه الغموض وتزعزعه بثور الشك وتنسفه وهو في مهد ولادته فترديه ويبدأ في واد سحيق ، وقد مني بالفشل الذي قد يكون صفق أو ترنم له الوشاة ، ولم يفقه حقيقة الأمر وراح ينظر بغرور إليه وكأنه عبد مشدود الوثاق على بابه ، لا يبرح مكانه ، ليس هذا وحسب بل انه لمن المفاجأة بمكان الإقدام على معاملته معاملة مغلفة بالمزاح تجلب له سخرية الآخرين ، بالتأكيد إنها مفارقة محزنة وان كانت بداياتها مفرحة ، بالضبط نمثلها كالنيازك التي تنطلق سنوياً في أعياد الكرسمس من مصنع هوليوود تتوهج في صدر السماء بألوان زاهية ساحرة ، ولكن ما تلبث أن تنطفئ وتؤول إلى الأفول ، وبالتالي لا بد أن ينساق إلى نهاية القصة التراجمية ، وقد تبددت كل تصوراته وذهبت أدراج الرياح وهنا يكمن الوهم ، أما إذا كان الوشاة هم الذين صفقوا لإفشال ذلك ، فيطرح الكلام الساخر عليه ملء الأفواه ، سخرية مبرقة ببرقع القفشات ، تكاد تخنق الأنفاس وتقتلها بإجحاف في ميدان الشك ، الذي يقصي النفس عن السير في مقصدها ويردها القهقري ، بيد أن المخلص عندما يدرك تماماً إن أصل هذه السخرية جهل مطبق على عقليات الآخرين في فهم كنه هذه العلائق الأصلية الراقية التي لا مرأى فيها ، فعلام أذن يبيلد ذهنه بمثل هذه الأفكار الجوفاء الفاقدة المحتوى ، التي تتوارى خلف القفشات الساخرة ، وهي مقعدة في الأصل ، فمهما كثرت فهي متناهية في الصغر وفي الإعتبار .

أسأل الله تعالى أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم وان يرفع لي بكل حرف درجة في أعلى عليين ، وأن يستفيد منه القارئ وان يغربل أفكاره في اختياراته ، فإن وفقت فمن الله التوفيق ، وان أخفقت اسأل الله العلي القدير أن يسدد خطاي وان لا يخلني من واعظ انه سميع مجيب الدعاء ، وأخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الأستاذة الدكتورة

إخلص باقر النجار

جامعة البصرة / كلية الإدارة والاقتصاد /

قسم العلوم المالية والمصرفية

جمهورية العراق / 2018 / الطبعة الأولى

Dr.khlasalnajjar@yahoo.com

المشهد الأول

يحاول الأب سراج الدين عبد الرحمن الأوجي بأبتسامته الرائعة مواساة ابنته أيار (17 سنة) والدموع تنحدر من عينيها على ما ألم بها من لوعة الفراق والرحيل من بيتها الذي طالما أحبته وأحبت طلوع البدر في سماء باحته ، ولمدرستها التي جمعتها بصديقاتها ، بعد أن تاهب الكل لمفارقة المنزل الحالي قاصدين المنزل الجديد الجميل ، يتحدث الأب محاولاً مسح دموعها بيديه الكريمتين ، وأختها (قتيبة 20 سنة ، ومعاذ 18 سنة وأنس 11 سنة) ، يسترقون السمع لدى الباب وهم مبتسمون .

الأب : هيا غاليتي دعينا نخرج ... وإبتسمي ... للمستقبل .

أيار والدموع غطت عينيها وبصوت متحشرج : أبتسم ؟ وكيف ؟ وسأفارق بيتي هذا الذي ولدت فيه ، ومدرستي وصديقاتي التي عشقت الحياة بعيونهن وضحكاتهن ، كل ذلك سينتبدد ويتوارى عن الأنظار ، وكأن برحيلي هذا الأرض أهتزت والنوافذ أرت ، وهبط على روعي الظلام وإرتسم على وجهي البؤس والشقاء .

الأب : إنك فتاة رائعة ، ومثلما أحببتي صديقاتك بعمق ، سنتسين هذا الشغف بعمق ، أتعرفين لماذا ؟ لأنك في المحطة الأولى من العمر ولم تتبلور مشاعرك بعد بالصورة التي يقتضيها العقل ، وهذا التلف يسمى نزوة عابرة ، وكلما تقدمتي في محطات الحياة ستتعرفين على صديقات أخريات ... وستتذكرين كلامي هذا ... فكلنا عاش هذا الدور التراجيدي ... الذي تلاشى مع زحمة الأيام وامتلائها بالوجوه .

أيار : وهل ستسمح لي بزيارة صديقاتي في يوم ما ، وكانت نفسها تجيش بهذا الخاطر في ظل مشهد ضبابي وعدم وضوح الرؤية للجديد القادم .

الأب : أكيد ومؤكد ، وأمامك كل وسائل الإتصال من الهاتف الخليوي والفايبر والواتس أب على النت ، وإعلمي بنيتي الحبيبة بأن التغيير سنة في الحياة ... وإلا لم تتغير أشكالنا مثلا عندما نتقدم في العمر ، أو لم وجدت أعيننا في مقدمة رؤوسنا في الوجه هذا يعني بأن الله سبحانه وتعالى حكمة ، وتؤكد ان ابواب الحياة مشرعة أمامك على مصاريعها ... وثبات الحال من المحال ... ولا مناص من التغيير .

أيار بأسى : وما هي هذه الحكمة يا ترى ؟؟؟ وهل بمقدور الانسان ان يلتهم الصبر غذاءً ... وان يحتسي النسيان دواءً بكل هذه السهولة يا أبتى .

الأب : نعم وحتى نبقى دائماً نتطلع إلى الأمام إلى المستقبل ولا نبقى متسمرين ملتفتين إلى الخلف أو إلى شبح الماضي الآفل ، وان نعمل برشادة عقولنا وان نجفف منابع الألم والقلق وأن لا نسمح لها بأن تعكر مزاجنا طرفة عين أبداً ، ولاحظي الكل مستبشر ، ومتفائل ومقتنع بالتغيير .. إلا أنت بنيتي ، والكل متهيئ للدخول إلى بيئة جديدة ان شاء الله نحو الأفضل ، فلأجلي تأقلمي وإمسحي دموعك ، ولنخرج من هنا مبتسمين .

أيار : نَدَّ عن أيار صوت مشدود بألم وإنحنت برأسها على كومة أغراضها المهمة التي تنتظر الأيادي لتحملها وراحت تبكي بعنف وغصت بالعبرة وغاص صوتها في أحضان والدها ، ثم مسحت دموعها وانضمت إلى عائلتها ركبوا سيارة أبيهم وإنطلقت بهم جميعاً إلى منزلهم الجديد .

صاح الديك مبشراً بحلول يوم جديد تبلجت الشمس وأصوات البلابل تعالت ، فتحت نافذة من هنا ، وإزدهت شرفة من هناك حتى أضحى النهار والمارة ملأت الطرقات وإزدان الكون بحسيس الكائنات ، ساحبات طويلة محملة بالأثاث والأغراض المنزلية تسير في الطريق تستقدمها سيارة صغيرة جميلة ذات لون اسود تقل عائلة المحامي سراج الدين عبد الرحمن محمد الأوجي وفيها زوجته أميمه حسين توفيق وأولاده قتيبة ومعاذ وانس وأيار متوجهين إلى مسكنهم الجديد قرب منزل الجد عبد الرحمن الأوجي ، سارت السيارات حتى وصلت مقصدها نزل سراج الدين وعائلته وأميمة تمسك بيد أنس حتى وصلوا الباب حيث كان بانتظارهم عائلة الجد عبد الرحمن وزوجته فاطمة وابنتهما مروه بقي الأب والأولاد قتيبة ومعاذ مع العمال بإنزال الأثاث والأمتعة وإدخالها البيت وقد ساعدهم جدهم في ذلك حتى فرغت السيارات ومثلاً المنزل .

ثم وزع معاذ زجاجات (الببسي) على العمال ثم أعطاهم أجرتهم أما الباقي فوزعه على العائلة ، وهي في حالة غبطه حيث تجول في أركان المنزل وأيار منزوية جالسه على السلمه الأولى من الدرج وهي تصوب أنظارها إلى أفراد عائلتها تراقب كيف يدخلون ويخرجون ويضحكون ثم وضعت يدها على خدها قائلة في دخيلة نفسها والله منزلنا السابق أجمل ، وبينما الأب يحاول وضع شاشة التلفاز في مكانها المخصص رأى أيار وهي جالسه على حالتها هذه .. وقف ثم قال أيار .. انهضي .. انهضي .. لم أنت ... هكذا .. تعالي .. هيا .. ساعديني .. علق الشاشة في مكانها ثم عاد لأيار ومسك يدها ثم سارا إلى الحديقة حيث مروه .. ثم قال لها أريدك أن تصادقي مروه لأنني أحبها كثيراً ابتسمت مروه وقالت أتحبني أكثر من أيار ، أجابها .. كلتاكما إبتتاي وكلتاكما في كفتي ميزان ... ثم قالت مروه : سراج الدين ستذهب معي أيار إلى البيت لنهياً الغداء ... ابتسم سراج الدين وقال : حسناً اذهبا لأنني أحس بالجوع ... هيا أيار اذهبي مع عمك مروه .. هيا .. دخل سراج الدين البيت ، بينما خرجت مروه وأيار لشأنهما ، كانت اميمة مع أولادها ترتب أغراض الصالة .. حين دخل عليهم سراج الدين قائلاً : أيار ذهبت مع مروه ... قال معاذ وهو يحمل حقيبة اللابتوب ... خفة وراحة لا تطاق وتوبخني دائماً وأنا لا أحتمل ذلك .. أجابته والدته كن عاقلاً يا ولدي وتفهم ظروف أختك فهي متعلقة كثيرة بمدريستها وصدققاتها وقد بكت كثيراً قبل أن تغادر المنزل السابق ألا ترى كيف يعاملها قتيبة .. قال أنس ... وأنا تضربني بابا .. قال لهم يجب علينا أن نتعاون وبصبر على مساعدتها لننسيها صدقاتها ومدريستها التي كانت فيها .. أجابه قتيبة : لا عليك يا أبي أنا أرى في أيار امرأة عظيمة .. وستثبت الأيام هذا التنبؤ ... وهذه مرحلة انتقالية لمثل عمرها ، رفعت الأم يدها للسماء وقالت يا رب اجعلها تنسجم هنا وتنسى صدقاتها وتعوضها خيراً منهم ، وأخذ كل منهم بترتيب أمتعته ووضعها في المكان المناسب ؛ نزل قتيبة من السلم وسأل والدته ... ماما أين الصور واللوحات ؟ إجابته في غرفة الاستقبال وضعتها قرب الباب سار قتيبة وبيده المطرقة وكيس من ورق فيه مسامير إلى غرفة الإستقبال ..

وأخذ يدق المسمار في الجدار ثم بعد ذلك يعلق الصور وتابع عمله هذا حتى انتهى من تعليقها ، ولم يبق إلا صورة أيار وصورة فيها كل العائلة .. حمل الصورتين وسار بهما إلى غرفة أيار .. وقال نعم هذا خير مكان لهاتين الصورتين .. سحب الكرسي وصعد عليه واخذ يدق المسمار في الحائط ثم علقها .

وبينما مروه وأمها فاطمة منهماكتان في إعداد الوليمة لعائلة أخيها سراج الدين ، إذا بهما يسمعان صوت زجاج يتكسر فهرعتا إلى مكان الصوت ، فإذا بأيار واقفة مضطربة فسألنا بكلام واحد ماذا حدث ؟ أجابت أيار بصوت متحشرج ... أحسست بظماً شديداً فنهضت من على الكرسي نحو الطاولة التي عليها الزجاجاة لأسكب الماء في القدر لأشربه .. فأحتسيت شربة واحدة من الماء ... وبينما أنا كذلك فاجأتني قطة قبيحة جعلت القدر يسقط من يدي على الزجاجاة فحدث الذي حدث .

سألتهما الخالة فاطمة بقلق أرجو من ألا يصيبك بعض من هذا الزجاج الذي تطاير بأذى ، أجابتهما : بعد أن تنهدت لا ... لا ... لم أصب بأي أذى ... مسكت مروة بيد أيار وقالت : لا عليك الحمدُ لله لم يصيبك أي أذى هيا تعالي معي إلى المطبخ وساعديني ، ابتسمت الأم وقالت : نعم اذهبا إلى المطبخ وسأنظف الزجاج الأرض من هذا الزجاج ، جلست أيار في المطبخ على الكرسي تتأفف هنيهة ثم نهضت وقالت : أريد الذهاب إلى البيت، نهضت مروة ومسكت أيار وضغطت على كفها قائلة : ماذا دهاك ؟ ! ، أجابتهما : لا شيء فقط أحس بالضيق الشديد .

وبعد ان انتهتا من اعداد الوليمة استدعت مروة والدها وعائلة أخيها سراج الدين فدخل الجميع الباب متوجهين صوب الصالة حيث الطعام ، فجلس الجميع على الكراسي حول طاولة (المائدة) المستطيلة ، فقال الجد عبد الرحمن هيا تفضلوا هنيئاً مريئاً ، أما مروة فقد جلست قرب أيار إلا إن أيار لم تنبس بكلمة إلى نهاية الطعام فقط تجيب بإيماءة أو همهمة عند أي تعليق .

همس معاذ في أذن قتيبة مماًزحاً أنظر إلى أيار وكأنها جالسة في حداد تقرأ الفاتحة ، إمتعض قتيبة منه ونظر إليه نظرة عتاب من غير أن ينبس بكلمة ، مما حدا بمعاذ الى الشعور بخطأ التصرف ، قالت فاطمة وهي تتذوق الطعام ، عاشت الأيادي أم مروة على هذه الأكلة اللذيذة ، أجابتها : وهي مبتسمة هنيئاً مريئاً عزيزتي ، باغتها أنس : لكن الخالة فاطمة أكثرت من الفلفل والبهارات (السبايسي) ، في الأكل بحيث أحرق فمي فضحك الجميع على هذا التعليق البريء .

قضت العائلتان وقتاً طيباً جميلاً وقد تبادلنا الأحاديث اللطيفة والكلام الشيق بعد وجبة الغداء عند احتساء أقداح الشاي الساخن ، ثم بعد ذلك توجه الجميع وعلامات البشر تطفح على وجوههم إلى دارهم ... وعند الباب ... ابتسمت مروة بوجه أيار قائلة : أراك غداً ، هزت أيار رأسها بالقبول .

وهكذا إنطوى يوم مثقل بالتعب والإرهاق الجسدي وكل منهم أوى إلى غرفته حيث غرفة سراج الدين وأميمة في الطابق الأرضي أما الأولاد فغرفهم فوق سبقهم معاذ في الجري على السلم متوجهاً إلى غرفته وهو يستعين بقضبان الحديد المزينة ، كذلك صعد قتيبة وأنس ، أما أيار فقد جاءت تجر بجسدها جراً وحين وصلت غرفتها دفعت الباب بقدمها ثم رمت بجسدها على فراشها الناعم وعلى وسادتها الجميلة الناعمة المنخفضة .

إضطجعت لم يأتها نوم بل أرق .. وذكريات مؤلمة عن رفقتها الجميلة التي حرمت منها ضحكات بريئة لرفيقات الدراسة وأسرار أطفال مضحكة ترتادها كل ما أغمضت جفنيها فراحت تقلب جسدها يمينا وشمالاً بُغية وصولها إلى وسن يدخلها عالم الكرى لكن دون جدوى ... أوشك الليل أن ينتصف ما هي إلى خطرات ثم نهضت ضجره وأخذت تنزع ساحة الغرفة جيئةً وذهاباً عليها تبدد الأرق الذي هي فيه ... اقتربت من النافذة وسحبت الستار المسدول لترى الكون يلفه ظلام دامس ، ظلام شديد تتخلل فيه خيوط ضوء ونيذة آتية من القمر المختبئ وراء السحب تفاقم شعورها بالضيق والإستهجان .. قالت في دخيلة نفسها ليتني قطه حتى أفقر من هذا المكان , في

هذه الساعة المتأخرة من الليل وأجوب من غير هدى أينما تقودني قدامي ، لأبدد هذا الألم النفسي الذي أنوء بحمله ، تأففت ثم أسدلت الستار وعادت إلى سريرها تارة أخرى تلتمس الكرى تخلصاً من الأفكار التي تراودها .

وفي صباح اليوم التالي استيقظت أميمه مبكرة كعادتها لتعد وجبة الفطور لعائلتها ، استيقظ سراج الدين كذلك وهو يتنأب ، وراح يؤدي بعض التمارين الرياضية ليدفع عن جسده بقايا رقاد طويل ، وكذلك استيقظ قتيبة ثم نهض من على سريرته وتناول المنشفة ووضعها على كتفه الأيسر ، ثم وضع يده على مقبض الباب وفتحها ، سار قليلاً حتى أقترب من غرفة معاذ وأنس ، ثم طرق الباب .. لا ليستأذن وإنما ليوقظهما .. ثم فتح الباب ونادى بصوت شبه عالٍ ... معاذ ... أنس .. هيا استيقظا .. لقد حل الصباح وتبلجت الشمس ، ثم إستدار صوب النافذة ورفع الستار المسدول ، إستيقظ معاذ : وقال له : صباح الخير أخي ، أجابه : صباح الحب ... هيا إنهض الساعة الآن الثامنة صباحاً ، ثم إستيقظ أنس وهو مغمض العينين يدعكهما بكفيه المسدودتين ، ثم خرج قتيبة سار خطوتين حتى وقف عند باب غرفة أيار طرق الباب ثم نادى إستيقظي لقد حل الصباح وهو يحرك مقبض الباب ... إلا أن أيار كانت قد نامت تواء وأضحت غارقة في نوم عميق فتح الباب ونظر إليها والشخير يملأ أجواء الغرفة خرج وأغلق الباب خلفه بهدوء مبتسماً .

جلست العائلة حول الطاولة لتناول الفطور ، وقد خلا كرسي أيار منها ، سأل الأب عنها فأجابته أميمه بأنها نامت متأخرة البارحة ... ثم بادر قتيبة بسؤاله : هل أكملت أوراق نقلك وأخوتك .

قتيبة : نعم أكيد وجميع مدارسنا في ذات الحي والحمدُ لله ، مدرسة أنس مختلطة وهو في السادس الابتدائي ، أنا ومعاذ في ثانوية البدر للبنين ، وأيار في ثانوية الرحمة للبنات ، سألت الأم : كم يوم تبقى من العطلة ، أجابها عشرة أيام إن شاء الله ويبدأ العام الدراسي الجديد .

الجد عبد الرحمن وهو جالس مع عائلته الصغيرة ، زوجته الثانية فاطمة التي تزوجها بعد وفاة أم سراج الدين ، وابنتهما مروة يتبادلون الأحاديث وينظرون إلى الفلاح وهو ينظم الأزهار في الحديقة حيث تنتزه قطة مروة الآرية (الألمانية) ، قطة مذهلة يغطي جسمها شعر أبيض طويل ناصع البياض ، تعرف أسمها إذا ناداها أحد أفراد العائلة .

الجد عبد الرحمن : أنا سعيد بسكن عائلة سراج الدين قربنا. مروة : والله وأنا سعيدة أيضا أيما سعادة ، بانتقالهم الرائع هذا ، مروة تتكلم مع والديها وعيونها ترمق قطتها الجميلة لورين ، تعالي لورين تعالي ، فحال سماع القطة بأسمها تأتي مسرعة وترتمي بأحضان من يناديها من أفراد هذه العائلة ، تموء وتحرك ذيلها الأبيض ، قالت مروة : إن أيار تكره القطط وتقول أنها قذرة جالبة لأمراض الأكياس المائية .

فاطمة : صحيح كلامها حول القطط ، لكن ينبغي عليك أن توضح لي لها بأن لورين ليست كباقي القطط ، لما تتلقاه من رعاية تامة من حيث التغذية والتلقيحات والاستحمام.

الأب ضاحكاً : إن لمروة غريزة حب للورين كغريزة الأم الرؤوم تجاه أبنائها ، فضحكتنا على هذا التعليق ، هنيهة ثم سكتت مروة عن الضحك وسكتت وكأنها تماهت في سرحة ذهنية ، ثم أبرقت قائلة لأيار الحق في كره لورين وكل بني جلدتها ، استغرب الأب وأقطب حاجبيه وقلب شفثيه وما القصد من كلامك المتناقض هذا ؟

مروة : أتعرفان عندما زرنا عائلة سراج الدين في منزلهم السابق قبل شهر ، سألت أيار بعض الأسئلة وقتئذ منها ما رأيك بالحياة ؟ أجابتنى بأنها قبو مليء بالأفاعي والجرذان والعقارب وشتى أصناف الحشرات التي إن سنحت لها الفرصة حتى لدغتك ، ثم قالت بأنني أستصغرها وأنظر إليها بمنظار ضيق وأنها ليست طفلة وتفقه لغة الحديث ... قلت لها : كلا كلا أنا عمك المحبة ومستحيل أن أعاملك بما وصفتي ، فأنت مخطئة ، لكن هل ينطبق ما ذكرتي على عائلتك ؟ أجابتنى بحدة هذا السؤال فارغ طبعاً لا وألف لا ، فسألته ومن تقصدين ؟ قالت : إنما اقصد الغيرة والحسد

والحقد في نفوس البشر ولاسيما ما رأيته من إحدى الطالبات في مدرستي وفرقتي مع صديقاتي .

وبينما مروة تتحدث رنّ (هلهل) هاتفها الخليوي رمقت الهاتف وإرتسمت البسمة على محياها إنها صديقتها سُبُل بهاء الدين نور الدين ، نهضت مسرعة إلى الصلاة ثم جلست بإنشراح وقالت بدلع وبرقة متناهية : ألو حياك الله وبياك حبيبتي سُبُل كيف الحال ، إشتقت إليك إشتقت إليك .

سُبُل بصوت حنون : أه حبيبتي ... صحيح ... وعليه أراك اتصلت اليوم لتسمعي صوتك .

مروة مبتسمة : ألتمس العذر منك على أي تقصير .. بسبب انشغالي هذه الأيام .

سُبُل : مشغولة ... بماذا ؟؟؟ عسى أن يكون الأمر خير إن شاء الله .

مروة : نعم خير... أن أخي سراج الدين سكن قربنا ... وقد أفرحتني ذلك أيما فرح ... فرحت بأولاده فرحت بقتيبة الذي هو بعمرى فهو صديقي وليس ابن أخي فقط ، وفرحت بمعاذ وحبيبي الصغير أنس ، كذلك أبنه أخي الرائعة الغريبة الأطوار أيار ، فرحت كثيراً بهم ونسيت معهم كل مشاغلي وواجباتي ، وراحت مروة تتكلم بلهفة عن أولاد أخيها، فيما سُبُل تسمع فقط لكنها شعرت وكأنها أصبحت نسياً منسياً وسط كل هذا الإطراء ولا حاجة لوجودها ثم استطردت قائلة سُبُل هل أنت معي هل تسمعيني؟ سُبُل وقد بهت صوتها : حسناً أعذرك ... لأنني احبك .. وليس لعدم التقصير ... خذي راحتك مع أبناء أخيك ... مع السلامة .

مروة بإستغراب : على رسلك ماذا حدث حبيبتي لماذا تغير صوتك ، هل قلت شيئاً أزعجك ؟

سُبُل : لقد نسيتني عندما فرحت بأبناء أخيك .

مروة مبتسمة : أه حبيبتي أنا أنساك وهل نسيت نفسي ؟؟؟ سأمحو تقصيري هذا بزيارة لك ... أرضيت ... حتى وأن ذبت في جنة أهلي وجمالها التي لا يمكنني

الإستغناء عنها ستبقيين انتِ ملح الأرض على قول قديس اسمه **ماتيو** (أنت ملح الارض ، ولو إن الملح فقد مذاقه فيماذا تتملح الأرض).

سُبل برضا : اشكرك على وصفك الذي أفحمني سأأمل زيارتك وأحسب الدقائق .
وفي عصر اليوم التالي تهيأت مروة كما وعدت **سُبل** بزيارة ، لبست أجمل الثياب وهي تلك الفتاة الجميلة الرشيقة الأنيقة المدورة الوجه ، البيضاء البشرة ، الشقراء الشعر ، الشهلة العينين ، ذات الأنف الطويل المعتدل ، والفم الصغير الجميل كفوّهة المزمار والقامة المعتدلة الطول ، لها جاذبية أخاذة في الحديث ، تسحر كل من يستمع إليها .

خرجت من غرفتها بعد أن وقفت كثيراً أمام المرآة تناولت فرشاة الشعر وسرحت شعرها بإبتهاج ، متجهة صوب غرفة والدتها ، حاملة حذاءها الأنيق الأخضر ، طرقت الباب ... هيا ماما ... لئلا نتأخر ، سألتها الوالدة وهل انتهيتِ ، أجابتها بعد أن جلست على كرسي والدتها الدوار أمام المرآة : نعم أكيد ولم يبق سوى الحذاء وها أنا ذي أضع قدمي فيه ، ثم نهضت واستدارت حيث حقيبتها في كتفها الأيمن فتحتها واستلت زجاجة العطر الأخاذ ، وراحت ترش على جسدها ، ثم وجهتها صوب والدتها ، ثم سارتا إلى المرآب حيث السيارة ، حيث الأب كان بالإنتظار ، سارت السيارة في شارع رئيس تملأ جانبيه المحال التجارية ثم استدارت في شارع فرعي حيث منزل **سُبل** ، وقبل أن تنزل مروة ، قال الأب ، بعد ساعة من الآن سأكون عندك إن شاء الله تعالى ، إجابته إن شاء الله لدى الباب ... في هذه الأثناء كانت **سُبل** واقفة بلهفة وشوق خلف الباب بالإنتظار، وقبل أن تضع مروة يدها على الجرس ... فتحت **سُبل** الباب واستقبلتها بحفاوة وسعادة بالغتين وقادتهما إلى غرفة الاستقبال ويدها بيد مروة ، حيث كانت أم **سُبل** بالإستقبال ، وقد كانت المرطبات مهياً سلفاً ، فراحت الأمان يتبادلان الأحاديث حيث الشؤون المنزلية والأكلات والمطبخ ، أما حديث الصديقتين فيملؤه دفء المشاعر والشوق والزعل والعتب تارة وذكريات ايام الثانوية التي لا تنفك تنتشبت بالذاكرة ، واخبار الكلية والعلم والتعلم

والكتب الأدبية والقصص ، فمرورة على الرغم من دراستها المختلفة تميل الى الادب وجمال العلم وكيفية تفرغته في العقول .

نوبة مزاج رائعة ومحاولة للتسلية وتلوين الوقت والهيام بالصدقة الصادقة
ينعش الفؤاد ويمدُ الشعور بالحياة وهكذا دواليك ... حتى انتهت الساعة على الصديقات
ولم ينتبهن أبداً لإنتهائها وكأنها مرت كدقيقة ، لم تحسب ثوانها ... حتى إن سُبيل
عندما سمعت بإنهاء وقت الزيارة مسكت بيد مرورة ... وقالت : مرورة لم أتحدث معك
بعد ... أجابتها مرورة برقة تأسر القلوب والله شعور متبادل ... دائما اللحظات السعيدة
تتسم بالأفول وكأن الزمن بدأ يمرّ مر السحاب ، سأراك في المدرسة ، وحديثي معك
طويل لا ينتهي أبداً ... وان انتهت الساعات ... سنلتقي من جديد دائماً ... إلى اللقاء
... والذي لدى الباب بحسب الإتفاق ... سأزورك في الكلية إن شاء الله .
سُبيل : سأنتظر يوم لقاءك ... شكراً على هذه الزيارة الرائعة .

المشهد الثاني

وبينما العائلة جالسة في الصالة كعادتها تشاهد التلفاز ، أنتهز الأب سراج الدين هذه الفرصة فقال : أ ... أم قتيبة .. هل تجدين المنزل واسعاً عليك ؟ أجابته : الحمد لله واسعاً كل السعة ، ولكن ماذا تقصد ؟ أجابها : أريد إن أطرح عليك مسألة مهمة وهي جلب خادمة تساعدك في أعمال المنزل ولاسيما التنظيف ، أسرع معاذً مجيباً أنا أؤيد الفكرة وأصوت ، ولاسيما التنظيف وكم هي مسألة مقرفة إن أقوم أنا ... بتنظيف غرفتي ... نعم بابا أجلب لنا الكثير من الخدم ما دام لدينا من المال الكثير ، ابتسم الأب وهو يسترق السمع لمعاذ ، أما الأم فأعترضت ما قاله الأب مغممة مزمجرة : ماذا ماذا؟؟ أمتضايق جنابك من مسؤوليتك تجاه ذاتك ، وحتى لو جاءت الخادمة وهذا أمر مستبعد الآن ، فأنها لن تدخل غرفكم أفهمتم ، أبتسم قتيبة ورفع يديه قائلاً : أنا لم اطلب أي مساعدة ، ثم أن معاذً بيالغ وبيالغ كثيراً ، ترى ماذا ينظف ... أينظف الأرض وهي مفروشة بالسجاد ، أم ينظف المكتبة من الكتب ثم استدار إلى أنس يكلمه ومعاذً يحاول وضع يده على فمه بإنزعاج ، ترى ما هو عمل معاذً ، أجابه أنس : ينظف الغرفة فقط عندما يريد الدراسة ، يكتب في الأوراق ثم يرميها في باحة الغرفة، وعندما ينتهي بعد ذلك يجمع الأوراق ويضعها في السلة.

الأم : أما ثياب الجميع فأشكر الله على الغسالة فأنها تساعدني عليكم ، لذلك لا أحب الخدم ، وأغلقوا هذا الموضوع المزعج .

أيار : قد تنطوي أعمال الخدم على الكثير من المشاكل والجرائم ، إذ قد تكون جاسوسة ، تُراقب حركاتنا وسكناتنا ، أو قد تضع لنا السم في أكواب الشاي وتحظى هي بما تسؤل لها نفسها .

الأب : كلا كلا أطمأنوا لا يدخل بيتي إلا من كان نزيهاً منزهاً مزكى من الجميع ، وبعد أن نتأكد من المعلومات كافة .

الأم : نتكلم وكأنك تعرفها وتحت اليد ... على الرغم من رفضي للفكرة ... ولوجود أية شابة تعيش في بيتي ... بأسم خادمة .

الأب : أم قتيبة أنت تعرفيني جيداً لم ولن أتخذ قراراً إلا بعد أن اسمع رأيك ورأي العائلة ... ولا أحب إن أفاجئكم بمجيئها ، فهي موجودة .

الأم : ماذا ماذا؟؟؟ موجودة وتحت اليد؟!

قتيبة : أرجو أن لا تكون سجينة قد أُفرج عنها للتو!!!

الأب : هي سيدة طيبة كانت تعمل في بيت صديقي طارق لسنتين خلت وهو أعرف وأخبر بحالها وأحوالها .

أيار : وطبعاً طردها صديقك العم طارق وستأتي للعمل هنا!!!

الأب : اسمعوني أولاً ولا ترجموا بالغيب ...لم تكن هذه السيدة من صنف الخدم ... ولم يكن طارق وعائلته يعاملونها معاملة الخدم ، ولكن هذه السيدة دارت عليها دائرة السوء التي (لا تبقى ولا تذر) كإعصار التورنادو ، مات زوجها ، وضيّع أولادها أموالها وبقيت على قارعة الطريق ، وسبحان الله حتى طارق لم يدم لها عزّم على السفر وعائلته إلى انكلترا الأسبوع المقبل إن شاء الله تعالى ، ففي أمس جاءني وعرض موضوع هذه المسكينة وأوصاني بها وعرض علي الفكرة .

الأم : مسكينة أخرجها القدر من جنتها عائلتها ولكن كيف ؟ أين بيتها وأولادها وهل كان لزوجها مرتب أو لا ؟

الأب : كان زوجها تاجراً يعمل في السوق ، أما ولداها ، فأحدهما تزوج امرأة عربية ميسورة تكبره بأكثر من عشرين سنة ذهب معها خارج العراق مهاجراً ، والثاني كان نزقاً عاقاً مقامراً مع رفاق السوء قادوه إلى درب الإجرام وحتى بيع المنزل لم يفك قيده ، وهو الآن يذوق وبال أمره في السجن ولسنتين عديدة ، وفوق كل ذلك فهي مقطوعة من شجرة .

أيار بانزعاج : ها عرفتم الآن ابنها مجرم لو لم تكن الأم مجرمة في حقه وفي تربيته لما كان مجرماً ، أبي كرهت هذه الخادمة لسماع قصتها المقيتة ولو كانت أما صالحة لما هجرها الآخرون .

معاذ بابتسامة : من المعيب أن لا نمد يد المساعدة لها ، ولا سيما بعد توصية العم طارق ، نساعدنا ونساعدنا .

قتيبة بشفقة : مسكينة ... حقيقة قصتها مؤثرة لا يعرف الإنسان عاقبته ، أكيد تشعر الآن بالضيق والمستقبل المجهول .

الأم بأسى : ومتى سيسافر طارق ؟

الأب : بعد أسبوع إن شاء الله تعالى .

الأم : والله إن الأمر مزعج ومحير ، وأراك تريد مساعدتها ، وأنا لا أحبذ فكرة دخول الغرباء للعيش مع عائلتي ، لكني نزولاً لهذه المسألة سأوافق ولكن بشرط ، نستقبلها تحت التجربة إن كانت صالحة أيهاها وان كانت طالحة نبذناها .

الأب : حسناً على بركة الله تعالى ... لأطمئن طارقاً حول أم سالم حتى يحضرها قبل أن يسافر ... لكن يجب علينا أولاً أن نجهز لها الغرفة القريبة من المطبخ وأليس كذلك حبيبتي ... هل سنذهبين معي لتوديع عائلة طارق إلى مطار البصرة الدولي ؟

الأم : وضعت كوعها على المنضدة واحتضنت ذقنها براحتها ... لم يكن يروق لها امر الخادمة لولا ان الظروف التي أحكمت وتحكمت .

أيار ضاحكة بسخرية : ما هذا الأسم المقرز أم سالم ، يبدو من أسمها من بيئة همجية ولا يصلح حتى للخادمة .

الأب : الرجاء عدم مناداتها بالخادمة ... وكفاكم من السخرية هذا كلام غير مقبول ...

معاذ : لا عليك أبي أنت تأمر ونحن ننفذ ماذا تريدنا أن نناديها ؟

الأب : كما ناداها الأولون ... أم سالم ... فقط ... إذن اتفقنا وعلى بركة الله تعالى ، ستأتي للعيش معنا في المنزل معززة مكرمة .

أيار متأففة : سأذهب إلى مروة فهي بانتظاري الآن ، خطت خطوات قليلة حتى وصلت بيت جدها عبد الرحمن فوجدت الباب مفتوحاً ورأت الفلاح والعاملة في الحديقة الجميلة رمقت الأثنين بنظرة هزاء وسخرية ، وقالت في دخيلة نفسها خادم وخادمة يرتعان براحتهما في هذه الحديقة الجميلة ، وكأنهما يتبادلان القبل لشدة قربهما

من بعضهما لكنهما يتهامسان بشيء ما ، ثم استدارت عنهما متجهة صوب الداخل دون أن تلقي التحية ، ابتسم الفلاح وقال للخادمة : هذه الطفلة الغريبة الأطوار .

زكية ضاحكة : والله لو سمعتك هذه المتعجرفة تقول عنها طفلة لعنفتك ، دعني أسرع للمطبخ لأضيّفها ، أما أيار فوجدت عمّتها مروّة بالإنّظار فوقفت أمامها متخصّرة قائلة : نعم ... طلبتي رؤيتي ماذا تريدين ؟ ابتسمت مروّة ابتسامة جميلة رائعة ثم مسكت يدها وقالت لها أجلسي نشرب العصير ونتكلم .

أيار : حسناً سأجلس ... قولي ما وراءك يا مروّة .

مروّة مبتسمة : حبيبتي أيار لم تتصرفين معي بهذه الطريقة المضحكة ، هذا بيتك وأنا عمّتك ، وأحببت أن أعرفك وأطلعك على بحر العلوم .

أيار أقطبت حاجبيها وقلبت شفّتها : ومن هذا وما تقصدين ببحر العلوم هذا وبإختصار رجاءً ليس لدي وقت .

مروّة : هو بحر ننهل من أصفى مناهله فرات عذب سلسبيل قراح ... رقراق ... قاطعتها أيار بعد أن أصدرت من صدرها نفثات قوية قائلة بهدوء ... مروّة .. الرجاء الكلام بدون الغاز وإلاّ عدت أدراجي .

مروّة : كوني صبورة ستأتيك الإجابة بالحال ... ألتمس منك العذر بحر العلوم هذا بيتنا ، وهو عبارة عن غرفة كبيرة تسمى لدى البعض بغرفة المكتب ، لكننا أطلقنا عليها أسم بحر العلوم ، حيث يوجد في هذه الغرفة مكتبة كبيرة جداً زاخرة بالكتب الدينية والدنيوية ، فضلا عن جهاز الكمبيوتر وما يتعلق به من أجهزة استنساخ وسكانر(الماسح الضوئي) وطابعة وغير ذلك وفيها مكتب كبير وعدد من الكراسي .

أيار : أعتقد أنه بدل هذا العرض والرياء والغرور وكأنك في مسرح ، افتحي الباب ودعيني أرى لعلها من العجائب السبع أوليس كذلك ؟

مروّة تحاول أن تستوعبها وتتحمّلها : أيار أرجوك أنا عمّتك فلا تنسي ذلك ... أكيد ومؤكد سندخل إلى بحر العلوم ولكن بعد العشاء ، وبعد الإنتهاء من هذه الدعوة عادت أيار لبيتها القريب ، وبينما هي في غرفتها شعرت برغبة شديدة للإطلاع على مكتبة

والدها فأسرعت الخطى نحو المكتبة ، وراحت تمرر بنظرها يميناً ويساراً على الكتب ثم استلت كتابين على أساس جمالهما وحجمهما ، سارت بهما حتى وصلت السلم متوجهة إلى غرفتها ، رمت الكتابين على مكتبها ثم استاقت على سريرها ، وراحت تسترجع شريط الذاكرة بما قالته مروة حول وصفها للمكتبة : صحيح إن لدى سراج الدين مكتبة لكنك لم تجربني حتى مسك كتاب فيها ، عندها نهضت مسرعة ثم جلست على الكرسي خلف المكتب وقالت في نفسها سأجرب قراءتها ... نعم لا بد أن أواجه غرور مروة وألفاظها الصاخبة المعنى ، وعجائب دنياها السبع هذه ، ثم استطردت قائلة : إذا كان للعجائب سبع ، فهل يا ترى لها غرائب سبع أيضاً ، لا أدري قد يكون ذلك وهل هناك فرق ما بين العجائب والغرائب ثم حاولت أن تستذكر هذه العجائب السبع وقالت : أأأ ... أهرامات مصر وجنائن بابل المعلقة ومنازل الإسكندرية ... أأأ ... ورابعاً وخامساً وسادساً وسابعاً ... لا أذكرها ، أسماؤها صعبة الفهم والحفظ ثم تنهدت وراحت تقلب كتاباً ذا غلاف أحمر وعنوانه القانون الدولي ، تركته وتناولت الثاني جلده أكثر جاذبية وعنوانه البصمات ، قالت في نفسها سيكون هذا أول ما أقرأ (البصمات) وراحت تقلب أوراق الكتاب بتجهم ، قلبت شفتيها وقالت : يا لبشاعة ما أقرأ جرائم ... ثم راحت تقلب أوراق لا على التعيين حتى وقع بصرها على عنوان كبير يتوسط الصفحة (تعريف البصمات) فقالت : لعلي أجد ضالتي في هذا الفصل فراحت تقرأ فيه حيث تعريف البصمات : (هي عبارة عن انطباع باطن نهاية الإصبع أو الإبهام ، وتستخدم لتحقيق الشخصية لتفرد ترتيب الخطوط في كل شخص وأول تصنيفات عملية لبصمات الأصابع قام بها السير فرنسيس جالتن وجوان فوتشتسن في عام 1891) ، ابتسمت وقالت في دخيلة نفسها : أ ... دندنت ... نعم انه تعريف شيق وغريب ومعقد ولطيف في نفس الوقت ، ولا أعتقد إن مروة سوف تغلبنى في كلامها المزخرف المنمق ، ولا أعتقد أنها سوف تستطيع الإجابة عن سؤالي هذا ثم راحت تمثل واقفة أمام المرأة ما ستفعله بالغد أمام مروة وهي تشير بيديها وتحرك رأسها

وكتفيها استهجاناً ... ها ... أحبيبي معيب سكوتك أين ثقافتك وعلمك ؟ ثم ضحكت قائلة : وأين هي عجائب الدنيا السبع وكتاب رحلة مع الرقم سبعة منك يا مروة !؟

بعد أن ودع سراج الدين صديقه طارق في مطار البصرة الدولي عاد إلى منزله ومعه العاملة الجديدة أم سالم ... سارت بهما السيارة بسرعة وقد أظلم الليل ... حتى وصلا عند باب المنزل حيث أدخل السيارة عند المرآب حيث العائلة كانت واقفة بالانتظار ، رحبت الأم بأم سالم ثم دخل الجميع إلى الداخل وجلسوا في الصلاة .
أم سالم : لقد حدثني الأستاذ طارق عنكم كثيراً بكل الخير ، وأنا امرأة جار علي الزمان وأعمل حتى أعيش بسلام وأمان .

سراج الدين : حلتي أهلاً ونزلتي سهلاً ويمكن أن تعتبريني بمثابة طارق تماماً ، والآن أعرفك على أفراد عائلتي ، بدءاً بزوجتي الغالية أم قتيبة ثم راح يشير بيده اليمنى إلى أفراد عائلته ... هذا ابني الكبير قتيبة وهذا معاذ وهذه ابنتي أيار وهذا ولدي الحبيب أنس .

الأم : أهلاً بك في منزلنا ولا تعتبري نفسك عاملة هنا ، والآن تعالي معي لأدلك على غرفتك ، سارت معها إلى حيث غرفتها ، لاحظي هيأنا لك خزانة للملابس فيها بعض الحاجات التي تفيدك وسريراً ومرآة صغيرة معلقة في صدر الحائط وفي زاوية الغرفة سجادة مطوية ، هذه غرفتك عسى أن تنال رضاك وإعجابك .
أم سالم : جزاكم الله خيراً ... أكيد تعجبني رغم أنفي .

الأم : وان شاء الله لا نقصر معك ، ومرتبك سيصلك بداية كل شهر والآن تفضلي معنا لتناول العشاء وغداً تباشري عملك ، وسيكون في حدود الطابق الأرضي فقط .

سراج الدين سأل أولاده : ها ... ما هو رأيكم بأم سالم .

أيار : شكلها شكل عاملة ظننتها أجمل ، فضحك الجميع .

الأب : ابنتي اتفقنا إن تناديه بأم سالم أو حاجة أو خالة ولا أريد أن اسمع منكم أي كلمة تخالف هذه الملاحظة أسمعتم ؟

قتيبة : والله أنها امرأة مسكينة وتثير الشفقة ولا يعرف المرء ماذا يحضر له الزمن .

معاذ : لكن سؤال يدور في مخيلتي لماذا لم تلجأ إلى دور المسنين بدلاً من العمل في البيوت للخدمة .

سراج الدين : عائلة صديقي طارق لم تعاملها إلا بالحسنى والكلمة الطيبة .

انتهى الحوار حال وصول الأم والعاملة اجتمعت العائلة حول المائدة والبشر يطفح على الوجوه بالأحاديث مع أم سالم ، وحال الإنتهاء ذهب كل منهم إلى غرفته لينام الى ان دق منبه النقل الموضوع على طاولة صغيره قرب سرير أيار ... استيقظت وهي مذعورة وقالت سحراً لك أيها المنبه ثم وثبت بيدها على النقل وكأنها تريد أن تصفعه وترميه على الأرض وما أن رفعت يدها حتى أرجعت النقل إلى مكانه متأففة قائلة : يا له من كابوس مرعب أطارد ثعابين لأصطادها وأضعها في السلة التي كانت في يدي ، نزلت من على فراشها وهي ضجرة ثم تناولت المشط صفت شعرها ثم رمت المشط إلى جهة غير معلومة من الغرفة ، ثم سحبت المنشفة من على الشمعدان ووضعته على كتفها كما يفعل أخوتها ، رمقت الساعة فوجدتها السابعة صباحاً وخمس دقائق ، سارت بتثاقل صوب الباب دارت المفتاح فيه ثم مسكت مقبض الباب وسحبته بعنف وهي تتنأب حتى نزلت السلم ثم دست رأسها من خلال الباب إلى الصالة فلم تجدأ أحد قالت في دخيلة نفسها : غريب أين المحامي وزوجته؟! هل ما زالنا نائمين؟؟! هنيهة فإذا هي تسمع حركات وأصوات ملاحق المطبخ...استدارت ثم مشت بحذر إلى المطبخ فإذا هي تجد العاملة بثوبها (دشداشتها) الأزرق الداكن والخمار الأسود الطويل وفي قدميها جوربان أسودان رمتها أيار نظرة عدم رضا من غير ان تنتبه إليها ، ثم دخلت بسرعة قائلة لأخافتها وهي تضحك : أرفعي يديك بسرعة هيا هيا هيا ، وما كان من أم سالم إلا ان تتشعر بالرعب والخوف على هذا الموقف غير المسؤول من هذه المراهقة التي لا تستسيغها مما قادها إلى أن تترك ما في يدها وتجلس لتستعيد قواها وتستوعب هذا الموقف الغريب ، مع ضحكات أيار الصبيانية .

كان معاذ جالس على سريره وقبالبته سرير أنس ، وبعد هنيهة دخل أخوهم الأكبر قتيبة ، قائلاً لأخيه الأصغر أنس بعد أن جلس قربه على سريره : حبيبي انس أمتهيئ لإستقبال العام الدراسي الجديد ؟

أنس مبتسماً : متهيئ ومتلهف لرؤية مدرستي الجديدة .

قتيبة : وكيف تهيأت يا ترى ؟؟؟

أنس : هيأت الحقيقية وفيها علبة صغيره مليئة بالأقلام .

قتيبة مبتسماً : ربت على كتفيه مشجعاً له ، ثم توجه إلى معاذ وسأله حول استعداداه للعام الدراسي الجديد في مدرسته الجديدة .

معاذ مبتسماً : نعم ... وقد هيأت لها الكثير ثم نهض مسرعاً ووقف في باحة الغرفة ثم قال اسمعوا وأخذ يحرك يديه كما يفعل الملحنون ويقول : دو ... ري ... مي ... فا ... صول ... لا ... سي ... ثم رفع صوته .. وتأتي النغمة الثانية مكملة للأولى وهكذا .

قتيبة مبتسماً : حسناً ... إن هذا شيء جميل ، ولكن الأجمل أن تدرس وتنجح ثم تدخل الكلية التي تناسب اهتماماتك وتوجهاتك وتصلق موهبتك ... ككلية الفنون الجميلة قسم الفنون الموسيقية ، حتى تصبح موسيقاراً كبيراً ومشهوراً كـ **كبيتهوفن** ... وتطلع على تاريخ الموسيقى عند العرب قبل الغرب لاسيما في العصر العباسي وبالتحديد اعرف زرياب وإسحاق الموصلي .

أنس : وأنا سأغنى الأناشيد التي أحفظها من القراءة .

معاذ مستغرباً : لكن عجيب هذه المرة الأولى التي تقول فيها رأياً لطيفاً في الفن ، ثم أسرع صوب أدواته الموسيقية في الغرفة ، ورأيك بهذه الأدوات هل تغير أو ما زال رجعيّاً ، وماذا تعرف عن اسحاق الموصلي ؟

قتيبة : يقول الله تعالى : **{ لكل وجهة هو موليها (148) }** سورة البقرة ، وليس بالضرورة أن تتوافق معي بالرأي ، لكني أؤيدك لأنمي مواهبك لتحضير نفسك لعمل الغد الذي تتسلح به على الحياة وأنا ليس ضد الفن لكن اتجاهي اتجاه ينأى عن اهتمامك لكن المهم الآن التهيؤ إلى المدرسة في الغد إن شاء الله تعالى ، الثقافة العامة تقتضي

معرفة شيء عن كل شيء ، أعرف انه من أهل الموسيقى ، لكنك إذا تخصصت أكاديمياً ستعرف التفصيل عن هذه الشخصية ، وأنا دخلت كلية القانون حياً بوالدي ، فزرياب هو أبو الحسن علي بن نافع ولد في الموصل ، موسيقي ومطرب عذب الصوت من بلاد الرافدين من العصر العباسي ، كانت له إسهامات كبيرة وبارزة في الموسيقى العربية والشرقية لُقّب بزرياب وهو اسم طائر أسود اللون عذب الصوت يعرف بالشحورور ، ولد في الموصل ونشأ في بغداد وكان تلميذاً لإسحق الموصلي بصورة سرية إلى أن أتقن فن الغناء عليه وذات يوم طلب الخليفة هارون الرشيد من إسحق الموصلي أن يأتي معه بمغن جديد يجيد الغناء ، فأحضر زرياب ليغني .

وفي صباح اليوم التالي تعالت أصوات المنبهات على المناضد في غرف الجميع ، أما أم سالم فواجبها الإستيقاظ قبل الجميع لكن الأمر لا يزعجها لأنها تبقى مستيقظة من بعد صلاة الفجر ، لكن مشكلتها النوم باكراً بعد صلاة العشاء مباشرة ، فتبدأ بتحضير وجبة الفطور وتضعها على الطاولة وكل واحد منهم يخدم نفسه بنفسه وبذات السرعة التي تمتد فيها كل الأيدي إلى ذات الطبق للحاق بالدوام المدرسي ، وما هي إلا خطرات حتى تراكض الأولاد على درجات السلم والأم تمسك بأنس وهو يتثائب وتحاول أن تساعد على إرتداء ملابسه إلى أن انتهى الجميع من تهيئة نفسه والجلوس حول الطاولة المستطيلة الشكل لتناول وجبة الفطور ، وفي هذه الأثناء وجه الأب سراج الدين وبأبتسامه رائعة التهنية لأبنائه بالعام الدراسي الجديد .

أيار : لكن يا أبي أنا منزعة من ذهابي إلى هذه المدرسة ولا أستطيع نسيان صديقاتي في مدرستي السابقة .

الأب : لا يوجد شيء في الحياة يبقى على حالة دون تغيير فالتغيير سنة في الحياة ولا يمكن لحال أن يبقى على حاله دون أن يتغير ، وان فقدت صديقة في مرحلة دراسية معينة ، فلا يعني ذلك نهاية العالم ، تأكدي بأن الحياة ستمنحك صديقة أخرى قد تكون أفضل من سابقتها والدرب أمامك طويل ، وأنت ذكية وجذابة وأنا متأكد بأنك ستحظين بعلاقات رائعة مع كل الطالبات في المدرسة ، فلأجلي تأقلمي مع الواقع الجديد .

أيار بأسى : لا أعتقد إن الخسارة لا تعوض لكن لأجلك سأعمل المستحيل يا أبي .
وبعد الإنتهاء من وجبة الفطور صعدوا السيارة مبتدئين بمدرسة أيار أقرب
المدارس في المنطقة وحال وصولهم المدرسة أشرايت أعناقهم جميعاً إلى اللافتة
المعلقة في أعلى البناية ثانوية الرحمة للبنات .

في العلم ترتقي الأمم وتصعد ذروة مجدها ، للإرتقاء بالوجود الإنساني لئلا
ينحدر الى الحضيض .. والعلم صفاء ونقاء وتلكسكوب متطور بعيد الرؤيا على العالم
البعيد ، بل هو مجهر يرى من خلاله حقيقة الكون في جماله ودمامته ، وهو الذي
يشفي بثور الجهل والتخلف المتقيحة في عقليات البشر ، لئلا يبقى الإنسان ركيكاً ..
لئلا يبقى جاهلاً ، لئلا يبقى بؤرة للأوبئة ... ليخلق في آفاق المستقبل المرتقب ،
فتعالج اجراس المدارس معلنة بدأها للعام الدراسي الجديد ، والمدارس تعجّ بطالبي
العلم .. والتعلم بلا ملل ولا كلل .. والإطلاع على كل ما هو حديث لأن الإنسان
حريص على حب الإطلاع والسؤال عن الأشياء التي تحيط به .. غريزة ولدت معه
في دواخله .

كانت مروة في كلية الاداب قسم الانكليزي المرحلة الرابعة وكذلك صديقتها سُبيل
صديقة العمر والتي جلست بالقرب منها طوال أيام الدراسة فهي اليوم في الكلية الطبية
المرحلة الرابعة .. وهما متعطشان للعلم .. وهذا واضح من إصغائهن اللامحدود
للمحاضرة .. والمناقشة العلمية ... كذلك قتيبة طالب مجد وهو في كلية القانون
المرحلة الثالثة ، أما معاذ يجلس على كرسيه في صفه وهو ضجر ينظرُ الى ساعته
اليدوية بين الحين والآخر .. وهو في الصف الخامس الأدبي وقد أعاد السنة ينتظر
انتهاء الدرس ليستخرج نقاله الكلاسي ويبتاهى به امام الطلاب.. وأيار في الصف
الخامس العلمي أما أنس فهو طالب مجد أيضاً .. وهو جالس بصفه ، يشاجر زملاءه
لكي يجلس في المقاعد الأمامية من الصف وهو في الصف السادس الابتدائي .
وبعد ان وصلت أيار المدرسة هي ووالدها .. دخلا ادارة المدرسة فسلم الأب على
مديرة المدرسة .

سراج الدين : السلام عليكم حضرة المديرية .. ثم أخرج البطاقة (كرت) من جيبه وقدمه لها .

المديرية : تناولت الكارت ورمقته رمقة مريعة ثم قالت : أهلاً حضرة المحامي وعليكم السلام ورحمة الله .. تفضل بالجلوس .

سراج الدين : شكراً .. هذه إبنتي أيار .. أتت نقل الى ثانوية الرحمة .

المديرية : حسناً .. فلتذهب الى صفها .. أ .. ما أسمها ...؟ وفي أي صف ؟

خيم السكون قليلاً في المكان ثم قال سراج الدين : إسمها أيار .. وهي في الصف الخامس الادبي ، الاب يتكلم وأيار تنتظر بتجهم ومكابرة الى المديرية .

وفي نهاية الأمر وجهت المديرية كلامها لأيار وقالت : اذهبي الى الرابع شعبة (أ) .

ابتسم سراج الدين ابتسامة خجلة مردداً : شكراً ثم خرج من الإدارة هو وأيار .. فقال لأبنته ها بنييتي ما رأيك بالمديرية .. أجابته : أ .. يبدو على وجهها الشر نعم هي شريرة هذا ما لمستته منها .

ابتسم سراج الدين ثم قال لها .. والآن حبييتي .. كوني هادئة .. وإنصرفي وإسألني الطالبات عن الخامس شعبة أ .. تنهدت ثم قالت : حسناً بابا .. ثم سارت نحو الصفوف ضجرة متناقلة تجر بجسدها جراً وهي تحمل حقيبتها في يدها .. حتى وصلت الصفوف .. فأخذت ترمق الفتيات بنظرات قاسية مخيفة .. وهي تنصت الى كلامهن وحركاتهن السريعة وصياحهن .. ثم بعد ذلك سألت فتاة واقفة عند باب الصف يبدو عليها الهدوء .. أ .. أين الخامس (أ) .. أجابتها الطالبة وهي مبتسمة : هذا هو الصف وأشارت الى الصف التي هي واقفة عنده .. دخلت أيار الصف مع هذه الفتاة وخطت خطوات قليلة حتى وصلت المقعد الأخير فجلست فيه حيث كان فارغاً .. وضعت حقيبتها ثم جلست وهي هادئة كعادتها وجلست الفتاة على المقعد القريب منها .. فقالت : أ .. أهلاً بك في صفنا طالبة جديدة .. هي تتكلم وأيار منصته لها .. ثم قالت لها : أنا اسمي هيفاء وأنا في هذا الصف .. ثم ان ابنة عمي ايضاً في الصف الخامس لكنها في شعبة (ب) والطريف في الأمر أن بيتنا بالقرب من المدرسة .. ثم .. أنتظرت قائلة :

وأن الكشك الذي أمام المدرسة هو لأخواني إذا شئتِ شراء أي شئ فقط قولي لي وأنا أحضره لك في الحال .. ثم ضحكت وقالت : أ .. أقدم لك نفسي انا أسمي هيفاء سعدي .. وما أسم حضرتك .. قالت أيار في دخيلة نفسها .. أف منك كم أنت ثرثرة .. ثم قالت أنا أسمي .. أيار سراج الدين أجابتها هيفاء : أهلاً بك صديقة عزيزة على قلبي .. قالت أيار في نفسها .. ثرثرة ومبالغة أيضاً .. وهل من المعقول أن أصادق ثرثرة .. سألتها هيفاء .. ومن أي مدرسة أتيت أيار .. أجابتها بهدوء .. لماذا .. ها ..

دخلت شلة مجموعة طالبات مع رنين صوت الجرس .. حتى امتلأ الصف وبعد هُنيئة دخلت المدرسة .. كانت هناك طالبة تجلس في المقعد الأمامي وتهمس في أذن الطالبة الجالسة بقربها ببعض الكلمات وسرعان ما أصبحت أيار فريسة لنظراتهن وهن يحملقن بنظرات ملؤها الريبة فشعرت بشيء من الاحراج وقالت في قلبها ان كانت ضايقت احد بجلوسها ، لاحظت هيفاء ذلك فهمست في أذن أيار الطالبات ينظرن إليك ونظراتهن مليئة بالاستفسار عنك قالت المدرسة بعد ان ألفت التحية عندما تستلمن الكتب ان شاء الله سيكون درسكن في مادة الرياضيات الأسبوع القادم الفصل الأول الذي يتناول الجذور التكعيبية ودعتهن التحضير للدرس .

انتهت ام سالم من تنظيف الصالة والمطبخ وكل شئ .. ولم يبق سوى غرف الأولاد .. ثم تأهبت لصعود السلم وهي مرتدية صدرية العمل وحاملة بيدها مكنسة التنظيف .. وضعت قدمها على السلمة الأولى للدرج .. وبينما هي كذلك خرجت أميمة من غرفتها وبيدها كتاب عنوانه عجائب وغرائب النساء .. وحال رؤيتها لأم سالم سألتها : أم سالم أين انت ذاهبة (صاعدة) .. أستدارت أم سالم وقالت : لأكمل عملي .. لم يبق سوى تنظيف غرف الأولاد .. أجابتها كلا أم سالم انزلي .. أنزلي .. عمك هنا تحت فقط .. سألتها : وغرف الأولاد .. اجابتها : لا عليك فيها هم يتولون تنظيفها .. لاتصعدي الى غرف الأولاد إلا في حالة طلب ذلك مني أنا شخصياً .. اجابتها : نعم يا أم قتيبة مفهوم .. ثم نزلت وقالت : أنا أنهيت عملي وانتهيت كذلك من تحضير الغداء .. ورتبت الصحون على الطاولة ولم يبق شئ .. أبتسمت أميمة وقالت : ما

دمت قد أنهيت .. خذي راحتك .. أ .. أتعرفين القراءة .. أجابتها : نعم .. ومعني شهادة الأبتدائية .. وان أبي رحمة الله عليه أدخلني الكتاب وقتئذ .. قالت أم قتيبة لها : إذا شأت القراءة .. فلدينا مكتبة .. تسلي بأحد الكتب .. أجابتها : أوه أم .. ماذا تقولين .. وهل قراءة الكتب تنسجم مع الخدم .. أجابتها : يا أم سالم لا تقولي هذه الكلمة فأنت لست بخادمة وانما عاملة .. تعمل بأجر .. أبتسمت أم سالم .. وقالت : لا فرق كلاهما في المعنى واحد .

وبعدما ان انتهى الدرس .. أسرعت هبة للمثول أمام الطالبات .. فرفعت يديها وهي تطلب من الطالبات الهدوء قائلة : زميلاتي عزيزاتي .. أرجو الهدوء لأنني أريد قول شئ مهم .. وجراء ذلك هدأت الضوضاء .. أزاء ذلك قالت وهي مبتسمة في محاولة لتوجيه إلتفاتهن الى أيار .. أليس من الأصول والواجب الترحيب بالصديقة الجديدة التي حلت علينا اليوم ... همست هيفاء في اذن أيار قائلة : أنها تقصدك يا أيار .. أجابتها : نعم ألاحظ ذلك .. ثم طلبت هبة وهي تشير الى أيار قائلة : عفواً .. زميلتنا الجديدة .. من فضلك تعالي هنا أمام الطالبات حتى نتعرف على بعضنا .. أحست أيار بالمكابرة والغرور .. فنهضت بكل جدية وقوة شخصية رافعة رأسها .. فأخذت تتمختر في مشيتها حتى وصلت قرب هبة .. ثم أستدارت نحو الطالبات .. فسألته هبة والضحكة تشق شديقتها .. أهلاً بك صديقة عزيزة علينا .. كل ما في الامر كانت تتكلم وأيار منصته ، ثم سألتها هبة .. والآن قدمي لنا نفسك .. بالنسبة لي أنا أسمى هبة فتحي .. قالت أيار في دخيلة نفسها لا أتشرف بمعرفتك .. ثم قالت : نعم .. أنا أسمى أيار سراج الدين الأوجي .. ابنة المحامي اللامع سراج الدين الأوجي .. سألتها هبة : ومن أية مدرسة أتيتي نقلاً ؟ أجابتها بغرور .. أما هذا فغير مهم .. ومدرستي الآن أسمها ثانوية الرحمة أوليس كذلك أجابتها : أ.. أ.. نعم شكراً .. ثم استطردت قائلة : ألك أسئلة أخرى غيرها يا ترى .. أجابتها وهي تحسُّ بالأهانة .. ها .. لا .. شكراً ثم رجعت أيار وهي تتمختر في مشيتها الى مقعدها قرب هيفاء الثرثرة الضاحكة .

في البيت كانت أيار في غرفتها مستلقية على سريرها .. تتكلم مع نفسها .. أف كم هي كريهة هذه الفتاة .. كرية حتى أسمها .. عجيب على انسانة لا تحس بالإهانة .. تظن أن أيار الأوجي تصادق أمثال هبة الوضيعة .. لا بد علي ان اوضح لها ما هو الفرق ما بين المفروض والمرفوض كما تقول مروة ، وبينما هي كذلك طُرق باب غرفتها فأجابت بصوت شبه عالٍ .. مَنْ .. ثم نهضت لتفتح الباب فإذا هي عمته مروة سلّمت على أيار وقبلتها .. ثم جلست على الكرسي وراء مكتب أيار ، أما أيار فأسرعت واثبة على مكتبها ورفعت الكتب الموجودة على المكتب ووضعتها في خزانة الكتب ثم جلست على الكرسي الثاني متساءلة .. ثرى ما سبب هذه الزيارة المفاجئة .. وفي الغرفة أجابته مروة مبتسمة أولاً أنا عمتهك أزورك في اي مكان ، وثانياً : لأسلم عليكِ وأتفقد أخبارك في المدرسة .. أتستمت أيار أتسامة ساخرة وهي تقول : ظننتك اتيت لتعلميني بغرائب الدنيا السبع .. ضحكت مروة ضحكة جميلة وقالت : وهل تذكرين ؟ أجابتها : ومن قال لك أني فاقدة الذاكرة ومصابة بالزهايمر ثم اراكِ تتكلمين وكأنكِ تعرفين العالم بأسره .. من تعتقدين نفسكِ أجابتها : أنا أنسانة مثقفة والحمد لله وأنى أدعو الآخرين للثقف سألتها أيار : وهل أنتِ واثقة من نفسكِ بأنكِ مثقفة وقادرة على حل أي سؤال يوجه إليكِ .. أجابتها : نعم أن شاء الله قالت : أذن هيأي نفسكِ للإجابة عن السؤال التالي : ما هي البصمات ومن هو العالم الذي اكتشفها وفي أية سنة تم ذلك ؟ .

أستغربت مروة وهي لا زالت مبتسمة قائلة : ماذا ؟ سؤال .. حقيقُ انا سعيدة .. سعيدة جداً .. لأنكِ بدأت تعامليني بنفس أسلوبِي .

قاطعتها أيار قائلة : عمتي الصغيرة لا تماظلي محاولة الإبتعاد والهرب من الأجابة .. إذا كنتِ حقاً مثقفة .. أجيبني عن هذا السؤال .

أبتستت مروة وهي تقول : حسناً حسناً مشيرة بيدها الى أيار.. أعيدي السؤال إذا تكلمتِ وسمحتِ .. أعتدلت أيار في جلستها وهي ممثلة غرور ومكابرة وسخرية .. تنهدت ثم قالت : لا بأس عمتي الصغيرة سأعيد السؤال عليكِ .. رفعت بنانها وقالت ..

كوني أذناً صاغية لأنني في الحقيقة والواقع أنزعج وأكره مسألة الإعادة هذه السؤال هو ياعمتي الصغيرة .. ما هي البصمات هذا أولاً .. ومن هو العالم الذي أكتشفها هذا ثانياً ، وفي أية سنة تم الإكتشاف .. هيا .. أريد الأجابة بسرعة .. قالت مروة في دخيلة نفسها : يا له من سؤال وكأنها غاصت في قاع المحيطات لتخرج لي هذا السؤال .. فح .. سألتها أيار : هل انتِ عاجزة عن الأجابة : أجابتها مروة : أ .. لا .. لست عاجزة .. الشق الأول من السؤال أجابته سهلة ومن لا يعرف البصمات التي هي انطباع باطن نهاية الاصابع أو الأبهام وهي تستخدم من القدم للتعرف على المجرمين ذلك أن الخطوط التي على الأصابع مختلفة من فرد الى آخر .. ولكن الشق الثاني والثالث في الحقيقة لا أعرفه .. ولا يعدُّ ذلك عجز لأن البصمات لها من يتخصص في دراستها ويكون قادراً على معرفة مثل هذه الأسئلة .. قالت أيار : لكنكِ مثقفة كما تقولين اثبتِ ثقافتكِ هذه بالأجابة عن باقي السؤال ...؟! ! .

مروة : الثقافة هي أن تعرف شيئاً عن كل شيء ، ولا أقصد ان تكون موسوعة لكل العلوم .

هبة تكلم صديقاتها (لينا ، انسام ، هند ، نادين) (شلتها) المفضلة لابد أن نتقرب الى أيار .. حتى تصبح عضوة في مجموعتنا (شلتنا) ونستغل ثراءها هذا لخدمتنا .. نحن نأتي الى المدرسة سيراً على الأقدام .. وهي يوصلها الشاب الوسيم في سيارته عند باب المدرسة .. آه .. ليتني أفوز ب صداقتها .. ضحكت أنسام وقالت : كعادتك هبة تتشبهين بخيوط عنكبوت .. أجابتها : وان كانت خيوط عنكبوت كما تقولين لكني سأتسلق على هذه الخيوط وأصل الى أيار .. وسأجعلها كالخاتم في يدي .. ثم أستطردت قائلة وهي تشير ببنانها نعم كالخاتم السحري الذي يلبي لي رغباتي قالت لينا وهي ضاحكة ساخرة أوه هبة .. كفاكِ هراء تضحكين بهذه الإعتبارات فالفرق شاسع بين أيار المتكبرة وبيننا نحن قاطعتها أروى : كالفرق ما بين الشمس في حقيقتها وفي منظرها ضحكت هبة ثم قالت : بالطبع أنا .. أقصد نحن منظرها وأيار المعقدة المتكبرة حقيقتها .

كانت أيار جالسة في الكرسي الأخير وبقربها هيفاء سألتها : أيار أراك صامتة طوال الوقت .. أجابتها وكأنها تعطفُ عليها : ها .. فقط كنت منصته لهذه الشردمة .. أجابتها : أتقصدين هبة وجماعتها .

أجابتها نعم سألتها هيفاء وهي ضاحكة : وماذا تقصدين ب.. (الشردمة) .. ضحكت أيار وقالت لا تعرفين معناها أجابتها : لا .. قالت أيار في نفسها : وأنا أيضاً لا أعرفها سمعتها من مروة ، ثم أجابتها : هذا غير معقول تسأليني هذا السؤال وانت طالبة في الثانوية ، تحري بنفسك عن المعنى .

قالت لينا لهبة : صحيح هبة لم أخبركِ .. لديّ خبرٌ بمليار .. أجابتها هبة : وقد وثبت عليها بعد أن أخرجت ديناراً من جيبها قائلة : ها هو الدينار يا لينا ما هو الخبر هيا هيا أجابتها وهي ضاحكة يا ملعونة لم أقل ديناراً .

أجابتها هبة نعم نعم دولار .. قالت لينا في نهاية الدوام سأخبركِ .. فأجابتها هبة ممزحة وهي تلف يديها حول عنق لينا .. قولي لي الخبر هيا هيا قولي .. فقامت أروى وقالت ممزحة أيضاً .. لاتخبريها يا لينا قبل ان تتسلمي المبلغ المتفق عليه .. وقالت انسام : رفقاً بالجارية يا مولاتي سنخبركِ ولكن أرفعي أفعى لعنتكِ من حول عنقها .. وهبة تقول ضاحكة .. تكلمي وإلاً .. وإلاً .. وبينما هي كذلك دخلت المدرسة كان لديهم درس اللغة العربية .. صاحت ما هذا الصراخ .. ما هذا .. يا هبة .. أقتربت من هبة (وشلنتها) وكانت هبة قد رفعت يديها تواءً من على رقبة لينا .. غريب ما أرى ماذا يا ترى .. هل كنتن تتشاجرن .

نهضت هبة وقالت : عفواً مدرستي أسمح لي أن أوضح لك ما جرى .. لا يوجد شجار لا سمح الله ولا أي شئ من هذا القبيل .. سألتها المدرسة بلهجة حادة وماذا أذن .. قالت هبة وهي مبتسمة .. مدرستي .. كما تعرفين كان قبل قليل وقت الإستراحة هذا أولاً وثانياً نحن في بداية العام الدراسي الجديد ولم يستتب الدوام بعد ولم ندرس بعد ، ولعلك لا تعرفين أيضاً أن صديقتنا العزيزة أيار تكتب الخواطر .

وحال سماع أيار ذلك فتحت فاهها وعيناها أ بأستغراب وهي تنصت الى هبة .. قالت المدرّسة ماذا ؟ جميل .. وبهذا العمر .. شئ جميل .. وهبة تواصل حديثها قائلة : وان صديقتنا أيار كانت قد كتبت مسرحية بعنوان الضحية .. وقد كلمتنا عن هذه المسرحية .. من بدايتها الى نهايتها ونحن بالطبع حفظنا احداثها الشيقة عن ظهر قلب .. ومن ثم فكرت أنا وأيار والصديقات بأن لا نضيع وقت الإستراحة هدرأً وأن نستغل الوقت لأن الحكمة تقول الوقت كالسيف أن لم تقطعه قطعك .. وبدأنا أنا البطلة ولينا الضحية ... ضحكت المدرّسة .. قائلة أوه مسكينة لينا .. وهبة تواصل الحديث .. وصديقاتها لا يكدن يمسن أنفسهن عن الضحك .. فكنت انا البطل القاتل وفي النهاية تموت لينا الضحية .. وكانت فكرة المسرحية أن الضحية لينا لم يكن لديها خبر فقط احبت المزاح لكنها لقت حتفها .. وبهذا تنتهي المسرحية بحادث مأساوي وجهت المدرّسة كلامها الى أيار .. جميل أنك تكتبين وأنت بعمر صغير مقارنة بالكتّاب .. أريد أن أقرأ هذه المسرحية .. ها .. تلكأت أيار في اجابتها واحترارت ماذا تقول : أ .. أ .. في الحقيقة .. قاطعتها هبة بسرعة .. أوه مدرّستي .. لم أخبرك .. ألا ترين أيار حزينة بعض الشئ .. ذلك أني استعرت منها هذه المسرحية وقرأتها وعندما أتيت الى المدرسة حملت المسرحية في يدي لشدة أندماجي مع أحداثها الشيقة .. وفي الطريق أستأجرت سيارة تاكسي أنا وبعض الطالبات .. لكني عندما وصلت المدرسة .. أكتشفت أني قد نسيت المسرحية في السيارة .

فقالت المدرّسة .. بحسرة : لا .. لا .. سحفاً هبة .. أن لمتل هذه الأعمال الأدبية قيمة أعلى من الذهب ولا سيما إذا كان النتاج في مقتبل العمر .. صممت هبة قليلاً ثم انطلقت تقول .. وأنا أيضاً حزينة .. ولكن الذي حدث حدث ولم أكن لأقصد ضياع هذه المسرحية ، ولكن الحمدُ لله أني عندما قرأتها حفظتها عن ظهر قلب وساكتبها لأيار كلما سنحت لي الفرصة .. وها أنذا ألتمس العذر منها أمامك تارة أخرى وأيار تحملى بذهول في وجهها .

قالت المدرّسة لهبة : أضعتي المسرحية لأهمالك على الرغم من انك مجدة وأضعتي وقت المحاضرة أيضاً.. ها أيار ماذا تقولين لصديقتك هبة تنهدت أيار قائلة بهدوء ممزوج بغضب كل الذي أريد قوله أن هبة هذه بشعة .

أبتسمت المدرّسة .. عفا الله عما سلف .. ما دمت قد كتبتها وانتِ الكاتبة .. فبالطبع وبدون أدنى شك تقدرين على اعادتها وعلى كتابة مسرحيات غيرها .. قالت أيار بحرقة .. يا مدرّستي أنا وهي تشير بيديها عندما تتكلم قاطعتها المدرّسة .. أعرف أعرف الذي تريدني قوله .. ولك الحق في كل ما تقوليه .. بأنك حتى لو أعدت كتابة المسرحية ستكون مختلفة لأن الكاتب عندما يكتب .. يكتب بإيحاء بعينه .. أطرقت أيار متأففة .. لنستثمر الوقت .

قالت مروة لوالدتها هل تعرفين أن أيار بدأت تقرأ كتباً ؟ أجابتها : صحيح ، وكيف عرفتي ذلك يا ترى أجابتها وهي مبتسمة لقد نصبت لي فخاً وواقعتني فيه لم أتصور أبداً أن أيار بهذا القدر من الدهاء.

وهنا أجابتها الأم مبتسمة : ماذا .. فخ .. ودهاء .. شوقتني لسماع أخبارها .

مروة : عصر أمس عندما ذهبت إليها .. وحدث (كيت وكيت) وفي النهاية أنتصرت عليّ ولم أعرف أسم العالم الذي أكتشف البصمات ولا سنة الأكتشاف هذا .

الأم مبتسمة : وكيف تأتي لأيار ان تنتصر عليك .. أوه مروة .. أن أيار مرافقة وتظن أنك متعجرفة .. ومتكبرة ومغرورة .. وتلمس منك الرياء وتظنك تحاولين لوي ذراعها بزخرف القول وتهويل الكلام .

مروة : لكنه المنطق الذي تعلمته منكما منذ نعومة أظفاري أمي وهل هذه الصفات في أعوذ بالله ؟

الأم : أعرف حبيبتني أنه المنطق .. ولكن أيار مرافقة وما دامت كذلك فهي بحاجة الى أسلوب مختلف .. أسلوب تمهيدي يتوخى الأفناع .. والقبول وليس بأسلوب متكلف .

مروة : أبدأي معها خطوة خطوة أولاً فوزي بصداقتها ومن ثم حبيبي لها الكتب مثلاً أهدي لها كتاباً .. وحبيبي هذا الكتاب الى نفسها وعندما يحدث ذلك تتولد تدريجياً فكرة

القراءة لهذا الكتاب .. أي تتولد الرغبة تدريجياً لقراءته وعندما تقرأه بالطبع ستطبع هذه المعلومات على شريط ذاكرتها .. وبالتالي ستكونين .. قادرة على مناقشتها بهذه المعلومات .. عندها ستجدينها أكثر استجابة من ذي قبل .. وأنا سأكون مستعدة لمساعدتك في ذلك ... هي فتاة غريبة الاطوار .

مروة : أتمنى أُمي .. ولكن .. أيّ الكتب سأختار ؟

الأم : نعم .. ولكن أي جانب من جوانب العلم تترين ؟

مروة : أ.. علم النفس .. وبينما الحوار مستمر بينهما ألقى الأب عبد الرحمن التحية وجلس بقربها وقال : يبدو أنه حديث علمي .

الأم : الجانب النفسي ، وبدون أدنى شك .

مروة بصوت رزين : أ.. نعم هو علمي وأجتماعي في الوقت ذاته .

الأب : أهو يصبُ في مجال الطب مثلاً ؟

مروة : أوه أبي كم تحب الطب .. الأمر يتعلق بأيار ولقد أتفقنا أنا وأُمي بأن نُمرّن أيار على قراءة الكتب لا سيما العلمية التي تتعلق بعلم النفس .

الأب : علم النفس موضوع ممتع لأنه يبحث في مكونات النفس وقد قرأت كثيراً في هذا المجال ومكتبتنا زاخرة بمثل هذه الكتب ، ولكن لماذا هذه الجدية في التعامل مع أيار ؟

الأم : أذن ساعدنا في اختيار كتاب يتكلم عن علم النفس ... سيما ان سراج الدين طلب من مروة الإهتمام بها ، ولفت نظرها صوب قراءة الكتب .

الأب : علم النفس له فروع كثيرة جداً .. منها علم النفس الفارقي الذي يتناول علل وأسباب الفروقات ، وعلم النفس العام ، وعلم نفس الحيوان وهو يتناول السلوك طبعاً للحيوان ، وعلم النفس الأكلينيكي وهو العلم الذي يدرس علل الأمراض النفسية والعقلية ، وعلم النفس المقارن يدرس الاختلافات والتشابه بين سلوك البشر وحتى الحيوانات .. الأطفال .. إلخ من الفروق الأخرى ... لكنني أرى إهداء الروايات أكثر ملائمة من هذا الكتاب كروايات أجاتا كريستي فهي رائعة ومثيرة للإنتباه .

الأم : أذن سنختار علم النفس العيادي أو الأكلينيكي .. قرأت عنه كتاباً .
 مروة : أ .. بابا .. صحيح ... روايات أجاثا مثيرة هل استطيع أن أهديها رواية من
 مكتبتنا ؟

الأب : أبتسم .. نعم بالطبع خذي أيّ كتاب .. وسأشتري بدله .
 مروة : شكراً بابا .. أ .. بقيت المناسبة .. ترى ماذا أقول لأيار ماهي المناسبة التي
 تستأهل هدية كتاب .. وبهذا العنوان المميز .

الأم : قولي لها ذهبت الى مكتبة السوق وأعجبتُ بهذا الكتاب او الرواية واقتنيته لي
 وقد أعجبنى أيضاً أن تكون لك نسخة منه ثانية أشتريتها لك .. فاتحة صداقة بيننا ..
 مروة : أوه .. أومي شكراً على أفكارك النيرة هذه .

الأب : أنت عمته ولا داعي لأن تكون هناك مناسبة للاهداء ، وأيار رائعة .
 مروة مبتسمة : لكن أبي انها تظن بي الغرور والكبر ... ولتقص لك أومي ما حدث
 عصر امس مع أيار وكيف تغلّبت علي بذكاء وبجدارة ، ولأذهب أنا الى بحر العلوم
 البيت متوجهة نحو الكتب وهي تنظرُ بعينين باحثتين عن هذا الكتاب .. حتى وصلت
 إليه.. رفعت يدها واستلت كتاباً من بين الكتب فأخذته ثم توجهت وجلست على أحد
 الكراسي في الغرفة والفرحة تغمرها .

كان الوقت عشاءً والعائلة جالسة في غرفة الطعام على الكراسي حول الطاولة
 لتناول وجبة العشاء وهم بانتظار أيار التي لم تنزل بعد من غرفتها نهض أنس من
 على الكرسي وسار نحو الدرج وقف وأخذ ينادي على أيار ... أيبيبيبيبيبياررر .
 فإذا بأيار تنزل السلم رويداً رويداً ثم توجهت نحو المائدة سحبت كرسيها وجلست عليه
 .. وهي منصته .

الأم : لماذا هذا التأخير بُنيتي كُنّا بانتظارك .

أيار : لستُ جائعة .

الأب : يبدو انك تناولتي وجبة غذائية ثقيلة .

أيار : على العكس كانت وجبة غذاء تسد الشهية ثم أن هذه الخادمة المدعاة أم سالم لم تضع الملح في الطعام وعليه كانت وجبة ماسخة فاقدة للنكهة .

معاذ : أوه .. أيار .. لا تكذبي .. كان غذاءً لذيذاً لكنك مزعجة بعض الشيء حتى في وصف الطعام .

أيار : أنت المزعج .. لا دخل لك انت .. أنا أكلم بابا .

الأب : كفا يا أولاد أظنكما نسيتما البسملة وعليه الشيطان يحاول أن يخلق مشكلة على الطعام للإيقاع بينكما .

قتيبة : بسم الله الرحمن الرحيم أقولها مرة أخرى حتى يهرب الشيطان خيفة من اسمه تعالى .

أنس : ماما .. أنا لا أرى الشيطان الذي تتكلمون عنه كيف ترونه أنتم ؟

الأم : لا حبيبي .. نحن لا نرى الشياطين بل نحسهم وعليه نستعيذ بالله منهم بذكر الله حتى يطرد شرورهم .

وبعد الانتهاء من تناول وجبة العشاء توجهت أيار الى المطبخ وقالت : هي .. أنت ايتها الخادمة .. أسكبي لي الشاي في قرح كبير .

أم سالم : حاضر أنستي حالاً .. فأسرعت لتلبي طلبها تناولت القرح ثم رفعت أبريق الشاي وصبت الشاي في القرح بعد أن وضعت السكر ، تناوت القرح منها وتوجهت الى غرفتها وبينما هي تصعد السلم .. سألتها الأم : ها .. أيار .. الى أين .. ألا تحتسي الشاي معنا أجابتها وهي تريها القرح .. الشاي معي .. أنا صاعدة الى غرفتي لدي مذاكرة .. ودروس كثيرة ومزعة وكريهة ، سأدرسها .

الأم : حسناً .. تفعلين .. أعانك الله وتصبحين على خير .

أيار : وأنت ماما .. ثم توجهت نحو غرفتها حتى وصلت الباب وضعت يدها على مقبضه وفتحته دخلت ووضعت القرح على الطاولة ثم أغلقت الباب .. ورمت بجسدها على السرير مستلقية وراحت تستذكر ما قالته وفعلته هبة لا سيما عبارة أن صديقنا أيار الأوجي كاتبة ، وقد كتبت مسرحية بعنوان الضحية ، وقول المدرسة ماذا ، كاتبة

.. وبهذا العمر .. شئٌ جميل وعبارة المدرّسة جميل أنكِ تكتبين وأنتِ بعمر صغير مقارنة بالكتّاب .. أريد أن أقرأ هذه المسرحية ثم نهضت من على فراشها وجلست على الكرسي وراء المكتب ورفعت القدر وأحتست قليلاً منه ثم وضعت مكانه لأنه ساخن .. فتحت الحقيبة وأخرجت الكتب منها ثم أخرجت الجدول وقرأته محاولة تحضير دروس يوم غد .. قالت في دخيلة نفسها : كم أنتِ حقيرة يا هبة .. هربتني مني حال سماع جرس نهاية الدوام .. ولكن أين تهريين مني .. غداً سأراكِ .

كانت هبة تشعر بالرغبة في الكلام لأختها لتروي لها ما حدث من حديث المسرحية وكيف أنها تخلصت من الأحرار أمام المدرّسة من التوبيخ بكذبة على أيار وأدعائها الكاذب بأنها كاتبة .

هالة : ضاحكة .. وكيف ستخرجين من هذه الكذبة أمام أيار .. ستعنفكِ .

هبة : لا أنا فكرت ، وهي تضحك ممازحة .

هالة : بماذا فكرتِ يا ترى أسمعيني .

هبة : أن أنتقل الى مدرسة ثانية .. لأن أيار متوحشة وأذا رأنتي غداً ستفترسني .. تأكل لحمي وأن كان هزياً وترمي عظمي في سلة المهملات .

هالة مبتسمة : أوه هبة .. لا تتمازحي .. فكّري .. فأنت مخطئة .

هبة : أنا هبة فتحي .. لا تخافي عليّ .. لا أفكر الآن بالكلام الذي سأندرع به أمامها وإنما أفضله مرتجلاً .

هالة : ولكن لماذا ؟ أنفقتِ أنتِ وشلتكِ على هذه الكذبة ألا يوجد غيرها .. ولكن إذا كانت أيار جريئة وسليطة اللسان كما تقولين .. لماذا لم تنكري كلامكِ وتضمري لكِ العقاب و(لشلتكِ) ؟

هبة : أقطبت حاجبيها وقلبت شفتيها .. حقيق لا أدري لعلها وقعت في غرامي للوهلة الأولى التي رأنتني فيها .. لكنني لم أعطها أي مجال للحديث لأنها أصيبت بالذهول ولم تعي ما سمعت ، ثم اعتدلت في جلستها وقالت : لو أنكرت كلامي .. لتفاديت الموقف بسرعة وحولت الموجه من قناة الكذب الى قناة الهزل والمزاح .. لأنه والحمد لله

مدرسة اللغة العربية مدرسة طيبة .. وتصدق كل شئ .. حتى لو قلت لها أن أيار تحولت ولداً .. ثم ضحكت .. هالة لا تهتمي ... أنها من عائلة ارستقراطية وقد تربت تربية مترفة وهي لا زالت كذلك لم تتعرف على الحياة خارج محيط اسرتها ، لم تختلط أمثالنا بالناس الذين يعيشون الحياة القشفة ، لذا ترينها لا تعرف الكذب ولا تعرف المجاملة وأظنها تصدق بالفطرة أي حديث سأندرع به أمامها .

هالة : صرتُ لا أفهم نواياك تارة تريدان التقرب منها والفوز بصداقتها وأبعاد هيفاء عنها وتارة أخرى تختلقين أسباب الشجار معها .. حقيقة لا أفهمك اصبحت غريبة الأطوار .

هبة ضاحكة مقهقهه : يا أختي العزيزة .. أنا واضحة ونواياي خير .. قلتُ لك سأتقرب منها وسأصاديقها وأجعلها كالخاتم في أصبعي وسترين ذلك بأعينك يا هالة . هالة : حسناً .. لنرى .. ثناءبت .. تصبحين على خير .

هبة : وأنتِ من أهل الخير .. والآن أحضر دروسي أستلت القلم وكتاب الأنكليزي وأخذت تدرس الكتب بحسب جدول الدروس اليومي وبينما هي كذلك فتح والدها الباب وقال هبة ما زلتى يقظة بُنيتي ؟ رفقاُ بصحتك .

هبة : نعم أبتى لديّ دروس .. أحتاج شئ أعمله لك ؟

الأب : كلا بُنيتي .. فقط رأيثُ المصباح وظننتُ أنكِ نسيثُ أطفائه حسناً هبة أعانك الرب على الدراسة وسهلها لك .. وجعلها أدخل الى نفسكِ وأنفذ الى عقلك .. تصبحين على خير .

الجزء الثالث

في مدرسة أنس الابتدائية المختلطة وهو جالس في المقعد الأول سأل الطالب الجالس قربه على الرحلة ما أسمك يا زميل .. أجابه : أسمي علي وما أسمك أنت ؟
 أجابه : أنا أسمي أنس تشرفت بمعرفتك يا علي .
 علي : وأنا أيضاً يا صديقي .. عندما وصلت باب المدرسة رأيتك تنزل من سيارة والدك .

أنس : نعم هو والدي وهو يعمل محامي .
 علي : أنا والدي متوفي وكان يعمل سائق قطار .
 أنس : الله كم أحب رؤية القطار والمسافرين فيه أراه في التلفاز فقط .
 علي : السفر رائعة في القطار وانت ترى كل المناطق .
 أنس : وهل سافرت فيه يا علي .
 علي : نعم بالطبع عندما سافرنا من البصرة الى بغداد .

أنس : أوه يا له من شئ جميل .. لكننا نسافر الى بغداد والى الشمال بسيارة والدي . سأطلب منه السفر بالقطار المرة القادمة ، وبينما هما يتحاوران رن جرس الدرس وتأهب كلاهما لأخراج كتابه حيث دخل المعلم .. فنهض التلاميذ قياماً .. ألقى التحية وأذن لهم بالجلوس ثم استدار نحو السبورة فأعجب بترتيبها فسأل من هذا الشاطر الذي هيا السبورة للدرس ورسم الأشكال الهندسة .. نهض كل من أنس وعلي .
 أبتسم المعلم وسألها عن أسميهما فقالا :

أنا أسمي علي وأنا الذي رسمت الأشكال الهندسية الملونة وقال الآخر :
 وأنا أسمي أنس وأنا الذي مسحت السبورة وكتبت عليها أسم الدرس والتاريخ .
 المعلم : كلاكما رائعان وجميلان في الوقت ذاته أشكركما على ما فعلتما وأرجو منكما أن تكونا شاطرين في دروسكما أيضاً والآن نبدأ الدرس .. كان الدرس يترامى الى اسماعهم عبر شرح المعلم المستفيض له حتى رن الجرس معلناً انتهاء وقت الدرس .. وهكذا الى ان انتهى الدوام .. سار علي حاملاً حقيبته ومعه أنس وهما يسيران ببطء

يتجنبان الإزدحام خرجا من المدرسة أنس ينتظر والده وعلي ينتظر اكتمال الباص الذي يوصله لبيته .

أنس : أسمعت ما قاله المعلم يا علي قال أنا رائع وجميل .

علي : أ .. وقال عني أيضاً رائع وجميل ولست وحدك .

أنس : سأدرس وأكون أشطر الصف في الرياضيات .

علي : وأنا أيضاً سأدرس وأكون أشطر الصف في كل المواد وليس فقط في الرياضيات أليس هذا أفضل .

أنس : نعم بالطبع وكما يقول أخي الأكبر قتيبة من جد وجد .

في غضون ذلك وصل بسراج الدين بسيارته فقال أنس لصديقه علي مع السلامة لقد وصل بابا .. أجابه مع السلامة .. ركب السيارة وألقى التحية على والده .. وقال : ابي تعرفت على صديق جديد اسمه علي ووالده سائق قطار .. وقال المعلم علينا كلاكما رائعان وجميلان .

كانت أيار لا تخرج مع الطالبات في وسط الزحام وإنما تنتظر الى ان يخرجن حتى تخرج هي .. وهيفاء تنتظر أيضاً قربها فبادرتها أيار : أراك واقفة أنتظرين والدك أم اخوك يأتي أيضاً في سيارته؟!

هيفاء : كلا كلا .. لا أنتظر أحداً .. فقط أقف معك الى أن يأتي والدك .. ذلك أن بيتنا قريب جداً للمدرسة كما قلت لك سابقاً أن بيتنا قبالة المدرسة وفيه محل و.. وو ... قاطعتها أيار قائلة : أنستي ولم أطلب منك الانتظار معي ولا سرد كل هذه الأحداث عنك وعائلتك .. على كل حال ... شكراً ... أن هذه الفتاة الحقيرة المدعاة هبة غائبة اليوم كذبت عليّ وهربت عندما أراها سأعنفها أيما تعنيف .. هذه الكاذبة المنافقة الضفدعة .

هيفاء : أخذت تضحك وتضحك وتقهقه وأيار ترنو لها بإستغراب وهزز سألتها : ماذا دهاك ؟ تثورين ضاحكة على أنفه الأشياء ، فأجابتها ضاحكة : ضحكت على كلمة ضفدعة .

أيار : حسناً حسناً أهدأي أهدأي أبتلي على نفسي لو تكلمت كلمة عادية تثورين ضاحكة ألا تريني لا أضحك على مثل هذه الأمور .
هيفاء : أوه أيار.. أنت فتاة حديدية ولك شخصية قوية .
أيار : وانتِ طبعاً شخصيتك مهزوزة وكثيرة الضحك .
هيفاء منزعة : أنا هكذا بسيطة عادية على فطرتي ولست متكلفة لكني لست مهزوزة .

حدقت أيار من بعيد وهي تضع يدها اليمنى على عينيها محاولة الرؤية الى بعيد .. ها هو والذي قد وصل .. والآن هيفاء اشكرك يمكنك الأنصراف الى أهلك ..باي.. باي ...والكل عاد أدراجه .

سراج الدين : يا أم قتيبة حددي يوماً يناسبك أريد دعوة اهلي بمناسبة سكننا الجديد .
أميمة : اليوم الذي يناسبك حبيبي .

سراج الدين : ما رأيك بيوم الجمعة فهو وقت عطلة للجميع .
أميمة : عين الصواب يوم يلائم الجميع ، لكنه يوم استراحة للأولاد من الدراسة ، أنا أفضل ان تدعوهم على العشاء يوم الخميس فهو يوم مبارك وأنا أحبه ويناسب مروة ايضاً إذ قد تحتاج الجمعة للدراسة ايضاً .

سراج الدين : حسناً على رأيك وسندعو والدي وعائلته وأخي نائل وعائلته ، واختي أسيل وعائلتها .

أميمة : فقط ألم تنسى أحداً .. هل أكتفيت ؟!

سراج الدين باسمياً : أوه حبيبتي أعذريني وذويك وأي شخص تريدون دعوته.

أميمة : اذن اليوم الثلاثاء فلا بد ان ننتهي الى يوم الخميس .

سراج الدين : هذا ما حددته من الضيوف ولك الحق في دعوة أي ممن تشاءين .

أميمة : ستساعدني أم سالم على طبخ الطعام ان شاء الله .

سراج الدين : لا .. لا تحملي همأ ، أنا سأشتري القوزي من المطعم وقد أنفقت مع صاحب المطعم وكذلك سأشتري الخبز والفواكه والمقبلات من السوق ايضاً وإذا

رغبت بأي شئ تجدينه مناسباً على المائدة أكتبي في قائمة وأعطيني أياها غداً أن شاء الله .

أميمة وهي مبتسمة : اللبن أهم شئ اللبن فالاولاد يحبونه كثيراً على المائدة كل يوم
سراج الدين : لقد ورثوا هذا الذوق منك أكيد .

أميمة : وأيار تقاتل من أجله أستنتجت ذلك لأنها لا ترفض شربه في أي حال .
سراج الدين : حقيق أن اللبن ميزة خاصة تجعله يرتقي على أكثر المشروبات الأخرى ، فمن مادة الحليب يمكن أستخراج مشتقات عديدة ولذيذة .

أميمة : وفوق كل ذلك أن له كرامة إلهية متمثلة بكأس اللبن الذي اختاره سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات والتسليم من بين الكؤوس المقدمة له .. وأن الله جلّ وعلا يدخل البشرية الجنة بقدر اللبن الذي شربه سيد المرسلين بحسب ما قرأت .
سراج الدين باسمأ : ياليتيه شرب الكأس بأكمله لنفوز بالجنة .

أميمة : هي حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن لا يشرب سيدنا ونبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، الكأس بأكمله .
سراج الدين : وعليه خلقت الجنة ليقطنها أهل الجنة وينعموا بنعيمها ، كما و خلقت جهنم لتكون مأوى للكافرين ، يوم لا يموت الكافر ولا يحيا ، طعامه من ضريع ومن شجرة الزقوم طلعتها كرؤوس الشياطين .

أميمة : وقانا الله جهنم وطعامها ، يرتعدُ جسدي لسماع هذه الأحاديث خشية غضب الله ، نعوذ بالله من غضبه .

سراج الدين : الحمدُ لله الذي أوزعنا لطريق الصواب وأبعدنا عن الطريق الضال الخاطئ لنتجنب مثالب المعاصي ونفوز بمناقب الطاعات ، لنكن أسوة حسنة لأولادنا .
أميمة : يا رب اجعلنا من الهادين المهتدين يارب .. آمين .. آمين .

كانت مروة جالسة في الحديقة على أحد الكراسي وحول الطاولة وقربها لورين جاثية على الأرض وهي هادئة بعد ان اتمت واجبها ، تتأمل في أشكال الورود وأفانين الأشجار ويبيدها قلم وأمامها على الطاولة دفتر وهي تحاول تجميع أفكار

مستوحاة من عالم الخيال عن مناظر الكون الجميلة الأخاذة لغرض تطوير هذه العبارات على صحراء الورقة الصماء البكماء لصياغة تعبير جميل بليغ دار في خلدها كخواطر حب لصديقتها سُبُل التي أصبحت في أخرى بعيدة عنها ، تناولت الدفتر فتحتة وأخذت تكتب عن الطبيعة وجمالها الخلاب .. فراحت تطرز الدرر الصادرة من ثغرها الباسم .. وبينما هي كذلك لحظت المرأة التي تعمل في فلتهم تحمل كأس عصير خلسة حذرة أن يراها أحد وهي تلتفتُ يميناً وشمالاً متوجهة الى الحديقة حيث الورود والأغصان المتشابكة .. قالت مروة : في دخيلة نفسها .. ماذا دها زكية يا ترى .. وما سر إلتفاتها هكذا تارة يميناً وأخرى شمالاً .. ولمن تحمل العصير .. قد تكون أحببت شربه في الحديقة .. لا لا .. هذا غير معقول ولو أرادت شرب العصير فهو كثير وفي تناول يدها .. احست بشئ من الفضول وقالت : لأذهب وأرى ماذا يحدث هناك عن كُتب .. وضعت القلم في الدفتر ووضعت الدفتر على الطاولة وتأهبت للنهوض وبينما هي كذلك جاء والدها متوجهاً نحوها قائلاً بعد ان جلس مروتي ماذا تكتبين في هذا الدفتر ؟

مروة مبتسمة : ها .. أنه دفتر الخواطر كتبتُ ورقتين خذه وأقرأ ما كتبت وأعطني رأيك .. فأذا بوالدتها تنادي قائلة : مروة أن سبل تطلبك على نقالك .. ثم جلست قرب عبد الرحمن ، فنهضت مروة وبتناقل ضجرة على غير عاداتها ذهنها ملئ بالوساوس والريبة والحيرة والإستغراب إلا أنها لم تستطع مشاهدة ماذا يحدث في الحديقة ولمن أحضرت زكية كأس العصير وبهذه الطريقة المريبة .

فسارت بخطى ونيدة الى الداخل حتى وصلت الصالة حيث كان هاتفها الخليوي يرن فجلست وقالت بهدوء ألو .

سُبُل : هلو حبيبتي مروة .. أرجو أن لا أكون أزعتك ، مر اسبوع ولم اسمع صوتك .

مروة : أوه سُبُل كم مرة قلت لك بأن لا تنطقي هذه الكلمة على لسانك لأنها تزعجني حقاً.

سُبل مبتسمة : أردتُ سؤالك عن احوالك في الكلية واخر كتاباتك .

مروة : كنت للتو على وشك انهاء خاطرة لك ولكن لم اتمكن من انهاها ، واليوم

الخميس سألتقي بأخوتي في منزل **سراج الدين** ، سنذهب بعد دقائق .

سُبل : مروة أحس أن لصوتك نبرة غريبة وكأنك تعانين شيئاً ماذا ياترى؟هلاً

أخبرتني .

مروة مبتسمة : أحبكِ كثيراً .. كثيراً ..لأنك تحسين بي حتى من وراء الأسلاك فعلاً

.. فكري الآن مشغول بشئ ما .. وكنت على وشك معرفته لولا اتصالك المفرح هذا.

سُبل : لا تشغلي فكري عليك .. كلميني ارجوك .

مروة : لا لالا لا يذهب فكري الى بعيد مناقشة علمية بيني وبين والدي .

سُبل : ها ها الحمد لله ... اذن سأنتظرك ...الى اللقاء .

مروة : في امان الله .

كانت أيار تسرح بأفكارها وتستسلم لها كلية وهي تجلس على كرسيها الذي تحبه

كثيرا وراء مكتبها ويدها القلم ، وهي تتأهب لتحضير دروسها ولكن في دخيلة نفسها

غضبها لم ينطفأ الى الآن بالعكس يزدادُ تأججاً أضرارها تدمى حقدأ وكراهية لهية

هذه أعلنت الحرب على نفسها .. كذبت عليّ وببشاعة ولكن القصور مني .. هي تكذب

عليّ كما يحلو لها وأنا تجمدتُ كالدمية الصامته لم أنكر كذبتها الشنيعة هذه ؟

وأفصح أعمالها هذه .. تنهدت .. ولكن المدرّسة البلهاء صدّقت .. ولم تعطني فرصة

للحديث .. وهي البلهاء تواسيني على ضياع المسرحية .. أعتدلتُ في جلستها وقالت :

يا أمي .. أن هذه الضفدعة الوضيعة الرثة الملابس الشحاذة الحقيرة وضعتني في

موقف محرج .. أيار تتكلم مع نفسها وهي تحرك يديها أثناء الكلام وكأنها تحدث

شخصاً ما .. وهي مستمرة في حديثها قائلة قد تسألني مدرّسة اللغة العربية البلهاء

الرعناء .. التي عبرت عليها كذبة كهذه ..وأنا في الصف **الخامس الاعدادي** وبعد سبع

عشرة سنة كاتبة مسرحيات .. والمشكلة مسرحية بوليسية – اجرامية ... والمضحك

عنوانها الضحية ..أذا سألتني مثلاً .. أريد قراءة إحدى القصص التي كتبتها ماذا أقول

لها ضاعت أو سرقت لا.. لا... لا هذا ولا ذاك لا بد من قول الحقيقة وكشف كذبة الضفدعة الحقيرة ، نعم يوم الاحد سأفصحها أمام الصف .. لا بل أمام المدرسة كلها .. ليعرف الجميع أن هذه الضفدعة كاذبة وهي تنقل العدوى الى كل مكان تدخل فيه ومكانها الوحيد هو القمامة نعم سلة النفايات .

وفي مساء هذا اليوم البهي نهاية الاسبوع كانت عائلة سراج الدين متأهبة لأستقبال الضيوف أميمة ترتدي صدرية المطبخ مع أم سالم والاولاد وأيار يرتبون الفاكهة في السلال الصغيرة .. ويضعونها على طاولة الطعام الطويلة ، فتناولت تفاحة حمراء وقضمتها ثم وضعتها .. قال معاذ : ما هذا الذي تفعلينه ؟

قتيبة : .. لا بأس .. لم يحدث شئ فالتفاح كثير .. فقط أرفعي التفاحة من على التفاح لأنها مقضومة .

أبتسم وقال : أنظري الى مكانها تفاحة مقضومة فوق التفاح هل هو مكان مناسب لها ؟ ايار : أ . لا بالطبع ولكن معاذ مزعج بعض الشئ كان عليه أن يرفع التفاحة المقضومة بدلاً من قول ما قاله .

معاذ : لكن الأنسان الذي لديه ذوق لايفعل هذه الفعلة .

ايار : معاذ لا أسمح لك .. أنت عديم الذوق أنتبه الى نفسك أولاً ثم كلم الآخرين عن الأذواق .

قتيبة : كفاكما شجاراً .. الذي يملك ذوقاً رفيعاً لا يثير جدالاً ينجم عنه شجاراً في الوقت الذي سيصل فيه ضيوف الذوق يعني الهدوء . وبينما هم كذلك جاءت أميمة وقالت أحبائي هل انتهيتم .

قتيبة : نعم وضعنا كل شئ على المائدة (الطاولة) الفاكهة والخضروات والمقبلات واللبن والماء والملاعق وحتى الأطباق ، والشوكات الخ .

معاذ : لم يبق سوى الأكلة الدسمة متى ستصل تأخرت .

الأم مبتسمة : لا تقلق أنها في الطريق في مكان ما من السيارة على وشك الوصول .

معاذ : سأفترسها حال وصولها ثم ضحكوا جميعاً .

حضر جميع الضيوف عائلة الجد عبد الرحمن فاطمة ومروة ووالدا أميمة وعائلة العمّة أسيل زوجها وبناتها وفاء وفريال وولداها الصغيران ألق وفرزدق وعائلة العم نائل زوجته وأبنته ريام وولده حكمت وعائلة الخال أنور وزوجته وأبناهما رامي وعصام وأبنتهما ألحان فرحبت عائلة سراج الدين بالضيوف الكرام أيما ترحيب فسلم الأولاد على أعمامهم وعماتهم وخالهم والأولاد والبنات جميعاً .. جلس الجميع في الصالة وقدم قتيبة العصير للضيوف جميعاً ، همست أيار في أذن قتيبة .. لِمَ لم تقدم الخادمة أم سالم العصير .. ابتسم وقال : أيار يعجبني أن أكون مضيفاً لأهلي .. وان اقدم لهم العصير بنفسي .. ثم تلا ذلك وبعد أحاديث وأخبار وضحكات .. أحاديث متنوعة كل منهما يتكلم على إنفراد ، الرجال على إنفراد والنساء على إنفراد والأولاد والبنات على إنفراد تجمعوا حول عمّتهم وخالّتهم مروة .. ثم توجهوا نحو المائدة .. جلسوا حول الطاولة الطويلة المليئة بالأطعمة اللذيذة ، وبعد الوجبة كل مجموعة انفردت لتتحدث جانباً ، وقد كانت أيار جالسة جلسة إسترخاء مليئة بالغرور مع فريال وقد سألت أيار ما هي أخبارك في المدرسة ؟

قالت أيار وقد اعتدلت في جلستها : في الحقيقة أن أخباري في المدرسة لا تختلف عن أخبارك كلانا في نفس المرحلة وليس كذلك .

فريال : أجل .. نفس المرحلة لكن إلّا تعانين من مادة القواعد ، ويا ليتنا مثلكم نسكن بالقرب من خالتي مروة فهي نابغة وبإستطاعتها شرح المواد المتعسرة الفهم على أذهاننا لا سيما هي في مرحلة متقدمة .

أيار : متعسرة الفهم على عقلك المتحجر أنتِ فقط لاغير .

فريال : لا تتمازحي فمسائل الرياضيات صعبة ، وتحتاج الى شرح مسهب ليتني اكون كخالتي مروة .

أيار : أراكِ تسخرين كثيراً بنفسكِ يالكِ من شخصية مهزوزة .

فريال : طفح الكيل أيار أنا لا أهزء بنفسي فقط أبدي إعجابي اللامحدود بخالتي مروة وفوق كل ذلك أنها كاتبة

فأقظت أيار حاجبها وقلبت شفتيها : إذا كانت عمتي مروة كاتبة فأنا أيضاً كاتبة .

فريال : حقاً .. أطلعيني على كتاباتك .

أيار : ها .. سأفكر .. لأنها .. خصوصياتي .

لقد قضاوا جميعاً وقتاً ممتعاً ولا يوجد أجمل من تجمع الالهل والاحبة على مائدة واحدة في بيت واحد ، كانت اجواء جميلة مليئة بالسعادة والبشر ، وبعد أن احتست العائلة أكواب الشاي بدأ كل منهم يأتي بحديث ممتع فالرجال طبيعتهم التكلم دائماً عن السيارات والعقارات والمضاربات والبورصات وما شابه ذلك من الأعمال ، والنساء يتحدثن عن الأزياء والموضات والأكلات والأعمال المنزلية ، وكل عاد الى ادراجه ، لقد فرحت مروة كثيراً بالإجتماع بأخوتها وعوائلهم ، صافحت الجميع ثم غادرت والإبتسامة الجميلة تشق شذقيها متذرة بجدولها الثقيل للصف السادس العلمي خرجت من الدار والجلسة الجميلة لغرض أكبر من جدولها الثقيل قبل والديها خطت خطوتين ثم فتحت الباب بهدوء لئلا يصدرُ صوتاً دخلت بهدوء ، سارت نحو الحديقة فإذا هي تسمع ضحكات متعالية،سارت بسرعة وهي تحاول إزاحة الأفنان المتشابكة من الأشجار لترى عن كثب ماذا يحدث ، فإذا بزكية تهرب بسرعة وهي مرتبكة خائفة وجلة صرخت عليها مروة قائلة : قفي قفي .. وقفت زكية وهي ترتجف تحمل يداها المرتعشتان كأسى عصير ..وليس واحد .. أ.. أنسة مروة .

وبعد أن انسحبت مروة من وسط الفرحة والإبتسامة والأحاديث الشجية التي تنبع من ثغور ذويها كغيث في فصل صيف يبعث بالنفس الهدوء والراحة والإطمئنان متذرة بذريعة مقنعة إلا وهي الجدول الثقيل ، لكن في الحقيقة ان الشئ الذي أقلق بالها طوال الوقت هو الشك .. نعم الشك إذا خيم على الإنسان يفقده صوابه ، وها هي مروة تشك بزكية الخادمة بأنها تضمّر شيئاً ما ولكن ماهو هذا الشئ لاتعرف .. لذا قررت أن تراقبها خلصة لاسيما وان الخادمة تعرف ان العائلة مدعوة في بيت سراج الدين .. لنرى ما حدث .

الجزء الرابع

فتحت مروة الباب بهدوء ودخلت دون أن تحدث أية حركة أو أي صوت فأخذت تسير بصمت وحذر حتى **لورين** لم تحس بها فإذا هي تسمع أصوات ضحك وقهقهات متصاعدة من داخل الحديقة أسرعت مروة الخطى حتى وصلت الحديقة ووقفت خلف شجرة كبيرة محاولة التجسس عن كئيب وهي تزيج عنها الأفنان المتشابكة لترى ماذا يحدث ... برهة فإذا بها تهرب مسرعة وفي يديها الأقداح .. خرجت مروة من وراء الأغصان وصرخت بصوت عالٍ مليء بالغضب والخشونة قفي .. قفي .. قلتُ لك قفي وإلا ... ووقفت وهي ترتجف ثم أستدارت تجاه مروة وجاءت تمشي على إستحياء خجلة وجلة خائفة مرتبكة وقد سرت في أوصالها رعدة أهتزت لها كل أعضائها ، ثم راحت أناملها المرتعشة تتحسس العرق المتصبب على وجهها ، ووقفت قبالة مروة التي ترشقها بنظرات قاسية تارة لها وتارة أخرى له .. برهة ثم قالت : بفطور تعالي معي .. ثم وجهت كلامها له قائلة : وأنت أبقَ كما أنت .. سارت مروة متوجهة نحو الكراسي بخطى سريعة وخلفها تسير الخادمة هنيئة ثم سحبت مروة الكرسي وجلست عليه وهي متأففة رمقت الخادمة بنظرة ثم قالت لها .. أجلسي .

زكية : أ.. ها.. وهي متراجفة .. أين أنسة مروة ... أين اجلس .

مروة أجابتها : بحدة مشيرة الى الكرسي هنا قبالتني أجلسي .

الخادمة : أنسة مروة ، أقسم لكِ بأني لم أرتكب أي ذنب .

مروة : لمَ كل هذا الهلع والإرتجاف الذي أنت فيه .. كل هذا بلا سبب . هل سمعت يوماً أن شخصاً تسوده حالة الإرتباك والإرتجاف والخوف الذي أنت فيه دونما سبب بما تفسرين هذه الحالة أريد أن أعرف .

الخادمة : سألت دموعها قائلة : أنستي أقسم لكِ .

مروة أبتسمت أبتسامة ساخرة قائلة: وعلى ماذا تقسمين .. هل قلتُ لكِ شيئاً .. أريدُ معرفة كل شئ يدور بينكما وبلا نقصان والآن تعرفين عاقبة الكذب والإنكار هذا إذا حاولت الإنكار .. أمسحي هذه الدموع التي على خديكِ وأبدأي الكلام بهدوء .

الخدمة : حسناً أنستي سأتكلم سأقصُّ عليك كل ما يدور بيننا ، تعرفين عندما أتيت للعمل هنا في منزلكم وأويتوني أكثر من مجرد خادمة وأحطتوني بالعناية.

مروة : أرجوكِ تكلمي بوضوح أكثر قبل وصول والدي ان اردت .

الخدمة : أجل بلا مقدمات كما يقول الذوات .. تعرفت على **شامخ** .. هو ألقى التحية عليّ وعرفني بنفسه وقال أن السيد **عبد الرحمن** أشفق عليه لأنه مقطوع من شجرة وليس لديه أحد ، فعرض عليه العمل في منزله كفلاح أو كحارس في الوقت ذاته مقابل أجرين لعملين وفوق كل ذلك قدّم له الغرفة المخصصة للحارس لتأويه وسألني عن نفسي والجهة التي أتيت منها كان هذا لقائنا الأول وهكذا تكررت لقاءاتنا عندما أنتهي من عملي وهو ينتهي من عمله داخل الحديقة نجلس نتسامر وتبادل الأحاديث عن ماضي كلينا الى ان تكونت بيننا علاقة .

مروة منتهدة : أكلمي ، علاقة .. وبأي نوع من العلاقات .

زكية تكلمت بسرعة : علاقة حب فقط صدقيني أنسة مروة عندما أحببنا بعضنا البعض .. قررنا أن نلتقي يوماً خلسة خشية أن يرانا أحد ... حفاظاً على بقائنا في هذا البيت الكريم .

مروة بحدة : ولماذا تلتقيان خلسة هذا خطأ ؟

زكية : لكننا نحب بعضنا البعض وقد طلب مني **شامخ** الزواج حالما تتيسر أموره ، كيف لانتلقي ولا نرى بعضنا البعض .

مروة : انه حق من حقوقكما أن تلتقيا على مرأى من الناس وأطمأني سأحل مشكلتكما.
رن المنبه في غرفة أيار فأستيقظت مسرعة نازلة من سريرها على غير عاداتها .. أنتعلت مداسها وتناولت المنشفة بسرعة نازلة السلم تحركها قوى عجيبة متجهة نحو الحمام .. غسلت وجهها وفرشّت أسنانها وعندما أنتهت أخذت المنشفة من على كنفها ونشفت به وجهها ويديها ثم بعد ذلك وثبت على السلم راجعة غرفتها لترتدي ثياب المدرسة الأنيقة .. أرادت قميصها الأبيض المزكرش وتنورتها القصيرة الجميلة ورباطها الأنيق ثم بعد ذلك رفعت المشط ووقفت أمام المرآة تمشط شعرها

هنيهة ثم راحت تكلم نفسها وهي تنظرُ الى صورتها في المرآة قائلة : ها أنا ذي قادمة إليك أيتها الضفدعة أنا في طريقي إليك متأهبة لإفتراسكِ وكلي نشاط ، صفتت شعرها الطويل الأشقر بعناية تامة ثم رشت عليه قليل من السبريه .. وعندما أنتهت من ذلك .. حملت حقيبتها .. وخرجت مسرعة نازلة السلم متوجهة نحو المائدة .. ألقت التحية على والديها وبعد أن ردا التحية قال الأب : أنا سعيد اليوم أيار سبقت أخوتها وبكل نشاط لتناول الفطور .

أيار : لديّ جدول ثقيل .. (قالتها تقليداً لمروة) .

سراج الدين : وكيف حالك في الدراسة حبيبتي عساك بخير .

أيار : لا .. جيد جداً .. أدرس الدروس يومياً .

أرقت أيار السلمتين عند باب المدرسة ودخلت مسرعة متوجهة نحو الصف وهي متلهفة للقاء هبة .. دخلت الصف فلم تلق التحية وضعت حقيبتها الثقيلة المحملة بالكتب على الرحلة ثم رمقت ساعتها بنظرة ثاقبة فإذا هي الساعة والنصف ومررت برهة حتى دخلت هيفاء الصف فسلمت على أيار وقبلتها وأيار ترنو إليها وهي مسترسلة في ثرثرتها دونما إنقطاع ، تتكلم كعادتها عن نفسها كلمتها أيار بهدوء :

هيفاء هل تسدين لي مساعدة ؟

هيفاء مبتسمة : بكل سرور .. أطلبي ما شأني سمعاً وطاعة .

أيار : ألم تشاهدي هذه المدعوة هبة ؟

هيفاء : أجل أجل رأيتها في ساحة المدرسة فهي تأتي الى المدرسة مبكرة .

أيار : صحيح .. شكراً لكِ هيفاء ثم تركتها وأسرعت نحو ساحة المدرسة وما أن وصلت الساحة حتى أخذت تحرق في وجوه الطالبات حتى وقعت عيناها على هبة جالسة وببيدها كتاب تقرأ فيه .. أسرعت الخطى حتى وصلت قربها وحال وصولها قرب هبة رفعت رأسها فرأت أيار تقف أمامها كالجبل الذي خيم عليها .. نهضت مسرعة وهي مرتبكة قائلة : مَنْ .. ؟ أيار .. اهلاً بك صباح الخير .

أيار : صباح القطران عليك أيتها الكاذبة لا ميرر لعملك هذا غير أنك أنسنة سفية وكاذبة وجزاؤك العقاب الشديد ، تمهلي دقائق .. دقائق فقط .. وسأفضحك أمام الطالبات أمام كل طالبات المدرسة ومدرّساتها وسأقول أن هذه الكاذبة اللعينة لا مصداقية لها في كل ما تقول وقد كذبت عليّ وعلى مدرسة اللغة العربية وبعين صلفة .
هبة بفتور : حسناً أهدي صديقتي .

أيار : أخرسي صادقتك الثعابين السوداء أيتها الكاذبة .
هبة : حسناً أنا مخطئة .. وها أنا ذي ألتمس العذر منك وأنتِ ابنة الذوات ، ابنة الطبقة الراقية في المجتمع وأنا أطمع بعفوك تجاهي تكلمي عليّ ما شئتني أصفعيني على خدي .

أيار : أنا أكبر مما تتصورين ابنة أناس مثقفين ولا يتعاملون بالأسلوب الهمجي البربري المتخلف الذي لفظه لسانك الكاذب .

هبة : أعلمي بيّ ما شئتني .. تكلمي عليّ .. مقابل عفوك عني .
أيار : أنتِ أنسنة فاشلة ماكرة .. وتستحقين العقاب ممن هو أكبر مني .. بعد دقائق وعندما تأتي المدرسة سأتكلم عن كل الكلام الملق الكاذب .. تستحقين الشنق جزاء فعلتك هذه .. رن جرس المدرسة .. قالت أيار وهي تبتسم أبتسامة ساخرة .. هيني نفسك لسوط الجلاد .. هيني نفسك للعقاب .. هه .. ما علينا عملت الذي عليّ والباقي على المدرسة .. وعندما دخلنّ الدرس أتت المديرية وأمرت الطالبات بالإنصراف الى الساحة لأن المدرسة مجازة اليوم ، فخرجت هبة مسرعة الى الساحة وقلبها لا يزال ينبض من شدة خوفها مما كانت أيار قد هددها به .. وصلت الساحة وجلست هي وصديقاتها في مكانهن الذي اعتدن عليه قالت هبة لصديقاتها فيه : هه .. الحمد لله تخلصت من عقاب محتم .

هند : ماذا .. عقاب .. ما لذي حدث بينك وأيار .

هبة وهي ضاحكة : أوه .. أهاننتي أيما أهانة ومسحت بي الأرض (كيت وكيت) .

لينا : لا تفرحي كثيراً .. اليوم تخلصتي منه بإجازة المدّسة غداً ماذا ستفعلين فأيار هذه ليست بالبساطة التي تتوقعين ، ولا يرتاح لها بال : إلا أن تقتص منك وأظنها ستنفذ تهديدها هذا .

أنسام : لديّ فكرة .. أذهبي وأعتذري منها لنرى ماذا هي فاعلة .
هبة : أوه .. أعتذرتُ لها مراراً وتكراراً فلم يزدّها إعتذاري هذا إلا إصراراً ، أنها متوحشة عندما تتكلم بحدة أبتعد عنها لئلا تصفعي ، برهة ثم جاءت أيار تتمختر في مشيتها وهيفاء تمشي معها .. حتى وصلت (الشلة) كلّمت هبة بأسلوبٍ ساخر مشحون بالغضب .. انتِ التي أسمك هبة .. أجيبني على سؤالي .. لماذا قلتِ للمدّسة بأني كاتبة .. لماذا خطّطتِ لهذه الكذبة .. هل كنتِ تعتقدين بأني سأقع في شباككِ هذه أجيبني ؟ نهضت هبة وقالت بفتور وهي مطرقة : أيار أنا أعتذر حقاً أنا مُخطئة لأنني جعلتكِ في موقفٍ مُحرج .. حتى لو قلتِ لها أن هبة كاذبة ستقول لكِ أذن أنتِ لم تنكر ما سمعتي ، هذا يعني أنكِ تحملتي جزءاً من هذه الكذبة وستكون العاقبة الوخيمة على الطرفين بالطبع .

هبة تقصُّ لأختها هالة ماحدث معها مع هبة وهي تضحك وهي تواصل الحديث ، وعندما قلتُ لها بأنكِ تحملتي جزءاً من هذه الكذبة بعدم أنكاركِ وتستركِ على ما سمعتي وأمام المدّسة والطالبات وأقصد بهن الشهود طبعاً فهذا يعني أنكِ كاذبة أيضاً .. أي أنها عندما تشتكي عليّ ستشتكي على نفسها بصورة خاصة غير مباشرة وبالتالي ستكون العاقبة على الطرفين أنا هبة وهي المغرورة أيار .

هالة : وماذا قالت لكِ أيار عند سمعت هذا الكلام .

هبة وهي مبتسمة تقلد على أيار : قالت هه .. وقلبت شفيتها وأنفها ثم قالت لهيفاء البلهاء الى اليسار دُر فإستدارتا عنا دون ان يُحركا ساكناً .

هالة : وهل تعتقدين أن أيار أقتنعت بأنها طرفٌ في هذه الكذبة وأنها عرضة لتساؤلات المدّسة لعدم إنكارها في الحال .

هبة : أظنُّ ذلك .. وأن ظني لا يخيب أبداً ، ثم أستطردت قائلة : صحيح أن أيار ابنة ذوات لكنَّ عقليتها فارغة من الأفكار ، أراها لا تهتم بشئ سوى غرورها وعنجهيتها وسلطنة لسانها .

هالة : بحسب ما عرفته عنها منك .. أنها أنسنة غير متطفلة .. والواقع أنك أنت التي أندفعت حرشة تجاهها أي أنت التي خلقتي هذه المشاحنات بينكما .

هبة : أعرف فعلتُ ذلك لأتقربُ منها زلفى وسترين كيف أن الأحداث ستسير بحسب ما أخطط لها .

قتيبة سأل معاذ : لقد عرّفنتني في الأمس بزميلك في المدرسة لطفي بحرارة ما سر ذلك يا ترى .

معاذ ضاحكاً : ماذا تعني بحرارة .. قلت لك أنه ابن جارنا ، رأيته عندما خرج من منزله .

قتيبة : وهل كنت تراقب منزلهم يا ترى .

معاذ : عجيب .. قلتُ لك رأيته ولم أقل لك رافبته أو كنت تتصورني رأيته في التلسكوب .

قتيبة مستغرباً : لم كل هذا الإنفعال كنت أمازحك فقط .

معاذ : ماذا ..؟! تمازحني لكني لم أألفك مماًزحاً في أسئلتك الجادة .

قتيبة : ألا تحب أن تراني مماًزحاً ألا تحب أن نتفكه .. في بعض الأحاديث .

معاذ : لكني تعودتُ عليك جاداً .. مستقيماً .. صادقاً ..أ ..و.. وتعيش حياة خالية من النكات والقفشات .

قتيبة : نعم صحيح .. واليوم أردتُ أن أكسر الروتين الذي أعيشه صحيح أن الجدية صفة جميلة وأنا أتمسك بها بل هي صفة تلتبس شخصيتي تماماً .. قلباً وقلباً .. ولكن الجدية مع العائلة خالية من محتواها .. ثم أن الحكمة تقول أن لكل مقام مقال ومقال البيت غير مقال المدرسة أو الشارع أو المجتمع بأكمله .

معاذ مبتسماً : يا سلام يا سلام .. قتيبة خرج من القوقعة الى الحياة .

الجزء الخامس

كان ثمة ضيوف في منزل **عبد الرحمن الأوجي** وهو شابٌ وسيمٌ ووالديه .. رحب بالجميع وطلب منهم التفضل بالجلوس في صالة الإستقبال .. وبعد أن جلسوا جاءت أم مروة وألقت التحية عليهم فوقفوا جميعاً وردوا السلام ثم طلبت منهم التفضل بالجلوس وجلست هي معهم تردد كلمة أهلاً وسهلاً ، برهة حتى دخلت زكية تحمل الصينية وفيها كؤوس العصير الفضية التي تتلألأ بلون عصير البرتقال الذهبي قدمت العصير لهم ثم وضعت الصينية على الطاولة الموضوعة وسط الكراسي وهمت بالإنصراف ، قال أحدهم : طبعاً نحن نسكن المحلة ذاتها ونعتبر أيضاً جيرانكم نحن نسكن في الشارع 27 قرب معمل خياطة الأنيق المشهور الذي في المحلة وأنا أسمى راند الكرخي وهذه زوجتي أم أشرف وهذا ولدي الأكبر أشرف وهذا أخي محمد .

عبد الرحمن وفاطمة : أهلاً وسهلاً بكم في منزلنا .

الكرخي : وأشرف في المرحلة الرابعة كلية الهندسة قسم الكهرباء .. وسيتخرج ان شاء الله مهندساً كهربائياً .

عبد الرحمن : ان شاء الله .. تقر عينيك به .

الكرخي : أشكرك .. وأردت أنا .. أن أفرح به بدل الفرحه فرحتين .. بأن أزوج **أشرف** .. وما نحن اليوم جنناكم نطلب القرب منكم بخطبة المصونة مروة رعاها الله ، ألتقت عينا **عبد الرحمن** بعيني **فاطمة** وأبتسما .

أيار وهي حائرة عاجزة عن التفكير تدرع باحة الغرفة جينة وذهاباً ويدها وراء ظهرها تكلم نفسها .. هل صحيح أنا شاركت في هذه الكذبة ؟ هل صحيح أنا طرف ثان في هذه الكذبة ؟ هل صحيح أنا أنكرت وسأتعرض الى المسائلة إذا ما تفوهت بكلمة أمام مدرّسة اللغة العربية ؟ وهل صحيح أن العقاب الذي سيحل على الضفدعة هبة سيحل نصفه عليّ أوه عاجزة أنا عن التفكير ثم سحبت حقيبتها بضجر .. وفرّغت ما فيها غير مكترثة بالكتب ثم رمت الحقيبة على السرير قبالتها .. فسقطت على الأرض .. مسكت القلم بيدها ثم وضعته في فمها ومسكته بأسنانها ثم فتحت فمها

وسقط القلم .. وقالت : سقط القلم .. ولماذا سقط القلم .. لأنني فتحت فمي .. نعم هذا هو سبب السقوط وسقط حقي أمام الضفدعة لأنني فسحتُ لها المجال ، نعم .. سكوتي .. أدخلني في مأزق .. بل مأزقين إذا تكلمت مع المدرّسة عن هذه الكذبة .. ستلومني وتتهمني بالإنكار والتستر على هذه الكذبة مع سبق الإصرار والترصد كما يقول والدي وإذا سكت ستكون الوطئة أكبر .. سأطالب بأسلوب كتابي بليغ لاسيما الإنشاء .. أوه بالسماء .. لا أعرف كتابة موضوع إنشائي بليغ فكيف أكون كاتبة .. وكاتبة مسرحيات .. هذا إلا إذا أقتنعت المدرّسة بأنّي فقدت ذاكرتي .

وزكية كالمعتاد جالسة هي و**شامخ** في الحديقة على الحشيش الأخضر قرب

نخلة البرحي الضخمة ذات السعفّات الكثيفة المتشابكة .

شامخ : زكية أرى في عينيكِ حزناً وهماً .

زكية : وهل ترى حالي يفرح وأنا أعمل خادمة في منزل .

شامخ : يجب أن لا نتشاءم أنها مشيئة الله فالرزق مقدر على بني البشر فليس الناس في الرزق سواسية ثم أن عمك هذا الذي تسخرين منه هو لكسب لقمة العيش بعرق جبينك وبكرامة .. أسمعكِ بكرامة .. كثير من النساء من يعملن أعمالاً تدرّ عليهن مليارات الدنانير .. كالرقص مثلاً .. لكنهن لا يستطعن مواجهة الناس ويعشن حياة الإحترام في الوسط الرذيل الذي تعيش فيه حبيبتي لاتتكدي علينا جلسة السمر هذه .. أبتسمي هيا .. أبتسمي .. واعدكِ بأنّي سأبدد كل الأحزان التي تعتريكِ .

زكية : فكاف **شامخ** لاتجعلني أعيش الأحلام الواهية التي ترسمها لي لأنها بعيدة المنال **شامخ** : دليني على طريقة أنتِ تسهل لنا الحياة .. ماذا أفعل كما تريني أعمل عملي الفلاحة والحراسة والسيد **عبد الرحمن** غير مقصرٍ معي .. مسكن ومأكل .. وراتبي كما تعرفين أدخره سكت ثم أستطرد قائلاً : أولم تخبريني بأن الأنسة مروة وعدتكِ بأنها ستجد حلاً لمشكلتنا هذه .

زكية **بفتور** : نعم وعدتني لكنها لم ترد عليّ لحد الآن ، ولا أحبُّ أن ألح عليها عليها تفكّر بطريقة ما تُساعدنا بها .

مروة وسُبل في كليتهما تتواصلان في أوقات الإستراحة جالستان كل قرب النافورة في كلية كل منهما وفي إتصال هاتفي دائم وكأنهما معاً ولم تبعدهما الأيام ، تسأل إحداهما الأخرى عن مستواها العلمي في الكلية ، التي تعدُّ تخرج بالنسبة لمروة ، لكن سُبل في الكلية الطبية وهي ست سنوات ، فمروة تخرجت معيدة في الكلية وراحت تدرس الماجستير في قسم الإنكليزي وعادة مدة الدراسة سنتان ، ولعل في ذلك إتفاق غير ظاهر وإلحاح على مواصلة الدراسة وكأنهن يركضن من اتجاهين مختلفين للوصول الى ذات النقطة في الوقت نفسه ، اي في ذات الوقت الذي ستحصل فيه مروة على شهادة الماجستير ستتخرج سُبل من الكلية الطبية ، فسألته مروة : ألم أقل لك عن الخبر الجديد .

سُبل وهي مبتسمة : لا لم تقولي ... أخبريني ... شوقتي .

مروة باسمه : جاءني خاطب جديد معروف من قبل الأهل ، لقد حضر والداه ليلة أمس .

سُبل : ها .. مَنْ ..أهو منذر عم فريال ؟ أخبريني وإياك القول بأنك رفضتي ، لمستواه العلمي .

مروة : لا ليس منذر ولا تنزعجي أرجوك ، اسمعي أنا لم أرفض المتقدم لا لقصور فيه وإنما أنا معرضة عن مسألة الزواج الآن ...لأنني لا أفكر في هذه المسألة إلا بعد شهادة الماجستير أن شاء الله .

سُبل : أن الحياة فرص يا حبيبتي أرجوك لا تتعجلي وقد ترفضين شخصاً جيداً قد لا يتقدم لك مثله عندما تحققين ما تصبين إليه ، وتذكرني بأن المرأة كلما تقدمت في المستوى العلمي قلت فرصها في الحياة .

مروة : أوه حبيبتي .. أن الزواج قسمة ونصيب والإنسان في هذه الحياة مُسير وليس مُخير .

سُبل : أعرف .. ولكن .. الإستقرار أهم شيء في الحياة أهم من التحصيل العلمي كما تقول والدتي .

مروة : ولكن لماذا لا أراك تطبقين هذه النصيحة .

سُبل ضاحكة : والله لم يتقدم لي متعلم لحد الآن كلهم يحملون شهادة الابتدائية .

مروة ضاحكة : ومنهم البائع قرب المدرسة (بائع اللبلي للطرفة) حبيبتي أنا أو من بالقدر خيره وشره ، والله أنت رائعة وجوهرة وتمتلكين كل طيبة الكون ، وأنا متأكدة تماماً بأن السماء سترسل لك الذي يضاھيك في طبيبتك ، لكن المهم الآن أن تثابري وتنتهي دراستك لأفرح بك طبيبة مشهورة في عيادة شهيرة ، ولا تشغلي نفسك بهذه الأمور التي لا أقلل من شأنها ، ولكني أرجأها الى وقتها .

سُبل : ان شاء الله حبيبتي وأتمنى أن أفرح بك وأنت تحصلين على شهادة الماجستير في اللغة الإنكليزية وأفتخر بك وأمام كل الناس وأقول أن هذه الإستاذة الرائعة هي صديقة عمري مروة ، وقد تعودت ان يصفق لك الجميع وأولهم أنا ، ولكن أرجوك فكري ملياً في مسألة الارتباط أرجوك .

مروة : لا بد سيأتي هذا اليوم وأعدك بعد الماجستير ... أكيد لن أرفض .

سُبل : وان كنت قد سمعت هذا الكلام منذ سنوات ، ولكن سأقنع نفسي بأنك ستوفين بالوعد على الأقل تجاه نفسك وأن تستثمري الفرص الجيدة ، وألا سأتدخل بإجراء عملية تصحيحية مع الأهل للطرفة .

أميمة جالسة في غرفة معاذ تدرّس أنس مادة الدين .. تقرأ له الآيات ثم تفسرها ، وبعد ذلك تسأله فتجده قد أستوعب الدرس وحفظ الآيات القرآنية الكريمة قالت له : ما شاء الله أجد عندك مقدرة كبيرة على الحفظ أحسنت ولدي الحبيب .

أنس : وكذلك صديقي علي ماما أنه ذكي جداً ودائماً نصفق له .

الأم : علي .. أھو صديقك الجديد .

أنس : نعم أنه صديقي تعرفتُ عليه أول يوم باشرت فيه الدوام والدّه كان يعمل سائق قطار ، ودائماً يتحدث عن قطار والده المتوفي ، سكت ثم أستطرد قائلاً : أمي .. أطلبني من أبي أن يشتري لنا قطاراً .

ضحكت الأم قائلة : أن القطار الذي قاده والد صديقك رحمه الله ليس له وإنما تعود ملكيته للدولة.

أنس : ليس له .. أذن .. كيف يقول لي أنه وأفراد عائلته سافروا مع أبيه في القطار الذي يقوده .

الأم : نعم .. كلامه صحيح هم ركبوا القطار مع الركاب والقطار تابع لخطوط النقل العراقية أفهمت الآن ؟

أنس : نعم .. ماما .. شكراً كنت أجهل هذه الأمور .

الأم : وعليه .. سأجعل والدك يأخذك الى محطة القطار لتراه .. ويجعلك تحق النظر فيه طويلاً .

أنس فرحاً : صحيح أمي .. سأخبر أصدقائي عندما أعود .

الأم : طبعاً صحيح حبيبي .. لكن عندما يوافق على طلبي .

أنس : ربما لن يوافق سيقول عندي دوام ومرافعة في المحكمة .

الأم : أولاً نقدم الطلب الى الإدارة ثم ننتظر النتيجة ، كن صبوراً ولا تسبق الأحداث ، فلا يوجد شيء جاهز ابداً إلا ويمر بعدة مراحل من التكوين حتى مسألتك هذه التي تعتبرها من وجهة نظرك بسيطة .

مروة قالت لوالدتها : ماما سأذهب الى أيار وأخذ الكتاب إليها لعلها تستجيب لي

.. دعواتك أمي .. دعواتك

الأم بثقة : أطمئنني حدسي يقول لي أنها ستستجيب ، أبتسمت مروة دون ان تنبس بكلمة ثم سارت في مقصدها نحو منزل سراج الدين حتى وصلت دخلت وسلمت على أم سالم بأبتسامة عريضة ثم حيت أميمة وسألته عن أيار فقالت لها أنها في غرفتها تدرس .. إذا شئت أصعدني إليها .

مروة : نعم هذا ما سأفعله .. بالأذن .. ثم وثبت على السلم مسرعة حتى وصلت غرفتها .. طرقت الباب .. وهي تضع يدها الأخرى على مقبض الباب .. أجابته أيار من خلف الباب قائلة : أدخل أيها الأبله المزعج .. فتحت مروة الباب ودخلت بهدوء ،

وأيار جالسة على كرسيها الدوار وجهها الى الحائط ويدها اليمنى قلم وفي يدها الأخرى كتاب الإنكليزي تقرأ فيه ثم قالت : ماذا تريد أف منك ، لا تسألني أذهب الى ماما .

مروة مبتسمة : أعتذر على الأزعاج .. وحال سماع أيار لصوتها استدارت في كرسيها قائلة : من .. مروة .. كنت أدرس .. أعتذر ... ظننته أنس ... خيراً ماذا تُريدين .

مروة مبتسمة : وهل أتكلم وأنا واقفة لدى الباب .

أيار : ومن منعك من الجلوس .. أجلسي قبالي على الكرسي وقولي ما وراءك .

مروة : ماذا تدرسين ياترى ؟

أيار : أف .. أدرس الانكليزي .. لماذا ؟ هذا السؤال ، ثم رشقت الكتاب الذي بيد مروة ، ماذا أرى بحوزتك .

مروة : في الحقيقة ذهبت أنا وماما الى المكتبة في السوق لشراء بعض القرطاسية .. فرأيت هذا الكتاب فأعجبني أقتناؤه .. فأشتريته وتمنيت أن تكون لديك نسخة ثانية منه فأشتريت نسخة ثانية منه لك كهدية .. أو بالأحرى أقدمه لك عربون صداقة بيننا .. أنا وأنت هذا اذا تكرمت ووافقتي على هذه الصداقة .

أيار : قلبت شفتيها وأقطبت حاجبيها وهي تبتسم أبتسامه ساخرة قائلة : ماذا .. كتاب .. ثمن صداقة .. أنها مفردة غريبة لم أسمعها مسبقاً ... ثم انك عمتي وبأمكانك ان تكلميني في اي وقت بدون مقدمات .

مروة وهي تبتسم أبتسامتها الجميلة : والآن هل تقبلين مني الهدية أو لا ؟

أيار : أ .. دمدت بهدوء وهي ترمق مروة بعينين ثاقبتين . و .. ماذا يتناول هذا الكتاب ؟ الذي عنوانه ثمن الصداقة يا ترى ... ولماذا تعامليني بتكلف تكلمي بوضوح وبساطة فأنت أخت أبي وابي يحبك .

مروة : وانا أيضاً أحبك واتمنى ان تكوني صديقتي، أما هذا الكتاب فهو يغوص في مكنونات النفس البشرية، ويبحر في دواخل النفس ويتطلع على معالمها الخفية .

أيار : أ .. حسناً لا بأس سأقبله منك ثم مدت يدها الى درج المكتب سحبته وأستخرجت منه رزمة من النقود .. رفعتها قائلة : وكم سعر هذا الكتاب لأعطيك ثمنه .
مروة مُبتسمة : لا أريد ثمناً مادياً بل معنوياً أرجعي نقودك مكانها ولنتكلم كصديقات .
أيار : ماذا معنوياً ... كيف ؟

مروة : حدثيني عن نفسك وما يعتورها .. حدثيني عن صديقاتك مثلاً كم صديقة لك .
أيار ضاحكة : يعترئها .. ما هذه اللغة الركيكة ويقولون عليك مثقفة ، ثم أستطردت قائلة : صديقتي تركتها هناك في الماضي بسبب انتقالنا هنا وليس لي صديقة ، في الصف طالبات كثيرات العدد ضعيفات الشأن .. تافهات .. وواحدة ثرثرة بالفطرة أسمها هيفاء .. تجلس قربي في الصف .

سراج الدين في غرفة المكتب يجلس على كرسيه وراء مكتبه مشغول كثيراً لديه قضية كبيرة يجب عليه أن يدرسها جيداً حتى يتراجع الإسبوع القادم أمام القضاة .. ليتمكن ببراعته من تبرئة المتهم من تهمة وبينما هو كذلك دقت أميمة الباب ودخلت حاملة بيدها قح الشاي الساخن .. وعندما رآها أبتسم ومد يده ليأخذ منها القح قائلاً : شكراً حبيبتى كنت على وشك طلب الشاي ولكن أحساسك سبقني .

أميمة باسمة : إذا كنت لا أشعر بحبيبي أذن بمن أشعر .. وبينما هما كذلك رن جرس الهاتف ، وضع القح على المكتب والإبتسامة الجميلة لازالت مرسومة على محياه جلس ثم رفع سماعة الهاتف قائلاً : ألو .. نعم .

المتكلم : هل هذا منزل السيد سراج الدين الأوجي .

سراج الدين : نعم تفضل أنا هو .

المتكلم : نحن نتكلم من المستشفى لحدوث حادث .

سراج الدين بلهجة خوف : ماذا مستشفى ما الأمر ؟ وعندما سمعت أميمة ذلك إزدادت ضربات قلبها وقد تشبثت به وهي تقول : ماذا سراج الدين حادث مستشفى .

الجزء السادس

المتصل : وقع حادث لشخص اسمه **نائل** وعندما نُقل الى المستشفى وجدنا في جيبه البطاقة (الكارت) الذي فيه رقم هاتفك الخليوي .

سراج الدين : وقد ازداد اضطرابه وقلقه ... في أي مستشفى وهل هو حي أو ...؟؟؟

المتكلم : انه في مستشفى البصرة التعليمي .. أغلق الخط ويدها ترتجفان قائلاً : أنه **نائل** .. تعرض لحادث مروري ونقل الى المستشفى ثم أسرع لتغيير ملابسه والإنطلاق مسرعاً الى المستشفى في هذه الساعة من الليل دون ان يخبر والده وعائلته ، تاركاً امر الإبلاغ السيء الى **أميمة** ، إذ انطلق بسيارته السوداء بسرعة خاطفة مهتدية بأضوائها الأمامية وهو لا يكاد يرفع يده عن منبه السيارة حتى وصل المستشفى ، نزل من باب سيارته بإضطراب متوجهاً الى الداخل ، سأل بعض الممرضات عن شخص تعرض لحادث ، اسمه **نائل عبد الرحمن** وقد نُقل الى هنا .. أجابته **المرمضة :** نعم يا سيدي .. هو في حالة خطيرة .. وقد نُقل الى غرفة العمليات .

سراج الدين : أرجوكِ أيتها الممرضة .. أوصليني الى الطبيب الذي عاينه .

المرمضة : نعم حاضر .. تعال ورائي .. فمشيا حتى وصلا المصعد .. دخلا المصعد .. و**سراج الدين** .. مضطرب يقول في قلبه ، اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف بنا .. ضغطت الممرضة على أحد الأزرار ثم أنفتحت باب المصعد فخرجا مسرعين منه .

المرمضة : عفواً حضرة الدكتور .. هذ الشخص من ذوي **نائل عبد الرحمن** .

سراج الدين : أنا أخوه حضرة الدكتور ماذا جرى له .

الطبيب : أن **نائل** تعرض لحادث دهس .. وقد نزف كثيراً فضلاً لتعرضه الى اصابات عديدة في جسمه وللأسف إنه فاقد للوعي .

سراج الدين بغضب : وسائق السيارة أين هو الآن ؟

الطبيب : أنه في قبضة العدالة .

أميمة حائرة ماذا تفعل .. أسرعت نحو السلم لتوقظ أبنيتها أرقت سلمتين ثم نزلت وهي مضطربة تتراجف وقالت : لأخبر عمي عبد الرحمن أولاً ثم أوقظ أولادي .. ثم رمقت الساعة الجدارية فأذا هي تشير الى الساعة العاشرة ليلاً .. كانت عائلة عبد الرحمن جالسة لمشاهدة المسلسل التلفزيوني اليومي .. فرن جرس هاتف فاطمة قرب التلفاز نهضت مروة بتمختر الى الهاتف وهي تصوب أنظارها الى شاشة التلفاز .. رفعت السماعه وقالت بإبتسامة : ألو ... حياك الله أم قتيبة كيف الحال ؟

أميمة وهي مضطربة : ألو .. مروة .. هل العم عبد الرحمن موجود .

مروة بقلق وأستغراب : خيراً .. ما الذي حدث ؟

أميمة : أبلغني عمي .. بأن سراج الدين تلقى مكالمه هاتفية من المستشفى وقد أبلغوه بان نائل تعرض لحادث سيارة ونُقل الى المستشفى .. وقتيبة لا يزال هنا ينتظركم لكن ارجوك ابلي عائلته واغلقت الخط .

مروة وقد تفرقت عيناها بالدموع وإرتجفت يداها : أخي نائل في المستشفى ؟

نهض عبد الرحمن بأضطراب : ماذا ... ماذا حدث ؟؟؟

مروة : أخي نائل في المستشفى لتسرع قتيبة في انتظارنا .

سراج الدين للطبيب : هل حالته خطيرة دكتور .

الطبيب : للأسف نعم .. أمامه مدة 24 ساعة إذا لم يفق نفقد الأمل في نجاته ، وإذا أفاق يكون قد تعدى مرحلة الخطر .

سراج الدين : يارب ألطف بنا وهل الدم الذي أدتموه إليه كافياً لما فقده .

الطبيب : حصلنا عليه بصعوبة لأن فصيلة دمه (O+) وهي كما تعرف نادرة .

سراج الدين : انا مستعد للتبرع بذات الفصيلة (O+) .

أميمة متصلة قلقة : سراج الدين خبّريني بحال نائل عساه بخير.

سراج الدين متهدأً : للأسف لا يزال فاقد الوعي .. هل أتصلت بزوجته إكرام .

أميمة : يا للهول ماذا تريدني أن أخبرها أعفني من هذه المهمة لا أستطيع أخبارها لقد طلبت من مروة ان تخبرها ، وعمي والاولاد سيصلون إليك بعد لحظات ان شاء الله ،

أطمأن رعتكما عيون الله من كل خطر ، برهة فإذا عبد الرحمن وأحفاده يدخلون غرفة الطبيب حيث سراج الدين لا يزال يتصل فقال : مع السلامة أميمة ها قد وصلوا .. ثم نهض إليهم ليواسي أباه ويطمأنه على الرغم من الخطر .

وعندما حل الصباح توجهت مروة ووالدتها وأميمة وإكرام وكل الاحبة الى المستشفى للإطمئنان على نائل والدموع تترقرق من عيونهم حتى وصلوا عند باب غرفة نائل في الجناح الخاص فأسرعت إكرام نحوه كالمجنونة وقد أربكها بكأؤها فعانقتها مروة مواسية ، وبينما هم كذلك في حالة الذهول هذه باغتهم الطبيب بقوله احمداوا الله كثيرا واسجدوا له شكرا بأن نائل أفاق من غيبوبته وقد أستعاد وعيه وبأماكنكم الآن زيارته ولكن دون ازعاجه بأي دموع .

إكرام باكية : دكتور أريد رؤيته أرجوك أسمح لي ولن ابكي ابداً .

الطبيب : حسناً لا بأس ولكن لا تطيلوا البقاء فدخل الجميع لرؤيته وهم يمسحون دموعهم ، وكل منهم قال له حمداً لله على سلامتك أما إكرام فجلست على الكرسي قرب سريره ومسكت بكفه وهي لاتكاد تنفك عن البكاء وهو ينظر إليها .. وقد أستجمع كل قواه ليرسم على شفثيه أبتساماة خفيفة موجهاً كلامه الذي لا يكاد يسمع لأبيه : أنا بخير ابي لا تبكي ارجوك ، ومن أتى بي الى المستشفى لا أذكر شيئاً بعد الحادث .

سراج الدين : ذات الشخص الذي دهسك أوصلك الى المستشفى .

إكرام : سحفاً له .. ليته يحكم بالسجن المؤبد ليتعلم كيف يقود السيارة .

نائل بفتور : لا .. لاتقولي ذلك .. ثم وجه كلامه الى سراج الدين في الحقيقة .. ليس لهذا الشخص أي ذنب لأنني عندما كنت أقود السيارة .. أحسستُ بدوار .. لأنني كُنت مصاب بالأنفلونزا ولم أنتبه .. الى الشارع وما فيه من السيارات .. وعليه الذنب يقع عليّ لذا أرجو منكم الذهاب الى المركز والتنازل عن الدعوة ضدهً يكفي أنه أنقذ حياتي وأحضرني الى المستشفى ثم سلم نفسه الى الشرطة .

أيار جالسة على أحد كراسي الحديقة حول الطاولة وعليها طبق فيه تفاح وبرتقال وقدح زجاجي طويل فيه ماء زُلال ، وهي جالسة جلسة الأسترخاء .. وبعد ان

أطمأنت على عمها وانتهت واجباتها المدرسية راحت تغلب صفحات الكتاب الجديد الذي أهدته لها مروة .. وبينما هي كذلك جاءها معاذ ووجهه متجهم وجلس قبالتها .. يرنو إليها بعد أن شرب كأس الماء قائلاً : ألدك امتحان أراك منشدة لما تقرأين .

أيار : كلا أنه كتاب أهدتني آياه مروة .

معاذ : وهل تعتقدين أن الوقت مناسب لقراءة مثل هذا الكتاب .

أيار : ما دمت أنهيت دراستي .. فما المانع للتثقف .

معاذ : أولست قلقة .

أيار : قلقة .. على ماذا .. أقلق ؟

معاذ بلهجة ساخطة : عجيب .. أيعقل .. أنك لم تعرفي بحادث عمي نائل ؟

أيار : ها .. عمي نائل شافاه الله وعافاه .. اتصلت بوالدي للتو وقد طمأنتني على حالته وهو يشهد تحسناً ، لكن وما الذي تُريدني فعله .. رجل أندھس .. ويرقد في المستشفى هل تريدني أن أوقف أعمالي ودراستي .. وكتاباتي .. وقراءاتي للكتب الأخرى .

معاذ : ألا تودين الذهاب الى المستشفى لزيارته .

أيار : إذا طلب مني والدي زيارته سأزوره .. وقتي غال ولا أبدده هكذا هنا وهناك لأنني عازمة على قراءة هذا الكتاب بأقل مدة ممكنة حتى لا تتظاهر مروة أمامي بأنها هي الوحيدة التي تتقفت وأنا لا .. سأفاجئها بأنھائي لقراءة هذا الكتاب ... سكت برهة وهي تواصل القراءة .. ثم أستطردت قائلة : هي .. أنت .. أتعرف ماذا قرأت في هذا الكتاب من معلومات مهمة ، وطبعاً ان المتخلفين يصفون الكتب المفيدة بأنها جافة لكن سأقرأ على أسماعك عبارات تجعل رأسك بين المطرقة والسندان .

معاذ : وهل هي أخبار عن الموسيقى والغناء حتى تجذبني هكذا .

أيار يغرور : كلا .. يا متخلف أنه كتاب عن علم النفس .

معاذ : هيا أقرأي ولنرى .

أيار : طبعاً أنا أقرأ في صفحة رقم (24) النقطة الثانية من هذه الصفحة .. أعتدلت في جلستها قائلة : أسمع ، أن التضارب بين تفكير الشخص وسلوكه حالة طبيعية ، إلا ان

الذين يتميزون بتشابه او تماثل التفكير مع السلوك قلة ، ثم قالت **لمعاد** : ها .. ماذا فهمت من هذه العبارة ؟

معاد غطى عينيه بكفيه وراح يضحك : حقيق أنك مسكينة يرثى لحالك بلا مسؤوليات وتبطين في هذه الأمور ، اقرأي عن الامور المهمة مثلاً ما هو تأثير ذبابة التسي تسي على الانسان ، اقصد لا بد ان تفهمي ما تقرأي وليس مجرد ترديد قول البيغاء ، يردد ولا يفهم .

أيار منزعة : تقول هذا الكلام لأنك لم تفهم أي شئ مما سمعت أليس كذلك .
معاد قلب شفثيه : لا ليس كذلك .. فقط .. أن ما قرأتيه على أسماعي ليس من تخصصي ولو كان يصل لتخصصي بصلة لرأيتي أجابتي عندها ، ولماذا ابلد نفسي بكلام ليس له معنى.

أيار ساخرة : أي تخصص هذا .. وهل أكملت دراستك حتى يكون لك تخصص .
معاد : أنت لا تزالين صغيرة .. ولا تفهمين أن لكل أنسان في الحياة إتجاه ما ، أقصد رغبة في هواية ما .. ومن هذا المنطلق أحدد تخصصي سلفاً .. وهو كما تعرفين الفن (الغناء الموسيقي) .

مضى على نائل عدة أيام في المستشفى وهو يتمتع بصحة جيدة وعناية فائقة من لدن الأطباء والممرضات الى ان تمكن من النهوض من على سريره ولكن بحذر مشى خطوات الى النافذة وأزاح الستار المسدول لتدخل أشعة الشمس الى الغرفة فقال وهو يرنو الى منظر النخيل الباسق من جهة شط العرب وزرقة الماء السلسيل القراح الذي يبعث بالنفس البهجة والحبور والراحة النفسية .. آه .. ياله من منظر أخاذ .. يا لجمال الطيور التي تطلق فوق شط العرب آه .. يا سلام .. الحمد لله على تحسني هذا .. وأن كان جسدي لا يزال ضعيف القوى .. وبعد برهة وفي ذلك الحين من الزمن سمع نائل طرقات على الباب .. أستدار نحو الباب وقال بفتور : تفضل .. أدخل .. دخلت مروة وهي تحمل باقة ورد جميلة ذات عطرٍ عابق ودخلت معها **فريال** .

مروة فرحة : الحمد لله على سلامتكَ .. ما شاء الله ثم أقتربت منه وصافحته وقبلته
وقدمت له باقة الورد .

نائل : شكراً حبيبتي مروة .. كل يوم تزعجي نفسك .

ثم حيت فريال والدها وحمدت الله على سلامتته جلس على سريريه قائلاً الحقيقة ملثت
العيش في هذه الغرفة بين أربعة جدران كئيبة .

مروة : لا يا نائل ممنوع خروجك من هذه الزنزانة إلا بعد أن تتحسن وتتعافى نهائياً .
هبة هامسة في اذن هند : ها قد أنتهى الدرس وأيار لم تنفوه بعد أمام مدرّسة اللغة
العربية بالموضوع الذي هدّدنتني به .

هند : لا تتسرعي في الحكم لعلها تتحين الفرصة للإيقاع بكِ .

هبة : حدسي لاخيبي .. وسترين ، برهة ثم رن الجرس معلناً أنتهاء الدرس ، أقتربت
هبة من هند وهي ضاحكة ببطي قائلة : ها .. خرجت المدرّسة .. ولم تنفوه بأي كلمة
لأنها أيقنت بأنها تحملت جزءاً من هذه الأكذوبة .. وأن العقاب إذا حل سينشطر بيني
وبينها .. والآن سأتبع معها سياسة الترغيب تارة وسياسة الترهيب تارة اخرى ، والآن
سأسلم عليها .. وأتفقد أحوالها ثم أستخرجت وردة بيضاء من حقيبتها كانت قد
حرصت على عدم ذبولها بوضعها في كيس فيه ماء قليل ، ثم حملتها وتوجهت بها
إليها ، وأخذت تسير بخطى وثيدة مفعمة بالخجل والإستحياء حاملة هذه الوردة
البيضاء في يدها اليمنى مطرقة رأسها الى الأرض وحال وصولها حيث كانت تتحاور
أيار وهيفاء التي كانت تجلس قريبا .. قالت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أنستي
.. أستدارت أيار نحوها بضيق وقالت : وعليك .. ماذا وراءك .. من دسائس .

هبة بهدوء : أهديك هذه الوردة البيضاء تعبيراً عن إخلاصي وطيبتي وحي وشفافية
روحي وأحترامي وتقديري لشخطك الكريم .. راجية قبولها .. مفتاح مودة بيننا ،
أرجوا القبول ، وكانت ايار منصته إليها ولم تحرك ساكناً غير النظرات الثاقبة التي
ترشقها بها الى أن وضعت هبة الوردة أمامها وغادرت مستأذنة .

هيفاء : الله يا لها من وردة جميلة كبيرة وأوراقها جميلة ثم أن رائحتها زكية .

قاطعتها أيار : ما هذا هيفاء .. لا تُصدّقي ما ان يُفتح لكِ المجال حتى تسترسلني في
ثرثرتك المعهودة .. أرفعيها من أمامي .

هيفاء ضاحكة : أتصددين هذه الوردة الجميلة .

أيار بغضب : أجل .. خُذنها .. وأفعلي فيها ما شأتِ .. حديقة منزلنا تعجُّ بالورود
الجميلة .

هيفاء : أ.. أيار .. وما هي المناسبة التي تستأهل هدية الوردة هذه ؟

أيار : لا يوجد أية مناسبة وهل تريني أعرتها أهمية تذكر ، أنا لا أعير اية فتاة في هذا
الصف أية أهمية لأنهن لسنّ من مستواي لا سيما الشحاذة هبة .

أتصلت سُبل بمرّوة تسأل عن حال أخيها نائل ...

سُبل : كيف حال نائل اليوم ؟

مرّوة مبتسمة : الحمدُ لله لقد تحسّن كثيراً وهو بصحة لا بأس بها ، سُبل حبيبتني ...

لقد شغلني كثيراً عنكِ حادث نائل فلم أعد أسألكِ عن أخباركِ في الطيبة وذويكِ عذرا .

سُبل باسمّة : لا تهتمي حبيبتني فألمكِ ألمي المهم انه تماثل للشفاء ، أنا أقول لكِ

عذرا .. إذا قصّرت معكِ بمآزرتي إياكِ بهذا الحادث سائلة الله إلا يعيده عليكم .

مرّوة : نعم الصديقة انتِ ، أن شاء الله عندما يتعافى نائل كلياً ويخرج من المستشفى

سأقيم له حفلة كبيرة بهذه المناسبة وانتِ أول المدعوين في هذه الحفلة ، هي حفلة

عائلية ليس فيها غريب هل ستأتين .

سُبل باسمّة : وكيف لا آتي وأنتِ عريفة الحفل .

سراج الدين مستلقي على سريره للإسترخاء وهو يحاور زوجته أميمة وهي

جالسة أمام المرأة تصف شعرها ثم وضعت المشط ، وراحت تسأله أتعجبك شخصية

أيار وأسلوبها الحاد .

سراج الدين : ما لها ؟ شخصيتها .. شخصية قوية مستقيمة .. أما أسلوبها الحاد

فمصيره الإعتدال والتوازن والرّقي بمرور الأيام .. فنحن البشر نختلف في طبائعنا.

أميمة باسمّة : أشعر بأنها تغار من مرّوة .

الجزء السابع

وفي اليوم التالي أوصل قتيبة اخته أيار الى المدرسة بسيارته الجديدة وبينما السيارة تسير والهدوء مخيم عليهما قال لها : على فكرة أن فتاة اتصلت بك أكثر من مرة ليلة البارحة على الهاتف الأرضي ثم قلب شفثيه وقال : لا أذكر أسمها ، لكنها هي نفسها التي اتصلت عندما كنت واقفة وأمتنعتِ انتِ عن التكلم معها .. قالت أيار : أكيد هبة ، ضحك قتيبة وقال : نعم هبة هذه التي تسميها خطأ الضفدعة .

أبتسمت أيار قائلة : ترى كيف عرفت رقم الهاتف ؟

قتيبة : منك طبعاً .

أيار: كلا لم أعط أية فتاة رقم الهاتف ولا النقال .

قتيبة : وما هو الإشكال في ذلك أنها مسألة طبيعية .

أيار : أنك تقول مسألة طبيعية إذا كنت أعطيت الرقم لشخص لكن أنا متأكدة مئة بالمئة أنني لم أعطيها الرقم ولم أتكلم عن الهاتف أصلاً .

قتيبة : لا تصعبي الأمور مسألة طبيعية كما قلتُ لكِ .. هيا أنزلي وداعاً أنتبهي لدروسكِ .

أيار : وداعاً .. فدخلت المدرسة .. وكالمعتاد دخلت الصف صامتة وحال وصولها الى مقعدها قرب هيفاء سلمت عليها .

هيفاء : أهلاً أهلاً أيار ثم قبلتها قائلة : أنشغلْتُ عليكِ واللهِ .. أرجو أن يكون سبب الغياب خيراً .. أستغربت أيار للقبلة بدون مناسبة .

أيار : ماذا تقولين غياب ، أي غياب تقصدين ، ثم قالت : أ نعم نعم تقصدين غيابي أمس .. لا أطمأني .. رأيت يوماً جميلاً فخرجتُ للأستجمام مع عائلتي .. وبينما هي تتكلم أتت هبة وسلمت على أيار وهي جالسة وواضعة (رجل على رجل) كيف حالكِ أنشغلْتُ عليكِ .. أجابته ولماذا .

هبة : كيف لماذا ؟ أولست واحدة منا .

أيار : أن غيابي عادي جداً وانتظري غيابات لاحقة أن شاء الله .. ذهبت هبة وجلست في مقعدها ثم قالت في دخيلة نفسها : غريبة لم تقل لي لماذا أتصلت أو شكراً على الإتصال .. بينما أخذت أيار تتكلم أيضاً بداخلها وهي تبتسم أبتسامة أستهزاء .. نعم سأهملها .. نعم سأهمل مسألة اتصالها بي من غير أن اعطيها رقمي ، لأنني إذا كلمتها أكون قد أعرتها أهمية نعم سأتغاضى عن المسألة الى أن تأتي هي وتكلمني رغم أنها كي أسمعها كلاماً لاذعاً .. ثم ضحكت .. فقالت لها هيفاء وهي مبتسمة بالسماء أراك تبتسمين كم هي جميلة ابتسامتك .

هبة لأنسام : أهل أيار لم يبلغوها بأني أتصلتُ بها .

نادين : لا أظن ذلك لأنكِ أتصلتِ بها أكثر من مرة .. أجابتها فسألتها عما إذا كانت عرفت بأني أتصلت بها أو لا .. إستدارت الى أيار فرأتها تتكلم مع هيفاء .. ابتسمت ليئا .. وقالت لهبة : أنظري الى الإنسجام بينهما أذن كيف ستصبح خاتماً بيدك .. فضحكن على هذا الكلام .

هند : كلا يا ليئا هي غيرت رأبها عن تحويلها الى خاتم .. أي من خاتم الى (سوار) في معصمها .

هبة ضاحكة سترون : ثم ذهبت الى أيار وجلست فوق المقعد أمامها وقالت : أرجو أن لا أكون قد أزعجتكما وأرجو أن لا يكون حديثكما خاصاً .. نظرت إليها أيار نظرات حادة تتطاير منها كلمات الغضب الى درجة جعلتها تقوم من مكانها .

أيار : الى أين يا هبة .. رجعت هبة وقد أحمر وجهها .

هبة : آسفة ان كنت قد سببت مقاطعة في الحديث .

أيار : ومن قال لك ذلك .

هبة : أحسست بذلك ... فنهضت هيفاء وخرجت مستأذنه .. ففرغت الساحة .. فقالت: لقد أنشغلْتُ عليكِ يوم أمس ، الى درجة القلق ولا أعرف ماذا حصل .

أيار : نعم قلتي لي ذلك في بداية الدوام .

هبة : الى درجة أتصلتُ بكِ عدة مرات في البيت .. تُرى ألم يقولوا لكِ بأني أتصلت .

أيار : لا بل قالوا أتصلت بكِ واحدة صوتها !

هبة منزعجة : ماذا واحدة؟؟!!

أيار بحنق : نعم واحدة .. أفي الأمر ريبة أترين نفسكِ اثنتين ، ثم من أعطاكِ الحق بالإتصال بي وما هي علاقتي بكِ ، ومن أعطاكِ الرقم ؟ وهبة تنظر الى الطالبات وهن يخرجن من الصف فكانت لا تأبه لكلامها ما دام الصف فارغاً ، متمصصة دور الأدب والتواضع ، لها طريقة بارعة ودهاء بامتصاص غضب الآخرين فقالت لها بهدوء ومن لا يعرف هاتف منزل المحامي الشهير سراج الدين الأوجي والد الطالبة المجتهدة أيار الأوجي ؟ أبنة تلك العائلة المثقفة يكون لي الفخر بإتصالي بأحد أفراد هذه العائلة .

أيار وقد أنطفأت نيران غضبها : أحسُ كلامكِ كثيراً ومشتتاً ولا يعطي الإجابة عن السؤال فخير الكلام ما قل ودل ، أما الكلام الذي قلتيه فأنا لستُ بحاجة لسماعه منكِ .. لكن فقط قولي لي من أين حصلتِ على الرقم .. هبة : حصلتُ على كارت والدك من احد الاصدقاء وأنا آسفة مرة أخرى لكن أريد أن أطلب منكِ طلباً .

أيار بتأفف : ما هو ؟

هبة : دعيني أتصل بكِ .

أيار قلبت شفيتها وأقطب حاجبيها : لا بأس أن أقتضى الأمر ذلك .. فرن الجرس وأسرعت لثلتها تتكلم وتضحك والأسئلة تدور على أفواه مجموعتها ما الذي حدث وماذا فعلت هبة مع هذه الفتاة .. وعندما أنتهى الدوام بدأت تقص ما حدث وهن يضحكن ويقهقهن وهبة تبالغ في التمثيل في حركاتها الايمائية محاولة ان تستمر في تجاذب اطراف الحديث معهن وهنّ خارجات من المدرسة سيراً على الاقدام ورؤوسهن مشدودة بإهتمام لإجتذاب أحاديث هبة المحبوكة المربوطة بخيط متواصل من الضحك ، ذلك لأنها حين تتحدث تمثل الدور وكأنها على خشبة المسرح وليس لها حياء في تمثيل أي دور حتى وان خرج عن الوصف المألوف قفزاً أو إلتفاتة راقصة في ميدان الحديث هكذا هي تعود عليها كل من يستمع إليها.

تقول أم قتيبة لأبنتها أتعرفين أيار فكرت الذهاب الى السوق للتبضع وشراء بعض ما تحتاجه من ملابس وبالطبع يرفقتك وأم سالم لأشترى لها ما تحتاجه من ملابس أيضاً .

أيار : لا بأس ماما سأذهب معك ولكن بدون أم سالم وعليك ان تختاري واحدة منا .
 أم قتيبة : تناولتي الطعام الآن وسنذهب الساعة الرابعة عصرأ سيأخذنا قتيبة السائق الجديد ... وبعد أن أخذت قسطاً من الراحة هيات نفسها للذهاب خرجت من غرفتها الى غرفة والدتها وطرقت الباب قالت لها أمها : أدخلي فدخلت ثم رأت والدها نائماً وهو يصدرُ شخيراً عالياً ، أبتمت وهمست في أذن والدتها تُرى كيف تستطيعين النوم على صوت بابا هذا .. همست الأم في أذن أبنتها تعودت وأحببت صوته ... فأصبح كالموسيقى الهادئة .. ثم خرجتا الى حيث السيارة والإبتسامة ملء افواههن ، أنطلقت بهنّ السيارة ففتح قتيبة المسجل واضعاً كاسيت للمطربة " أم كلثوم " وحالما سمعت أيار صوت أم كلثوم حتى بدأت تصدر نفثات تضجر قوية من صدرها فلم تستطع صبراً وأنفجرت قائلة ما هذا وهل نحن في مآثم حتى نسمع أغاني هذه المطربة المزجة الكئيبة الرتيبة ، فحال سماع قتيبة : عجيب رأيك يا أيار هذه كوكب الشرق كيف لاتعجبك أغانيها .

أم قتيبة : والله ان لصوتها الشجي وقعاً جميلاً في النفس ولكن ما الذي يزعجك في صوتها ، لكنك تبينين اراءك دونما معرفة حقيقية وسماع حقيقي لصوتها وتستهويك الفقاعات من اغاني اليوم .

أيار : وما الذي يجبرني على سماع هذه الأغاني الشيطانية ، انا أكره سماع اغانيها والسلام .

قتيبة ضاحكاً : إلى هذا الحد تكرهين من أحب واصلت السيارة في سيرها حتى وصلوا السوق .

وبعد العشاء .. جلست العائلة في الحديقة كالمعتاد وبدأت بينهم أطراف الأحاديث بالتجاذب بين الجميع وكيف إن أيار تفضل الأسود وتسميه النقاء وتكره

الأحمر وتسميه لون الدم ، وقد أوضحت مفسرة كيف ان الأسود هو النقاء وليس الأبيض .. وكيف يكون الأحمر هو لون الدم إذا لم يكن الدم هو اللون الأحمر .. والجميع يصغي إليها فالأبيض من وجهة نظرها ليس بنقاء لأن سرعان ما يتسخ .. والأبيض عندما يتعرض لأي شئ يعيبه حتى ولو كان هذ الشئ ذرات غبار .. فعندها يتحول الأبيض الى أبيض متسخ ، أما اللون الأسود فهو نقاء وبقاء دائم لا يتزعزع مهما كان واللون الأسود إذا تعرض الى أي شيء أياً كان لا يتغير لونه ولا يتسخ أذن هو نقاء ، ووالديها ينظران إليها بإعجاب وأن كان كلامها غير مقنع ، فأما الأحمر هو لون الخطر اللون الكريه الذي أراه دائماً كالشبح المائل أمام عيني اشبه بالشریان الممتلىء بالدماء .

وفي صباح اليوم التالي أستيقظت أيار على غير عاداتها وكان يوم جمعة وذلك لأنها لم تنس دعوة مروة لها لتناول وجبة الغذاء ، وعندما أصبحت الساعة العاشرة توجهت نحو بيت جدها عبد الرحمن الأوجي ، وقد فتنتها رؤية غرفة المكتبة الفخمة وما حوته من كتب كثيرة وبمختلف الاشكال والاحجام وفي الجدران الاربعة للغرفة ، بقيت صورة الرؤية الاولى للمكتبة عالقة في ذاكرتها وكأنها الحب من أول نظرة للكتب التي عقبها اعجاب لهذا البحر الزاخر وحب ورغبة متوقعة للغوص في بحور كل هذه المراجع وتقليداً مبطناً لشخص عمتها مروة ، ورأت في نفسها الامكانية لان تكون مثل او افضل من مروة ، وقد رحبت كثيراً بأيار وأمسكت بيدها وتوجهت الى غرفتها مبتسمة ، فسارت معها أيار مبتسمة ويبدو عليها التكيف مع عمتها وليس كسابق عهدها تعتقد انها تريد ان تعرض عضلاتها الفكرية والأدبية ولاسيما هي الآن تدرس الأدب الانكليزي في قسمها مما يوسع الهوة بينهما ومهما سارت أيار بخطوات عملاقة لن تستطيع اللحاق بها ، لكن أيار قررت الجري وقررت سماع عمتها والاستفادة من هذه الملاحظات ، لكن كانت مروة تمتلك قوة اسلوب قل نظيرها وثقافة عالية نشأت عليها منذ نعومة أظفارها تتلمذت عليها في مدرسة بحر العلوم وفي مدرسة والديها وكانت قد وعدت اخوها سراج الدين بأن تحب لأيار قراءة الكتب وانها

قادرة على ذلك وانها قادرة على تحمل فجاجة اسلوبها وردودها الغليظة احياناً ، ولكنها اعتبرت أيار اختبار ومرافعة لابد ان تفوز بها أمام اخوها ، وكانت سعيدة جداً لأن أيار بدأت تتجاوب معها وان كان التجاوب بنسب قليلة لكنها قابلة للإرتفاع مستقبلاً ، فراحت تدخل لها من عدة أبواب محاولة إكتشاف عالمها التي حتى والدتها لم تكن تمتلك مفاتيحه ، ولعل أبرز ما تبدأ به هي ان تبدأ اليوم بعرض صور الألبومات العائلية والمدرسية والكلية ، وان لكل صورة ذكرى جميلة وحدثاً يروى ولكل ابتسامة لمسة جمال ولا سيما صور الثانوية التي جمعتها بصديقة العمر سُبيل فمر الوقت بأروع ما يكون وعلامات البشر والراحة ارتسمت على محيا أيار حتى نادتهما ام مروة حين اقترب وقت الغداء ولم تنته الصور والحديث عنها .

وبعد الغداء عادت بسرعة لإكمال ما تبقى من صور مروراً بدفتر مذكراتها التي دونت فيها سيرتها الذاتية وبأسلوب علمي أكاديمي مدروس والجميل ان مروة كانت توثق الحدث بالصور ولعل هذ ما يميز مذكراتها عن غيرها من مذكرت ، ولكن الفكرة الأجل ان مروة وضعت جدول أولويات في تعاملها مع أيار فراحت أيار تقلب صفحات دفتر المذكرات بإعجاب وكيف تم تدوين كل الأحداث التي صادفتها في حياتها السعيدة أو الحزينة تقلب الأوراق بسرعة بمجرد قراءتها لرؤوس الأقلام .. فأخذت تقرأ وتقرأ .. حتى وصلت الى نهاية الدفتر... ومروة ترنو إليها عن كذب بإعجاب .. ثم التقت عينها بعيني مروة وسألتها حقيقة ما قرأت ، أيعقل بأن كل كلام الحب والغرام والشوق لصديقة ام انه تضليل القارئ لئلا يدخل في عالم الريبة والشك ، ويتجنب السؤال عن ماضيك وحاضرك ومستقبلك .. ومروة ترنو إليها واضعة بنانها على صدغها بإعجاب متوقعة منها كل سؤال سواء كان حسيماً ام فجاً .

الجزء الثامن

أيار : لكن من أين لك بكل هذه التعبيرات الراقية وكيف تستطيعين قول مثل هذا الكلام بصراحة وكأنه شئ عابر .

مروة مبتسمة : الحمد لله الذي هدانا وعلمنا نافلة القرآن وألهمنا تقوانا وأحب أن أقول لك أنا سعيدة جداً بأمي وأبي ، وأن جل ما قرأتيه هو من بنات أفكارى.

أيار ضاحكة : أجبتيك غريبة وليس لها علاقة بالسؤال ولكن الأشعار والخواطر لأي شاعر ؟ ثم ماذا تقصدين ببنات أفكارك ، ولماذا لم تقولي من أولاد أفكارك يا ترى؟!

مروة مبتسمة : أنظري الى أسفل الورقة موجود أسم كاتبها كلها كتابات جدك وكتاباتي، نعم جُلها كُتاباتي .. نحن والحمد لله لدينا ملكة خيال تُلهمنا كتابات أدبية شعراً أو نثراً ، أي القدرة على التأليف بين الأشياء لتكوين الصور وتجسيد المعاني المجردة ، بعبارة أخرى أضفاء الطابع الحسي على الجماد وبعث الحياة والروح فيه .. لكن حديثي عن اهتماماتك وهواياتك ، ومعنى مصطلح بنات أفكارى هي فكرتك أنت أي حين يُستخدم المصطلح فهذا للدلالة على أن الكلام يحمل أفكارك التي نتجت من عقلك فبنات أفكارى تعني نتاج التفكير الخلاق والنتاج عن عمل وتم استخدام كلمة بنات بدل أولاد للأسباب التالية : أولاً كلمة فكرة مؤنث أي للأنثى ، فالأم تلد فيأتي مولود إذن الأم الفكرة والمولود هو البنث تصبح بنت الفكرة ، هذا نوع من المجاز بإعتبار أن الفكرة ولادة ذهنيه وأيضاً من التبني لأن من تعجبه فكره يتبناها لأن الإبداع رائع وله قيمة ربما تشبّه بأحد الأبناء .

أيار : لا شئ جديد كل شئ يمر بصورة عادية روتينية.. بإستثناء هذه المزعة هبة أنها أتصلت بي في البيت على الرغم من أنني لم أعطها رقم الهاتف أتصلت عدة مرات لكني أمتنعت عن مكالمتها .

مروة : ولماذا الإمتناع إذا كانت تسأل عنك ..لا..لا.. هذا شئ غير مستحب يا أيار ، قولي لي كم صديقة عندك إلى الآن وقد وصلنا الى نصف السنة ..

أيار : ولا واحدة لأنهن فتيات متطفلات ، وأنا لست بحاجة الى صديقة .

مرورة : كيف ذلك والى متى تبقيين متحجرة العواطف ميتة المشاعر .

أيار : هكذا أنا .. ولدتُ من رحم العناء .

مرورة مبتسمة : أرى في كلامكِ طفرات نحو الكتابة أسلوبكِ في الكلام يبنى عن قدرة خفية مكبوته للكتابة.. أيار : لا تهزأي بي يا مرورة .

مرورة : أقسم بالله اني أحبكِ ولا أهزء بك ابدأ لأنك جزء مني واتمنى ان ترفعي عني هذا الانطباع الخاطيء ، وأطلب منك برمجة ما يجول بخاطرك من إرهافات وتجسيدها وطبعها على الورق ، فنحن بنو البشر عندما نريد أن نتكلم أو نكتب في البداية هذا بالنسبة لي ولما أحس به يبدأ قلبي بالكلام حتى تتجمع لديه بيانات كثيرة من المعلومات ثم يرسل إيعازاً سريعاً الى الدماغ حيث يسكن المخ الذي يتكون من ستة مليارات خلية كما أثبت ذلك العلماء ، هذا الإيعاز يأمر ببرمجة هذه المعلومات ثم بعد البرمجة يرسل الدماغ إيعازاً سريعاً الى العينين بأن دققي أيتها العينان ما ترين .. ثم بعد هذه العمليات السريعة يتكون الكلام وبرمجته وتدقيقه يُرسل إيعازاً الى اليد بأن خطي أيتها اليد ما يقوله القلب دون وجل او كلال .. وهكذا تتكون لدينا قطعة نثرية أو أي صورة من الصور الأدبية الأخرى ، أذن لا بد أن تحاولي الكتابة ، أقل شئ أكتبني مذكرات عن نفسك .

أيار: أحست بشئ من الغرور فأعتدلت في جلستها وأظهرت عليها علامات الإتران سأحاول .. نعم سأحاول .

مرورة : اليد أداة لا تفقه أبجديات الكتابة وإنما تؤمر بإيعاز الروح السحري الذي يسطر ما يريد من حروف التي تنطوي على التصوير والتعبير الذي يخفق بالحياة أما إذا كانت الروح شاردة غير مستقرة في وادٍ ، يشدُّ لسان مقالها الذي لا يغني عن حالها وان نطق أنين الصمت على نار هادئة ، عندما تبتعد صواري الشتاء ، فالإيمان بالقدر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر نجاة الإنسان التي لا تكون إلا اذا كمل نفسه بالإيمان وكمل غيره بالنصح ، فيكون قد جمع بين حق الله وحق العباد .

أيار : كما ذكرت بأن اليد لا تفقه ابجديات الكتابة ... هذا يعني ان في الامر موهبة ومقدرة تمكن اليد من تسطير الكلمات ، لكن المهم عندي الان ان اجيد كتابة التعبير ثم افكر ان اكون كاتبة مثلك او مثل جدي عبد الرحمن .

هبة وبعد أن قصت ما حدث لها مع أيار لهالة ، أستغرقتنا في الضحك لتمثيل هبة على نفسها وكيف أستطاعت أن تمتص غضب أيار أستنتجت انه بإمكانها أن تحصل على ما تبتغي الحصول عليه وفي هذا الأثناء دخلت لنا وفي يدها طبق من الحلوى أعطته لها وهي تقول لها : خذي هذا يا هالة وهي ممزحة ان أختك الطفلة هبه لكي لا تأكله (كليه ما دام حاراً) ضحكت هبة وسحبت الطبق وقالت ممزحة : (مدام حاراً .. لو .. أنسة حار) ، أوه حلوى ثم قضمت قطعة منه وأبتلعته وهالة تركض وراءها وهي ضاحكة لا تأكلها كلها .. تفضلي يا أنسام ثم جلست وجلست هالة وهبة قربها وقالت يا هالة لا يعز عليك شئ تعالي معي فإختاري ما شئتني من الملابس ، قالت هبة أنا أذهب معك وأختار لها ملابس على ذوقي ، لأنها ستذهب معي الى المدرسة .. قالت هالة : وهو كذلك أذهبي معها يا هبة سألتها فاتن وكيف حال الوالدة قالت هالة وبصوت حزين : أنها في المدرسة تعمل عاملة في مدرسة ابتدائية ودوامها اليوم مسائي ، انظري الى الشمس كم هي محرقة بل متوهجة في السماء تكاد تذيب الخدود من شدة حرها .

قامت أنسام مستأذنة تريد الإنصراف وقبل خروجها من الباب صاحت هبة يا أم عيسى هل تريدين الطبق أو لا فإنه جميل ضحكت أنسام وقالت : خذيه لك أشبعي فيه .. شكراً يا أم عيسى عوضك الله بصلح من جديد .. فضحكت وخرجت .. وداعاً .. وداعاً .. وداعاً ..

أما أيار وبعد أن قضت وقتاً ممتعاً في بيت جدها عبد الرحمن ، فأول شئ فكرت به هو تحضير دروسها وبعد الإنتهاء من تحضير الدروس ، بدأت بمحاولة الكتابة متمنية أن تكون لها ملكة خيال وعندما حلّ الظلام لم تنظم لعائلتها كالمعتاد لأنها مشغلة بتحضير دروسها وبعد أن أنتهت من ذلك نهضت من على الكرسي

وأستخرجت بعض الأوراق من الدرج ثم وضعتها على المكتب فمسكت القلم وأخذت تفكر بماذا تكتب ، فكرت ملياً .. لكن القلم لا يريد الكتابة .. راحت تسترجع شريط الذاكرة عن كلام مروءة كيف أن مصدر الكلام هو القلب والعقل يبرمج ... تعبت وهي تمسك بالقلم حتى خطت ... تعالي الى هنا أيتها الملكة اللعينة ، تعالي ياملكة خيالي ، تعالي وأملئي قلبي حبراً من دُجى الليل ، تعالي وشاركيني وأتممي هذا .. ثم رمت القلم .. قائلة ما هذا ... هُراء هُراء .. ثم رمت الورقة في السلة الموضوعه تحت مكتبها .. فأخذت ورقة أخرى وبدأت تكتب فكتبت صغيرة هي الدنيا سُحقاً للدنيا ... الدنيا شيطان ، كثير الهموم والأحزان كثرة الأحزان خلقت في نفسي العنان ولم أجد في الدنيا لأسمي رمزاً ولا عنواناً ، ثم قرأت ما كتبت وقالت : هذا أفضل من السابق تركت الأوراق على حالها وأستلقت على سريرها غارقة في نوم عميق حتى الصباح .

هبة أحضرت الملابس من أنسام الى هالة على ذوقها كما أتفتنا فقالت لهالة أتذهبين هذه الأيام أم تنتظرين مناسبة ، قالت كما ترين يا هبة وأعلمي أن القصد من ذهابي هو لكي أرى هذه الفتاة التي تتكلمين عنها ليس إلا .. أوه يا هالة لقد نسيت لعنة الله على الشيطان في يوم الأربعاء لدينا مناسبة ، وهي اختيار الطالب القدوة ، وستذهبين معي ، وبالطبع سأرشح نفسي .. الصف مملوء بالكسالى بإستثناء طالبات قليلات يعدن على الأصابع ، امتلك شعبية كبيرة تضمن لي الفوز ، وأن الإجتهد هو المقياس الأول الذي يقاس في ضوءه الطالب القدوة .. ولن تتمكن احداهن من منافستي ولا حتى أيار فعالها غير عالما مغرورة ومتكبرة منزوية ومنطوية على نفسها ، سليطة اللسان ، متجهمة الوجه ، مقطبة الحاجبين ، وباسرة الوجه ، عصبية المزاج وأي بلهاء هذه التي تنتخب مثل هذه الفتاة قدوة لها ، على الأقل أنا متفوقة أولاً ومرحة وأضحك طوال الوقت ، وانا واثقة من فوزي 98% وبدون منافس .

رنَّ جرس الباب فأسرع أنس .. فإذا به العم علي زوج العمه أسيل وبناتها ريام ووفاء وولديها ألق وفرزدق ، صديق أنس .. كيف حالك يا أنس .. فقَبَلته .. أنا

بخير عمتي وكيف حال عمو ... تفضلوا : ثم نادى عمتي أسيل يا ماما ، ما هذه المفاجأة السعيدة .. وكيف حالكم .. تفضلوا .. تفضلوا .

أميمة : حياكم الله وبياكم زارتنا البركة ، سراج في المحكمة واليوم لديه مرافعة والأولاد في مدارسهم .

العم علي : نحن اليوم جئنا لزيارتكم أولاً ثم لدعوتكم ثانياً الى حفلة زفاف ولدنا ألق .

أميمة : نزلتم سهلاً وحللتهم أهلاً في بيتنا وبالرفاء والذرية الصالحة في أي يوم ؟

أسيل : يوم الخميس الساعة السادسة عصراً وبحضوركم يتم الفرح والسرور .

أميمة باسمه : طبعاً طبعاً سنكون أول الحاضرين أن شاء الله ، ولم يلبثوا إلا دقائق حتى هموا بالإنصراف وحملوا أميمة التحايا لسراج الدين والأولاد ، فوقتهم مزدحم ومشحون لإكمال ترتيبات الحفل كافة وتوزيع بطاقات العرس الى كل الأحبة ، علماً بأنهم توجهوا الى بيت عبد الرحمن .

وعندما سمعت أيار في المدرسة أن غداً الأربعاء أنتخاب القدوة قالت في نفسها أنا لا آتي غداً ، لأنني لا أحب مثل هذه التفاهات فكل شخص قدوة لنفسه ثم ومن هذه التي تكون قدوة عليّ ، نعم الأفضل لي عدم المجئ ... على الرغم من ان هيفاء اقترحت عليها أن ترشح نفسها .. لأنها تراها جديرة بذلك .. وان هذه الفتاة من وجهة نظرها مسكينة لا تعرف كيف ترضيها ، وقد عدت هبة العدة للترشيح وبدأت تعلن عن ترشيح نفسها أمام الطالبات قائلة : أخواتي الطالبات أن غداً الأربعاء وكما تعرفن ستجري الممارسة الديمقراطية لإنتخاب الطالب القدوة ، لذلك لا بد أن نحتفل بهذه المناسبة السعيدة ، ولا بد أن نجمع تبرعات لنشتري الكيك والعصير والبالونات لأتمام مراسيم الحفل ، ويا حبذا لو نبدأ بجمع التبرعات وبأقل التكاليف دون اجبار وبحسب المقدرة ولا تثريب على من لا تستطيع التبرع ، وأنا من جانبي سأتبرع بالطبق والسكين وأجور الغناء والرقص ، فأضحكت الطالبات في دعابتها وخفة دمها ، وعندما سمعت أيار ذلك أعتدلت في جلستها ونفشت ريشها كالطاووس قائلة لهبة

مشيرة إليها بينانها تعالي ، لا داعي للإستجداء أنا أتبرع بالتكاليف ومراسيم التنصيب كما قلت كافة جاءت هبة وقالت : ماذا وهي فاعرة فاها ماذا ماذا ؟ كل التكاليف ؟ أيار : نعم وسوف ترين ثم أستخرجت المبلغ من حقيبتها وقالت خذي هذا المبلغ .. أخذته هبة وهي فرحة وقالت : هو كثير يا أيار.. أجابتها مستهزئة الباقي لك يا هبة . هيفاء : .. أنه مبلغ يتجاوز كل التكاليف .. انه كرم منك . أيار: ماذا كرم أنه مبلغ بسيط بالنسبة لي وما هو إلا وريقات قليلة يفرح بها الفقراء والبلهاء.

هيفاء ضاحكة : أحبُّ أسلوبك المهين مع هبة .

أيار : أي أسلوب تقصدين .. لم أفهم .

وفي البيت قالت أيار .. المدرسة مزعجة سأرتاح غداً لا أريد الذهاب .. قالت الوالدة .. لك ما شئت .. المهم أن لا يؤثر تغييرك عن المدرسة على دروسك .. أجابتها بالطبع لا ... قالت الأم .. عمك أسيل تسلم عليك وقد دعتنا هي وزوجها الى حفلة زفاف ولدها ألق وسنكون أول الحاضرين .. قالت لها : أنا لا يعجبني حضور مثل هذه المناسبات سأرتاح يومي الأربعاء والخميس في البيت .. سأبقى مع الخادمة أم سالم ... وفي هذه الاثناء دخلت عليهما مروة وجلست تشاركهما الحديث .

مروة : أيار لدي مفاجأة لك فأحزري ؟

أيار : لا أحب المفاجآت والألغاز وأفضل المباشرة في القول ، لكن ما هي هذه المفاجأة يا ترى التي تجعل البسمة مرسومة على محياك هذا ؟

مروة بفتور متقطع : غداً الأربعاء ... سأذهب معك الى المدرسة سأخذ محاضرة واحدة فقط في الكلية أي الدرس الأول حيث يتم أنتخابي قدوة الصف وبعد ذلك مباشرة سوف آتي إليك وأذهب الى المدرسة معك ..

أيار باسمه : ماذا ماذا؟؟ إلى هذا الحد واثقة من نفسك ستكونين قدوة؟؟

مروة : ولم لا وقد تم الإتفاق على أنتخابي من قبل الطالبات مع العلم يا أيار أنني قدوة من الصف الأول المتوسط وحتى الآن واحظى بإحترام وقبول كل زميلاتي والحمد لله.

أيار : لا أقصد شيء يا مروة .. إلا أنني كنت مقررة عدم الذهاب الى المدرسة في هذا اليوم لأنني بصراحة أكره أن تكون طالبة توضع عليّ قدوة وأقول هذه قدوتي ، ولأنني لا أرى أي طالبة فيها خير وسأكون محرجة بل مجبرة على إختيار أسم طالبة مرشحة أمامي وفي هذا إكراه وانت لا ترضين لي ذلك .

مروة : ولم الإحراج والإجبار والإكراه إذا لم يعجبك الوضع قلمي الورقة فارغة ..
أيار : ولكن ... هناك معلومات كثيرة لا طاقة للذاكرة على استرجاعها حول الموضوع .

مروة : من غير لكن ... قلتُ لك أريد الذهاب معك .. وانتِ تمتلكين شخصية قوية فلا تخافي من مثل هذه المواقف الروتينية وهل من المعقول أن لا تأخذيني معك ، عجيب أنا أضيّف نفسي بنفسي .

أيار : حسناً دعيني أفكر وسأرد عليك برسالة مساءً .

مروة : لا أعرف بماذا تفكرين ثم نهضت تريد الذهاب فمسكت بيد أيار وقالت :
سأجديك جاهزة .. ها .. هزت أيار رأسها .. الى اللقاء .. الى اللقاء .

أما هبة وبعد أن قصت ما حدث لها لأختها كالمعتاد إزدادت شوقاً لرؤية هذه الفتاة الغريبة الأطوار التي تثير الإعجاب والاسئلة والتساؤل وقد طلبت من هبة ان ترافقها الى المدرسة فوعدها بأن تأخذها معها وتعرفها عليها ، ولكن ذلك في مقابل ان تصنع لها الكيكة للحفل لأنها كانت تجيد صنع الكيك ، وتزينها بالشكل الذي يجعلها تبدو وكأنها من السوق ، وستنفق بعض النقود لشراء العصير ، وفضلت العصير من خلال خلط قليل من السكر مع قليل من هذه الأصباغ التي تستعملها أمها لصنع المرطبات والمثلجات .. وتستفيد مما يتبقى من المبلغ لشراء بدلة تنزين فيها للحفلة .

حتى جاء اليوم التالي يوم الأربعاء وكأنه يوم الزينة وقد تألفت تلك الفتاة المتزنة الذكية المجتهدة خفيفة الروح والظل المحبوبة من لدن الجميع في صفها وقسمها ، بدأ الإنتخاب وعند فرز الأسماء فازت مروة بخمسة وعشرين صوتاً من ثلاثين .. كانت بحق جديرة بأن تكون قدوة .. وبعد أن تلقت التهاني والتبريكات ..

وبعد أن كانت قد طلبت أجازة لمدة يومين خرجت من الكلية وهي فرحة وكان والدها بانتظارها فبشرته واتصلت بوالدتها لتزف لها البشرى بالفوز كما هو كل عام ثم توجهت نحو بيت سراج الدين .. دخلت .. وقالت لأيار ها أنذا أمامك أحمل شارة القدوة على صدري .. باركي لي .

أيار : وما زادك هذا الباج الحديدي ؟

مروة فرحة : هذا الباج هو حب و إعجاب وتقدير واحترام الآخرين لي .

أيار : وهل أحتفلوا بك ؟

مروة : لا أجلت الحفلة الى يوم آخر لأنني أخذت أجازة وخرجت ألا تريني أمامك .

أيار : على كل حال .. مبروك .

مروة : مقبول منك وأن كان بارداً هنيئ نفسيك بسرعة ، فنهضت أيار بتثاقل وهي تصدر نفثات من صدرها قائلة على الرغم من أن هذا لا يعجبني الا أني سأذهب بالإكراه .

وحالما أنتهت أيار من ذلك وبعد أن أخذت كثيراً من الوقت للإستعداد صاح

منبهه سيارة قتيبة .. فخرجت مروة قائلة : نعم هي قادمة ، قال لها : مبروك مبروك ..

في صدرك شارة القدوة .. قالت له : شكراً . وأنت .. ضحك وقال : أنا لا أحب أن

يقندي بي أحد حتى لا يرمي عليّ اللوم .. فتحت مروة باب السيارة وصعدت قائلة

اليوم أنا ذاهبة مع أيار الى المدرسة .. لكي أرى زميلاتها ، فكانت أول طالبة تدخل

الصف هبة ثم أختها فجلست هالة وقالت لها : أنظري من بعيد .. وأنت احكمي أولاً

من هي أيار .. عندما تأتي .. ما هي ألا خطوات حتى دخلت أيار ومروة ماسكة بيدها

، مرسومة على وجهها أبتسامة جميلة تشرح الصدور .. فكل طالبة أخذت تهمس في

أذن صديقتها عن جمال هذه الفتاة .. هبة بُهرت بمنظر مروة وجمالها الفاتن .. ثم

أستدارت هالة وقالت بهدوء : من هي ؟ ضحكت وقالت : إذا كانت فهي من أثننتين ،

واحدة ضاحكة مبتشرة يكاد وجهها ينثر الحب في كل مكان ، والاخرى باسرة متجهمة

الوجه اذن هي أيار .. لكن أتعلمين يا هبة أنها قوية الشخصية يبدو عليها الحدة والصلابة ، وأردفت هبة : والسلطة في لسانها لا تنسي .

وبعد أن ألفت مروة التحية حال دخولها الصف لم تعرّفها أيار إلا على طالبة واحدة فقط وهي هيفاء وقبل أن تطلب من هيفاء أن تفرغ المكان لمروة بادرت هي بذلك .. فجلست أيار وبجانبها مروة .. والطالبات ينظرن إليها بإعجاب .. نهضت هبة قائلة .. هيا يا هالة تعالي أعرفكِ على أيار .. ترددت هالة .. قالت لها هبة ممزحة لا تخافي أنها أليفة .. فوقفت وبجانبها اختها أمام أيار وبعد أن ألفت التحية ردت أيار عليها رداً بارداً على عكس مروة .. أهلاً وسهلاً .. وبابتسامة عريضة قالت هبة : أعرفكِ يا أيار بأختي هالة .. فمروة حال سماعها ذلك نهضت بسرعة وقبل إعتدالها في وقتها همست أيار في أذنها قومي .. نظرت أيار الى مروة نظرة عدم رضا ثم وقفت : أهلاً وسهلاً .. ثم إستدارت هبة الى مروة وقالت : أعرفكِ .. أسرعت مروة قائلة أنا مروة الأوجي فرصة سعيدة تشرفت بمعرفتكما .. قالت لها : أنا هبة واختي هالة أهلاً أهلاً.

دخلت المدرسة وكل من الطالبات أخذت مكانها ، وبعد أن ألفت المدرسة مقدمة موجزة عن إنتخاب القدوة أو عزت الى الطالبات بأن ينتخبن الطالبة القدوة بصورة مباشرة من غير ترشيح .. وقعت عينها على مروة ثم دنت منها .. وقالت : ضيفة .. قالت لها أيار نعم يا مدرّستي أنها ضيفة معي أنها مروة الأوجي .. قالت : أرى شارة القدوة على صدرك ، أجابتها نعم تم إنتخابي اليوم في كليتي الاداب قسم الانكليزي فقدمت لها التبريكات.

ثم عادت الى الطالبات هيا يابناتي .. وبعد أن سلمت الوريقات الصغيرة .. جمعتها هبة وبعد فرزها وتوثيقها على السبورة البيضاء ظهر الاسم الأول هبة فتحي وهبة وهبة وهبة .. ثم أيار فنظرت أيار بإستغراب الى مروة وهي مندهشة .. ماذا .. أيار ؟؟؟!!! حتى توالى حساب الأصوات (11) صوتاً لهبة و(11) صوتاً لأيار و(5) أصوات لينا (3) أصوات أنسام من مجموع (30) صوتاً .

الجزء التاسع

المدرسة : أما الآن فنعيد العملية مرة أخرى ما بين هبة وأيار فقط .. فوزعت وريقات أخرى وحال فرزها .. ظهرت النتائج ، وبعد أن أعيد الانتخاب لم تكن أيار تتوقع أبداً أن يرشحها أحد ، أو لنقل لم تكن ترغب فعلاً بأن تكون قدوة يقتدي بها الآخرون ، وبعد أن بدت علامات الإستغراب والذهول على وجه أيار وهي تنظر إلى مروة .. أعيدت عملية الانتخاب مرة أخرى ما بين هبة وأيار وبعد الانتخاب تم جمع الوريقات وفرزها ، وعدها فتبين أن هناك (13) صوتاً لهبة و(12) صوتاً لأيار ، وبهذا فازت هبة وحازت على شارة القدوة .. أما أيار فقد هاج في صدرها الحزن .. لا .. لأنها لم تفز بالانتخاب لأنها لم تكن أبداً ترغب في ذلك ، وإنما بسبب وضع أسمها موضع منافسة مع هبة ، وذلك يعدُّ هزيمة في نظر الآخرين .. تقدمت الفتيات بالتهاني والتبريكات لهبة أما مروة فقد انزعجت كثيراً لعدم فوز أيار .. قائلة لها .. لا بأس أيار خيرا بغيرها ، أجابتها ماذا .. وهل كنت أرغب فيها .. أجابتها طبعاً لا ، ولولا أعجاب الطالبات بك لما حصلت على 12 صوتاً .

قالت لها : كلا يا مروة أنها خدعة خدعة .

مروة : ماذا خدعة وكيف فهمت ذلك ؟

أيار : أنا واثقة كل الثقة أن هناك من دبر هذه الخدعة لكي أكون في النهاية مهزومة أمام هذه التافهة هبة .. مروة : وأنا لا أظن ذلك أبداً أن هذه العملية مسألة ديمقراطية لا تخضع لمثل هذه الشكوك والأوهام .

أيار : ثقي يا مروة أثناء عملية الانتخاب كنت أدعو أن لا أفوز لأنني لا أريدها وأدعو أن لا تفوز هبة لكي لا تكون أفضل مني .

مروة : يا عزيزتي لا تكوني سيئة الظن بالآخرين واعتبريها مسألة عادية .

أيار : كلا أنها مسألة تحدي .

مروة : وهل نحن في معركة حتى تكون مسألة تحدي ، أثبتت نفسك أنتِ الأفضل بمثابرتك وأحرزي أعلى الدرجات وهذا أروع مقياس للمنافسة .

أيار : وهو كذلك وسترين .

جاءت هبة لأيار وقالت : أسفة لما حدث أنه لشئٍ محرج أن أنافسكِ .

أيار : وبكل جدية أنتِ تعرفين جيداً مستواي العلمي وكذلك تعرفين جيداً أيضاً أنني لم أكن أرغب فيها .. وأعلمي أنها مسألة جداً عادية ولا تهمني ، لأنني لست متفرغة لمثل هذه الأشياء الصغيرة بادررت مروة .. مبروك هبة .. أشكركِ .. لكن أيار بعد ذلك رمت اللوم على مروة لأنها هي التي أجبرتها على المجئ الى المدرسة كانت قد قررت أن تغيب يومي الأربعاء والخميس ، بعد ذلك قامت هبة بتقطيع الكيكة وأختها تكاد تطير من الفرح بأن أختها هزمت أيار ومرّغت أنفها كما تعتقد ، ثم قالت أيار لمروة .. لا أطيق أكثر من ذلك سأنفجر إذا ما أستمر جلوسي هنا وأنا أنظر الى هذا القطيع المتخلف .. نهضت مروة وقد تحشرجت الضحكة في صدرها أذن دعينا نخرج الى الساحة .. ثم سألتها وهل يحتفلون اليوم بهذه المناسبة قالت لها : كلا الدرس الأول فقط والحفلة المشؤومة تؤجل الى يوم لاحق ، لا علينا الآن أترك ما جرى .. ولنتحدث في مواضيع أهم طبعاً تذهيبين الى عرس ألق .. أجابتها طبعاً لا .. قالت لها بلهجة حادة ماذا لا تذهيبين .. وأنا من يذهب معي .. أجابتها .. أذهبي مع ذويكِ .. أما أنا فلا يعجبني الذهاب سابقى مع الخادمة .

مروة ضاحكة : على الرغم من أن تصرفاتكِ تحزنني إلا أنها تضحكني .. ثم انتِ كيف تتكلمين أمام هيفاء وتقولين القطيع المتخلف .. أجابتها وهل كُنت كاذبة .. ألم تلاحظي كيف تجمعن حول هذا الطبق القدر .. الذي جلبته معها ، ومما يؤكد شكوكي انها خدعة أنها مهدت لكل شئٍ حتى الكيكة أحضرتها .. مقابل أن تعرضني الى مثل هذا الموقف المزري ، وضعت مروة بنانها على صدغها وقالت : قد ، ثم قد ، تكون شكوككِ في محلها ، إذ كيف تتحمل تكاليف الكيكة والعصير من غير أن تكون متأكدة من فوزها .. حقاً أنها مسألة .. تبعث الشك ..

أيار : ماذا ... تكاليف ... أنا لم أقل لكِ أن تكاليف ما أحضرته أنا تبرعت به ، لأنها بدأت تتباكى وهي تمُدُّ طاسة رثاء الحال الصفيحية امام الطالبات .

مرورة مبتسمة : ماذا !!! أنت تبرعتِ به .. ثم وضعت يديها على وجهها قائلة : أوه يا إلهي جرفتنني في دوامة الشكوك والهواجس أستغفر الله ثم نهضت وأخذت بيدها قائلة : أنت سيئة الظن بالآخرين كثيراً كثيراً كثيراً ، وهبة كما يبدو عليها طالبة بسيطة طيبة ضاحكة السن خفيفة الظل ، لذلك أرجو أن تمدي الجسور لصداقتها.. سكتت أيار دون أن تحرك ساكناً وهي تستمع لكلامها غير المرضي .. ثم استطرقت مرورة : وأنا متشوقة للذهاب لحفلة العرس لأنها ستقام في أجمل الصالات ، فمثل هذه المناسبات السعيدة الفتيات يجتمعن في مكان واحد ويتبادلن الكلام .. ترى أتريديني أن أجلس لوحدي كيف ترضين ذلك .. على الأقل اذا كنتِ معي سأمسك بيدك ونجلس سوياً في مكان واحد .

أيار : ولماذا تقولين لوحديك .. وأين ذهبت الوالدة وعمتي وفريال وريام الا يجلسن معك ياترى .

مرورة : أف منك قلتُ أريدك أن تذهبي معي لأنني أرتاح لك أكثر من فريال وريام ، أتريدين حرمانني يا ترى .

أيار بتردد : لا دعيني أفكر بالأمر ومن هذا الوقت إلى الغد يتغير الكثير عندي دراسة . أما قتيبة ومعاذ فكان يبدو عليهما الإنشغال كثيراً بتنظيف السياره والتهيؤ للذهاب الى حفلة العرس .

سألته أيار ما بك ... اليوم ... أراك مشغولاً كثيراً ... قال لها : ولم لا أنشغل .. ولدينا حفلة عرس غداً .. أنت ومرورة ستركبان معي في سيارتي .. قالت له : ماذا .. أنا ومرورة .. ثم سكتت يبدو أنها أذعنت للأمر الواقع ، إكراماً لخاطر مرورة فقط من وجهة نظرها لأكثر ..

أيار : قتيبة وهل ستذهب الخادمة معنا .

قتيبة : أن أم سالم ليست بخادمة ولم تكن خادمة من قبل إنما الظروف أضطرتها للعمل وللعلم لا بد أن تعرفي أنها لم تكن أبنئة خدم وإنما دارت عليها الدائرة .. حتى

وصلت الى نهاية المطاف لذلك لا أريدك أن تسميها خادمة من فضلك وانه لشيء محرج بالنسبة لها إذا سمعتك .

أيار : ما بك تكبير المسائل هكذا ، أتقدر أن تصف عملها .. أليس هو خدمتنا .. والشخص الذي يعمل بأجر في البيوت يعدُّ خادماً أليس كذلك أم أنا مخطئة ؟
قنتيبة أطرق قليلاً ثم قال : يمكن أن تسمي العمل مساعدة لم لا نعم لنقل مساعدة في أمور البيت وليست خادمة .

أتلصت مروة بأيار عبر الهاتف وقالت لها : لا بد أن نذهب الى صالون الحلاقة ، أجابتها : صالون حلاقة وماذا نفعل به ؟ أجابتها كيف ماذا نفعل ؟ ومن يصف شعري وشعرك .. أنا اتفقت مع بابا بأن يأخذني بسيارته الى الصالون وطبعاً أنت ستكونين معي .. أولاً تريدين أن تظهرني أنيقة المظهر وجذابة وسط الفتيات في الحفل الذي سيحضره حشد من الناس .

لقد فرح والدي هبة الكادحان فرح غامر وكأنهما أمتلكا الدنيا بأكملها بحوز أبتئهما على شارة القدوة والتفوق وانها بلغتهما مداعبة بأنها ناطحت قرون أعتى طالبة في الصف ، وراحوا يقولون ومن تكون هذه التي تدخل منافسة مع هبة ؟ فراحت هالة تتحدث مع أختها مسترجعة شريط الذاكرة للأحداث ، وجل الاحاديث كانت عن مروة وعن أيار وكيف تلقت الهزيمة ، وكيف كانت علامات الفشل باقية على محياها ، ولا سيما الحديث عن الفرق الواضح بينهما .. الوجه العابس والوجه الباسم المشرق ، ومروة وجمال شكلها وروحها هدوءها الساحر ورقتها الاخاذة وكأن فمها يقطر عسلاً مصفى ، عينا مروة جميلتان عسلتان وعينا أيار فلقتان جادتان كأنهما عينا صقر مفترس ، المهم تم تسجيل الإنطباع الأول بالفرق الواضح بينهما كالفرق بين الشمس في منظرها وفي حقيقتها .

أنتهى اليوم بسلام وعائلة الأوجي ترتب للذهاب لحفلة العرس .. في هذا اليوم الجديد .. يوم الحفل الكبير ، والكل يهيء نفسه على قدم وساق ولاسيما زينة النساء التي تأخذ الوقت الاكبر، ومعاذ سعيد بمنبه سيارة أخيه الجديد ذي الصوت

العالي الفريد من نوعه كأنه نغمات موسيقى لكي يكون بارزاً في الشارع أمام السيارات ، ولعل أبرز التحذيرات من قبل الام لأولادها وان كانوا رجالاً فهم في نظرها اطفال يحتاجون الى الرعاية كما كانوا في احضانها صغاراً ، على عكس سراج الدين الذي يتعارض معها ويصف اهتمامها بالتهويل وأنها لا تأتي على بال البته ، ويقول لها بأنهم في عصر التطور والديناميكية ، لذلك يجب أن لانضيق على اولادنا الحرية ، ولا نقتر عليهم العطاء ولانضع وراءهم رقابة مشددة ، وأنه هكذا ولد وتربى ونشأ محباً للحرية ، وأميمة تحدق في وجهه بغير رضى على ما يقول لانها من وجهة نظرها تقود الى التمرد ، وينبغي عدم ترك زمام الأمور في أيديهم حتى لا يضيعوا أنفسهم ويتهبوا في دهاليز الكون المظلمة ، لكن يطلب منها التكيف والتسليم بأن أولادها اصبحوا على قدر المسؤولية وإن الأباء يحصدوا ما يزرعوا في تربيتهم القائمة على الحب والإحترام وأنه لا يريد أن يضيق عليهم ويدعمهم يتمتعون بحياتهم على الوجه الصحيح لأنه لا يرى أي أنحراف في تصرفاتهم فهم يسيرون في الطريق الصحيح ويجلسون في المكان المناسب .. ولكن قلب الأم يريد أن يضع الأولاد في الغرفة وتقفل بابها بالمفتاح ، وتتمنى أن تراهم دائماً مجتمعين حولها في كل الأوقات ولا يشاركهم في حبها أحد ، هذه هي شخصيتها .

تألفت مروة وكأنها البدر في الليلة الظلماء تبارك الخلاق فيما خلق خُلُقاً وأخلاقاً ، انطلق قتيبة وبجنبه معاذ ، ألتفت الى الوراء مبتسماً ، جميلتان في سيارتي قالها قتيبة مجاملة جادة لعمته الجميلة واخته أيار لكنه أحس بالإحراج أن يفردها وحدها بالجمال وهو مبتسم فالفرق واضح ، وأميمة تخبره قبل ان تركب السيارة بأن لا يسرع لأن في العجلة الندامة فيكمل قولها باسماء وفي التأيي السلامة يا أمي أطمئني .

الأم : حبيبي قتيبة أجعل سيارتك تسير أمام سيارتنا .

قتيبة : لك ما تشاءين وإذا أردت أن أسير بجانبك ، عندها نظر سراج الدين الى أميمة مبتسماً وكأنه يعاتبها : فابتسمت قائلة : اريد الاطمئنان عليهم ليس إلا .

فسارت السيارات في موكب جميل وجو بهيج .. ملئ بالسعادة والحبور وقد تعالت أصوات المزامير والطبول ، ومعاذ لا يكاد ينفك عن الضغط على المنبه طوال الوقت الذي يمطر سعادة .. وحباً ..فألتقت سيارات الأهل والأحبة في الشارع وكأنها تلف خصر بعضها البعض ، ومروءة تشير بيدها محيية وهي الخالة والعممة التي تقترب منهم في العمر ، وكل منهم يحبها ويحب ان يرافقها وهي كذلك تحبهم وكأنهم اخوتها لأن اخوتها اكبر منها سناً ، فسارت السيارات في موكب بهيج وقد تعالت زغاريد النسوة حتى وصلت الى الصالة التي ستقام فيها حفلة العرس ، وقد تقدمت الموكب سيارة العروس التي تألفت بالزينة المضيئة ، وقد نزل العريس ماسكاً بيد عروسته إشراق فسارا ووراءها حاملي الشموع ودخل ووراءهما الحشد الغفير من المدعوين .. ومروءة ماسكة بيد أيار ، وكل لحظة تسحب يدها وتقول لها بأنها ليست طفلة ولا داعي بأن تمسك يدها ووراءهما قتيبة الوسيم ومعاذ الظريف وكل لحظة يهم معاذ يُريد الرقص انه لا يستطيع تمالك نفسه إذا ما سمع نغمات موسيقى .

أيار : يا مروءة أنا أكره التقبيل لأحب أن أقبّل أي ضيفة ... أنظري أنظري .. الى هذه المدعوة الغربية كيف تسلم وكيف تقبل عمتي وأنها كادت أن تأكل خدها أعوذ بالله وأرجوك لا تمسكي يدي .

مروءة مبتسمة : انا معك التقبيل بهذه الطريقة مكروه وغير حضاري ، أما عندما أمسك يدك ليس لأنك طفلة بل بالعكس لأنك شابة قريبة من عمري وقلبي وروحي وهكذا انا مع صديقتي سُبَل فلأني أحبك فهذا شعور بالحب والإهتمام وليس شعور بالاستصغار أرجوك ، ثم استطردت وهي ضاحكة ومن قال لكِ قلبي الضيوف فإذا أتت لك فتاة تسلم عليكِ فأنتِ مجاملة تظاهري فقط بأنك قبلتها من خلال إستدارة الخد الأيمن ثم الأيسر ..

أيار : وهذه الطريقة أيضاً لا أحبها اكنفي فقط بالمصافحة .

مروءة : عزيزتي .. أتقصدين إنه إذا جاءت فتاة وسلمت علينا نصافحها ونقول لها : رجاءاً أكنفي بالمصافحة ولا تقبلينا لأننا لا نحب القبل أحسن لك ، والأن دعينا نجتمع

بالعائلة ثم نظرت وقالت : أوه شكراً لك يا ألهي لكم أحب أن يجتمع أخوتي وعوائلهم في مكان واحد هيا كرهني قبلك على الغرباء وليس على الأقرباء دعينا نسلم على أخوتي ، أنظري الى فريال كيف تشير لنا .. هيا لنسرع الى المكان فبدأت مروة تسلم على أخوتها .. وابنائهم ريام وحسين ورامي .. ثم سلمت فريال على خالتها وعانقتها وكذلك وفاء وجمانة ونشأت وألق .. حتى وصلت مروة الى أبيها صافحته وهي ضاحكة هلو بابا هلو حبيبتي .. وبنفس الطريقة سلمت أيار .. وهي مكرهة على قبول القبل فستانك جميل جداً .

وما هي إلا لحظات حتى أبدأ الحفل .. وبدأت الفرق الموسيقية بعملها الموسيقي .. أنه جو بهيج حيث المزامير والقينات والطبول والآلات الموسيقية الأخرى وتعالى صخب الغناء والبعض قام بالرقص ومروة والفتيات منسجمة كل الإنسجام مع الحفل وأيار تتظاهر بالإبتسامة والسعادة ، حتى أنتهت الأغنية فإذا هي تلمح شاباً وسيماً على درجة عالية من الأناقة والجمال ينظر طوال الوقت الى مروة .. فبادرتها بسؤال ألاحظ الحضور يقدمون وريقات صغيرة للمطرب تثرى ما بها هذه .. أجابتها : أنك إذا أحببت أن يغني المطرب أغنية تحبينها ما عليك إلا كتابة الأغنية على الورقة ثم تقديمها للمطرب وما هو كما تلاحظين يفتح الورقة ويبدأ بالأغنية الثانية أنظري له . أيار : وما الذي يجعلك واثقة من قول ذلك أنه يقرأها نعم لكن يُغنيها ، لا .. طبعاً يكذب ومحال تصديقه.

مروة : ولماذا ؟

أيار : لأنني أرى دفتر الأغاني أمامه معنى ذلك أنه حضر الأغاني التي سيغنيها في الحفل .

فريال ووفاء ومروة : أنها وجهة نظر .. نعم وجهة نظر .

بدأت الأغنية الثانية وأيار مرة أخرى تلمح هذا الشاب وهو محقق بنظرات قلقة نحو مروة .. فأحست بالضيق من نظراته القلقة المتلصصة هذه وقالت في نفسها .. نعم أنه احد التفهاء .. نعم أن قصده غير شريف ، لا بد أن يكون كلب من تلك

الكلاب المسعورة في الشوارع ، وأنه يببالغ في نظراته .. بدأ يبتسم هُنيهة فإذا هي ترى **فريال ووفاء** يبادلنه النظرات والأبتسامة ، فقالت في نفسها : سُحفاً قَليلات الأدب .. أفي سَط ذويكن وأنتن تمارسن هذه التصرفات التافهة ، لكن جيد أني لم أُخدع بهن لقد أكتشفتهن على حقيقتهن القبيحة ، والغريب في الأمر أنهن يمارسن التبرج هذا وعدم الإستحياء في وسط أقربائهن .. سأخبر **مروة** بحقيقة بنات أختها وأخيها ، وما هي إلا لحظة حتى ترى أن هذا الشاب يلوح بيده لغرض التحية ، حالاً إستدارت **مروة** مبادلة إياه التحية مبتسمة ملوحة بيدها المليئة بالخواتم فكادت أيار أن تفقد صوابها قائلة في نفسها حتى انتِ يا **مروة** .. مع الأسف .. عندما تنتهي هذه الأغنية التافهة سأخبر والدتي .

الجزء العاشر

ذلك أفضل لي .. ثم أستخرجت منديلاً ومسحت به العرق البارد المتصبب على وجهها ، حتى أنتهت الأغنية ، نعم لحظة وأنهض ونظرها موجه نحو القليل الأدب في ظنها .. نهض وكلم النادل بأن يحضر العصير الى طاولة مروة وأيار وأسيل وفريال حتى وقف أمامهن وألقى التحية ، نهضت له فريال احتراماً وكذلك مروة صافحته ايضاً وهو ينظر لها بإعجاب شديد .. زمن بعيد ولم أرك .. ثم كلمت فريال أيار يبدو أنك لا تعرفين عمي منذر ، ففتحت عيناها بقوة فاغرة فمها قائلة ماذا ؟ وقد أحمر وجهها من شدة الخجل ، وبالطبع خجلة أمام نفسها لسوء ظنها بالآخرين .. قالت : أعرفك بعمي قالت له : عمي أعرفك بعزيزتي أيار ابنة خالي سراج الدين .. قال لها أهلاً فرصة سعيدة أتعرف بك ، فجلس منذر قبالة مروة ، فقال أتعرفين يا مروة .. أنا أعرف عائلة الأوجي بأكملها ، والحمد لله ، فقالت مروة : أين وصلت في دراستك .

منذر مبتسماً : الحمد لله .. بخير ... وكما تعلمين أني راسب في صفي لكن لامشكلة .. مادمنّا تعادلنا في الجامعة .. أنا الآن في المرحلة الاولى اقتصاد في كلية الإدارة والإقتصاد ، واذأ أردتني أكثر صراحة .. فأني رسبت ايضاً في الصف الثالث المتوسط .. لكن ثقي وخذيهِ وعد مني سأكون من المتفوقين مستقبلاً .

أيار باسمة : ما بك ياعم وهل طلبت عمتي مروة منك عهداً من قبل .. أحمر وجهه وأحس بالخجل لكلامها المخرج قائلاً : لا بالطبع لا لكن أعتبريها مجاملة ثم أستأذن ونهض ثم جلس قرب قتيبة فإرتاحت أيار لأنها كانت تُعجب بمثل هذه المواقف وأحست بالارتياح لقيامه وقالت في نفسها حسناً فعلت لكن وفاء قامت بتأنيب شقيقتها أيار على أسلوبها فقالت لها مروة .. كلا .. كلا عزيزتي الامر طبيعي ويجب ان تكون روحه رياضية.

أيار: لكن عجيب يا عمتي على الرغم من قوة علاقتك بسُبل لم تدعها الى حفلة زفاف ابن أختك؟؟

مروة متتهدة : أه ... يا أيار وكأنك تقرأين ما يجول في خاطري ، كم أنا تواقه لرؤيتها بل ان شوقي لها دائم ، كشلال نياكارا الذي لا ينقط ، فأكيد دعوتها ولكنها كما تعرفين في الكلية الطبية ودروسهم صعبة علاوة على ذلك لديها امتحان لذلك اعتذرت ، والمهم عندي ان تنجح بتفوق .

أيار : ظننت ان بينكما قطيعة او زعل .

فريال متأفة : يا له من اسلوب عنكبوتي واهن ليس في محله .

أيار : أياك والتجاوز احذرك انت العنكبوت ومقاصدك الواهنة ..

مروة : كفاكما رجاءً ... ان أيار سؤالها طبيعي ، بالعكس أنا أتلدذ بالحديث عن سُبُل ، وأقول لكما بأن المد والجزر من طبائع البشر ، وان حدث بيننا زعل فهو امر طبيعي لا يلبث ان يتلاشى بحكمة وان صداقتنا كالعقدة كلما اوثقنا رباطها ازدادت قوة وصلابة ، والاهم في الصداقة صدق الحب والاحترام والثقة والانجذاب المتبادل ، وكما تعرفون انا في كلية الاداب وهي في الكلية الطبية لكننا لم نفترق نتواصل وكأننا مع بعض .

فريال : كم اتمنى ان تكون لي صديقة مثلها بحسب وصفك ، لكن كلما أردت أن أثق بصديقة أجدها لا تستحق كلمة صديق ، مراهاقات حتى وان تقدمن في العمر .

أيار : كان لي صديقة حبيبة ولكن الأيام فرقنتني معها للأسف .

مروة مبتسمة : الإرتدادات الخاطفة الى الورااء وسبر أغوار الماضي يثير الألم ، ابتسموا للحياة فمحطاتها كثيرة وفرصها كبيرة ولا تنسوا المبادرة والمضي الى الأمام مهما حدث ، ولعل القدر يخبىء لكما الأفضل ، وها انذي أعرض صداقتي عليكم فهل تقبلنني ؟

أيار وفريال ووفاء بأجابة واحدة : نعم أكيد ومؤكد .

فريال : انت أجمل صديقة .

وفاء : لا بل انت أبسط واروع صديقة .

أيار : لا بل انت وقع مطر في حر هجير وضوء منير في نفق مظلم دون مغلاة .

سراج الدين جالس مع أميمة ومعهما أنس حول الطاولة البلاستيكة الخضراء المستديرة .. قال لها هل تعرفين ماذا تذكرت ؟ أيام شبابي حيث رجعت الى الوراى عشرين سنة عندما رأيتك لأول مرة في المتنزه .. أحببتك منذ هذه اللحظة حتى أنى قلت لأهلى إذا رفضوا أهلها سأخطفها ، اجابته : صحيح .. وقد كانت مشاعرى متبادلة وكنتُ أبحث عنك فى كل الوجوه التى تصادفنى وأقسمت بأن لا أرتبط بأحد سواك .. والحمدُ لله .. الذى جمع شمل قلبين غريبين ، ضحك وقال الحمدُ لله حقاً كانا غريبين قلبٌ فى الشمال وقلبٌ فى الجنوب وبينما هم على هذا الحديث الرومانسى اشتد صخب العازفين ، حيث قتيبة ومعاذ ومنذر وأنس ورامى ونشأت وحكمت ومهند وغيرهم ، ومعاذ طوال الوقت يصفق ويترنم ويحرك كتفيه كلما اشتد صخب الغناء ، فراح الأولاد يرقصون وهم فرحين مبتشرين وكلهم سعادة وحبور ، فبقيت تحديق لولدها ولرقصه .

فريال : أتعرفين يا أيار أن عمى منذر أصغر أعمامى وعماتى وأجملهم وأظرفهم .. والفرق بين عمى وعمره هو كالفرق بين عمر خالتى مروة وقتيبة .. هو صديقى .. كم جميل أن يكن للإنسان صديق من أهله ، فهل لديك صديقة يا أيار .

أيار بغرور: طبعاً لى صديقة مثلما لك صديق .

فريال : جميل ومن هى صديقتك ؟

أيار : صديقتى مروة .

فريال : انها صديقة الجميع وهذا شى جميل أن تكون الخالة والعمة صديقة ، لكنى أقصد هل لديك صديقة فى المدرسة .

أيار : أ ... الآن لا ... ولا تنسى أنا لا زلت طالبة جديدة فى المدرسة .. ولكن عندما أتأقلم على الوضع سوف يكون لى صديقات وليست صديقة واحدة .. وهذا لا يعنى لىس لى زميلات ومما يؤكد كلامى بأن عدد من الطالبات قد رشحنى الى القدوة دون أن أعرف ، وقد كان ذلك مفاجأه جميلة وقد فرحت لها عمى مروة لأنها ذهبت معى المدرسة وقتئذ .

مروة : كلامك صحيح ... ولأنك رائعة وجذابة أكيد ستحضين بمن تستحق ان تكون صديقتك يوماً ما .

فريال : أراكم تبالغون في عنوان الصداقة ، وما هو في وجهة نظري إلا علاقة تعارف وتواصل بحدود المدرسة سرعان ما ينتهي حال ما يرن جرس المدرسة معلناً عن إنتهاء الدرس الأخير .

معاذ يسأل مجموعته : لماذا لا يكون هناك في الحفل فاصل تطفئ فيه الأضواء أو يقلل من شدة الضوء .. وبعد ذلك يتم العزف بصورة هادئة .. موسيقى (سلو) .. ثم نبدأ الرقص .

منذر منصتاً : هو غارقاً بالصور الخيالية التي رسمها حتى قيل له بعد ذلك .

انتهى الحفل بمنهاجه الجميل وقد قضى الجميع وقتاً جميلاً وممتعاً ورائعاً وليلة لا تعوض من ليالي العمر والسمر فعاد الكل الى ادراجه وفرح غامر لا يخلو من التعب الجسدي الذي يحتاج الى نوم عميق بليلى هادىء وهانىء .. رعيد .. حتى أيار .. غرقت في نوم عميق لا قرار له ، ومروة قبل أن تخذل للنوم جلست قليلاً على سريرها ثم عانقت الوسادة قائلة : الحمد لله أن نجاحي في حياتي هو من نَعِم الله ورضا والذي ودعائهم ثم رمت بجسدها وغرقت في النوم بعد أن أطفأت النور، فلم يستيقظ الأولاد إلا في ظهر اليوم التالي حيث إنتصف النهار وأشرقت الشمس مرسله حزمها الذهبية الى نوافذ الغرف ذات الدانتيل الأبيض المزركش المتلألأ ، معاذ وهو يتثائب .. حتى في الحلم حلمت بأني أرقص .. كم كانت حفلة جميلة ... لتتناول وجبة الفطور .. أجابه قتيبة أي فطور وقد أنتصف النهار هيا الاهل بالانتظار لتناول وجبة الغداء .. اوشكنا على العصر ..

أميمة : أراك أنسجت كثيراً وأنت ترقص كالمجنون .

معاذ معترضاً : هذا هو حال الحفلات العائلية أذن ماذا تُريدننا أن نفعل أنبكي أم ماذا؟

أيار ضاحكة : نعم وما به البكاء هو تعبير عن الذات .

سراج الدين مقطباً حاجبيه : ذات .. أي ذات هذه .. أن أمرك عجيب .

قتيبة مبتسماً : لا أنا أفهم أقصدها تقولها حتى تتقاطع في القول مع معاذ .
أميمة معاتبة : أما أيار فقد انخرطت مع مروة والفتيات وكأني لست أمها حتى لم تجلس معي .

أيار : لو كنت بمفردك لما تركتك ... ولماذا تريدني دائماً مربوطة بمعصمك ؟
سراج الدين مبتسماً لأميمة : أراك نسيت قتيبة ولم توجهي له لا لوماً أو عتياً؟؟؟
أميمة مبتسمة : ولدي قتيبة لم يخطيء ورهن الإشارة ببارك الله فيه .

وبعد ان انتهت مروة واجباتها بادرت في الإتصال بأيار على الفايبر على كل حال أريدك ان تفتحي صفحة جديدة مع هبة .. لعلها تكون صديقة جديدة وجيدة لك ..
أيار : ماذا ماذا؟؟ صديقة جيدة لا أظن ذلك أبداً لا أخلاق لها ترقص أمام الطالبات .
مروة ضاحكة : وأين المشكلة في ذلك ؟ ما دامت مجتهدة ، تغني ترقص تنشد ، هذا شأنها ولها الحق في ان تظهر مواهبها في ميدان المدرسة وإلا لما ألتف حولها كل هؤلاء المعجبات ، ولو لم تحض بالقبول والثقة لما اكتسحت أغلبية الاصوات ، جربتها بصيغة الإختبار ولنرى كيف تكون ، ما عليك إلا إعطاؤها الفرصة لكي تثبت لك نفسها .. صديقة أم زميلة أم خلافهما لا سمح الله .

أيار : أنها فتاة كريهة ومزعجة .. لكن أمري الى الله .. سنرى ماذا بعد ذلك .
مروة : أشكرك حبيتي على الأخذ برأيي ، والأنسان لكي يكون ناجحاً في حياته العملية والعلمية لابد أن يكون إجتماعياً يحب للآخرين كما يحب لنفسه ، وأقصد بالإجتماعي أن يكون له أصدقاء ومعارف ومعجبون في كل مكان تطأه قدمه .

أيار قلبت شفيتها وأقظت حاجبيها : أتعرفين يا مروة رحمت أستوعبك وأتمنى أن أكون مثلك .. لكن ثقي بالله أن هناك قوة خفية لا أعرف كنها توصل الأبواب بوجهي وتجعلني أرجع القهقري .

مروة : صفيها لي بخواطر نثرية أنا أعرف ذلك جيداً .. وتأكدي أن هذه القوة التي تقولين ما هي إلا بقايا أذنان ، وهم قد خيم وسيبتدد هذا الوهم ببذل جهد منك أنت نعم المرأة أنت ، الآن ما عليك إلا فتح صفحة جديدة مع هبة ولا أقصدها بخاصة وإنما

الأشخاص كافة الذين تقابلينهم ولا تنسي أن الإبتسامة شيء جميل في وجه الفرد
أرسميها على وجهك وأن كانت رسماً فقط ، لتعطي إنطباعاً جميلاً عن شخصيتك .

أغمضت أيار عينيها متأففة : لا أعرف لعلك تنفخين في قربة مثقوبة .

مروءة : لا .. أنا متأكدة .. بل أنا كلي تأكيد بأنك قادرة على الخروج من عالم الوهم
والخيال وتقطع حبال الأخطبوط التي وضعتها انتِ حول عُنفكِ ، أنت رائعة وجذابة
تذكري كلامي هذا دائماً .

أيار: سأحاول يا مروءة أن أهضم الإرهاصات الجذرية التي تعترني شخصيتي بشدة
وأتشبث بخيوط الأمل وأن كانت خيوط عنكبوت ، على وصف المزعجة ابنة أختك
فريال .

الجزء الحادي عشر

مرت الأيام كعادتها لا تقف والأيام تأكل الساعات والساعات تأكل الدقائق والدقائق تأكل الثواني وهكذا قربنا الوصول الى نهاية مطاف العام الدراسي ، ومروءة لا تتفك عن متابعة أبنءة أخيها ، ومناقشتها في كل شيء والفوز بصداقتها لدرجة ان امها لم تستطع الدخول الى عالمها ، تناقشها في كل شيء حتى وان انتفت المواضيع تختلق مواضيع وتختلق أسئلة ولا سيما حول المدرسة فضلاً عن انها تساعدها في دراسة مادة الانكليزي، فمؤكد إنه قد نشأت أصرة ثقة وثيقة بينهما، وبعد ان كانت تكره هبة ولا تطيقها لأنها ثرثرة وضحاكة وقليلة ذوق وحياء من وجهة نظرها وغير ذلك .

مروءة قاطعتها : المهم الآن تكرهينها أم هناك تحول او حب مثلاً ؟

أيار مبتسمة : كلا قطعاً لا أحبها وأنا في الوقت ذاته لا أكرهها ولكن يمكنك القول بأني تعودت عليها لشدة الحاحك وأعتبرتها مجرد زميلة ليس إلا ، أضحكُ عليها في أوقات فراغي .. ثم أستطردت قائلة .. لكن دعيني أسرد عليك قصة حفلة القدوة .

مروءة مبتسمة : هيا هيا أريد أن أفرح اضحكيني .

أيار ضاحكة : نعم سأسردها عليك من البداية حيث أستخرجت بعض أطباق النايلون الصغيرة وطبقاً كبيراً أيضاً من النايلون وكأنها وجدته في سلة القمامة قطع الكيكة وكان الذباب تقيء مدعية عليه زينة الكاكاو وأحضرت لي طبقاً فيه قطعة صغيرة من الكيك وقدحاً تقول هي إنه عصير وما هو إلا أصباغ وقليل من السكر ، ثم بعد ذلك وزعت على الطالبات وهمت بأن تأخذ طبقاً من الكيك وقدحي عصير لإدارة المدرسة .. وفعلاً قامت بذلك .. ثم رجعت وهي سعيدة .. وأخذت ترقص وتغني وتصفق والطالبات المتخلفات يشاركنها ذلك أما أنا فكنْتُ جالسة فقط وأنظرُ إليهن بإستصغار .. أما ما أحضرته لي أعطيته الى هذه المسكينة هيفاء .. فابتلعتة مباشرة .. ثم ضحكت وضحكت ، وما هي إلا لحظات حتى أقبل علينا الليل بسحابته المظلمة الوحش الأحمر مديرة المدرسة ساجدة ، جاءت مسرعة فدخلت الصف فوقفنا لها ، ووقفت أمامنا

بشكلها المضحك النحيف دون ان تحرك ساكناً ، وراحت تصوب نظرات قاسية مضحكة الى هبة وشلتها المتعبه ، فتارة تعوج فمها الى اليمين وتارة الى اليسار ، وقد بقينا واقفات قصاصاً دون أن تأذن لنا بالجلوس ثم أقطبت حاجبيها .. وقالت لهبة : ما هذا يا هبة سمحنا لك بإقامة حفلة صغيرة ولم نقل لك أقليها الى مغنى ومرقص الى درجة تحديث الإزعاج للآخرين والضوضاء وهبة محنية رأسها الى الأرض ، أما أنا فأنظرُ الى عينيها طوال الوقت ، وقد لاحظت مني ذلك ثم خرجت وجاءت العاملة وهي تحمل الطبق قائلة : المديره أرجعت ذلك فتماسكت نفسي بقوة من الضحك وخرجت للساحة وأنفجرت ضاحكة أنا وهيفاء .. بالله عليك أليس ذلك مضحكاً ، وذات يوم طلبت مني أن أنضم إليهن في اثناء إلتقاط صورة للذكرى مع المجموعة ، وعطفاً مني ونزولاً الى الإلحاح وقفت وكل منهن تريد ان تمسك بيدي وبعد الإلتقاط قالت مبروك لقد أصبحت الآن عضوة جديدة في (شلتنا)، عندها ابتسمت وقلت لها تقصدين عضوة في العصابة فعلى الرغم من الكلمة المهينة رحن يضحكن بل ويقهقهن وأعتبرناها طرافة مني .

وبينما هبة جالسة في الصف حيث الدرس الثاني فقالت في نفسها الحمد لله الذي جعل أيار تلين من جانبها تجاهي ، وارتضت بي صديقة لها .. فما دامت كذلك ، أذن عليّ ان لا أخدعها واصارحها بالحقيقة نعم يجب أن أخبرها بحقيقة أمري ، فحال أنتهاء الدرس الثاني ناديتها للخروج الى الساحة ، عفواً أيار لدي موضوع أريد أن أتكلم معك به وأرجو ان تسمعيني .

أيار : خيراً إن شاء الله ، من ندم أقر بخطيئته ما الخطب تكلمي .
هبة : لا إطمأني إقرار بلا خطيئة ، دعينا نخرج فقط ونجلس في مكان من الساحة ، فجلستا حيث أرادت وأيار ترنو إليها بأذان صاغية ، لا بد أن تعلمي أنني كُنت أتمنى كثيراً هذه الجلسة كصديقات متحابات والحمدُ لله انك أصبحت لي صديقة كبيرة العقل واسعة الصدر طيبة القلب ، لم أكن أتوقع ان أيار التي رأيتها من قبل تتمتع بمثل كل هذه الصفات الحميدة والخصال النبيلة ، وأني أحمدُ الله كثيراً على ذلك ... لذلك .. أريد

أن تكوني لي أكثر من صديقة ، فلا بد أن تعرفي حقيقة أمري ولا بد أن أكون أكثر صراحة معك ، لكن أوعديني أن تسامحيني وأن تبقي لي صديقة مهما كان ، قالت لها وببرود وكأنها كانت تشعر بكذب كل كلمة تنفوه بها هبة ، أعدكِ .. تكلمي دون مقدمات ، فراحته هبة تطلق العنان للسانها وأيار تسمع تارة يصدق عقلها وتارة أخرى يكذب .

وبعد أن تحسنت أوضاع أيار النفسية ، وسماحها لنفسها بأن تجتمع بالآخرات في المدرسة ونبذ الأنطواء ، أقتربت لها هبة كثيراً وتمكنت من ذلك ، وبعد أن أحست بالإطمئنان من جانبها ، فضلاً عن تعلقها وتعودها الكبير بأيار ، تلك الفتاة التي أرادت أن تستغلها وتضعها خاتماً في يدها كما تمننت ، لكن أخذت تكلم نفسها بصدد ذلك ، بأن أيار اذا عرفت هذه الحقيقة من أحد غيرها ستتقلب عليها أو ترد إليها الصاع صاعين .. لذلك قررت أن تخبرها بالأمر، فبعد أن أخذت منها عهداً بأن تسامحها وتكن لها صديقة رغم أي ظرف ، أفصحت قائلة : لا بد أن تعرفي أولاً أن التي أمامك هي فتاة من عائلة ترزح تحت وطأة الألم .. وأبنة رجل يعمل فلاحاً في المنازل وأمرأة تعمل موظفة خدمة في روضة أطفال ولا غرابة في الأمر إذا رأيتيهما يتسولان من أجل أن توفير لقمة العيش لكي تسد بها رمقنا ومستلزماتنا .

أيار في دخيلة نفسها : أعودُ بالله مما أسمع ، ولم أكن أتوقع غير ذلك فالكتاب معروف من عنوانه ، وهي صامته طوال الوقت تسمع ما تقصه عن حالتهم ونفثات الحزن التي تخرج من صدرها ، صراحة التعليق على مثل هذا الكلام لا بد ان يكون مدروساً ، واكتفت بالموساة وكأنها صدقت ولا تعرف كلامها صحيح أم لا ؟، وهكذا راحت أيار وبكل ثقلها تدور بأفلاكها ، بتقديمها بعض المساعدات ، فكانت لاتهتم كثيراً بتصرفاتها ، ولا تهمها على الإطلاق ما دامت تقدم لهن عروضاً مسرحية مضحكة لها وللآخرين .. تريحهم لبعض الوقت ، فخرجت تلك الفتاة البيضاء البشرية الطويلة القامة المائلة الى الاعتدال ، بعينيها الصغيرتين الصفراويين .. وأنفها القصير الافطس وفمها المعتدل ، وشعرها المسترسل ، وصلت المدرسة وأخذت تقص لشلتها

ما حدث وترينهن غرامياتها ، وأيار رأيت وسمعت وأخذت تضحك لضحكهن ، ولكن لم تكن تُعير أهمية لها أو لسمعتها ، هي أو غيرها عندما تتصرف هذا التصرف تعده حشرة لاقيمة لها ، وما هي إلا مهرجة لا حياء لها .

أميمة : كيف حالك يا أم سالم وهل انت مرتاحة بالاقامة معنا .

أم سالم : أنا بخير والحمد لله واغرق في خيركم وعطفكم جزاكم الله عني ألف خير .

أميمة : لكن أراك مشغولة البال دائمة التفكير ترى مابك هل هناك من يضايقك ، اعتبريني كأبنتك وافتحي لي صدرك لكي أساعدك .

أم سالم : تفرقت عيناها بالدموع لا شئ سوى أنني أكادُ أموت لشدة اشتياقي لولدي سالم الذي هاجر مع المرأة الثرية ولا أعرف الى أي بلد وعاصف الذي يسكن السجن.

أميمة برأفة : لماذا لا تذهبي لزيارته يا ترى ؟

أم سالم باكية : ولا أعرف حتى مكان سجنه .

أميمة : ربنت على كتفها لابأس يا خالة .. لا بأس .. أن بعد العسر يسرا ، سأكلم أبا قتيبة حول الموضوع ونرى كيف يمكنك رؤيته ان شاء الله تعالى .

أم سالم : وثبت على يدها تريد تقبلها وكلها شكر لأنها وعدتها بأن سترى ولدها ، فذهبت لمزاولة أعمالها في المطبخ ، تنهدت أميمة وقالت : مسكينة هذه المرأة أتمنى من كل قلبي مساعدتها .

وفي المساء تكلمت أميمة مع سراج الدين حول موضوع أم سالم فالطلب ليس سلعة باهظة الثمن وتباع في السوق وإنما خدمة أنسانية الهدف من ورائها مساعدة انسان مسكين .. والأم تشعر بلوعة الفراق وتتألم لبيكانها لفراق ولديها المفقودين بنظرها ،ومن حقها أن تعرف في أي سجن من السجون الآن حتى تهب المسكينة لزيارته وأن كان لا يستحق كمجرم بنظر القانون ، وبالطبع استجاب لهذا النداء وطلب منها ان تنادي عليها ليبدون منها بعض المعلومات التي تمكنه من الوصول إليه ، مثلاً أسمه الكامل جريمته ، مركز الشرطة ، السجن وفي أي محكمة

وغير ذلك من المعلومات التي تتعلق بالأمر ، وعلاوة على ذلك سيشتري لها جهازاً نقالاً يمكنها من التواصل مع أولادها ان سمح لها القدر وسمحت لها الظروف .
أم سالم : برد الله قلبك بأولادك وجعلهم من الصالحين يارب متمنية لكم من كل قلبي أن تعيشوا حياة سعيدة هانئة الى الأبد .

أما **سراج الدين** فقد بذل جهداً كبيراً وسعيّاً حثيثاً لمعرفة السجن الموجود فيه **ناظم عوض كاظم** ، لكنه بحكم وظيفته محامياً يعرف كل الطرق التي سلكها للوصول إليه وبالطبع من خلال المعلومات التي دونها من والدته ، وبالحال وقف في أحد أروقة المحكمة حيث مكان عمله ليستخرج الهاتف الخليوي من جيبه متصلاً بزوجته وهو مبتسم ، وقد أخبرها بأن يحمل لها مفاجأة ، وعندما سمعته أطرقت قليلاً لتفكر ثم قالت بفرح وبصوت فاتر لعلك وجدت (**ناظم**) ، قال : نعم وجدته بعد جهد جهيد والآن أذهبي وأعط البشري **لأم سالم** لعلها منتظرة هذا الخبر على أحر من الجمر ، وبالحال صاحت على **أم سالم .. يا أم سالم** تعالي تعالي لدي مفاجأة .. وجدوا ولدك **ناظم** .. أجابتها وهي واضعة يدها على قلبها .. ماذا .. وجدوه وراحت تبكي ودموع الفرح تهطل من عينيها .. وأضافت : وان **سراج الدين** سيذهب بنفسه ليراه ثم يأخذك لرؤياه وهو في سجنه أخذت المرأة المسكينة تكيل المديح والثناء لهما وتدعو الله تعالى لها بالموفقية والسعادة الأبدية وهي عاجزة عن الشكر.

أم قتيبة : أريدك اليوم يا **أم سالم** أن تطهي لنا عشاءً شهياً نأكل أصابعنا وراءه .

معاذ ضاحكاً : وبعد انتهاء العشاء نركب أصابع بلاستك محل أصابعنا التي أكلناها .

أم سالم : ان شاء الله تكون أيامكم كلها أفرحاً .

قتيبة : كل ما تطبخه ام **سالم** طيب ولذيذ .

أنس : لكن طهو أمي أذ وأطيب وهي التي علمتها عندما جاءت .

أميمة : والله تعودنا عليك .. وكأنك تعيشين معنا من سنوات عدة ، المهم هل تعلمتي

كيف تستخدمين النقل .

أم سالم : لا أرد على الاتصالات ليس إلا ، لا أعرف الإتصال وأجهل كتابة الرسالة .

أميمة : سنتعلمين فالكل كان مثلك يجهل حتى الرد وليس فقط التراسل ثم تعلمنا بمرور الوقت .

توجهت مروة الى حديقة منزلها الجميلة الرائعة بعد ان أنهت واجبها متذكّرة وعدها لشامخ وزكية بالمساعدة فجلست وطلبت منهما الإنضمام إليها والجلوس قربها حول الطاولة الموضوعّة وسط الأزهار لتتحدث معهما وتخبرهما بأنّها لم تنسَ وعدها لكنها طلبت منهم مهلة الى ان تنهي دراستها للكورس الثاني ، وقد بدأت أسئلتها لزكية وهي الأهم في مثل هذه المسائل ان حدثيني عن نفسك وعائلتك لأتعرّف عليك أكثر وإذا شئت ان نتكلم على إنفراد كان لك ذلك .

زكية مبتسمة : أنا مسرورة بلقاءك هذا وإهتمامك الذي يشعرني بأني أعيش وسط عائلتي ، حفظك الله ورعاك ان (شامخ) يعرف كل شيء عني فأنا بحكم المخطوبين أمامك ، وأنا راشدة وعمري أربعين سنة .

شامخ تأهب للنهوض : اسمحا لي بالإنصراف ... أفضل ان أنصرف ... رجاءً ... فانصرف لشأنه .

زكية مبتسمة : أتعرفين ان عمر شامخ خمسة وثلاثون سنة ... وليس لديه مشكلة بأني أكبره سناً .

مروة مبتسمة : ليس هناك مشكلة في العمر بين الزوجين ما دام هناك تواصل وتجاذب روحي ، لكن كلميني عن عائلتك ، فإذا أراد شامخ خطبتك ... أين يذهب .

زكية : أنا أعمل عندكم منذ عشر سنوات فهل رأيتي من زارني من أهلي ؟ فأنا يتيمة الأبوين ولي أخ اسمه عصام يصغرني بخمس سنوات وأخت واحدة أسمها ولاء تكبرني بخمس سنوات لكنها جميلة وتبدو أصغر مني بعشر سنوات ، تهتم بالزينة والتبرج وتعشق الحياة ، تربينا في ملجأ الأيتام ثم بدأ عصام بالعمل عند السيد عبد الرحمن صاحب الفضل الأول علينا وأستأجر منزلاً وتزوج ، وأختي ولاء أيضاً تزوجت وأنا عملت في بيتكم منذ عشر سنوات.

مروة : الحمد لله فلك أقرباء وبإمكانك زيارة بيت أخيك أو أختك .

زكية مبتسمة : لا أريد التحدث بالسوء عن أخي .. لكني والله أعتبرك أقرب منهما .. فأخي وصولي ومصلحي ويريد تسخير كل الناس لخدمته وزوجته ، فالعمل عندكم كان بالنسبة لي ملجأً جديد أفضل من العيش معه ، وزواج أختي من رجل يكبرها سناً كان مهرباً لها ... ولكن المسكينة دخلت من حياة سيئة الى أسوء مع رجل وعائلة الكبيرة المكونة من امرأة وعشرة أبناء ... كانوا يعاملونها أسوأ معاملة على الرغم من أن الزوجة الأولى هي من جاءت لخطبتها والزواج تم بموافقها ، فلا بد عليها أن تقوم بدور الخادم لكل العائلة ويا ليت الأمر يتوقف على الخدمة ... الأمر من ذلك بأن الرجل يضربها ضرباً مبرحاً ويصدق بكل أكاذيب أبنائه وزوجته ... فلم تحتمل هذه الحياة الجحيمية وفرت تاركة كل ما تملك في غرفتها للتخلص منه بالطلاق ، عدا ما كانت تحمله في أحشائها الذي كان عزاءها في محنتها هذه .. وبعد ان تطلقت ولدت الولد واسمته **عابد** ورجعت من جديد تعيش في بيت أخي **الموَجَّر** ، ومن حسن طالعها إنها تعلمت مهنة الخياطة في الملجأ .

مروة : الحمد لله ان بعد العسر يسرا ومهنة الخياطة رائعة عرفينا عليها اكملها رجاءً .
زكية : صحيح ... ان مهنة الخياطة رائعة ... وبما انها اصبحت هي وولدها عائلة فيتوجب عليها ان تشارك في إيجار البيت ... وان تعيل نفسها بنفسها .. المهم ... نعتبر الامر مساعدة له ... لأن الله رزقها بزبائن دائمين يأتون للخياطة في البيت وفي غرفتها الخاصة ... وكلما كبر ولدها **عابد** ... كلما تعقدت عليها حياتها وهي تعيش في بحبوحة العيش هذه .

مروة : كيف لم أفهم ... فالأبناء هم الإستقرار والراحة والأمل في المستقبل .
زكية : عندما أصبح **عابد** في عمر ست سنوات بدأت المشاكل بينه وبين أبناء خاله ، ويجب أن لا تتكلم عندما يضربونه ، والأكثر من ذلك إذا ما ضرب أحد الأطفال يضربه خاله .. وهذه الطامة الكبرى ... فبدأت تضيق نرعاً بولدها ... حتى تقدم لها رجل مناسب ... مطلق ليس له أولاد ... فتزوجته ومعها الولد ... وأخذ **عصام** كل أغراضها في غرفتها عن طيب نفس منها لأنه طلبها منها ، ما دامت ستزوج ، ولكن

والد عابد قدم الى المحكمة دعوى لإحتضانه وقد أنفق الكثير على المحامين ... وكسب القضية وأخذ منها عابد .. لكنها حاولت التكيف فإنه في أمان وسط أهله ولم تدم راحتها إلا سنة واحدة ... فأصيب زوجها بالسل الرئوي المعدي ، وقد نصحتها الكثير بأن تبتعد عنه فطلبت التفريق من المحكمة وطلقت للمرة الثانية ، وعادت أدراجها الى بيت عصام لتعيد الكرة لتعيل نفسها بدفع الإيجار ومصروفها في المأكل والملبس ... إلخ .

مروة متتهدة : مسكينة ام عابد ... والله قصتها مؤثرة ... ولكن ماذا تفعل ... هذه هي الحياة مد وجزر ، ولا يعرف الإنسان عاقبته ان كانت سعيدة أم وخيمة لكن الحمد لله رب العالمين ... وماذا بعد ؟!

زكية متتهدة : لم تتوقف قصتها لهذا الحد ... فنصحتها إحدى صديقاتها بالتقديم للعمل في إحدى الوظائف فليها شهادة الثالث المتوسط ، المهم قدمت للعمل كموظفة في معمل الطابوق المركزي والحمد لله حصلت على الوظيفة وحصلت على الراتب وأقامت حفلاً في البيت وحضرناه وكلنا فرحين لها ، فكرت بأن تؤجر لها منزلاً وتسترجع ولدها عابد وتعيش معه باقي عمرها .

مروة مستبشرة : سبحان الله مغير الأحوال ... فقرارها صائب ... وهل عاد إليها ؟ زكية : صحيح تغيرت أحوالها ... فالآن أصبح لها مرتب ... فضلاً عن مهنة الخياطة التي تمارسها في أوقات فراغها ، ثم عدلت عن رأيها في استئجار منزل بمفردها الى استئجار منزل بطابقين ... الأسفل لعصام والأعلى لها وولدها ، وقد وافقها عصام الرأي وبالفعل انتقلوا الى منزل جديد بطابقين ، وأصبح لها مكان مستقل مملوء بالأثاث ، كانت تجهد نفسها بالخياطة وقد إزداد زبائنها في المنطقة وفي العمل .

مروة : والله ... أختك ام عابد بطلة والله يبارك لها في عملها ... يبدو انها مجدة ... ولكن ماذا؟؟ عن ولدها ؟

الجزء الثاني عشر

زكية : لقد تعود عابد على الحياة المرفهه في بيت والده وأخوته ... فضلاً عن ذلك ان والده وأخوته أناس لا يعرفون الله ... دفعوه الى كراهية أمه ورسخوا في ذهنه أنها أم سيئة أبعدهت ولم تكثرث له وذهبت لتتزوج دون ان تسأل عنه ... فضلاً عن انه الآن في المدرسة ووالده يوصله للمدرسة وينتظره ، والعيش في بيت خاله كان كالكابوس الذي يكره العودة إليه ، فقدمت دعوى للمحكمة لإسترجاعه لكنها خسرتها ... لأسباب لا نعرفها ... ولكن الحق يقال بأن والد عابد عرض عليها العودة إليه لأجل أنها لكنها رفضت وكان هذا الكلام أمام ولدها ، كيف تعود إليه وهي هربت من سطوته الإستبدادية من جانب ومن جانب آخر هي مستقلة الآن ، واسمحي لي الآن يا أنستي الإنصراف لتحضير العشاء ... وسأكمل الحديث بعدُ فللحديث بقية ...

وأيار بعد ان تنهي واجباتها المدرسية تجلس تفكر في ترشيح كتاب جديد لقراءته وهي جالسة خطرت ببالها فكرة إلا وهي تقليد شخصية مروة حتى تكون ناجحة في حياتها ، وهدفها في القراءة هنا الكم وليس النوع للكتب ، وأن تكتب دفتر مذكرات مثلها ودفتر ذكريات للصدقات وتقليدها في كل شيء حتى في أفعالها وأقوالها ، أذن لا بد أن يكون في غرفتها مثل ما هو موجود في غرفة مروة حتى تكون كشخصيتها ففي غرفتها مكتبة صغيرة مثلاً ، وصورتها الكبيرة المعلقة على الجدار ، وفي غرفتها شاشة تلفاز وقد أكون أغفلت بعض الأشياء لكن اليوم سأحصي كل الأشياء الموجودة ، وأطلب من ابي أن يوفرها ، ثم أسرع خطأها على السلم متوجهة لمروة على ذات الخطأ وأخبرت والدتها دون ان تلتفت نحو منزل مروة ، وقد رحبت بها وكأنها كانت بانتظارها كاللقاء بين المحب والحبیب : سبحان الله كنت للتو أتكلم عنك .

أيار بتعجب : ماذا ؟ عني ؟ ومع من كنت تتكلمين ؟

مروة ضاحكة : مع نفسي طبعاً ، وكنت أقول لماذا لم تعد تكلمني عن المدرسة والصدقات وغير ذلك .

أيار مبتسمة : ها ... حسناً إذا كان الحديث مع نفسك فأكيد أسمح لك ، وأنا أرى ان الحديث عن الأشياء ليست بذات أهمية حتى أزعجك عنها ، فإذا كان لديك سؤال محدد أسألي وسأجيب ، مثلاً في المدرسة درجاتي عالية ولا سيما الانكليزي وانت مدرستي والصدقات لنقل .. شبه تافهات واقضي معهن وقتاً للهو والضحك .

مروة والضحكة لا تزال عالقة في وجهها : لكن لماذا تافهات ؟

أيار : ما هو رأيك بالعلاقات بين الطالبات والأولاد كما يسمينها حب .

مروة : مثل هذه العلاقات محضورة شرعاً و عرفاً ، ولا يوجد مبرر لمثل هذا الإستهتار واهانة سمعة الفتاة والأهل فالكل في النهاية بعد الدراسة سيتزوج ، لكن عليك ان تكوني حذرة كل الحذر ، ان الدين النصيحة وإذا لم تنفع النصيحة أتركها وشأنها لأن كل نفس بما كسبت رهينة .

أيار : كلامك جميل يا مروة من أين لك بكل هذه المفردات الجميلة .

مروة : هي نعمة من الله تعالى وأساس الثقافة هي حفظ القرآن الكريم وقراءته بإستمرار ، والتبحر بعلوم الحديث والكون والأدب ، وكل شيء له صلة بحياتنا ، وهذا شئ يسير عزيزتي .. إذا أستمررتي في قراءة الكتب الواحد بعد الآخر فعلى سبيل المثال كم معلومة أكتسبتي عند قراءتك كتاب القانون .. أكيد الكثير طبعاً فلا بد من إفراد دفتر خاص لتدوين أجمل المعلومات التي اكتسبتيها وان يكون لك ثقة عالية بنفسك .

أيار : هناك طالبة جديدة جاءت نقلاً لمدرستنا قبل اسبوع أسمها سبأ يمان حذيفة منطوية على نفسها حتى انها لم تلق التحية ، ولم تحاول حتى هبة التعرف عليها ، وتدّعي بأنها تغض الطرف حتى عن محاولة التحية .

مروة : أه أكيد (لكل جديد دهشة ولكل غريب وحشة) ، ولا تنسي كيف كان حالك عندما كنت مثلها ، فهل تعرفتي إليها ورحبت بها ، أسمها رائع سبأ رائع جداً ...

أيار بغرور : أنا ... أتعرف عليها ومن تكون هي حتى أتنازل وأتعرف إليها ، هي إذا أرادت ان تتعرف عليّ ان سمحت لها بذلك ، علماً بأنها تأقلمت مع زميلة تدعى

أنصاف تلك الفتاة الجميلة المدورة الوجه شقراء الشعر شهلة العينين وبأنف طويل معتدل وفم صغير وقامة معتدلة مائلة الى القصر وردية البشرة ، هادئة الطبع .. بعينها بريق ساحر مثير للإنتباه ، وذات مرة قالت لها بدور المزاح غير المهذب هي أنا جائعة لقد رمقتُ شطيرة بين كُتُبِكَ في الحقيبة .. أخرجها بسرعة أكاد أموت جوعاً فأحست بالإحراج وأخرجت الشطيرة من حقيبتها وأعطتها لها وهي مُبتسمة

مروة : (من تواضع لله رفعه) أرجو أن تتصرفي بتواضع مع زميلات الدراسة ولا تنسي بأن هذه الأيام التي تعيشينها في المدرسة ما هي إلا لحظات سريعة تمر كالسحاب وكم هو جميل أن تُسجَل في ذاكرة الأيام بالكلمة الطيبة والإسلوب الكريم الرائع ، وأن ننأى بأنفسنا عن الغرور والكبر لأنه مرض في البشر .

أيار : هبة تقول بأنها إنزعجت منها من أول نظرة ووصفتها بالأنفة ، ووصفت أنصاف بالسذاجة .

مروة : لم أعرفك تابعة لأحد في إرادتك ، هي زميلتك وليس لك علاقة برأي هبة أو غيرها ، وليس لهبة الحق ان تحدد من تصادقين فالامر متروك لك ، ولا يجوز لها ان تتفوه على أية طالبة بأي صفة لأنها طالبة مثلهن.

أيار : لا أكيد سأرد عليها التحية أن هي ألقيت التحية عليّ بحسب ما علمنا والدي، كما ان أنصاف زميلتي .

مروة : هذا بحسب قول الله تعالى **{ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا (86) }** سورة النساء ، وليس قول والدك مع جل احترامي له وتقديري ، ولكن عليك أن تبادري انت في إلقاء التحية عليها .

أيار : وإذا ألقيت التحية عليها ولم ترد فماذا سيحل بكرامتي عندها أمام الطالبات ؟

مروة ضاحكة : المسألة بسيطة ولا أعرف كيف تفكرين ؟

أيار : ثم أنا غير مهتمة للأمر ، لكنه مجرد خبر جديد أذعته عليك ليس إلا .

مروة : صفي لي سبأ تولد لدي فضول لمعرفة المزيد عنها .

أيار : طويلة القامة رشيقة وجهها بيضوي شعرها طويل مسترسل بشرتها حنطية مائلة للسمرة عيناها واسعتان وسوداوتان أنفها قصير معتدل وفمها عريض بشفتين صغيرتين تعلو خدها شامة بارزة .

مروة ضاحكة : وكيف تمكنت من جمع كل هذه المعلومات عنها وهي تغض الطرف من جانب ومن جانب آخر أنك لا تكثرين لها .

أيار : لقد سبق وان ذكرت لك بأن مدرسة اللغة العربية تفرض علينا الوقوف امام الطالبات في درس مادة الادب وإلقاء القصيدة الشعرية ، وبديهي عندما وقفت أمامنا كلنا تطلعنا لها وبإمعان سجلنا هذه البيانات الوصفية .

مروة : لكن لماذا هبة ومجموعتها تأخذ موقفاً سلبياً منها .

أيار : قد يكون من وراء نظراتها المغرورة الساخرة لهبة عندما تغني وقت الاستراحة احياناً .

مروة : هذا رجم بالغيب ، وتبرير غير مقنع ، ومن حقها ان تتجنب رفقة أي زميلة لا تعجبها.

أيار : المهم الآن ان نكمل مادة قصة الأوليفر قبل ان تحدد المدرسة وقت الامتحان وان تختبريني وأن لا تبالغي في تقديري في وضع الدرجة ولاسيما عندما اختباري في أوراق الإمتحان في التلخيص الذي تؤكد عليه المدرسة دائماً وقد أحضرت معي القصة فهل نبدأ الآن يا مدرّستي ، فقد أنهيت كل ما بجعبتي من أخبار حول المدرسة وسباً .

مروة : أشعر بالسعادة عندما تقرييني إليك بسرر أخبارك في المدرسة ومع زميلاتك وقد تعودت عليها الى درجة اني اكون بانتظارها كنشرة الاخبار، فضلاً عن ذلك بأنك تمتلكين قوة اسلوب في طرح الاخبار والتعليق عليها وكأنك مذيعة في استوديو اخبار .

أيار برضا وغرور : أعرف بأنني متميزة ولكن الأبله معاذ يسخر مني ضاحكاً كلما أخبرته بأنني أمتلك الكثير من المواهب الكامنه بداخلي وعندما عادت أيار الى البيت لم ترَ أم سالم سألت والدتها : ماما ... أين أم سالم .

الجزء الثالث عشر

الأم : لديها صداق وقلتُ لها خذي راحتك في غرفتكِ فذهبت لتستريح وهي شاكرة .
أيار بأسى : مسكينة هذه السيدة لكن لماذا لا تخرج لزيارة أقرباؤها أو لماذا لا يأتي
أقرباؤها لزيارتها ؟
الأم محاولة معرفة ما في داخلها : أو ترضين أن يأتي أقرباؤها لزيارتها هنا في
البيت ؟

أيار : ولمَ لا .. أليست إنسانة ولها الحق بأن تفعل ذلك ؟
الأم مبتسمة : نعم أريدك دائماً عطوفة على الآخرين طيبة القلب .
أيار : ومن قال لكِ بأنني قاسية القلب ، ولكي اثبت لكِ ذلك أعدي لها الصينية وأنا
بنفسي سأخذها الى غرفتها.
وبينما هي تساعد والدتها في المطبخ قالت لها : ماما لدي أسئلة وطلبات كثيرة .

الأم : وما هي طلباتك وأسئلتك ؟
أيار : أولاً سأسألكِ ما هو رأيكِ بمرورة .
الأم : قمة في كل شئ .. وفخر لكل قريب .. ومحط أعجاب .
أيار : ألا تريدني ان أكون مثلها ؟
الأم مبتسمة : كيف لا وهذا جل ما اتمنى أن أراك مجتهدة وناجحة مثلها .
أيار : أذن لا بد أن يكون لي مثلها أريد أن تكون غرفتي مجهزة مثل غرفتها ..
الأم مبتسمة : ها ... هنا مربوط الفرس ، لكن هل نسيت أنتِ عندما وصلنا الى هنا ،
قلت أنا لا أريد شيئاً في الغرفة سوى السرير والكرسي والمكتب ... ولا ... أحب
الأشياء الزائدة .

أيار مبتسمة : أنا قلت ذلك .. لا..لا.. لا بد أنني كُنت نائمة وسألتموني ..
الأم : على كل حال ، لكِ ما طلبتي بغضون أيام أن شاء الله ، ستكون لكِ غرفة جديدة
مجهزة بكل شئ تُريدينه.

وهكذا مرت أيام الإمتحانات بالمد والجزر ما بين الطالبات كلمح البصر ، وأحرزت هبة وشلتها النجاح بتفوق وكذلك أيار وسبأ والبقية وأنتهت السنة الدراسية هذه وانتقلن الى السادس العلمي ، وبقيت أيار تبحث عن الصديقة الحقيقية والتي لم تجدها الى الآن ، ولم تنطبق القاعدة الروحية التي وضعتها مروة للصدقة على أية طالبة ، كما قرأتها أيار بتمعن على صفحات مذكرات مروة ، والإرتباط الوثيق ما بين الصداقة وصلة الرحم ،

أيار : أما والآن وقد أصبحت في السادس الأعدادي أريدك أن تنصحيني بقراءة كتب مفيدة تثقف عقلي وتوسع مداركي وتجعل لي آفاقاً جديدة في الحياة المستقبلية .

مروة : ماذا أعطيك يا أيار فالكتب كثيرة وكلها بالطبع وبدون أدنى شك مفيدة وسوف تتطبع على شريط ذاكرتك وتزيدك قدرة على التعبير بشكل أكثر أجادة مما كتبت ، لكن كما ذكرت لك سلفاً أن قراءة الكتب الدينية واللغوية والأدبية ستجعلك قادرة على التعبير عن كل شئ مهما دقّ وسما ، وكذلك تستطيعين الإفصاح عن ما يخالج نفسك أو لواعج صدرك فتصورين المناظر والخواطر في ذلك .

أيار : ما هذا يا عمتي الذي قلتيه يخالج ولواعج، وأذكر أنك قلت ليلة امس الترغيب والترهيب والمباهاة والمغالاة ، والكتب كثيرة أنا أريد المهم المفيد، والقريب المتناول .

مروة : حبيبتي ليس بالضرورة أن أرشح لك ما يستهويني من كتب أريدك أنت ان ترشحي لنفسك الكتب التي تتلائم وميولك والأفضل أن تقفي بنفسك أمام المكتبة وتواجهي أمواجه الهادرة وتختاري ما يعجبك ، ثم قالت لها وهي تودعها سأشتاق لكم طوال الوقت الذي سنقضيه في مصيف سرسنك ، فقد عودني والذي بالاستجمام في العطلة المدرسية في شمال العراق ، والهروب من جو البصرة لكننا في هذه العطلة سنقضيه شهراً واحداً ثم نعود ، أما إدارة شركة الموبيليات فيوجد فيها من ينوب عن والدي وهو اخي نائل الذي يعمل معه في الشركة .

أيار: سيكون أشتياقي أكبر لك لقد تعودت عليك ، فلا تنسي الإتصال على الفايبير يومياً لكي أطمأن عليكم جميعاً جدي الغالي ووالدتك ، أبتسمت مروة وعانقتها قائلة : أن شاء الله الى اللقاء أحبائي .

جلست أيار خلف مكتبها ماسكة القلم ومحاولة الكتابة بعد ان احتست رشفة من قرح الشاي الذي تعشقه ركزت القلم على الورقة فخطت : لماذا تتركيني لوحدي وترحلي ؟ بوجودك يا أختاه كل همومي تنجلي ، فإذا بالنقال يزغرد فيقطع حبل أفكارها ، فوضعت النقال على أذنها بعد أن وضعت القلم : أهلاً أنصاف كيف حالك ؟ أنصاف : كيف تقضين وقتك في العطلة .

أيار : ها أنذي أكتب خواطر وأحايين أخرى أقرأ كتباً وأحايين أخرى أخرج مع العائلة للتنزه ، وعمتي مروة سافرت قبل أيام مع عائلتها الى مصيف سرسنك سيقضون بعض من العطلة كما اعتادوا هناك .

أنصاف : يا سلام ان حياتهم سعيدة جداً ، وأنا أيضاً أقرأ الكتب أنهيت للتو قصة اسمها (الازرق الازرق)، وأحاول ان ادون بعض الخواطر أكيد سأجلبها إليك لتقرأها يهمني رأيك كثيراً ، أما إذا كان لديك ثمة سؤال عن كيف أقضي وقتي وكم مرة خرجت للتنزه ، فقالت مبتسمة : لم أخرج الا مرة واحدة أرسلتني أمي الى البقال لشراء بعض الخضروات ، وأقضي وقتي في الصعود والنزول من السلم والدخول والخروج من المطبخ .

أيار : على كل إنسان ان يحترم حياته وأهله وكل ما يقدمه الامل جميل . أنصاف شعرت وكأنها صُفعت فغيرت الحديث : أ ... أتعرفين أيار اتمنى ان تتواصلي مع سبأ ، لأنها جيدة .

أيار : لكنها متكبرة ولاحظي كيف تلقي التحية وأحكي . أنصاف : لا بالعكس فهي طيبة وقد عرفتها لأكثر من نصف سنة ولاسيما بأنها تحترمك عدا ! عدا ! أنها تنكر عليك صداقتك بهبة وتراها لا تناسبك .

أيار : لاحظي متكبرة ومغرورة وتملي على الأخريات رغباتها وآراءها لكن إعرفي منها لماذا تكرهني ؟

أنصاف : هذا شعورك تجاهها ، فهي لم تخبرني بأنها تكرهك أبداً عدا هبة (وشلتها) ، وأغنيتهم المزعجة التي لا تحبها والتي يرددونها في وقت الاستراحة يومياً .
أيار ضاحكة : حسناً ما دامت سبأ تكره هذه الأغنية فسأغنيها وأغنيها كل يوم مع فرقة هبة الموسيقية .

انصاف : والله أنا أحبك وأحبها كثيراً ، ولكني أجدكما غريبتي الأطوار ، واتمنى ان تتواصلا ، كزميلات وليس بينكما أي تباغض ولا سيما وانكما لم تتحدثا .
أيار : نحن نتواصل في الصف لأننا زميلتان وهذا امر طبيعي وليس لدي مشكلة معها ، لكن لم أفهم ؟

أنصاف : أنا تكلمت معها مثلما تكلمت معك وقالت لي الكلام ذاته ، وأقصد قالت بأنها لا تعاني من أي مشكلة منك ، ثم استطردت قائلة : وانا افكر بأن افتح باب الصلح بينكما وأعرف بأنه لا يوجد خصام مرئي لكنه شعور مخفي بالانزعاج ولا أعرف حقيقة مصدره وهي من طرفها وكحسن نية وافقت على مقترحي .

أيار : وما هو مقترحك ؟

أنصاف : بأن تتعرفا على بعضكما البعض عن كتب .

أيار ضاحكة : صدقيني بأن هذه المغرورة تجاريك .

انصاف : وانا موافقة اذا كنت ايضاً تجاريني ، وكما يقولون خذيني على قدر عقلي .

وبينما أيار تكلم **أنصاف** طُرق باب غرفتها طرقات هادئة : فإذا به أخوها قتيبة وبيده صحف اليوم بمختلف العناوين ، أبتسمت وقالت له تفضل يا أخي ثم كلمت **أنصاف** قائلة استأذن منك لدي ضيف ، إلى اللقاء ، فنهضت وإستلمت الصحف من يده وهي فرحة كُنت منتظرة مجئ الصحف على أحر من الجمر ، وفي هذه الأثناء دخل عليهم **معاذ** ، ليرى ماذا أشتري قتيبة لها ولم يشتر له .

قتيبة مبتسماً : منذ متى وأنت تعكفين على قراءة الكتب والصحف ؟

أيار ممازحة : أه ... منذ زمن بعيد ، من عمر أنس تقريباً .
معاذ مقاطعاً : هكذا أنت دائماً ، تتخيلين نفسك عالمة وأمرأة أعمال وقديسة .
قتيبة : جميل ان يعيش الانسان وهو يتقمص كل الشخصيات والأجمل ان يقرأ ويطلع على كل جديد وقد قلت لك بأن الثقافة هو ان تعرف شيئاً عن كل شيء .
معاذ : عجيب أمرك يا قتيبة وانت في المرحلة الرابعة كلية القانون ولك ذاكرة عجوز .
أيار : هكذا انت دائماً تفقد صوابك إذا رأيت من حولك أشدّ ثقافة منك .
معاذ : وهل نسيت عندما تكلم والدي عن الصحف وتكاليفها وأهميتها والجهد المضني الذي يبذله الصحفيون حتى تصل هذه الصحيفة الى أيدينا ... ماذا قالت أيار ؟
قتيبة : لا أذكر ؟

معاذ : قالت لو كنت أنا مسؤولة عن مؤسسات النشر هذه لأوعزت بأغلاقها ، لأن المتصفح لها حال ما يراها يهملها ثم تتحول الى المطبخ ، او أداة يلف بها الساندوج او الكرزات او ما أشبه ذلك .

قتيبة : نعم وأين المشكلة ؟ هذه وجهة نظرها ، واليوم رأيت بأهميتها .
أيار : لا تتعب نفسك معه أن معاذاً ... شديد الغيرة من المتقنين ... وأنا ما زلت عند رأيي فالتصفح على النت اسرع وأيسر ، لكن ما تعلمت من مروة بأن الصحفية أكثر مصداقية ، وأنك طيبة القلب وكريمة ولست أنانية مثلك وليس عندي حب للذات كما كنت من قبل ، نعم كنت أحب نفسي وأفضلها على الآخرين ، وعليه أسمح لك وبتواضع ان أتنازل لك عن بعض الأعداد التي تتقدم .

معاذ ضاحكاً : فتيات ليس لديهن عمل ومن قال لك بأنني متفرغ لقراءة الصحف .
أيار أقطبت حاجبها : وماذا تريد يا ثقيل الظل أهتم بدروسك ولا تنسَ بأنك ما زلت قابلاً في الصف السادس ؟

قتيبة : توخيا الإحترام في نفاشكما رجاءً ولا تنسيا (الكلمة الطيبة صدقة) .
معاذ واضعاً سبابته على صدغه : بمزاجي أعيد السنة ما دام لطفني يرسب معي .
قتيبة : وما هي قصة لطفني سألتك سابقاً وتهربت عن الاجابة ؟

أيار : الذين بعمره دخلوا الجامعة وهو يتهاون هكذا ولا يزال يمجّد بالإيقاعات التي لا يستفيد منها العقل.

معاذ منسحباً متهرباً : غرفة ليس فيها عذوبة زرياب تقصر العمر .

قتيبة في نفسه : لا بد ان في الأمر ريبة ولا بد أن السيرة الذاتية لأبن جارنا لطفي هذا ، ثم قال والآن أدعك تقلبين الصحف ، وان كان لديك أي تساؤل سلي على الفاير ، للسرعة ، ولا تنسي بأن رأيك يعبر عن وجهة نظرك ، وصحيح ان الموسيقى لا تعطي معلومات تسجل على شريط الذاكرة المستمر الدوران ، ولكن لا بد أن تعرفي شيئاً آخر أن الموسيقى الهادئة الهادفة تستفيد منها النفس البشرية لأنها تبعث بالنفس الراحة والهدوء والإطمئنان والبهجة والحبور ، لكن ليس على حساب وقت الدراسة ، هذه هي فطرته منذ طفولته مولعاً بالطرب والموسيقى ، لذلك أنا أعامله معاملة خاصة تنسجم مع شخصيته ، فاللين واللفظ وتبصيره بعواقب الأمور أفضل وقد يرعوي وينتبه الى مستقبله .

الجزء الرابع عشر

راحت أيار تقلب الصحف وهي منزعة من أخيها معاذ الذي يتدخل في كل شيء ، وما أن فتحت الصحيفة حتى تذكرت أنصاف وهي تقول بأن أياها سيء ولا يثق بها ويحاسبها على كل خطوة تخطيها وعلى كل كلمة تنفوه بها ، ثم قالت : الحمد لله على تعامله الجيد ، اما معاذ فرجل بعقل طفل ، ولا بد ان أستوعبه ولا أمتعض منه لأن عقله لا يزال في طور النضوج ولم ينضج بعد مثل عقلي ، كما نصحني قتيبة الذي لا يرد لي طلباً أبداً ، ثم مسكت القلم وأخذت تكمل مابدأت بكتابته حول سفر مروة ، حتى أسدل الليل سحابته المظلمة التي غطت الأفق وأغمضت المقل التي طواها الكرى وأخذت الى النوم ، وبينما العائلة تتجول في أحد مصايف دهوك الجميلة في شمال العراق ، تذكرت مروة صديقتها سُبُل وتمنت لو كانت معها لإزدادت سعادتها وما كان منها إلا الإتصال ولا سيما أن سُبُل لم تتصل طوال الثلاثة ايام التي مرت ، وهذا أمر غريب ، فإنفردت بنفسها على بضعة أمتار .

مروة بابتسامة فاتنة أشرفت على وجهها وهي تنتظر صوتها بشغف: مرحبا حبيبي .
سُبُل وقد تطايرت دموع الفرح والشوق من عينيها : حبيبي مروة كيف حالك ؟
مروة : لم تتصل ... بي فأنشغل بالي كثيراً .

سُبُل : والله أنت نصب عيني ولكن خشيت أن أثقل عليك وأنت في سفرة عائلية .
مروة : أرجوك أرجوك لا تؤذيني بقولك أثقل عليك أو أزعجك ، والله أن مكانك خالي وتمنيت لو كنت معي لتكتمل فرحتي وسعادتي ، صحيح ان معي عائلتي وهم جنتي لكنك في دمي ، أي جزء من مكونات دمي وانت الطيبة وخير من يعرف مكونات الدم ، فكل صورة إنقطتها لك ولأجلك وتصلك عبر الواتس أب كل يوم.

سُبُل بعد إنصات ناطق : أشكرك ... حبيبي ... لقد افحمتيني .

مروة ضاحكة : لا أريدك أن تقولي شكراً أريد أن أسمع صوت مشاعرك .

سُبُل : أنت جزء لا يتجزأ من حياتي اللون والعطر والمذاق ووقع المطر على الأرواح المجدبة التواقه الى اللقاء، وأنت تعرفين ذلك لكن كلميني عن مصايف دهوك.

مرّوة : مصيف سولاف وسرسنك ، سواره توكه ومصايف دهورك الأخرى يتجلى فيها جمال صنع الخالق سبحانه وتعالى وتلك البساتين والجبال الساحرة ، ستكون دهورك مركزاً بالغ الأهمية للسياحة ، بوجهها الباسم وحلتها الخضراء ، وستحضن الوطن ويحتضنها الوطن في فرح دائم إن شاء الله تعالى وأنا سعيدة بهذه السفارة وبهذا المصيف الجميل ، وأني أكثر سعادة لأن أبي حبيبي وأمي بقربي ومكانك فارغ لا يملأه أحد .

سُبل : وكان روعي تتجول معك الآن أشعر بالسعادة التي تشعرين بها عبر كل هذه المسافات .

أما عبد الرحمن وعلى الرغم من سنه المتقدم إلا أنه يحاول أن يرسم الإبتسامة على وجه أبنته تلك الفتاة التي هداها له القدر في آخر مرحلة من شبابه ، كل شيء ساحر هنا الهدوء والجمال السماوي الخلاب وعذوبة المياه وقرقتها وهي تنساب من الشلالات وصفاء الماء السلسبيل القراح ، شعور بالبهجة والسرور والحبور والرضا وبعد ان أخذوا قسطاً من الراحة ، قالت مرّوة : أتعرف أبتي وأنا في هذه اللحظة أحن الى أيام الطفولة وذكرياتنا الجميلة ، أتذكر عندما نأتي الى هذا المكان الجميل كنا نلعب ونلهو ونرمي الكرة على بعضنا ، وماما ترنو إلينا وهي ضاحكة ، قال : طبعاً بنيتي وكيف أنسى ذلك أتودين أن نسترجع ما مضى بالكرة ، مرّوة فرحة صحيح بابا .. قال : نعم وسأحضر الكرة .. ذهب وأحضر الكرة وهو ضاحك : هيا يا أم مرّوة .. ضحكت فاطمة وقالت : لا لا عبد الرحمن ، لا أعب أفضل أن أكون الحكم .. قالت مرّوة ضاحكة : تعال بابا نلعب وماما ترنو إلينا ... أبتعدا قليلاً عن بعضهما وأخذا يرميان الكرة على بعضهما ، فمرّوة ترميها على والدها وهي غارقة في الضحك ، وهو يرميها عليها وهو غارق في الضحك أيضاً فرمى الكرة عليها بقوة لكنها أفلتتها ولم تصل ليدها ، وتعدت الى عائلة كانت جالسة على مقربة منهم وضربت قبعة رجل كان جالساً على كرسي وبيده مجلة يتصفح بها وعلى عينيه نظارات سوداء كان ظهره أمامهم ، فأسقطت قبعته ، أنحنى على القبعة التي وقعت

ووضعها على رأسه ، وأمسك بالكرة ووضعها تحت قدمه وقال لوالدته : أطفال أشقياء .. قالها ولم يتبين من أي جهة قدمت هذه الكرة ، لكنه أكيد سيأتي ليطلبها مني .

جلست مروة ووالداها حالاً وهم محرجون .. فقال الأب : كيف أفلتيتها ؟ لم أكن أتوقع أن يدك ستفلتها قالت وهي محرجة : آسفة بابا ضحكت فاطمة وقالت : الحمد لله لم أسمع كلامكما .. واخترت أن اكون عنصراً محايداً ، لكن عجباً الرجل لم يثور ولم يتفوه بأي كلمة حتى أنه لم يستدر لرؤية من فعل ذلك .. أنحنى أرضاً وأخذ قبعته وكان شيئاً لم يكن ، لعلهم أطفال والأطفال زينة الحياة الدنيا ، قالت وفمها لا يكاد يسكت عن الضحك ، ولماذا لا تذهب إليه وتعذر وتحضر الكرة .. قال : أنا .. أنا .. لا هذا مستحيل .. وماذا أقول له .. آسف كنت ألعب وسقطت عليك الكرة ، فقالت مروة : لا بابا .. أنا رميتها بقوة ، وقلة ذوق مني إذا لم أقدم إعتذاري له ولهذه المرأة السيدة الجالسة قربه ، فسارت خطواتها على إستحياء حتى وصلت ووالداها ينظران إليها من بعيد ووقفت وقالت : مرحبا .. فإذا به ينهض مستغرباً ، مذهولاً لما رأيته رمى المجلة ورفع النظارات عن عينيه وفغر فاه وقال : من أرى ... مروة .. لا أصدق ما أرى .. لا أكاد أصدق وكأني أحلم .. بدأ العرق البارد يتصبب من على تقاسيم وجهها وهو يراها امامه ، ماما هل ترين ما أرى نهضت الأم وصافحتها ورحبت بها ، ووالداها ينظران بدهشة ، ترى لماذا صافحتها ؟ وطلبت منها الجلوس أجابتها وهي تحمل الكرة أشكرك بابا وماما بانتظاري .. قال لها أين هما دعينا نسلم عليهما .

قالت فاطمة : عسى أن يكون الأمر خيراً حتى أقتربا فنهض عبد الرحمن والإبتسامة شقت محياه ، عندما رأى منذر ووالدته برفقة مروة ، فجلسوا في جو بهيج ملئ بالأحاديث ومنذر لا يكاد يصدق ما يرى وهو جالس بالقرب من مروة مالكة عقله وفؤاده ، والكل يلاحظ إهتمامه المفضوح على وجهه .

عبد الرحمن : وكيف حالك يا أم علي وكيف حال احفادي .

أم علي : والله نحن بخير وسعداء جداً اننا إلتقينا بكم ... ولن نفاركم أبداً سنرافقكم حتى العودة الى البصرة ان شاء الله تعالى .

فاطمة باسمة ونظراتها الى منذر : والله ونحن أيضاً سعداء بكم .

مروة : وفي أي كلية أنت الآن ؟

منذر : أنا في كلية التربية الرياضية المرحلة الثالثة .

مروة : وهل من اهتماماتك هذه الكلية .

منذر: طبعاً أكيد ولولا اهتمامي لما دخلتها وانت تعرفين بأن التقديم خاص لهذه الكلية.

مروة : ها .. صحيح .. التقديم خاص لهذه الكلية ، اتمنى لك التوفيق والمواصلة .

منذر : وأنت ... كيف حالك في دراستك الانكليزية وأعلم بأنك متميزة ؟

مروة مبتسمة : انت سألت .. وأجبت على السؤال .

منذر : هذا صحيح ... ففريال جداً تحبك ودائماً تتحدث عنك ، وتقول بأن لو كانت

قريبة منك للجات إليك في حل التمارين الإنكليزية مثلما تفعل أيار .

مروة باسمة : وأنا أيضاً ... أحب أبناء أخوتي وأخواتي وأكون سعيدة ان تمكنت من

تقديم أي خدمة لهم فهذا من دواعي سروري وبهجتي ، لكنها لم تخبرني حتى في

الهاتف على الأقل .

منذر : أ ... متى العودة ان شاء الله الى البصرة ؟

مروة : ان شاء الله في الغد صباحاً ... وأنتم ؟

منذر : سأكيد سنعود غداً أيضاً ان شاء الله ، سنرافكم في العودة ، وفي ذات السيارة

لأننا أهل ، وهل نسييتي بأن أختك أسيل زوجة أخي تعيش معنا في ذات المنزل .

مروة : طبعاً لا لم أنس ، والأمر لا يحتاج الى تعليق .

منذر : صحيح لا يحتاج الأمر الى تعليق لكني ذكرتها واخي ، ذلك لأنني أحبها

وأحترمها فهي بمثابة أُمي وكانت تعاملني بعطف ولطف كأبنائها ، ولم أشعر أبداً بأنها

تفرقتني عنهم .

مروة مبتسمة : يسعدني اطراؤك لأختي أشكرك .

منذر مبتسماً : لم أقل إلا الحقيقة والواقع وإذا أردت التأكد من قلبي فأسألها وسترين.

وعلى الرغم من ان الحديث بينهما كان رتيباً وجافاً إلا أنه بالنسبة لمنذر كان موطيء قدم ، وخطوة عملاقة في طريق اليأس ، أتاحتها له الظروف ورسائل سجلت بأنامل القدر سقطت على منذر دون ان يدري ، قضى فيها وقتاً أروع معها على الرغم من عدم اهتمامها به وتعاملها معه على انه مجرد قريب (اخو زوج أختها أسيل) وأسترجاع ذكريات الماضي ، ومن حسن طالعه انهم يقيمون في ذات الفندق ، مما جعله مرافقاً وملازماً لوالدها ، وفي أي خطوة يخطوها سواء في السوق أو في أي مسألة يريد انهاءها ولم يترك عبد الرحمن يحمل أي حقيبة فقد تولى هو بنفسه هذه المهمة وهو سعيد ، وقد تعرف على رقم هاتفها الخليوي ، وعبد الرحمن يرتاح له كثيراً ، ويلاحظ اهتمامه ويفهمه ويتفهمه وقد ناقش فاطمة بذلك فرحبت بالأمر ولكن لم يفصحاً بالأمر لمروة ، وكانت أم علي تبذل قصارى جهدها للوصول الى رضا فاطمة وابنتها ، وقد إنتقوا مئات الصور في كل الأماكن لأن كل الأماكن جميلة وفي كل الإتجاهات ، وقد إنتهى منهاج السفر طوال ثلاثين يوماً ، وقد أفنقوا مروة كثيراً في سفرها هذا ، فرحبوا بها أيما ترحيب وبالأخص أيار .

دخلت مروة الى غرفتها قائلة : أشتقت كثيراً لك ياغرفتي العزيزة ويا مكتبي ويا مصباحي ويا أوراقي ثم أسرعت الى بحر العلوم لكي تمتع أنظارها ، قائلة لوالدها : أتصدق بابا .. أنا أحملُ شوقاً لكل كتاب موضوع هنا ولكل قلم وورقة .. أجابها : بالطبع بُنيتي بالطبع .. قالت الأم : حقاً أنا أستمتعُ كثيراً بهذه السفارة وخصوصاً حادث الكرة فنظر الى مروة وضحكا ضحكاً شديداً وهما يسترجعان ما حدث قبل أيام وكيف أن مسألة الاعتذار تلاشت ما أن رأت منذراً برح الشوق بي لبيتي .. ولسُبل التي كانت معي في كل لحظة سأتصل بها وأبلغها بوصولي لنلا تزعل ، فإذا بنقال سُبل يرن (يهلhel) فتزداد نبضاتها التواقاة رؤيتها حالما رأت أسم مروة يتلألأ على صدر النقال .

مروة : برح الشوق بي حبيبيتي أنا الآن في بيتي وفي غرفتي .

سُبل بصوت فرح عال : صحيح حبيبي مروة متى وصلت ولماذا لم تبلغيني ، الحمدُ لله على السلامة والله أشعر بالسعادة وكأن روعي ردت إليّ من جديد بعد ان فارقتني منذ شهر ، ثم قالت وقد ترقرت عيونها بالدموع ، وكيف أهون عليك بعدم اخباري بوصولك حدود البصرة ، ومتى وصلت بالضبط .

مروة : حبيبي وصلت منذ دقائق ولا زلت أقف على أقدامي ولم أجلس قبل أن أسمع صوتك الذي يجدد لي روعي التواقة لرؤياك ، والان اسمحي لي بالجلوس ، ثم اني لم أحب أن أشغلك بالفلق علي في طريق السفر وأنا أعرف قلبك الرائع عندما يقلق .

سُبل ضاحكة : أكيد ... فقلبي قلب والده لا يحتمل ... تعالي حدثيني عن سفرك فلا أستطيع الإنتظار الى ان أراك ولا أعرف متى ... حدثيني أرجوك ... حدثيني عن المعجبيين مثلاً .

مروة بفتور : أتعرفين من الذي رافقنا في السفر عند العودة .

سُبل بفتور : ماذا ماذا ؟؟؟!!! يعني هناك أمر جديد ... ووهذا ما شغلك عني يا ترى ؟؟؟ قولي قولي .

مروة وقد إرتفع صوتها : اسمعي يا سُبل بأن لا يوجد هناك قوة في الأرض تشغلني عنك .

سُبل بجدية : قولي ماذا حدث ؟ ولا تقولي الى حين ميسرة .

مروة : لقد كانت سفرة رائعة برفقة الأهل وقد إلتقينا صدفه بمنذر من خلال صدفه (كيت وكيت) .

سُبل : يا سلام ما أجمل الصدف عندما تكون دون إنتظار وأنا أرى هذا الشاب يناسبك فضلاً عن ذلك بأنه قريبكم وأختك أسيل أعرف به منا .

مروة مبتسمة : ماذا ؟ ماذا ؟ لقد نايت بنفسك كثيراً يا سيدتي وأصبحت تحليلاتك غير مجهرية فعلى رسلك على رسلك ، أنا سردت لك أخبار السفرة ولم أقل لك قطعاً أي شيء من هذا القبيل الذي تتوقعينه ثم أنه بعيد كل البعد عن طموحي ورجل أحلامي الذي لا أعرف ملامحة ولم أضع له ملامح لحد الآن .

سُبل : على كل حال أنا سعيدة كل السعادة ... بعودتك ... ثم قالت ممزحة ...
واسمح لك بالإنصراف لأنك قادمة من سفر لك ان تأخذي راحتك .
مروة مبتسمة بتأوب وبفتور : راحتي معك حبيبتي غردي وأنا أسمعك حتى ولو
نمت وإن لم تسمع صوتي فأعلمي أنني نمت ، لأنني فعلاً أشعر بالتعب حتى العشاء لا
أرغب فيه لأستيقظ مبكراً ... وراحت تتثائب .

وبينهما هما جالسان على ارجومة المنزل في الحديقة قالت لعمها ماهذه
الأناقة يا عمي منذر وما هذا العطر الزكي لا أظنك فارغ الفؤاد .. هيا .. هيا .. قل لي
من هي .. أبنتسم وقال : يا فريال دعيني أولاً أقص لك ما صادفني في السفارة
والمفاجأة السعيدة .. قاطعته : أوه يا إلهي مفاجأة .. أنا أحب المفاجآت .. هيا .. هيا
تكلم تكلم جعلتني في شوق لسماع المفاجأة ، فراح يسرد ما صادفه من أحداث جميلة
قالت له وهي ضاحكة : ماذا خالتي مروة حقاً أنها مفاجأة سعيدة .. لا بد أن السبب ليس
منك بل من والدتك أنا اعرفها جيداً .. ضحك وقال : كلا ليس منها .. قالت له : والآن
أكمل ما أردت قوله في بداية حديثك من هي صاحبة الحظ هذه التي تملك خيالك ،
أجابها برقة بل هي تملك قلبي وعقلي وكياني وخيالي معاً .. أجابته بنفس النغمة
والإيقاع آه يا عمي أنك تُعاني أذن .. ومن هي .. أجابها وكأنه أنتبه الى نفسه .. ماذا ..
قالت له : ألم تسمعي سألتك عنها من هي .. اجابها : أنت تعرفينها فلا تغشمي نفسك
.. أجابته بسعادة : أتقصد خالتي مروة ، قال لها : أويوجد غيرها ، اجابته : وهل
اغتنمت فرصة اللقاء وأخبرتها وهل تريدني ان اخبرها بدوري فعلاقتي بها قوية ،
اجابها ممتنعاً : لالا لا طبعاً لا ... فهي تتجاهلني او بالإحرى لا تعيرني أي اهتمام
فعندما أكون متأكداً ووثقاً من أنها تبادلني نفس المشاعر وأن ترضى بي زوجاً على
سنة الله ورسوله ، اجابته : أينقصك شئ يا ترى جمال ووسامة ودلال وأخلاق ولماذا
ترفضك ولماذا يتهاى لك هذه التهيبات ، ثم ان والدتي أختها وبإمكانها التأثير عليها فهي
خير من تزكيك وتنزهك وتعرض لها صورتك بالشكل الذي يجعلها تراك ملاكاً وأنت
كذلك يا عمي فأنت رائع ، قال لها مبتسماً : أنا حائر في أمري لقد درت في أفلاكها

ولا أعرف كيف بدأت ؟ وكيف لي أن أجعلها تدور في أفلاكي .. أجابته : الأمر بسيط .. نعرف منها ماهي صفات ومواصفات الرجل المثالي الذي تحلم به .. وانت بدورك تتصف بهذه الصفات وتتقمص هذه المواصفات ، ومن خلال ذلك تُعجب بك ثم هذا الإعجاب يتطور ، حتى يصل الى مايسمى بالحُب المتبادل ، والله كم أتوق ان تعيش خالتي مروة معنا في هذا المنزل ، أجابها متتهداً ومتى نصل يا ترى الى هذه المرحلة البعيدة الأفق ففكرت بفكرة فقالت : أنا سأعرف مكنونات صدرها لعلها تبادلك المشاعر، أجابها : ماذا تبادلني المشاعر كيف والفرق شاسع بيننا أجابته : فرق من أي ناحية ،أجابها من ناحية المستوى العلمي فهي من ذوي الألباب .. وأنا ما زلت لم أخرج بعد .. قالت له وهي متذمرة حيرتني في الأمر .. ألا تثق بي : كلا عزيزتي فثقتي بك كبيرة ولكن لم أحبب الى نفسي خيبة الأمل وعديني بأن تكتمي هذا الأمر ، أجابته : أعدك .

ثم اخرج منذر الكاميرا من جيبه ملوحاً بها بإبتسامة عريضة شقت شدقيه ثم راح يستعرض الصور أمامها وهي بدورها كلما أعجبت بصورة ترفع صوتها بالإعجاب ، فكل من في الصور من اقربائها ، لكن الأجل هو وجود هذه الصور بحوزة عمها منذر ، الذي يعدُّ العدة لأن ينظم الى عائلة عبد الرحمن وفي هذه الأثناء تجمع الأهل على صوتها فجاءت والدتها أسيل واخوانها ليتفرجوا على جمال الصور وجمال الكون هناك في شمال العراق ، حيث الجبال الخضراء الشاهقة والشلالات الرائعة والأزاهير المفروشة على الأرض كالبساط الجميل بمختلف الألوان ، والكل مسرور بهذه المفاجأة التي جمعت بين العائلتين المتصاهرتين ، وكانت أسيل أشدُّ فرحاً وهي تشاهد صور نويها وقد اجتمعوا حوله وهو يروي لهم .

الجزء الخامس عشر

قالت مروة لأيار : هاهي ذا العطلة المدرسية تجرُّ أذيالها وأزف وقتها ولم يتبق منها إلا أسبوع واحد لا غير وندخل السجال ، ومسؤوليتك كبيرة جداً تجاه السادس الإعدادي الذي يعدّ نقطة الإنطلاق الرئيسة للتخصص العلمي والكلية التي ستحدد على وفق اجتهادك وتحصيلك من معدل يؤهلك لدخولها ، فالمثابرة المثابرة على الرغم من كل الظروف التي قد تعترض الإنسان صدفه .

أيار : والله كلامك صحيح يا عمتي فأنا استلهم احياناً من هبة العبر في مجال التحمل والمواصلة فعلى الرغم من الفقر والفاقة والعوز إلا انها تحاول أن تظهر بأحسن الصور باحثة عن السعادة ولو كانت في عتمة الدجى ، فإنظري الى الفرق بين بيتنا مثلاً المليء بكل شئ فأحياناً ينقصنا الفرح والمرح والإبتسامة التي تتميز بها تلك الفتاة التي تعيش في هذه الدار الخربة الناقصة البناء العديمة الجمال الفارغة الأماكن حتى الجدران لا زالت بلون الإسمنت ليس لديهم القدرة على طلائها حتى ووالدتها مسكينة هزيلة الجسم شاحبة الوجه ، وكان العمر متقدماً بها لأكثر من مئة سنة وجهاً شاحباً وعيوناً غائرة كعيون الأفارقة التي أنهكتها المجاعة وبرزت محاجرها ، وكان ظهرها محدودباً تحتاج الى عكاز تتعكز عليه لتواصل سيرها ، فالإنطباع مؤلم حول عائلتها ، وان الذي يراها تتصاغر أمامه كل مآربه في الحياة ، وعلى الرغم من ذلك هبة مليئة بالحياة والنفاؤل .

مروة : يسعدني جداً احساسك الطيب بالآخرين .

أيار : ومن قال لكِ بأنّي عديمة الإحساس بالناس ؟ لقد سجلت لك انطباعي حول العائلة .. ثم استطردت ببرود لكن ما بكِ أجداً متوترة ولأول مرة أراكِ متوترة ، ومن غير المعقول ان يكون مجرد كلامي هذا جعلك متوترة شاردة .

مروة متظاهرة بأبتسامة خفيفة : كلا لا شيء ، وكنت منصته لك ، فهمت بالنهوض مستأذنة ، وأثناء استدارتها مسكت أيار بيدها وكلمتها بصوت خافت مروة أنا أسفة

وأن كنت لا أعرف ما الخطأ في كلامي ، ولا أعرف أنا أسفة على ماذا المهم لا تجعليني قلقة هكذا ... أرجوك .

مروة : لا حبيبي لا داعي للأسف لم يبدر منك أي خطأ لكني متصدعة ...

قالت أيار في دخيلة نفسها الأمر عجيب كانت طبيعية جداً ، ترى ما الذي حدا بها الى ذلك .. أيعقل أنها تأثرت بشخصيتي المتنافرة فجذبته الى نفسها بالمقابل أنا التبست بشخصيتها ، أي أصبحت عملية متبادلة أخذت بل أنتزعت منها شخصيتها وألبستها شخصيتي القديمة ثم قالت : لا..لا..هذا هراء هراء وغير معقول .. أتستبدل الثوب الحريري بالثوب الرث وتلبسه .. هُراء .. يا أيار ماتقولين هراء .

مروة : لا أعرف بغتة أحسست بالصداع ولعلني لم أستسغ أسلوب فريال وقد أكون أفكر بمسألة الأسئلة التي طرحتها علي فريال وكأنها حوار صحفي ، هي تسأل وأنا أجيب ، لكن الأمر غريب ؟

أيار : والله ان الأمر بسيط وهذا بسبب اهتمامها بك او اهتمام شخص ما مثلاً .

مروة بتعجب : ماذا ؟؟؟ شخص ما .. من مثلاً ؟؟؟

أيار ضاحكة : لا مجرد تعقيب ... ولا يحتاج الى توضيح ... وأنا أرى بأن الأمر طبيعي جداً وطرح الأسئلة ليس هو سبب تصدعك ابحتي في ذاكرتك عن أمر آخر أكثر واقعية .

مرّ على الوقت خمس دقائق والمدرسة لم تأت بعد .. فنهضت هبة مسرعة ووقفت أمام الطالبات وهي توميء لهن بالهدوء ثم قالت : مارأيكنّ يا فتيات لو أغني لكنّ أغنية خفيفة ثم راحت تُغني بهدوء وبشكل يثير الضحك والمرح وفي ظل هذا الأجواء أحست بوقع أقدام سريعة متوجهة نحوها لكنها سرعان ما عالجت الموقف وقالت للطالبات أسكتن لعلها حضرة الست المديرية .. ثم استدارت نحو الباب خارجة فإذا بالمديرة داخله فأصطدمتا ببعضهما البعض لكن هبة أبرقت قائلة : أوه .. عفواً .. مدرستي .. عذراً كنت خارجة آتية إليك لأخبرك بأن المدرسة لم تأت .. كانت المديرية شبه غاضبة لسماع الضجيج الصادر الذي احدثته في الصف ولكن سرعان ما أنطفأ

غضبها قائلة : لا تقدرن ان تجلسن صامتات خمس دقائق .. واصواتكن المتعالية هنا وهناك .. ألا تعرفن أن الى جانب صفكن صفوفاً أخر تتأثر من هذه الضجة .. تنهدت ثم استطرقت قائلة : هيا أخرجن الى الساحة وبهدوء تام .. لا أريد سماع أي حركة هيا أمامي ، خرجن من الصف بسرعة والمديرة واقفة تراقب خروجهن متوجهات نحو الساحة إلا إن أيار وسباً تتباطئان في الحركة وبقيتا آخر الطالبات .. والمديرة تسير وراءها وان بداخلها سؤال ملح تُريد ان تسأله للمديرة وقد أحست المديرة بذلك استدارت ملتفتة تجاهها قائلة : أ ... عفواً .. لديّ سؤال حضرة المديرة أسأل عن الست رحاب .. سلامتها لماذا لم تأت اليوم الى المدرسة ، عساها بخير .

المديرة بإبتسامة : الست رحاب بخير قبل قليل كانت في المدرسة وطلبت أجازة لمدة يومين لظروف خاصة .

أيار : الحمد لله .. عفواً ست أريد البقاء مع سباً في الصف لدينا كتابة .
المديرة : حسناً لا بأس .. ولكن بدون صوت ثم اتجهت نحو إدارة المدرسة بخطى سريعة .

اخذ الطالبات في ساحة المدرسة يذرعن الساحة المدرسية جيئة وذهاباً ومنهن الجالسات ومنهن الواقفات ومنهن اللواتي يدرسن ، قالت هبة : تُرى لماذا أيار بقيت تمكث في الصف ولم تخرج ها .

لينا : عندما خرجنا نحن جميعاً خرجت ورائي مباشرة ثم سمعتها قالت للمديرة لديّ سؤال ولا أعرف ما هو ، لأنني أسرعت الخطى الى الساحة .. لا تتسرعي عندما ينتهي وقت الدرس سنعرف جميعاً هذا السؤال ..

هبة : أوه .. أيّ سؤال .. أظنه تافهاً .. فقط اخترعته لتبقى في الصف مع سباً لأنها غير موجودة في الساحة.

هند : أظنها سألت سؤالاً ما .. ثم بعد ذلك طلبت من المديرة ان تأذن لها في البقاء في الصف لعلها تُريد كتابة شعر أو خاطرة .

لينا : ان أيار جريئة ولها شخصية جذابة ولاسيما عندما تلقي في الساحة أمام المدرسة الكلمات والشعر بالطبع هذه الجرأة التي أفتقرها أنا .. تجلب الاحترام والتقدير من لدن الجميع .

هبة ضاحكة : لكني أذكر قبل سنين خلت مُد أيام الإبتدائية انكِ يا لينا وقفتِ في ساحة المدرسة وألقيت قصيدة جميلة جداً ومؤثرة .

لينا ضاحكة بشدة : أوه .. هبة .. ما زال شريط ذاكرتكِ يذكر هذا الحدث الرهيب؟

أنسام : ماذا ..؟؟ معقول .. والله لا أصدّق .. جريئة في صغرك وجبانة في كبركِ .

لينا ضاحكة : لك الحق بأن لا تصدّقي .. أسمعني عندما كُنّا في الإبتدائية طلبت المعلمة

منا عنوة أن نلقي الشعر في الساحة وكان من بين المجموعة المُنتخبة لهذا الغرض ..

لينا أبان طارق .. فأرغمتني المعلمة على ذلك بعد ان بذلت جهداً جهيداً لتحفيظي

الشعر وفعلاً حفظتهُ ورحتُ أرددُهُ حتى في البيت وعندما جاء اليوم الذي أخرج فيه

الى الجمهور (ضاحكة) سمعت أسمى .. خرجت من الكرديوس أسيرُ بخطى وثيدة حتى

وصلت منتصف الساحة .. إستجمعت كل ما أملك من قوى وصحتُ بأعلى صوتي

عنوان القصيدة ثم إنتبهت الى مئات العيون التي تحديق بي عن كئيب فما كان مني إلا

.. ان بكيت .. وبكيت بكاءً شديداً .. ورحت أجهشُ بالبكاء أنا أبكي والمعلمات

والطالبات غرقن في ضحكٍ حار وشديد وما كان من المعلمة إلا ان جاءتني وهي

مبتسمة وأخذتني من يدي حتى اوصلتني الى الكرديوس وهي تربت على كتفي .

هبة تفهقه : ولماذا .. لم تهرب فارة الى صفكِ جارة أذيال الخيبة والذعر .

لينا ضاحكة : صدقيني لم أقدر على الخطو أية خطوة تسمرت أقدامي وماتت .

أتصلت أيار بمروة وراحت تحدثها حول الدراسة والقراءات الخارجية للكتب

المفيدة .

أيار : أنا الآن اقرأ في ديوان رشحته لي للقراءة الست رحاب وهو للأخطل الصغير

على الرغم من انه .. في بعض قصائده لا يفهم لكني رحتُ أدون الكلمات غير

المفهومة في ورقة وأعطيتها إليها .. لتفسر لي معناها وبذا اكون قد فهمتهُ .

مرودة : نعم .. ديوان الأخطل الصغير ذو المجلد الأبيض أتذكر إنني قرأته وله قصيدة جميلة جداً بعنوان النيل .. هل قرأتها أو إنك لم تصلي لها بعد .

أيار : قصيدة النيل .. نعم قرأتها وهي الوحيدة التي فهمتها لحد الآن .

مرودة : بإمكانك الإطلاع على معانيها في المنجد والصاح هما كتابان يضمنان في طياتهما معاني الكلمات وبحسب الحروف الأبجدية ، ولكن أسرع عملية بحث هي عبر النت .

أيار : ها.. فهمت الآن .. هذا يعني ان الست رحاب تقرأ في القواميس ثم تقدم لي معاني الكلمات التي أسألها عنها ، لأنها عندما تقرأ الورقة لا تعطيني الإجابة فوراً ، وعليه سأشتري هذين المعجمين وأضعهما في مكتبتي لأنهما مفيدان جداً كما ذكرتني .

مرودة : وهل ألقيتي القصائد الوطنية التي قدمتها في العام الماضي التي تتغنى بحب الوطن .

أيار : نعم ما زلت أحفظ بقصيدة جميلة لشاعر تونسي بعنوان بغداد الحبيبة .

مرودة : جيد .. أذن هيأي نفسك كل خميس ان شاء الله للألقاء في ساحة المدرسة .

أيار ضاحكة : هبة مستعدة تغني وتمثل .. وترقص ... فنانة استعراضية .

مرودة ضاحكة : لا .. لا.. هذه ثانوية بنات وليس نحن في مسرح ومرقص .

أيار : لننتفكه عليها .. لها قدرة على ذلك لاسيما التقليد المضحك .

مرودة : بصراحة بثُ لا أرتاح لتصرفاتها التي تنمُّ عن بيئة غير نقية ولا رصينة ...

العائلة مسرورة من المعدل الباهر الذي أحرزه أنس منتقلاً الى الصف الأول

متوسط وبديهي تم تسجيله في مدرسة المتميزين على الرغم من وقوعها في مركز

المدينة ، وكذلك نجح معاذ منتقلاً الى الصف السادس أدبي ، وأيار الى السادس العلمي

وقتيبة تخرج من كلية القانون ومرودة الآن في السنة التحضيرية للماجستير ، وينبغي

ان تبذل الجهد الجهد الذي يتناسب ومستواها العلمي ، وقد تم تهيئة كل المستلزمات

والكتب التي تحتاجها في دراستها للإنكليزي ولا سيما أن مرودة أعدت العدة سلفاً لهذه

الدراسة ، قالت فاطمة اسبوع ان شاء الله وتلتحقني الى الدراسة العليا فتعالي الى بحر

العلوم نعزل كل الكتب الإنكليزية : حالاً ماما .. قالت فاطمة مع نفسها : آه منك يا حبيبي عبد الرحمن .. تاركاً باب المكتب مفتوحاً على مصراعيه .. سألتها بعد أن دخلت الى بحر العلوم .. وما الذي يضايقك يا ماما .. في تركه مفتوحاً .. ونحن في البيت .. أجابتها : يا بنيتي .. أن دخول ذرات الغبار وأن كانت قليلة جداً .. تؤثر أولاً على الأجهزة الموجودة هنا .. وخاصة الحاسوب ، وثانياً هذه الذرات تتراكم فوق المجلات أنظري الى الكتب .. أثناء سفرنا .. كيف أصبح منظرها كئيباً .. وذرات الغبار تعلق سطوحها .. أبتسمت مروة قائلة : أرى الكأبة تسلت حتى الى كتبنا يا أمي أجابتها : وقال الله منها ووقانا .. لا تجنحي لمثل هذه المصطلحات .

أما أيار فبقيت في حيرتها تجئ وتروح ، تجئ وتروح ويدها وراء ظهرها .. يا إلهي ماذا دهاها مروة قد أكون حقيقة أزعتها .. وأنا المزعجة حقاً .. إذا كنت كذلك .. أذن لابد أن أبادر الى الاعتذار .. لكن عن ماذا أعترت حقيقة أنه أمر محير جلست قرب الهاتف وأخذت تضرب على الأرقام بسرعة .. ثم راحت تتصل على نقالها فتنهدت قائلة : آسفة آسفة آسفة إذا كنت سببت لك أي ازعاج ، أجابتها وهي مبتسمة : لا حبيبي .. لا داعي للأسف أحسست بشئ من الضيق .. أجابتها .. ولماذا هذا الضيق ..؟ أجابتها .. لعلي متلهفة بل متشوقة للدراسة العليا ، فأقظت أيار حاجبيها وقلبت شفقتها قائلة .. دراسة ، أف منك يا مروة أسحب اعتذاري ثلاث مرات .. ضحكت مروة قائلة .. عزيزتي .. أنها مسألة بسيطة جداً .. وأن حدثت بيننا مسائل لا سمح الله فلا تستوجب الاعتذار لأنها سحابة صيف لا تؤذي مهما نزلت من السماء .. أبتسمت أيار قائلة : لعل هبة جزء من خزين مقابلها التي تستخدمها مع الآخرين .. ضحكت مروة قائلة : أظن ذلك .

وهكذا أكلت الشهور الأسابيع ، وأكلت الأسابيع الأيام وطوت الأيام الدقائق والثواني وانقضت العطلة المدرسية والجميع متأهب لدخول معامع الدراسة والإمتحانات ، وها هي ذي هبة تحاول أن تستعد للمدرسة بكل ما تملكه من قوى وإرادة وأفكار شيطانية تراودها بين الحين والآخر ، وفي الوقت نفسه تحاول التكيف

مع الوضع الجديد في البيت ، وعليها أعباء البيت والإيفاء بمتطلباته وهي جالسة على سريرها أطرقت تفكر بماذا ستفعل وقد وقعت عليها أعباء كثيرة ، والأمل المنشود الكلية الطبية كيف يا ترى وهي ترزح تحت جناح الليل مدلجة .. تنوء بحمل ثقيل .. تصل الى ما تطمح إليه ، آه ... منك يا زمن .. أصبحت حياتنا قاسية ، والعيش فيها عيش قشف وشقاء وعناء هربت مني القناعة بعد إذ كانت حكمتي وفرغ مني الصبر بعد ان كان حبري الذي أكتب فيه على أوراق مذكرات حياتي وطاطأتُ رأسي أمام هول العواطف الزائفة ، ولوثت لساني بسموم الكذب بعد إذ كان ناصع البياض ، وألثفت أفعى لعنتي على الحياة حول عنقي ، ولا أعرف الآن هل ستدخلني هذه الأفعى الى عالم جديد أجد فيه ما أصبر إليه وآمل أو ستقتلني وتقطعني أرباً أرباً وتنتشر اشلائي على بقاع العام ، فلا بد أن أسير في مقصدي حتى أصل الى مُرادِي ما دامت الدماء تسري في عروقي وهي تغلي ، ولا أتوقف حتى تطفح ملء فمي ثم ضربت الحائط بقبضة يدها ، نعم لا بد أن أسلك كل الطرق التي توصلني الى المال مهما كانت شعابها وعرة ، مهما كانت مليئة بالذئاب والضواري سأواجهها ، ما دمت على حق وما دام هدفي الأول هو ان أكون شيئاً يشار إليه بالبنان ثم تنهدت .. كيف لي أن أفعل ذلك وأنا فتاة ضعيفة لاتقدر على شئ هل أسرق ومن أين أسرق ؟ أذن واقفة أنا وسط جزيرة نائية ولا مرسى لي سوى جيوب البلهاء .. نعم جيوب الأغنياء البلهاء الذين يملكون الكثير ويرمون رزم النقود هنا وهناك .. فأن أخذني لهذه الرزم هو ليس سرقة .. لأنني بحاجة ماسة لها ، أغنياء حُقرَاء سأسلك الدرب ماشية نحو هؤلاء وسوف أسلب منهم كل ما أريد من أشياء وبدون أي مقابل .. سوى مقابلتي لهم في المتنزهات ، وبقيت تحاور نفسها طوال الليل والشياطين تطوف حولها تترنم لها وتوافقها وتؤيدها على صحة كل شئ تعمله موهماً أياها بأنه صحيح مئة بالمئة بعد ذلك تكسرت أجفانها من شدة النعاس وقد تجاوز الليل نصفه رمت بجسدها الهزيل على السرير الحديدي ثم أستلقت واضعة يديها تحت رأسها ، حتى أطبقت أجفانها غارقة في نوم عميق لا قرار له حتى الصباح .

الجزء السادس عشر

أصبح الصباح وتعالَت أصوات البلباب المغردة ، وتبلجت الشمس بأشعتها الذهبية ، وزهت الطبيعة الخضراء بمشاهدها الأخاذة ومناظرها الخلابة على أفانين الحياة وتركها ، أستيقظت تلك العائلة السعيدة كعادتها مبكرة ومروءة تألقت بثيابها الجديدة والإبتسامة قد أشرفت على محياها صباح الخير **قالت الأم** : اليوم فطورنا شهياً بمناسبة أول يوم تدخل فيه مروءة الى الدراسة العليا أجابتها : شكراً أمي الحبيبة أدامك الله لي ذخراً الى الأبد **قال الأب** : ها لا تنسي بابا يريد ان يذاع صيتك في كل بقاع العالم في مؤلفاتك وبحوثك ، **أجابته الأم** : ياعزيزي دع هذه الأمور الآن وأفضل أن النقاش في هذه المسألة يجب أن يكون في الوقت المناسب ، أم تريد ان تسبق الأحداث أبتسم الأب موجهاً كلامه لمروءة عزيزتي لاتتضايقي من كلامي احببت فقط أن أظهر لك ما أتمناه ، **اجابته بهدوء** : أتمنى بابا أن أحقق أمنيتك لكن كما قالت ماما يجب أن لا نسبق الأحداث ، قد لا يحالفني الحظ ضحك الوالد ماذا مروءة عبد الرحمن الأوجي النابغة لا يحالفها الحظ فلا تتشاءمي ، ابتسمت مروءة وأحست بالفرحة الغامرة لأنها كانت تهوى ان تكون مترجمة بارعة ومتخصصة في الأدب الإنكليزي.

اليوم الأول الذي تباشر فيه الدراسة العليا وهي فرحة حالها كحال النوابغ ذوي الألباب أول مفاجأة افتتحت بها اليوم الساعة الثامنة وقبل المحاضرة بساعة هي زيارة مفاجأة غير معلن عنها لصديقتها الحبيبة سُسُل ، فرحت بها وكان تحلق بجناحين فعانقتها وكأنها تحملها من على الأرض ، وانكفأت عليها كالموجة ، كيف حالك عزيزتي : أنا بخير والحمد لله لقد اشتقتُ لك كثيراً وأنا كذلك ياعزيزتي مروءة شعوراً متبادلاً طبعاً ، **ضحكت مروءة** : كيف لم تبليني بهذه المفاجأة الرائعة كاد قلبي يقف من شدة الفرح حالما رأيتك أمامي ، ثم استطردت قائلة : وأنا كنت للتو أريد إبلاغك بأني باشرت اليوم الأول ، أحب معرفة أخبارك بادئ ذي بدء أحب أن أنهه الى أنني قد أستمتعت كثيراً بالعطلة الصيفية ، وقرأتُ كتباً كثيرة ذات معلومات وفيرة وكتبت مقطوعات نثرية ذات سبك جيد .

وفي أثناء الدرس الشاعر والفتيات يتمشين في الساحة جيئةً وذهاباً راحت هند تسأل هبة هل أنت مستعدة للدراسة هذه السنة كالسابق ، أجابتها هبة وهي مبتسمة : بالطبع وانت تعرفين جيداً أن مثل هذه الكتب البسيطة من السهل جداً على عقلي أستساغتها وبلا أي معاناة ، حتى أنني لا أبذل وقتاً كثيراً لدراستها مجرد ان أنظر الى المادة الدراسية تكون سريعة النفاذ الى عقلي وسريعة الدخول الى قلبي وأقصد سرعة الحفظ .

أيار : أما أنا حتاج الى وقت كبير حتى أحفظ الدرس أي أشغل كل أعضائي أمشي في دراستي أجي وأروح وأقرأ بصوت عالٍ ثم بعد ذلك الجهد المضني يتم الحفظ والحمد لله .

لينا:أما أنا فعقلي بليد جداً أحفظ السطر الأول من الدرس أو الأخير فأعش المدرّسة في بداية الدرس ونهايته.

وأنصاف تحاول جاهدة التقريب ما بين أيار وسبأ حباً بهما ، فتختلق الظروف التي تجعلهما يلتقيان في مكان ما ، أو حديث أو حتى في إبتسامة عابرة ، وبينما كانت جالسة مع سبأ على دكة في نهاية الساحة فكرت بفكرة لم تفصح عنها فنهضت وتركت كتابها الإنكليزي عند مكانها وقالت لحظة وسأعود ، فبقيت سبأ تتطلع في كتابها الذي كانت تدرس فيه ، وتوجهت أنصاف الى أيار طالبة منها شرح بعض القواعد الإنكليزية ذلك لأنها تعرف بأن عمته مروة تساعد في الدراسة ، وقد طلبت منها ذلك ، وأيار لم ترفض تقديم المساعدة بل بالعكس تعد الأمر عرضاً لمقدرتها العلمية والفكرية .

أيار : أنا قوية بمادة اللغة الإنكليزية بمساعدة عمتي واني قادرة تماماً على ترجمة وتوضيح كل كلمة ، أعطيني كتابك وحددي سؤالك في أي موضوع لطفاً .

أنصاف : أشكرك عزيزتي ... ولكن لا أستوعب الشرح وأنا واقفة .

أيار مبتسمة : لك ما تشائين ... هل نذهب الى الصف ؟

أنصاف : اشكرك تعالي نجلس فكتابي هناك وأشارت الى حيث المكان ثم أمسكت بكفها وسارتا سوية الى حيث كتاب الإنكليزي ، قرب سبأ التي كانت تجلس مطأطأة رأسها داخل الكتاب ، وحالما وصلنا ... تفاجأت كل من أيار وسبأ بلقائهما غير المتوقع بنظر كل منهما للآخرى ، المهم ألفت أيار التحية فردت عليها سبأ بإبتسامة رائعة ، ثم استخرجت من حقيبتها المدرسية دفترأ لتضعه على الدكة مشيرة إليها بالجلوس لئلا تلتصق ذرات التراب بملابسها عندما تجلس فجلست متوسطة **أنصاف** وسبأ كالتاوس الذي ينفش ريشه بزهو لأنها ستقوم بدور المعلم والتلاميذ يحيطون بها ، ثم راحت تشرح بأسلوب عمته التفصيلي كل الأسئلة التي قُدمت لها من **أنصاف** وقد عمت الفائدة سبأ أيضاً مما قادها الى طرح أسئلة اخرى .

سبأ مبتسمة : حقيقة أفدت من شرحك المركز وأنا أستمع إليك ترى كيف تدرسين ؟
أيار بزهو : عمتي استاذة متخصصة في الأدب الإنكليزي تساعدني في الشرح والترجمة .

سبأ مبتسمة : الله ... كم هو رائع تخصصها ... أهنيك بها ... يا أيار .
أنصاف : ولو رأيتي شكلها ... تبارك الخلاق فيما خلق ... ويا ليت كل يوم تشرحي لي من فضلك .

أيار برضا وإبتسامة : نعم صحيح عمتي جميلة في خلقها وأخلاقها ... أكيد سأشرح لك ما دمت فهمتي .

لقد أحرز **سراج الدين** اليوم إنجازاً رائعاً بكسب قضية رفضها عشرة محامين لإرتباطها بعدة قضايا متشابهة ، وقد تقاضى مبلغ كبيراً لقاء ذلك وقد تعالت أصوات الزغاريد داخل قاعة المحكمة والمزامير خارجها ، وقد رافقه ابنه قتيبة ليتعلم منه فنون المرافعة داخل المحكمة ، وتعالق مع الزغاريد والطبول رمي الحلوى (الجبليت) ، وقد قدموا للمحامي وابنه فأخذ كلُّ منهما واحدة وهما مسرورين بهذا الفوز والإنجاز الذي تناقلته الألسن ونقلته وسائل الإعلام ، أما قتيبة فتفحص حجمها الكبير وشكلها المغربي فأكلها وتلذذ بطعم الكاكاو فيها أما **سراج الدين** فلم يعتد الأكل

خارج المنزل حتى ولو تأخر فوضع (قطعة الحلوى) الجلكيته في جيبه ، وقد أعتاد الأكل في بيته مع زوجته أميمه التي تبقى في إنتظاره وإن تأخر ، وحالما وصلا زف كلٌ منهما البشرى لها لأنها كانت تعلم بأمر المرافعة اليوم ، فقال سراج الدين مبتهجاً مماًزحاً بعد ان اخرج يده ليستخرج الجلكيته : عندما رأيت هذه (الجلكيته) وأعجبت بشكلها وحجمها الفريد تمنيت أن أقدمها لشخص أحبه وليس عندي أحب منك ... خذها كليها ، فأخذتها منه وباركت له نجاحه ووضعتها قرب التلفاز وذهبت الى المطبخ لتهيء الغداء .

وفي اليوم التالي وبينما كانت أميمة ترتب الصلاة رأت (الجلكيته) فأخذتها وهي مبتسمة وراحت تتفحص حجمها ونوعها ومصدر صنعها ، وبينما هي كذلك رأت أيار نازلة من الدرج ومتوجهة كعادتها الى مروة وفي يدها كتابها الإنكليزي وقبل ان تصل إليها رفعت الأم الجلكيته وهي مبتسمة وقالت خذها يا أيار أنها للأحبة ، فأخذتها وهي مبتسمة وخبأتها في جيبها وأسرعت خارجة الى مروة وحالما دخلت بيت جدها تذكرت شامخ نظرت هل زكية موجودة فتجعلهما يدخلان في حالة طوارئ ، لكن المهم الآن ان تنهي درسها دون التأثير على وقت مروة الضيق كطالبة ماجستير ، ولم تأخذ من وقتها سوى ساعة واحدة تمكنت فيها من اتمام الدرس ، وقبل ان تعود أيار الى منزلها أخرجت الجلكيته وقدمتها لها مبتسمة وهي مادة يدها : اشكرك ... فتناولتها مروة بابتسامتها الرائعة : الله ... يا لها من (جلكيته) رائعة في حجمها وشكلها ... أشكرك ... فوضعتها في حقيبتها ، وراحت تواصل دراستها بعد مغادرة أيار .

وعلى الرغم من العامل النفسي الذي يرافق الدراسات العليا ، وكثافة المواد الدراسية مقارنة بالوقت الذي لا يكاد يكفي والذي يقتضي مواصلة الليل بالنهار والسير بخطى عملاق دونما توقف ، إلا ان مروة تحث السير في خطى حثيثة ولا تتوقف في دراستها إلا بعد ان تجد نفسها نامت على كتبها مجهدة عند صياح الديك ، أما كيف تصحو فهذه مهمة والديها قبل ان ترن المنبهات لإيقاظها ، الوالدة على رأسها

لإيقاضها وتحريكها والمسح على رأسها بلمسة الأم الرؤوم التي تتلاشى تحت يدها المتاعب وتجد عند قدميها الجنة ، فهي ابنتها الوحيدة التي خرجت بها للحياة ، فكانت هدية السماء لها شمس في النهار تضيء الأفق وقمر في الليل يبدد العتمة ، ومركز فخر وإعجاب لكل من عرفها ، وكانت فتاة بارة بوالديها لم تعرف الغرور على الرغم من الدلال ولم تتولد في نفسها الأنا وحب الذات ، ولم تبخل بنصيحة قط ، ولم تحتكر اجابة دون ان تفسح بها لزملائها ، أحبت الحياة وأحبتها الحياة بوالديها وعائلتها وصديقة عمرها سُبُل التي تحبها أكثر من نفسها ، وتُعد الأخت التي ولدت من رحم الحياة ، تشاركها في أفراحها وهمومها ، وهي الأقرب الى روحها ولها القدرة على ترجمتها منذ سنين .

أيار تلاحظ أشياء غريبة تحدث في البيت حيث الأم تخرج وتدخل وعلامات الإستياء والكآبة مرسومة على وجهها ، تحدث مناقشات حادة بين والديها ويسكتان أو يغيران موضوع الحديث حال وصولها ، وصديقات والدتها يترددن على البيت بين الحين والآخر والخالة أم مروة بين الفينة والفينة تأتي لزيارة أميمة أو تتصل بها فتحتلي والدتها بهاتفها على غير عاداتها ، دهشة وذهول ترى ما الذي يجري وما الذي سيحدث وما سبب كل هذه الأحداث ، لا أعرف هل وراء كل ذلك سر أو أني سيئة الظن كعادتي كما يقولون ، ثم نهضت وهي قائلة سأسأل أمي عن كل ما يحدث أمامي ، لعلي أجد الإجابة عن كل تصوراتي حتى ولو كانت تخيلات فخرجت من غرفتها قاصدة غرفة أمها فطرقت الباب ثم دخلت .. طاب يومكِ ماما لديّ سؤال بل أسئلة وأريدك أن تجيبيني بصراحة عليها ، أبنتمت الأم قائلة : بكل سرور عزيزتي أسألي .. ماما .. لاحظ أحداث غريبة تحدث في البيت ، أو قد تكون أحداث غير مألوفة .. مثلاً أرى أعصابك منزعة طوال الوقت وعلامات الإستياء مرسومة على وجهك كذلك أراك تخرجين وتدخلين أكثر مما مضى .. وصديقاتك يزرنك بصورة مستمرة حتى جرس الهاتف يكاد يبيع صوته من كثرة رنينه ، هذه هي أسألتني أريد تعليقاً عليها .. الأم أصفر وجهها وتلعثمت في كلامها .. أ.. ثم مسحت جبينها بيدها متظاهرة

بأبتسامة خفيفة .. أوه عزيزتي كل ما ذكرتي مسائل طبيعية جداً .. أما كثرة خروجي .. لأنني كنت أذهب الى معمل الخياطة لأخيط بعض الملابس لي وعلى ذوقي وأحببت أن أشرف على خياطة الملابس بنفسي .. ما دامت صاحبة المعمل صديقتي ، وكذلك هي طلبت مني ذلك أما زيارات صديقاتي .. فيا بُنيتي .. هي مسألة طبيعية جداً .. وما يُثير استغرابي وعجبي أن تتصورني أمور غريبة وراءها سر .. أو أي شئ من هذا القبيل .. سألتها : وماذا عن سكوتك أمس حالما رأيتيني قادمة .. تنكرت الأم لذلك .. وهي مبتسمة .. ماذا .. ومتى حدث ذلك .. ولماذا أسكت .. وأفرضي أن الكلام كان عن مشكلة مثلاً لاسمح الله .. فأنتِ لستِ غريبة حتى نخفيها عنكِ .. ثم دنت منها وربتت على كتفها .. بُنيتي .. لا أريدكِ أن تتخيلي أحداثاً لا صحة لها أبداً .. مفهوم .. فهزت رأسها غير مقتنعة بتبريرها متتهدة ، أما الآن فأذهبي لتحضير دروسكِ .. ولا تشغلي نفسكِ بأي موضوع .. لأنكِ في السادس الإعدادي ومقبلة على الإمتحان الوزاري (البكلوريا) .

الجزء السابع عشر

قالت أيار في نفسها .. أجابات غير مقنعة تماماً .. ثم قالت أوه لا علي وتقول لا شئ ، لأنتبه الآن الى دروسي أولاً حتى أتخطى الصعاب وأستمر الى جانب دراستي بالقراءة الخارجية في وقت الفراغ ، حتى أكون مثقفة كعمتي مروة .. ويكون لي خيال خصب كخيالها .. وإدراك واسع كإدراكها .. وعقل لبيب كعقلها وفكر نير كفكرها .. وقلب حافظ كقلبها .. ولسان لافظ كلسانها وبعد ذلك تتكون لي شخصية قوية كشخصيتها .. نعم لأدرس حتى أنجح ، ثم تاهت في سرحة ذهنية متذكرة إطراء سبأ لمروة ولتخصصها ، وإطراء أنصاف لشكلها الجذاب ، فأستمرت في تحضير واجباتها المدرسية جميعها .. بعد ذلك وضعت الكتب في الحقيبة ، وأخذت تفكر وتراجع وتقديم وتقارن ما بين ألفاظ هبة ومجموعتها وما بين أنصاف وسبأ وهيفاء ، فلا بد من وضع غربال واختبارات وتري من ستسقط من حساباتها ومن ستبقى ، وفي نظرها هناك فرق شاسع ما بين الزميل والصديق كما علمتها مروة وكما قرأت في مذكراتها وهل ستجد سبيل ثانية في محطات الحياة .

كما قلت لك يا عمي منذر إذا كنت فعلاً تريد لفت أنتباه خالتي مروة تجاهك .. ليكون لك فكر متوقد وهاج يفوق فكرها ، أجابها متنهداً : بعد أن أعتدل في جلسته على الكرسي : وقصدك المعلومات الخارجية علينا الآن بالدراسة فقط لأنها مبتدأ الطريق الذي نسير فيه مع مروة .

فريال : لذلك لا بد أن تبذل قصارى جهدك في الكلية ، لأنها على ما أظن تحلم بأن يكون فارس أحلامها بروفيسور متوقد الذكاء ..

منذر : ماذا بروفيسور .. آه يا إلهي ما الذي جرنني الى الهاوية بروفيسور مرة واحدة .
فريال : لا مشكلة أنها مسألة بسيطة ضعي لك مدرساً خصوصاً في كل مادة تدرسها وأنا واثقة كل الثقة من نجاحك .

منذر : أنها فكرة جيدة ورائعة من غدا أن شاء الله سيكون لي مدرسين في البيت واتخرج معيد في الكلية ، ثم وضع بنانه على صدغه وقال : وإذا لم أفلح ما العمل ؟

فريال ضاحكة : إذا لم ينفع كل ذلك ، سنذهب أنا وأنت الى أحد العلماء البارعين في العلم ، ونقوده الى المستشفى ونقله هناك .. ونستخرج عقله ونضعه في رأسك وبذا تكون المسألة قد أنحلت .

منذر ضاحكاً : أنها عملية بسيطة ولا تكلف الكثير وأكون حينئذ شاب بعقل عالم .. يا له من حلم جميل .

فريال : تريث في الأمور ولا تسبق الأحداث وتوكل على الله تعالى وسر بجدية مع دروسك ومدرسيك أما الخطوات اللاحقة فسوف تأتي في وقتها أن شاء الله ، لحد الآن عرفت في الكلية ، وبينما يتحدثان حدثت في وجه عمها بتعجب ثم نهضت فنهض هو الآخر قال ما بك ؟ أفلقتني أجابته : عمي ما هذا أين شواريك أجابها لقد حلقتها أمس .

فريال : يا إلهي لا تجعل خالتي مروة تراك في هذه الصورة .

منذر : ولماذا ... ما الخطب .

فريال : لأن خالتي تحترم الشوارب التي كشوارب جدي الطويلة وتحتقر الرجل الذي يحلقهن وتعد هذا نقصاً فيه لأنه يشبه نفسه بوجه المرأة الأنتوي .

منذر حال سماعه ذلك وضع يده على مكان شاربه قائلاً : الحمد لله نبهتني ، واللجنة على صديقي حين قال لي أن حلاقة الشوارب موضة .

فريال ضاحكة:ماذا؟موضة حقاً أنه رجل بلا ذوق عليك الإعتكاف حتى تظهر شواربك.

منذر : ما هي هوايات مروة حدثيني عنها رجاءً .

فريال : تحب الأدب وتعشق الشعر وقراءة القصص الرومانسية لذلك تخصصت بالأدب الإنكليزي .

منذر : ما هو لونها المفضل وأكلتها المفضلة اريد ان اعرف عنها كل شيء كل شيء.

فريال : أعتقد تحب الكبة طبعاً من يد والدتها وتحب الكرزات ولا تحب اكل المطاعم ، تحب الألوان الزاهية كثيراً ولا سيما اللون البنفسجي ... أي حياتها قائمة على الاتكيت ولا تحب الفوضى كل شيء عندها بقاعدة ومقياس ... لكن أعلم بأنها رائعة ويشار لها بالبنان ... وأنت تعرف ذلك جيداً .

وبينما أميمة جالسة في الصالة مع عائلتها لشرب الشاي كالمعتاد وأبصارهم مصوبه للشاشة الى حيث المسرحية الكوميديّة التي ملأت الجو قفشات فإذا بجرس الباب يقرع .. فأسرع يفتحه .. مرحباً .. أهلاً وسهلاً .. بلغ والدتك سلامي وهذه الفساتين أعطاها إياها .. وداعاً .. لحظة مدام .. عفواً من انتِ .. أنا أم رمزي فرصة ثانية أن شاء الله وداعاً لأنني على عجل والسائق بانتظاري .. أسرعت المرأة وهو يرنو إليها بتعجب حتى أبتعدت بها السيارة ، فدخل لوالدته : هذه امرأة تسلم عليك وتقول هذه الفساتين .. فرحت الأم وقالت دعني أرى لا بد أن تكون أم رمزي صاحبة المعمل .. أجابها : نعم هي كذلك أنها أم رمزي .. قلت لها تفضلي فأبت لأنها كانت على عجلة من أمرها والسيارة بانتظارها فهضت الأم لتقيس الملابس .. دخلت الغرفة ثم خرجت بالفستان الجديد .. ها ما هو رأيكم بهذا ؟ أوه ماما انه جميل .. لكن أنس قال : لولا (كرشك) لو كان لديكِ خصر .. ضحكت الأم : ماذا .. ليس لدي خصر .. قالت أيار مازحة ما هذا أصدق كل هذه البطن كرش ، فضحكت الأم بتظاهر مفضوح والكل لاحظ ذلك قائلة : دعيني أجرب الفستان الأخر حتى آخذكِ يوماً ما الى المعمل لأفصل لكِ فساتين على ذوقكِ ... وباللون الذي تفضلين .

وفي عتمة الليل الهادئ والسكون وفي ساعة متأخرة من الليل خرجت أيار من غرفتها قاصدة الحمام ، وبينما هي تتمختر في مشيتها فإذا هي تسمع أصوات أقتربت من السلم واستدلت الى جهة الصوت فإذا هي تسمع مشاحنات نقاشية صادرة من غرفة والديها بصوت مسموع بقيت واقفة قليلاً .. ثم ذهبت الى حاجتها وحال رجوعها وجدت المناقشات العنيفة قد أحتدمت وأشدت فأحست في نفسها الرغبة الى معرفة ما يدور بين والديها فنزلت السلم بحذر وجلست على أول سلالة القريبة من الباب وراحت تسمع لم تقصد التجسس وإنما معرفة الموضوع الذي يثير الجدل في هذه الساعة المتأخرة فإذا هي تسمع بوضوح والدها يقول لوالدتها : ياعزيزتي ما تقولينه مستحيل وأين إيمانك بالله تعالى وأنت تعرفين جيداً أن هذا العمل يغضب الله فكيف تسيرين في معصية الإله بحق السماء .. أجابته : وقد غصت في عبرتها : لا بد

أن تفهمني أنه أمر لا أطيقه .. ولا أطيق حتى سماعه أرجوك ساعدني لأتخلص منه أرجوك .. ياعزيزتي انتِ تطلبين مني ان أقتل نفساً ، والله سبحانه وتعالى يقول : **{ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ .. (151) }** سورة الأنعام ، كيف ذلك فهميني .. أنرضي أنفسنا ونغضب ربنا ، لو طلبتي مني حياتي سأفديها من أجلكِ لكن القتل لا أستطيع .. أجابته بحزم : معنى كلامك انك لا تريد مساعدتي في التخلص منه لكني سأتخلص منه بنفسي .. سأقتله سأقتله ولو كلفني ذلك حياتي ثم همت بالخروج ، فأسرعت أيار الى غرفتها وقلبها يخفق خوفاً من هول الكلام الذي سمعته من والدتها .

الجزء الثامن عشر

أستلقت أيار على سريرها وهي مروعة وجلة والدموع تنهال من عينيها لما حدث وكلام القتل يتردد على بالها كالصدى ، اخذت تكلم نفسها أمني تريد ان تقتل أحد ما .. وإذا قتلته ستكون مجرمة وعندما تكون مجرمة ستقوم الشرطة بإلقاء القبض عليها وتسلمها الى العدالة للقصاص بعد ذلك يُحكم عليها بالإعدام او السجن المؤبد وحينئذ تكون والدتي في السجن ، ومحاميها زوجها يا لسخرية القدر بنا جريمة القتل يا للعار ، تُرى أيعقل أن مثل أمني انسانة طيبة القلب تعزم على مثل هذا الأمر ، ولم لا إذا كان هذا الشخص يضايقها أو طلب منها شئ ما ومن يكون هذا وأين إلتقت به؟ نعم لا بد أن تكن فعلته نكراء حتى يستحق الموت ، وكيف ستقتله ، بالطبع هي لوحدها لا تستطيع لأنها تخاف الحشرة إذ كيف لها ان تقتل انساناً متوحشاً مثل هذا .. ومن يكون هذا .. لا أعرفه .. قد يكون احد الاشخاص الذين يرتادون البيت دائماً قد تعطي نقوداً لبعض الأشخاص مقابل قتله .. أو تطلب من قتيبة دهسه في السيارة وهي طريقة جيدة وسهلة للتخلص منه ما دام هو شخص نكرة كلاب هم الرجال ، حتى المرأة المتزوجة الأم يسببون لها المضايقة واستمرت الى الصباح وهي على هذا المنوال تفكر من هو هذا الذي ستقتله والدتها وفي اليوم التالي جلست العائلة على الفطور ، وأيار يكأذ النعاس يقتلها كل لحظة تضع يدها على فمها وعيناها متورمتان ، سألتها الوالد يبدو عليك آثار السهر أجابته : نعم بابا ، سألتها الأم : ولم سهرتي كثيراً أجابتها بعد ان صوتتها بنظرة عتب حادة تنهدت وقالت : اليوم لدي امتحان انكليزي فلم ياتني نوم وهذا الأخير جاثم على صدري كالجيثوم أتعرفين الجيثوم ؟ كابوس مرعب يجعل الانسان مقيداً خائفاً مرعوباً لا يستطيع الهرب أو الحركة ، وكما تعرفين مادة صعبة وعسير الفهم .. أجابتها : حسناً بُنيتي بارك الله فيك ، وكما يقولون من طلب العلا سهر الليالي ثم وجه كلامه الى أميمة هيا عجلي فطورك لكي أوصلك الى المستشفى سألتها : مستشفى ، خيراً ما الأمر ؟ الام أصفر وجهها وتحشرجت اللقمة في صدرها فأسرعوا بقدر ماء وبعد ان شربته قالت : لا شئ مجرد إلتهاب في اللثة وألم في الأسنان .

قالت أيار في نفسها لأقسم يا أمي انك تماطلين في الأجابة لا يبدو عليك علامات مما ذكرتي .. قد تكوني ذاهبة لكي تجسي النبض ثم تنفذي الخطة التي رسمتها ليلة أمس .. والمسكين أبي مسير معك .. لا يستطيع حتى اقناعك .. بأن ما تفعله هو إجرام .. والمشكلة انه رجل قانون .. ويعرف القصاص .. لكن لماذا تقتله .. لماذا لا تدخله السجن المؤبد وتتخلص منه الى الأبد هذا افضل من القتل ... والمشكلة بأنني سأكون الشاهدة أمام القاضي وتحت القسم ومحال أحنث في يميني سأقول ما سمعته ، وسأكون في نظر اخوتي جاحدة لأنني سأتسبب في عقابها ، يبدو انها اقنعت والدي بوسيلة قتله لكن بعد ان ينفذوا الجريمة كيف سيخفون الجثة ، لكن الرائحة أكيد ستفوح سينتشر الخبر في الحي والمدينة وفي وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمقرؤة ، وسيجد المحققون في عملهم حتى لو وجدوا شعرة مثلاً من رأس أمي او أبي فيستدلون من خلالها على الجاني ، وهكذا راحت تحدث نفسها حتى في المدرسة .

انتهت مروة الكورس الأول بتفوق على أقرانها ولم يأت هذا التفوق من فراغ وانما من جد ومثابرة وموهبة واصرار على المواصلة على الرغم من انسحاب اثنين من زملائها من الدراسة لصعوبة المقرر ولشدة التعامل الذي يضيق على الطالب عندما يواصل الليل بالنهار ، ولم يتبق إلا ثلاثة من الطلاب من مجموع ستة ، وكأنها استجمعت كل قواها لتصل الى بر الأمان ، وهي تتوق الى النوم فهي تعاني من قلة نوم طوال الكورس الأول ولم تشعر بلذة الرقاد فهي وان رقدت تأتيها الكوابيس التي تذكرها بضرورة ان تبقى مستيقظة لئلا تخسر السباق ، وعلى قول سُبيل فهي تعاني من نقص فيتامين نوم ، وتحتاج الى ان تنام اسبوعاً كاملاً دون ان تستيقظ هذه كانت امنيتها ، لتعوض ما فاتها من ساعات ولا سيما ساعات الليل الرائعة التي لا تعوض حتى وان نامت النهار بطوله .

لكن مرّت أيام وسُبيل تتصل بها ولا تجدها فالنقل مقفل والرسائل قيد التسليم حتى الواثس أب غير مُفعل ، مما زادها قلقاً طوال يومها في الكلية والمستشفى ، وعندما عادت الى المنزل حدثت والدتها عن قلقها البادي على ملامحها وانه ليس

من عاداتها الإنغلاق عني أو على الأقل ان تترك نقالها مفتوحاً ، عرفتھا منذ نعومة اظفارھا تلك الفتاة التي تربت على العلم والتعلم لا يصعب على فكرھا أي مادة واستساغتها بسهولة تامة ، أتمنى من الله أن يجعل صداقتنا أبدية وان لايفرقنا سوى الموت ، لأنها جديرة بالحب والإحترام والتقدير والإخلاص والوفاء ، أجابتھا : جعل الله حياتك كلها نجاحاً دائماً وربيعاً أخضر ان شاء الله تعالى مع رفيقة دربك مروة ، وجعلك قذوة حسنة لأخوتك ، أجابتھا : والآن فلا بد من ذهابي إليها عصرأ لأطمئن عليها ، ثم وجهت كلامها الى اخويها التوأم علي وعلياء في المتوسطة : وعندما أعود سأراجع لكم دروسكم فلا تنسوا المذاكرة ، ثم خرجت مسرعة حاملة حقيبة كتفها حتى انها نست ان تتناول غدائها ، فخرجت حتى وصلت الشارع الرئيس مشيرة الى سيارة أجرة استلقتها متوجهة الى منزل مروة تواقه الى رؤيتها بخير وان تعرف سبب عزلتها هذه ، وقد عاصرتها كل هذه السنين ولم تعهدھا كذلك حتى في أحلك الظروف .

ما هي إلا دقائق حتى وصلت بيت مروة طرقت الباب وقد ازدادت خفقات قلبها قلقاً، هنيهة حتى فتح الباب المزارع شامخ ، وقبل أن تلقي عليه التحية باغتنه بسؤالها القلق : هل هل مروة بخير وذويها وذويها ، أجابها مبتسماً : نعم بخير كلهم بخير تفضلي ، ثم استطردت عنراً ... السلام عليكم ، ثم نظر نظرة الى واجهة المنزل المكان الذي يجد فيه زكية دائماً واقفة ، فأشار إليها وقال تعالى زكية لدينا ظيوف رحبي بالأنسة ، وحالما رأتها فرحت بها لأنها تعرفھا جيداً وتعرف علاقتها الملائكية بمروة ... تفضلي تفضلي زارتنا البركة حتى أوصلتها الى غرفة الإستقبال ، برهة حتى جاءت مروة وعندما رأتها أنكفأت عليها كالموجة العارمة شلال شوق متدفق ، وقد تبدد قلقها وازداد عتابها وتأنيبها.

مروة : أهلاً سُبُل ماهذه المفاجأة السعيدة فشدت على يدها طربت روحي بوجودك .

سُبُل بعتاب : أ ... صحيح ... واضح .

مروة مبتسمة : نهضت ومسكت بيدها وقالت لها تعالى الى بحر العلوم فسارتا حتى دخلتا المكتبة ، والله كدت الآن اريد مهاتفتك ولكن سبحان الله نزلتي لي من السماء .

سُبل : ولماذا تؤذيني .. وانت تعرفيني عندما أقلق كيف يكون وضعي ؟
مروة : حبيبتي ... أعذريني كنت متعبة ومتوعكة وكأني لم أصدق بأن الكورس الأول انتهى ، فنمت كثيراً حتى اني لم أميز ما بين الليل والنهار ، مجرد اني اريد تعويض فيتامين النوم الناقص عندي كما وصفته ، وأشارت بيدها ولا حظي محاضراتي وحقبتي على وضها هذا منذ الاسبوع الماضي ، ونفالي بداخلها ، ثم نهضت لتحضر الحقيبة وتفتحها وتقلبها محتوياتها على المكتب أمام سُبل وهي مبتسمة وقد سقط كل ما بداخلها فألتقطت النقال وحال فتحه هلهل بالإتصالات المفقودة والرسائل ، ثم وقعت عينها على الجكليته الجميلة فألتقطتها وقدمتها مبتسمة وقالت : تفضلي حبيبتي وأعذريني ... كليها ... يبدو عليها لذيذة ، فأخذتها مبتسمة **قائلة ممزحة :** أتقنعيني بجكليته يا مروة وقد قتلتنيني من الفلق والتفكير .

اليوم أيار في مدرستها عصبية المزاج لا تطيق أحد وكلما سألتها طالبة تقول ظروف صحية حتى اثناء الدرس تراها سارحة الفكر شاردة الذهن فسألتها المدرسة .. أيار .. ما بك .. الى أين وصلت يا ترى .. منذ بداية الدرس وانت لست معنا .. ما بك ، أجابتها : ها .. عفواً مدرستي .. ظروف ، أجابتها : عجبني عليك هذه السنة يا أيار .. كُنت في السنة الماضية نشطة تبرقين في الأجابة كل سؤال .. أما في هذه السنة قل نشاطك وضعف مستواك العلمي ، يا بُنيتي يجب أن ننسى مشاكلنا عندما نجلس على مقاعد الدراسة .. ونتركها في البيت .. أجابتها : وكأنها انتبهت من غيبوبة .. عفواً مدرستي .. ومن قال لك بأنني أعاني من مشاكل والعياذ بالله .. قلت لك ظروف .. واقصد ظروف صحية وعكات صحية وسأذهب عصر اليوم الى الطبيب .. أجابتها : أريدك أن تكوني نشطة هذا الذي يهمني .. ثم ربتت على كتفها .. واستمرت في اداء عملها التدريسي ، هذه المدرسة طيبة القلب اسمها الست أنغام تدرس مادة اللغة العربية ، تعامل الطالبات معاملة جيدة ، ولا تغلظ عليهن مهما حدث في الصف من شئ ، فأحست بالضيق عندما لفتت المدرسة انتباه الطالبات لها .. بسؤالها هذا ، وصدى كلام والدتها يكاد يضرب في أركان القاعة .. سأقتله سأقتله .. لو كلفني ذلك حياتي لا أطيقه

... لا أطيقه سأقتله وحال إنتهاء الدرس تجمعت الشلة حولها يسألنها عن حالها فأجابتهن بهدوء وروية وعكات صحية ، ثم خرجت للساحة مستأذنة لا تستطيع الإفصاح عما يجول بخاطرهما من مآسي وهموم وكل الطالبات ينظرن إليها وهي خارجة .

فذهبت الى الساحة وأختارت المكان الذي كانت تجلس فيه قرب **أنصاف** لتفرغ نفثات صدرها دون ان يسألها أحد عن همومها ، وبينما هي كذلك فإذا بسبأ تأتي قادمة إليها وتجلس قربها ، تفاجأت أيار بهذه الموقف فنظرت إليها نظرة تساؤل دون ان تنبس بكلمة ، وكان لها الموقف وقع جميل ورائع على **أنصاف** التي تعبت بالجمع بينهما دون ان تفسح عن هذا العمل ، فترى اليوم بأن الثمار أينعت ، لكن الوقع الأسوء على هبة ومجموعتها التي اعتبرت الموقف وكأنه قصمة ظهر وورقة رابحة استخدمتها هذه الغريبة لإقصاء أيار عن سربها وإستمالتها إليها ، لا سيما وأن أيار ستقارن بين المواقف ، فكيف ان سبأ سبقتهم بهذا الموقف ، فقالت سبأ : لا تعجبي يا أيار فقد سمحت لي المدرسة بأن أكون معك بعد أن أستأذنت منها .

أيار : لا داعي يا سبأ مجرد صداع ، فلا يفوتك الدرس .

سبأ مبتسمة : الصديق وقت الضيق ... ثم ستشرحين لي ما فاتني أوليس كذلك ، ثم قالت بفتور بإمكانك الوثوق بي ان أردت ذلك ... وسأكون عند حسن ظنك .

أيار: أشكرك على اهتمامك لقد بحث للجميع فالأمر صحي ولايستوجب كل هذا العناء .

سبأ : لكن معذرة ... كما يقول المثل (يعرف الكتاب من عنوانه) يبدو إنك ترزحين تحت وطأة هم كبير .

أيار : تكهناتك خيالية وغير صحيحة ... ومن جرب الألم يعرف ذلك .

سبأ : اتمنى لك كل خير الدنيا والآخرة فأنت شخصية جديرة بالتقدير .

أيار : أشكرك سبأ وأنت أيضاً جديرة بالإحترام والتقدير ، وأنا أقيم تصرفك الرائع هذا الذي حقيقة كنت أتوقعه من اخريات ... ولكن ... فلك مني كل الثناء .

وفي هذه الأثناء زخت السماء زخات جميلة رائعة وكأنها جاءت لتجلي

الهموم فلم تتحرك أي منهن وبقيتا مكانهما ، وكان في السماء مجموعة من الطيور

تحلق بشكل يثير الإنتباه والإعجاب فعلى الرغم من زخات المطر فأن الطيور تواصل تحليقها لأنها تشعر بالسعادة متناسية طاقة ريشها ، كان منظرأ رائعاً ، فقالت سبأ : والله أني لأستشعر بسعادة تلك الطيور التي تخفق بأجنحتها على وقع المطر ، أوليس كذلك ... فأجابتها : يا ليتنا خُلِقنا طيوراً ... لنأى بأنفسنا الى نهاية العالم .

سبأ : ولم لا نستفيد من تجربة هذه الطيور .

أيار مبتسمة بفتور : وما هي تجربة هذه الطيور المسكينة وهل تعاني المشاكل مثلنا .

سبأ : يقول الله تعالى : **{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ ... (38) }** سورة الأنعام ، هذا يعني ان الطيور أمم أمثالنا ... أي لها مثل حياتنا وحاجاتنا كمخلوقات .

أيار : والله صحيح كدت أنسى هذه الآية ، ولكن لهذه الطيور ميزة على البشر ، فإذا ما أحست با لضيق تشغل أجنحتها وتطير بعيدا .

سبأ : طبعاً لا ... ان الطيور لا تهجر إلا مع سربها وإلا لما رأينا قبل لحظات مجموعة كبيرة تطير بذات الحركة وتحت زخات المطر ، فهي كالبشر تحب الجماعة وتناى عن الأفراد .

أيار : والله صحيح ... كدت أنسى أيضاً ... الذكرى تنفع المؤمنين .

فازدادت زخات المطر مما دعا بسبأ الى ان تنهض وتمدُّ يدها الى أيار لكي تنهض وتذهب الى صف قريب من الصفوف ، فإستجابت لها وراحت تمسك بيدها وهي تتمختر في مشيتها وعليها علامات الغرور كلها ، واكثر الظن بأنها رأت هبة وجوقتها قادمة الى أيار ، فتصرفت بهذه الطريقة كي تغيظها،وعندما وصلت رأت أيار تتمشى برضا وسبأ وسرور وكلها أذان صاغية لأحاديث سبأ وفوق كل ذلك تمسك بيدها وكأنها تحتضنها بعشق فأجتمعن حولهما هبة وهد ولىنا وأنصاف وهيفاء .

هبة : حبيبتي ... قلقت عليك ... طمأنيني عليك رجاءً ؟؟ وعيناها مصوبتان الى يد سبأ ورضا أيار .

أيار بهدوء : ان بخير .. لا داعي للقلق .. اهتمي بدروسك ... أفضل .

هبة : أيار ... انا طالبت من المدرسة الخروج لكنها رفضت واسألي الطالبات .
أيار بعدم رضا : لم أعتب عليك ... على راحتك .
أنصاف : لكن الحمد لله ... المدرسة لمحت قلق سباً عليك فأذنت لها بالخروج .
هيفاء : انا أطمأننت ... عليك ... ما دامت سباً قريبك ... فعندها كل الحب والأمان .
أيار مبتسمة : ولماذا؟؟ لم تستأذني أنت بدل أنصاف .
هيفاء : أواه ... أتريديني ان استأذن وهل تعرفين فيّ الجرأة حتى اقف امام الطلاب واستأذن ، ثم أنا رأيت سباً جازفت وخرجت مضحجة بدرس الكيمياء لأجلك ، فضلاً عن اني بالكاد افهم الدرس من المدرسة .
هبة تهمس في أذن **هند** إنظري الى الأفعى كيف تمسك يدها وكأنها مهتمة بها .اجابتها : نعم أرى فأنها داهية وزندية لأنني سمعتها قبل مدة تقول للبلهاء بأن لا تستسيغها ، اجابتها : اعرفها جيداً فأنها تناصبا العداء غيرة منا لأننا أفضل منها بمئات المرات بخفة دمنا وفكاهتنا ، فرن الجرس معلناً عن بدء الدرس التالي فسنن متوجهات الى الصف وسباً تنتظر بنظرات حاقدة الى **هبة** والذي زادها قوة وضراوة مواصلة **أيار** معها والتي لاننت لجاذبيتها وبرقتها ودهاءها وقوة أسلوبها وحلاوة حديثها وجديتها وابتعادها عن أحاديث اللهو والضحك والتهريج والمبالغة ، فضلاً عن اهتمامها البادي للعيان وقد سبقت الأخريات وبإصرار،وانها تنأى بنفسها وترفع عن السجلات والمهاترات،وهكذا كلٌ منهن تتحدث على إنفراد ولم تفلتها حتى وصلت مقعد الجلوس.
أنصاف : أنا فرحة والله لقوة تواصلكما فأنكما تليقان لبعضكما البعض ، وتلتقيان في جوانب ايجابية كثيلاء ، فلكما ذات الثقافة في الحديث وصدقته والطيبة والأخلااااااااق والإبتعاد عن الإبتذال في القول والفعل .

وحال عودتها للبيت قررت البوح لمروة عن كل ما سمعت عليها تجد حلاً لمشكلتها أو لعلها تعرف شيئاً عن الأحداث التي تدور في البيت من خلال والدتها **فاطمة** جلست قليلاً في غرفتها وأخذت تكلم نفسها أنا قلت لا بد وراء كل هذه الأحداث الغريبة التي تحدث سرأً غريباً والمشكلة أن أُمي أنكرت عليّ كل هذه الأحداث

وأتهمتني بسوء الظن والتدخل ، فأخذ شريط ذاكرتها يسترجع الأحداث التي جرت بينها وبين أمها والكلام والتهديد والوعيد الذي سمعته بأذنها ، فنهضت مسرعة متوجهة الى مروة .. ثم أستدارت فجأة .. وقالت لأ تأكد من وجودها في البيت أولاً قبل أن أذهب إليها ورجعت وجلست على الكرسي وأجرت إتصالاً معها وتأكدت من وجودها ، وما هي إلا دقائق حتى وصلت الى غرفة مروة ولم تسلم على زكية حتى .

أستغربت مروة بقلق : ما الخطب؟؟ أجابتها : بعد أن تنهت أنا أنوء بحملٍ ثقيل لا أقوى على حمله مشكلة عسيرة ومربرة ليس لي طاقة على حملها سأقص عليك كل ماحدث .. وكل ما أعاني منه .. انقبض قلب مروة ... تجمد الدم في عروقها ، تكلمي ارجوك أخذت الأفكار تراود مروة لعل هبة أوقعتها بمصيبة فراحت تتكلم والعبيرة تخنقها هُنيهة حتى انهمرت الدموع من عينيها .. سألتها بتوتر : أهدئي أرجوك أهدئي بحق السماء تكلمي ماذا دهاك والدموع أيضاً ترقرت من عينيها لا بأس أطرحي دموعك المحبوسة ثم بعد ذلك تكلمي .. ثم نهضت خارجة لتحضر لها كأس ماء .. ليروق بالها .. أحضرت كأس الماء فأستخرجت من حقيبتها منديلاً ومسحت به عيناها .. ثم شربت قليلاً من الماء ووضعت القدر واخذت تفرغ همومها واحزانها من الأحداث التي جرت مؤخراً في البيت .. وعن غرابتها وكيف أن والدتها لم تعطيها اجابة مقنعة .. وكيف سمعت الحوار الذي دار بين والديها .. وكيف أن أميمة مصرة على القتل ولو كلفها ذلك حياتها .. وكيف كان موقف والدها أزاء ذلك .. ومروة ومسألة المستشفى .. وتظاهر أمها بأنها مصابة بالتهاب اللثة وغير ذلك .. ومروة واطعة قبضة يدها على خدها وكلها أذان صاغية لما تقول .

المشهد التاسع عشر

وقد تبدد قلقها وإرتسمت الإبتسامة على محياها الى إن انتهت أيار من سرد الموضوع ، وأنا حائرة في هذا الأمر حتى الدراسة لم أسيطر عليها .. ما العمل ؟ أعتدلت مروة في جلوسها حكّت أنفها ثم تنهدت قائلة : عزيزتي كل الأحداث التي سردتها لي أنا على معرفة تامة بها .. لأن أمي على إتصال دائم بأمك وأنا أعرف الأخبار منها وأنا أعجب كثيراً عليها إذ كيف تخفي عليك مثل هذا الموضوع .. عجيبٌ غريب .. ذهلت أيار .. أفلقتني يا مروة بحق السماء عليك ان تقولي لي كل ما تعرفينه عن إجابتها : بالطبع لأنك لست صغيرة على مثل هذه الأمور سأشرح لك الموضوع من البداية الى النهاية حتى وأن غضبت أميمة مني وزعلت..لأنك لا بد ان تكوني على علم بتلك الأمور التي تجري في البيت ، وأنا متأكدة من أنك ستعزرينها على كل شئ ..تحمست لسماع الموضوع فتشبتت بمروة قائلة بالله عليك لاتطيلي الحديث وأدخلي في صلب الموضوع لأنني أتعذب لكلام أمي عن القتل .

مروة : حالاً حالاً .. أسمعني فالموضوع يا أيار ليس بالتعقيد والصعوبة التي فهمته بها ملخص الكلام إن والدتك أميمة حامل .

أيار مستغربة فقلبت شفيتها وأقطبت حاجبيها وبصوت عالٍ وبغضب : ماذا؟؟؟ ماذا حامل ؟ لا..لا.. هذا أمر لا يصدق يا مروة .

مروة مبتسمة : ولم لا يصدق .. أ جريمة .. أم عيب ؟!

أيار أغضت عيناها وقالت أوه يا إلهي ثم أعتدلت في جلستها وسألت : وما علاقة هذا الذي ذكرته بالشخص الذي تهدد بقتله ...

مروة باستغراب : ماذا ؟ أيعقل إنك لم تفهمي بعد كل الأحداث بمجرد ذكر كلامي لك .

أيار : نعم أنا الآن لا أفهم .. أنا أجهل من الطفل الساذج ، فالأحداث تشابكت في دماغي ولا أعرف كيف أفسرها ، أرجوك ساعديني على الفهم والتفسير .

مروة ضاحكة : عزيزتي .. سأشرح لك الحديث بالتفصيل .. أما أنتِ أنصتي وكوني كلكِ أذان صاغية فقط .. أن والدتك لم تكن تُريد حملاً أبداً .. لكنه رزق الله جل وعلا

.. وحال معرفتها بذلك .. ثار غضبها .. وأصبحت عصبية المزاج .. لذا قررت ان تتخلص منه أي تجهضه وعبارة القتل هي أن تقتل الجنين أي إجهاضه ، وهذا هو الرجل المجرم المرسوم في ذهنك والدك يخوفها بغضب الله ، وكذا أمي وصديقاتها .. أما نحن وقبل أيام ، قررنا ان نقنع أميمة بأن لا تجهضه ، وحال ولادته سوف نأخذه نحن ونتبناه ، وهي بذلك سوف تتخلص منه من غير أي معصية .. ومن الجدير بالذكر أن أمك .. مهتمة بمسألة إنها في الأربعين ومسألة مخزية بالنسبة لها سماع اولادها بهذا الخبر المعيب .. إلا إني متأكدة .. من أنها سوف تدعن للأمر الواقع ، وسوف تبقي الطفل ينمو في أحشائها ، علها تكون أختاً صغيرة لك .. وأيار تصغي واضعة قبضة يدها على خدها .. مذهولة لما سمعت من أمر لم يكن يأتي على البال ولا يمر على خاطر .. فسألتها : مروة اتريدين ولداً أم بنتاً .. قلبت أيار شفيتها ثم قالت لها مروة .. أذن علقي على ما سمعتي .. أجابتها : مهزلة مهزلة .. ولا يعجبني أن أعلق على مثل هذه المواضيع الجوفاء .

مروة مبتشرة : قلت قبل قليل أنها صباح اليوم ذهبت الى المستشفى وأنها تعاني من ألآم الأسنان واللثة كما قلت ذلك ، أذن أستنتج من ذلك أن سراج الدين نجح في إقناعها وأخذها بنفسه الى المستوصف لغرض التلقيح ، ويجب عليك التخفيف من الألم الذي تحس به لأن حالتها النفسية سيئة وكما ترين .

أيار : وماذا تُريديني أن أفعل أحتفل بالطفل الجديد .. اللعنة التي ستحل علينا .

مروة : لا تقولي ذلك أنه لنا سنتبناه حال ولادته وماما هيأت له ما يحتاج منذ اللحظة .

أيار بتذمر : والحمل وظهوره على بطنها متى ستعلمه ؟

مروة : لا تكوني بهذه الأنانية قلت لك إن والدتك المسكينة لم تكن بانتظاره أبداً لكنه رزق الله تعالى .

فنهضت أيار وخرجت الى بيتها وهي مستاءة لما سمعت وحال دخولها البيت

سألها .. مُعاذ .. هل عمتي مروة في البيت لا أفهم شيئاً من الأنكليزي .. أجابته وهي

ماشية .. نعم .. سألتها : ما بك .. أجابته : لا شئ .. لا شئ ، فصعدت السلم ثم دخلت

الى غرفتها جلست على الكرسي ووضعت رأسها على المكتب ، وهي حزينة ثم أخذت تتذكر عندما قالت لها ممازحة .. أكل هذا كرش ، ثم رفعت رأسها وقالت : ولماذا تخفي عليّ ذلك وأنا ابنتها الوحيدة المفروض ان تثق بي ، وتطلعني على كل الأحداث التي تصادفها وتشكو لي إذا اقتضى الأمر.

رن جرس الهاتف فأنت الى الهاتف ماشية بنتأقل متذمرة وبعد ان تنهدت رفعت السماعه قائلة : ألو .. أجابها المتكلم ألو .. قالت : نعم .

باسم : الله ينعم عليكِ .

أنسام : تنهدت ثم قالت : من المتكلم .

باسم : عجباً عليكِ أنسيتي صوتي يا ترى .. تذكرينه الآن ؟

أنسام : ابتسمت وقالت : عمي وهاب أنت .

باسم : كلا أنا لستُ عمك وهاب ... احزري من أكون ؟

أنسام : لا بد ان تكون خالي صباح .

باسم : ضحك وقال : كلا انا لاعمك وهاب ولا خالك صباح .

وبينما هما كذلك دخل أخوها جاسم .. فسألها : من على الهاتف يا أنسام ..

لم تجد بد من أجابته : إلا أن قالت له : ها .. أنها أيار .. ثم جلس لمشاهدة التلفاز ..

حيث كان في مكان قريب من الهاتف استمر الحوار وأنسام لا تستطيع غلق الهاتف .

باسم : كيف حالكِ يا أنسام .. ومشكور هذا الذي ناداكِ بإسمكِ .

أنسام : نعم يا أيار هذا اخي جاسم ها أنتِ حفظتي صوته .

باسم : صراحة يا أنسام ... أنا إرتحت لكِ لأول نظرة .

أنسام : مبتسمة : ماذا ... دمك خفيف يا أيار .

باسم : صدقيني يا أنسام لم يكن إتصال سوء وإنما أردت أن أجرب حظي والحمد لله

.. تعرفت عليكِ .. اتمنى ان نتكلم دائماً يا أنسام .

أنسام : وما أسمها .

باسم : وقد ضحك .. ها .. عفواً .. أسمى باسم الباسم .

أنسام مبتسمة : وداعاً ... الله يسلمك .. واغلقت السماعه .. وهي تكاد تنفجر ضاحكة لولا جلوس أخيها قريبا.

فسألها : سمعتكِ تقولين لها .. الله يسلمكِ ترى سلمت على من .. وقفت أمامه .. وقالت : او .. اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. لقد نسيت انها سلمت عليك .. أجابها وعليها السلام .. ثم دخلت غرفتها مسرعة لكي تخرج الضحكة المخبأة في صدرها .

أيار في المدرسة ويبدو انها أفضل من الأيام الماضية .. يبدو أنها مع هبة وشلتها وهيفاء وانصاف وسبأ قد استعادت بسمتها ، ورضت بالأمر الواقع في البيت ، واليوم أنسام تقصُ قصتها الطريفة المضحكة من وجهة نظرها (كيت وكيت) فضحك كثيرا كثيراً عليها وكل واحدة منهن تصنف عليها ..

نادين : ولم لم تقولي له .. ان الأذن ليست باب القلب وانما العين باب القلب .

أنسام : لم تفتن هذه قلتها له .. ثم أغلقت السماعه بوجهه .

هبة ضاحكة : وكيف ستصل لك الهدايا في الهاتف يا ترى .

هند ضاحكة : لا سوف يغمض عينيه ويقول لها تخيلي هذه الهدية وهي تغمض عينها وتستلمها وهي مغمضة العينين .

أنسام : لا يهم ذلك .. إذا رأيت باسم وأعجبني وتقدم لخطبتي سأوافق رغم أنف الجميع .. أما إذا لا .. ثم فرصة للتسلي معه في أوقات الفراغ ..

رن جرس الهاتف في بيت أنسام .. رفعت السماعه هي .. الو .. أجابها ..

الو مرحبا .. اهلاً ..

باسم : كيف حالك أنسام ؟

أنسام : من أنت ؟

باسم : أنا باسم .

أنسام : ما هذه السخافة .. وبأي حق تتصل بي .. ثم أغلقت السماعه مبتسمة فاتصل مرة أخرى .. رفعت السماعه .. نعم .. قال لها : اسمعيني فقط وماذا تخسرين .

أنسام : انا لا أحب مثل هذه السخافات في الإتصال الأول قلت صدفة .. واليوم تبجحت وبغير حياء تتصل وتسلم علي وبإسمي وكأننا على تعارف .

باسم : دعيني أتكلم رجاءً .

أنسام : بعد أن تنهدت تكلم وأنا أسمع ما تقول لاني وحدي في البيت .

باسم : حسناً أنا أسمى باسم قاطعته .. عرفت هذه الإسطوانة اسمك باسم الباسم وماذا تريد .

أجابها : عفواً صدقيني بأني غير متلاعب وانا إنسان سوي وطالب في إعدادية التجارة وبإمكانك السؤال .

أنسام ضاحكة : عجيب أمرُ هذا الرجل ولماذا أسأل عنك ياترى وهل أنا أعرفك ؟

باسم : انا الآن لوحدي في البيت مثلك .. نحن ثلاثة نعيش في البيت .. والدتي موظفة في المصرف وأختي باسمة طالبة في الجامعة أما والدي فمتوفي .. وان قدرت لي الأحداث ان احبك عن طريق الهاتف .

أنسام ضاحكة : يا أخ باسم أنا لست بعيدة عن هذه التصرفات وأعرف جيداً أمثالك واحبُّ ان اقول لك ان العين هي باب القلب وليس الأذن ... اثبت لي ذلك .. ثم سدت السماعه بوجهه لكنها حقيقة أنشدت كثيراً لكلامه ، لأنه بدأ يحسها بالإهتمام وأن كانت لا تعرفه ولم تره لكنها تعرف صوته جيداً .. وأخذت ترسم صورته في خيالها .. من خلال صوته الدافئ ومشاعره الفياضة .. وأنها لا بد أن تكلم صديقاتها بهذا الأمر المهم ولا بد من أن تسأل عنه ، وخير وسيلة تستخدمها لمعرفة كلامه صحيح أو خطأ هي الإستعانة بهبة بالطبع ، فقالت في دخيلة نفسها أنا مجنونة ، أغلقت السماعه في وجهه على الأقل أنه يسأل عني دائماً في الهاتف ، ويؤنسني في مثل هذا الوقت وانا وحيدة في البيت الى أن يأتي موعد المدرسة في الإتصال القادم ، سأسمح له بالإتصال يومياً نعم نعم .. قد يكون صادقاً في مشاعره وأنه كما قال شخص سوي غير منحرف وأنه رجل بيت ، ثم تذكرت .

خصت مروة يوم الخميس للإستراحة من جدول الإسبوع الثقيل المضني والجلوس في الحديقة مساءً بعض الوقت لتواصل سماع زكية حول أخيها عصام وأختها ولاء أم عابد ، ولم يثر الأمر تساؤل الوالدين فليس بالأمر الغريب على ابنتهما الجلوس مع الخدم ... لأنها تعودت البساطة .

زكية : أصبح لأختي أم عابد ... حياتها الوظيفية والمادية المستقلة وعلاقات متطورة مع زملاء العمل ، وحية مستقلة في بيتها الجديد المليء بأنيق الأثاث في الطابق العلوي الذي تستقبل فيه صديقاتها وتستقبلني عندما أذهب لزيارتها في الأعياد ، وتستقبل زبائننا في غرفة مستقلة خصصتها لمكانة الخياطة ، وكانت كل شهر ترسل لولدها الهدايا بيد إحدى قريبات والده عندما تأتي لتخيط عندها ، وتتمنى أن يأتيها يوم من الأيام ليعيش معها ، ويرعوي ذويه عن تثقيفه السلبي ضدها ، لكن النقطة الأهم هنا والتي أود التطرق إليها كثرة المعجبين ، وأنها كما قلت لك جذابة ومترجلة ولاسيما بعد أن أصبحت موظفة راحت تحاكي آخر الموظفات ، وأنظارها مصوبه الى فلذة كبدها وعيونها لم تنفك عن الدمع كلما رأت طفلاً بعمره .

مروة : ولماذا ... لم تجرب حظها في الزواج من جديد .

زكية مبتسمة : سيأتيك الحديث ... أنستي لا تستعجلي ... المعجبون كُثر من الموظفين ومن المراجعين ... لكنها وان كانت تتمنى ان يجمعها الله تعالى بولدها ولا تتزوج ... شدها أحد المعجبين من المراجعين ألتقى بها في موقع عملها ، وهو ينوي بناء عمارة له ومؤكد يحتاج الى كمية كبيرة من الطابوق وراح يتردد عليها بأسم العمل وحصل منها على رقم نقاله ، وهو برتبة مقدم في الجيش ، وبالتواصل والإتصال حدث نوع من التعارف بينهما ولا سيما وهي تعيش بمفردها في بيتها مما يتيح لها سهولة الرد والتواصل ، لاسيما وبعد ان عرف بأنها تحترف مهنة الخياطة ، فطلب منها ان تخيط ملابس لزوجته وأبنائه الثلاثة ، ليكون ذلك موطيء قدم للتعرف عليها وعلى مكان أقامتها ، وعندما تكتمل الملابس يكافأها بمبلغ مجزي أضعاف المبلغ الذي تطلبه كأجر للخياطة ، والأكثر من ذلك راح يُروج لخياطتها في موقع

عمله ويأتي إليها بالقماش الى بيتها بعد ان تعرّف على عصام الذي يستلم منه القماش مقابل عمولة يتقاضاها ما دامت تكسب الكثير .

مروة : ولكنه متزوج وله أبناء ... فماذا تقصدين ... بالإعجاب هذا ... أهو مجرد تعارف من أجل العمل .

زكية متنهدة : لا ... ليس من أجل العمل ... ولا تنسي بأن زوجها الأول متزوج وله أبناء ، المهم ... تطور هذا التعارف الى إعجاب وتعود شديد بينهما ، حتى بدأ عصام يستقبله في بيته عندما يأتي ليأخذ الملابس ، لاسيما بعد صدمتها الشديدة بهجرة ولدها الى استراليا مع عائلتها .

مروة قاطعتها : ماذا ماذا ؟ هجرة ولدها عابد مع عائلته ؟ وكيف ذلك بالله عليك؟! زكية : نعم هاجروا الى استراليا جميعهم ، لأن ولده الأكبر أنهم بالتجسس لصالح دولة معادية للعراق ، ومع التحقيق الأولي ، وقبل ان تتطور الأحداث وأثبات تورطه في الجريمة وإحتمال ان ينسحب ذلك على والده وبقية أخوانه ، وتصل العقوبة الى ما لا يُحمد عقباه ، انفقوا الغالي والنفيس لإصدار الجوازات والسفر عبر كردستان العراق ، ونسقوا بدهاء الى هذا الأمر وبغضون ثلاثة أيام اصبحت العائلة جميعها في استراليا كلاجئين ، وانقطع حبل الوصل بينها وبين ولدها عابد .

يا أم قتيبة أتق الله وانتِ المؤمنة كيف يضحك عليكِ الشيطان بوسوسته لك كيف تفكرين بقتل فلذة كبدكِ أطرقت أم قتيبة قليلاً ثم قالت : يا أم مروة إنها لمسألة عصبية عليّ .. إذ كيف سيكون وقع الخبر هذا على أسماع أبنائي ماذا سيقولون بالطبع سيقولون هل جنت والدتنا وهي في الأربعين تحمل ... ضحكت ام مروة قائلة : عزيزتي ان كل الذي في بالكِ أوهام وتخيلات وأنا وعبد الرحمن فرحون كثيراً بالطفل الذي سنتبناه حتى أننا اشترينا له كل المستلزمات ، ثم إنها مسألة طبيعية لكل امرأة وما دخل الأولاد بها ترى هل لقحت اللقاح الأول .. أجابتها : بصوت خافت نعم ، أجابتها ام مروة : أه كم أنا مشتاقة لرؤية الطفل كم أحب الإطفال لكني وكما تعرفين

حرمت من هذه النعمة التي يمنُّ بها الله تعالى على عباده .. لكني رغم ذلك احمدُ الله كثيراً على كل حال من الأحوال .. وانا سأستبشر بالطفل الذي يأتي .

عجيب يا سُبُل أن شخصية أيار شخصية معقدة التركيب حتى اني أحر

في تصنيفها من أي نوع هي .. كل يوم على حال ..

سُبُل : بالطبع انها تخوض مرحلة المراهقة أي انها في طور التكوين .

مروة : كلا ياعزيزتي لم ألاحظ أبداً عليها أية علامة من علامات المراهقين أو تصرفاتهم فهي تقلد الشخصيات الأكبر منها بكثير وتتكلم كلام أكبر منها حجماً ، أنها تطبق الكلام الذي تقرأه في الكتب على نفسها وهي تتكلم بلهجة حادة .. محركة يديها كما يفعل أبوها في المرافعة ، أو كما يعالج الطبيب مرضاه والمحير انها تكيفت مع الزميلات اللاتي يختلفن عن شخصيتها .

سُبُل : ماذا ؟؟ تقصدين منحرفات السلوك .

مروة : بالطبع لا أستطيع ان أجزم .. على جميعهن .. إلا ان فيهن واحدة ، وأيار دائماً تحكي لي بطولاتهن الغرامية المسرحية وغير ذلك ما عدا بعض الطالبات مثل انصاف وواحدة جديدة اسمها سبأ .

سُبُل : وماذا ستفعلين الآن معها وأنت التي شجعتها على فتح باب التعارف والصدقة مع الجميع .

مروة : هذا لأنني أردتها ان تعتمد على نفسها في كل الأمور وتخرج من عزلتها والحمدُ لله تم ذلك ولكن .

سُبُل : لا بد من ابعادها عن هبة لأنها مُراهقة فوق التصور في تصرفاتها وكل افعالها ولا تنسي بأن صاحب ساحب .

مروة : ها ... ماذا تقصدين انها تسحبها الى سوئها .

سُبُل : ربما ذلك يا مروة .. احذريها .

مرورة : لا هذا مستحيل بل هو من سابع المستحيلات .. أنا أعرف أيار جيداً على الرغم من الغرور والكبرياء والعجرفة التي تتصف بها .. إلا انها محال أن تكن مثلها .. لأن هبة في بيئة سيئة ومهملة .

مرورة : بالعكس أيار جيدة جداً فأنها تقرأ الكتب الخارجية وتحضر دروسها بجد وتحاول .. تدوين خلجات نفسها ونفثاتها على الورق .
سُبل مبتسمة : أكل هذه الأشياء تقوم بها ، وقلقة عليها .

مرورة : من الرائع انها تثق بي وتحادثني عن كل شيء ولدي احساس قوي بأنها ستتهي علاقتها بهبة يوماً ما ، لأنني كرهت الحديث عنها ، لكن خوفي من ان توقع أيار في مصيبة دون ان تنتبه إليها وهذه مسألة تُحيرني. سُبل : لا داعي للقلق عزيزتي دعيتها تختلط أكثر بالناس ولتميز هي بنفسها الخطأ من الصواب هذا أفضل من منعها وأبعادها عنهن وبالنهاية ستغربل كل زميلاتنا واكيد ستختار من تتوافق معها بالفكر والخلق والعاطفة .

الجزء العشرون

جالسة في الصالة واضعة رجل على رجل تشاهد التلفاز لكنها جالسة جسداً أمام التلفاز وعقلاً دائم التفكير بأمر العائلة ثم اخذت تكلم نفسها ، لم لا أتكلم مع والدتي بخصوص الحمل نعم لا بد ان أكلمها وأقول لها لا تتهربي مني يا أمي من الإجابة عن أسألتني لأنني عرفت كل المسألة من مروة ، وليس من العدل ولا الإنصاف ان تخفي عليّ وأنا أبتنك الوحيدة ويجب أن أكون مستودع أسرارك وهمومك وإلا فأنا لست أبتنك ، وبينما هي على هذه الحال .. أتت أمها .. ثم جلست لمشاهدة التلفاز أيضاً .. لكن يبدو عليها الضيق والضجر .. قالت أيار في نفسها وهي تصوب نظراتها بين الحين والآخر لها وهي بالطبع تحسُّ منها ذلك .. حتى سألتها وهي تتظاهر بإبتسامة خفيفة .. ما بك ؟ أحسُّ إنك تخفين وراء نظراتك هذه .. كلام .. ترى ما هو .

أيار : أ.. ثم نهضت وجلست بالقرب منها الصراحة يا أمي فعلاً لدي كلام أخفيه وراء نظراتي لك كما قلتي.

أميمة : ماذا حدث يا أيار قولي .

أيار : تنهدت ثم اعتذلت في جلستها كعادتها عندما تريد الحديث بموضوع مهم .. أنا حائرة .. بل على درجة من الحيرة تتولد الكلمات في داخلي .. هجاءً .. وأطراءً .. تنفجر ذاتي على ذاتي .. أريد أن أكلمك .. لكن عندما يصل الكلام الى فمي ينتحر قبل خروجه .

الأم وقد بدت عليها علامات الإرتباك والقلق .. لم أفهم شيئاً من كلامك .. انه متشنتت .. لكن .. لما تنتحر الكلمات .. على لسانك حال البوح بها إلي .. بُنيّتي .. أعلمني أنك ابنتي الوحيدة التي أكن إليها حباً كبيراً .. كبير جداً .. حتى يتجاوز حبي لنفسي لذا .. أعلمني أن صدري رحب أمامك .. وكُلّي أذان صاغية لسماح أي كلمة تتفوهين بها .. وأن كانت قاسية على الأسماع ، لذلك أريدك الآن ان تكوني شجاعة ، وان تخرجي كل الكلام الذي أراه محبوساً في نظراتك .. ولك مني الأمان .. فأحست أيار بالإرتياح كثيراً وكان حملاً كبيراً زال عن فكرها وكاهاها أبتسمت ثم قالت : عديني .. بأن

تكوني صادقة في كل كلامكٍ معي .. استغربت الأم .. وأحست أحساساً كبيراً بأنها عرفت حقيقة الأمر .. لذا قالت : بالطبع .. أعدك بذلك .. والأيام ستأكد .

أيار : أتذكرين يا أمي عندما سألتكِ عن غرابة الأحداث التي تجري في البيت ، لماذا؟ كذبتِ علي وقتلي أنها أحداث عابرة واتهمتي بالظن السيء ، أشدت كلامها مع والدتها وإزداد حدة والأم صامته تسمع فقط .. وفي هذه الأجواء دخل معاذ وقتيبة وقد سمعا كل ما قالت لكنهما بقيا واقفين قرب الباب ويدهما وراء ظهريهما ، وهي مستمرة في حديثها الإنفعالي .. ألسْتُ انا أبنتكِ ها .. إنطقي يا أمي .. ألسْتُ إبنتكِ .. أليس لي الحق بمعرفة ما يحدث لكِ .. ألسْتُ أنا أحق بمعرفة مسألة الحمل .. من الأخريات .. وددت لو اني عرفتُه منكٍ عندما سألتكِ سابقاً وكذبتني علي .. ترى وهل ترين في الأمر من حرج .. وإذا كان كذلك .. لماذا أوقعت نفسك فيه وبعد ذلك تريدين التخلص منه ها ؟ قولي .. تريدين التخلص منه .. لمَ هذه الزيادة ؟ والزيادة كالتقصان يا أمي الزيادة كالتقصان .. لماذا ؟ لقد سببتني لي أياماً عصيبة عشتها وأنا أبحث عن حقيقة الأحداث الغريبة التي تجري في البيت .. حتى دراستي لم انتبه لها .. دائماً تريني شاردة الذهن .. سارحة البال .. أفكر .. بهذا الشخص الذي تهددين بقتله .. وبابا المسكين .. يحاول اقناعكِ .. وعدم قتله .. أتعرفين كم سبب لي من الأذى كلامكِ هذا ؟ ثم ابتسمت مستهزئة .. وفي نهاية مطافي وبحثي عن اسمه .. وجريمته النكراء .. التي دفعتكِ الى النيل منه اجده جنيناً في بطنكِ .. يا لها .. من مهزلة .. المجرم الذي أبحث عنه .. أجده في بطن أمي .. ثم وضعت يدها على خدها قائلة : تُرى وهل حضرتي له اسماً جميلاً يتناسق مع أسماء الأربعة (وهي تجر الكلام جرأً) حال انتهاء حديثها تنهدت الأم قائلة : كفاك كفاك .

أيار : لم اكنف بعد .. لدي كلام كثير وأهات كثيرة سببتها لي .

معاذ مستغرباً داخلاً على الخط : هل صحيح ما سمعنا يا أمي .

قتيبة مبتسماً متنهداً : ولماذا لم تخبرينا يا غالية... والله أنا مسرور ... ويجب عليك الإعتناء بصحتك ويجب علينا ان نعتني بك ولا تتأثري بأراء الآخرين .

أيار : مسرور ... وعلى ماذا ؟

قتيبة : مسرور من رزق السماء لعائلتنا التي ستزداد عنصراً جديداً ؟

معاذ مماًزحاً : اتمنى ان يكون ولداً ... لأعلمه الموسيقى والرسم .

الأم مبتسمة : الحمد لله ... على هدية السماء .

ام سالم مطلة عليهم : هل أجب لكم الشاي .

قتيبة : لا بل ... فرقي العصير .

أم سالم مبتسمة : والله المناسبة تستحق .

أيار مستغربة : ماذا ماذا وما هي المناسبة يا أم سالم التي تستحق ؟

أم سالم : أنا أعرف بحمل والدتك ... يسر الله تعالى ولادتها .

أيار متوترة : الله ... حتى الغرباء يعرفون بأسرارك ونحن ابناؤك وكأننا غرباء لا

نعرف عنك شيئاً والمشكلة الحمل بادي عليك فكيف لك اخفاء ذلك علينا .

أم سالم متأثرة مستأننة : اسمحوا لي إنصرفت الى المطبخ .

أميمة : أعذروني لأنني لم اخبركم ... لكنني كنت أنتظر الوقت المناسب .

قتيبة مبتسماً : لا يا غالية انت اعذرينا ... فلا يحق لنا ان نتدخل بهذا الامر قيد أنملة

، لأنك تحملين نفسك أكثر من طاقتك ، فالأمر لا يستوجب كل هذا العناء والقلق والآن

دعينا نتهياً لإستقبال الطفل الجديد .

أيار مبتسمة بسخرية موجهة كلامها لوالدتها : نعم لابد ان نتهياً لإستقبال الطفل

الجديد أخبريهم نعم أخبريهم ... كيف سنتهيئين لإستقبال الطفل الجديد ؟

الأم بتوتر : كفاك هراء يا أيار ... لقد تحملتِك كثيرا ... فلا تضغطي على أعصابي.

قتيبة : اتركوا الأمر الآن أخذ منا الجوع مأخذه هيا لتتناول الغداء هيا انهضوا .

أميمة شعرت بالتعب ورقدت في الفراش وسراج الدين جالس على الكرسي

قرب سريرها .. يبذل الكمادات على جبينها دون ان يخبر ابناءها ، فسألها : ما الأمر

حبيبتي .. تركتك في الصباح على أحسن حال ما الذي اصابك ؟ اجابته : وهي شاحبة

الوجه ذابلة الرموش خافتة الصوت ، أن أبناي عرفوا بمسألة الحمل ولا سيما أيار

أسلوبها فضيع كانت تتكلم معي وكأنها القاضي في المحكمة وأنا المجرم أمامها وهي تكلمني بهذه الطريقة (كيت وكيت) ، اجابها مبتسماً : الحمدُ لله ... وأخيراً عرف الجميع فلا داعي للقلق ، اسمحي لي أن أقول لك بانك انتِ تهولي المسائل .. وتعظمينها .. يا إلهي إنها مسألة عادية وطبيعية ، أجابته: لا تنس ان عمري في الأربعين .. أجابها : ولو كُنْتِ في الخمسين فلا مبرر لعملكِ هذا أنت الآن امرأة حامل واقتنعتي بأنه رزق الله سبحانه وتعالى وسوف لن تجهضيه ما دام رزقاً من الله سوف تبقى في بطنكِ الى الولادة أليس كذلك .. اجابته : أنا أعرف بكل الأحكام الشرعية التي ذكرتها لي ، اجابها : لا أقصد شيئاً مما فهمتي يا أميمة .. وأنا أعرف بما تقصدينه لكني أقصد التنبيه فقط لا غير ، فأستمر في كلامه وعند ولادتكِ الطفل في نهاية الصورة التي كُنْتِ رسمتها لك في حالة عدم معرفة الأولاد بذلك .. تصوري انهم لا يعرفون بمسألة الحمل ولم ينتبه أحدهم لذلك فحال الولادة .. ودخولكِ البيت وانتِ تحملين طفلاً صغيراً .. تُرى .. بالله عليكِ من منهم يصدق ان الطفل هو لكِ بالطبع سينكرون انه اخ لهم حتى لو عاش معهم ... وأولهم أيار .. ستصرخ أمام الجميع أنه لقيط .. وهي محقة بذلك .. إذ لم تكن تعرف ان والدتها حامل .. من أين أتى هذا الطفل .. وبذلك تعم مشكلة على رأس الطفل منذ ولادته وينشأون كارهين له ثم قال : مستطرداً .. وما لنا بهذه المشاكل .. لماذا لا نتلافها من البداية .. أطرقت قليلاً ثم قالت : انت محق يا سراج الدين .

سراج الدين مبتسماً : اذن أيار بشجاعتها حلت هذه المسألة دونما ان تكلفي انتِ نفسكِ بحلها أمام الجميع وها هم قد عرفوا والحمد لله .

أميمة : ولكن ... حاكمتني ... بإسلوب مقرف ... فرفعت صوتي عليها لولا قتيبة بدد توترتي ، لا سيما توجيهها الاسئلة بإسلوب غير مؤدب ... وقد اخرجت ام سالم .

سراج الدين : لهم الحق ... لأنك أخفيتي عليهم مسألة مهمة هم جزء منها ، ولكن لم تسردي لي رأي أنس عندما سمع الخبر ؟ ماذا قال هل فرح ؟

أميمة : أوه ... يا سراج ... عندما دار الحديث .. كان أنس في المدرسة ... لكني سأخبره غداً ان شاء وعلى انفراد وليس أمام أخوته تجنباً للتدخلات واللوم المزعج ... ولا سيما من أيار .

سراج الدين مبتسماً : أحرار في أمرك ... أراك تتمسكين وكأنك بسيطة مسكينة وفي حقيقتك لست امرأة بسيطة ولا مسكينة وسرعان ما تثورين متعصبة ، فكيف تماكنت أعصابك يا ترى وسط هذا الجو المشحون من العتب واللوم والتدخل ...

أميمة : والله في البداية شعرت بالخجل ... من عتبهم ولومهم ... ليس لمسألة إخفاء الخبر لكني شعرت بالتوتر ولا أعرف كيف تحملتُ توجيه التهم من أيار، وكأني مجرم أما محكمتها والمضحك المبكي انها كانت تتصورني مجرمة وقاتلة (كيت وكيت) .

الجزء الحادي والعشرون

وأنصاف لا تزال تطبق سياسة التقريب بين أيار وسبأ بمساعدة **هيفاء** ، من تعارف بسيط الى تحية وسؤال وتواصل وحديث ونقاش في المحاضرات ، بالشكل الذي أثار إنتباه وعدم رضا **هبة** (وشلتها) على هذا التواصل مع سبأ لأنها تناصبهنَّ العداء بنظراتها وابتسامتها الماكرة الساخرة بحسب زعم **هبة** ، وإنه على أيار أن لا تطور علاقتها بها والأفضل ان تقطعها .

هبة : لابد ان نفكر بطريقة تبعد أيار عن سبأ ... لأنني لا أطيقها ... وهي تضحك معها وكأنها ترسل لنا رسالة إيمائية موحية الى اننا أصبحنا من الماضي .

لينا : أطلبي منها ان تقطع علاقتها بها .

هبة : لا .. لا ... وكأنك لا تعرفين أيار وعنادها ... لابد من فكرة جهنمية للإيقاع بينهما ... ولاحظي لاحظي الآن بعد ان تلتفتي خلفك كيف ان سبأ تقشر البرتقال وتضعه بيد أيار وأنصاف والبشر يعلو وجوههن ، وبينهما البلهاء **هيفاء** ، أيار تأكل وتبتسم وهي تنظر بإمعان الى فمها وهي تتكلم يا لدهاءها ، جعلت أيار تلين لها بهذه الوقت القياسي الضيق ، ثم أن أيار كانت تقول لي دائماً كما تعرفين بأنها لا تحب الأكل البتة في المدرسة حفاظاً على قوامها المتوسط الذي يعجبها ، ولكنها الآن تأكل وكلها سعادة ... ولكن ... سترين .

أنسام : وما هي خطتك ؟

هبة : تتكون الخطة من مجموعة من الفقرات يضيق الوقت عن ذكرها ولكن أحتاج الى اجتماع لمناقشة بنودها أملاً في ان تكتمل ، المهم الآن الإقتراب والتتصت الى أحاديثهن .

نادين : وهو الأفضل حتى نتمكن من الإيقاع بالكريهه سبأ .

سبأ تسأل أيار : هل تحبين البرتقال ؟ أنا أحبه كثيراً وهو فاكهتي المفضلة .

أيار مبتسمة : علاقة تعارف بيني وبينه وليس علاقة عشق مثلك فتعالت ضحكاتها على هذه العبارة ولاسيما هيفاء التي تضحك على أقل كلمة بالفطرة وليس بالتكلف أو القصد ... مما جعل الخصوم يجن جنونهم .

سبأ ضاحكة : ولماذا ... تأكلين ... وعلاقتك فقط ... للتعارف مع البرتقال ...؟؟؟

أيار مبتسمة : إكراماً ... لك عزيزتي سبأ ... لأنك بذلتي جهداً في تقشيره ، قدمتي لي ضيافة ... ولم أستطع رفض الضيافة ... أيضاً ... فضلاً عن رسائلك الجميلة الموجهة على (الواتس أب) ومشاركاتك وتعليقاتك الجميلة الرائعة على الفيس بوك .
سبأ : أشكرك عزيزتي ... كلامك أثلج صدري ... وأنا كذلك تعجبني مشاركاتك وتعليقاتك على (الفيس بوك) .

هيفاء مبتسمة : وكما يقول المثل خبز وملح .

أنصاف ضاحكة : والله قصدك صحيح ... وان اختلفت المفردات ... يا هيفاء وأنت ببساطتك وطيبتك رائعة .

سبأ متنهدة مبتسمة : أنا سعيدة بصحبتكم ... والله ... وسعيدة بأيار كثيراً .

أيار : وأنا أيضاً سعيدة ... وأحمد الله على صحبتكم .

هيفاء تهمس بأذن انصاف بعد إنتهاء وقت الإستراحة معاتبة : لو كنت أخذتي برأيي وتناولتي إحدى البرتقالات منها وقسمتها الى نصفين وأعطيتي كل قسم لواحدة كما تقول جدتي فأنها الوصفة الفعالة للتقريب بينهما .

مروة : أتعرفين يا زكية رحنت انتظر الخميس بشوق لأقضي ساعة الإستراحة هذه معك لنكمل ما وقفنا عنده .

زكية : نعم أنستي وصلنا الى حيث اصبح عابد لاجئاً في استراليا بعيد عن أنظارها تحسب عمره وتخليه دون ان تعرف كيف أصبح شكله ، وبالمقابل تطور الإعجاب بالمقدم البغدادي طاهر الذي أصبح صديق العائلة وعندما يأتي لزيارتهم يأتي إليهم بالهدايا ، التي بالطبع يستلمها نيابة عنها اخي عصام ، الى أن صارحها بإعجابه وطرح عليها فكرة الإرتباط في بيتها ، على ان يكون الأمر سراً ولا يصل الى زوجته

ام أبنائه ، وعلى الرغم من إعجابها بشخصه المهيب ومركزه الذي تتطلع إليه الأعين ، طلبت منه مهلة للتفكير إلا أن **عصام** جن جنونه وأعتبر طلبها هذا تبطر على النعمة التي حلت عليها ، والتي ستقلها بحسب زعمه من الحضيض الى القمة ، وانه لم يكن يحلم ولا لمجرد الحلم بهذا النسب الذي سيغبطه العالم بأسره عليه ، ولاسيما وقد تعرف عليه عن كثب ، ويرى ضرورة التشبث به بالأيدي والأسنان .

مروة : أفهم شعورها ... تريد الهروب من تفكيرها بولدها **عابد** لاسيما بعد ان فقدت الأمل بمجيئه إليها ، ولعله ينسيها مأسيتها ... المسكينة جربت حظها العاثر ... وكما يقولون الجولة الثالثة ثبات .

زكية : وتحت وطأة تأثير الإعجاب بجاذبيته ووسامته ومركزة وتأثير وذهول وضغط **عصام** ، قبلت طلبه وتمت الخطبة على ان يتم الزواج بعد عام من الخطبة لظروف متعلقة بأكمال بناء عمارته التي سيسكن هو وزوجته الجديدة فيها ، والتي لا تعرف مكانها حتى ، ولا حتى مكان عمله ، إلا إن العلاقة تطورت من اعجاب الى تجاذب روحي ، وأصبح كأحد أفراد العائلة ينتقل في أرجاء المنزل في أي مكان أراد في بيت **عصام** أو بيته المؤقت الذي سيعيش فيه في الطابق العلوي ، وشاعت بين الناس هذه البشارة وهذا التحول الذي يعده **عصام** معجزة وانطلاقة صاروخية في فضاء الحياة ، وبدأوا يخططون للأيام القادمة وتبديل كل الأثاث بأخر جديد وعلى ذوقه وبما ان المنزل **لولاء** فأكيد هي التي تدفع ، وانه سيعوضها بدل هذه المبالغ نهاية العام ، عندما يكتمل بناء العمارة ، وما عليها سوى تسجيل قائمة بالمصروفات وكل ما تنفق من حاجيات لمنزلهما الجديد .

مروة : المسكينة ... لقد تعبت في حياتها ولعل القادم خير .

زكية : وكل يوم خميس تخرج معه للتنزه ولا تعود حتى الفجر .. ويكمل هو ليلته في أمان وهدوء ودعه وإستقرار في غرفة إستقبال **عصام** ، وعندما يستيقظ يصعد الى الأعلى ليتناول وجبة الفطور ، ومنها يخرج الى عمله ، وكثير من الأيام يأتي بعد عمله إليها مباشرة ، ويجد ملابسه جاهزة ، وقد أشترت له كل ما يلزمه من ملابس

منزلية ، وكل ما يلزم من تجهيزات الفرح ، ولأنها أحبته بكل جوارحها وصدقته بكل طروحاته وبأسلوبه المهدب المقنع ، استمرت الخطبة على ذات الحال الى ان وصلت السنة التي وثقت بمئات الصور ومئات الأحداث ومئات النزاهة ، وكان بين زواجهما قاب قوسين أو أدنى ، وفي اليوم الموعود المرتقب لعقد القران الذي كنا ننتظره بفارغ الصبر ونحن مجتمعون في الطابق العلوي وهي متزينة بأنيق الملابس وبثقل المكياج انتظرناه الى ان تكسرت رموشنا من النعاس ، لكن للأسف كل ما تقدم كان نسجاً من الخيال ودوراً تمثيلاً من رجل مخادع زنديق ، لم يأت بحسب الموعد مكتفياً برسالة نصية على الواتس آب مفادها : أشكرك على هذه النزهة الرائعة ... لقد نقلوني الى بغداد قرب أهلي ... وداعاً .

الجزء الثاني والعشرون

وبينما كانت أيار جالسة على كرسيها في الصف تراجع أحد الدروس أشارت إليها **أنصاف** وهي تحمل مجموعة من الروايات والكتب وقالت لها : ما هو رأيك بهذه المجموعة التي رشحتها لي سبأ لقراءتها في العطلة ان شاء الله تعالى .

أيار تناولت الكتب وراحت تقرأ العناوين : والله اختيار موفق ... ولا سيما روايات الأدبية الرائعة أجاثا كريستي ، التي تجعلك تعيشين الأحداث الروائية وكأنك تشاهدين فلماً يعرض أمامك ، وكذلك قصص وليم شكسبير ، وبالذات قصة يوليوس قيصر ... فأنها مؤثرة جداً .

سبأ قاطعتها ملتفتة قادمة صوبها مبتسمة : لا أيار أرجوك لا تفصحي لها عن مضمون القصة ، لنلا يموت عنصر التشويق ولا تشعر بلذة المفاجأة عندما تصل الى نهاية القصة .

أيار مبتسمة : أتصددين بروتس ... الذي قتل القيصر .

سبأ ضاحكة : ها أنت أفصحت عن مضمون القصة .

أنصاف : لم افهم ... بهذه البساطة حتى وان تكلمتم بالأسماء الى أن أقرأها بنفسي.

أيار : فيها خيانه صديق ... والعياذ بالله .

سبأ : طعن الملك ... وتفاجأ فيه ... لأنه لم يكن يتوقع ان تأتيه الطعنة من صديق لأنه يثق به ثقة عمياء ، لذلك على الإنسان (بالإشارة الى هبة وشلتها) أن ينتبه الى الخطر المحقق حوله ولا ينساق خلف الضحك ولا يمشي كالأعشى ويتبع الأصوات ، ولا يقدس التقليد البيغائي ، فكثير من الأشخاص بلاء ترى صورهم أدمية وتطلعاتهم انعامية لا رادع لديهم من عقل ولا وازع من نقل وكما يقول الحكماء حياتهم حياة بهائم وعيشهم عيش سوائم ، فأنتبهي أرجوك من بروتس جديد قد يعيد نفسه من جديد .

أيار وقد فكت شفرة الحديث لكنها تغاضت : ومن تصددين بروتس جديد ... لا تخشي ... عليّ وأهتمي بنفسك ، فأنا قوية ولا أحب الإتكاء على أحد ... ثم أنا الآن في ساحة ولدي عيون أرى فيها وأقارن .

سبأ : لالا تهتمي ... فأنا أحب الكتب ... وكلما رأيتها أنساق خلفها ... فهكذا تربيت ... في بيئة كتب .

أيار مبتسمة : رائع ... وما هو آخر كتاب قرأته ...؟

سبأ : كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور فهو كتاب رائع عن قصص الأنبياء ، وأنت ما هو عنوان آخر كتاب قرأته ؟

أيار : كتاب القانون الدولي ؟

سبأ : غريب ... ألا ترين بأنه كتاب كبير على مثل عمرك ؟

أيار : والله غريب وعجيب رأيك ... ألم تسمعي بالنوايا وحفاظ القرآن الكريم وهم في عمر الطفولة ، فكيف تستكثرين على عقلي وأنا في الصف السادس الإعدادي قراءة كتاب يمكن عده من الكتب التاريخية .

سبأ : والله صحيح ... لكنني أقصد ... الفتاة دائماً تجنح الى قراءة الكتب الرومانسية ولا سيما في مجال الأب ، ولا تكثرني هذا رأيي وليس بالضرورة ، ان يتوافق مع الآخرين .

أيار مبتسمة : لا بالعكس أنا أعشق الحديث عن الكتب ... لكن الآن دعينا نتهياً للدرس انتهت الفرصة .

باسم : مرحبا كيف حالكِ حبيبتي أنسام أنا (باسم الباسم) .

أنسام : أهلاً أيار اشتقت لكِ كيف حالكِ ودروسك .

باسم ضاحكاً : ترى من صديقتكِ أيار .. أهي معك طالبة في الصف نفسه .

أنسام : نعم يا أيار .. وجارتي أيضاً .

باسم ضاحكاً : أبقى طويلاً على هذا الحال وأنتِ تؤنثيني هكذا .

أنسام مبتسمة : هكذا .. للضرورة أحكام .

باسم : : أ ... نسيت يا أنسام .

أنسام : ماذا نسيتِ يا ترى؟؟ .

باسم : أتصدقين؟؟؟

أنسام : بالطبع .. أيار .. أصدق أي كلمة ..

باسم : أنت ابنة أبان طارق .. وأخوك جاسم .. أليس كذلك ..

أنسام اندهشت كثيراً لكنها تماكنت نفسها لأن العائلة جالسة قريبا حيث الهاتف الارضي لمشاهدة التلفاز استمرت .. كيف يا ترى تعرفتي على طريقة حل التمارين الصعبة هذه ؟

باسم : تنهد .. انها حقاً صعبة .. هذا لكي اثبت لك حسن سريرتي .

أنسام : الحمد لله ... الحمد لله كثيراً .. لقد اطمأنتت ..

باسم : وان رقم داركم هو 32 / 125

أنسام وقد تغير وجهها : أيار ... لكن الآن .. الى اللقاء .. فوضعت أنسام السماعة وهي لا تزال مذهوله فقبل ان تلتفت ، رن جرس الهاتف مباشرة فوثبت بسرعة لئلا يكون هو .. لكنها أيار الحقيقية هذه المرة

أيار : مرحبا أنسام كيف حالك؟؟

أنسام : أهلاً وسهلاً ..

أيار : ما بك يا أنسام انا أيار .

أنسام : عفواً أختي الرقم خطأ الرقم خطأ ثم أغلقت السماعة .

بقيت أيار رافعة السماعة وهي مستغربة كثيراً لفلعتها هذه .. ثم قالت : لأتصل بها مرة أخرى .. فضربت على نصف الأرقام .. ثم وضعت السماعة بقوة .. قائلة .. غير معقول انها لا تعرف صوتي .. والمشكلة تقول : لي الرقم خطأ أختي وهل سألتها أنا سؤالاً ، مجرد اني ألقيت التحية فقط لكنها يبدو عليها الإرتباك إلا اني مستعدة لإعطائها حل تمارين الإنكليزي تحضير الغد ، ستوبخها المدرسة إذا لم تحصل على حل كيف ذلك والدرس الأول هو الإنكليزي وغدا صباحاً .. ثم قالت أوه سُحَقاً لها هي التي فعلت ذلك ولست أنا وغداً ستظهر حقيقة الأمور ، كم مرة قلت لها اشترى نقالاً لكنها كصاحبيتها ترفع طاسة رثاء الحال ، لكن عجيب غريب ما فعلت .. ولكن لماذا .. حتى ان عائلتها يعرفوني صديقتها .. وجارتها أيضاً .. فلم تصبر أيار

على ذلك قامت بالإتصال بنادين أحد اعضاء الشلة لعلها تعرف شيئاً عما حدث ..
فإتصلت على نقالها لأنه أسرع من الأرضي فقالت : مرحبا نادين .

أيار : الموضوع هو اني قمت بالإتصال حتى أعطي أنسام التمارين التي حلتها عمتي
مروة فعندما قمت بالإتصال حدث (كيت وكيت) والصراحة أستأثت كثيراً لهذا العمل
قلت اتصل بك لعلك تعرفين مبرراً لهذا .

نادين ضاحكة : غريب أمرك وهل نسيت أن أنسام تكلم الباسم على انه أيار أنسيتي
ذلك .. ربما كانت تكلمه ولمدة طويلة على انه أنت وبحسب تصوري انها حالما
وضعت السماعة كان اتصالك بها ، فأسرعت هي لتتلافى الأمر وتحول دون حدوث
أي مشكلة اغلقت الهاتف على أنك على معرفة بذلك أليس كذلك ؟

أيار مبتسمة : بحق السماء لقد نسيت أما الآن فقد عذرتها .. وشكراً جزيلاً وأسفة على
الأزعاج .

انهت أيار الإتصال وهي مبتسمة ثم قالت حقاً دماغي نسي مثل هذه الأشياء
إذا سكان بيتنا دائم المشاكل والألغاز وأنا مكلفة دائماً بحل هذه الألغاز ، ثم توجهت الى
غرفتها .. تقلب الكتب .. ثم تذكرت كلام مدرسة الكيمياء عندما تقول لها : مستواك
ركيك في الكيمياء هذا العام يا أيار .. كنت في العام السابق طالبة متفوقة بحق لكن
للأسف هذه السنة مستواك لا يبيض الوجه ، ثم قالت وهي تنظر الى كتاب الكيمياء
قبحك الله وقبح مدرّستك .. عجباً على هؤلاء القوم .. كنت مكتئبة عابسة الوجه سابقاً
.. يقولون لي كُنْتِ أفضل أما الآن فأنا ضاحكة الوجه يقولون تحولتي الى الأسوء ، كم
هم أناس جُهلاء سُذج حتى البسمة يعتبرونها إنحرافاً منذ هذه اللحظة سأساند مُعَاذ في
أرائه الديمقراطية المتحضرة في الغناء والموسيقى والرقص حتى وحقيقة الأنغام
الهادئة لها صدى روعي عميق في النفس ...

أخذت بيده وقالت تعال ياعمي اجلس حتى أطلعك على آخر أخبار مروة
الأوجي فجلس منذر وهو يبتسم فرحاً بالأخبار قبل ان يسمعها .. فقال : هيا عزيزتي
فريال اسرعي بتفريغ شريط الكاسيت المسجل .. فريال ضاحكة : أولاً الأخبار العلمية

جاءت مراسلتنا في جامعة البصرة بأن مروة الأوجي تحرز أعلى الدرجات على أقرانها في مرحلة الماجستير ، ويتنبأ لها منذ هذه اللحظة الحصول على درجة الامتياز كعادتها وثانياً : إن صديقتها سُبُل تقضي طوال الوقت مع صديقتها مروة وهي بهذا تنافسك في حب خالتي مروة، على الرغم من انها في الكلية الطبية المرحلة الخامسة إلا ان الفايبر والواتس أب تجعلانها الأقرب الى روحها، وثالثاً وهو الأهم فأريده مفاجأة .

منذر بحماس : ماذا ؟ مفاجأة ..؟

فريال : نعم مفاجأة سعيدة لأنني أحبُ المفاجآت ولا تصر عليّ لا أقول حتى أسمع أخبارك العلمية والعملية .

منذر : أما العلمية فهي جيدة جداً ، وكما تعرفين بأني تخرجت من كلية التربية الرياضية جامعة البصرة وكان أبواب السماء فُتحت لي من كثرة دُعائي ، وقد إنقبت صدفة **بخالك نائل** في محطة البنزين عندما كنت في سيارتي هناك ، فرأيتَه حائراً وسيارته عاطلة وقد أركنها جانباً في المحطة ، فأسرعت إليه وقدمت له المساعدة وسحبت سيارته ثم اوصلته الى بيته ، وكُدت أطيُرُ من الفرح وهو يقدم لي شكره وامتنانه ، اضافة لذلك قلتُ له لا تتعب نفسك بخصوص السيارة فقدمت له مفاتيح سيارتي لكنه شكرني ورفض اخذ المفاتيح .. ثم قلتُ له : اذن سيارتك سأحضرها بنفسي لك الى الشركة وإطمئن لأن المصلح صديقي وهو أمين فكان ممتناً لي كثيراً .. وانا قلبي يخفق لأرضائه بدل 72 ضربة - 142 ضربة .. وهذه هي أخباري والحمدُ لله .. فضحكت وهي فرحة بهذه الأخبار وقالت : يا عمي العزيز .. المهم ان تكسب رضا **خالتي وجدي** قبل كل شيء ، أما الأخبار العملية فلم أجد وظيفة إلى الآن علماً بأني قدمت على وظائف عديدة ولم أفلح لكني وكما تعرفين متريث ولا أسبق الأحداث .. اسير خطوة خطوة حتى اصل الى الهدف المنشود .. ها .. ألم تكفك هذه الأخبار .. أجابته وهي مبتسمة .. كلا بالطبع انها مرضية لكن الوظيفة مهمة جداً ويجب ان تعمل أي شيء المهم وظيفة .

منذر : أذن أطلقني لسانك ولا تُقيديه أم نسيتِ المفاجأة السعيدة .

فريال : ها .. المفاجأة .. لا.. لا.. لا لم انس .. اسمع يا عمي **منذر** نحن الآن في المرحلة الثانية ما دمنا قد تجاوزنا المرحلة الأولى بسلام ، الآن نستعد للمرحلة الثانية .

منذر بتضجر : ادخلي في الموضوع بلا مقدمات أرجوك .

فريال : وكيف تقول انا متريث وانت بكل هذه العجلة .. المهم .. المرحلة الثانية انك لابد ان تلتقي بخالتي أي تصطدم بها .. حتى تنتبه إليك .

منذر : وكيف اصطدم بها .. اتقصدين أدهسها في السيارة ؟ ثم ضحك .. يا عزيزتي تكلمي بوضوح اكثر وبلا تعابير غير مفهومة انت لا تُشعرين بالنار المتأججة في قلبي كالبركان الهائج ولا أعرف ماذا أفعل .

فريال : أنا معك في كل لحظة .. أقصد ان نلتقي بها .. وتحسسها بالحب .. قبل ان يدخل أحد الى قلبها .. وأنت تعرف جاذبيتها وهي كالشمس وسط الظلام ولا تنس انها في الجامعة .

منذر منفعلًا : ماذا .. أي أحد هذا أقتله وأشرب دمه .

فريال ضاحكة : وهل ستقبل فيك وانت قاتل مجرم .. لا أريد الإطالة عليك .. والمماطلة في ذكر المفاجأة جاءت مراسلتي بخبر رائع بأن مروة ستذهب مع الكلية سفره وقد اقنعوها بالقوة واكيد سترافقها صديقتها سبل ستأتي من كليتها في المستشفى التعليمي لترافق مروة في يوم رائع كالسفرة الجامعية .

منذر ضاحكاً : سفرة ... أهذه هي المفاجأة .

فريال : لا تستبعد الأمور .. ان السفرة .. سفتح لك باب اللقاء **بمروة الأوجي** وتتعرف على صديقتها **سُبل** أيضاً .. أي أنا سأعرف السفرة في أي مكان ، أما أنت ستلتقي بخالتي مروة في مكان السفرة عن طريق الصدفة وبإلها من صدفة جميلة ستجمعكم وأرجوك لا تنس خذ آلة التصوير معك ، وبالطبع سترحب بك لانها صدفة وستجتمع معها وصديقتها على طاولة حولها أكثر من كرسيين ، ولكن المهم ان تحفظ الدور يجب ان تكون أمامها وهي تراك صدفة وتسلم عليك لأنها رائعة تسلم على الجميع ثم أنك قريبها وليس غريباً ، ففتفاجأ أنت بهذه المناسبة وتدعوها وصديقتها الى شرب

العصير بهذه المناسبة .. فتكلم عن نفسك وأولاً : عن مستواك العلمي وكيف تسهر عند الامتحانات ، وغير ذلك من الكلام الذي يلفت الإنتباه وكذلك أسألها عن نفسها وعن الصداقة وصولاً الى الحب ثم ضحكت قائلة : إذا لم تستطع لفت انتباهها لحبك فتأكد انك لن تحصل عليها .. وستخسرهما الى الأبد .. هي تتكلم وهو يستمع وكله أذان صاغية لها واطعاً قبضة يده على خده الأيمن .. ثم أعتدل وقال : أنا اشكرُ كثيراً كثيراً لأنك فعلاً تبذلين جهداً لمساعدتي .. أنها فكرة جيدة .. وفعلاً مفاجأة سعيدة أسعدتني كثيراً .. حتى أنا تخيلت أني جلست معها وكلمتها .. اثناء حديثك هذا .. وانا صامت أصغي إليك لكني على الرغم من كل شئ سعيد ... سعيد جداً .. وغداً سألتقي بجدك أيضاً عندما أذهب الى الشركة .. أجابته : لا علينا بالشركة .. الآن كن على أهبة الإستعداد ليوم السفرة ان شاء الله تعالى .

أتصدقين يا مروة إن هبة البارحة رأيت صديقها الأبله ينتظرها عند باب المدرسة اجابتها مروة بقلق .. ماذا .. هذا كلام خطير .. اجابتها مبتسمة .. نعم أتعرفين اليوم إن هبة تقول أمام الشلة المتعبة ان أيار مسكينة ان وجهها العبوس في الشارع لا يقرب منها أحد ، سمعتها سباً وأنصاف أي تستغرب بأني ليس لي صديق ثم الأطرف من ذلك ان هند تقول : إذا رغبت انا بأقامة علاقة صداقة مع أحد البلهاء هي ستعرفني على صديق صديقها.

مروة بتعجب وهلع : كلا أيار كلا .. لا تنجرفي مع تيار هذه الفئة الضالة أنهن مراهقات وماذا قلتي لهن ؟

أيار ضاحكة : ان ما قالته هبة والأخريات صحيح أن وجهي باسر في الشارع ولا يجرؤ أحد على التكلم معي لأنهم يعتقدوني سليطة اللسان وجريئة اليد ، وصراحة ان مثل هذا الكلام يُزعجني بأن ليس لدي معجبين كالشلة ، قاطعتها مروة وبغضب وهل تتعرفين على أبله مثلهن حتى يرضين عنك ؟

أيار ضاحكة : يا عمتي يا استاذة مروة .. لا تغضبي ان صديقاتي يُردن مصلحتي طبعاً وعندما أحزن عليّ بأن أقوم بعلاقة عاطفية مع أحدهم .. حتى لا أكون مختلفة عنهن في طريق تصرفهن في حياتهن .

مروة : نعم وماذا بعد ... ماذا ؟ قررتي .

أيار مبتسمة : لا تخافي عليّ فأنا لست صغيرة .. وأدرك جيداً ما أفعل .. بعد إصرارهن اليومي في هذا الكلام صارحتهن بإكذوبة بيضاء ؟

مروة : وما هي هذه الإكذوبة البيضاء هي الأخرى .

أيار : اسمعي .. قلت لهن .. بأني .. وأخذت تجرُّ الكلام جراً وهي تتحدث كيف تظاهرت بهذه الأكذوبة امام صديقاتها ، قلت لهن وبهدوء أتعرفن لماذا لا أطاوعكن على العلاقة العاطفية مع أحد البلهاء ، فتظاهرت بالتكؤ في كلامي لأنني أعاني حياً من طرف واحد والقصد انا متيمة بحب ابن خالي ولا أعرف مشاعره تجاهي .

مروة وقد غرقت في الضحك بعد قلق : لكن اقسمني لي ان كلامك هذا صحيح .

أيار : أقسم على صحة كلامي .. وانا لا أعرف الكذب ولا أحب ان لا يصدقني احد أو يشك في كلامي .

مروة : حقاً أنك داهية ولا أخشى عليك بعد اليوم .. نعم أريدك هكذا التفكير والتفكير بعواقب الأمور دائماً .. أن عملك هذا دليل على تفكير عميق بمكانة أهلِك ومكانتك أولاً وسمعتك أمام الجميع وان ابنة سراج الدين الأوجي ليست كباقي البنات فهي قمة ولا تكون بمصاف الطالبات المراهقات .

نعم لا بد لي من توطيد العلاقة مع العم عبد الرحمن يكلم نفسه وهو في طريقه الى شركة الأوجي للموبيليات ولكن ماذا أقول له ؟ نعم سأدخل لأسلم عليه وبعد ذلك تنهمر الأحاديث ... نعم نعم ... هذا هو الصواب .. حتى وصل المكان .. فأركن السيارة في المرآب .. ثم دخل الشركة قاصداً غرفة المدير .. ثم نظر الى لافتة معلقة (السكرتير) عفواً .. هل لي بمقابلة السيد المدير .. أجابه السكرتير .. نعم تفضل الآن .. هو مشغول قليلاً .. سأله هل يأخذ وقتاً طويلاً .. أجابه : كلا .. لديه ضيفة .. قال له :

اذن إذا سمحت أبلغه بمجيئي (منذر الأزدي) .. حاضر سيد منذر .. تكلم السكرتير من خلال جهاز (السيبكر) الموضوع أمامه على المكتب .. عفواً استاذ .. هنا ضيف يُريد رؤيتك .. اسمه منذر .. اجابه المدير .. أهلاً فليتفضل سأل المدير ضيفته ها .. مروة سنغادر بعد ان نرى منذر وقد كانت قد مرت بالشركة حال عودتها من الكلية لترجع معه أجابته : بأبتسامه جميلة حسناً سأتجول في المعمل برفقة نائل وحالما تنتهي ابلغي ارجوك فلدي مذاكرة ثقيلة ، أجابها وهو مبتسم .. بالطبع عزيزتي دقائق معدودة .. دعينا الآن نستقبل الضيف الجالس ثم ضغط على الزر .. وتكلم من خلال (السيبكر) دع الضيف يتفضل ، فخرجت من الغرفة وحال خروجها أصطدمت بمنذر تفاجأت ، وقد استغرب كثيراً وكان صعقة كهربائية أصابته فوقف يرنو إليها دون ان يحرك ساكناً .. قالت له : بأبتسامه أوه عفواً .. كيف حالك .. عساك بخير .. أجابها : وكله إرتباك .. كيف حالك انتِ .. فقالت له بكل هدوء .. بخير ... تفضل .. ثم سارت في مقصدها ، ودخل هو ووجهه متوهج من شدة الإحمرار وقلبه يرقصُ بين أضلاعه ضربات يكادُ يحسها ويسمعها فحال رؤية المدير له .. نهض إحتراماً له وصافحه .. وبعد التحية والسلام .. قال المدير له : اهلاً بك في شركتنا .. وبعد ان جلس وشرب العصير .. وكأنه تمالك أعصابه وأخفى سروره وبهجته وإنطفاً توهج خجله .. فتكلم بلهجة فصيحة .. وبأسلوبٍ رفيع إثار إعجاب المدير .. ثم قال : بعد ذلك .. وهذه هي المفاتيح .. إذا سمحت لي بالدخول الى الشركة لرؤية نائل واعطاءها إياه .. اجابه : وهو ضاحكاً ما هذا يا بُني .. الشركة شركتك .. تفضل .. ثم قال له : منذر سُدعت برؤياك عمي .. اسمح لي الآن بالأنصراف .. مع السلامة .. فضغط المدير على الفور وقال : للسكرتير .. اوصل السيد منذر .. الى غرفة نائل .. حاضر استاذ عبد الرحمن .. ثم توجهها خطوات .. فقال : السكرتير .. هذه هي غرفة السيد نائل .. حاضر شكراً جزيلاً .. فأنصرف السكرتير .. وتأهب هو للدخول .. فطرق الباب .. ثم فتحه ودخل .. فأذا به يندهش وكان صعقة كهربائية أصابته ، نهض له نائل وصافحه .. فجلس على الكرسي مقابل مروة ونائل .. فأخرج المفاتيح من جيبه وقدمها إليه .. هذه

مفاتيح سيارتك .. وهي في المرآب الآن ويقول صديقي المصلح .. أنها سيارة حديثة وجيدة لكن الخلل في البطارية فقط .. فاستبدل البطارية القديمة ببطارية جديدة .. اجابه : انا اشكرك كثيراً كثيراً .. وأنا ممتن لك .. والآن أخبرني عن التكاليف .. اجابه : ما هذا نحن أهل .. أي تكاليف تتكلم وكأني غريب عن العائلة .. أرجوك انا لم أقدم لك إلا القليل انها مجرد بطارية لاغير .. وأنا أريد ثمنها أن تصلني الى البيت فقط .. فضحكوا .. على هذا الكلام .. فسألته : مروة بايتسامة .. كيف حالك ألا تنوي الدراسة العليا .

منذر : وبجدية .. انا جيد في الدراسة ولي معدل يؤهلني ولكن الآن أبحث عن الوظيفة أولاً .. وقد قدمت للتعيين في أكثر من دائرة لكنني لم أفلح بعد فالتعيين صعب هذه الأيام .

نائل : والله كلامك صحيح التعيين صعب الحصول عليه في هذه الأيام ، لكنك كفوء وعليك الإعتماد ، والله نحن نحتاج مثلك موظفاً جذاباً ونشطاً للعمل هنا معنا في الشركة على الأقل الى ان تحصل على تعيين ، فأنت شاب ومقبل على حياة تحتاج منك الكثير من التكاليف ، ومن جانب آخر أنت ولدنا ونأمنك على أموالنا .

منذر في دخيلة نفسه وافق وبصم بالعشرة : أ .. أشكرك على هذا العرض وانتم أهلي وخاصتي بدون شك ولكن أعطني بعض الأيام لأفكر وأرد لك الخبر . مروة : ثم ان العمل هنا ممتع وفيه الكثير من التصاميم الهندسية الرائعة .. نائل : لا ... عملك إداري وليس في المعمل .

منذر : كيف إداري ... وهل سيقبل عمي عبد الرحمن .

نائل : في شعبة الحسابات ... أكيد سيقبل لأنه هو من طلب مني البحث عن موظف كفوء ... وسيفرح كثيراً عندما يجد الصدفة قدمت له الموظف على طبق من ذهب ... وبينما هو يتكلم جاء عبد الرحمن ليأخذ مروة الى المنزل فهو يخرج قبل الموظفين ونائل ينوب عنه في الاشراف على نهاية العمل. عبد الرحمن : هيا يا ابنتي فلنذهب .

نائل : ابتي وجدت لك موظفاً كفوءاً في شعبة الحسابات .

عبد الرحمن : وبهذه السرعة رائع ... سأخرج الآن اترك لي سيرته الذاتية على مكتبي لأقرأها في الغد ان شاء الله وبشرط ان يكون حاصلًا على شهادة جامعية وان يكون شاباً .

نائل : أنا عرضت هذه الوظيفة على منذر فهو كفء ومن أهلنا ... وقد طلب مني بعض الايام ليفكر .

عبد الرحمن مماًزحاً : ماذا ؟ ماذا ؟ ستفكر ... نحن عرضنا عليك العمل ... وأنت ملزم بالقبول ولا نسمح لك أبداً بالتفكير بأكثر من خمس دقائق ... ها ... فكر ورد لي الخبر قبل ان اخرج للبيت هيا هيا فكر وجاوب .

مروة وقد نهضت صوب أباهما : امهله الوقت فهذا قرار عمل وقد لا يناسبه .

نائل : عمل خاص وبدون قيود ولا شروط .

عبد الرحمن : انتهى الوقت بحسب الساعة الرملية ... ها ها قل قبلت أم لا ؟

منذر وهو يوزع ابتسامته ما بين الثلاثة منتهدا : انت مثل والدي وطلبك أمر لا أستطيع رفضه .

وبينما أيار واقفة أمام باب المدرسة منتظرة مجئ قتيبة .. فإذا بطالبة تسلم

عليها .. مرحبا ..

أيار .. اهلاً .. وسهلاً .. أقدم لك نفسي .. أنا اسمي هدى .. في الصف الخامس شعبة أ

.. ألم ترني ... ؟

الجزء الثالث والعشرون

أيار بدهشة : حدثت في وجهها .. كلا .. أعتقد إنني رأيتك خيراً !
 هدى : نعم وأنا أراك يوماً أيضاً .. وأعرفك وعائلتك لأننا جيران ، في نفس الشارع
 وأزديك علماً من اننا نسكن هذه المحلة منذُ عشر سنين .. أنا ابنة جاركم أبي لطفي .

أيار : أوه .. انها مدة طويلة .. أما نحن فتقريباً ندخل السنة الثانية .
 هدى : أعرف .. أعرف ذلك جيداً لأنني أتذكر عندما سكنتم المنطقة ولكم أنا سعيدة
 بمعرفتي بكِ لأنني كُنت طوال هذه المدة اتمنى التعرف عليك .. وهذه الرغبة بالطبع
 نابعة من إعجابي الشديد بكِ وبشخصيتكِ الفريدة .

أيار : وهي تحس بالخيلاء .. أوه .. كلامك له وقع على الأسماع لكن وكيف تعرفين
 شخصيتي فريدة من نوعها وأنتِ لتوكِ تتعرفين بي ؟

هدى : تلكأت .. أ .. ثم قالت بالطبع انك معروفة ومتميزة وجذابة في المدرسة .. ولا
 تنسى ان صفك قرب صفي وأخبارك .. اسمعها من الطالبات بالطبع .. وشلتك أيضاً ..
 لأنني وكما قلت لكِ شديدة الإعجاب بكِ .. وكنت أتحرى أخبارك دائماً .

أيار بغرور وكبرياء : شكراً على مشاعركِ تجاهي .. والآن اسمحي لي .. فقتيبة
 وصل .. الى اللقاء .

هدى : الى اللقاء .. لنكن على اتصال دائم يا أيار .
 أيار : ابتسمت .. وسارت الى السيارة .. من غير ان تتفوه بكلام حتى انها لم تعرض
 عليها الركوب في السيارة ما دامت ابنة جاركم .. وأخذت تصدر ابتسامات وهي في
 السيارة .. الى درجة انتباه أخيها لها .. فقال لها وهو مبتسم أراك اليوم باسمه .

أيار : نعم ألم ترَ هذه الفتاة التي كانت واقفة معي قبل قليل .
 قتيبة : كلا .. أي فتاة .. لم أنتبه لها .

أيار : تقول انها معجبة كثيراً بشخصيتي .. وتقول : ان شخصيتي فريدة .. على الرغم
 من اني اليوم عرفتها .. وتقول أيضاً انها ابنة جارنا ابي لطفي .

قتيبة ضاحكاً : ها ها ابنة جارنا .. أبو لطفي ... وما اسمها .

أيار : اسمها هدى .. وهي تعرفنا جيداً ... ولكن ما الذي يثير الضحك .

قتيبة : هدى .. لا أعرفها .. ومن أين لي أن أعرفها ... إذا أردت معرفتها هي جارتنا أم لا .. سلي معاذ .. فهو مختار المنطقة ويعرف الجميع .

أيار : لا ... داعي لسؤاله ... فهي زميلة من الزميلات واحبت ان تتعرف علي ثم ان الأمر ليس بغريب دائماً يتعرفن علي بعض الطالبات ويعبرن عن اعجابهن بي .

قتيبة : وهل كسبتي صديقة مقربة الى روحك طوال هذه المدة .

أيار : الصورة لا تزال مشوشة أمامي والغربال لم يصف بعد من أريد التواصل معها فعلاً لأنهن كثر .

باسم : الو .. كيف حالك حبيبتي ، مشتاق لك كثيراً ... أكثر مما تتصورين .. حتى وأنا أكلمك فالشوق لرؤيتك يزداد كل يوم ويكبر .. أحبك .. أحبك .

أنسام : أوه .. باسم .. انا بخير كيف حالك انت .. ثم أغمضت عينيها .. وقالت بهدوء وأنا أيضاً .

باسم : حبيبتي .. اطلقي لسانك .. ولا تبخلي بكلمات حب تنسال من ثغركِ الباسم .. لأنني أعرف هذا الوقت بالذات تكوني أنتِ وحدكِ في البيت وأخوكِ الصغير الذي ابن خمس السنوات ووالدتكِ في العمل .

أنسام : نعم هذا صحيح وهو الآن يلعب مع الأولاد في الباب .

باسم : أذن .. أريد ان أسمع هل انتِ تُحبيني هل تكُنين لي مشاعر فياضة مثل مشاعري .

أنسام متنهدة : حبيبي صدقتي أنا تعودت على سماع صوتكِ يومياً .

باسم : أذن لماذا .. لا تتصلين بي .. أتعرفين أين كنت عصر أمس ؟

أنسام مستغربة : أين كنت واقف ؟؟؟

باسم : واقف قرب باب المحامي حسين .. مقابل بابكم ... لأقف معه في إستعداده لعرسه الذي سيقام في قاعة قوت القلوب وأكيد سأراك لأنه أكيد سيدعوكم وهناك سنلتقي بسهولة .

أنسام مندهشة : مَنْ؟؟؟ حُسين .. المحامي .. وأنت صديقه ... وعرسه في النادي .
 باسم : نعم ... ألا تصديقين ... أنا أعرفه لكن للأسف لم أرك اليوم .
 أنسام : أكيد سأبذل المستحيل للحضور لكن أطمئن فوالدتي علاقتها قوية جداً بوالدته .
 باسم : وأنا غداً مدعو لتناول وجبة العشاء عندهُ وسأحضر قبل زوال الشمس لأتمكن
 من رؤيتك ، وأنتِ تتمكنين من تمييز شكلي .. سأرتدي اللون الأبيض .. (من قميص ،
 وبنطال ، وحذاء ..) مع النظارات السوداء .
 أنسام : حسناً حبيبي .. وأنا .. سأرتدي الثوب الأحمر وسأتظاهر بأني أريد أن أدخل
 أخي الصغير .. وأن لم نتمكن من رؤية بعضنا في الغد أكيد لقاؤنا في يوم العرس في
 النادي ان شاء الله .
 باسم : أه .. حبيبتي كم أنا متلهف لرؤياك .. كلي شوق .. كلي حب .
 أنسام : مشاعر متبادلة حبيبي .. والآن نحن على الإتفاق وأنها لفكرة جيدة والى متى
 ونحن نتواصل بصوت بلا صورة ، لا بد ان نرى بعضنا ، ثم تتم الخطبة هذا رأيي .
 باسم : لا ننسي ... حبيبتي قبل الزوال سأقف عند الباب .
 أنسام في سرحة ذهنية : مستذكرة هبة وهي تقول لها : أنا أحب ان يتعذب الرجال
 من أجل النساء وحتى يمكنكِ معرفة صدق عواطفه عذبيه في الإنتظار .. فإذا ما
 حضر يوم ما لرؤيتك ... انظري له من خلال النافذة من غير ان يراك ... حتى يمل
 هو من الإنتظار .. وعندما يعاتبكِ قولي له لم أستطع الخروج وهكذا عدة أيام .. حتى
 تجزع روحه .. ويزداد شوقاً .
 باسم : ألو ... ألو ... أين ذهبتِ .
 أنسام مستيقظة من سرحتها الذهنية : ها ها ... أ ... سمعت طرقات الباب ...
 فسكنت لأتأكد ... ثم غلظت نبرتها وكيف تتكلم أنت ... أعلم وأفهم بأنه إذا ما سكنت
 فذلك يعني وجود خطر يهدد إتصالنا .

وفي نهاية الدوام الرسمي وحال وقوف أيار في الباب لإنتظار السيارة جاءت هدى وحيّتها بلهفة أستغربت أيار لكنها بادلتها التحية وهي على إستغرابها فسألتها بإبتسامة عريضة .. ها .. هل عرفوني ذوك ؟

أيار : أ .. عفواً ما تقصدين بالضبط ؟

هدى : أقصد هل عائلتك تعرف عائلتي كجيران ؟

أيار : بصراحة ... لم أكلّم الا واحداً من العائلة .

هدى : وبلهفة .. ها .. ها .. وماذا قال لك ..؟

أيار : قلبت شفّتيها ... ماذا تقصدين ؟ لا أفهمك ... سألت أخي أنس .

هدى : أ .. أ .. وهل سألتني أخوك الأصغر عني ؟ أردت معرفة ما إذا كانت العائلة تعرف عائلتنا كجيران .

أيار : والله لا أرى أحداً في العائلة يهتم لأمر الجيران .. سوى أخي مُعاذ وسأله عن بيت أبي لطفى .

هدى فرحة : حسناً .. وأنا سأنتظر الأجابة يوم غد .

أيار قالت في نفسها : انها فتاة غريبة الأطوار .. لا بد ان في الأمر سرّاً .. وإذا كان غير ذلك .. لما كانت تنتظر معي .. حتى اخرج .. ثم تخرج هي .

هبة : أ .. وقالتها مستطيلة .. عليّ .. يا هدى .. انا .. أعرفك جيداً .. تخفين شيئاً ما .

هدى : تلكأت .. أ .. أ .. ماذا تقصدين يا هبة ؟ أنا ليس لدي أي شيء .

هبة ضاحكة : ها .. هدى .. ها .. لا تُخفي حقيقة الأمر .. فأنا أعرفك كل المعرفة .

أيار بشدة : أية حقيقة تقصدين يا هبة هل في الأمر ... ؟

هبة : أجل .. وهدى .. ستعترف بهذه الحقيقة أمانا .

هدى بارتباك : أ .. أية حقيقة هذه التي تتكلمين عنها .. ثم بعد ذلك استأذنت وذهبت الى صفها الذي هو قُبالة صفهنّ وبخطى سريعة .

هبة ضاحكة : أنا مزجتُ بين الجد والهزل .

أيار : ما هو الجد في كلامك .. وما هو الهزل ؟

هبة : الجد .. هو شكى بأن تقرب هدى لك وبهذه اللفظة العمياء المبالغ فيها .. لسبب ما يدفعها للتقرب منها وبإندفاع بادي للعيان .

لينا : هذا جانب الجد .. ترى ما هو جانب الهزل الي تزعمينه يا هبة .

هبة ضاحكة : جانب الهزل ياعزيزتي .. عندما أقنعتها بأني أعرف الحقيقة وفي الحقيقة أنا لا أعرف عنها أي شئ سوى أسمها الثلاثي وأنها تسكن قرب مسكن أيار.

هند : ها .. قد تكونين مُحقة ياهبة لو لم يكن في الأمر شئ لما إرتبكت هكذا .

هبة : ولماذا لاذت بالفرار مستأذنة وبخطى سريعة جداً .

أيار : بدا القلق يذبُّ في أوصالي .. إذ قد تكونين مُحقة في شككِ هذا .

هبة : لكن إطمئني سأسحب البساط من تحتها حتى تسقط أمامي في الحديث وأعرف الحقيقة برمتها أعدك.

هبة تسأل أنسام : لكن صفي صوت حبيبيك وأنا أعرف شكله من خلال الصوت ..

أنسام : صوته صافي تماماً من أي شئ .. دافئ .. أي نبرته جميلة دافئة .. نبراته عندما اسمعها كأنها مطارق تطرق على أوتار قلبي ..

هبة ممازحة ضاحكة : هذا هو اذن عرفت صفاته ، لحظة دعيني أبرمج الكلام قبل خروجه فأصدرت من فمها صوت (تدل على البرمجة) ثم قالت .. إنه طويل .. طول معتدل .. بدين بدانة معتدلة .. كلا .. كلا .. اقصد بأنه ممتلئ .. أه .. له عيان ..

زرقاوان كبحرين سلسبيلين يجريان وله بشرة جميلة صافية بيضاء وفي وجهه خال ، وشعره أسود مائل الى الشقرة .. وفمه صغير .. وأنفه طويل معتدل .. ثم قالت : يا له

من فتى جميل .. انك لا تستحقينه ، لذلك لا بد لي من حمايته منك .. قبل ان يقع في

شباكك سأرعي وارمي شباكي عليه ، ثم بعد هذا الفاصل المضحك ، سألن أيار عن آخر أخبارها مع حبيبها .

استغربت أيار .. ها .. من أحب .. في البداية نست كذبتها ثم بعد ذلك تذكرت وتداركت الموقف .. سألتها هبة .. ما بكِ .. (تُغشمين) نفسك أم إن الحياء يمنعك من

القول .. من انكِ غير متأكدة من مشاعره تجاهكِ .. أجابتها قائلة : الصراحة يا فتيات ..

انا خجلة ووجلة في نفس الوقت سألتها ليلي ولما الخجل والوجل ياترى نحن شلة ولا اسرار بيننا ، أجابتها : عجيب ان أيار الجريئة .. تخجل من الحب ، واستمر الحوار بينهن حول مشكلة أيار التي غلبها الضحك وقالت في نفسها.. يا لهن من فتيات مراهقات .. فعلاً مراهقات كما قالت مروة ، لكن اعجب على نفسي .. كيف فلت لساني وقلت ابن خالي .. لماذا.. لم أذكر أي أسم ما دام الحديث كذباً أبيضاً .

مُعَاذ : اليوم وفي الساعة الثامنة مساءً .. انتم مدعوون جميعاً .. الى الحفلة التي يُقيمها البروفسور قتيبة .. بمناسبة عيد ميلاده وتقطيع الكيكة اللذيذة التي ستصنعها الخالة العزيزة أم سالم .. حب .. مرح .. فرح .

أيار : أراك اليوم سعيداً يا معاذ .. وهل صحيح ما قلت ؟

مُعَاذ باسمًا : نعم بالطبع صحيح .. يا أختي العزيزة .

أيار مبتسمة : يا للهول ... أختي العزيزة ... ما الخطب يا معاذ .

مُعَاذ : ولم ... الإستغراب ... فأنا أحبك وأحب كل عائلتي ... وبفضل إختلاطي مع الآخرين أيقنت جيداً مدى افادة المرء من الناس المحيطين به ، ومدى أهمية الطرب والموسيقى والخروج للتنزه والإستجمام .. ولا سيما الإنسجام مع إيقاع الطرب الذي كنت تزدرينه عندما كنت أنسجم مع جزئياته .

أيار مبتسمة : يسعدني جداً سماع ذلك ، ولا بد ان تعلم بأني لا أزدرى الموسيقى ، لقد أصبحت في نفسي الرغبة لسماعها وبالذات هذه الموجودة لديك ذات الإيقاعات الصاخبة للتعرف عليها ، والإهتمام بالحفلات والمهرجانات وغير ذلك من الجوانب الترفيهية التي تشعر الفرد بإنسانيته .

مُعَاذ بدهشة وفرح : هذا عظيم يا أختاه .. وأيضاً لا بد من معرفة شئ مفيد في الحياة الحكمة ، وحكمتي إذا أردت أن تمشي سعيداً .. فكل قليلاً وأضحك كثيراً .. إنها حكمة جميلة لأحد الحكماء الرومانسيين .. فضحكا كثيراً على ذلك ثم بعد أن همّ بإعطائها أقراص الموسيقى التي تكلمت عنها .

مُعَاذ : وطبعاً ستذهبين غداً الى عرس جارنا البعيد **المحامي حسين** وان كنتم لا تعرفونهم إلا إني أعرفهم فهم يسكنون في نهاية الشارع الرئيس المؤدي الى شارعنا الفرعي قبالة بيت زميلتك **أنسام** .. فعائلتنا مدعوة .

أيار مبتسمة : ماذا **المحامي حسين** وقبالة منزل زميلتي **أنسام** ، ومن أين لك الوقت لتتعرف على كل هؤلاء الجيران في هذا الوقت القياسي ، إني صراحة لم أكن أتوقع انك مختلط بالجيران بهذا المدى البعيد .. ثم تذكرت قائلة .. أ .. تذكرت وما دمنا بصدد الحديث عن الجيران لدي سؤال أريد ان أسألك عنه ، أتعرف فتاة شقراء هنا في محلتنا .. تقول انها ابنة جارنا .. وتقول : اسمها **هدى** ابنة جارنا **ابي لطفي** .

مُعَاذ باسمًا : ها ها ... هذه أخت صديقي **لطفي** .. وبيتهم قريب جداً من بيتنا ، أهي معك في نفس المرحلة .

أيار بغير رضا وقد أختفت الإبتسامة على محياها : أراك تتكلم عنها وكأنها إحدى قريباتك ؟

مُعَاذ باسمًا : يا أختاه .. قلت لك انها ابنة جارنا .. وأنا أعرفها كما أعرف الأخريات من بنات الجيران .. وما الضير من عرفتي بها وبأخيها ... فأنا أعرفها كما أعرف **لطفي** ... وهما أيضاً يعرفاني ... ثم قال ضاحكاً ولا تنسي بأن أخاك رجل جذاب ... وموسيقار مشهور وبديهي أن أكون محط أعجاب كل الفتيات .

أيار : ومن هذه البلهاء ... التي تُعجب برجل راسب في صفه .

مُعَاذ : اعلمي بأنني أحيي الحفلات الوطنية في المدرسة والكل يصفق لي ويثني على عملي والكل يسأل كيف تعلمت العزف على العود وعلى البيانو وعلى القانون بدون دراسة جامعية ، صحيح أنا لا أنجح كل عام ولكني أتعلم وأزداد خبرة وممارسة على الأدوات الموسيقية ، وأعلمي أيضاً بأنني تعودت منذ الصغر بأن يصفق لي الجميع لا لأنني متميز في الدراسة وإنما لأنني متميز في الكثير من المواهب التي يفتقدها بعض المتميزين .

وفي هذا اليوم .. تعالت أصوات الطرب والغناء .. وزغاريد النسوة في الأفق ، وكذلك أصوات السيارات والضوضاء .. والضجيج هذا يقهقه وهذا يتكلم .. وهذه تزغرد ... إلخ ذهبت عائلة سراج الدين الى حيث قاعة قوت القلوب المقام فيها العرس وأختفى مُعَاذُ بين المدعوين حاملاً (كيتاره) ، وبينما أيار جالسة حول الطاولة مع عائلتها ، رمقت أنسام من بعيد .. وعيناها تُراقب .. تُريد رؤية الباسم .. وهو موجود في الحفل يدخل ويخرج دون ان تشعر هي بوجوده .. ثم دنا باسم من حسين وقال : اين هي ؟ فأشار لها بطرف خفي .. فنهض الباسم وتوجه نحو أنسام وقد انفردت بأحد الأعدار مع اخيها الصغير ليأكل على طاولة مستقلة وكانت والدتها منشغلة مع ام حسين واستمرت عينا أنسام في التحري عنه دون ان تجده في الصورة التي ارتسمت في مخيلتها ، أشقر الشعر أصفر العينين ، تنظر وفي فمها قصبه العصير ، حتى باغتها هو واقفاً أمامها .. وتكادُ البسمة تشقُّ شذقيه عفواً .. أقدم لكِ نفسي أنا باسم الباسم .

أنسام : عندما رأته تحنطت مكانها وهي ترنو إليه ... ولم تنبس بأي كلمة وكأنها غارت في جوف الأرض .

الجزء الرابع والعشرون

باسم : مابك حبيبتي ..؟ لَمْ انتِ صامته؟ ها أنذا حضرت كما قُلْتِ لي .
 أنسام : كلا لا شيء .. أهلاً وسهلاً .. وفرصة سعيدة تعرفت بك .. ثم قالت : أرجوك
 أبتعد ، فوالدتي قادمة وهي ترنو لي ثم نهضت بإرتباك مسرعة لتعود الى مكانها وبينما
 هي متجهة لمحتها أيار ، فنهضت مبتسمة وتوجهت إليها لتفاجئها بهذا اللقاء وعندما
 وصلت إليها في منتصف القاعة وجدتها على غير عاداتها ، عابسة شاردة الفكر غير
 عابئة بأي مناسبة ، لكن وكأنها ترى مُعَاذ يتكلم مع إحدى الفتيات ، فراحت تتكلم مع
 أنسام وأنظارها مصوبة إليه لتستطيع تميز الفتاة التي يضحك معها، فحالما رآها تقدم
 نحوها قالت له تعاتبة أين أختفيت ؟ ثم قالت أعرفك بزميلتي أنسام .

مُعَاذ : فرصة سعيدة أنسام ... ثم خفض صوته وتكلم قرب أذنها ولماذا تسألين هذا
 السؤال .. طبعاً لأجلس مع أصدقائي ومعارفي من أبناء وبنات الجيران .. وأنتِ كذلك
 مع صديقتكِ أنسام تجلسين سيما وان بيتنا قريب جداً ، ثم إنصرف وبقيت هي تواصل
 حديثها مع صديقتها ، التي أختفت عنها علامات البهجة والسرور وماتت الإبتسامة
 التي كانت مرسومة على محياها قبل قليل فجلستا ليكملا الحديث : هل حضر الباسم .

أنسام عابسة : نعم .. حضر .

أيار مبتسمة : وأين هو ؟ أشيري إليه .

أنسام عابسة: لوح بيده من بعيد قبل قليل ثم خرج فأنا أحسبك يا أيار أحسبك ولا
 أغبطك لأنك مرتاحة البال .

أيار مبتسمة مندهشة : تحسديني !! على ماذا؟؟ ثم ما بكِ حزينة؟؟ من المفترض ان
 تكوني سعيدة بلقائك بحبيبك .

أنسام : لا أعرف أيار فأنا في حالة من الإرباك ... وأشعر بأنني لا أستطيع حتى
 تجميع كلمة واحدة.

أيار مبتسمة : هذه مسألة طبيعية وكما يقول المثل (لكل جديد دهشة وكل غريب
 وحشة) فدهشتك يجب ان تكون معقولة وليس بهذا الحجم وكأنك في مأثم ، تظاهري

على الأقل بالإبتسامة لأن حزنك الظاهر هذا يعرضك الى الإنتقاد ... والتساؤل ...
تفادي هذه المسألة .. وغداً إن شاء الله نلتقي في المدرسة ونتكلم على راحتنا .. والآن
اسمحي لي بالإنصراف فوالدتي تشير لي لعلها تريد الإنصراف ... الى اللقاء .

لينا : أنسام .. بما تفكرين .. أراك شاردة الفكر .

أنسام متتهدة : أنا في ورطة وأفكر بالخلاص من باسم هذا الذي خرج لي من الهاتف
وبإتصالاته الكثيرة المزعجة حتى عدت لا أطيق سماع صوته .

أيار : سبحان الله سرعان ما تنتقلين من الترغيب الى التهيب ومن التهيب الى
الترغيب عجيب أمرك في الأمس تُحبينه وتتحرقين شوقاً لمعرفة أخباره واليوم تمقتينه

لينا : لكن أخبرينا .. على الأقل عن الأسباب ..؟؟

هبة ضاحكة : قد يكون فقيراً ... ومدّ لها (طاسة) رثاء الحال ؟

أنسام : يا إلهي أكاد أصاب بالجنون إن شكله مفزع لم أكن أتوقعه ابداً .

هند : كيف أن شكله مفزع لم أفهم ؟

هبة ضاحكة : ولم أنت حزينة .. جربي رقماً آخر في الهاتف .. والأفضل أن
تستخدمي رقم نقال .

أنسام : يبدو من شكله ان عمره كبير وهو طويل القامة وبدين أسمر البشرة لدرجة
السواد .. وفمه عريض وانفه أفطس وأسنانه مفلجة ، يا إلهي لا أستطيع المواصلة
حتى في وصفه .

نادين : ما دام الأمر هكذا فلا بد من التفكير بحله بعقل فلا بد من أن تُكلمي باسم
وتنتهي علاقتك به بأسلوب . **أيار :** هذه مشكلة كبيرة ولا أعرف كيف ستخرجين منها .

لينا : أخبريه بأن أهلك أجبروك على القبول بخطبة ابن عمك .

أنسام وقد ترفرت دموعها : أنا حائرة في أمري ساعدوني في التخلص منه قبل أن
يسبب لي مشكلة .

هبة : أمسحي دموعك فأنا للمهمات الصعبة ، نعم بالطبع سأساعدك فقط وفري لي
رصيداً فئة عشرين ألف وسأتكلم معه شخصياً ومن نقالي ، ثم استطردت قائلة :

سأقول له بأنها فزعت منك لأنها لم تكن تتوقعك بهذا الشكل المخيف ظنت انك اشقر ملون العينين .

أيار : هذا قول رهيب يا هبة وهل ستجراين ؟ اما الرصيد فعلى حسابي .

هبة : وهل أنا أيار ... فأنا مختصة في حل وإلغاء مثل هذه المسائل ؟ وحال عودتها الى البيت اتصلت هبة بالباسم .. لكي تتكلم معه كما وعدت .. ألو .. مرحبا.. عفواً هل باسم موجود ؟

باسم : نعم تفضلي ... المتحدث .

هبة : وكيف أعرف أنك باسم ... مع الاعتذار .

باسم مبتسماً : والله لا أعرف ... ولكن أسأليني مثلاً ؟؟؟

هبة : أنا من طرف من تحب ، أريد التكلم معك .. لكن اعطني اسمها لأطمئن .

باسم بدهشة مبتسماً : اسمها ... أنسام ... ولكن هل أنت أيار ؟

هبة مبتسمة : كلا أنا لستُ بأيار .

باسم : المهم حياك الله تكلمي أريد أن أسمع أخبار حبيبتي أنسام فأنا أتعذب لأجلها .. لماذا لا تريد الكلام معي ؟ لماذا ؟ لا ترفع السماعه لأسمع صوتها فقط كما عودتني هي ؟ احببتها كثيراً أكثر مما تتوقع .

هبة : وقد أحتارت بماذا تكلمه وهو يُشكي لواعج حبه ثم قالت بهدوء أخي الفاضل أنت انسان واعٍ ومتقف ومهذب وتعي الأمور جيداً ، فان أنسام تبادلك الشعور ولكن طرأت على حياتها ظروف جديدة لا تسمح لها الإستمرار بالعلاقة هذه وبالسماع .

باسم : أنا لم أقل أريدها عبر السماع أنا مستعد لخطبتها غداً .

هبة : ولماذا كل هذا العناء ان الفتيات كثيرات ، أما أنسام فليس لك نصيب معها وهي تقول لك أنساني وأبتعد عني أي لا بد من قطع العلاقة وبالسيف ثم أغلقت السماعه .

باسم : لحظة ... ولماذا ؟ تتكلمين بالنيابة عنها ، ومن أنت حتى تتكلمين بالنيابة عنها وتقررين ذلك ؟ ما الذي حدث ؟ أريد ان أسمعها ولا أصدق هذا الكلام وأعتبره هراء .

وخطة أنصاف مستمرة في عملية التقريب والإفادة من أيار في تدريسها للإنكليزي وتطلب منهما الإبتعاد عن الصف الى حيث الساحة حتى ولو لربع ساعة في نهاية الدوام ، أو في درس الشاغر أو في درس التربية الرياضية ، لا سيما وان أيار تجلب (الأي باد) معها وفرصة تطلع عليه لأنه ليس بمقدور أي كان اقتناء مثل هذه الأجهزة الغالية ولاسيما هيفاء الطيبة ابنة الفلاح الطيب ، المنحدرة من بيئة ريفية نظيفة المنشأ والتي تضحك على أنفه الأمور على السليقة والجميل تكيف زميلاتها عليها وانهن يعتبرنها أنقى أنسنة في العالم لبساطتها وهدوئها وتواضعها ، فنقالها متواضع أكل الدهر عليه وشرب ولا تعرف (النت) إلا من خلال الدراسة ولا تفقه استخدام الأجهزة الحديثة لذا فلا تعرف ماذا يُقصد (بالواتس أب) وغيره من التقنيات الحديثة مثل الأجهزة اللوحية وغيرها ، فإقترابها من أيار وسبباً ابنة المهندس الزراعي يُعرفها على مثل هذه الأجهزة ويُعلمها حتى استخدامه وهي تعرف مسبقاً بأن السادس الاعدادي هو آخر مرحلة سيسمح لها والدها وهو متفضل عليها ، بعدها ستتزوج ابن عمها ، والشيء الأشد أعجاباً بشخصيتها رضاها عن بيتها وواقعها .

سبأ : أيار هل تعرفين الأدبية اللبنانية مي زيادة ؟

أيار مبتسمة : نعم ومن لا يعرف مي زيادة الأدبية الرائعة صاحبة الحب العذري الطاهر الذي جمعها بالأديب جبران خليل جبران عبر المسافات ... ورسائلها منشورة لكل من يريد الإطلاع عليها .

هيفاء ضاحكة : الله حب ... عبر المسافات ... وخطيبي أُمي لا يفقه القراءة ولا الكتابة .. أتقصدين رسائل بالنقل فقط ، ثم ان الرسائل لا يمكن أبداً ان تكتب بدون قوة الحب ، فهي طاقة لا يملكها الجميع !!؟

سبأ مبتسمة : لا بل عبر الرسائل وقد كان يسكن في الولايات المتحدة الأمريكية وهي في لبنان ومصر .

هيفاء : كم جميل ... أحسدهم .. تزوجوا بعد رسائل وحب ... أغبطهم .

أيار ضاحكة : حسدتيهم ... قبل ان تعرفي أنهم ماتوا من العشق .

هيفاء : يعني ... ماتوا ... تعبيراً مجازياً ام حقيقياً ؟

سبأ : لا ... بل ماتوا ... ودفنوا ... ولم يتزوجوا ... رسائلهم رائعة وكأنها أتون شوق لحب طاهر قل نظيره ، عبارات رنانة مسطرة بلألىء الأدب والأخلاق وشلال الحنين العارم ... وعلى الرغم من رسائلهم الرائعة التي تشدُّ القارئ إلا أن النهاية مؤلمة جداً ... **موت جبران خليل جبران** غريب في الولايات المتحدة الأمريكية وموت **مي زيادة** في موطنها لبنان .

أيار متتهدة مبتسمة : أتعرفين يا **سبأ** ... أن **هيفاء** قالت حكمة رائعة جداً لم تثر انتباهكم ، بأن كتابة الرسائل للآخرين طاقة كامنة لا يملكها الجميع ، تتقد في اتون الحب فينفجر الشوق العارم الذي يكتب كالقلم الألكتروني ليصف لواعج العاشق والمعشوق بتواصل روحي لا يفرقه إلا الردى .

سبأ واضعة قبضة يدها تحت خدها منصتة بإعجاب مبتسمة متتهدة : الله .. يا **أيار** افحمتينا بوصفك الرائع هذا للحب والشوق وحركتي المشاعر في سويداء قلوبنا بإسلوبك الفذ ، حفظك الله وجنبك رفاق السوء والغفلة .
أيار وقد غارت ابتسامتها وهي تفهم قصدها وبهدوء : أوه لماذا تجهزين على البسمة وتغتالينها في النهاية.

تحاول والدة **سُبل** أن توازن ما بين متطلبات العيش وما بين متطلبات الدراسة بين أبنائها ، فحالما تحصل على المصروف الشهري تسرع الى تنظيم ميزانيته وتخصصه بحسب الأولوية ، فضلاً عن توفير الطعام لثلاثين يوماً ، تخصص جزء كبير ل**سُبل** لمتطلبات كليتها وإيجار السيارة ، إلا إن أهم ما علّمت أبنائها عليه هو إعتزازهم بنفسهم وعدم البوح بأي عوز والتظاهر بالرضا براتبهم التقاعدي بعد وفاة والدهم وإيجار دكانه الذي كان يعمل فيه عسراً ، ولا تعرف **سُبل** كيف انها قبلت الحقيبة الطبية التي أهدتها لها مروة عندما دخلت الكلية الطبية ، والتي كلما رأتها قبلتها وعانقتها وكأنها معها ترافقها في كل مكان في الكلية ، ولعل أبرز ما تعودوا عليه الحصول على مكافأة مادية صغيرة من **سُبل** عندما يحرزون درجات عالية على

أقرانهم ، وفي هذا اليوم جاءها أخوها علي وهو يطير إليها بجناحي الفرح حاملاً بيده ورقته الإمتحانية الحاصل فيها على درجة مئة بالمئة وهو يصيح **سُبل** ، لقد حصلت على أعلى الدرجات وهذه الورقة ، فعندما سمعته طارت فرحاً أخذت الورقة وقبلته فتناولت حقيبتها بخفة ورشاقة ولهفة لتقدم له المكافأة ، ولكن تأخرت يدها وهي تجوس داخل الحقيبة دون ان تصطاد ولا عملة صغيرة، فراحت تقلبها وتفرغ محتوياتها على الطاولة لعل عملة ملتصقة بأحدى جدرانها، فتحت الجيب الداخلي الصغير والمحفظة الصغيرة ولكن دون جدوى اليوم نهاية الشهر وهناك يومان على وصول المرتب لكنها لمحت الجكليته ، فحملتها وقالت له أقدم لك هذه الجكليته الجميلة اللذيذة التي كلما أردت أكلها قبلتها وأرجعتها الى مكانها والآن حان أوان أكلها خذها حبيبي وسأعوضك بعد أيام ان شاء الله .

علي : الله ... كم هي جميلة هذه الجكليته ... وحجمها كبير لم أر مثلاً ... أشكرك ...
ألا يوجد لديك واحدة ثانية لأختي **علياء** ... عندما تراها عندي ستسألني .

سُبل مبتسمة : لا حبيبي ... ليس لدي ثانية ... وأفضل ان تبلغها بأنها مكافأة ...
والمكافأة لا يحصل عليها إلا من بذل جهداً في الحصول عليها .

علي : أخشى أن تتألم عندما تراني أكلها امامها والأفضل ان أقتسمها معها، ولكن الأجدر بي أن أخبرها في حقيبي ، وأكلها في المدرسة إذ قد تعتب **علياء** عليك، وتفهم بأنك تفرقين بيننا، لأنها تعرف بأنك تكافئينا مادياً ولم تألف أبداً مكافأة من هذا النوع .

سُبل متتهدة : أعدكما بتوفير كل شيء تحتاجانه عندما تكون لي عيادة مستقلة ...
وستذهب كل هذه الأيام سدى المهم ان تستمر في نشاطك هذا ... بارك الله فيك .

علي : أنا متميز والمدرّس دائماً يطلب من الطلبة التصفيق لي ... كم أتمنى أن أرثدي ملابس جديدة مثل صديقي الذي يرتدي أفخر وأحدث الملابس .

سُبل : حبيبي لقد وعدتك بأنني سأشتري لك كل ما تريد أمهلني ألا .. تثق بكلامي .

علي : أنا أثق بك وأصدق كلامك وبدون قسم لأنك مثلي الأعلى سأكتب كل ما أحتاج في ورقة من نقال ولايتوب وألعاب ألكترونية وكل ما أريد، وعندما تصبحين طيبة ستكون القائمة قد أمتلأت، وسأخبر **علياء** بالحال ان تدون في ورقة كل ما تحتاجه .

أنصاف تلاحظ بأن هناك أمراً يشغل مجموعة **هبة** مما يجعلها تتكلم بالهمس حال وصول إحدى الطالبات منها ، ولكن هدفها هنا هو ان تجمع بين **أيار** و**سبأ** غير مكترثة بالأخريات ، فذهبت الى **أيار** وقالت لها تعالي أطلعني على دفتر مذكرات **سبأ** كم هو جميل ... ملون ومزركش لم أر مثله ... تعالي تعالي فسارت معها الى حيث تجلس **سبأ** وهي تشدُّ على يدها .

أيار مبتسمة : ها ... دفتر مذكرات ليس له مثيل .. دعيني أراه .

سبأ مبتسمة وقد سمعت الحديث : أخرجت الدفتر من حقيبتها ووضعتة في يد **أيار** ... فراحت **أيار** تتمعن فيه وتقلب صفحاته الملونه .

أيار : حقاً ... انه جميل ... وألوانه رائعة كألوان الطاووس .

سبأ : هل أعجبك ؟

أيار : أكيد دفتر رائع لكن لماذا أجده فارغاً أين الذكريات التي تستحق أن تُكتب في هذا الدفتر !؟

سبأ بغرور : لا ... تعليق .

أيار : استغربت الى هذه الإجابة المقتضبة غير المهذبة وأرجعت الدفتر الى **سبأ** ، وعادت أدراجها وجلست على مقربة منها دون ان تنبس بكلمة وإعتبرت الرد إهانته وإنها لم تعد ان تكلمها زميلة بهذه اللغة الركيكة.

أنصاف : هل أعجبك الدفتر ..؟

أيار : لماذا تهولين الأشياء التي بيدها... انه مجرد دفتر ... وبأفلاس بخسة ... ثم أنبهك بعدم تكرار هذا الموقف ، أنا **أيار** ... تقول لي ... لا ... تعليق ... هزلت .

أنصاف : هذا اسلوبها ... الإعتيادي وأكد لم تكن تقصد ... فهي مثقفة ... ولا أعتقد بأنها قصدت الإساءه .

أيار منزعة : وما هو دور الثقافة في الأمر ؟؟؟ وهل تستطيع الإجابة عن السؤال التالي ان كانت مثقفة : كلمة مكونة من ستة حروف إذا حذف منها الحرفان الأخيران يبقى اسم الله، فأختبريها ان كانت مثقفة أم انه مجرد وهم وغرور وسراب تمثله علينا .

أنصاف : سؤال صعب ... لكن ... اخبريني بالكلمة او بالحل .

أيار مبتسمة : لا أذهبي الى المثقفة وهي تعطيك الجواب ؟؟ وإبلغيني بعدها وهي تنظر إليها.

أنصاف : توجهت الى سبأ حاملة السؤال وقالت لها عن حسن نية بأن أيار تريد اختبار ثقافتك ، لكن وقع الكلام ثقيل على مسامعها فإنزعجت وتمنت لو لم تسمعه منها ، فغار الكلام في أعماقها ولم تعلق بأي كلمة وأعتبرت كلامها هذا تجاوزاً في رأيها ، فأستطردت **أنصاف** قائلة : حقيقة لا أعرف ماذا حدث ؟ لماذا زعلت أيار منك ولماذا زعلتي أنت منها ، وكأني دخلت في دوامة والله دخت ؟ فنهضت وتوجهت الى **هيفاء** تكلمها لتستجد بها من هذه الأزمة المباعته ، التي لم أتوقعها زرعت التجاذب وحصدت التنافر ولا أعرف كيف اجمع بينهما من جديد ولاسيما بأن أيار طلبت مني ان لا أكرر هذا الموقف بزعمها تارة أخرى .

هيفاء مبتسمة : لا ... تهتمي ... فلنطبق وصفة جدتي الفاعلة لنشتري قطعة حلوى ونقسمها الى قسمين بالتساوي ونضع كل قسم في فم إحداهن ... فيتحول حديثهن الى سكر معسول .

الجزء الخامس والعشرون

وحالما غلقت هبة الخط أتصلت بها أيار مباشرة لتنتطلع كيف حلت المشكلة .

هبة : نعم اتصلت .. اسمعي انه متمسك بها الى درجة انه مستعد لخطبتها غداً كما قال لذا لا بد من التفكير بالأمر قبل اتخاذ أي قرار بشأن قطع العلاقة ..

أيار : غضبت كثيراً .. أنتِ مخادعة وهاهي العواقب الوخيمة حلت عليها جراء عدم تفكيرك الصحيح وهاهو ذا لم يفهم ما قلته له .. لذا .. لا بد من ان تتصل هي به وتنتهي الأمر .. لأن مشاعر الآخرين ليست لعبه بيدك ، لذا لا بد ان تتصل به .. وأما ان تكذب عليه .. أو تقول له الحقيقة من انها كرهته لشكله غير الجميل أو لنقل القبيح ، لتحسم الأمر وتتحمل العواقب ... ثم أغلقت الخط مع هبة وأتصلت بأنسام .

أيار : اسمعي ان الكلام الذي دار مع هبة وباسم (كيت وكيت) .

أنسام : حسناً سأفعل على الرغم من كل شيء .. وفرصة الآن فأنا الجميع خرجوا هذا العصر .. سأتصل .

أيار : حسناً استغلي هذه الخلوة وإنهي هذا الموضوع التافه وأخبريني بالنتائج .. الى اللقاء .. الى اللقاء ..

أنسام : وقبل ان تتصل به رن جرس الهاتف فإذا هو باسم تكلمي ولا تعذبيني أكثر من ذلك فقط اشرحي لي السبب وما هذا الكلام الذي سمعته من صديقك وهل هو صحيح .

أنسام متنهدة : نعم باسم هذه هي الحقيقة لا أستطيع الإستمرار معك أريدُ منك ان تنساني ولا تتصل بي أبداً ..

باسم : ماذا تقولين وهل كُنّا نمثل فلم وإنتهت هذه المشاعر ألا تفهمين هذه مشاعر .. أبهذه البساطة تُريدن قتل حبنا .. لكن لماذا ..؟؟ وما السبب الذي يجبرك .

أنسام : أرجوك باسم تفهم وضعي .. أنا أخطأت بحقك ولم أقل لك منذ البداية بأني مخطوبة لأبن خالتي الذي يدرس في الخارج ، فلا بد من معرفة الحقيقة .. بأني لم

أتلاعب بمشاعرك ولا عواطفك أبداً ولكن ظروفى تحتم على القبول بأبن خالتى فعلى الرغم من أنفى .. لأننى ابنة عائلة محافظة ولا تتراجع عن كلمة قالتها ..

باسم ساخراً : الآن فقط عرفتى إنك من عائلة محافظة ..؟؟

أنسام : أرجوك أنا لم أعرض عليك حب ولم أعدك بأى شيء من هذا القبيل أنت من أقام هذه العلاقة بيننا وبالهااتف ، ولكن كما يقول الشاعر (تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن) ، أرجوك أعذرني وتفهمني .

باسم بحسرة : مع كل الأسف لم أظن أبداً أنك تخونينى وتتركينى وسط الطريق .. أتصدقين أنى فاتحت والدتى بالموضوع وتهيأت لزيارتكم فى البيت لخطبة هذه الفتاة البريئة .. هذه الفتاة المسكينة التى تعيش تحت تسلط أهلها هذه الفتاة التى لا تعرف الخداع والخيانة والكذب والضحك على مشاعر الآخرين لكن أعتذر لفسى ... كنت تعبثين بمشاعرى وأحاسيسى تجاهك وتتسللين .. بل تتزلجين على رقة عواطفى الفيضة الصادقة النبيلة .

أنسام وقد تفرقت دموعها : أرجوك زمام الأمر ليس بيدي أرجوك إتركنى وشأنى . باسم : بالخيبة أملى فىك لكن على كل حال .. لا تخافى منى .. انا ليس امرؤ سوء ولا رجل أذى .. انا انسان شريف ولى اخت أخاف عليها .. لذا .. لا تخافى منى ابداً .. وانت لا تستحقين منى إلا الزجر فهذا مستواك .

أنسام تأثرت بما سمعت وتحشرجت العبرة بصدورها وقالت : أرجوك .. سامحنى عن كل ما بدر منى .. الأمر ليس بيدي .. وإذا كُنت حقاً كما قلت .. اتركنى .. والله يعوضك من هي خير منى .. هذا ما أريده .

باسم : لك ما شئتى .. ثم أغلق السماعه بقوة .. أما أنسام والسماعه بيدها .. أحست انها جرحته .. بل خدعته ولعلها تكون خسرتة .. فهاج الحزن بصدورها .. وضعت السماعه وأسرعت الى غرفتها ورمت بنفسها على سريرها .. واجهشت بالبكاء .

أعطى معاذ لأيار قرصاً موسيقياً جميلاً لمطرب غربي والجميل فيه تلك النغمات الصاخبة بحسب زعمه ، وعلى الرغم من أنها لم تفهم أي شئ من غنائه سوى الصراخ سمعت القرص وراحت تتأمله وتنسجم معه وتحولت الغرفة الى صالة رقص وقد شاركها السماع أنس ، وكان سراج الدين وأميمة يصعدان السلم فقالت أميمة مبتسمة كم هو مزعج مُعَاذُ يسمع الأغاني الغربية وبالصوت العال ، حتى يكاد يزعج أيار وهي في غرفتها تدرس أو تقرأ .. ابتسم سراج الدين قائلاً : إنها روح الشباب يا أميمة .. لنذهب له ونطلب منه تخفيض الصوت ، لكن الصوت صادر من غرفة أيار .. فأقترب من الباب .. وطرقت الام الباب .. ثم دخلا .. ورأيا ما رأيا .. ما لا يصدق .. اندهشا .. وبقيا صامتتين بإستغراب .. اما الراقصون فتوقفوا عن الرقص .. ورؤسهم الى الأرض فخرج الوالد مبتسماً وبقيت الأم لتؤنب .

اجابها : يا امي .. ارجوكِ لا تُعظمي المسائل .. نحن لم نفعل ما يُعيب اردنا فقط التفريغ عن نفوسنا .. لا أكثر ولا أقل من ذلك .. وقال أنس ضاحكاً .. يا امي .. ان أيار سحبتني واجبرتني على الرقص .. فصرخت عليه .. اخرس .. لا تكذب .. قالت لهم .. وانت يا أيار والمشكلة قبل قليل كنت اتكلم مع أبيك وأقول له ان معاذ يُزعج أيار بالأصوت الصادرة من غرفته اركِ الان ترقصين .. أف منكم ثم خرجت .. فأغلقوا الباب وجلسوا يضحكون .. وبالذات على أيار .. ذهبت الام وجلست قرب سراج الدين في الصالة .. وقالت . اراك جالس وكأن شئ لم يكن .. اجابها وماذا تُريديني ان افعل .. اجابته : وبخهم اغلظ عليهم .. اجابها .. على ماذا .. على مجرد اني رأيتهم يرقصون ويضحكون وهم فرحين .. ثم استطرد قائلاً : صحيح ان الذي رأيته لايعجبني ولكن .. أفضل من ان أراهم مكتئبين .. منطويين على انفسهم .. إذا شنتي أنت .. وبخيمهم .. وإلا فلا .

وفي وقت الإستراحة المدرسية يستخرج أنس وجبته الغذائية التي يجلبها من بيته ويضعها على جريدة فوق منضدة التي يشترك معه فيها صديقه علي ويطلب منه ان يشاركه في الأكل ولكنه يأبى ان يمد يده على طعامه ويكتفي بشطيرته التي تهيأها

له والدته ، وعندما إنتهى إستخرج أنس من حقيبته علتي عصير وقدم إحداهما الى علي لكنه رفض شاكراً إياه ، فقال له خذها أرجوك ... جلبته لأجلك ... لماذا .. ؟ لا تأخذه من يدي ؟ فأنا أضيفك والضيافة كما يقول والدي واجبة وان كنت تحبني فلا ترفضها ... أرجوك خذها من يدي .

علي : أنا أحبك يا صديقي ... ولكني ... ثم تناول العلبه من يده مكرهاً ، ثم راح يجوس في حقيبته مستخرجاً (الجلكيتيه) الجميلة اللذيذة التي أخذها من أخته سئبل ... كمكافأة ... والتي لم يرغب أن تراها عنده أخته علياء فتعاتب أختها ، وإستطرد قائلاً : وأنا أيضاً أحضرت لك معي جلكيتيه ... أرجوك خذها وتذوق طعمها .

أنس مبتسماً : أشكرك يا صديقي يا لها من جلكيتيه جميلة ... في حجمها وشكلها وألوانها الزاهية ، فتناولها وخبأها في جيب الحقيبة الداخلي .. أنها جميلة ... يا علي من أين لك هذه الجلكيتية .

علي منزعجاً : ولم تسألني هذا السؤال المزعج ... وهل سألتك يوماً ما ... من أين لك ما بيدك ... فعلى الرغم من أن والدي متوفي إلا اننا نملك راتباً ويجعلنا أفضل من الآخرين ، ونشتري ما نريد من لوازم ، ثم أدخل يده في حقيبته واستخرج العصير ورده إليه وطلب منه ان يعطيه (الجلكيتيه)، وحالما سمع أنس ذلك تفرقت الدموع من عينيه ولم يكن قاصداً أبداً لكن حساسية علي المفرطة بسبب وضعه المادي جعلته يطلق الكلام جزافاً .

أنس : والله لم أقصد ... وليست هذه أخلاقي فأنا أحبك وأحترمك ... وقصدتُ من أي مكان اشتريتها حتى أقل لوالدي بأن يشتري لنا مثله ... أرجوك أعذرني وأرجع العصير ... ولن أعطيك (الجلكيتيه) .

فعاد كلاهما الى بيته والتأثر باديأ على وجهه ولاسيما الرقيق أنس وبعد ان تناول الغداء قص على والدته القصة ، وتأثرت لتأثر ولدها وصديقه .. ولم تسفه الأمر حتى يكون درساً لولدها لنلا يعيد الكرة مرة اخرى مع غيره ولينتبه الى كلماته قبل ان يتفوهها ، وان كان بعمر صغير ، فبقيت (الجلكيتيه) في درجه كلما رآها يتذكر الموقف

الذي جرح به صديقه المحبوب ، ولم يستطع حتى ان يأكلها ، ففكر بالتخلص منها ، هل يرميها في سلة المهملات؟؟، لكنه تذكر بأنها نعمة ولا يجوز رمي هذه النعمة في سلة المهملات كما تعلم من والديه ، لكن الأفضل ان يقدمها هدية لوالدته ، فتوجه إليها وهي تجلس في المطبخ تسمع المذياع على برنامج اجتماعي تعودت سماعه اسبوعياً ، فقال لها : أمي تقبلي مني هذه الجكليته هدية ، فأخذتها الأم مبتسمة وراحت تتمتعها بتعجب من أين لك هذه؟ أهذه التي حدثت بسببها المشكلة ؟ أجابها : أرجوك أمي خذيها لا أطيق النظر إليها بسببها تألم صديقي علي ، سألته الأم : ومن هو والده المتوفي .

أنس : أسمه علي بهاء الدين نور الدين .

وبعد أن أنهت مروة الكورس الدراسي الثاني للماجستير بنجاح وتنفست الصعداء أقتنعت بسفرة الكلية وتحت الإصرار الشديد من قبل المعيدات وصديقاتها من الطالبات ، أعطت موافقتها بعد أن أقتنعت صديقتها سُبُل للذهاب معها لأن دائماً ما تصفها بنصفها الحلو ..فيما تصفها سُبُل بتوأم الروح ، الى جزيرة السندباد ذلك المكان السياحي الجميل ، سارت الباصات التي كانت واقفة أمام كلية الآداب ، النهار مشمس والطالبات يُغنين ويصفقن على راحتهن وفيض السعادة طافح على الوجوه الباسمة ، التي تحسُّ السعادة أكثر عندما ترى من تحب بقربها وبالشعور المتبادل للحب ، والطريف أن في المتنزه يستوعب عدداً كبيراً من السفرات الجامعية ، ومنذر وصل مبكراً ، قبل وصول الباصات وبدأت جولته للبحث عن مروة بحسب الخطة على ان يوهمها بأنها صدفة ، ولا يعرف ان كانت مشاعره ستفضحه أم لا ، وان تراه مروة وتُناديه وكأنها هي التي رآته ، وتأتي لكي تسلم عليه وهو في السيارة ، فراح يحرق بالمارة لعله يراها وسيارته تسير ببطئ شديد الى ان توقفت ، بعد ان دار كل الشوارع باحثاً بين الحشود الهائلة وكأنه يوم السفرات العالمي ، ومروة تمسك بيد سُبُل تتمشيان في شارع معاكس فإستدارت منه وهي في طريقها وراء السيارة ، ومنذر متضجر متأفف جالس في سيارته ينتظر تباشير القدر ان يقبل بذراعين مفتوحين .

سُبل : أوه مروتي هذا مكان جميل قرب هذه الشجرة الكثيفة الأوراق المخضرة لوثق هنا صورة تذكارية .

مروة : أيُّ شجرة تعنين فالمنتزه يعجُّ بالأشجار الجميلة .. ثم اني دائماً وكما تعرفيني أوثق الصور مع الأشخاص أكثر من الأماكن ثم استطردت : لأننا نحن من نعطي المكان جماله.

سُبل مبتسمة مازحة : نعرف نعرف بأنك جميلة ولكن دعينا نلتقط صورة قرب هذه الشجرة التي أمامك على جهة اليمين القريبة من الكشك وتلك السيارة السوداء .

مروة نظرت إليها : حقاً إنها شجرة كثيفة أغصانها متشابكة ومنظرها جميل هيا لنتقط صورة قربها ، لنعطي الكاميرا لأحد المارة ونطلب منه ان يلتقط لنا صورة فأقتربتنا من الشجرة وراء السيارة مباشرة .. فراحت مروة تضحك .. ترى .. أعطي الكاميرا لمن .. فسمع منذر صوتها فأهتزت عروش مشاعره وفاضت البسمة على محياه ، فهم بالنزول متظاهراً بأنه يبحث في صندوق السيارة لإستخراج بعض الأشياء .. ولكن لم يجد تمثيله أي نفع ، ولم تأت مروة لتسلم عليه ، فإستدار نحوها وقد تهلل وجهه بهجة وسروراً ، خارقاً بنود الخطة المرسومة قانلاً : السلام عليكم حقاً انها مفاجأة سعيدة .

مروة مبتسمة : وعليكم السلام حياك الله أعرفكما على بعضكما هذه رفيقة دربي **د.سُبل** وهذا قريبي **منذر** .

منذر : سعدت بلقاءك **د.سُبل** ... حياك الله وبياك .

د.سُبل مبتسمة : وجعل الجنة مثواي ومثواك ما دمت قريب توأم روحي مروة .

مروة مبتسمة : أليس لديك عمل في الشركة اليوم !؟!

منذر مرتبجاً : ها ... لا لا ... لكني مجاز اليوم لموضوع خاص ، تعالوا أدعوكم لنشرب عصير في مكان ما فأشار الى مكان وسط المدينة حيث الكراسي والطولة الحمراء .

سُبل وهي تشدُّ على يد مروة : حسناً ... ونحن قبلنا الدعوة ... هيا إلتقط لنا صور فنية قبل ان نجلس وفي كل مكان فراحوا يلتقطون الصور وينظرون إليها داخل

الكاميرا ويضحكون على التعليقات التي تعلقها سبل لاسيما وهي تعرف منذر سلفاً من خلال حديث مروة عنه وعن اعجابه بها من السفارة السابقة ، وعندما رأته وجدته يناسبها تماماً لذلك راحت تحظها على قبوله والتواصل معه وليس بالضرورة التوافق الوظيفي بين الزوجين كما تعتقد مروة التي رفضت بعض الأساتذة الذين تقدموا لها في الكلية ، لا سيما وقد انتهى اليوم سبب الإرجاء وقد انتهت السنة التحضيرية للدراسة وما تبقى إلا كتابة رسالة الماجستير ، وقد كانت تختلق الأحاديث والأسئلة لمنذر وهو الآخر يسألها عن دراستها وكليتها وكيف ألتقت بمروة ، وبينهما كل هذا الفرق في الإختصاص ، فأخبرته بعلاقتهم القديمة من الإعدادية وتواصلهم الروحي الذي قل نظيره بين البشر ، وهكذا حتى كلت اقدمهم من المشي وحتى العصير شربوه وهم يمشون بين شوارع الجزيرة ، الى ان عادوا الى الكراسي والطاولة الحمراء وسط الجزيرة ... وقد ازداد عطشهم ... فبادرت مروة بشراءه تارة اخرى على حسابها وقدمته لهما ورفضت ان يشتري منذر تارة اخرى على حسابه .

منذر يتكلم في دخيلة نفسه : اقسم لك بالله بأني أحببتك للوهلة الأولى وكأن جاذبية سحبتي إليك عندما إلتقت عيوننا مع بعضها البعض ونحن صغار اتمنى ان أجديك دائماً في طريقي ، سأبوح لك بمشاعري اليوم .. وأجعل روحي تسبح بين يديك .

سبل ضاحكة : استاذ منذر ... نحن هنا ... أين كنت !!!؟

منذر متأهباً للنهوض : وقد أحمزّ وجهه خجلاً ... لالا لا شيء ... أنا معكم .. ثم استطرد قائلاً ... استاذن .. فرصة سعيدة جمعتني بكما ... اللقاء .

سبل : لالا لا ... أبداً ... لا نسمح لك ... فالوقت ... وقت غداء ... أجلس رجاءً ... مروة أوليس كذلك ؟

مروة : إذا لم يكن لديه إلتزام ... طبعاً .

سبل : يؤجل الإلتزام ... ولنستعد الآن للغداء .

منذر فرحاً : حسناً ... لا يرد الكريم إلا البخيل لكني شعرتُ للتو بصداع شديد وكأنه ضغط على رأسي ، لكن الألم الآن قد زال نهائياً وكأن نوبة انتابنتني ثم زالت .. وأشكر الصدف التي تجعلني ألتقيك ..

سُبل مبتسمة : وهل تُدون كل الصدف في دفتر مذكرات ؟؟

منذر : نعم أكيد لي دفتر مذكرات أدون فيه كل الأحداث المهمة الجميلة التي تصادفني في حياتي .. ابتسمت مروة وهي صامتة ترنو إليه عن كُتب .

سُبل مبتسمة بعد ان لمحت الساعة : يا للهول أرف الوقت .. هيا حبيبتي لنتغدى ونغادر لدي عمل كثير فلا أستطيع التأخر ولن أنتظر الى العصر، لقد قظينا نصف النهار هيا هيا لنفتح الحقائب ونتناول الغداء ثم نظرت الى الحقائب وقبل ان تتفوه أسرع **منذر** وجلبها ووضعها فوق المنضدة ، فشكرته وقالت له وهي تنظر الى مروة انك أنسان لطيف ورفقتك لا تُمل .

مروة : ماذا ؟؟ ستُغادرين ... فأكيد يدي بيدك وكما يقولون رجلي على رجلك مكان ليس فيه سُبل لن ابقى فيه ، سنستأذن من مجموعتنا التي حضرنا معها ونغادر .
منذر فرح : أشكرك دكتورة ... هذا من حسن ذوقك ... وسيارتي بخدمتكم ... وان كانت دون المقام .

مروة : لا سأتصل بوالدي ... اشكرك .

منذر : لالا وألف لا ... ماذا أقول لعمي سيارتي موجودة أمامك وتتصلين به ليقطع كل هذه المسافة.

سُبل : لا بأس حبيبتي ... اتصلي بوالدك وأخبريه بأن **منذر** موجود عن طريق الصدفة وسيوصلك الى المنزل بعد ان يوصلني .

مروة : ونزولاً الى رأي سُبل اذعنت وقبلت الفكرة واتصلت بوالدها لتعلمه ، وعندما انتهوا أخرجت مروة كاميرتها الرقمية الحديثة ، لأن والدتها بإتظار الصور التوثيقية لهذه الرحلة وقالت .. هيا .. لنلتقط الصور فنهضوا وهم يضحكون .. ويختارون الأماكن الجميلة .. وقد قضوا وقتاً جميلاً وممتعاً ... ثم اتجهوا الى سيارة **منذر**

وأوصل سُبُل ثم مروءة .. وعلى الرغم من هذه الفرصة الذهبية الثمينة للبوخ لها بلواعج حبه إلا أنه لم يتمكن وثق لسانه لأنها من وجهة نظره لا تسمح له ولا تبادلته الشعور ولا تفهم ولا تترجم لغته ، لذلك ترك الأمر الى صدفة أخرى وقد تكون يوم مناقشتها لرسالة الماجستير ، والكل عاد أدراجه الى بيته وأسدل الليل ستاره والكرى لم يثن عيون منذر ، وصدى كلام الرحلة الجميلة يتردد على أسماعه نهض من على سريره ليجلس على كرسيه وراء مكتبه .. ليرى صورة مروءة بابتسامتها الساحرة أرق لذئذ انتابه حتى الصباح .

وتحت إصرار هبة أقنعت أيار بأن تخرج الى الساحة المدرسية وتشارك بمنهاج الحفلات الوطنية التي تُقيمها المدرسة ورجتها بأن لا تتراجع لأنها الجريئة والقادرة على ذلك .

أيار : أكيد أنا جريئة ... ولكني لا أريد الغناء ... ألقى الكلمات والقصائد .

هبة ضاحكة : لا تهتمي فأنا ... المطربة وأعتز بهذه المهنة التي تدرُّ عليّ المال ، اذن بأعترافكن من اني انا المتبوعة وانتُن التابعات .. لأنكن الكردوس ... أولستِ يا أيار تمتلكين المقدرة على الكتابة .

أيار : نعم بالطبع قادرة .

هبة : اذن حاولي كتابة برنامج مضحك وأنا أقدمه وسط الساحة قبل ان نقدم الأغنية .

لينا : انها لمسألة بسيطة جداً وأنا أعدك من اني سأسهر الليل جاهدة للوصول الى إعداد أفضل البرامج الكوميديّة الفريدة من نوعها .

هبة : وأنا مُستعدة لتقديم أي برنامج ترفيهي المهم ان شلنتنا تظهر بالوجه الجميل امام المدرسة والمهم ايضاً ان هذه البلهاء لا تستغل جهد أيار لصالحها .

انتهى الدوام المدرسي وأيار كعادتها واقفة بانتظار السيارة .. جاءت هُدى

وألقت التحية كيف حالكِ مع قبلتين ، اجابتها وهي منزعة من القبل اليومية التي ليس لها مبرر .. أهلاً .. هُدى .. قالت هبة مبتسمة .. رأيتكِ أنتِ وأخاكِ في حفلة العرس

عرس حسين .. ورأيتكِ عصر أمس في السوق أنتِ وأخوكِ الآخر ورأيتكِ فقاطعتها أيار ضاحكة .. عال عال .. جنابكِ بُرج مُراقبة عليّ .. تُراقبين حركاتي وسكناتي .
هدى ضاحكة : أ عفواً أنا لا أقصد شيئاً مما قُلْتِ سوى إهتمامي بكِ وبالطبع هذا الإهتمام نابع من إعجابي بكِ.

أيار : في نفسها لأقسم إنكِ تخفين أمراً كبيراً وراء كلامكِ هذا .. ثم قالت : لا عليكِ **هدى** .. أنا أمزح معكِ .. اكلمي كلامكِ ، ففرحت لقولها **هدى فرحة** وقبل ان تتواصل ، لمحت **قتيبة** من بعيد فأستأذنت .. والآن اسمحي لي بالإنصراف والإبتسامه مرسومة على وجهها ، وفي السيارة : أراكِ باسمه اليوم والحمدُ لله .. أجابته : نعم فيومياً اتفكه على **هدى** .. وهي تتصرف وتتكلم كالبلهاء .. وتكرر كلمات الإعجاب والإطراء ..
يومياً كالشريط المسجل .. لكن تأكد يا **قتيبة** .. ان حاستي التي لا تخيب ظني تقول لي من إنها تُخبيء شيئاً ما وراء كل ما تفعل .. وسأعرف هذا الشئ من خلال سماحي لها بالحديث عن كل ما تود .. وصلا البيت وتناولوا وجبة الغداء .. بعد ذلك .

وبعد ان بذلت **أنصاف** جهداً جهيداً للتقريب بين **سبأ** و**أيار** ، اليوم تعيش مرحلة جديدة وهي الشد والجذب والمد والجزر بينهما ، فالحوار الأفضل يكون عبر الفايبر وبدأت **سبأ** تسألها عن سبب زعلها .
سبأ : أنا ... لم أزعل ولم أتزعل ... لكنها حادة الطباع ... ولا تهتم بقول أي كلمة حتى وان جرحت الآخرين .

أنصاف : أرجوكِ صديقتي وضحي لي بالضبط ... ما هو سبب زعلك ... أو بعبارة أخرى ما هو سبب إنزعاجك من **أيار** .

سبأ : أمعقول يا **أنصاف** تسأليني وعبرك وصل كلامها لي وهي تقول لك بأنها لا تزال تختبرني ، أي أنا بالنسبة لها على المحك ، في مرحلة اختبار وكأنها رب عمل وأنا متقدمة للعمل عندها .

أنصاف مستغربة : ماذا ماذا ؟ أنا قلت لك بأنك تحت الإختبار مني لا أذكر أرجوكِ لا تصيبيني بالذهول .

سبأ : سرعان ما نسيتي ... السؤال الذي أرسلته لي لتختبر ثقافتني ثم تقيمني بعد ذلك .
أنصاف : يا الله كدت أنسى السؤال ، الآن فهمت ... فأن كل ما تقدم من كلامك تفسير وتحليل لما تقدم من كلام أيار ، وباعتقادي أنها غير قاصدة تفسيرك وتحليلك ، لكن الآن هل أنت مستعدة لبدء صفحة جديدة معها وطي هذه الصفحة المبهمة .
سبأ مبتسمة : ليس لدي مشكلة معها فأنا أحترمها وأرى فيها شخصية جميلة وجذابة ، لكن لا بد أن تعرف بأنها أخطأت في حقي ، وان الإختبار لا يكون لمثلي لاسيما وهي تسابير وتحابي التفاهات من الطالبات .

ثم أتصلت بأيار بالأسئلة نفسها : أرجوك صديقتي وضح لي بالضبط ... ما هو سبب زعلك أو بعبارة أخرى ما هو سبب انزعاجك من سبأ ؟؟
 أيار : لم أزعل ... لكنها مغرورة فوق التصور أمعقول يا أنصاف تسأليني وأمامك أهانتني بكلامها وهي تقول لي بغرور لا تعليق ؟ وأنا أقف أمامها مبتسمة وأحادثها حول دفتر المذكرات وأنا أعتبر هذه الكلمة أهانه .

أنصاف مبتسمة : صحيح لكن هذا هو أسلوبها ... ولا أعتقد انها تقصد الإساءة إليك البته ، لكنها فهمت بأنها في مرحلة أختبار وانها على المحك .
 أيار مبتسمة : أنا أرسلت لها سؤالاً حتى تعرف أن أيار مثقفة ولا تستحق منها الرد بعبارة لا تعليق التي لا يليق قولها أمام شخص مثلي وانما أمام شخص فاقد الأهمية والأهلية ، وليس لأختبرها البته فهي مثقفة .

أنصاف : الآن فهمت ... فأن كل ما تقدم من كلامك تفسير عقلائي وتحليل لما تقدم من كلام سبأ ، وباعتقادي أنها غير قاصدة في عبارتها غير انها لم تجد أجابة مناسبة للرد على سؤالك ولاسيما وأنت تقولين أن لها دفترأ جميلاً خالياً من ذكريات تناسب الدفتر وتمعني بسؤالك ، لكن الآن هل أنت مستعدة لبدء صفحة جديدة معها وطي هذه الصفحة المبهمة .

أيار مبتسمة : ليس لدي مشكلة معها فأنا أحترمها وأرى فيها شخصية رومانسية ، لكن لا بد ان تعرف بأنها أخطأت في حقي ، وإنها تتحدث دائماً بإسلوب الألغاز والشفرات أتمنى منها الوضوح والشفافية .

أنصاف : ولتكرمي علينا يا أيار ... وتفكي شفرة سؤالك ما دمت منتقدة الألغاز .

أيار ضاحكة : أيّ سؤال؟؟

أنصاف : لقد ذكرتي سلفاً بأن ذاكرتك حديدية ولا تنسى السؤال الذي أرسلتني بيدي الى سبأ .

أيار : جل من لا ينسى ... فالسؤال بسيط وليس لغزاً .. ان كلمة اللهجة ... مكونة من ستة حروف ، وهي دالة على لغة التحاور او التخاطب ، فإذا حذفني منها الحرفين الأخيرين يبقى لفظ الجلالة الله ثم ابتسمت وقالت ممازحة ولكن هذا السؤال الى سبأ ... ولا تبلغها بالحل.

أنصاف مبتسمة : يا له من سؤال سهل ممتع الفهم ... لقد تعبت وأنا أحلل شفرته ولم أستطع .

الجزء السادس والعشرون

زكية تواصل حديثها الإسبوعي مع مروة : نعم أنستي برسالة نصية صغيرة انهى المقدم ظاهر عاماً كاملاً ... كما أسلفت ... فإنتكست أم عابد .

مروة : يا لها من صعقة غير محسوبة ... من حقها ... تنتكس ... أرجوك أكملني .

زكية : لم تمر العاصفة بسلام ... رقدت أثرها في المستشفى لمدة شهر كامل ... والحمد لله تعافت وعادت الى عملها الذي يمدها بالحياة مقررة التواصل ، وذاعت بين الناس بالإتفاق مع عصام بأنها هي من فسخت الخطوبة لأمر عرفتها مؤخراً عنه ... وكلما تتزاحم الأحداث تتقدم الأخبار .

مروة : أشدُّ على يدها ... فهذا ... رجل وضع ... ويجب ان تكون أقوى من خداعه ... وان لا تمنح الثقة لكل من هب ودب ... وان تفوض أمرها الى الله تعالى .

زكية : وهو كذلك .. عادت الى وظيفتها في المعمل ... والى مهنتها في الخياطة ... وزبائننا كثر لأنها تجيد خياطة كل أنواع الملابس النسائية والرجالية ، والطريف في قدرها انها محط اهتمام الرجال في موقع عملها ، وقد أخبرتها احدى الموظفات ان احد زملائها معجب فيها ، لكنها ردتها رداً عنيفاً ، وحذرتها من قول هذا الكلام لأن جروحها لم تتعاف بعد من أذوبة الإعجاب وتمثيل الخطبة ، ولكن زميلها نزار هذا غير متزوج شاب مقبل على الحياة ، تقرب إليها بكل أدب وأحترام لغرض الخطبة ، فقالت له وماذا بعد الخطبة ؟ اجابها :

ان تشاركينني حياتي ، فوافقت شريطة ان لا تطول الخطبة أكثر من أسبوع وان لا تعلن الخطبة إلا يوم الزفاف ، فوافق بالحال وراح يسرع بخطى عملاقة لإكمال اجراءات العقد الشرعي والقانوني في المحكمة ، وأقام لها حفل زواج كبيراً ... وقد بكيت كثيراً من الفرح لأجلها ... عوضها الله خير على معاناتها .

مروة مبتسمة : الحمد لله .. وبالفعل ردت إعتبارها لنفسها أمام الناس على الأقل خبر يتلج الصدر.

زكية : كان نزار رجل رائعاً... أحبها بصدق حول حياتها الى جنة عدن ، وقد رزقها الله تعالى بولد بعد ان ذاقت الويلات جراء حرمانها من ولدها عابد ، وفي العام الثاني رُزقت بولد ثانٍ أدخل السرور وزرع البسمة على محياها ، وتشاركها كما يقول المثل على الأيام الحلوة والمرّة في حرها وبردها ، وعلى الرغم من كونه موظفاً بسيطاً إلا أنه أستطاع ان يشتري قطعة أرض في إحدى المناطق بالتقسيط وقد تمكن من تسديد كل الأقساط ، ثم اتفقا على الإقتراض من المصرف لبناء هذه القطعة أفضل من بعثرة المال على الإيجارات ، وقد لاقت الفكرة استحسان ولاء ما دام التسديد يتم من راتبهما ، وقد تم الأمر وحصلنا على القرض وتم بناء منزل صغير ولكن بطابقين ، وكانت فكرة نزار إستثمارية وهي الإفادة من الطابق العلوي بإيجاره والإفادة من مبلغ الإيجار ، المهم ... انتهى القرض ولم ينته بناء البيت ، فقاما ببيع كل ما لديهم من غالٍ ونفيس وإستنادنا من بعض الأصدقاء المخلصين حتى اكملوا النواقص في الطابق الأرضي فقط أما الطابق العلوي فمؤجل الى حين ميسرة ، المهم تخلصنا من شبح الإيجارات .

مروة مبتسمة متنهدة : وأخيراً ... حصلنا على السكن لأن السكن وطن ... الحمد لله رب العالمين لقد عوضها الله تعالى بهذا الرجل حفظه الله لها ولأولادها ولم شملها بولدها عابد .

زكية مبتسمة : وعادت مهنة الخياطة من جديد وعلى الرغم من انه حي جديد إلا ان احترافها في الخياطة جعل كل من يرى إبداعها يعلن عنه ، وراحت تسدد بعض الديون مما تحصل عليه وكلاهما متعاونان وسعيان يذهبان الى العمل ويعودان سوياً وأطفالهما معهما ، والجميل تفهمه لها بقدر حبه ، ويفهم حاجتها إليه في طلب المساعدة في الحصول على أخباره ولا تطمع أبداً بأكثر من ذلك ، ولأنها أم تفهمت لوعة ولاء على ولدها عابد ، وراحت تتقصى أخبارهم من بين الأقرباء حتى وجدت رقماً فإتصلت بالحال بولاء وذهبت إليها ليلاً على جناح السرعة برفقة نزار ، واتصلت قريبتهم بالرقم أمامها ، وكانت فرحتها غامرة بسماع اصواتهم وطلبت من والد عابد بأن يسمح لعابد ان يكلم والدته ، وهكذا اكتملت فرحتها بصوته ، وحتى يجعل نزار

الفرحة مرسومة على وجهها دائماً جعل (النت) في بيتهم ، لتتواصل معه في الصوت والصورة وترى كيف ينمو وكيف أصبح شكله ، فوجدته في أتم حال وسط أهله ، وفي الأجواء الرائعة في استراليا وبكل أنواع التواصل الإلكتروني يومياً ، والرائع انه تعلم اللغة الإنكليزية وكأنه منهم ، لاسيما وان لونه أبيض كلون والدته وليس مثل خالته بلون الخبز الأسمر .

مروة مبتسمة : وهل يوجد ... أأذ من الخبز .. يا زكية .. لديمومة الحياة ... لكن قولي لي ما هو تحصيلك الدراسي وما هو تحصل **شامخ** .

زكية : أنا نجحت من الثالث المتوسط و**شامخ** في الأول المتوسط .

مروة : جيد ... المهم تجيدون القراءة وبإمكانك أنت أن تتعلمي وتتقني وتستوعي أي معلومة إلكترونية جديدة.

زكية : لا .. الحمد لله .. أعرف ولكن نقالي لا يزال تقليدياً وأعرف من **ولاء** النت والواتس أب عندما أذهب لزيارتها ، أنا حنونة ... وكلما أذهب إليها تعرض علي ترك العمل هنا وان أعيش في بيتها ... وعلى الرغم من فرحي بدعوتها هذه لكني لا أريد أن أثقل عليها .

مروة مبتسمة : وهل هذا هو السبب الرئيس ؟

زكية متتهدة : وأنت يا غاليتي تعرفين السبب الثاني ، لكني حقيقة وأقسم لك بأني أحبكم وأعتبركم عائلتي التي منحها لي القدر ، وهنا وجدت حبي الأول ، كل شيء في هذا المنزل أحبه وأعتبره جزءاً من حياتي .

مروة : نحن أيضاً تعودنا عليك عزيزتي ، المهم الآن ... انتهت الساعة وسُئِل في إنتظاري ، والأهم من ذلك من أنك طمأنتيني على عاقبة **ولاء** السعيدة في منزلها وزوجها وأولادها .

زكية متتهدة بألم : كلا ... أنستي ... لم تنته قصة **ولاء** بعد فللحديث بقية ورسائل أخرى بأنامل القدر لم أقرأها بعد ... نحتاج الى ساعات أخرى لتكتمل و**شامخ** بالطبع يعرف بكل هذه التفاصيل .

وفي الدوام المدرسي سئمت أيار الفوضوية وانعدام الرشادة التي تعيشها الجماعة التي تنضم إليها ، ومشاكل وكآبة أنسام ... إلخ ، وتحذيرات عمته مروة منهم ، وفي الساحة حيث الوقت المخصص لتدريس أنصاف وهيفاء مادة الإنكليزي التقت عيون أيار بعيون سبأ ... فراحت أنصاف تمسك بيديهما وتضعهما ببعض البعض فارتسمت الإبتسامة على محياهما وتصافحتا وقبلتا بعضهما البعض بشعور متبادل لم تتوقعه أنصاف فإنصرفت هي وهيفاء لتفسح المجال امامهما ليتعابتا .

سبأ مبتسمة تشدُّ على يدها : لم أزعل عليكِ ... ولكن عندي عتب .

أيار مبتسمة تشدُّ على يدها : وأنا أيضاً لم أزعل عليكِ ... ولكن عندي عتب .

سبأ : أمس من الماضي ، ونحن نعيش اليوم ... لنجلس ونغتتم الوقت .

أيار : وأنا ... معك ... أوييد كلَّ ما تقولينه ... ويا ليت السماء تمطر مثلما أمطرت قبلئذ ووقفنا تحتها أتذكرين ؟

سبأ مبتسمة : الله ... كانت لحظات رائعة ... جمعتني بك ... اتمنى ان تكوني صديقتي ، لأنك شخصية رائعة ولك جاذبية قوية في شكلك ومنطقك ... وثقافتك .

أيار مبتسمة : وكأنك قرأتني ما بداخلي ... وأنا أيضاً أتمنى ان تكوني صديقتي ... وانت أيضاً جذابة وعلى الرغم من غموضك أجذك رومانسية ترقصين على جليد فوادي بغرور .

سبأ ضاحكة : ماذا؟؟؟ راقصة ... ومغرورة ... جزاك الله خيراً على هذه المهنة .

أيار مبتسمة : انه تعبير مجازي ... وأنت تفهمين كلامي غير المتكلف ... هذا هو شعوري الذي أحسه تجاهك .. أقسم لك ... عندما أراك أشعر وكأن شيئاً بصدري يتحرك ... شعور لم أعرفه من قبل .

سبأ : الله كم تمنيت ان أسمع منك هذا الكلام من قبل وكم أردت ان أخبرك بأنني أحبك .. ولكن تركت أنامل القدر تسطر ما تريد ان تكتبه لنا حتى أنني أكلم أخواتي أنهار وأطوار عنك دائماً وهنّ يتحررين أخبارك .

أيار متنهدة : يسعدني جداً ما سمعت منك وأعدك بأن أكون عند حسن ظنك ، كما ويسعدني التعرف على أختك الفاضلة **أطوار** وأبعث بتحيات حارة لها .
سبأ : أشكرك حبيبتي أهديك أحدى أغاني المطربة الرائعة أم كلثوم لتتكلم بالنيابة عني.
أيار متأنفة : أم كلثوم ... ليس غيرها وهل أنتهى كل مطربي العالم ؟ لا أطيقها ولا أطيق سماعها ... هيا هيا غيري رأيك وأستبدلي الشريط بإهداء آخر أكثر شباباً وأكثر حداثة ورومانسية .

سبأ مبتسمة : لا بل أثبت على أهدائي إياك أغنية أم كلثوم التي سأحدها لك ... ولو أنك سمعتها لأعطيها حقها ولتسللت المفردات التي يصدق بها صوتها الشجي الى كل مساماتك ... اسمعها أرجوك .. وبعد سماعك لصوتها ... قيمها فلا يجوز ان نعطي آراءنا جزافاً من غير ان نجرب الشيء أو نسمعه أليس كذلك .

أيار : سأحاول ... لأنني لا أطيق .. سماعها ثم أنها تكتسح كل الوقت من الصباح الى المساء ، ولكن أعذك سأحاول سماعها مكرهة في العطلة ان شاء الله تعالى ونحن نستعد للكلية .

سبأ ضاحكة : والله ... صوتها رائع ومؤثر ... ويدخل أبواب كل قلوب العاشقين الوالهيين الصادقين ... بدون استئذان ... وليس المهم متى ستقرررين السماع ... المهم عندي أنك وافقتي على تقبل سماعها ... فأشكرك ...

زكية : نعم أنستي وصلنا الى حيث ام **عابد** استقرت مع زوجها **نزار** وولديها **حسن** و**حسين** في بيتهما الجديد ، وبعد ان أصبحا في عمر الإبتدائية ولدت ولداً ثالثاً لكن لسوء طالعها كان مريضاً بفقر الدم المنجلي البحري ويستوجب تحويل الدم له كل شهر الى ان يصبح شاباً ، كان **نزار** اكثر صبورا منها بقوله انه اختبار السماء لهما ، والأهم لديه ان لا يسمع ولدهما أي حديث حول الموضوع ويعتاد على الأمر وكان كل الناس تذهب كل شهر الى المستشفى لتحويل الدم لدرجة انه عندما يصل الى المستشفى ينام على السرير المخصص له ويمدُّ يده لإستنشاق دم الحياة الذي يعتبره كالوقود الذي يجعله يتواصل مع الحياة ، وفي هذه العام طلقت أخت **نزار**

وجاءت للعيش معهم ، وبما ان البيت صغير استقرت في غرفة الأطفال علماً أنها لا تملك أطفالاً ، إزدادت تكاليف العائلة ولم يتمكننا بعد من اتمام ما تبقى من شكليات بسيطة في الطابق العلوي الذي عولا عليه لتأجيره والإفادة من ايجاره ، ولكن طرأت فكره على نزار وهي الإعلان عن تأجيره والمؤجر يقوم بإكماله على ان يكون المبلغ الذي يصرف من ضمن مبالغ الإيجار ، وقد لاقت الفكرة إستحسان ولاءً وبالفعل أعلنوا عن تأجيره قد وجدوا مؤجرين كثر وافقوا على التأجير وقبل إبرام عقد الإيجار ، وقبل إبرام عقد التأجير واجه عصام مشكله وهي ان صاحب البيت الذي يسكن فيه طلب منه افرأغه في غضون ثلاثة أشهر وهي مدة انتهاء عقد التأجير والذي يجدد سنوياً ، وعلى الرغم من بحثه عن مكان مناسب إلا انه لم يجد ، لذلك جاء لأخته ولاءً طالباً استئجار الطابق العلوي (والأقربون أولى بالمعروف) بحسب ما قدم من قول ، ولم يمانع نزار ما دام سيقوم بالمطلوب ويكمل الطابق العلوي ويوافق على الشروط وانه خال أبنائه وإكراماً لأم أولاده .

مروة : أظن ستتشابك الأحداث .. فقد تم إختراق الإستقلالية ... أوليس كذلك ؟

زكية متنهدة : وبالفعل عمل عصام بجد طوال شهر كامل في الشقة العلوية وجعلها جميلة وصالحة للسكن وقد نال عمله استحسان ورضا نزار على ان يخصم المبلغ الذي انفقه من الإيجارات المحددة ، ولكن بصفته من العائلة لم يلزمه بعقد إيجار ، وانتقلت عائلته الى العيش في الشقة وكانت فرصة للقاء الأطفال بأقربائهم بعد سنين من العزلة التي يتصف بها أبناء الموظفين ولا سيما وقد أصبحوا عصابة في الذهاب والإياب من والى المدرسة ، بالفعل وبعد انتهاء المدة المقسطة للمبلغ الذي أنفقه بدأ يسدد الإيجار شهرياً من عمله في شركة الأوجي للموبيليات وكما تعرفين ، ولكن حركة الصبية ودبكاتهم في الشقة راحت تخلق الضجر للعائلة ولا سيما في أوقات الراحة ، وعلى الرغم من توصيات والدهم إلا انهم صبية والمكان بحبوحة ، وحتى نزولهم على السلم الخارجي بطيش يكون عن طريق التزلج والقفز ، فكانت ولاءً تعتبره من البديهيات إذ كلما كبر الصبية تشابكت المتطلبات وكثر شجارهم ، ولكن ولدها الثالث المريض أياذ

لا يحتمل شجار مقصود ولا غير مقصود ، وكانت عمته ساجدة تحبه كثيراً ولا تقبل ان يؤذيه أحد حتى وأن كان هو سبب الشجار ، وتُعلن بمبالغة وأمام ذويه مظلوميته وإنه يحتاج الى رعاية تامة ، وكثيرا ما كان إهتمامه المفرط والمبالغ فيه يزجج ولاء لأنها ونزار كانا يعاملانه على انه طفل سوي ليعتاد على حياته .

مروة : أشدُّ على يد ولاء ... فلا يجوز البتة أن يتولد الشعور لديه بأنه مختلف عن أقرانه وان يكون الإهتمام به لا يثير انتباهه ... ولكن ... ما العمل ... وهي تقوم بدور المربية والعمة المحبة .

أنصاف : تعرض على أيار فكرة الجلوس مكانها قرب سبأ وهي تنتقل مكانها للجلوس مع هيفاء لأن كرسي المدرسة يتسع لأثنين ، وقد لاقت الفكرة إستحسان كل الأطراف ولاسيما سبأ التي رحبت بالفكرة بفرح مفضوح حتى أنها لم تعارض مجاملة لأنصاف التي كانت تجلس قربها مدة طويلة وكانت خير زميلة ، وبالحال تم تغيير الأماكن ولم تكثر أيار لمجموعتها ولم تعرها أية أهمية ، وفي اليوم الأول البهيج وبينما هما جالستان سألت أيار سبأ والإبتسامة مرسومة على محياهن : هل وجدتي الإجابة على سؤال الذي أرسلته لك بيد أنصاف ؟

سبأ وقد غارت الإبتسامة في أعماقها وامتلات غيضاً واطرقت مغطية وجهها بكفيها وقالت بتوتر : يا إلهي .

أيار تحاول تدارك الموقف : حبيبي ... ماذا حدث؟! إنه مجرد سؤال ... أرجوك (وأسحبه).

سبأ متتهدة بفتور : الأجدرك بك يا صديقتي أن تسأليني عن معنى أسمي أو بالأحرى عن معنى أسمك أنت؟؟

أيار : أرجوك لا تشيحي بنظرك عني ... ماذا فعلت ... سألت سؤالاً ... وسحبته ... سبأ : وأنا سألتك سؤالاً أيضاً ، وإذا كان سؤالك عادياً ولم أتعرف على إجابته ...

أجيبني أنت على سؤالتي ؟

أيار بفتور : سؤال وجيه ... ولكن ... لا أعرف الإجابة عنه سأسأل عمتي مروة ؟

سبأ : لا داعي لسؤال مروة فسبأ مملكة عربية قديمة ازدهرت في القرن الثامن قبل الميلاد في غرب الجزيرة العربية اشتهرت بحضارتها وعمرانها ، و**بلفيس** إحدى ملكاتها ومأرب إحدى عواصمها ، ثم صوبتها بنظرة لا تخلو من الغرور والعتب ، وأما **أيّار** فهو الشهر الخامس من شهور السنة الميلادية (كما يعرف الجميع) ولكن بحسب الأسماء السريانية المستخدمة في المشرق العربي يقابله في التسمية الغربية شهر مايو أو ماي ، والأهم من ذلك ان معنى اسم أيّار يعني النحاس الأصفر .

أيّار مستغربة : ان كل ما ذكرته أعرفه عدا النحاس الأصفر ، وأردت سماع ما بجعبتك ، فأنا غير مقتنعة بهذه المعلومة ، لأنني كما أعرف معنى اسمي ليس النحاس البتة ، وانما الكلمة بابلية الأصل، وقد تعنى الضياء أو النور، أو تعني الزهر وهو زهر فصل الربيع .

سبأ : هذه المعلومات عرفتها من (النت) أدخلت أسمك وسألت عن معناه .

أيّار بفرح : ولماذا ؟ سألتني (النت) عن معنى اسمي ؟

سبأ بفتور : لأنني أهتم لشأنك ... وأريد ان أعرف عنك أدق التفاصيل ... بدءاً بمعنى أسمك ... لأننا تعاهدنا على الصدق والصراحة والمحبة والثقة والإحترام ، لأنها الأسس الحديدية لأية علاقة رصينة .

أيّار بتأثر : يسعدني حبيبتني ما سمعت ... وأكرر عهدي لك بالصدق والصراحة والمحبة والثقة والإحترام .

سبأ مبتسمة : وأنا أيضاً أكرر عهدي لك ... ولنحلم بأننا دائماً نعيش في دولة القمر المضيء.

أيّار عندما لاحظت بسمة سبأ وبهدوء : ولكني لست نحاساً أصفر كما تزعمين .

سبأ مشيخة بوجهها واضعة يداها على وجهها : يا إلهي ... يا إلهي .

أيّار مستغربة : ماذا دهاك يا سبأ كلما تفوهت بكلمة قلتي ... يا إلهي ... يا إلهي ... أولم تصفيني قبل لحظات بالنحاس الأصفر ... إسترجعي معلومات ذاكرتك رجاءً ،

وعدايتها بالمعلومات الصحيحة فأنا لست نحاساً ، وإنما نور ساطع أو زهر يانع في فصل الربيع.

جنّ جنون هبة ومجموعتها وراحت تتكلم مع أيار في الساحة حول سبأ وضررة الإبتعاد عنها لأنها تناصبهم العدا بغموضها ، ولا بد ان تقطع علاقتها بها لأنها دوامة من الغموض ولا بد ان تنأى عنها وعن مشاكلها وعن سجلها الحافل غير المشرف التي تتكلم عنه الطالبات .

أيار ضاحكة بسخرية : سجلها غير مشرف لماذا وهل حققت الرقم القياسي في صحبة الفتيان ؟ أرجو أن لا تناقضن أنفسكن وتتكلمن بوضوح لأنني أكره الأوامر أفهمتن؟ هبة منزعة : وما أدراك بها ... فأنا أشرفها ... أسمعني ... أشرفها .

نادين : نحن صديقاتك ونريد صالحك ... ومثل هذه خطر عليك . هند : لا أعرف كيف تطيقين التحدث مع هذه الوصيفة ... أنا أكره حتى أسمها لأنه مقزز وصوتها كريه .

أنسام : أنا لا أعرف حقيقة كيف انجذبتني إليها وكأنها سحبتك بقوة مغناطيسية سحرية ، وبإمكانك التأكد من نفسك ... كيف كنت تمقتينها وكيف سحبتك وأنت نائمة والسير خلفها لدرجة تركتي مكانك قرب البلهاء هيفاء .

لينا : وقد أخبرتني إحدى الطالبات أنها تمثل عليك دور الصديقة الحميمة فقط لإغاضتنا ، متوخية الإيقاع بك ، وإلا لماذا تطور علاقتها بك أنت بالتحديد دون غيرك بهذه السهولة ؟

هبة بتوتر : ثم نحن مجموعة كاملة منذ سنين وقد تعاهدنا ان لا نفترق وأن لا نقبل عضواً جديداً وان لا نفترق مهما كان ، ولا سيما هذه المغرورة المتعجرفة كريهة الإسم ... حتى صوتها مقزز ... أوليس كذلك ؟

أيار : لا أسمح لأي أحد أن يرسم لي مساري في تحديد وتوثيق علاقاتي مع الطالبات وهي زميلتي في الصف مثلها مثل غيرها ... ولكن توخين الحذر والدقة في نقل المعلومة وابتعدن عن التناقض .

هبة : أنا لا أعرف كيف تطيقينها ... وهي طوال الوقت باسرة عابسة وكأنها في مدة حداد لا تعرف البسمة فمها دائماً كأنه المثلث لا يتحول الى مستطيل ولا للحظة واحدة ... اظنها خرساء .

أيار منزعجة : ومن منكن شقراء ... حتى ان سباً وصيفتها ؟ ثم كيف لخرساء تناصبك العداة ؟

هبة : لا تغيري الحديث ... فأنا أسخر منها في وصفي لها .

لينا : أظنها سقتك السحر في عصير أو أكله معينة ... حتى برج اليوم يقول ذلك .

هند : لكن ألا تلاحظين نظرات عينيها المخيفة وكأنها الساحرة العجوز وصوتها المأساوي .

أيار مبتسمة بهدوء : صوتها أجمل صوت سمعته في حياتي كأنه الموسيقى الهادئة.

لينا : حتى تصدقوني ... عندما أقول أنها ساحرة ... ورأيك بنظراتها الساخرة .

أيار مبتسمة : أما عيونها فمينا آمن يرسو فيه قارب كل من نظر إليها ... وان كان لديها تاريخ سيء كما تقول هبة فليس لي علاقة بتاريخها بل بحاضرها معي ... ولا أتدخل في خصوصياتها ... ثم ان الفتاة دمثة الأخلاق ولم أسمع منها قط كلمة نابية ... ولا تسخر من الأخريات ... وكل ما تقدم من قول محض إفتراء بحقها ... ثم تعالي يا لينا ... من هذه الطالبة التي نقلت لك بأن سباً تمثل علي وتتوخى الإيقاع بي .

لينا : إستحلفتني أن لا أبوح لك بإسمها ... لأنها تريد صالحك وتخشى الشريرة سباً.

أيار منزعجة : إن كانت صادقة ... فهي فتانه ... وان كانت كاذبة فهي منافقة .

زكية تواصل الحديث : أنستي أبلغتك بأن ولاء أصبحت الآن أماً لأربعة

أولاد وقد جمع الله تعالى شملها بولدها عابد عبر وسائل الإتصال الإلكتروني وباللحظة التي تريدها وتلاحظ كيف ينمو وكيف اصبح طوله واندماجه بالمجتمع الغربي حتى ان أخوته راحو يستفيدون منه في فهم بعض الكلمات الإنكليزية وبعد ان جفت دموعها مع هذا الرجل الذي أهداها لها القدر وتنفست الصعداء في بيت ، بدأت الحساسية تنشط ما بين الطابق العلوي والطابق الأرضي وعلى الرغم من تفهم كل من ولاء ونزار ،

إلا ان المثل يقول كثرة الطرق تفك اللحم ، بدأت الحساسية تنخر في هدوء العائلة وتقبض مضجعا ، تارة تدخلات ساجدة في مبالغتها بحرصها على الاولاد حتى وان أرادت ولاء اخذهم معها الى موقع عملها ، تمنع بذريعة خوفها عليهم لئلا يتعرضوا الى الضرر ، ونزار يحاول جاهداً إقناع ولاء بتحملها ما دامت تحرص عليهم ويبقون معها في البيت ، وتارة أخرى عدم السماح لهم النزول الى بيت خالهم للعب مع الأطفال ، وتارة أخرى حساسية مائدة زوجة عصام النمامة وعقل عصام الصغير في تصديقها بدون التثبت من قولها ، فراحت المناوشات اليومية ما بين زوجة عصام وساجدة طوال اليوم ، وعندما يحين العصر وقت الإستراحة تصل الشكاوي الى أوجها .

مروة متأففة : والله ... أعانها الله نزار وولاء على هذا الإبتلاء ... ولكن بالإمكان عقد الصلح ... أو قطع التواصل بين ساجدة ومائدة ... ولاسيما ان الأمر ميسور فأحدهن في الأسفل والأخرى في الأعلى .

زكية : سنتان وكل الحلول استنفدت بينهما ، وذات يوم من الأيام تشابكتنا بالأيدي وارتفع الصراخ بينهما واحتدم الصراع بين الأطفال وقد أصبحا فريقين كل فريق يؤيد واحدة ، نزار وولاء ضاقا ذرعاً بالمشاكل التي ساقتها لهما أنامل القدر ، وبدأت صحة ولدها أياد تسوء بسبب الأزمات العائلية ، وراح كل منهما يرمي باللوم على الآخر ، نزار يصدق أخته ويلوم نزار لأنه يصدق زوجته ولا يردعها بحسب قوله ، وولاء ترمي باللوم على ساجدة وتتهم زوجها بأنه يفسح المجال لها بالتدخل السافر في شؤونهم العائلية ، فضلاً عن ان ساجدة تسيء باللفظ على نزار وزجته دون أن تأخذ بنظر الإعتبار صلة القرابة لولاء مما أجد المشاكل وأصبح جو البيت لا يُطاق وانتقلت عدوى المشاكل الى الزوجين ولأول مرة في حياتهما ، جدال لا ينتهي وحلول عقيمة لا تسمن ولا تعني من جوع وكل من المتخاصمين يرى بأنه صاحب الحق ، الى ان وصل نزار الى حل جذري حيث طلب من ولاء ان تطلب من أخيها الإخلاء ، لكن ولاء جن جنونها ، إذ كيف يطرد عائلة أخيها المستأجر من أجل أخته ، فذهب

نزار بنفسه ليطلب منه الإخلاء خلال اسبوع وبكل أدب حلاً للنزاع لكنه عندما صعد الى بيت عصام ذهب وراءه **ولاء وساجدة** والأطفال ، وبدأ الرجل بكلام مؤدب غير ان النقاش والجدال احتدما وتدخلت النساء وارتفعت الأصوات ومن جديد التشابك بالأيدي بين **مائدة وساجدة** ، والكارثة هنا ان التشابك انتقل من النساء الى الرجال وبقية **ولاء** تبكي وتصرخ وتندب حظها العاثر ، وتدخل الجيران بعد سماع الأصوات لحل النزاع ، ووصل الأمر الى مركز الشرطة بشكوى قضائية على **عصام** وزوجته ، حيث طاب منهما افراغ المنزل بالحال ، لكن **ولاء** اعتبرتها أهانه ولم توافق لأن البيت أيضاً بيتهما وقد تشاطرت التكاليف مع زوجها ، والكل يعرف ولا يجوز لزوجها طرد أخيها بهذه الطريقة القاسمة .

مروة **متنهدة متأففة** : والله انقبض قلبي على أختك ... مسكينة ... سوء الطالع يُرافقها ولعل القادم أفضل .

أميمة بعد أن قبلت (الجليلته) من أنس وضعتها في أحد الأدراج وبعد انتهاء عملها وواجباتها العائلية ، أخرجتها وراحت تستذكر أنس وصديقه حولها ، لكنها تأملتها وإستذكرت الجليلته التي أهداها إليها زوجها قبل ثلاثة أشهر عندما حقق نجاحاً باهراً في كسب إحدى القضايا ، تأملتها وقالت في نفسها سبحان الله كأنها هي فحملتها مبتسمة متوجهة الى غرفتها حيث **سراج الدين** للتو مستيقظاً من قيلولته ، فقالت له حبيبي خذ هذه (الجليلته) كلها وتلذذ في طعمها هنيئاً مريئاً ، وبعد ان دعك عيناه تناولها وقال : لقد احتفظتي بها طوال كل هذه المدة ولم تأكليها لكن لماذا ؟ لم تأكليها !؟

أميمة **مبتسمة** : كلا ليست هي بل هذه أختها وراحت تقص قصة أنس وصديقه علي . **سراج الدين وضعها في يدها وقال** : ولكن ... يا أميمة ... هناك أمر محير ... أنا عندما كنت في المحكمة كان في يدي قلم حبر سقط من يدي وإنكسر وبدأ الحبر يسيل منه وتلطخت يدي منه ، وفي هذه الأثناء جاء صاحب القضية المبرء وقدم لي اللعبة فتناولت جليلته واحدة فقط ، ولاحظت بأن أحد أطرافها تلطخ بالحبر ، وفي البيت

وقبل ان أسلمها لك تأملتها فرأيت بقعة الحبر إتصقت على أحد أطرافها وهي في يدك الآن فتألميها .

أميمة : وعندما تأملتها رأيت بقعة الحبر وقالت منتهدة سبحانه الله ..معقول لاغير معقول.

سراج الدين : لكن ... حبيبتى ... هل أكلتي (الجلكيته) التي أعطيتها لك لنبدأ التحري (ولكل مجتهد نصيب).

أميمة مبتسمة : أعطيتها لأيار ... وأكد أكلتها لأنها تحب الحلويات .

سراج الدين مبتسم : بدأت القضية تتعقد ولكن هذا هو ديدن القضايا التي نتعامل معها ، نبدأ التحري بجمع المعلومات من أبسط الأشياء ، ولا أقول بأنها هي الجلكيته ذاتها ولكن نتأكد لأن الحياة قصيرة وضيقة مهما بعدت أطرافها ، أولاً تسألين أيار وبشكل غير مباشر عنها هل أكلتها أو أعطتها .

أميمة ضاحكة : لالا ... الأمر مضحك ... نتحرى حول قضية ... مثل الجلكيته .

سراج الدين مبتسماً : ولكن ... أرجوك ... لأجلي ... أسأليها .

أميمة : لكن دعني أفكر بطريقة مناسبة أنفذ منها للسؤال والأمر يبقى محيراً ، فأنا أعطيتها لأيار ، وهذه التي بيدي جاتنتي من أنس عبر صديقه علي فإذن أين حلقة الوصل ، تبقى مجرد شكوك والحبر ليس دليلاً قاطعاً .

سراج الدين : أتعرفين أن كثيراً من القضايا ... ندخل إليها من خلال شعرة رأس ، ولكن قد تكون أيار أعطتها لأنس وأنس أعطها لعلي وقام علي بردها عليه ... وأنت لم تفهمي منه القصة التي تآثر عليها .

أميمة : لا تشوش على ذاكرتي ... ولكني ذكرت لك القصة وسأسأله أمامك والأفضل تعال معي الى أنس وهو في غرفته الآن وأسأله حول الأمر ولكن بصورة غير مباشرة .

سراج الدين مبتسماً : لا تكثرني فهذا عملي ... المهم ذهباً إليه وهو يراجع درسه فجلس الأب قربه وراح يتحدث إليه حول تأثره مبتسماً ويهون عليه الأمر ... وسأله ما هو أسم صديقك الثلاثي .

أنس : أسمه علي بهاء الدين نور الدين.

سراج الدين : أسمه جميل ... ولكن ... ألم تسأله ... من أين اشتري هذه الجكليته الجميلة .

أنس متنهداً : سألته وسؤالي هذا هو سبب المشكلة ... لأنه أعتبر السؤال إهانة ولاسيما وإن والده متوفي .

سراج الدين : وبعد ان استجوب أنس اجتمع مع العائلة بعد العشاء ، لشرب الشاي وراح يحاول معرفة بعض المعلومات ، فقال كم جميل اسم والد علي صديق اسمه بهاء الدين نور الدين ، وكأني سمعته .

قتيبة : وأسمك أيضاً جميل يا أبتى .

مُعاد : والأجمل انه على نفس الوزن والإيقاع ، والدي سراج الدين ، وهو بهاء الدين ابن نور الدين .

أميمة : صحيح اسمك أيضاً جميل ... وهو ذاته نور الدين .

سراج الدين : لم تفهموا ... انا أقصد وكأني سمعت بهذا الإسم عن كذب من قبل .

أيار بعد ان استرجعت معلوماتها : أ ... نعم ... أعتقد ... اني قرأت هذا الإسم .

سراج الدين متحمساً : نعم بنتي ... إتحفينا ... وقد يكون عندك الخبر اليقين .. لأنك بالفعل تقرأين الكتب وتزودين بالمعلومات الخارجية أكثر من غيرك .

مُعاد : وأي كتاب هذا الذي يتكلم عن والد علي المتوفي بهاء الدين نور الدين .

أيار : ها ... وجدتها ... وكأني قرأت الإسم ... في صفحات مذكرات عمتي مروة ...

نعم تذكرت ان والد صديقتها المقربة سبل اسمه بهاء الدين نور الدين .

قتيبة : نعم هي بعينها ... فهي صديقتها الوحيدة المقربة .. وعداهن زميلات لها على الرغم من بعد المسافة.

مُعَاذ : هذا التواصل والتعلق بفضل وسائل الإتصال التي قربت البعيد وجعلت العالم كله وكأنه قرية كونية واحدة في عصر العولمة ، تتواصل مع صديقك وليس بالضرورة ان يكون قريبك مادياً .

أنس : لماذا تتحدثون عن صديقي علي ؟

سراج الدين : هذا من اهتمامنا به ... نريد ان نتعرف عليه أكثر ... ولكن انت قلت بأنه طالب مجد وذكي ومجتهد من يدرسه ووالده متوفي ؟؟

أميمة : أكيد والدته .

سراج الدين مقاطعاً معاتباً بنظرة : دعيه هو يتكلم ... فهو أعرف بصديقه .

أنس : أخته الكبرى تدرّسه ... يقول انها ستصبح طبيبة .

سراج الدين التفت عيناه بعيني اميمة وهو مبتسم : ألم يذكر اسمها .

أنس منزعجاً : ولماذا تحقق معي يا أبتى ؟

قتيبة مبتسماً : والله جميل ان أنس بدأ يفقه معنى التحقيق ، لكن هذا اهتمام بالموضوع وليس تحقيقاً يا حبيبي .

أنس : لا ... يذكر اسمها ... لكنه يحبها كثيراً ويعتبرها مثله في الحياة ...

أيار : قد تكون سبيل ... نعم ... قد تكون سبيل ... فهي في الكلية الطبية ... وتحمل

نفس الإسم ، ولكن لماذا كل الإهتمام بالأمر يا أبتى ...

سراج الدين مبتسماً : هذه الأسئلة كلها بسبب اهتمامنا بأنس وصديقه المقرب علي .

أيار : وسأتأكد ... من الأسم من عمتي مروة وسأرد لك الخبر اليوم ان شاء الله .

اذن جمع سراج الدين الكثير من المعلومات في هذه الجلسة ولم يتبق سوى معلومة عند أيار .

الجزء السابع والعشرون

وبعد أن قضت أيار وقتاً مزعجاً في المدرسة صباحاً بسبب الإتهامات الكيدية الهادفة الى التسقيط وعلى الرغم من دفاعها عن سبأ إلا أن الشكوك راحت تساورها ، إذ كيف لسبأ ان تحبها كل هذا الحب وتتعلق بها كل هذا التعلق وقبل أشهر كانت لا تطيقها ولا تسلم عليها حتى ، فراحت تقلب رسائلها الرومانسية التي تجعل الروح ترقص في قارورة الجسد وتحرك حتى المشاعر المتلجة ، لكن الوسوس تؤذي الإنسان لذا فلا بد من المكاشفة وإطلاعها على الأمر والتثبت منه ، فبوجود نعمة اتصال (الفايبر) تنتفي مشاكل التكاليف .

أيار بهدوء مخلوط بألم وبعد التحية : سبأ أريد أن أتكلم معك كلاماً مهماً جداً .
سبأ متتهدة : وكأني انتظر اتصالك لذا ... إختليت بنفسي وببيدي نقالي ... ولم أطفء النور على الرغم من نعاسي .

أيار متألمة : لماذا؟!؟! تقربتي مني ... بعد ان كنتِ تمقتيني ... أريد قول الحقيقة ... ولا تنسي بأننا تعاهدنا أمام الله على الصدق والصراحة مهما كانت قاسية ... فأنا متعبة جداً ولم أستطع النوم .

سبأ متألمة : أولاً هل فعلاً صادقتيني لإغاضة هبة ومجموعتها ؟ وهل فعلاً لإثارة غيرتهن تسابيريني للتمثيل لأنك كما هو معروف عنك تحبين أن يغار عليك الآخرين للتسلية والضحك على مشاعر الآخرين ؟

أيار مستغربة : ماذا ؟ ماذا ؟ أنا كل ذلك ... هذا محض إفتراء .. وكلام عار عن الصحة ... فأنا الصدق بعينه ومشاعري لك خالصة .. ولكن كلام الإخريات يتعبنى جداً ... ويرهق كاهلي .

سبأ ترفرت دموعها وتحشرجت العبرة في صدرها : جانتني رسائل على نقالي تحذرنني وتتكلم بفضاضة وكأنك شريرة وتريدين الإيقاع بي فضلاً عن انك تتجسسين على خصوصياتي لنقلها الى مجموعة هبة .

أيار منزعة وقد تفرقت دموعها : ماذا ؟ ماذا ؟ أنا كل ذلك ... وجاءتك رسائل لتحذرك مني .. ماذا كتبوا ...؟ وأنا ... أيار .. أمارس عمل التجسس عليك لصالح هبة ومجموعتها ، ولكن من صاحبة هذا الرقم ؟

سبأ متأثرة : انه رقم غريب ... ولا أحب ان أزعجك بما هو مكتوب عنك ستأتين غداً وتقرأينها بنفسك .. وكلما اتصلت بالرقم أجده مغلقاً ، لكن العمل مقصود ... والهدف واضح وأصابع الإتهام توجه الى هذه الوضيعة أو إحدى أفراد فرقتها ، بقصد زرع بذور الشك المتقيحة في صداقتنا الفتية وإبعادنا عن بعضنا بدسيسة ماهرة لتفرقنا عن بعضنا ، لكن غداً لناظره قريب وسترين بعينك الرسائل ... نامي الآن ... وستتضح معالم الصورة على الواقع من الصادق ومن المنافق .

أيار : وكيف أنام وأتون الألم يستعر في صدري من هذه المشاكل التي أنهالت علي دون هوادة ... والله أنا لا أمثل عليك ... ولست مجبرة على التمثيل أصلاً والكل يعرفني ويعرف صراحتي .

سبأ : وأنا والله وبالله وتالله أحبك بكل جوارحي ولا يكون لديك شك بذلك ولشدة تأثيري بهذه الرسائل الماهرة المتوحشة أريتها لأختي أطوار ، قرأتها وسفحتها وقالت انها بفعل الغيرة والحقد لا تكثرني لها .

أيار : وأنا أيضاً أحبك ... وسأنسى كل الكلام الماكر الذي قيل بحقك .. فكوني لي أختاً وقي الى جانبي ولا تتخلي عني مهما اشتدت العاصفة ، شدي على يدي لنحولها الى عاطفة ، والله أشعر بالتعب الشديد وكأن جسدي منهك والساعة الآن أقتربت من الثالثة فجراً .. فلا أعتقد بأني سأقوى على الإستيقاظ باكراً والدوام غدا صباحاً .. لذلك قررت عدم الدوام غداً ... وسأرسل برسالة الى أنصاف لتأخذ لي أجازة ليوم غد ، لكن بعد الغد ان شاء الله سنذهب الى إدارة المدرسة ونقدم شكوى عن موضوع الرسائل على نقالك ... تصبحين على خير .

سبأ : لا أعتقد بأن الإدارة لها المقدره تقنياً أو قانونياً على معرفة الوضيعة التي أقترفت هذا الذنب وهذه الدسيسة ، أنا من رأيي ان نفسه الأمر ونطبق قول

الشاعر(متاركة السفيه بلا جواب أشدُّ على السفيه من السباب) ، ونداوم وكأني لم أر الرسائل وسأغير الشريحة ، ولنواجه هذه الأزمة بقوتنا وتآزرنا وأخلصنا لبعضنا ، على عكس ما يريده الوشاة ، والأمر متروك لك ان لم تقتنعي برأيي ، فلك حرية التصرف وأنا سأكون معك قلباً وقالباً ، وأريدك ان تعرفي بأن الحياة التي لا توجد فيها أيار لا أحب العيش فيها وأنا أيضاً لن أداوم غداً وسأكلف أنصاف برسالة لتأخذ لي إجازة ، ومتى ما قررتي التغيب أبلغيني حتى أتغيب معك ، وأعلمي ان الحب علاقة سحرية متعلقة بالجواهر وليس بالمظهر فأن كان جوهرنا صادقاً فلا يتأثر بالسيول ولا بالرياح ولا بالطوفان ولا حتى بالزلازل .

سُبل لا تتأخذ أيّ قرار إلا بعد مناقشته مع مروة هاتفياً ، لاسيما وأنها ستخرج قريباً من الكلية الطبية وستصبح طبيبة ، فراحت تفكر بمشروع للعمل في أحد المجمعات الطبية في أحد الأفضية ، لكن والدتها وعلى الرغم حاجتها تعارض ولا تتفق مع هذه الفكرة لبعد المساحة ولخوفها المفرط ، وتقترح عليها أن تفرد غرفة الإستقبال في البيت وهي كبيرة وتفي بالغرض أي تطويرها وتقسيمها بالألواح الخشبية وتحويلها الى عيادة وفي ذلك راحة للقلب وتقليل للتكلفة ، لكن سُبل لا تريد التضيق على عائلتها وبيتها وتريد الإعتماد على نفسها وأن لا تتكأ على بيتها وتحويله الى عيادة ، وإنما بالإتفاق مع مجموعة من الأطباء بتأجير أحد المنازل وتحويله الى مجمع طبي ، ودفع التكاليف من الإيرادات التي تتجمع خلال العمل ، وأمامها وقت لإعطاء قرارها الى المجموعة الطبية وعليه تحتاج الى مناقشته الموضوع مع مروة .

مروة متنهدة مبتسمة : والله أشعر بالسعادة القصوى... يا دكتورة سُبل ، وجاء اليوم الذي نتناقش فيه حول موضوع العيادة ... فمن حق الوالدة ان تخاف على ابنتها المتألقة ... ومن حقها ان تفخر بها .

سُبل : أشكرك حبيبتي ... يا أستاذة اللغة الإنكليزية المبدعة ... غردي الآن ... ما هو رأيك بما سمعتي ... فأريك عندي مهم ولا أرتاح إلا بسماعه والإستئناس به .

مرودة مبتسمة : أقسم لك بأني أحبك وخوفي عليك لا يقل عن خوف خالتي عليك فهل عندك شك ؟

سُبل : أبداً حبيبتي والله أعرف ذلك أتعرفين لماذا ؟ لأن هذا هو نفس مشاعري تجاهك .

مرودة : جيد ... أذن ... فأمامك خياران ... فأما الأول فهو ان أستأجر لك عيادة (ولا تقولي كرامة) فهذا عمل ، وعندما ينجح المشروع ويتعرف الناس على العيادة بإمكانك التسديد وقتها ، والخيار الثاني : فأنا أوافق وأشدُّ على يد خالتي بفكرتها ، لأن داركم ذات مساحة كبيرة ، وغرفة الإستقبال موقعها ستراتيحي وفي ركن البيت والبيت في الاصل واقع في مكان ستراتيحي ركن في شارع رئيس ، والنقطة المهمة هنا بأنه لا يوجد مجمع طبي في الحي وأكد سينجح هذا المشروع ، وسأقدم لك أخشاب الفيبر التي تستخدم في تنظيم العيادة من شركة الأوجي للنجارة ، وسأطلب من والدي الإتفاق مع أحد الموظفين لأخذ القياسات .

سُبل منتهدة : لكن ... يا مرودة ... لا أستطيع .

مرودة منزعة بفتور : سُبل ... هذا الأمر ... فراق بيني وبينك ... لأنني لا أطيق شعورك هذا تجاهي ، واسمحي لي ... لا أستطيع الكلام لقد نفذت طاقتي ... وأشعر بأن صداقتنا على كف عفريت ... الى اللقاء .

سُبل متأثرة وقد سالت دموعها : مرودة ... كيف ينطق لسانك هذا العبارة ... والله ... أتمنى ان أفرق الحياة قبل التفكير بفرارك ... ولماذا هذا الوصف القاسي على قلبي (على كف عفريت) ... الى اللقاء .

مرودة متأثرة وقد خنقتها العبرة : أرجو فنحن توأم لروح واحدة فلا تجعلي هاجس الشعور بالتكلف يعرقل صفو صداقتنا الرائعة، وكأننا إلتقينا للتو صدفة على قارعة الطريق، وأنا قصدت بعبارة فراق بيني وبينك بالنقاش، وما دمت لا تقتنعين برأيي فلماذا تطلبين مني الرأي والمشورة، ثم أن الهدية التي سأقدمها لك من شركتي وأنت تعرفين ماذا أقصد بشركتي، وإن منعتك كرامتك من قبول هديتي فإعتبريها بيعاً بالتقسيط .

سُبل : حبيبتى ... هدأى من روعك ... سأقبل عرضك ... وسأقبل هديتك ...
سامحيني أرجوك .

مرة أخرى تستأنف زكية حديثها متابعة الأحداث التي عقبته إصطدام عصام بنزار ، مما قاد الى رفع شكوى قضائية ضده لأن ساجدة أثار هذه التصادم دخلت المستشفى ، لكن ولاء دخلت مرحلة من التوتر لم تعهدها من قبل وقد افقدتها اعصابها ولم تحتل هذا وراحت توجه أصابع الإتهام الى زوجها ، ولا سيما وأن أخاها خلف القضبان ، ومطالبته بالتنازل عن الشكوى لأن البيت يعود للطرفين ، ولكن العنت لا يقود إلا الى عنت وفي لحظة من التوتر قام نزار بطرد ولاء من المنزل مستخدماً كلمات مهينة بحقها لم تعهدها من قبل ، وقد وصل جدالهما الى المحاكم وهي تطالبه بحقوقها في المنزل لأنها انفقت اكثر من نصف تكلفته ، ولكن نزار اتخذ موقفا مضادا لموقفها ، متخذاً قرارا مصيرياً كارثياً بسبب جزعه من عائلتها بحسب زعمه بطلاقها ، وخرجت فقط بملابسها من بيتها الذي تشاطرت في بنائه بعرق جبينها ، ولم يتنازل عن الشكوى إلا بعد ان خرجوا من منزله وغادرت ولاء معهم والدموع تتطاير من عينيها والصبية يتصارخون وينظرون إليها من النوافذ ، ولم يحرك هذا الموقف عاطفة نزار ولا قدر أنملة ، إلا أنها لم تفقد الأمل وحاولت ان ترجع المياه الى مجاريها قبل صدور الحكم بطلاقها ، عادت الى المنزل بعد اسبوع لرؤية اولادها ولا سيما ولدها المريض أياذ ، ولكن لم يقابلها وأقفل باب الغرفة على نفسه لنلا يضعف أمام توسلاتها مما اضطرها الى المغادرة في جو مأساوي يفجر الحجر .

مروة متنهدة واضعة يدها تحت خدها : كما يقول الحكماء ... الحياة القاسية تطول الأظفار.

زكية : صحيح أنستي إنه قاسى وعانا من المشاكل وطالت أظفاره ليظلم بها من وقفت معه وعانت وقاست الأمرين وهي صابرة ، ولم يعترف بالجميل ... فالمهم استأجر عصام منزل جديد ، وأفرد لها غرفة خاصة بها ولا بد عليها من الخضوع لرسائل القدر المباعته وتقبل بالأمر الواقع ، وفي غضون اسابيع قليلة صدر الحكم النهائي

بالتفريق ، وفشلت الدعوى المقدمة من قبل ولاء لإنعدام وجود أدلة كافية قانونية وموثقة تثبت بأنها شاركت في تكاليف المنزل وان شاركت في تسديد القرض ، فسلمت أمرها الى الله عملها دوامها في المعمل وهي ترى نزار كل يوم ، وقد توسلت بعدد من الزملاء للتأثير عليه ، إلا إنه وكأنه أصيب بكآبة نكوصية ، لا يسمع لأي طلب ولا يتأثر لأي توسل ، ويغادر المكان كلما فتحوا سيرة الموضوع ، ولم ترعو هي عن توسلاتها لأجل أبنائها ولا سيما ولدها المريض ، ولكن دون جدوى كل توسلاتها ذهبت أدراج الرياح ولم يحرك ساكناً ، طلب نقله الى مؤسسة أخرى وبالفعل تمت عملية النقل ، ليقطع الصلة بها ولا يراها ، لكنه لم يمنعها من رؤية أولادها ، ومن حسن طالعها ان المنزل الذي استأجرته مع أخيها قريب من مدرستهم مما يتيح لها رؤيتهم كل يوم ان شاءت وان سمحت لها ظروف عملها ، وتعطيهم النقود كما عودتهم كل شهر .

مروة قلبت شفقتها : لا يعرف الإنسان عاقبته ... وان كان فوق الهرم السلطوي .
زكية متنهدة وبألم : ومن جديد دارت الدوائر عليها فبعد ان كانت تبكي ولد واحد اليوم تبكي على أربعة أولاد ، من جانب آخر لا بد عليها من التواصل بالعمل لتعيل نفسها وتدفع إيجار المنزل ، وقد تعرّف عصام على سائق تكسي اسمه **صدقي** بعمر عايد ليوصلها الى موقع عملها ، ومع الأيام تأقلمت مع ظروفها بعد ان كبر أولادها ودخلوا المتوسطة، والمضحك المبكي ان خطابها على قدم وساق لجاذبيتها المعهودة.

انفقت مروة مع والدها حول موضوع تأهيل غرفة الإستقبال وتحويلها الى عيادة وبصورة منظمة ومنتظمة وجميلة بعد فصلها عن المنزل ، ورجته ان يتبنى الفكرة وكان العيادة لها ويرسل من يثق به لتولي هذه المهمة مع بعض العمال العاملين في الشركة ، وقد كان **عبد الرحمن** يحب سبل كثيراً وكذلك والدتها **فاطمة** وقد اعتادا على أهمية وجودها في حياة ابنتهما ، ولاسيما وان والد **سبل** متوفي وأخوها لا زال صغيراً ولم تعتد هي بعد تولي مثل هذه المهام الصعبة ، وبالفعل بدأ **عبد الرحمن** بالتخطيط لهذا الأمر والإعتماد على أحد المصممين في الشركة بوضع صورة مناسبة

لما ستؤول إليه العيادة ، وقد كلف من يثق به للإشراف على العمل سواء ما يتعلق بعمل البناء (لفصل البناية عن المنزل) ، أو العمال الذين سيتفنون في تغليف الجدران والسقوف بالتصاميم الأنيقة ، شريطة ان لا تتدخل سُبُل بأية تفاصيل ولا تدخل المكان إلا بعد إتمامه ، وسبيل بدورها وافقت وهي عاجزة عن الشكر وتخشى بشدة زعل مروة حتى وان تعارض الأمر مع آرائها وما تربت عليه من تكلف وعزة نفس.

منذر يتكلم مع نفسه لا أعرف ماذا أفعل الآن حتى أفوز بملكة أحلامي أحبها وهي لا تحبني ولا تعلم ولا تحس بأحاساسي ومشاعري تجاهها .. ولا أعرف أيضاً كيف وصل بي المطاف الى هذه الحالة ، أحسها في كل لحظة معي في سكناتي وحركاتي ، حبها يسري في عروقي ويمدني بالحياة ولا أتصور حالتي كيف ستصبح بعيداً عنها .. اني اتعذب أموت في كل لحظة .. وليتها تشعر حتى بلواعجي ، على الرغم من كلمات الإعجاب المغلفة بشغاف قلبي التي كانت تنساب من على شفتي ، كل لحظة تقول لي .. يا اخي .. ويا اخ **منذر** .. وكأنني أنفخ في قربة مثقوبة .. وأحلامي محض سراب وكلامي هراء يذهب سدى .. أه .. كيف أصل لها وبأي طريقة .. ولا أعرف كيف أثير إعجابها وأتقمص دور فارس أحلامها ، وان كنت انا حقيقة لا أعرفه رائد فضاء أم عالم من العلماء ، سادع عيوني تتكلم لحبيبة عمري وتميط اللثام عن حرقة فؤادي وإلتياعه.

وراح يتكلم في دخيلة نفسه وهو يقول : فرحت لسماع صوتها واهتزت لها عروش مشاعري لكن للأسف جابهتني بأسلوب الصدود ، الذي هو اقرب للأهانة أه.. لو تعلمين حبيبتني كم أقاسي من اجلكِ ألاماً مستديمة لا تبرح مكانها عقلاً متيمماً قلباً مقطعاً فكراً مشتتاً وعينين مؤرقتين لا تعرفان سبيل الكرى وناراً متوقدة بين جوانحي لا اعرف كيف أطفأها .. لو تعرفين كل هذه المعاناة لما فعلتِ بي كل هذا .. تنهد تارة اخرى واستطرد قائلاً : لقد احترت في امري يا مروة .. ساعديني ارجوكِ .. وخلصيني من هذا العذاب .. أصارحكِ بلواعج حبي .. ام لا .. لا اعرف .. الذي

اعرفه .. هو انك سوف ترفضين كما رفضتِ الذين تقدموا من قبلي .. ام انتظر .. الى ان اثبت نفسي في العمل وانجح بجدارة .. واحرز الرضا والتقدم .. أه كم هو بعيد هذا اليوم الذي ارجو قدومه .. لذا لا بد ان اكون مكثياً .. ورجلاً بحق .. عليه الاعتماد في المستقبل لكن كيف ذلك يا منذر .. وانت عندما تراها .. تضطرب ويهرب أسلوبك هذا وتهوي من على جبل شاهق الإرتفاع تحت قدميها .

دخلت أيار الى الصف وألقت التحية على زميلاتها وكأنها لم تسمع بأي مشكلة لكن توجد رغبة جامحة برؤية الرسائل في نقال سبأ عند نهاية الدوام ، المهم بدأ الدرس الأول اللغة العربية حيث كان درس مادة الأدب والمدرسه كما أسلفنا تفرض على الطالبات الإلقاء أمام الطالبات ، وما هي إلا خطرات حتى دخلت سبأ مسرعة لتتلافى تأخيرها ، وعندما جلست في مكانها قرب أيار شددت على يدها بقوة ثم استخرجت كتابها وراحت تواصل الدرس وهي تتمنى ان تتلاشى كل المحاضرات بسرعة لتنفرد بأيار وتكمل النقاش حول الموضوع الأنف الذكر ، ولتطبق خطتها التي أعدتها لمواجهة هذه التحدي من مجموعة من الطالبات وهي بإعتقادها انها قادرة على هذا التحدي وتمتلك من الدهاء ما لا تتوقعه الأخريات ، وان أردنها حرباً فحرب ، وانها لن تتخلى عن أيار ، وقالت سأستفيد من القول : (الحرب خدعة) ، المهم جرى الدرس بكل إنسيابية والكل شارك الى ان وصل دور أيار ، فنهضت بكل جد وزهو لتلقي القصيدة وكأنها أمام سبأ فقط هذا ما راحت تشعر به منذ مدة ، وذات الشعور تولد عند الأخرى ، وسبأ تنظر إليها بإعجاب ، وأنظار المجموعة الماكرة ترنو إليها بتعجب واستغراب ، وقبل إن تنهي أيار واجبها رن الجرس معلناً إنتهاء وقت الدرس فخرجت المدرسه ونهضت الطالبات من أماكنهن وتعالن الأصوات وأيار قادمة الى كرسيها فباغتتها سبأ بالتحية وعانقتها بشدة وكأنها موجة انهمرت عليها ، وبصوت مسموع ... حبيبتي أشنقت إليك هل أنت بخير لماذا لم تداومي البارحة ؟ مما قاد الى رسم ابتسامه مباغته على محيا أيار .. لكنها تبدو واقعاً مريضة ومتأثرة من الموقف وان لم تنفوه بعد بالأمر لكنها تريد معرفة الرقم الذي أرسل على الأقل .

كانت الصدمة قوية على المجموعة التي شعرت بالخيبة وفشل المخطط والمنظر الذي حدث امامهم لسان حال وحسن مقال ما بينهما ، وإعلان أمام الجميع بأن هناك علاقة صداقة صلبة كالحجر الصوان الذي لا يتأثر بوخز الأبر ، وبعد هذا المنظر تجمعت الشلة حول أيار ورحن يتبادلن التحايا ، ويسألنها عن التغيب أو الإجازة ، لكن أيار بدت عليها علامات الحمى والقشعريرة ، وراحت تشعر بالبرد على الرغم من اعتدال الجو ، فانسحبت الى كرسيها فراحت سبأ وعلى الرغم من صدق مشاعرها راحت تبالغ في تصرفاتها لإثارة المجموعة الماكرة وتوهمها بأنها لم تتلقَ أية رسائل ، فسحبتها بإهتمام فتارة تشدُّ على يدها وتارة تجس حرارة جبهتها ، ولكن أيار بدأت بالشعور بالبرد وقد بدا ذلك عليها وما كان من سبأ إلا أن خلعت سترتها ووضعتها على أكتافها مكتفية بالقميص الأبيض ، وعندما دخلت المدرّسة رأت الحال فعرضت على أيار الذهاب الى غرفة المكتبة لأنها دافئة لإحتوائها على المدافئ (الهيترات) ولترافقها إحدى الطالبات ان رغبت ، فراق لأيار الأمر ونهضت لتخرج ، ونهضت معها بالحال هبة ولينا وأنسام ، فقالت المدرّسة ، طالبة واحدة تخرج معها ، فإسرعت هبة ، وقبل ان تخرج ، نهضت سبأ وقالت مدرّستي عذراً أن سترتي على أكتاف أيار ، اسمحي لي بالخروج معها وما أن تدفأت ستعطيني سترتي لئلا يصيبني الزكام ، ابتسمت المدرّسة وقالت : وهو كذلك ارجعي هبة وتفضلي سبأ معها وأذهب بسرعة الى غرفة المكتبة ، فإمسكت بيدها كعادتها وتوجهتا ، وجن جنون هبة وكأن الغضب والغیظ يخرج من عينيها ، ولا تعرف كيف ان لسبأ هذا الدهاء دون ان تنبس بكلمة ولا أحد يعرف حتى طريقة تفكيرها ... تتصرف بغرور ودهاء .

وعندما جلسن على كراسي المكتبة قالت سبأ بركة ... أشكرك حبيبتى لأنك فهمتيني ... عندما تكلمت حول السترة وأدعيّت خوفي من الزكام ... وأكثر ما خشيتنه ان ترجعي لي السترة امام الصف .

أيار مبتسمة وقد خلعت السترة وأرجعتها : أكيد فهمتك ... خذها أرجوك ... أصبحت بخير فالجو هنا دافئ ، وأشكرك حبيبتى على موقفك الرائع ... الذي سيبقى في

الذاكرة ما حبيبت ... أنزعجت عندما نهضت هبة ولم يثر أهتمامك ... وأنا أنظر إليك ... وأنت جالسة متسمره في مكانك ... ولكن .

سبأ : أنتظرتها تنهض ... ثم أقوم أنا ... وأطالب بسترتي ... التي تخولني بمرافقتك ... والحمد لله حدث ما توقعته وبدقة متناهية ... وتقصدين بلكن الرسائل الماكرة .

أيار متتهدة : أشكرك حبيبتي ... لأنك تقرأيني قبل ان أنفوه .

سبأ : النقال ... معي الآن .. وعندما تشعرين انك بخير لنذهب الى الساحة وتطلعين عليه ، ولكن لا أعتقد بأن الذي أرسلت هذه التفاهات من نقالها أكيد لديها شريحة ثانية وبدون مستمسكات تستخدمها فقط للنميمة ما بين الناس ولا أعتقد أنك ستتعرفين على المذبذبة ثم استطردت مبتسمة لكن اعلمي بأنني انزعجت جداً عندما سمحت المدرّسة لها بالخروج ، فشعرت وكأني طفلة ستبكي على دمية وقطعة حلوى فوقفت بالحال .

أيار مبتسمة مازحة : أشكرك ... جعلتيني ... دمية ... بيدك .

سبأ شددت على يدها : يا إلهي ... يا إلهي .

أيار مبتسمة : لكني لن أزعل ... لأنك الطفلة التي ستعتنين بي .

سبأ متأهبة للنهوض : سأذهب ... ما دمتي تحسنتي .

أيار مبتسمة ممسكة بيدها : أرجوك أبقى معي ... لم أحسن ان ذهبتني سترتفع درجة حرارتي ... وستضطرين الى أعطائي سترتك من جديد وسيصيبك الزكام ... فيا أيتها الزعالة لا تتحري الحقيقة في عجاله .. ثم استطردت مازحة لكن ما هو رأيك لو إني أمثل البرد كل يوم وتتأتي هنا ... فأنا ... أحب لقائك ... لماذا انت صامتة ... أنظري إلي ولا تبعدي أنظارك عني ... أتعرفين ... بأنني أحب الجلوس معك ... والمشي معك والوقوف معك والحديث معك .

سبأ مبتسمة : تقصدين المشي تحت المطر والطالبات ينفرجن علينا ويتهامسن بأن هناك طالبات مجنونات يمشين تحت المطر في الوقت الذي تحتمي الاخریات تحت المضلات، أتذكرين في أول لقائنا عندما سقطت علينا زخات المطر وأحتفلت العصافير .

أيار مبتسمة : وكيف أنسى .. يا له من يوم رائع ... والله استغربت كثيراً عندما رأيت العصفير تطير تحت زخات المطر غير أبهة به وناسية تبلل ريشها ... مقابل لحظات سعادة جمعتها مع من تحب ... وليس مثلك ... تعطينني سترتك ثم تطالين بها أمام المدرّسة .

سبأ : سأتحملك لأن حرارتك مرتفعة وأنت تعرفين ماذا تفعل الحرارة بصاحبها تجعله يهلوس بلغة أخرى .

أيار : أتقصدين مجنونة ... ثم من طلب منك مرافقتي لكنك هربتني من الدرس طبعاً .
مروة : لقد أرسلت لك كل الصور على الواتس أب ومباشرة .

سبيل : لكنها فعلاً صورٌ جميلة جداً وواضحة ومعبرة وناطقة وبديعة ، وقد حدقت بالصور كثيراً ولاسيما تلك التي تجمع بينك ومنذر .

مروة ضاحكة : ما بك يا امرأة ... خيراً .. ماذا دهاك .

سبيل بغزل : كم انتما لائقان لبعضكما في هذه الصور .

مروة فتحت فمها دون ان تنبس بكلمة وقد إنتحرت العبارات على لسانها .

سبيل: ما بك مروة لم تعلقي على رأيي .

مروة مبتسمة : لم أعلق لأنني لا أريد الخوض بمثل هذه المواضيع وأنا واثقة من اني إذا ما استمررت بذلك .. سوف لن أصل الى ما أطمح إليه في دراستي لذلك أنا أحذر الإنجراف في مطبات الهوى ، وأنا أفهم ما تقصدينه وان لم تتفوهي به ، لكني أزيدك علماً ومعرفة من اني متأكدة ومئة بالمئة وبلا ريب من ان منذر كان يعرف مكان سفرتنا .. إذ .. لم يكن لقاؤنا صدفة اتفهمين عزيزتي لم يكن صدفة أبداً .

سبيل مستغربة : ماذا يا مروة .. كل شيء تقيسه بمقياس وتكليه بمكيال ، ولكن هل هذا حدس أم رجم بالغيب إذ كيف لك معرفة أن منذر لم يلتقيك صدفة ؟ هل تقرأين الغيب ياترى أو لك دليل وبينة .. ؟

الجزء الثامن والعشرون

مروة : بل لدي دليل قاطع وهو إن زميلتي ريم في المرحلة الرابعة في القسم الإنكليزي صديقة فريال وعلى اتصال دائم وهي تتحرى كل أخباري لأنها تعرف بأني خالتها كما قالت ريم .. ها ... أعرفتي الآن من انه لم يلتق بي صدفة .

سُئِلَ مبتسمةً متنهدة : الله كم جميل ورائع ... ذلك الحب الذي يُدَوِّب القلوب والطريف في الأمر انه كل لحظة يعطيني جرعة منشطة من كلمات الثناء والإطراء والقصد يلفت انتباهك ، فأخذتا تتذكران يوم السفارة وهما غارقتان في الضحك ، أفهم من ذلك من ان منذر معجبٌ بكِ .. بل مُتيم ..وعيناه ممتلئتين بالحب ولكن أنتِ ماذا تقولين في ذلك ؟

مروة : لا أقول أي شيء الآن المهم ان يبقى هذا الموضوع سراً بيننا أريد كل شيء يحدث في وقته المناسب ، فعندما افكر أكون على صواب فيما أفكر لأنني راشدة وتفكيري يكون وراءه هدف في الحياة .

وبينما مروة جالسة على كرسيها وراء مكتبها وفي يدها قلمها وأمامها الكتب والأوراق وهي تكتب ... فإذا هي تنجرف في سرحة ذهنية وحلم يقظة .. كلام سُئِلَ حول منذر وهي تقول لها : حقاً انه شاب جميل يُحسد عليه لعينه بريق ساحر كأنه بريق ألوان قوس قزح .. وانفه الطويل المعتدل .. جماله وبشرته المتوردة .. لا .. وفمه الصغير .. كم هو جميل وشعره الأشقر المعقوف .. ثم رمت بقلمها ونهضت وهي تكلم نفسها لا .. لا .. لا يا مروة .. لستِ انتِ التي تنجرفين في مطبات الهوى .. ثم مسحت وجهها بيدها وتنهدت قائلة : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ما هذا .. أين ذهبت ثم جلست على الكرسي مرة اخرى ، يا إلهي أرجوك .. لا أريد التفكير بمنذر ولا بأي رجل اخر .. أريد ان ابقى تلك الفتاة السوية القدوة في كل شيء لا أريد أن أضعف وأعاني وأبتهل وقد رأيت الكثير من قصص العشق في الكلية والمعاناة ، نعم يا مروة اكبحي جماح نفسك واعلمي من انك الآن اسوة حسنة.. فإذا زللتِ ستكون أيار .. الدرب ماشية .. طرقت والدتها الباب ودخلت حاملة بيدها قرح شاي .. وضعته

أمامها شكراً ماما .. لكن لماذا اتعبت نفسك .. أجابتها : تعبكِ راحة حبيبتني .. ما بكِ حبيبتني هل أنت مريضة أرى وجهكِ شاحب اللون .. أجابتها : كلا يا امي لا تقلقي نفسك فقط أحسُّ بصداع فاقتربت الأم منها وأخذت تضغط على صدغيها ، لا تقلقي ماما .. أخذت حبة اسبرين وأحسُّ بالإرتياح الآن ما دامت يديكِ الكريمتين لامست رأسي .. فالألْم لا محال زائل ، جلست الأم وهي مبتسمة قائلة : أه مروة كم أنا متشوقة لرؤية شهادتك وحضور مناقشتك ، ابتسمت مروة قائلة : أوتشكين في أمينتكِ يا أمي اجابتها : كلا بل متشوقة ، فطرق الأب الباب ثم دخل قائلاً وهو مبتسم : أديكما إجتماع سري .

مروة مبتسمة : تفضل أبتني أجلس قربي ... أدعو من الله ان يوفقني ويجعلني قادرة على تحقيق كل ما تتمنيانه **عبد الرحمن :** ليلة البارحة كُنا مدعويين في أحد المطاعم وكان من معنا **علي زوج أسيل** وقد دار الحديث حول العلم وكل منا أخذ يفتخر بذكاء بنيه ، وأنا بالذات كُنت أشيد بذكاء ابنتي المتوقد وإدراكها الواسع ، وتمكنها من الإعفاء العام كل سنة .

خرجت أيار من غرفتها متوجهة نحو المطبخ قائلة : أم سالم أسمع صوتاً صادراً من الصالة ؟

أم سالم **مبتسمة :** لدينا ضيفة ... لا .. ليست ضيفة انها أم مروة مع والدتك وقد أعددت العصير لتقديمه لها .

أيار : حسناً أعطيني العصير .. أنا أقدمه لها بنفسي .. فتوجهت الى الصالة حاملة العصير مرحبة بها .

أميمة في شهرها الاخيرة للحمل : أحس بالتعب .. وكأني موشكة على الولادة وأنا في شهري الثامن .

فاطمة : ولم لا .. لا تستبعدي الأمر فهناك الكثيرات من النساء يلدن في الشهر الثامن ويُسمون بالأطفال الخُدج .. يضعونهم في الصناديق الزجاجية في المستشفى لمدة شهر حتى يكتمل نموهم .

أميمة : أوه .. لا أرجو ذلك يا أم مروة .. اتمنى من الله ان ألد طفلاً كاملاً لا ناقصاً .
 فاطمة مبتسمة : وهذا ما أرجوه أنا أيضاً .. لأن حضانتها لي .. أم نسيبت .
 أميمة بفتور : لا .. بالطبع .. كيف أنسى .. ذلك .
 فاطمة مبتسمة : أنتِ تحملينه في بطنكِ وأنا أحمله في خيالي اتصوره في كل لحظة ،
 فتارة أتصوره ولداً وأخرى بنتاً ، ولكن كل ما يأتي من الله فهو خير ، يا إلهي كم
 أتمنى رؤيته وأنا أحمله وهو ثقيل الوزن ، وأنك تشعرين بالتعب لأنه يُريد الخروج
 للحياة .. لأنه ملّ العيش في الظلام طوال هذه الأيام ، وهل أكملتِ جميع اللقاحات يا
 ترى .. لأنني أخشى عليه من الأمراض .
 أميمة بألم : المهم ان تبقى دعواتكِ لي بالتخلص من هذا الحمل الثقيل .
 فاطمة :انه شئ جميل أن تحسين بقلدة كبدكِ صدقيني أن النساء أمثالي ممن حرمن من
 الأطفال يتمنين ذلك .
 أميمة بشفقة : يا أم مروة .. انها مثيئة الله .. والله عوضكِ بمروة تعادل الألف .
 فاطمة مبتسمة : الحمد لله .. الحمد لله .. عوضني بمروة في بداية حياتي .. حقاً انها
 تعادل الألف بل المليون كم أحس بالسعادة وأنا أراها قدوة في كل شئ والكل يشير
 إليها بالبنان الحمد لله مرة اخرى لأنه سيعوضني بطفل أيضاً وانا في الأربعين ،
 وأعجب عليك كيف ترفضين الطفل وانت بعمر الشباب .
 أيار بعد صمت : هي طبائع .. كل انسان وطبيعته .
 فاطمة : صدق لسانكِ كل انسان وطبيعته ، ثم قالت ما هو رأيكم ان تذهبوا معي
 لرؤية غرفة الصغير التي اعدتها له ، من أسرة ولعب وغير ذلك مما يحتاج إليه .
 وفي الأصيل .. وقد زال اشراق الكون .. وزحفت الشمس الى الأفق ..
 حتى وقت الغروب .. وقد أصفر قرص الشمس واقبلت على الرحيل ، وأميمة اليوم
 على غير عاداتها هادئة شاردة الذهن فسألها سراج الدين عن سبب هدونها غير
 المعهود وعيناها المليتان بالكلام .
 أميمة متتهدة ماسحة وجهها بكفيها : في الحقيقة أنا افكر بمسألة الطفل كثيراً ..

سراج الدين : الطفل .. ألا زلت تحملين عبء الطفل أولم نتفق بأنه حال ولادته ستأخذه فاطمة فما الإشكال ؟

أميمة : أ .. أحسُّ بأني لا .

سراج الدين منزعجاً : أرجوكِ .. تكلمي ما الذي تُريدين قوله .. ولا تؤذيني بهذا الإسلوب المبهم .

أميمة وقد تفرقت عيناها بالدموع : تسرعت في مسألة التنازل عن طفلي فلذة كبدي أتمنى .. لو لم أقل لها .

سراج الدين : آه ... أندمتي في هذه اللحظة ؟ كم كلمتكِ ولولا فاطمة أقنعتكِ لما تركتِه ينمو في احشائكِ .

أميمة : لا توبخني الآن ... أعرف جيداً ما الذي تُريد قوله .. وأعرف جيداً .. ان فاطمة تنتظرُ الطفل بفارغ الصبر ، وقد هيات له كل شئ مما يحتاجه وأعلم بأنها هي التي اقنعتني بالإعتناء به لأجلها وانها كفيلة به منذ أول صرخة يطلقها معلناً بدء حياته .. لكن .. لكن .. هذا .. حقاً يؤلمني .. أنا لا أقصد التراجع عن كلامي ولكن احس أحساس أم تحمل جنيناً في جوفها تحملهُ وتحسهُ .. بالطبع .. له معزة كبيرة .

وبينما هما جالستان في الحديقة يتناقشان جاءت أم سالم على استحياء وقالت لها : أريدُ أن أكلكما بموضوع خاص .. فأجاباتها : موضوع .. نعم تفضلي أجلسي .. وتكلمي بما تُريدين قوله .

أم سالم كنيبة الوجه معتصرة القلب: حقيقة لا أعرف كيف ابدأ وكيف أصوغ كلامي.
أم قتيبة مبتسمة : عزيزتي تكلمي بلا خجل أو وجل .. فصدري رحب لكِ تكلمي وكُلي أذان صاغية لكِ .

أم سالم وبتلكؤ : الشوق يقتلني .. لأولادي .. فترقرقت عيناها بالدموع .. وأنتِ بالطبع .. تفهمين ما أشعر به من ألم فرقة وحرقة قلب أم على أولادها .

أم قتيبة مشفقة على حالها : محاولة مسح رأسها .. وكتفها .. يا خالتي .. بالطبع .. اني متفهمة لكلامك .. أعانك الله على إبتلائك هذا .. ثم اطرقت قليلاً .. وبعدها قالت ..

وما المطلوب مني .. فعله .. قالت هذا الكلام وهي بالطبع متخوفة من طلب إلا وهو أن تذهب هي وسراج الدين لزيارة أبنها المجرم في السجن .

أم سالم : لقد اغرقتموني بفضلكم يا ام قتيبة ، أريدُ ان يأخذني قتيبة بسيارته الى أحد أصدقاء ولدي الذين في الخارج لأسأله عنه ، سمعت بعودته من الخارج قبل أيام لأنه كان أيضاً في نفس الدولة .. أميمة فتحت عينيها وقالت مبتسمة .. لك ما طلبت .

أيار في غرفتها معتكفة تدرس بجدية .. أما معاذ فيهزأ كثيراً بالدراسة فتراه ... حيناً .. ينظر في الكتاب ثم يرميه على الطاولة ويتناول الدفتر او يضع القلم وراء أذنه وهو متثائب أو مسترخي في جلسته على الأريكة .. تأفف .. وقال أكل هذا علم وكأنه أستيقظ من حلم .. أدرس ولا أحصل إلا على النزر القليل من الدرجات تكاد تكون الدرجة الفاصلة بين النجاح والرسوب ، وهي أفضل من الدرجة التي يخط تحتها الخط الأحمر ، لذا تراني لا أحرز الدرجات الخالية من الألوان فقط الدرجات الملونة .

سُئِل : أنا سعيدة جداً بك يا حبيبتى مروة وأتحرق شوقاً ليوم مناقشة الماجستير، فما هي خطة أعمالك في العطلة بعد المناقشة، وأقصد الى أي مكان ترشحينه للإصطيف .

مروة : وأنا أيضاً سعيدة بك حبيبتى ... سأقضي في البانيو والأرجوحة والحديقة .

سُئِل باستغراب : أهذا لغز يا ترى ؟

مروة : اظنُّ اننا هذا العام لا نساfer .. سنقضي عطلتنا في البصرة أوه عزيزتي سُئِل .. لم أنت هكذا تنسين بسرعة أحداث حياتي المهمة ، أونسييتي (ميسم) الطفل الحبيب الجميل المنتظر الذي سيحلُّ علينا بمشيئة الله تعالى في بداية الشهر المقبل .. وبالطبع يحتاج الى رعاية وعناية ومداراة ونخشى عليه من حر الصيف .. وبرد الشتاء .. ومن الأمراض .. وغير ذلك حفاظاً على صحته وسلامته .. سيملاً حياتناً سعادة وهناء ، لذا فما دُمننا سنكون سعداء ان لا حاجة لنا بسفرة ترفيهية .. أليس كذلك ؟

سُئِل: نعم بالطبع وبدون شك لكن وددت سؤالك حول منذر ما هي أخباره معك يا ترى ؟

مروة بجد : لا أخبار له معي .

سُئِلَ : لكن حقيقة أحببت معرفة ما الشيء الذي قلب شخصيتك قبل أيام من هدوء وتارة اخرى ضيق ونرفزة ؟

مروة متنهدة : لا يا سُئِلَ في هذه الأيام كنت أبرمج أفكاري .. أدخلت سلسلة البيانات والمعلومات والأحداث الجديدة التي مرت بي في شريط الذاكرة والبرمجة ، فظهرت لي بعد ذلك الإجابات التي لا بد لي من السير بهديها، وما **منذر** إلا قريب لي ، لاشئ غير ذلك وأنا لا زلت طالبة علم ، وسأبقى ذات قرارات ثابتة ومن أهم قراراتي، هو بأن لا أسمح لنفسي بأي علاقة مع أي شخص إلا وأنا متفرغة من الدراسة .

سُئِلَ متنهدة : أجابات عائمة وماذا ستفعلين له .. فهو مُتيم .

مروة : سُئِلَ .. تذكرني هو المتيم ولست أنا المتيمة لذا لا شأن لي بهذا وهو لا يقل شأناً عن الكثير من المعجبين بي ولا فخر بنفسي .. لقد تقدم لخطبتي الكثيرون ورفضتهم .. هذا قراري ولن أتنازل عنه لأنني لست مرغمة على خوض علاقة حب أو غير ذلك .. وأرجوك ... أغلق هذه النافذة لأنها تزعجني .

سُئِلَ : وإذا ما قرر **منذر** في هذه الساعة للبوخ لك عن خلجات نفسه .

أيار تطلب من **مُعاذ** ان يزودها بقرص يحتوي أغنية المطربة أم كلثوم ...

مُعاذ مبتسماً : ماذا ماذا ؟ **أيار** ... تريد ... سماع أم كلثوم ... يا للهول ... ماذا حدث اليوم ؟ ومن أين جاء هذا الحب لهذه الأغاني ؟ ، وما هو سبب هذا الإنطلاق الصاروخي غير المتوقع ، سأزودك بكل أغانيها .

أيار مبتسمة : لا لا لا تفهمني ... غلط فليس هناك حب ولا حتى أعجاب بهذه المطربة الكريهة الكئيبة المملة التي تكتسح الوقت جلّه ... وهي تقف على المسرح من الصباح الى المساء كما تقول أنت .

مُعاذ مستغرباً : ما الخطب ... أرجو التوضيح ... يا غريبة الأطوار ... ؟

أيار : في الواقع أن لي صديقة جديدة أسمها سبأ وقد دعنتني الى سماع أغنية لأم كلثوم وقد حددت اسمها ، وعلى الرغم من كرهني لهذه المطربة ، أرتأيت فقط سماعها لأعرف ما السر الذي يجعلها تحبها فقط لا غير .

علماً بأنني لم أعدها بسماع هذه الأغنية ولا غيرها من أغانيها الكئيبية .
مُعَاذُ مَبْتَسِماً : لدي كل أغانيها ... ولكن ... لا أعرف لماذا أغرب عن خلدك التصفح
 على النت والإطلاع على كل أرشيفها ... وما عليك سوى إنتقاء الأغنية التي تُعجبك .
 أيار : والله صحيح ... ولكن فاتني الأمر لعدم أهميته ... ولضيق وقتي مقارنة
 بواجباتي المدرسية ، فضلاً عن انه ليس لدي حاسوب خاص بي ولم يثر ذلك انتباهي
 ... فأعطني حاسوبك ... خمس دقائق .

مُعَاذُ ضاحكاً : حقيقة لا أحب ان يستخدم حاسوبي (اللابتوب) أي شخص ولاسيما
 الذين لا يجيدون استخدامه ، ولا يجيدون استخدام النت فيه ... ثم ان كل أغنية يتطلب
 سماعها بحدود ساعة وليس دقائق ... ولكن لديك النقال الخليوي الكلاسي الحديث
 (أس فايف) الموجود بحوزتنا جميعاً ، ولا أعرف لماذا تبقيين تجهلين التقنية وهي بين
 يديك وتتشبثين بالإسلوب التقليدي المتخلف لقراءة الكتب بإسلوب مادي ، بإمكانك
 سماع الأغنية او أي موسيقى أخرى من على نقالك ، واذا شئت ذلك تعلمي ، فلن
 أعيرك حاسوبي ... ولا تُغشمي نفسك فأنت تستخدمين (الفيس بوك) (والواتس أب) ...
 لكنك تريدين التسلل الى خصوصياتي عبر الحاسوب .

أيار : لا تُهول الأمور فهي مجرد أغنية جوفاء فاقدة المحتوى أعرنني الحاسوب مساء
 الخميس وسأسمع بعد أن أنهى واجباتي المدرسية وسأرجعه لك بالحال، وسأطلب من
 والدي ان يزودني بحاسوب أحدث من حاسوبك ولكن بعد السادس لنلا أنشغل فيه ،
 أريد سماعها في الحاسوب لأن شاشته كبيرة وليس كمثل شاشة النقال الصغيرة .

مُعَاذُ ضاحكاً : أنا أأأأأسف ذكريني غداً الخميس ... وأعطني نقالك ... وسأعلمك
 كيفية استخدامه ... وستسمعين الأغنية منه مباشرة وحتى حفظها ان شئت ... وتبريرك
 غير مقنع ... وسأفترض بأنك ... كلاسيكية وتعيشين داخل كهوف أرشيف الكتب
 وسألتمس لك العذر .. وإلاً ... فلا .

أيار معترضة قلبت شفثيها : أنا أعيش في الكهوف أم أنت المتصابي ؟

مُعَاذُ ضاحكاً : مسكينه تُثيرين شفثتي .

أيار مبتسمة : سبحان الله وهذا رأيي فيك أيضاً .

المهم .. حل مساء الخميس وأنهت أيار واجباتها المدرسية وفي نفسها رغبة ملحة وجامعة لسماع الأغنية التي حفظت عنوانها ، وعندما إنتهت توجهت بالحال الى مُعَاذٍ ووضعت النقال بين يديه وراح ينظمه ويضيف له بعض البرامج ويعلمها ويتمازح معها بسخرية وتهكم ، وهي تتحمل على غير عاداتها المهم علمها الطريقة ... وظهرت الأغنية وتم حفظها في النقال ... وتوجهت الى غرفتها لتسمعها .

أستلقت على سريرها ووضعت النقال قرب وسادتها وراحت تشاهد وتسمع الأغنية التي حددتها سبأ وعلى الرغم من مقتها لهذه المطربة إلا أن الرغبة في سماعها تسللت إليها من رغبة صديقتها الجديدة ، معتبرة ان ما تسمعه وكأنه محاضرة مفروضة عليها لتتعرف عليها ، المهم بدأت الوصلة الغنائية ... والطريقة البطيئة في الغناء ... والتكرار ... يجعل المطربة وكأنها مدرس يُلقي ويشرح ويُعيد لغرض الحفظ ، مما يجعل المستمع يتحول من متلقي الى متفاعل ... فيقود الى ان يتحول الشعور من الترهيب الى الترغيب ... فغنائها عبارة عن قصائد شعرية عاطفية ، تتمايل مع الهوى تدغدغ الشعور وتُغازل الروح وتُخاطب العقل ، سمعت بامعان الى ان أنتهت الأغنية ، فعاودت سماعها مرة ثانية لتحلل العبارات التي تكررهما ولا سيما العبارات الرنانة التي تجعل المستمعين يتهسترون منفجرين في التصفير والتصفيق حيث يقفون على أقدامهم تشرأب رؤوسهم نحوها ، وبعد السماع جلست على سريرها وراحت تتصل بسبأ وعلى خدمة الفايبير ، وذلك لأنها الوحيدة من صديقاتها التي تجدها مستيقظة في أي وقت متأخر .

سبأ مبتسمة : حياك الله وبياك صديقتي ظننتك نمت الآن لكني أحببت سماع صوتك ،والحمد لله وكأن ربي سمع نداء قلبي وساق لي صوتك الذي أعتبره أوكسجين لحياتي .
أيار بهدوء : الله ... ما أروع كلامك ... أشتقت لسماع صوتك ... مرّت ساعات ولم أسمعوه ولكن هل أنا فعلاً أوكسجين لحياتك تعبير كبير ... وهل أنا أستحقه برأيك ؟

سبأ : أشعر وكأنني سمكة أعيش في نهر أنت مأؤه ! فلا أستطيع العيش بدونك ، وقبل أتصالك هذا كنت أتكلم مع أختي أطوار وأنهار عنك .
أيار متأثرة وقد أفحمها الكلام ونست ما أتصلت من أجله متنهدة : وماذا تكلمت علي لأخواتك ... ؟

سبأ : تكلمت عنك كل الخير ... ولم أتكلم عليك ... فهناك فرق ما بين عن وعلى ... ولكن أعجب لإتصالك المفاجيء السعيد في هذا الوقت ، أتعرفين ... كل حديث عنك حلو المذاق طيب النكهة ... وأنا أتلذذ بالحديث عنك ولا أتذكر ما قلت عنك المهم ... انك كنت هنا قبل قليل .

أيار : والله شعوري متبادل ... أتعرفين اليوم ... بل قبل لحظات ... سمعت أغنية ام كلثوم التي اهديتيني اياها ، سمعتها بإمعان مرتين الأولى للإطلاع والثانية للتحليل ... سمعتها لأجلك أنت ... لأجلك يا سبأ ... تحملت سماع أغنية بحدود ساعة .
سبأ ضاحكة : أشكرك حبييتي ... فكل كلمة أعجبتك في الأغنية مهداة لك .
أيار مبتسمة : لم تُعجبني طويلة ومملة ... وثقيلة الظل .

سبأ مستغربة : اذا كنت انزعجتني من سماعها ... فلماذا أذن اتصلتي بي في مثل الوقت الروحاني الذي الذي تتصافى فيه القلوب ... وتصدق فيه الكلمة .
أيار : وأنا الصادقة ... وقلت الواقع ... ما عدا بعض المفردات التي تعب لسانها من تكرارها وجدتها معبرة وأظنك قصدتها لأنها تشير الى عمق حب وصدق مشاعر وأتون شوق مستعر .

سبأ متنهدة : أذن ... أصبتي الهدف يا أيار ... عندما ترجمتي مفرداتها ... وفهمتي مآربي الصادقة .

وعلى الرغم من كل الدهاء الذي بذل لزرع بذور الفرقة بين كل من أيار وسبأ إلا إن هذا العمل لم يُأت أكله ، مما دعا المجموعة الماكرة (الشلة) الى البحث عن طرق أخرى جديدة أقوى من سابقتها ، واستثمارها إستثماراً فعالاً للقضاء نهائياً على علاقتهما ، وإستغلال هيفاء لتفعيل هذه الخطة بشكل غير مباشر ، المهم جذب

أسماعها وإيهامها بأنها تسترق السمع ، وبالفعل كان للمجموعة ذلك وبينما هيفاء جالسة تنقل في إحدى الدفاتر باقية في الصف حيث الدرس الأخير درس رياضة في يوم خميسي حيث المدرّسة مجازة ، فإحتشدت المجموعة الماكرة مع عدد من الطالبات المتفق معهن من الفرع الأدبي على عدد من الكراسي بشكل دائري ، ورحن يتكلمن ويضحكن بهدوء بقصد إيصال الكلام الى أسماع هيفاء ، وهن يبدران الخطة بقولهن : والله أن صديقتنا أيار ذكية وبارعة وداهية ، وقد ربحت الرهان الذي قطعه لنا ، وتحدثت غرور وعنجهية وعجرفة سباً وجعلتها كالخاتم بيدها وذوبتها بعد ان كانت جليداً وجعلتها تدور في أفلاكها ، دوراناً عشوائياً دون إهتداء ولاحظوا بمجرد ان تطلب منها أيار التغيب وعندما تتغيب يحدث ذلك دون شك والكل يلاحظ ذلك ، ويستطردن في الحديث ويقولن : أتعرفون لماذا؟! لأننا عندما ذقنا ذرعاً بغرورها ونظراتها الوقحة وابتسامتها التهكمية ، قررنا وراهننا أن نقتل غرورها وكبرياءها ، ووقتئذ أبرقت أيار وقالت أنا أقبل الرهان وأنا القادرة على ذلك وبالفعل ربحت الرهان ولا بد علينا ان نشتري لها ثلاثين علبة (ببسي) ، بالدرجة التي تجعل سباً تقول لها أأنا ... كالمسكة التي تسبح في ماء بحرك ... فضحك بشكل يثير الإنتباه وأيقن بأن الخطة في طريقها الى التنفيذ الناجح ودون مواربة وقد أتت أكلها ، لاسيما وان العبارة الأخيرة صحيحة مئة بالمئة ، مما يجعل الخطة نهائية وضربة قاصمة قاتلة لأي علاقة بحسب زعم المجموعة ، وحالما انتهت المجموعة من بث سمها الزعاف في أذن هيفاء خرجت وكأن لم يسمعها أحد مموهة الصورة بعدد كبير من الطالبات مشركة أخريات من الفرع الأدبي لإضفاء صفة المصادقية على الحديث .

كانت الصدمة شديدة الوقع على مسامع هيفاء التي تجد في أيار مثال للصورة الناجحة الناصعة البياض المتكاملة الأطر ، وقد تهشمت بالحال كالزجاج الذي يصعب تجميعه مما قاد الى إحمرار عينيها وقد تشتت أفكارها ولا تعرف ماذا تقول ، وبينما هي كذلك حتى دخلت عليها أنصاف مبتسمة لتسألها لماذا لم تخرج للساحة لحد الآن ، فوجدتها على غير طبيعتها الفطرية وكأنها تضع على وجهها القناع وتؤدي

دوراً تمثيلاً لا يليق لها ، ما الخطب أيتها العزيزة ؟ تركتك في أحسن حال ... ولماذا كل هذا الألم في عيونك ؟

هيفاء متتهدة : والله كارثة .. أصمت أذنيّ وشللت أطرافي وزلزلت كياني ، لقد تمكنت من معرفة بعض المعلومات لا بل بعض الحقائق التي تجعلني أفقد الثقة بالكثير .
أنصاف : أرجوك ... لا تُخيفيني ... وكأنني أتكلم مع فتاة أخرى لا أعرفها ... ماذا دهاك ، أرجوك وضحي لي ولا تجعليني في حيرة ، وفي هذه الأثناء وبينما **أنصاف** تتوسل بها وتطلب توضيح الأمر ، جاءت كل من **أيار** و**سبأ** والفرحة تملأ المقل والمشاعر تلون الأفق وهي تشدُّ على يدها كالمعتاد وكأنها تريد أن تبقيها في يديها دائماً دون إفلاتها ، همست **سبأ** ل**أيار** مبتسمة ... بالتأني وعدم دخول الصف لتسمع ما الأمر ، لعل **هيفاء** تخاصمت مع خطيبها ... الذي لا يُجيد القراءة والكتابة ... فأيدتها **أيار** مبتسمة بالموافقة .

هيفاء متأثرة واجمة : قد فشلنا في التقريب ما بين **أيار** و**سبأ** ، وأتضح أن **أيار** بالفعل فنانة حاذقة وبوجهين وبالفعل هي الآن تمثل على **سبأ** ، وقد ربحت الرهان الذي قطعته مع **هبة** ومجموعتها ، وأبلغتهم بأن **سبأ** أصبحت كالسمكة الصغيرة في حوض مسرحها الواسع .

أنصاف : هذا هراء ... يا **هيفاء** ... من غسل دماغك بهذه التفاهات .

هيفاء : والله لم يخبرني أحد ... أنا سمعت الطالبات ... دون أن ينتبهن لوجودي .
وقد سمعت كل شيء كل شيء ، من الألف الى الياء ، وسمعت كل تفاصيل الخطة التي نفذتها **أيار** على **سبأ** المسكينة التي أصبحت الآن أضحوكة بيد المجموعة الماكرة ... و**أيار** الآن كسبت الرهان ... وحالما سمعت **سبأ** هذا الكلام وكان صاعقة كهربائية صعقتها وجعلتها ترتجف لهول ما تسمع فأفلتت يدها بقوة ذاتية طاردة ، والشعور ذاته تولد في صدر **أيار** ، عندها حاولت الدخول ، فمنعتها **سبأ** وقالت لها : إذا كنت شجاعة دعيها تكمل نشر الغسيل فراحت **هيفاء** تواصل الحديث وهي متألّمة .

الجزء التاسع والعشرون

أنصاف : هذا مستحيل ... لا أصدق أي كلمة مما قلتِ ... هذا إقتراء ... وأنت تعرفين الحقد الدفين الذي تمارسه هذه الشلة المتعبة تجاه التجاذب الروحي الأصيل بينهما ، فأغلقي الحديث رجاءً ولا تتفوهي بأي كلمة وكأنك لم تسمعي شيئاً .

هيفاء : ولكني سمعت الحديث من طالبات من الفرع الأدبي فهل لك توضيح ذلك .

أنصاف : قلت لك ... تكلمي على هذا الأمر وسأتحقق منهن فقط اعلميني بأسمائهن .

هيفاء : ويا لرخص الرهان ... الذي باعت سباً من أجله ثلاثين علبة من الببسي .

أنصاف : لا تنتظري الى الموضوع من زاوية واحدة ولا الى الجزء الفارغ من الكأس ... قلت لك تكلمي أرجوك على الأمر لنلا تجرحي سباً حتى نتأكد من الأمر .

هيفاء : وهل تريديني ... ان أكون زنديقة ... وأقصد بزنديقة أن أظهر عكس ما أخفي ... هذا نفاق وأنا لم أعتد النفاق ... وهذا منكر ولا يمكنني كمؤمنة السكوت عليه .

أنصاف : نعم كلامك صحيح ... ولكن كلام الله تعالى مقدس ويجب على كل مؤمن أتباعه قبل البت بإذاعته ونشره ، يجب التأكد منه لنلا يقع الظلم ، فيقول الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (6) } سورة الحجرات

هيفاء متنهدة : أستغفر الله العلي العظيم ... لكن لا بد ان تعرف سباً .

أنصاف مشيرة بيديها : حسناً حسناً ... سأسوي الأمر ... أخرجي الآن الى بيتك .

لكن أيار لم تستطع الصمود أكثر فتشبثت بسباً وقد أحمرت عيونها وقالت لها أرجوك أسمعيني ، ولا تظلميني ، لكن سباً فرغت نفسها من يديها والدموع تترقرق من عينيها وتقول لها بجزع ... اتركيني ... انتهى دورك أذهبي واستلمي رهانك البخس ، وأبتعدي عني لا أطيق رؤيتك ، فقالت أيار لهيفاء بغضب أطمأني بغبانك ... سمعنا كل الكلام من الألف الى الياء كنا لدى الباب ، فهتت سباً بالإنصراف والدموع تتطاير من عينيها بعد ان ألقت حقيبتها ، فأشارت أيار الى أنصاف ... أرجوك رافقيها .

لقد كان وقع الخطة شديد على سبأ فدخلت المنزل وكأنها عائدة من معركة خاسرة لا تروم الإفصاح عنها بعد أن أعلنت أمام الملائم بأن أيار ستكون صديقة العمر ، فكيف الآن وقد أصبح الفراق بينهما قاب قوسين أو أدنى لاسيما بعد ان سمعت بأنها راهنت على مشاعرها ، وأستيقنت من ذلك خلال عبارتها التي وصفت بها نفسها كالمسكة التي تعيش في بحر العميق وأن بكت ستفضحها عيونها أمام أخواتها في ذات الغرفة ، وأجابتها على تساؤلهن حول توترها وتأثرها بأن دروسها باتت أكثر صعوبة وأنها أحرزت درجة رسوب في مادة الكيمياء ، أما أيار فتأثرها أعمق وأبلغ فاعتزلت في غرفتها متذرعة بالدروس وكأن جدراناً حديدية من الكآبة تزحف نحوها ولا تعرف كيف تصدها ، فحاولت ان تتكلم معها وتقلل من الألم التي تعيش فيه وتبريء ساحتها من التهم المنسوبة إليها ، ولكن سبأ عندما رأت أسمها على النقال لم ترد عليها مما أثار تساؤل أختيها أطوار وأنها فقالت لهن سأردُ عليها مساءً لديها بعض الأسئلة حول بعض المسائل ، لكن من الأفضل لي الآن أن أدرس لأن الوقت ضيق ، فحملت حقيبة كتبها وتوجهت الى غرفة الإستقبال على غير عادتها لتكمل دروسها وفي نفسها الرغبة في الإطلاع على ما يدور في خلد أيار دون ان ترد عليها ودون أن ينتبه أحد الى صدودها ، ومن الأفضل ان تجعل النقال صامتاً ، وما أشد ذلك على روح أيار التواقة لسماع صوتها ، والتحدث إليها وتبرئة ساحتها مما أنسب إليها ، ولكن كيف وسبأ توصلت الباب على مصراعيه بوجهها ، وكيف لأيار أن تصبر الى ان يأتي يوم الأحد وهي تعيش في هذا الجو النفسي المكفهر ، وأنها على الرغم من الألم الشديد الذي يجعلها كالصائم الظمان الى قطرة ماء ولا يستطيع الحصول عليها ، تلتمس لها العذر وتعطيها الحق في أي رد فعل سلبي لأن الخطب جلل ولا يمكن تحمله ولاسيما اللعب على أرجوحة المشاعر، ولم يبق أمامها سوى التراسل ولعلها تؤتي أكلها وتستجيب لنداءها وفي المساء وقد هدأ الليل وأغمضت العيون راحت تكتب أيار.

أفئدة الناس مستودعات نائية ... لا يعرف طريقها إلا من جد عنها في البحث ...
وألفها وأمن سرها ونجواها ... قد يتوهم الإنسان كثيراً في هذه الحياة ...
ويعيش ويحيا على وقع الخيال المتلألئ ... في سيمفونية الظلام ...
الهادئة في كل حين ... إلى أن يستيقظ مصعوقاً فيجد ذاته يتيمة بلا مأوى ...
وقد لسعته نظى النهار ... ورفعت عن رأسه قبعة الوهم ...
فلا تنبشوا قبور الماضي ...
وتنثروا جنث الكلمات في الشمس ...
فكل ما حدث نسج من الخيال ...
وفيه عبرة لنا ودرس ...

وقد ردت سباً ...

إنكسر الزجاج الصقيل الخداع للبصر ... بحصى الطير الأبابل ...
وتناثر الزجاج في عروقي ... وتحطمت أرجوحة المشاعر على مسرح التمثيل ...
فسقطت السمكة الحاملة ... من البحر ثملة ... تحت سياط حر تموز ...
قوية البصر ... فتحررت السمكة الآن ... أبارك لك الرهان ...
أمسحي رقمي ... كفاك تمثيل ... فلن أقرأ أي رسالة تأتي منك ...
لأنها جوفاء فاقدة القيمة ...

وبعد ان قضت ساعة مسائية مع زكية إنصرفت مروة الى غرفتها وجلست
على كرسيها وراء مكتبها تتصفح كُتيباً صغيراً ثم بعد ذلك وضعت الكتيب .. وقالت
في نفسها .. أسفة يا منذر بحق أسفة على اسلوبى الفج في تجاهلي .. هذه المرة الأولى
التي اتكلم فيها بأسلوب غير مرضٍ تماماً .. لقد اخطأت يا مروة في كلامك هذا .. لأن
الفتى لم يبذ منه أي شئ يستحق مثل ذلك .. لكني لم أكن أقصد إيذاءه أبداً .. وإنما
أردت فقط دفع البلاء عني لا شئ غير ذلك .. لأنني إذا ما تجاوبت معه .. سوف يأجج
الوضع الذي يرتضيه منذر وذلك في النهاية وبالطبع له نتائج وخيمة لأنني أنوي

إكمال دراسة الدكتوراه .. وبالتالي أكون قد وقعت في الهاوية فلذلك أحاول تدارك الموقف من البداية بعقلانية وبفكر رشيد ، ولا بد على منذر إذا كان رجلاً ذا إدراك واسع ان يتفهم ذلك ويتريث في حبه هذا .. علّه يعاني من نزوة مؤقتة تزول منه في المستقبل .. أذن لا تثريب عليّ فيما فعلت ما دممت أتوخي الإصلاح .. لا بد أيضاً أن لا أفسح له المجال للخوض في مثل هذه المواضيع ، اتمنى من الله ان يوفقني ويقدرني على تخطي مراحل دراستي دونما مشاكل ولا وجع رأس ولا لوعة قلب ولا تأريق عين ثم تئاءبت ونهضت متوجهة الى سريرها : مستسلمة الى الكرى وقالت قبل ان تنام .. اللهم اسألك رقاداً مريحاً هادئاً .. وبينما هي كذلك ، أتصلت بها أيار لتشكو لها الظلم الذي طالها .

مروة متثأبة : ها ... أيار ... ماذا وراؤك ... ولماذا أنت مستيقظة في هذا الوقت؟!
 أيار متنهدة : عمتي أحتاج الى الحديث معك ... ولكن ... ما دمت نعسة ... سأوجل الأمر الى الغد ... تصبحين على خير ... أكملني نومك ... الى اللقاء وأغلقت الخط .
 مروة مستغربة وقد جلست بعد ان كانت مستيقظة وأعدت الإتصال : أيار ... ما الخطب ... لا تُقلقيني ... هل أنت بخير ... ولماذا أوقلت الخط ... ؟
 أيار : لا تقلقي ... نحن بخير ... فقط مشاكل مدرسية .

مروة مبتسمة : أوه أخفتيني عزيزتي ... والأمر هين تحدثي أسمعك حتى وأنا نائمة.
 أيار بألم : الآن ... الأمر صعب ولا أعتقد حله هيناً ... بل تعقد جداً وتشابك .
 مروة : يا أبنتي أتركي المقدمات وأدخلي في صلب الموضوع فلكل مشكلة خيط حل .
 أيار متنفسة الصعداء : وقد نقلت لها الصورة بالكامل (كيت وكيت) وقد ترقرقت عيناها وأحست مروة منها ذلك ، وأستطردت قائلة : وأنا اليوم في نظرها محض كاذبة مخادعة تلاعبت بمشاعرها ... وقد كرهتني ... وكرهت حتى صوتي ... لا تريد سماعي ... ونعتنتني بأقسى النعوت ... كنهز الخمر مثلاً ، أرجوك أن تبقي هذا الحديث في حدود ضيقة بيني وبينك فقط .

مروة متثابة : أيار أطمأني ولا تقلقي حول الأمر سنجد له مخرج لا محالة ، أعطيها الوقت لأنها لا تزال تحت تأثير الصدمة ، وأن كانت تُحبك وتريد الإحتفاظ بصداقتك فأكيد ستسمعك وتسمع تبريرك ، وأنا أشدُّ على يدك في المواصلة بالإتصال معها حتى وإن لم ترد المهم تسجيل موقف ، أكتبي لها بوضوح وبالتفصيل من البداية الى النهاية قبل أن تتواجها فالعتب يطفىء نار الغيظ ، نامي الآن ، فالمد والجزر ديدن العلاقات الناجحة وما دمت بريئة من أي إتهام ، فسلحك الصدق والصراحة والمكاشفة وسترينها تتجاذب معك أطراف الحديث .

أميمة وبعد ان بذلت جهداً جهيداً لتمثيل الدور الذي اتفقت ان تؤديه لتأخذ المعلومة من أيار حول مصير (الجكليتة) التي أعطتها أياها قبل أشهر .
سراج الدين مبتسماً : وكيف سألتها ؟ وهل كان الأمر سهل ... ؟
أميمة مبتسمة : أبداً ... والله لم يكن الدور سهلاً ... أخذت (الجكليتة) التي أعطانيها أنس ، وأخذت وقتاً حتى تدربت على الدور ، حتى كدت ان أقشل في الإداء ، المهم قالت انها اعطتها الى مروة .

سراج الدين : أذن اكتملت معلومات التحري لدي ... وكسبنا القضية .

أميمة : أية معلومات هذه التي تحسم لك القضية ؟

سراج الدين : نعم ... حبييتي ... الجكليتة التي أحببت شكلها ولونها ، وقتنذ تولدت في روعي رغبة ملحّة بإهدائك أياها لتلذذي بأكلها ، على الرغم من زهادة وبخاسة سعرها ... لكنها همسة حب ... لكنك فرطتي بهذه الهمسة ونقلتها الى أيار .

أميمة خجلة متنهدة : لا ... حبييتي لم أفرط بها ... ولكن .

سراج الدين قاطعها : لا ... تكثرني لكني أشرح لك الأمر ويسرني جداً بأن أيار نقلت همسة الحب هذه الى مروة هذا يعني إنها قريبة الى روحها وهذا جل ما أتمناه لها .

أميمة : ولماذا لم تخبرني بأنها همسة حب ... لوضعتها في قلبي واحتفظت بها .

سراج الدين : ولكن الأمر الجميل ... ان أيار وافنتي بأروع المعلومات وهو إن والد سبيل أسمه بهاء الدين نور الدين ، وقد تأكدت من مروة بأن علي صديق أنس هو

أخوها ، وبالتالي وبما أن مروة اعطتها الى سبل هذا يعني أنها الأقرب الى روحها ، وكذلك الحال بأنس هو الأقرب الى روح علي .

أميمة : سبحان الله ... كم هي الحياة قصيرة وان طالت وتباعدت أطرافها .

سراج الدين : والأهم من ذلك ... ان رسائل القدر توزع الى كل المنازل .. وقطعة الكاكاو هذه من نصيبك وهي الآن بين يديك ... ونصيب منزل واحد وان نأت وقطعت مسافات شاسعة وتناولتها الأيدي ... أرجعها أثير الحب الى موطنها الأصلي ... وحطت بين يديك .

أميمة مبتسمة : الحمد لله ... الذي أرجعها في يدي ... لقد تأثرت من كلامك وان تتهمني بالتفريط ... وكأني صديقة جديدة لك ، وكأنك لا تعرف بأنها توأم روحي ... بل أشد ... ولم أتوقع بأنك اعتبرت قطعة الكاكاو هذه همسة حب ... وإيماءة شوق ... ونشوة نجاح .

سراج الدين مبتسماً مازحاً : والى من ستعطيها ... الآن ...؟؟ لعل فيها مقدره سحر ... وتعود إليك من جديد على أجنحة الطيور الزاجلة ونجعلها سبقاً صحفياً وتنتشر أخبارها وتتصدر الصحف الإلكترونية وتتجمهر وسائل الإعلام كلها عند بابك .

أميمة مبتسمة : لا تتهمك ... أرجوك ... لن أفرط بها بعد الآن ... ما دامت بيدي وسأخذ قراراً فورياً جوهرياً ونهائياً ، للحيلولة دون تنامي أطراف هذه (الجليتية) السحرية ، فقامت بفتحها وقصمها الى نصفين ووضعت نصفه في فم سراج الدين وهو مبتسم ووضعت الآخر في فمها ... وأنهت أمرها وهي مبتسمة .

جاء يوم الأحد على أحر من الجمر وكان سنتين مرتا على أيار حتى تلتقي بسبأ وتتكلم معها ، لكن كلما اقتربت منها إزدادت سبأ نفوراً ووجوماً وإعراضاً ، بالشكل الذي يجعل أيار تخاف من مواجهتها أمام الطالبات لاسيما وأن مروة أشارت عليها بإعطائها الوقت لتتعافى من الصدمة ، وقبل ان يبدأ الدرس الأول ، همست أيار إليها بحنين عارم يفجر الصخر وهي تشيح بأنظارها محاولة الشد على يدها قائلة : سبأ ... أرجوك لا بد ان تسمعيني ... إلا إنها سحبت يدها بعنف وقالت بتوتر : هذا

المكان لا يسع لكلينا ... فأجابتها : لن أتركك ، ردت عليها حاملة حقيبتها ومتوجهة الى كرسي أنصاف طالبة منها أن تبادلها الكرسي ، فما كان منها إلا أن تفرغ مكانها لها وتنتقل قرب أيار ، التي باتت تشعر وكأنها مشلولة الحركة مقعدة التفكير وان كل لحظة جميلة عاشتها مع سبأ ماتت وأصبحت ضرباً من ضروب الخيال ، وفي وقت الفرصة كان لا بد من محاسبة الزمرة التي قتلت فرحتها وأغتالت بسمتها وجرحت صديقتها الحبيبة فإلتقت بهن بعيداً عن مسامع سبأ في الساحة ، والوجوم يكاد يشقق وجهها من شدة الغيظ .

أيار : توقعت منكن كل السوء ... إلا ان تتقلوا كلامي ... وبشكل سلبي .
هبة تتظاهر بالإستغراب شادة على يدها : حبيبتي ما الخطب ...؟ أرجوك كلميني ولا تقلقيني .

لينا : أرجوك فحن صديقاتك المقربات ... كلمينا ولا تطلقى علينا الإتهامات جزافاً .

هند : نعم حبيبتي ... تكلمي فحن رهن أشارتك ... من منا نقل كلامك .

أنسام : وبالأحرى ... أي كلام ... أطلعينا ؟!!

أيار بألم : من نقلت كلامي الى هيفاء ؟

هبة ضاحكة : من البلهاء ... ومنذ متى وهذه تجالسنا أو بالأحرى منذ متى ونحن نسمح لها بالجلوس قربنا ، ثم هل رأيتها يوماً من الأيام تجلس قربنا ، فهذه البلهاء تدّعي الكذب ، ونحن جميعنا مستعدين لمواجهتها إذا رغبتني ، أو تعالى أسأليها أمامنا ... لنقول أمامك من قالت لها ، ثم ما هو كلامك الذي نقلناه ، هذه بلهاء ولا تعرف ماذا تقول ، وأن عقلها خفيف وتضحك حتى من حديث نملة بعشيقها .

لينا : نعم ... ما هو الكلام الذي نقلناه ؟

هند : وكلنا أمامك ومستعدون لمجابهة كل من تسوّل لها نفسها للإيقاع بيننا ، ولو كانت صادقة وشجاعة فلنقسم أمامك بأن إحدانا أخبرتها مباشرة ووجها لوجه بأي حديث ونحن بانتظارها ولكنك تدورين في حلقة مفرغة يا أيار تحقّقين دون أن يكون لديك بينة ، وإلاً فالمواجهة تكشف الصادق من الكاذب .

أيار متنهدة بألم : ليس المهم ... ماذا نقلتم ... ؟ وإنما الأهم لماذا نقلتم ... ؟ وأكد ستتم المواجهه ، لأن ما قالته مريع ... ولكل حادث حديث .

هبة : يا لسخرية القدر الذي جعل هيفاء الفلاحة تدّعي علينا الكذب ، ومؤكد أن مآربها دفينة ومدروسة ومدسوسة مع إحدى الخبيثات للإيقاع بيننا ، سنذهب الآن الى الصف وسنمسح بها الأرض وسنشكئها الى إدارة المدرسة ، لتضع حداً الى هذه الفتنة والنفاق ... وسترين ... هيا يا بنات ... ورائي .

أيار بتوتر : إياك ثم إياك ... وأتخاذ مثل هذه المواقف أنا من أحدد هذا القرار بعد المواجهة .

وفي عصر اليوم التالي رن جرس الباب ففتحة الأب : فالقى الزائر التحية فرحب به وأدخله بالترحيب والحفاوة الى غرفة الإستقبال .. وقد أخبر مروة بأنه أتفق مع شخص موثوق من الموظفين لديه في الشركة بأنه سيأخذ على عاتقه مهمة الإشراف على العمل في العيادة ، وطلب منها ان تلتقيه وترى التصميم الذي قدمه هذا المشرف وتعطيه الملاحظات ان أرثأت ذلك ، وخير من وثق به عبد الرحمن الشاب الذي أحبه من صغره منذر ، كانت مفاجأة حقيقية لمروة مدبرة من والديها ، دخل وقال لقد جئت يا عمي بحسب ما أتفقنا الساعة السادسة عصراً ، نظرت مروة الى الساعة المعلقة على الجدار وأبتسمت بروح رياضية وكأنها لم تتفاجأ وقالت : حسناً أيها المشرف الوسيم المواظب المجتهد ، تفضل بالجلوس ويده أشبه من ان تكونا مرتجفتين وكانت مروة تحسُّ بذلك جيداً ، على كل حال جلس الثلاثة وراحوا يتناقشون التصميم الذي أعده مسبقاً وقد فرحت مروة كثيراً بهذا التهيؤ السريع فكان منذر يُجيبها بكلمة نعم هادئة جداً أو هازاً رأسه معلناً الطاعة وكان ذلك ما يثير دهشتها واعجابها بدمائة أخلاقه وحُلقه وإحترامه للعمل والوقت والمثير للإنتباه أهتمام والدها به.

وبينما هم كذلك رن جرس الباب .. وما هي إلا دقائق حتى دخلت زكية ومعها امرأة ترحب بها .. تفضلي تفضلي الى حيث غرفة الإستقبال أقتربت المرأة منها وسلمت أجابتها مروة والقلم في يدها .. أهلاً وسهلاً بحضرتك .. وكانت المرأة تحدق بها .. بصورة غريبة .. لكن يبدو عليها مُعجبة بل مفتونة بها سألتها : بالطبع انتِ مروة ياعزيزتي .. أجابتها وهي مبتسمة نعم .. أجابتها : ماشاء الله ماشاء .. فليخفى القمر ، تبارك الخلاق فيما خلق .. أنتِ أجمل وأروع وأبدع من الوصف .. أستغرب الأثنان مما زاد من غيرة منذر .. المسكين لكن غيرته حتم عليها ان تبقى في أتون مستعر بين جوانحه .. فجاءت الأم .. حاملة العصير .. ثم قالت لزوجها عزيزي أكملوا إجتماعكم في المكتب إذا سمحتم .. أفضل ، فأشار عبد الرحمن بيده الى مروة ومنذر التوجه صوب المكتب فتوجهوا نحو المكتب وقد تأخر الأب قليلاً ليتعرف على الضيفة ، وما ان جلس منذر لم يستطع الثبات أكثر .. فقال لها.. من هذه المرأة .. أجابته لماذا .. أجابها : لا أعرف هكذا سألت .. ثم إستطرد : صراحةً أ.. ثم بلع ريقه وقال : لاحظتها وكأنها تُريد أن تأكلك بكلامها وبنظراتها الغريبة لك .. وهي لاحظت ذلك أيضاً .. لكن لم تُعلق على كلامه وقالت له بعد أن حضر والدها : دعنا نكمل الموضوع أفضل .. فجلس الثلاثة وتناقشوا في الأمر وأتفقوا على كل ما يتعلق بتأهيل العيادة على الورق ، عندها إنصرفت مروة وتركتها يتبادلان أحاديثهما عن أعمال أخرى ، ولكن منذر وحالما إنصرفت مروة أراد أن يستغل ويستثمر الفرصة ودون سابق إنذار ليرمي الكرة في ملعب الوالد ، وبعد أن لملم كل قواه وشجاعته قال للوالد والخجل بادي على كل ملامحه ... عمي ... ما هو رأيك بشخصي .

عبد الرحمن مبتسماً فرحاً وكأنه قرأ ما بعينيه : خير الشباب ... وخير الأولاد ... وأنا أفتخر بك دائماً ... وأحبك كأحد أولادي ... وأنت تذكر كيف طلبت منك العمل في شركتي ... فضحك وإستطرد قائلاً : ثم إنك كنت تقول لي جدي سابقاً أونسييت ... منذر مبتسماً : لا بالطبع لم أنس ... كانت أسيل تعاملني كأحد أولادها ، وعندما كانوا ينادونك جدي كنت أقلدهم وأناديك جدي ... كم كانت أيام رائعة ...

عبد الرحمن مبتسماً : القادم أجمل إن شاء الله ... ولكن ماذا تريد أن تقول يا ولدي ؟
منذر مرتبكاً ولم ينطلق لسانه بسهولة : عمي ... أ ... أنا .

عبد الرحمن : تكلم ... يا ولدي تكلم ... ولا تنسَ بأني قلت لك أعتبرك كأبنائي.

منذر : تعرف بأني أعيش الى الآن في بيت أخي علي الذي يُعاملني كأحد أبنائه ، وقد أكملت دراستي والحمدُ لله ، وأحاول جاهداً أن أبني نفسي بإمكانياتي التي تعرفها ، علماً بأني قدمت أوراقي للتعيين في مصرف الرافدين عسى ولعلّ أن أجد الوظيفة .

عبد الرحمن : لم ... أفهم ... أدخل بالموضوع يا ولدي .

منذر : وبديهي وبعد أن أكملت دراستي أريد أن أتأهل ... أقصد أعدّ العدة للزواج.

عبد الرحمن : خيراً تفعل ... وهذه سنة الحياة ... وأبارك لك هذه الفكرة .. وأدعمك بكل ما أوتيت من قوة إن شاء الله تعالى ... وهل وجدت من ستشاركك حياتك .

منذر : أخشى من الإعلان ... لأن مستواي المادي ... لا يسمح لي ...

عبد الرحمن مبتسماً : يا ولدي ... الكل يتشرف بالانتساب لعائلتك الكريمة وليس المال كل شيء في الحياة.

منذر : سأقول لك ... لأنك بمثابة والدي ... وأعتذر لك إن لم يروق لك الحديث .

عبد الرحمن : نعم ... أسمعك .

منذر : هل تعتقد .. بأن مروة ستقبل بي ... على إفتراض إنك تكن لي الحب والقبول.

عبد الرحمن ضاحكاً : وأخيراً ... خرجت الجوهرة من فمك ... يا ولدي ... والله من دواعي سروري ... أن أسمع منك هذا الطلب ... وأنا موافق وأدعمك ... ولكن ... هل مروة ستوافق ... للأسف لا أعلم ... وهل هذا التوقيت مناسب ، لا أعتقد ...

أتعرف لماذا ؟ ستجري مقارنة بينك وبين القاضي من ناحية المؤهلات، وقد لا تنصفك هذه المقارنه،أنا من رأيي أن تعمل على جس نبضها وأن تخبرها أنت بهذا الطلب .

منذر مبتسماً : حسناً سأحاول وأن كانت المهمة صعبة جداً مع فتاة حديدية مثلها .

وبعد ان ذهب **منذر** وبينما العائلة جالسة في الحديقة لإستنشاق الهواء الطلق ، وقد طلب منه **عبد الرحمن** ان يأتيهم في اليوم التالي بذات الوقت عصراً ، سألت

مروة والدتها : من هذه السيدة التي حلت علينا ضيفة اليوم ، أجابتها : هذه جارتنا أم القاضي رشدي ، سألتها : وماذا تُريد ؟ اجابها الأب مبتسماً : ولماذا كل هذه الأسئلة عن الضيفة يا مروتى .. ابتسمت ثم قالت : أه يا أبتى لقد رأيت كيف كلمتني وهي تُحدق بي .. وتُسمعني الكلام الجميل المزوق حقيقة أسلوبها أثار استغرابي ودهشتي .. اجابها مفتخراً : مروتى انها مسألة عادية .. أنك دائماً محط أعجاب الآخرين وهذا شئ ملموس .. قالت الأم : أ .. تذكرت .. أن أم رشدي كان 90% من كلامها في هذه الزيارة عن رشدي .. وله مكتب .. وله بيت .. وهو المعيل بعد والده .. وهو الولد البار .. وهو الولد الكذا وكذا .. عجيب وكأنها جاءت لتُعرفني عن شخصية أبنها القاضي ثم إنقذت عينا فاطمة بعيني عبد الرحمن وقد أخبرها بطلب منذر .. ثم صوبا نظرهما الى مروة .. وضحك ثلاثتهم .. على هذه النظرات المفهومة الواضحة .

وعلى الرغم من اللقاء الذي دار بين أيار ومجموعتها إلا إنها تدرك تماماً ودون موارد بأنهن وراء المشكلة التي حدثت ، وأن هيفاء صادقة فيما سمعت ولم تدع عليهن غير أنها لا تمتلك الجرأة الكافية لمواجهة كل هذه الأقوال السليطة اللسان ، ولاسيما بعد التهديد بالذهاب الى الإدارة ، مما قاد أيار الى التأيي في الأمر ، والمجموعة لم تفتح الموضوع مع هيفاء وكأنها لم تسمع الأمر بحجة إنها تنتظر ماذا تفعل أيار ثم تتأخذ القرار النهائي ، فضلاً عن أن أيار لا تريد ان تفتح عليها جبهة جديدة من المشاكل وهما الوحيد هنا ، ان تسوى المشكلة مع سباً وان تبريء ساحتها من الإتهامات المنسبة إليها ... ثم أن أيار لم تتخذ موقفاً صارماً أو عتياً من هيفاء ، لأنه من وجهة نظرها عرّفها بخطورة المجموعة التي تمشي معها ، غير أنها لا تملك الحجة والدليل للإيقاع بهن ، وعلى الرغم من محاولات أنصاف الحثيثة في الصلح ، إلا أن تأثير سباً كبير جداً بحجم الجبال التي يستحيل وزنها ، ولكن أيار تواصل ... الحديث معها في التراسل ... والجميل أنها ترد على رسائلها ولا تتكلم معها ... وفي غرفتها بعد اتمام واجبها ... كتبت .

الجزء الثلاثون

وبالفعل جاء منذر بحسب الوقت عصر اليوم التالي لإكمال ما تبقى من ملاحظات حول التصاميم الشكلية للعبادة ، وقد طلب منه الوالد الليلة تناول وجبة العشاء معهم .. أما منذر .. فقد أحمر وجهه خجلاً وهو لا يستطيع الرفض ، ومروءة صراحة تستغرب من إهتمام والدها المفرط بهذا الشاب ، وتوجهت نحو المطبخ وقالت لوالدتها .. ماما .. أرى والدي مهتماً كثيراً بمنذر ، أجابتها : ولماذا لا نهتم به وهو ولدنا وليس غريباً ، ووالدك يحبه منذ أن تزوجت أختك أسيل بأخيه علي ويرتاح له كثيراً ، أجابتها مبتسمة : عندما يعود اليوم الى البيت ستوبخه أمه على التأخير ، أجابتها الأم مستغربة : مروءة .. وهل بر الوالدين شئ يستهان به .. أجابتها : ماذا وهل انا ذكرت شيئاً يُستهان به .. فقط قلت ستوبخه لأنه كثير .. ما يذكر والدته .. في كل لحظة .. توصياتها وغير ذلك .. أجابتها : عزيزتي .. هذا من حُسن أدبه وتربيته وخلقه وأخلاقه تربيته كثير الأهتمام بوالدته .. ساعياً لكسب ودها ورضاها دائماً وهي امرأة كبيرة وطاعنه بالسن وأسيل تعاملها كوالدتها أجابتها : حقاً أمي .. أنت محقة .. لكني صراحة لا أعرف ما الذي دفعني الى قول مثل هذا الكلام الذي لم أعتد على تداوله حتى في محيط عائلتي .. معذرة .. أجابتها : دعني الاعتذار الآن حبيبتني وساعديني على إعداد سفرة العشاء .

فساعدتنا زكية على إعداد وجبة العشاء التي كانت اقرب من ان تكون وليمة في تعدد أصنافها والتفنن في إعدادها وكيفية ترتيب الأطباق على المائدة .. وبعد ذلك تناولوا وجبة العشاء .. ومنذر يحس بالبهجة والسرور والغبطة والحبور .. وكأنه لا يصدق ما يرى .. وبعد الإنتهاء من وجبة العشاء الشهية وتناول كوب شاي دافئاً .. تأهب للمغادرة .. وبينما هو كذلك حتى رن جرس الباب .. فنهض الأب ليرى من على الباب .. وما هي إلا لحظات حتى دخل الأب وهو يرحب بضيوف ويقودهم الى الصالة وفاطمة ومروءة تحتسيان أكواب الشاي فنهض الجميع يستقبل الضيوف (القاضي رشدي ووالدته) فبعد ان تبادلوا التحايا فيما بينهم .. انسحبت مروءة من

بينهم لتعد العصير لضيوف البعته هؤلاء .. فدخلت المطبخ وأعدت لكل منهم كأس عصير مثلج .. لذيذ .. ينسجم مع جو الصيف .. أما منذر .. فلم يجد بداً إلا الجلوس قرب عبد الرحمن وأحس في نفسه الرغبة الملحة لمعرفة سبب زيارة الضيوف .. فبعد حديث قصير ودردشة أشبه بالتلميح والمقدمات عزفت أم رشدي العائلة بولدها جاءت مروة حاملة أقذاح العصير .. فأشار عبد الرحمن الى منذر .. بأن يتناول من منها ما تحمله .. فنهض مسرعاً نحوها وحمل الأقذاح وتقدم بها الى الحضور .. فقالت أم رشدي .. حقيقة ومن غير مقدمات .. نحن اليوم أتينا .. متشرفين بطلب يد كريمتكم مروة الى ابني رشدي .. ومتعشمين .. منكم الرضا والقبول والموافقة وهذا شرف كبير لنا وللعائلة .. أما منذر وفي سماعه ذلك .. سقطت منه الأقذاح وأمام الضيوف وتطاير العصير على وجوههم وعلى ملابسهم .. إرتبك وقد أحمر وجهه خجلاً متلعثماً .. لا يعرف ماذا يقول .. أيعتذر أم يصرخ أم يصمت فتفادى عبد الرحمن الأمر .. وقال لا بأس .. لا بأس ولدي منذر هات لنا عصير آخر .. ومعذرة أرجو ان لا يكون العصير تطاير عليكم .. اجابوه كلا كلا.. نرجو ان يكون خيراً .. وقالت أم رشدي وعلامات الإستهجان مرسومة على وجهها .. بالطبع خيراً .. عصيماً .. ولا شياً .. فنهضت ام مروة بعد ان أعتذرت على ما حصل لتجمع زجاج الأقذاح المتكسرة دخل منذر الى المطبخ .

أيار في غرفتها مستلقية على سريرها واضعة يديها تحت رأسها وهي تتكلم مع نفسها : نهضت جالسة تناولت القلم وراحت تخط كل ما يدور في صدرها من كلام بحسب ما طلبت منها مروة : فكتبت ... سئمت كثيراً الوضع النفسي الذي أعيشه كفاني شعور بالألم ، لا بد على سبأ ان كانت تهتم لأمرى ان تسمعني ، وأن رفضت فسأترك الأمر الى الأيام ، ولا بد لي من صقل شخصيتي أكثر وأكثر وصولاً الى ذاتي العليا ، نعم لا بد ان أطوي الصفحة الماضية من حياتي وأبدأ صفحة جديدة صافية نقية بيضاء .. نعم بيضاء خالية نقية ، لاسيما وأنا الآن على أعتاب الجامعة التي فيها عمتي الحبيبة التي دلتني طريق العلم والتعلم والمعرفة التي حبيت في نفسي قراءة

الكتب وهضم أفكارها .. هي التي وضعت القلم في يدي وقالت لي فرغي الهموم التي تعتريك على صحراء الورقة لتتبدد في بحرها .. أتذكر الكتاب الذي هو عن علم النفس الذي أهدته أيادي .. ساعدتني كثيراً كما انها تحملت أسلوب الفرض ، دفعتني بقوة ثقافتها خارج الكهف المظلم .. وها أنذني والحمد لله أعني الأمور جيداً ، وعداً أقطع على نفسي بأن أحب كل الناس وأكون متواضعة طيبة متفائلة لأنال حب الآخرين تجاهي وأتجنب الإصطدام بمشادات مع أي شخص كان ولأي سبب كان ، وسأحاول مع سبباً للمرة الأخيرة ، وكما قالت عمتي ان كانت تكن لي مكانة في صدرها ستسمعني وإلا فلا .

رسالة من أيار

أنا الصدق ... مفتاح الدعاء ... الذي يفتح أبواب السماء ...
 أنا السلسبيل القراح سيان العمل عندي أن غدا وأن راح ...
 تتأخى في القلوب وتتجافى عن الذنوب معدني الإيمان ...
 ومنار الخير في الأوطان الإخلاص في العمل روح المنطق ...
 ومدعاة للحق فأنا في الحياة أسطورة ...
 واقع حال كالصوت والصورة ... زجاج نقي تتخلله الشهب ...
 وضوء الشمس واللهب أنا الصدق شانق الزندقة
 ومحمر الحق من عنق البودقة فمن فقدني توج من النفاق آية
 ونال في قلاع الكذابين ولاية ...
 فالصدق شعار ثمين ... صفة معلمنا الصادق الأمين ...
 الممتلئ بحرارة الحس المترف والشعور الجميل المرهف
 قدوتنا حامل القرآن ...
 الشفيق المشفق لكل الأديان ...
 علمنا بأن الصدق أمانة والكذب نفاق وخيانة ...

رد سبياً

الكتاب يقرأ من العنوان ... ولا ينفع تمثيل اللسان ...

من فوهت الزجاجاة انطلقت السمكة
وأسدل الستار على لعبة الفيركة
ومن أحتمل ظلماً هلك وخاب ...
واقترب زلفى من فوهة العذاب ...
وشاهد الزور يتغرغر في الحلقوم ...
وطعامه رؤوس الشياطين في الزقوم ...
فأن الذي بيننا محض سراب
وأقل قيمة من التراب ...

فعاودت أيار الإتصال على الرغم من الصدود ... وعندما رأت سبأ أسمها
تحرق قلبها شوقاً لسماع صوتها ، فراحت تنظر الى النقال مبتسمة وهي تسير لتختلي
به في غرفة الإستقبال حتى جلست وفتحت الخط بأن أن كاد الإتصال ينتهي ... فتحت
الخط ولم تتكلم .

أيار بفرحة ولهفة متنهدة : سبأ ... السلام عليكم .

سبأ مبتسمة ولكنها عندما تتكلم توقف الإبتسامة : وعليكم السلام .

أيار بارتباك : كيف ... حالك ... كلميني ... أريد سماع صوتك .

سبأ بفتور : أنت المتصلة ... لا يوجد عندي شيء أتكلم عنه .

أيار : أرجوك ... أسمعيني ... ولا تظلميني .

سبأ : بماذا تتكلمين وأنت ذبحتيني من الوريد الى الوريد ... وأنا أسمع كلامي الذي
وصفتك به عن حسن نية تتناقله الألسن الوضيعة وأصبح نكتة الموسم .. لكن السمكة
الثملة اليوم فاقت على مطرقة الخيانة ، حقيقة لا أعرف بماذا ستبررين هذا الموقف
المزري ، وبأي دور تمثيلي ... ستبررينه .

أيار وقد سالت الدموع من عينيها : أسمعيني قبل ... ان تتهميني جزافاً ... ولو كنت
بحسب ما تزعمين ما كلفت نفسي وعانيت حتى تردي علي ... لكن أسمعيني من
البداية ... الى قبل ان نتعارف وكنا مجرد زميلات وكنت أنا ممزوجة بخليط المجموعة

ومفتونة بجوها الكوميدي بغض النظر عن الأمور الأخرى ، وذات يوم وكما تعرفين قالت هبة ضاحكة من منكن لها الشجاعة والجرأة والمقدرة على إرغام سبأ للإنصياع الى أوامري لتتضم الى مجموعتي صاغرة ، وعندما تأتي متوسلة سأطردها وأمرغ أنفها المتعالي ... فكلمتها أنا من جانب الفكاهة ضاحكة ... ومن تكون هذه ... وأنا قادرة على ذلك وسأجعلها تركع أمامك ولكن كم ستدفعين ، فقالت ثلاثين علبة من الببسي ، أقسم لك كان الأمر مزحة ولم أكن جادة ، وليست هذه هي أخلاقي ثم أني لم أتقرب منك ولم أطلب حتى التعارف معك ، ولكن رسائل بأنامل القدر هي التي قربتنا ، تنهدت قائلة : ولكن المجموعة ماذا فعلت لتضرب علاقتنا الفتية بعد ان حاولت معك مراراً برسائل التهديد والوعيد ان تنهج طرق أخرى جهنمية ، ومنها انها قامت بتفعيل كلامي الممازح ... قبل ان أعرفك لتسوقه إليك عبر هيفاء التي لا تعي ما تقول وأنها تذيع الأخبار قبل التثبت منها ، والله هذه المشكلة أتعبتني وأقضت مضجعي فأصبحت وكأني صائمة أرهقني الظماً لسماع صوتك ... ولا أريد أن أتسبب البتة بإيذائك ... وأنا أعتذر عن ما مضى من مزح لم يكن مبرراً ... ألتمس منك العذر وأطلب الصفح .

سبأ متألمة وقد ارتفع صوتها : لكنك ... تكلمتي عن الماضي والماضي لا يؤاخذ المرء عليه ... ولم تنفوهي ولم تشيرني الى نقلك المفضوح لكلامي ... والضحك على مشاعري ... والكتاب يقرأ من عنوانه ... فبماذا تتكلمين ... لا تتعبي نفسك ... لن تغيرني شيئاً ... وإلا ... كيف يمكن لهذه المجموعة أن تعرف وصفي لنفسي بأني السمكة التي تسبح بغباء في بحرك الإجاج ، ثم ... استطردت متنهدة ... لقد جرحتيني ... جرحاً عميقاً لم أكن أتوقعه ، فكيف تريدني أن أصدق رسالتك التي تقول ... توأم الروح أقساوة قلب ... أم سخرية قدر تتلاشى ملامحي لحظة السحر ، أثير ذكرك يلوح أنفي شذاه لا يرعوي وعطش روحي لصوتك لا يرتوي .

أيار متألمة وبفتوط : يقطع روحي ما تقدم من كلامك وألتمس منك العذر ، ولكن أسمعني وسأترك لك القرار ولن أفرض نفسي عليك ، عندما تعرضت صداقتنا للأزمة

السابقة بسبب رسائل التحذير من جانب ورفض المجموعة تطور علاقتي بك وطلبهم الحثيث لأنهاها ، وكلامهم بأنك تمثلين عليّ دور الصديقة الصدوقة ، وتسايريني لأجل إغضاب المجموعة وإثارة غيرتهم ، وأنك لا تُحبيني وليس لك عهد ولا ميثاق ، وقتنذ أبلغتهم بأنك تُحبيني مثلما أنا أحبك وأكثر وتبادليني ذات المشاعر أو أكثر وبينما أنا أتحدث عنك بل أتلدذ بالحديث عنك ، قلت مفتخرة والله العظيم قلت مفتخرة بك وبصداقتك وبُحُبك ، بأنك السمكة وأنا البحر ، وأنا أعتذر لك عن حسن قصد تحول الى وابل ، وها أنذي أعلن لك بأني السمكة وأنت البحر النقي الواسع ، ولن أستطيع الخروج من بحرك الزاخر بمحض إرادتي ... وأن أخرجتيني من بحرك سأموت ... ثم تأثرت بصوت متحشرج وقالت : ولن أرغمك أبداً على الإستمرار بصداقتي ... وسأحترم أي قرار تتخذه .

سبأ متأثرة وقد سألت دموعها : تعزّ عليّ والله دموعك الغالية هذه ، لقد كان الخطب جلاً والخطة محبوكة من فريق الشياطين ، وإذا كنا نصف هيفاء الطيبة بالغباء فكيف تم إستغلالك ولست أنت ممن يُستغل ، فكيف تبوحين بكلامي حول حبي تجاهك ، وان كان بحسن نية فهذا الأمر مرفوض عندي ، كلامي موجه لك ولا يجوز ان يطلع عليه أحد ، وإعلمي بأن هذه الأزمة كادت تقتلني وقد أنتبهت كل من أطوار وأنهار لوضعي النفسي وهدوئي على غير عادتي ، ولكني لم أبح أبداً بأي معلومة وكنت واثقة بأن المياه ستعود لمجاريها بحكم القدر هذا هو اعتقادي .

أيار مبتسمة : كلامك صحيح ... وأعتذر لك مئة مرة ... وأعدك بعدم تكرار هذا الخطأ ... وسأخذ موقفاً عنيفاً من المجموعة وسترين ذلك ، وسأعلن وأمام الملاء ... بأني السمكة وأنت البحر .

سبأ مبتسمة وقد غيرت معالم وجهها وتهللت : لالا يا سمكتي الغالية ، لا أريدك أن تتصادمي مع هذه المجموعة الغبية أبداً ، لنحرقها على نار هادئة ، دون ان تعرف من أين تأتي النار ، تصرفي على سجيبتك وكأن شيئاً لم يحدث ، وأرجوك أعذريني ... فزعلي عليك كبير ... بحجم حبي لك ... ولكن عندي طلباً صغيراً منك .

أيار مبتسمة وقد تهلل وجهها متنهدة : طلب واحد ... قولي طلبات ... بل أوامر .
سبأ : أعذري هيفاء فأنها طيبة ... ولم تقصد ... وتذكري بأن أيار ... تم خداعها
بسهوله فكيف الأمر مع هذه الإنسانة البسيطة .

أيار متنهدة : لا ... لا تهتمي ... أنا أعرف بطبيعتها وإلا أتخذت منها موقفاً سلبياً ،
وعندما ناقشت الأمر مع المجموعة طبعاً أنكروا الموضوع وأعتبروه إتهاماً ونفاقاً ،
وهددوا بشكوتها الى إدارة المدرسة ولكنني رفضت رفضاً قاطعاً ، لحمايتها لئلا
تتعرض الى الضرر من الإدارة بتهمة الكذب وإثارة المشاكل ، وأنا واثقة كل الثقة
بأنهن سيربحن القضية بدهاء لذلك سفهت الأمر .

سبأ : أنت طيبة يا أيار ... وأسأل الله تعالى أن لا يفرقنا أبداً ... سامحيني أرجوك ...
أن الشيطان دخل بيننا وريح الجائزة من أبيه ... وأرجو من الله تعالى ان يحول هذه
المحنة بيننا الى منحة جديدة للتألف والمحبة والتواصل والثقة وان يقوي أصرتنا الى
الأبد ... فطوبى لنا ... لأننا المتحابون في الله .

أيار مبتسمة : بل سامحيني أنا ... لأنني تسببت في جرحك ... دون قصد ... لكن
أطمأني أن الشيطان صادر الجائزة اليوم وسيعاقب ابنه ... قبل يومين عندما أمطرت
وتذكرتك بشوق عارم وكتبت لك رسالة حفظتها في المسودات ... وسأسمعها لك الآن
.. لتعرفي بأني أشتاق لك حتى وأن كنت منزعة منك .

نزل الغيث وأفواها فاعرة تواقه ... عانقته الأرواح والأجساد مشتاقه ...

أه منك يا حر تموز لبيتك ترحل ... نريد الشواطئ بفراقك تجذل ...

لا زلت أتسلق شجرة الذكريات القاصية ... أتغزل بجمال أفياء أغصانها الدانية ...

أعيش لحظة الحلم الوردي الضائع ... وأتلذذ بالوهم الذي يقض المضاجع ...

أهطل يا مطر وأملاً ترع الأرواح ... وامح الغياهب وأعلن الاصباح ...

واصل يا مطر فالقيظ جانر ... وخصب كل قلب بالشوق حائر ...

بالبرق والرعد لمح ... وبالوابل الشديد صرح

وعلى الرغم من ان مروة شاهدت ما حدث وسمعت ما قيل .. وأحست بكل شئ .. وقف أمامها .. وهو ينظر إليها .. وبالمقابل هي تحق في وجهه .. فإذا هي ترى عينيهِ تترققاق بالدموع .. مما هز كيانه .. وهي ترى ما ترى .. ثم همست قائلة وبصوت هادئ رقيق .. **منذر** ماذا دهاك فإذا بدموعه تسيل على خديه .. قائلاً : **مروة** صدقيني .. عندما سمعت ما قالوا .. لم أستطع الثبات أحسست ان الأرض غارت بقدمي .. ولم أع لما أحمل فسقط من يدي .. اجابته : لا عليك .. أغسل وجهك .. وأجلس هنا ساعد العصير مرة أخرى .. وتقدمه ماما .. وبعد ان أعدته جاءت الأم وأخذته منها .. اما **منذر** .. هداً تقريباً .. وزال الإحمرار من على وجهه .. قالت له لا تبتأس .. لم يكن سقوط الأقداح متعمداً .. نهض .. وقال : **مروة** .. وهل ستوافقين على هذا .. اطرفت قليلاً ثم قالت : **منذر** .. هذه مسائل شخصية لا دخل لك فيها .. مفهوم .. المهم ان تنتبه الى عملك المكلف به .. أحس **منذر** بالإهانة .. فنظر إليها .. ثم قال : وبصوت حزين أعتذر لقد تجاوزت حدودي ثم خرج مسرعاً نحو الباب واستمر في جريه حتى وصل سيارته ... ثم سار بها بسرعة فائقة .. سمعت **مروة** سرعتها .. فجلست **مروة** وهي ماسكة وجنتيها بيدها .. قال الأب للضيوف .. نحن نتشرف بكم .. فقال له **رشدي** وإذا شئت عمي اسأل **سراج الدين** عني وعن أخلاقي وعن سلوكي .. اجابه : ونعماً بك .. قال : أنقرأ الفاتحة اذن .. قالت الأم وهي فرحة .. أزگرد .. أبتسمت **فاطمة** وقالت : جعل الله أيامكم زغاريد ان شاء الله .. وقال **عبد الرحمن** : وكم **مروة** لدي هذا يوم مُناي أرها بثوب الزفاف ولكن .. الرأي الأول والأخير لها بالطبع .. قالت أم **رشدي** : اذن اذهبا وأسألاها ، أجابتها الأم مبتسمة : أسبوع ان شاء الله ونرد لكم الجواب.

قرر **منذر** ان يكن صليداً أمام كل ما يعانيه من معاناة وصدود .. وأن لا يذهب الى بيتها .. نعم هذا ما فكر به وفضل ان ترتقي كرامته فوق حبه .. وان ينشد العُلا بنفسه من غير الإتكاء على أحد ، لأنه ليس من مستواها ، وهكذا خطا خطواته الجديدة وأكمل التصاميم معتمداً على نفسه ، فراح يقص **لفريال** ما حدث له قبل أيام في

بيت خالتها مروة (كيت وكيت) فحال سماعها ذلك غرقت بالضحك .. سألتها .. وما الذي يضحكك؟ أجابته : والله لو كنت مكانك .. لعلت أكثر من ذلك لرميت الأقداح كلها على القاضي .. ثم استطرده قائلاً : حتى اني ظننتها أحست بحبي وتقبلته برحابة صدر أراها بعد ذلك تعطف عليّ وتقول بصريح العبارة منذر لا تتبأس لم يكن سقوط الأقداح متعمداً أحسست بالإهانة والإزدراء وهي تقول لي .. مسائل شخصية ولا دخل لك فيها .. لذلك قررت الإبتعاد .. على الرغم من معاناتي ، لأنني أعرف جيداً لا سبيل لي إليها ، لذلك استسلمت لليأس .. حتى انها لم تتكلف لتسأل عني ولو هاتفياً .. ولكن المسألة واضحة جداً فأنا لست من مستواها العلمي ولا المادي ، ثم أنا عامل أعمل لدى والدها ، ويجب عليّ أن أنتبه لنفسي ، وان لا أحلم بالمستحيل ، أجابته مشفقة عليه .. حقيقة عمي منذر لا أعرف ما الذي أقول لك .. لكن بالنسبة للقاضي هذا لم نسمع به ولو كانت خالتي وافقت عليه لكنا عرفنا .. أجابها : أشكرك على مساعدتك ومآزرتك ... وأدعوك الآن الى ترك هذا الموضوع وأن لا تفتحيه نهائياً ... فالإنسحاب بكرامة أفضل من الخسارة بهزيمة .

فريال : ولكن يجب ان تعرف يا عمي الغالي بأن الجميع هنا يعرف بهذا الأمر ، ولا سيما والدتي فهي متحمسة جداً للأمر ، وبالعكس لابد ان تعرف المزيد ... فعسى ولعل ان يتحقق شيء .

راحت مروة في جلستها الخميسية المسائية تتابع ما ترويه لها زكية وبإهتمام كبير .
 زكية : نعم ... أنستي ، وبعد أن فقدت أم عابد الأمل في صفح نزار والعودة الى عشاها الذي جمعها بأولادها ، فوضت أمرها الى الله تعالى وواصلت حياتها الوظيفية ومهنتها في الخياطة ، ومن جديد تتوق الى الإستقرار وتقبل بفكرة شراء شقة سرقفلية بمشاركة عصام للتخلص من الإيجار ، بعد ان مرت عليها خمس سنوات والسائق صدقي لم يمه التزمه معها كسائق سيارة أجرة ، بل بالعكس أصبحت علاقته بها وبأهلها علاقة وطيدة وكأنهم عائلته ، ولم يقتصر عمله على إيصالها الى العمل فقط وانما الى السوق والى بيت أولادها والى صديقاتها والى أي مكان تحتاجه وفي أي وقت تطلبه تجده

الخادم المطيع والمُرافق الأمين والولد البار الذي يعتني بها يفرح لفرحها ويتأثر لتأثرها ، مما أثار تساؤل وإعتراض مائدة على هذا الإهتمام فيقول لها **عصام** علاقة أم بولدها فلا تستغربي ولا تتدخلني بهذا الشأن أبداً في وقت قلّ فيه من يحترم الوقت والإلتزام خشية ان تنشأ مشكلة جديدة بينها وبين **أم عابد** ، ولا سيما وهي تتقاسم معه اليوم ملكية الشقة الجديدة .

مروة : ولكن يجب عليها ان تتعظ من تجربتها الماضية وان تنفرد في تملكها وان كان أخوها .

زكية : نعم ... ان كلامك صحيح أنستي ... ولكنهما إشتريا الشقة بالتقسيط ... المهم التخلص من ذل الإيجار وتحكم صاحب الدار وهيمنته حيث يتوقع المؤجر مجيئه في كل لحظة ويأمره بالإخلاء أو رفع الإيجار أو غيره من الأوامر وكأنه موقوف عنده ... والحق يقال انهم عرضوا عليّ ترك العمل هنا والعيش معهم في شقتهم الجديدة ، ولكنني رفضت للأسباب الأنفة الذكر وشكرتهم وقد أسعدني عرضهم هذا ، وكلما أردت الذهاب إليهم لزيارتهم يرسلون لي سائقهم العائلي **صدقي** يوصلني ثم يرجعني هنا وهو شاب مؤدب ودمت الأخلاق وشعرت بأنه يحبنا جميعاً وبإخلاص وتفاني ... المهم ... مرت الأيام ونحن نرى **عابد** عبر النت وقد أصبح شاباً جميلاً وقد تخرج من إحدى الكليات وقد تزوج ابنة عمه ... وراح يعرض ويلح على والدته السفر الى استراليا ليراها ولو لمجرد اسبوع ، ولكن الأمر ليس بالسهل ويتطلب التكاليف ، وماذا عن عملها الوظيفي والتزاماتها الأخرى كخياطة ، فراحت هي بالمقابل تلح عليه وبإصرار ان يأتي في زيارة قصيرة للعراق لتراه ما دام قد توظف ، وهو يعرف بكل تفاصيل حياتها وأخبارها وكيف تعيش ويشاهد عبر النت حتى مكانها الذي تعيش فيه ، غرفتها ، سريرها ، ماكنتها ... وكل شيء .

مروة : والله أجدها فكرة جيدة هو يأتي لزيارتها فهي والدته ومن حقها عليه الزيارة .
زكية متنهدة : وبين عشية وضحاها أتصل **عابد** وقال لها بأنه سيأتي لزيارتها بعد ثلاثة أيام لأنه حصل على أجازة من عمله ، وعندما سمعته لم تصدق أختل توازنها

ولا تعرف الدموع التي انهارت من عيونها أهي دموع فرح للقائه أم حزن جديد لأنها ستفارقه من جديد بعد ان تلتقيه؟ ، فراحت كالمجنونة تعد العدة للقائه في كل شيء هنا سينام ، هنا سيجلس ، سأفرجه الى كل أرجاء البصرة ، سأعرفه على أخوته ، وسيرى صورته مع أخوته على جدران الشقة التي أعيشها ، وسأقصر له معاناتي وحسرتي وشوقي ودمعتي التي تجف طوال كل هذه السنين ، والحديث يطول يا أنستي ... المهم أتى بالفعل ... وكان اللقاء مشحوناً بالبكاء والنحيب لساعات ، لكن المفاجأة هنا ... إن والده حضر معه خشية عليه ... وقد سلم على ولاء وطلب منها ان تغفر له ما تقدم .

مروة متأثرة : أفشعر جسدي من الموقف ، ولكن ما قصة والده ..؟ وهل عادوا جميعاً الى العراق ؟

زكية : لا ... عاد هو ووالده فقط ... بعد ان تغير النظام السياسي في البلد ... عاد ليرى بيته وبعض أملاكه ... ثم يعودون الى استراليا لأنهم تعودوا الحياة هناك وقد تشابكت عائلاتهم ... وتوسعت أعمالهم ... ذهب الأب الى بيت أخته ، فيما بقي عابد مع أمه .. وأسندت أبناءها الثلاثة ، وقد قضوا أوقاتاً ممتعة رائعة في كل مكان جميل من وجهة نظرها ، والسانق صدقي رهن الإشارة وقد تكيف معهم وأحبه كثيراً وكأنه أحد أفراد العائلة ، وراح يبقى معهم الى أية ساعة ينون البقاء فيها خارج المنزل ، وعندما أقامت وليمة للعائلة كان صدقي أحد الأفراد الذين توسطوا أولادها ... وأنا حقيقة لاحظت ذلك عندما كنت هناك وكذلك عصام ، وقد فرحنا كثيراً عندما رأينا الأولاد مجتمعين في أحضانها وان كان هذا الموقف الجميل سيبقى مجرد حلم جميل سيبقى محفوراً في ذاكرة ولاء وقد لا يتجدد ، لأن الوقت سينتهي لا محالة وستنتهي أيام الإجازة ، وسيحدث الفراق من جديد وما أصعبه الآن ، بعد هذا اللقاء الجميل الذي توارى خلف رسائل القدر المباغته .

مروة : ولكن الحمد لله تحقق حلم من أحلامها وأكد سيعاود زيارتها في السنة التي تليها ، ثم انها أطمأنت عليه وعلى مستقبله ويمكن ان تعتبره طالباً يدرس خارج العراق كغيره ...أكملك أرجوك ... أريد معرفة اين ذهب الأب ؟

زكية متنهدة : لكن ... **عابد** في حديثه مع والدته وعلى الرغم من وصوله الى هذا العمر والمستوى ، يحمل والدته مسؤولية هذا الفراق ، إذ لو كانت صابرة من وجهة نظره لما حدث الطلاق وتربى محروماً من حنان الإمومة ، وعلى الرغم من كل ما سردته له وهي باكية إلا أنه تربى على أنها هي المقصرة ، مما دعاها الى تصحيح خطأها ، وقبول الرجوع الى والده ، ولاسيما وأنه أخبرها بأن والده عاد معه لهذا السبب وطلب منه ان يتكلم مع والدته وان يقنعها ليلتم الشمل من جديد وإنه لا يزال يكن لها الحب والشوق كما كان ، وان رؤيتها بعد كل هذه السنين بهذه الجاذبية أوقد جذوة الشوق في قلبه ، وانه مستعد لجميع شروطها .

مروة ضاحكة : ما هذا ؟؟؟ أهو سخرية قدر ... أم رسائل غير مقروءة بعد .

زكية : أكيد عندما سمعت الخبر كان له وقع شديد على نفسها وشعور مقيت بالعبودية وكأنها كانت حبيسة في زنزانة ظلماء تحت سياط الجلادين والتعامل الإستبدادي المتوحش بحسب زعمها ، فنهضت من مكانها رافضة الإستمرار في الحديث ، ولكن **عابد** إنتقى هو ووالده بخاله على إنفراد في عمله في شركة الأوجي للنجارة وقد رحب بهما أيما ترحيب ، ولكن عندما سمع طلبهما رفض وبشدة وقام من مكانه ، لفرط ما قاسته أخته من استبداد تحت سياط يده الظالمة ، وشكه غير المبرر وعدم عدالته في التعامل معها ، وطلب منهما غلق هذا الملف ورميه في البحر ، وقال للوالد ... أنا أتعامل معك الآن كوالد ابن أختي فقط لا غير .

مروة : رد فعل طبيعي ومنطقي ... ولا أحد يلومها على رفضها .

زكية : لكن **عابد** ... لم يرفع عن طلب هذا الأمر من والدته وطلب منها التفكير ملياً لأجله وإنهاء معاناتها والسفر معهما وإكمال حياتها معه في استراليا وانه سينفرد بمنزل خاص به وانها أن وافقت ستعيش معه وزوجته لكن المهم ان ترجع لأبيه ، وعليها ان تضحي لأجله أيضاً وقد قضى كل طفولته يتيماً وليس فقط التفكير بأخوته **حسن وحسين وأياد** ... فحياتها ككادحة لم تنل رضاه ولا أعجابه .

طلبت أيار من قتيبة أن يأخذها لزيارة المكتبة المركزية التي تكلمت عنها مدرّسة اللغة العربية ، فكان لها ذلك وعندما وصلا قالت له : أريدك ان تُرشح لي كتاباً تراه مفيداً لي أقرأه في هذا الوقت ولنتترك كل أمورنا خارج قوس وتركز على فكرة واحدة إلا وهي التزود بالعلم أليس هذا أفضل أخي .

قتيبة : على رأيك أيار ثم نهض وتوجه الى أدرج الكتب الممتلئة بالمجلدات الضخمة .. وراح يفتش عن كتب مفيدة بحسب رأيه ووجهة نظره على الرغم من أن كُلهَا مفيدة ورائعة .. راح يبحث وهو يرمق الأدرج بين الحين والآخر وأيار تتطلع إليه بإعجاب وهي تقول في دخيلة نفسها ، أوه قتيبة كم أنت رائع ومميز ومستقيم ومتمزن .. وكم تبذل جهداً دؤوباً وتسعى سعياً حثيثاً لمساعدتي ، شتان ما بيننا ، أنا سلبية الطباع .. وأنت الحسن ليتني أكون مثلك ليتني .. وبينما هي كذلك جاءها أخوها بكتابين .. أحدهما له والآخر لها قائلاً : رشحت لك هذا الكتاب أقرأيه ما دامت بوادر الكتابة النثرية بدأت تلوح على أناملِك ، ابتسمت وأخذت الكتاب ورشفته بنظرة سريعة قارئة عنوانه وهي تقول : فن الشعر .. لهيجل .. حسناً سأقرأ وأرى ما فيه .

قتيبة : نعم أقرأيه إنه كتاب رائع لقد قرأته بكامله العام الماضي هنا في هذه المكتبة .
أيار مبتسمة : وهل تعترف بكتاباتي الفتية هل تعتقد أنها تستحق أن يقال عنها نثراً .
قتيبة : بالطبع بالطبع وبدون شك إن كتاباتك رائعة لاسيما الخاطرة الرائعة التي كتبتيها مؤخراً .. التي جاد بها خيالك الواسع الخصب على الرغم من اليأس والحزن الذي يضرُّ بجمال الخاطرة .. أريدك ان تكتبي خواطر تشرح الصدر .. مثلاً اکتبي عن الطبيعة والجمال عن الحب والصدقة .. وابعدي قلمك عن مواضيع الحزن والدهاليز والهواجس والظلام .

أيار : لكني أكتب الذي يُلهمني به خيالي وليست الرغبة في الكتابة .
قتيبة : أن بداية كل كاتب لابد ان تتعلق بتجربة الصبح والخطأ فأكتبي في المواضيع السعيدة وسترين كم هي أجمل من سابقاتها ولا تنسي إنك لا زلتِ صغيرة وبمرور الأيام وبعد القراءة الكثيرة للكتب بخاصة ستنصقل شخصيتك الأدبية بشكل لامثيل له

وسترين صحة كلامي هذا ، ثم رمق ساعته اليدوية وقال : أوه لقد سرقتنا الوقت ولم ننتبه ، هيا لنستغل ما بقي من الوقت هيا أبدأي القراءة في كتابك .. وأنا سأقرأ في كتابي .. فأخذ كلّ منهما الغوص في بحر الكتاب الذي في يديه .

أيار : لقد نصحتني مروة بأن أدون كل شيء يأتي في مخيلتي وكأني أكتب تعبير انشائي ، ثم بعد ذلك أراجع ما كتبت ، ومن أخطائنا نتعلم ... أليس كذلك .

قتيبة : أكيد ... هذه عبارة صحيحة ومن أخطائنا نتعلم ... ولكن كيف نشذب ما نكتب بالقراءة الثانية والثالثة وهكذا ... المهم عزيزتي ... لا بد لنا أن ننتهياً لمناقشة الماجستير لعمتنا مروة .. كم أنا متشوق لرؤية أجواء المناقشة في الجامعة وأرى عمتي وهي تدافع عن جهدها بكل قوة وصلابة وغوص العراك الفكري .

أيار : لقد دعوت صديقتي سبأ لحضور المناقشة ... ويسعدني جداً ان تتعرف على العائلة والعائلة تتعرف عليها وقد أخبرت مروة بذلك ورحبت بالفكرة كثيراً لأنني أكلهما دائماً عنها وتمنت أن تتعرف عليها .

قتيبة : ولم لا ... ما دامت مروة وافقت على دعوتها ... فلا إعتراض ... المهم ان تكون أفضل من سابقتها .

وبعد أن حصل الصلح سلمت سبأ بحرارة ولهفة وشوق على أيار في المدرسة فأمسكت بيدها وسارتا خارجات من الصف وقت الإستراحة إلا ان أنظار المجموعة ذهبت وراءهما .. بعد ان كانت في الأمس حزينة كئيبة مكدره البال متوسوسة المخاطر ، وقد كان اليوم ممطراً جميلاً وما أجمل منظر المطر في البصرة ، ولكن لوقعه نكهة خاصة ومميزة لكل من سبأ وأيار ، وبينما الطالبات يتمشين في الساحة بدأ المطر بالتساقط فهربن الى حيث الصفوف عداهن ، والكل ينظر إليهن وهن يتمشين يد بيد وبغنج تحت المطر غير مكترثات بأوصاف الطالبات ونعتهن بالجنون والتبختر .

الجزء الحادي والثلاثون

سبأ مبتسمة : هل سمعتي عاتكة وهي هاربة من المطر واضعة يديها على رأسها ماذا قالت عنا...؟؟!!

أيار ضاحكة : نعم أكيد سمعتها كان صوتها عالياً ... قالت مجنونات ... فالمجنون لا يخشى المطر ... وألتمس لها العذر لأنها هي المجنونة ... ولا تعرف فائدة زخات المطر في إراحة الروح المتعبة ... وتلوين الحياة بروح السماء ... وتجعل القلوب نقية قريبة من الله .

سبأ : لقد دعوت الله ليلة أمس أن تمطر السماء ونمشي تحتها وقد تحقق لي ذلك .
أيار ممازحة : أكيد سألتني السماء ... أم ... أطلعتني على نشرة الأنواء الجوية ... ثم ضحكت وهي تشدُّ على يدها مستطرده ... انتظري ... لا تقولي يا إلهي وتشيجي بوجهك عني .

سبأ متتهدة : حبي للمطر ... إرتبط بحبي لك ... أتعرفين لماذا ؟ بصفتك مستبصرة .
أيار مبتسمة : والله وأنا أيضاً أحب المطر لأجلك وإلا لما مشيت معك الآن ... ولا يمكنني أبداً أن أنسى أول يوم مشينا فيه تحت زخات المطر ... عندما شاركنا العصافير فرحتها وهي أيضاً تطير تحته معبرة عن فرحتها وسعادتها غير مكترثة بتبلل ريشها .

سبأ والإبتسامة تكاد تشق شذقيها والفرحة تغمرها وتضرب على أوتار قلبها والحببية أيار تمشي معها محاولة البحث عن حديث تتكلم به معها وتجعلها تنشدُ إليه : تقصدين بالطبع قلب مخلص .

أيار ممازحة : طبعاً هذا قصدي ... وهل عندك شك ... بأني أقصد ... مخ ... لص ...
سبأ متتهدة : لا بد ان نعود الى الصف ... فالشيطان بدأ يحوم حولنا ... وأنا لا أحتمل وجوده ... هيا هيا ... لنعود ... ثم ان وقت الإستراحة انتهى ورن الجرس .
أيار ممازحة : ماذا ماذا ... الشيطان يحوم حولنا ... وتقولين بانك لا تُجيدين الإستبصار ... والآن تُبصرين ما لا أحد يبصره الشيطان بضخامة حجمه الشرير .

سبأ وقد أفلتت يدها وركضت صوب الصفوف : أوه الظاهر أنك اليوم غير طبيعية .
 أيار ركضت خلفها ضاحكة : قفي قفي يا غريبة الأطوار .
 سبأ غير راضية : والله أنت فعلاً غريبة الأطوار ... ومتصابية .
 أيار فاعرة فاهما مستغربة بغير رضا : ماذا؟؟؟ أنا متصابية ... الحق عليّ لأني
 أمازحك ... فزعلت ... وأسرعت صوب صفها والمدرسات كل منهن اتجهت الى
 صفها ... وسكتت ... ولم ترد على سبأ .
 سبأ أسرعت خطأها بجانبها وقد إزداد المطر : ها أنت الآن تعتقدين بأنك صاحبة
 الحق وأنا المخطئة وزعلت .

خرجت مروة من غرفتها ويدها كتاب قاصدة المطبخ حتى وصلت فقالت :

لزكية ماذا تفعلين ؟

زكية منتهدة وفي يدها سكين وفي الأخرى بطاطا : أقشر البطاطا .

مروة : إتركي ما في يدك وتعالى نجلس نتحدث مع بعضنا .

زكية : أ.. لكن أنسة مروة .. الغداء .

مروة : لا تخافي ما زال الوقت صباحاً .. لن آخذ من وقتك الكثير ، فسحبت الكرسي
 الموجود حول الطاولة في المطبخ وجلست عليه ثم سحبت الآخر قربه وطلبت منها
 الجلوس وبعد أن جلست قربها راحت تُحدثها عن أمورها الشخصية قائلة : أولاً أنا
 عند وعدي الذي قطعته لك أنفأ .. ولا أريدك يوماً أن تظني إنني نسيت أو تناسيت
 مسألتك مع شامخ .. حاولت زكية النفوه بشئ ما بفتور : أنسة مروة .. لا .. فقاطعتها
 مروة قائلة : من فضلك دعيني أتكلم حتى النهاية ، كما تعرفين عرضت عليك مسبقاً
 عرضاً لحل هذه المسألة لكنك رفضت .. وعرضت عليك عروضاً أخرى .. مثلاً
 إعطاؤك مبلغاً من المال تقدرين من خلاله تدبير أمورك المعيشية ، لكنك رفضت
 الإبتعاد عنا لاسيما رفضك تركك الوظيفة وعليه أنا اليوم أطلب منك التفكير في حل
 مقنع ومقبول لهذه المسألة التي ظلت عالقة شريطة ان يبيكما أنتما الأثنان في العمل
 هنا في بيتنا .. فكري معي .

زكية بخجل : لا أعرف إذا كنتِ أخبرتي والديكِ عن علاقتنا ، أقصد أنا .. وشامخ ..
أنا أخشى من .

مروة مبتسمة : كوني مطمئنة .. أنا لا أفشي سراً أئتمنت عليه أبداً .. أعني إني لم أخبر والديّ .. كما طلبتِ مني .. لكن تأكدي من إنهما لو عرفا لكانا فكرا بإسداء المساعدة .. والآن أنصرفي .. نهضت خارجة وعند الباب إستدارت وألتفتت وقالت : فكري ها .. ثم انصرفت .. بقيت زكية جالسة تحاول التفكير بطريقة تجمعها بحبيبها شامخ .. وأن يبقى كل منهما في وظيفته .. على ان يكون وجود شامخ مقصوراً بحدود عمله ، أذن ما هي هذه الطريقة التي تجمع كلاً منهما .. فنهضت وهي تقول في دخيلة نفسها : لأنهي عملي بسرعة وأضع لهم وجبة الغداء على الطاولة وعندما يجلسون لتناول الغداء ، أذهب الى شامخ وأخبره بما قالته مروة فأطلب منه أن يشاركنا التفكير بطريقة تجمعنا على أن لا يفكر بفكرة ساذجة تتمثل بموافقة العائلة في العيش معهم داخل البيت نعم لأنهي عملي بسرعة ، وأبدأ التفكير ما دامت الأنسة مروة حفظها الله طلبت ذلك ، وعندما انتهت من العمل ذهبت مسرعة الى شامخ وهو داخل الحديقة يشذب بعض المزروعات كعادته ، فجلست على مقربة منه تحت ظل الشمس وراحت تخبره بما سمعت ، ولكنها لم تستطع الإسترسال في الحديث فسرعان ما سمعت صوت السيدة فاطمة تنادي عليها ، وحالما سمعتها حلقت بجناحي نسر دون ان تنبس بأي كلمة لتصل إليها ، فوصلت وهي تلهث : نعم سيدتي .

فاطمة : أجلسي أراك تلهئين ... أين كنتِ ؟

مروة مبتسمة : لعلها كانت في الحمام أو فوق فأسرعت والسرعة تخلق هذه الحالة .

فاطمة : لماذا نسيتي الملح في الطعام ... لأول مرة في حياتك معنا ...

عبد الرحمن : سبحان الله ... يسوء طعم الأكل بدون الملح ... ويصبح غير محبب .

زكية بخجل : أعتذر ... جداً ... ولن يتكرر ذلك السهو أبداً .. أن شاء الله تعالى .

جاء اليوم الذي ينهي معاناة أميمة بولادتها ولداً جميلاً والكل عندما رأى الطفل في أحضانها فرح به وتهلل وجهه ولاسيما أخوته الذين فرحوا كثيراً وكأنهم لم يروا طفلاً في حياتهم ، وكل منهم يريد حمله وتقبيله وتصويره ، وكل منهم إنطباعه حول شكله بكل ملامحه ، ولكن أميمة تمسكت به ولم تسلمه الى فاطمة بحسب الإتفاق بحجة الرضاعة ، وفي نفسها الرغبة الأكيدة في عدم التنازل عنه ، وبينما هي في غرفتها كلمت سراج الدين برغبتها التي لا تحيد عنها بعدم التنازل عن وليدها وان العهد الذي قطعته آنفاً مع فاطمة ما هو إلا هراء وبطر على النعمة في لحظة ضعف .

سراج الدين مبتسماً : وأنا أؤيد رأيك ... ولم أكن لأوافق ان سلمتية ، ولكن كان رأيي مناورة معك ، لكسب الوقت بغية الوصول الى هذا اليوم الذي يتمناه كل إنسان ، ولكني الآن ... أرفض تماماً إستمرار التمثيل على فاطمة ولا بد من إطلاعها على الأمر لئلا تستمر في بناء الأمل لاسيما بعد ان رأته ، وعلى الرغم من صعوبة الموقف عليها ، إلا انها طيبة وستفهم الأمر وان زعلت بعض الشيء .

أميمة مبتسمة : الحمد لله ... أرحت قلبي ... ولكني لا أستطيع ... ان أكلمها .

سراج الدين : أنا سأتولى الأمر ، سأذهب الى والدي في الشركة وأكلمه مباشرة بالأمر وهو بدوره سوف يخبرها ويقنعها أو ألتقيه هنا في منزلنا المهم ليس أمام فاطمة .

أميمة : أشكرك حبيبي ... والآن نريد ان نجمع أخوته لنرشح له اسماً .

سراج الدين : لا تتعبي نفسك ... لقد أخترت اسماً قبل ان يولد .

أميمة مبتسمة : قبل ولادته ... أهو مفاجأه ... ماذا سميتة يا ترى ؟

سراج الدين قالها وبشكل إلقائي : تسنيم .

أميمة مستغربة : ماذا ماذا ؟؟؟ وهل تتمازح ... الاسم غريب وليس له وقع على الروح ولا أفقه حتى معناه ؟

سراج الدين : يا حبيبتي ... التسنيم عين ماء في الجنة رفيعة المستوى وتتنزل من علو ، يمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين و سائر أهل الجنة وهي من أشرف شراب في الجنة والتسنيم في الأصل :العلو و الارتفاع وردت في سورة المطففين } ومزاجه

من تسنيم (27) عينا يشرب بها المقربون (28) إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون (28) ، وإن أهل الصدق والطاعة لفي الجنة يتنعمون ، على الأسرة ينظرون إلى ربهم ، وإلى ما أعد لهم من خيرات ، ترى في وجوههم بهجة النعيم ، يُسَقُونَ من خمر صافية محكم إنائها ، آخره رائحة مسك ، وفي ذلك النعيم المقيم فليتسابق المتسابقون ، وهذا الشراب مزاجه وخلطه من عين في الجنة تُعْرَف لعلوها بتسنيم عين أعدت ؛ ليشرّب منها المقربون، ويتلذذون بها.

أميمة مبتسمة : الله ... كم هو جميل تفسير هذا الإسم ... على الرغم من غرابته على المسميات ولم أسمع في حياتي قط أن أحدا سمى أبنه بهذا الإسم .
سراج الدين : ومسؤوليتك الآن يا حبيبتي ... هو حفظ المعنى حتى توضحينه لكل من يستغرب سماعه .

أميمة ضاحكة : سأسجله أفضل لي ، لأن الأسئلة ستكون على قدم وساق فكلما سمعت السؤال من أحدهم شغلت له التسجيل ليستمتع بنفسه .

أرسلت سبأ رسالة الى أيار تطلب منها الاعتذار .

أيار مستغربة : إعتذار ... وعلى ماذا ؟ لا أذكر شيئاً .

سبأ مستغربة مبتسمة لأنها ردت : ماذا تقصدين ... بأنك لا تتذكرين شيئاً ؟

أيار : حقيقة .. أقسم لك ... لا أعرف على ماذا تعتذرين .

سبأ : أذن ... أسحب الإعتذار ... أعتبريني كنت أتمازح .

أيار مبتسمة : لا .. لا أحب الإنسحاب ... قل لي لماذا تعتذرين ؟

سبأ : ولماذا تريدين معرفة قصدي وأنت بالأصل لا تتذكرين ؟

أيار مبتسمة : حتى ... أزعل ... وتبقين أنت تستمرين بالإتصال وأنا أضحك ...

وأحسب عدد مرات الإتصال عندها قد أقرر العودة أم لا ... هيا هيا قللي .

سبأ : ما هو رأيك بالمطربة أم كلثوم ؟

أيار : صوتها شجي ... وكلماتها تغازل الروح وتؤجج الشوق .

سبأ : يسعدني سماع هذا الرأي .

أيار ضاحكة : وكيف لك سماع صوتي وأنت تقرئين الرسالة ؟

سبأ : أقسم لك يا أيار ... بأني عندما أقرأ رسائلك أتخيلها بصوتك ... فإذا كانت مفرحة أسمعها بصوتك الضاحك الأخاذ ، وإذا كانت مزعجة أسمعها بصوت عالٍ ومعرّب وكأني أرى وجوم وجهك فأختبئ خشية أن تدخلني في حالة إنفعال .

أيار : تقصدين ... أنني أعاني من حالة إنفعالية ... كالإنفصام مثلاً .

سبأ ضاحكة : لا أقصد البتة ذلك ... ولماذا لم تخبريني بإنك تعاني من نوبة حالة .

أيار منزعة : ها .. الآن تذكرت ... صحيح ... تتلفظين عليّ بألفاظ سمجة ... ثم ترسليني مظهرة بالصفاء والنقاء والإخلاص .

سبأ وقد غارت بسمتها : ها ... سلامات حبيبتي .. هل تحسنت الآن .

أيار : وماذا أظهرت لك عدسة الرسالة ... هل رأيت يدي في شعري .

سبأ مبتسمة : العفو ... سيدتي الفاضلة ... هدأي من روعك .

أيار : ها ... لقد أصبحت فاضلة الآن ... وفي الأمس ... صبية ... غريبة الأطوار لا أعرف كيف أتعامل معك ... ولاسيما عندما تأتيك الحالة ... تصبحين كعود ثقاف سرعان ما يشتعل .

سبأ : أنا غريبة الأطوار أم أنت ... لكن صحيح أنا عود الثقاب بحسب وصفك ... ولكنك الكبريت ... الذي يسبب الإشتعال ... كالهدهوء الذي يسبق العاصفة ... فهذا إسفاف يا سيدتي .

أيار : يعني أنا سبب المشاكل ... بحسب زعمك وأنت دائماً الملاك الطاهر البريء المنزه من الأخطاء ...

سبأ منزعة : أيار أرجوك قلت لك أعتذر وأرجو أن تصفحي عني ... أم تريدني أن أركع لك .

أيار أنزعجت كثيراً فردت الرسالة إليها وبالحال أوقفت خط الواي فاي منهية التراسل.

رسالة من سبأ

بدأت رغبتني في الحياة تخفت ... كمصباح في مشكاة جف زيته ليخفت
ربما سترجعني الرياح عندما تهب ...
فعادة الحبيب يهفو لمن يحب وبقايا الشد في الآفاق ستتبدد ...
مثل جليد ينتظر الدفاء لئيبدد
وربما الصقيع من علياء كبريانه سينهار ...
ان رمقته سهام شمس النهار
وربما بعد ذاك الصخب يعود الونام
ريثما تمر العاصفة بسلام الى جادة الصواب لم يتبلور الاهتداء

ردت أيار

لا زلنا ندور في رحي حقيقة الابتداء ...
فهذه انا الطوبانية عدت من جديد ...
نافضة عن ذاكرتي بقايا الحصيد ... واليد أداة لا تفقه أبجديات الكتابة ...
وإنما تؤمر بإيعاز الروح السحري ...
الذي يسطر ما يريد من حروف التي تنطوي على ...
التصوير والتعبير اللذان يخفقان بالحياة ...
أما إذا كانت الروح شاردة الذهن غير مستقرة في واد ...
يشد لسان مقالها ... الذي لا يغني عن حالها ...
وان نطق أنين الصمت على نار هادنة ...
عندما تبتعد صواري الشتاء ...
فالإيمان بالقدر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ...
نجاهة الإنسان التي لا تكون ...
إلا اذا كمل نفسه بالإيمان وكمل غيره بالنصح ...
فيكون قد جمع بين حق الله وحق العباد ...

وعلى الرغم من قرار منذر بأن ينأى بنفسه عن طريق مروة لأنه ليس أهلاً لها ولا يمكن ان تنتظر له بعين المساواة واصل عمله في شركة الأوجي بكل جد ونشاط حتى أنه يباشر عمله قبل ان يأتي عبد الرحمن ، تاركاً أمر تعلقه بمروة الى رسائل القدر المبهمة ، كما أنه كان على قدر المسؤولية المناطة إليه في تغليف العيادة وتأهيلها والإشراف على العمل فيها ، وما هي إلا مدة وجيزة حتى أنتهى العمل وأصبحت البناية جاهزة لإحتضان الأثاث والأجهزة الطبية التي تحتاجها الطيبة سُبُل بهاء الدين نور الدين في عملها ، وبينما هو يحاول غلق الباب الرئيس للعيادة بعد ان غادر العمال جميعهم ، نزلت الدكتورة سُبُل من السيارة قرب منزلها لمحت منذر ، وحالما نزلت أتجهت إليه مبتسمة وألقت التحية ورحبت به إيما ترحيب .

سُبُل : منذر ... تسعدني ... رؤيتك ويسعدني بأن مهمة تأهيل العيادة مناطة إليك .

منذر مبتسماً فرحاً متناسياً قراره : أهلاً دكتورة حياك الله ... نعم ان المهمة مناطة لي ... في الإشراف على العمل ، وذلك لأنني أعمل في شركة الأوجي .

سُبُل : لقد أبلغتني مروة بأن والدها ... أوكل مهمة الإشراف لرجل نشيط وحريص ولم تقل أنه أنت .

منذر فرحاً : صحيح ... قالت ذلك ... يسعدني جداً سماع هذا الكلام ... وأبشرك بأننا اليوم أنهينا العمل وغداً سنبدأ التنظيف من مخلفات العمل .

سُبُل فرحة مستبشرة : صحيح .. والله أتلجت صدري ... أسمح لي أن أشاهدها ...

منذر متردداً : ولكن دكتورة ... سمعت من عمي عبد الرحمن بأن مروة تريد أن تفاجأك بنفسها حول إتمام العمل ولا أريد أن .

سُبُل قاطعته مبتسمة : لن ... أخبرها بأنني رأيتها ... بإمكانك الوثوق بي أتفقنا .

منذر مبتسماً : حسناً ... ما دام الأمر كذلك ... أتفقنا ... تفضلي إطلعي دكتورة على الرحب والسعة .

دخلت لتطلع على البناية بحلتها الجديدة وإنبهرن أيما إنبهار بالجدران ولا سيما اللون البنفسجي الخفيف للجدران والسقف حتى تفرقت عنها من الفرح ... فسألته قائلة : منذر ... لماذا تم إختيار هذا اللون ؟

منذر مبتسماً : هذه أوامر الجهات العليا ... وما نحن إلا عاملون ... نتبع الأوامر ...

سُبل : كم أنت رائعة يا مروة وكم تبذلين الجهد من أجلي ومن أجل ان أقف على أرضية صلبة ، أتعرف ... هذا لوني المفضل وأكد بل مؤكد بأنها هي التي أخبرت السيد عبد الرحمن بلوني المفضل .

منذر : ولكن ... متى يأتي دور الأثاث والأجهزة الطبية والموظف الذي يعمل هنا .

سُبل : أما الأجهزة الطبية ... فسأتفق مع التجهيزات الطبية بتزويدي بها وبالتقسيط ولا أعتقد أنهم يمانعون وقضية الكراسي والمناضد سهلة جداً ... أما الموظف ... فأريده ثقة ويجيد القراءة والكتابة كشرط لقبوله .

منذر : هل تريدني ان أساعدك ... حول الأثاث والبحث عن العامل الثقة .

سُبل مبتسمة : والله يا ليت ... أشكرك ... لقد يسرت لي الأمر .

منذر مستخرجاً نقاله : حسناً دكتورة ... أعطيني رقم جوالك لأوافيك بأي تفاصيل حول الأسعار والأنواع ... فراح يدخل الأرقام في نقاله ، ثم أتصل على رقمها ليظهر رقم جواله على جوالها .

لقد فرح منذر كثيراً بهذا اللقاء وأعتبره موطيء قدم على الرغم من الصعوبات الجمة التي تفصل بينه وبين مروة ، إلا أن هذه التطورات جاءت بسبب العمل وأنه سيعمل جاهداً لتلبية كل إحتياجات الدكتورة سُبل ، لترضى عنه وتخبر مروة بذلك بحسب تفكيره ، وقد باشر عمله اليوم كعادته مبكراً ليطلع مديره على آخر أخبار العمل الموكل إليه وقوائم التكاليف المنفقة بالدقة المطلوبة وبالتفاصيل .

عبد الرحمن : أنا فخور بك لأنك أنجزت العمل بمدة قياسية سأصرف لك مكافأة .

منذر : أشكرك عمي ... هذا عملي ... ولكن ... في أمس إلتقيت بالدكتورة قبل مغادرتي العيادة وسلمت عليها وكنت قد تعرفت بها في وقت سابق مع مروة ، المهم

في هذا اللقاء ... أبلغتني بأنها ستشتري الأجهزة الطبية والكهربائية والأثاث بالتقسيط ، وأنها تحتاج الى موظف أو موظف متعلم وموثوق به .

عبد الرحمن : يا ولدي **منذر** ... أن الدكتورة غير قادرة الآن على شراء أي شيء بالنقد نظراً لظروفها المادية ، لذلك أخبرتك بهذا الأمر ، من جانب آخر بأن مروة تتمنى مساعدتها بكل ما أوتيت من قوة مادية ، ولكن مساعدة بهذا الحجم قد لا تقبلها لأنها عزيزة النفس أكثر من الحد المقرر ، ولا أحب أن يكون عرض المساعدة عليها نقطة إختلاف بينهما ، لأن مروة لا تحب ان ترفض سُبُل مساعدتها وتنتظر لها من منظار آخر ، لذلك سأعقد معك إتفاقاً سرياً لمساعدتها ، ولا أريده ان يخرج من هذا المكان الذي نجلس فيه قدر أنملة .

منذر : وأنا رهن أشارتك عمي وإن شاء الله سأكون عند حسن ظنك وما عليك سوى الإعتماد عليّ .

عبد الرحمن : هياً نفسك الآن ... أولاً ... بلغ الدكتورة بأنه بإمكانك أن توفر لها كل شيء مهما كان نوعه وحجمه وتكلفته وبالتقسيط المريح ، لأنك تتمتع بعلاقات عمل واسعة سواء للأجهزة الكهربائية أو الطبية أو الأثاث أو أي شيء ، وعندما تجمع المعلومات حولها إليّ وسنعمل معاً لتوصيل هذه الأجهزة لديها ، المهم لا بد عليك تأخذ منها قائمة بالأجهزة وبأدق التفاصيل والمناشيء .

منذر مبتسماً : ولكن كيف سأوفر هذه الأجهزة الطبية وما هو أختصاصها .

عبد الرحمن : إختصاصها ... أسنان ... ولا تقلق بشأن كيف ستحصل عليها ... لدي صديق طبيب سنذهب إليه لاحقاً ، ونعرف منه كيفية ونوعية الشراء ، وعندما نشترى الأجهزة نقداً سنبيعها بالتقسيط ، وهذه مسؤوليتك التمثيلية ، وسنعمل سوية لتيسير كل أمورنا بالشكل الذي يدخل الراحة الى قلبها ، دون ان تشعر بمنة من أحد حتى ولو كانت توأم روحها ، ولا بد ان تتحرى كل إحتياجاتها .

منذر : فهمت هذا الدور بإتقان يا عمي وسأتصل الآن وسأوافيك بأخر التقارير ، ولكن المهم أيضاً البحث عن رجل مصدر ثقة ويجيد القراءة والكتابة ... ولكن تذكرت ...

أعرف زميل لي منذ أيام الإعدادية أسمه خالد قمة في الأدب والأخلاق ، المسكين وعلى الرغم من تفوقه ترك الدراسة وهو في الصف الخامس العلمي بسبب وفاة والده ، مما أضطره الى العمل في السوق لإعالة والدته وأخوته ودفع إيجار منزله ، والله ظروفه صعبة ولكنه راقى ومصدر ثقة وصدوق وأمين .

عبد الرحمن : لكنك تقول بأن خالد يعمل في السوق ... فكيف يمكن له ان يوفق بين العملين .

منذر : سأعرض عليه العمل في العيادة عصاراً عدا الجمعة والسبت صباحاً وان رفض سأبحث عن غيره .

وكما أسلفنا حدث توتر وسوء فهم بين الصديقتين أيار وسبأ ، وبعد ان أرادت سبأ أن تعتذر عن موضوع بسيط تطور الحديث ليعلن عن ولادة مشكلة أخرى أكبر من سابقتها ، ولكن الجميل بينهما تقبلهما للعتب وللأحاديث المتبادلة عبر الرسائل ، ولعل التراسل أصدق قولاً من الكلام ، فبدأ الصلح بالتراسل الرومانسي الذي يُحضر القاعدة الأساسية للإتصال بينهما .

سبأ : أرجوك يا صديقتي لا تتعيني وتتعبني نفسك أسمعيني لنوضح سوء التفاهم الذي يحدث بيننا دون سابق إنذار كالهذوء الذي يسبق العاصفة ... فلا تسيئي الظن بي ... لأن سوء الظن يرهق صداقتنا .

أيار : لست أنا من أسيء الظن ، بل أنت من تسيئين الظن بي ... وما عليك سوى مراجعة أرشيف ذاكرتك وستجدين الأخطاء التي يعجُّ بها ... وقلة إحترامك لي ... فكلما أردت أن أطف الجو معك بالفقشات ... تسيئين الفهم وتتحول العاطفة الى عاصفة ، بل والأكثر من ذلك تغتالين الفرحة على لساني ، وما قولك بأن أفعالي صبيانية إلا مثال حي وواقعي عن صحة كلامي .

سبأ وقد تفرقت عيونها بالدموع : أيار لماذا تعامليني وكأنني رفيقة من رفيقات السوء في مجموعة هبة ، أتق الله في قلب أحبك وأخلص إليك .

أيار متتهدة : أولاً ... أنت لست الملاك الطاهر المنزه من الأخطاء ... ولا أنا طبعاً ... فكل منا عيوبه وسلبياته التي يتميز بها ، وإعلمي بأن المجموعة لم تتجراً يوماً قيد أنملة على التقليل من إحترامي ، ثم أن معرفتي برفيقات السوء قد أفادني كثيراً ، وان معرفتي بهذا الطريق يعطيني حصانة لأتجنبه وان تربية الفرد تجعله يسلك الطريق الصالح ويتجنب الطالح ، أتعرفين أن وصفك لي بالمتصابية جعلني أبديو وكأني غيبة لا أعرف قيمتي ، فلم أسمع أحداً أبداً ناداني بهذه الطريقة غير المهذبة ، ولا بد عليّ في الأيام القادمة أن أفكر في كلامي قبل أن أتفوه به أمامك ، بغية ان لا أقع في الخطأ بالنسبة لك ، وأتصرف معك التصرف الرسمي وكأننا في دوام رسمي لدائرة رسمية ، ثم كيف أستطاع لسانك ان يكتب لي ... كلمة الركوع وكأني متسلطة مستبدة لا تعرف المشاعر ولا الشوق ولا الصفح ... أو كلمة الإسفاف القاتلة ... التي تعني الإبتذال .

سبأ متأثرة وقد تكسرت العبرة في صدرها : أن لم أحترمك ... لم أحترم نفسي لأنك جزء من روحي ... ومكون من مكونات دمي كيف لا ومعك عرفت الحب والإبتسامه والشوق وصدق المشاعر ، ونقاء الروح ، والله لا أقصد أي مما ذكرتي فقلبي لا يحمل لك إلا الحب لأنك أحب عليّ من نفسي ، وأعتذر لك مما تقدم من كلام ولاسيما الإسفاف الذي لم أعرف معناه بالضبط سوى عدم مقدرة شخص على التغلب على خصمه بالحجة والمنطق وفهمي للكلمة التلفظ بغير محله وعليه سامحيني وأرجو منك الإعتذار .

أيار وقد تفرقت عيناها : حبيبتي ... أكيد أعذرك ... فصداقتنا كالبحر وقد تعودت مده وجزره وأنا أحبك في مدك وجزرك ... أرجوك ... لا تتأثري وأنا أعتذر منك أيضاً .

سبأ مبتسمة : ما هو رأيك برسالتني التي أرسلتها لك .

أيار مبتسمة : رائعة ... ولكن ... أزعجني السطر الأول منها بشدة .

سبأ : كيف لا تخفت رغبتني بالحياة وأنا أشعر بأني أزعجك ، وأنت تصفيني بفراشة تغازل مشاعرك الرقيقة .

مروءة تكتب دائماً في مذكراتها ولا تترك حدثاً إلا وجسدته على الورق ،
وهي اليوم مرتاحة البال لراحة صديقتها وقد تحقق حلمها في الحصول على العيادة ،
وحسن الطالع يسر أمرها في الحصول على كل مستلزماتها بالتقسيط المريح عن
طريق منذر الذي كنت أظنه جامد الفكر ولا يعمل إلا عملاً واحداً فقط في حسابات
الشركة ، لكنه أثبت جدارته في هذه المهمة ، والذي يسعدني أكثر أنها مسرورة منه
كل السرور ، ولكم كنت أحمل هم تجهيز العيادة ، وأنا أعرف جيداً وضعها المادي ،
وأعرف عدم تقبلها للمساعدة المادية ، لديها عزة نفس تجعلها أكرم من الملوك
والسلاطين ، المهم الآن تنفست الصعداء وحصدنا الثمار في أوج جمالها ، ولا بد عليّ
أن أشكر منذر على ما قام به من أعمال رائعة ، فله مني السلام والسلام على مَنْ
نشر السلام ، ومن لسانه ويده وجد الناس السلام ... تورق الروح شوقاً لذكرى
جائمة وتبحر مراكب الآمال في المقل الحاملة ... بنبض توأمها تعيش الروح ...
وبلقانها المعشوق تلتئم الجروح ... كل شيء خلقه البارئ بقدر ... والمد والجزر
من طباع البشر ... كم من مزنٍ مدلهمة تغدو وتمر كسحائب الصيف تجف بعد سيل
منهمر ... وتشرق في الليل أهلة السماء بعد غياب ... فتستهلها الروح مستبشرة
بالعتاب ... كل هم لا محالة زائل ... وحلاوة الوصال تمحو ألم الفراق والنفس
البشرية تواقفة إلى التواصل ... فيا ألاحظ الجمال من جديد عودي ... ختمت لكِ بختم
الوفاء كل وعودي ... وبآلاف الألسن سأناديك ... وبكل أذان الكون سأسمعك ...
ولكن بكأس الصدق أريد رياء ... في السلسيل كل شيء صار حيا ...

وكذلك الحال والدي الرائع لم يبخل قط بتسخير كل إمكانياته لمساعدة

سُبل لأجل أن يُرضيني .

فلكم أشكو ما بخافتي من وجد .. وأنشد بدم المهج حباً لؤلؤياً مكنوناً مسطراً
يا من تسكنون بين جوانحي ... أنتم لحياتي مراكب وأشرفة ونهر ...
كل شيء في حياتي لكم ذكرى فيه ... روعي لأرواحكم تُرخص وتصغر ...
لن تتقدم خطواتي على خطواتكم ... كالشمس لا (ينبغي لها أن تدرك القمر) ...

لن تغير الأيام والسنين عشقي ... كالصوان الذي لا يחדشه وقع المطر ...
 فأنتم المنار الذي أهتدي به ... وأنتم اليراع الذي أواكب فيه العصر ...
 وانتم عدتي إن إعتراني الزمان ... كالسهم والسيف والخنجر ...
 منكم أستمد الحياة ولأجلكم أعيش ... بل انتم الهوى والهواء والعطر ... أنتم الغصن
 الرطيب النابض بالحياة مهما هبت رياح البين لا .. ينكسر ... أعشق البسمة على
 شفاهكم ... عشقاً سرمدياً عاش في دمي منذ الصغر ... ألا يا ليتني أقطع روحي
 أبعاضاً لأجلكم ... ألا يا ليت الدفاع بين المحب والحبيب يستمر ...
 انتم عندي خير الأنام منزلة ... حتى الوحي أنزل في حبكم آيات وسور ...
 بالخير فاضت أياديكم الكريمة ... وبالصفاء والنقاء وسلسبيل الكوثر ...
 يا جنة السماء المرسومة على الأرض ... أقبّل أياديكم ولكم الطاعة والأمر ...
 يا أحبتي ... أعبد الحب في محراب مآقيكم الأزهر ... والدي ...
 أنتم ملاذي ومستقري ومستودعي ... بل أنتم الفريضة والشفع والوتر ...
 هبة أتصلت بأيار وأخبرتها أن تعاود الإتصال بها لتخبرها عن أخبار مهمة
 جداً حول سبب إهتمام هدى بها ، وبالفعل عاودت الإتصال لتسمع السبب منها .
 أيار : هل صحيح أن لديك أخبارام أنها نكتة من نكاتك .
 هبة : لا أكيد عندي خبر بمئة مليون ... يخص أخاك مُعاذ .
 أيار مرتبكة : ماذا ماذا ..؟ مُعاذ ما هو الخبر ؟ أنظقي ولا تُجمدي الدم في عروقي .
 هبة : مُعاذ صديق لطفي أبن جاركم وعلاقته به قوية جداً .
 أيار متأففة : الرجاء ... أدخلني في صلب الموضوع فكلامك هذا أعرفه وأين الجديد .
 هبة : لا تستعجلي الغيث ... ولطفي أبن جاركم ... أخو هدى ...
 أيار مبتسمة : ها ... الآن فهمت ... فالأمر هين فقصدها التعارف معي كأبنة جار .
 هبة : نعم أكيد فالأمر هين وهين جداً فهي تتقرب منك لأنك أخت مُعاذ ، ومن غير
 المعقول ان لا تفهمي سبب إهتمام شخص بأخر دون مصلحة هذه هي طبيعة حياتنا .
 أيار مستغربة : ماذا ... تريدين قوله ... تكلمي بوضوح وأتركي الألغاز .

هبة : من غير المعقول لم تفهم كلامي ... لكنك كعادتك تغشمين نفسك ... فأخوك مُعاذ على علاقة مع هدى ومصادري موثوقة ولا يمكن الشك في مصداقيتها ، وفوق كل ذلك لقد حققت معها وأعترفت بالحال عن وجود علاقة حب بينها وأخوك منذ عام .

أيار منزعة : غير معقول ... ولا أصدق .

هبة : ولماذا غير معقول ولا تصدقي ... أوليسوا بشراً ولهم المشاعر والأحاسيس التي تجذبهم نحو كلاهما وليس مثلك مشاعرك مثلجة ولا تُجيدين حتى استخدامها في الصيف .

أيار : يا إلهي ... ولها الجرأة بالتعرف عليّ ... وكأن الأمر طبيعي .

هبة : ها والآن .. ماذا تنوين فعله معها ... سأعاونك بأي قرار وكل شيء بسعره ... بالطبع ولا تعتقدي بأن هدى هادئة كما رأيتها .. فهي غير ذلك تماماً .

أيار : ولكن من أين لك أن تعرفي كل تلك التفاصيل ؟

هبة : أكيد ... من مصادري الموثوقة ... ولا أريد الإفصاح عنها حتى لا تصل الى أخيك ... ثم أنني لا أكرث بها سواء قلت لها بأنني أخبرتك أم لا .

أيار : والتافهة جعلتني أصدق أطراءها لي .. يا لها من ممثلة بارعة ... كل يوم أكتشف شيئاً جديداً .

هبة : ماذا تقصدين .

أيار متنهدة : لا شيء لا شيء ... انها هلوسة عليل ... ولكن حقيقة أنا أشكرك على هذه المعلومات التي وضحت لي الكثير من المبهمات .

هبة ضاحكة : أنا بالخدمة ... وسأواصل جهدي الإستخباري ... والمعلوماتي ... فيما إذا كان أخوك الأكبر قتيبة على علاقة بإحداهن أم لا وسأؤفيك بأخر التقارير

التفصيلية .

الجزء الثاني والثلاثون

اليوم تحصد مروة ثمار السنين والجد والمثابرة اليوم موعد مناقشة رسالة الماجستير في الأدب الإنكليزي ، اليوم تأتي الأيام أكلها وقد أجمعت عائلتها وأقرباؤها وأصدقائها في قاعة المناقشة قبل الساعة التاسعة وفي مقدمتهم الدكتورة سُبيل ، كذلك لبت الدعوة سبأ وحضرت وكانت سعيدة جداً ، وقد أتفقت معها أيار كتم الخبر عن الطالبات لاسيما المجموعة وعدم الإعلان عن حضورها للمناقشة البتة فأكدت لها إلزامها بالإتفاق وهي محط ثقة أيار اليوم ، وما هي إلا خطوات حتى دخلت لجنة المناقشة وأرتقت المنصة المهيأة لهم وكانت **الطالبة** متأهبة وبتقة عالية بنفسها وبرسالتها والإبتسامه مرسومة على محياها كالشمس المشرقة في كانون الثاني ، وهي متألقة بروب تخرجها ذي الشريط الأصفر ، فبدأت بعرض ملخص رسالتها إرتجالاً وكل الأعناق أشربت لها وكل القلوب خفقت لجمال صوتها وعيون والديها أمتلأت بدموع الفرح قبل البدء ، المهم سارت المناقشة بكل سهولة ويسر وحجة أفتاع قل نظيرها بين الطلبة ، **ومنذر وقتيبة** ينتقلون بين الكراسي يُضيفون الحضور بتقديم الماء والشاي ، ويشرفون على إدارة القاعة من كل الجوانب والإحتياجات ويساعدون المصور في نقل كاميرته ان تطلب الأمر ذلك ، كان الجو رائعاً وبهيجاً والمناقشة تجري بانسيابية خالية تماماً من أي شد وجذب كما هو معهود وكل مدرسيها يعرفون طالبتهم ومستواها العلمي وهي الحاصلة على درجة الإمتياز في البكالوريوس والحاصلة على جائزة الطالب الأول على العراق ، وهكذا حتى انتهى الوقت المخصص للمناقشة فخرجت اللجنة من القاعة لمدة نصف ساعة بعدها سيتم الإعلان عن الدرجة التي تستحقها على رسالتها وعلى مقدرتها في الدفاع عن أفكارها وقوة حججها وبراهينها بحسب تقييم اللجنة .

وحالما خرجت اللجنة نهضت مروة من مكانها وقد تشنجت أقدامها من الجلوس فأسرعت إليها سبل وقالت كم أنت رائعة في عرضك للرسالة وكم أنت رائعة في الدفاع والرد الجريء ، ثم همست في أذنها مبتسمة وكم هو رائع ذلك الفتى وهو يؤدي دور النادل في مناقشتك فقط لإرضائك .

مروة مبتسمة : لم تعلق ... خشية ان يسمعها أحد ... وقد أجمع حولها زملاؤها الذين سيناقشون بعدها الأيام المقبلة معربين عن أعجابهم ... وهم العارفون بتمييزها ... ولكن المناقشة كانت مناقشة بمعنى الكلمة تتطلب الجراءة الكافية للجلوس في هذا المكان لتجابه أربعة مناقشين يطلقون الأسئلة بقصد الإختبار والتقييم والتقييم .

أيار وسبأ : أنت رائعة يا أستاذة ولنا الشرف في أخذ صورة تذكارية معك في كاميرا سبأ ، كذلك أشارت للمصور أن يلتقط الصور التذكارية ، وأغتنام هذه الدقائق للصور قبل ان تأتي اللجنة فأعطلت المنصة وراحت تشير لعائلتها بالإرتقاء مجموعة بعد أخرى مبتدأة بوالديها طبعاً ثم أخوتها وأولادهم وسبل وكل من يلتقط ينزل ليأتي غيره ، ولكن سبل بقيت واقفة ، ثم أشارت الى منذر لأنه لم يقم نفسه في الصورة مع عائلتها ، وعندما رأى أشارتها طار فرحاً حتى أن الأرض لم تكذ تسعه وأسرع خطاه إليها فوقف عن يمينها وسبل عن يسارها ، ولم تترك أحداً في القاعة إلا وقدرت مجيأه للمناقشة وأستدعته لإلتقاط الصور التذكارية ، ثم أوعزت بتوزيع العصائر والكيك الى الجميع وحثتهم بأن لا ينسوا أحد أبداً ، فكان جواً بهيجاً لا يكمله إلا الإعلان وما هي إلا دقائق حتى عادت اللجنة والبشر يطفح على محيا المشرف ، فإرتقوا المنصة واقفين وبداهة كل الحضور واقفين أيضاً وأعناقهم مشرأبة وأسماعهم متهيئة ومتأهبة لسماع الدرجة وكلهم أمل بأن لا يبخسوا الطالبة حقها .

وعلى الرغم من تميز مروة العلمي وثقتها العالية برسالتها إلا أن المناقشة تبقى إمتحاناً وله رهبة كبيرة ولاسيما عندما تُعلن النتيجة بحسب تقدير اللجنة ، المهم ... أعلن رئيس لجنة المناقشة القرار الذي كانت تنتظره الطالبة بصبر ليؤهلها للعمل كإستاذة في الجامعة ، وبعد أن قرأ المقدمة التي تسبق الإعلان .. أبتسم وقال قررت

اللجنة منح الطالبة مروة عبد الرحمن محمد الأوجي درجة الإمتياز وحالما سمع الجميع الدرجة صفقوا تصفيقاً حاراً غير منقطع متناسين بأن الرئيس لا زال مستمر في إذاعة الإعلان فتداخل صوته مع التصفيق ، حتى أن مروة لشدة فرحها نست إن الدرجة لها فراحت أيديها بالتصفيق لنفسها دون أن تنتبه ، ومع التصفيق أغرورقت عيون الأحبة بالدموع الصادقة ، ولاسيما والداها اللذان راحا يمسحان الدموع وهي تنهمر وكذلك سبل التي تريد روحها ان تبلغها بأنها هي الوحيدة السعيدة بهذا النجاح حتى قبل والديها ، والكل يلمح اهتمامها ، وإستمرارها بالوقوف لا تستطيع ان تجلس لمدة خمس دقائق طوال المناقشة ، وبعد فاصل التصفيق البهيج الرائع العفوي أشار المشرف إليها بإعتلاء المنصة لإلتقاط الصور التذكارية مع لجنة المناقشة لتوثيق الحدث كما هو جاري في المناقشات الجامعية ، وبعد التبريكات والأمنيات القلبية الصادقة غادرت اللجنة قاعة المناقشة الى حيث المطعم لأنه كما هو معتاد في جامعة البصرة ، بعد المناقشة وتكريماً للأعضاء تتم دعوتهم لتناول وجبة الغداء وقد رافقهم أخوتها سراج الدين ونائل ، وبدأ الحضور بالخروج من القاعة ولم يبقَ إلا خاصتها ، ومنذر يعمل بجد ومثابرة كما يعمل قتيبة ومُعَاذ بجمع الرسائل الجامعية ، وكل الأدوات التابعة لهم التي أستخدموها في هذا الحفل والمصور مستمر في توثيق كل لحظة تمر ، وراحت أيار تُعرف عائلتها على صديقتها ، ولاسيما مروة التي تعرفها بالحديث فقط .

أيار : كم أتمنى ان تتوثق علاقتنا ... على مر السنين ... كأن تمر عشر سنوات مثلاً .

سبأ : ان شاء الله ... سنبقى معاً ... ولا يُفرقنا إلا الردى .

أيار مبتسمة : معقول سنبقى عشر سنوات ... دون ان نتخاصم .

سبأ مبتسمة : العراك الفكري ... رياضة روحية ... تحرك المشاعر من السبات وتجعلها دائماً نشطة متقدة ، وتخرجها من رتابة الروتين .

أيار ممازحة : ما رأيك لو نتخاصم الآن ؟

سبأ ضاحكة : لا ... المكان لا يسع ... نحتاج الى ميدان آخر ثم ليس لدينا ما نتعارك عليه دعينا نفكر في موضوع وتناقش فيه وتجادل ، ثم نجد العراك ينهال تلقائيا .

مُعَاذ : سررت بمعرفتك سبأ فرصة سعيد .

مروة : أشكرك .. يا سبأ ... على تلبية الدعوة ... أسعدني حضورك ... وتشرفت بمعرفتك ثم توجهت الى السيارة وطلبت منهما ان يتوجها ... حتى يوصلوا سبأ بطريقهم الى بيتها .

سبأ خجلة ويهدوء : العفو أستاذة ... لي الشرف .

أيار مزامحة هامسة : مَنْ يسمعك ... يصدق أنك خجولة ... وأنت عكس ذلك .

سبأ مزامحة : أيار ... أخفضي صوتك .. وإلا أسمعتك ما لا يُرضيك بحجة المزاح .

كان **عبد الرحمن** جالساَ مع عائلة ولده **سراج الدين** بطلب عائلي في حديقتهم الكبيرة والبشر يطفح على وجوههم وهم يتبادلون الأخبار والأحاديث اللطيفة الشيقة وهكذا الى أن رن الهاتف الخلوي في جيب جدهم ، الذي حمل الخبر السيئ الذي بددَ الفرحة التي كانت مرسومة على وجوههم وأبدلها وجوماً وأسى ، وكل لحظة أميمة تشير الى **سراج الدين** بالإسراع بأخبار والده **عبد الرحمن** حول موضوع **تسنيم** .

الجد بعد التحية : ماتت .. الى رحمة الله .. أنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي القدير .. متى حدث ذلك ، فأنهى الإتصال وهو حزين وقد تشبث به أفراد العائلة وكلهم سائلين عن هذا الخبر السيء وهم واقفون وكلهم قد سألوه السؤال نفسه : مَنْ الذي مات ؟

الجد : أنها الحاجة أم **علي ومنذر**.. وجدوها ميتة في فراشها الآن ، وهذه **أسيل** أتصلت بنا لتُخبرنا عن موتها .. وسيوارى جثمانها الثرى غداً صباحاً إن شاء الله .

قتيبة : غداً ان شاء الله سنشارك في تشييع الجنازة حتى نقلها الى المدفن هناك .

أميمة : رحمها الله كانت امرأة طيبة ومن أهل الله لا بد ان نواسي نويها على مصيبتهم.

مُعَاذ : وهل سأذهب معك لتشييع الجنازة والموقف المأساوي هذا .

سراج الدين : بالطبع وبدون شك كلنا سنذهب للمآتم ، فنحن أهل .

فقد فضّلت أيار الصمت على الكلام لأنها لم تجد الكلام المناسب لتقوله في هذا الموقف فراحت تكمل شرب كوب الشاي الذي كان في يدها وهي مسألة طبيعية لا تذهب الى المآثم الذي سيُقام لقربيتهم .. لأن هذا وأن يكن مواساة لذوي الفقيد ، لكنه بالنسبة لها تعكير مزاج وتجديد حزن قررت بل عزمت على تركه في أعماق اليم ، وبعد ان انتهت من إحساء الشاي .. وضعتهُ على الطاولة .. ونهضت قائلة : تصبحون على خير ثم ذهبت الى غرفتها عازمة التغيير والتجديد والتطور ، أما باقي العائلة فشاركهم مآثمهم طوال المدة المقررة للمآثم ... الرجال والنساء ... ولكن مروة قررت بالإتفاق مع والدها أن تقدم العزاء لمنذر بعد انتهاء المآثم في الشركة حيث موقع عمله وهي بالأصل قاصدة الإطلاع على آخر تفاصيل العيادة بحسب زعمها أمامه ، وبالفعل ذهبت وقدمت التعزية .

منذر مكتئباً وقد طالت لحيته مشيحاً ببصره عنها : أشكرك .. أستاذة .

مروة مستغربة مواسية : منذر هذه هي حياتنا ... شجرة تنمو وأخرى تموت ... وأن الموت ديمقراطي ويوزع رسائله بعداله بيننا جميعاً ، وكلنا قد جفت صحائفنا بأجالنا .
منذر متنهدا : الحمد لله رب العالمين ... لقد أفنت حياتها من أجلنا .

مروة : هذا ديدن كل الأباء وأنت عندما ستكون أباً ستفني حياتك من أجل أبنائك وما دامت والدتك رائعة في نظرك فأكيد ستمشي على نهجها وستكون رائعاً بنظر أبنائك ولكن الآن أخبرني فوالدي أبلغني بأنك إستطعت بعلاقاتك الناجحة ان تجهز كل مستلزمات سُبُل وبالتفسيط المريح ... وأنجزت العيادة بالكامل وهذا رائع .

منذر وقد إرتسمت على شفثيه إبتسامة صغيرة : نعم ... صحيح وقد أفدت مادياً أيضاً فالتاجر الذي زودني بهذه الأجهزة ، منحني أيضاً هامش ربح لأنني أصرف البضاعة وان كانت بالتفسيط ولكن بضمانتي .

بينما الخادمة زكية جالسة في الحديقة بالقرب من الحارس شامخ على

الأرض حيث الحشيش الأخضر وكأنه بساط حقيقي .

زكية : مسكينة الحاجة أم منذر وجدوها ميتة في فراشها يالها من فاجعة مؤلمة.

شامخ : نحن المساكين عاشت زمنها وزمن أولادها ورأت أحفادها رحمها الله .
 زكية : أولست متأثراً بخبر الوفاة .

شامخ : كلا .. إن الموت سنة الحياة .. (وكل نفس ذائقة الموت) لا يبقى أحداً على وجه الأرض كلنا سنموت ، وعليه لا بد ان نفكر في حياتنا القادمة دعينا من هذا الكلام الحزين ، أريد ان أطرح عليك فكرة جاءت في بالي إلا وهي الحل لمشكلتنا التي لا زالت عالقة مئذ سنة.

زكية بلهفة وقد تبدد حزنها : فكرة تحل مشكلتنا ما هي بالله عليك أخبرني ما هي بالله عليك ؟

شامخ متنهداً : أسمعي .. ما هو رأيك بأن نعيش في غرفتي هذه التي أسكن فيها خلف المنزل .

زكية ضاحكة بشدة : أوه .. هل أنت جاد ؟ أنها غرفة صغيرة لا .. هذا غير ممكن .

شامخ قلب شفتيه : أذن لا يوجد حل غير الغرفة الملحقة الموجودة خلف المنزل ، لقد تعبت من التفكير لهذا الحد .. وصولاً الى هذا الحل .

زكية باستغراب : أي ملحق هذا الذي تتكلم عنه ؟؟ غرفة مترين .

شامخ : رأيي تأهيل هذه الغرفة وتحويلها الى ملحق صغير وهناك مسافة كبيرة قربها بالإمكان استثمارها ، تعالي أطلعك على خطتي ، فنهضاً متوجهين نحو الجانب الأيسر حتى وصلا وفقاً فقالت : أوه يا إلهي أهذا هو الملحق كأنه مخزن للأخشاب في شركة الأوجي ... شامخ ... لا أعرف ماذا أقول .

شامخ : أن هذه الغرفة هي لغرض ان يسكن فيه الحارس وعائلته .

زكية : ولكن أجمل شيء في هذه الغرفة انها قريبة من الباب الخارجي الجانبي المؤدي الى المطبخ الذي جل عملي فيه .. إن الأنسة مروة طلبت مني مساعدتها بالتفكير حول حل يقدرها من مساعدتنا ، لكنها فكرة رائعة وسأنتظرها عندما تأتي وأخبرها بذلك ، وسأقول لها يا أنستي يا ملكتي ... نعم لقد رسينا على بر أنا وشامخ بفكرة جهنمية تحل مشكلتنا وسنعيش في غرفة الحراسة ... بعد تأهيلها لنا .

وفي جلسة الشاي المعتادة عصرأ راح **عبد الرحمن** يكلم زوجته **فاطمة** ...

فاطمة : أرى عينيك مليئتين بالكلام ... تكلم حبيبي أسمعك .

عبد الرحمن : في الحقيقة وبلا مقدمات ... أريدك أن تتفهمي شعور الأم التي لا تستطيع التخلي عن وليدها وهو شعور فطري يولد مع الأم ... وأن أميمة تخجل منك ولم تستطع إخبارك ... بأنها تنازلت عن فكرة التخلي عن طفلها ، لذلك كلمني **سراج الدين** وطلب مني أن أخبرك وأعتذر منك .

فاطمة وقد تفرقت **عيناها** : ولماذا؟؟ كذبت عليّ وجعلتني أعيش الخيال الجميل طوال هذه المدة ولاسيما عندما هيأت له الغرفة وقد تعلق قلبي فيه حتى قبل أن أراه ... فكم هو رائع وجميل .

عبد الرحمن **متنهأدأ** : أرجوك لا تتأثري ... أمسحي دموعك ... ولا تشعريني بالذنب ... قلبي لا يتحمل .

قبل **خالد** العمل في العيادة لأنه يحتاج الى المال لإعالة عائلته وإنه سيبقى في عمل السوق الذي يتراوح ما بين مد وجز ، وبالحال أتصل **منذر** بالدكتورة ليلبغها بموافقة **خالد** بالعمل وبالتالي تكون العيادة أنجزت بالكامل وما عليها سوى الإفتتاح مسألة وقت وسيتم وضع اللافتة التي سيكتب عليها الدكتورة **سُبل بهاء الدين نور الدين** أخصائية الأسنان .

سُبل مبتسمة : أنا أشكرك يا **منذر** على دعمك ومساعدتك التي تبقى عالقة في الذاكرة جزاك الله عني ألف خير ، ولكن كلمني عن **خالد** قبل أن أراه وهل أنطبقت عليه الشروط .

منذر : أكيد ومؤكد ... فهو شاب رائع ومؤتمن وأهل لذلك كما أنني طلبت منه العمل بإلحاح في العيادة على الرغم من أنه يعمل في السوق ، طبعاً هو بعمرى لديه شهادة المتوسطة ، طويل القامة حنطي البشرة صغير العينين كث الحواجب بأنف طويل معتدل وفم متوسط ، إبتسم **منذر** ثم إستطرد : لستُ حاذقاً في الوصف ولكن هذا ما تمكنت من تجميعه من معلومات ، ولكن الأهم أنه من منطقتكم ... أي جاركم من بعيد

... وانه عندما عرف ان العيادة في منطقته وانه بالامكان الوصول إليها بالدراجة الهوائية وافق على العمل والآن أعطيني الضوء الأخضر لقبوله حتى أسلمه المفاتيح .
سُئِلَ : حسناً .. ما دمت تعرفه وتثق به وبإمانته أعطه المفاتيح وليتهياً لأحد القادم ان شاء الله تعالى .

منذر مبتسماً : وان اللافتة ستكون هدية متواضعة مني ... وأرجو أن تنال إعجابك ...
سُئِلَ محرجةً متنهدة : والله إنك ... تخرجني ولكن أشكرك وبارك الله فيك ...
 وحالما إنهت إتصالها مع **منذر** أتصلت مباشرة بمرورة لتخبرها بأخر الأخبار حول العيادة والأهم لتحديثها عن **منذر** .

مرورة : أهلاً بك أيتها الدكتورة الناجحة .. حياك الله ... يسعدني سماع صوتك .
سُئِلَ : والله وأنا أيضاً ... يسعدني سماع صوتك كل لحظة ... أبشرك بإنهاء العمل في العيادة ، والفضل كله لك ولوالدك الغالي ولقريبك المتيم **منذر** ، فقد قدم لي خدمات لم أكن أحلم بها البتة ، بتوفير كل ما تستلزمه العيادة وبالتقسيط المريح ، وقد أشرف بنفسه على نقلها وترتيبها والإشراف عليها دون أن أبذل من الوقت قيد أنمله ، والله أن قريبك **منذر** هذا مثال للشباب النشط المثابر الأمين المدقق ، فكل عمل يؤديه يقوده في قائمة وبالذقة المتناهية فشكري لوالدك موصول عبرك ، ولم يكتفِ بذلك وإنما جلب لي عاملاً يثق به للعمل واتفقت معه بتسليمه المفاتيح وسنبداً لأحد المقبل ان شاء الله ثم قالت مستطردة وإذا كان لا يروق لك فحوليه لي لأنني أعجبت به وسأشغله في العيادة .
مرورة مبتسمة : خذيه ... أنا لا أرغب فيه .

سُئِلَ مبتسمة : ولكن ما الفائدة ؟ وهو متيم بك ... لو كان فارغ الفؤاد ما تركته ...
 ولكن إذا كنت لا ترغبين منه ، هل يمكنك ان تبلغيني لماذا رفضت القاضي رشدي؟ ،
 وهل يوجد امرأة في العالم ترفض قاضياً تقدم لخطبتها ، أن لم يكن في قلبها ميل لأحد ما ، أنا أنصحك يا حبيبتي بأن لا تخسري هذا الشاب الذي يحبك منذ سنين ، قد يقنط منك ويتجه بعيداً ، أنا ... معك صحيح إن خطابك كثر ولكن لا أعتقد بأنك ستتعرفين

على شاب مهذب مثله ، فضلاً عن أنك تعرفينه وعائلته منذ نعومة أظفاره ... أرجوك فكري في الأمر .

مروة : لا تكثرني يا دكتورة ... لكل حادث حديث سيأتي هذا اليوم لا محالة وأنا حاصلة على الدكتوراه .

سُبل فرحة : ونسيت أخبارك بخبر معجزة .

مروة ضاحكة ممزحة : لماذا معجزة؟ هل جاءك خاطب حاصل على الدكتوراه .

سُبل ضاحكة : لا ليس هذا الأمر ... فخطابي ... لا يتجاوزون المتوسطة هذا قدرتي والحمدُ لله رب العالمين ، ولكن المعجزة هو أفتتاح صيدلية جديدة عند نهاية الشارع وكأن القدر يريد مساعدتي بهذا الحجم من التيسير والتدبير ، كنت أحمل هم كبير حول الصيدلية على الرغم من أنني بذلت جهداً جهيداً في إقناع احد الصيادلة ولكنه رفض ، بحجة ان عيادتي جديدة وغير معروفة وعليه لا يوجد مرضى وبالتالي لن ينجح المشروع ، واليوم والحمدُ لله رب العالمين توجد صيدلية ، وأرى الأمور تسير معي ببسر ومرونة ، وسنفتتح العيادة في الغد وأنت أول المدعوين وأكد سيحضر منذر لأنه سيعرفني على العامل خالد .

مروة : أكيد سأكون أول الحاضرين ... كم كنت أتمنى هذا اليوم ... الذي ندخل فيه وإياك لأول مرة العيادة بعد التأهيل وأكد سيُعجبك ديكورها ولونها ، ويُسدني حبيبتني هذا الخبر الرائع ... ألف ألف مبروك ... ولكن قد يكون الصيدلي يعرفك ... هل رأيته؟ ثم قالت ممزحة ... وقد يكون معجباً .

سُبل : أكيد حبيبتني ... سيُعجبني ... كل شيء فيها لأنني أشعر بوجودك فيها ... ولم تفتني مسألة التعرف على الصيدلي .. فذهبت إليه بحجة شراء بعض الأدوية ... طبعاً لا أعرفه .. لكني سألته ... حول الصيدلية فقال مشروع جديد في منطقة ليس فيها صيدلية وبعد حديث معه عرّفته على نفسي وأختصاصي ومكان العيادة وقد أستبشر خيراً بها ، وأخبرته حول الأدوية التي يحتاجها المرضى ... فأكد بأنه سيتعاون معي .. أي سيكون بيننا مصالح مشتركة .

وهكذا تم إفتتاح العيادة وباشر خالد عمله وقد حضر مريضين فقط ، وهذا أمر طبيعى لعيادة جديدة لم يعلن عنها بعد ، وراحت الدكتورة تغتنم الوقت للتعرف على خالد عن كثب .

الدكتورة : هلى تعرف القراءة والكتابة ...؟ هل تعرف الحساب؟؟

خالد مبتسماً : أكيد دكتورة فأنا تركت المدرسة في الصف الخامس الاعدادي .

الدكتورة مبتسمة : ها جيد يعني انك تجيد القراءة الإنكليزية الحمدُ لله حتى أعلمك على بعض المسميات للمواد التي أحتاجها في العيادة ، عندما أطلب منك إحضارها .

خالد : يسعدني ان أتعلم ... أي مصطلح علمي أحب ذلك ، ويمكنك البدء من الآن فهذا الدفتر بيدي وما عليك إلا الرد وأنا أكتب ثم تأكدي من إملائي .

سُبل مبتسمة : سأرد لك المصطلحات ... ولا أعتقد ... سيأتي مريض آخر وقد أنتهى العصر ... ولكن بالمناسبة هل أخبرك منذر حول طبيعة عملك هنا ... وهل تريد أجرك أسبوعياً أم شهرياً .

خالد : لا تهتمي دكتورة ... سأعتبر هذا المكان بيتي ... وسأتولى أي أمر فيه ... وأفضّل أن يكون الأجر شهرياً حتى أسلمه مباشرة الى صاحب الدار التي أستأجرها .

سُبل مبتسمة : بارك الله فيك ... وحفظك لذويك وأعدك عندما تتحسن أحوال العيادة المادية سيزداد أجرك .

مروة في غُرْفَتِها تكلم نفسها لعل زكية وشامخ ينتظران مني الرد وبأحر من الجمر وأنا الى الآن لم أتكلم مع والدي حول هذا الموضوع نعم .. لا بد أن أحسم الأمر واليوم بالذات على الرغم من ان الليل قد إنتصف .. عساي ان أجدهما يقظين في هذه الساعة .. يا رب ثم نهضت متوجهة لوالديها فراحت تمشي حتى سمعت التلفاز يعجُج بالأصوات فأطمأنت ان والديها جالسان لمشاهدته ،حتى وصلت الى حيث هما جالسان وهما مشدودا الإنتباه الى أحداث الفلم .. ابتسمت ثم جلست قريهما تشاهد ولم تُحرك ساكناً .. فقالت في نفسها لعل الفلم قَرَب على الإنتهاء ما دامت أحداثه كما رأيت

حاسمة .. فراحت تنتظر إنتهاءه بصبر وهي جالسة واضعة يدها على خدها .. وهكذا الى ان انتهى تنهدت قائلة : الحمدُ لله .. لقد نفذ صبري الى ان انتهى الفلم .

الأب باسمًا : لماذا نفذ صبرك حبيبتي هل لديك شئ تقولينه ؟

الأم مبتسمة : ها حبيبتي مروة .. تحدّثي .

مروة : على الرغم من أن الوقت متأخر لكني أودُّ التحدث معكما عن موضوع مهم .

الأب والأم : موضوع مهم .. تكلمي كلانا أذان صاغية إليك ولا عليك بالوقت .

مروة : في الحقيقة ان زكية جاءها خاطب ماذا تقولان في هذا الأمر أريدُ سماع رأيكما .

الأم : أوه .. يا ألهي .. زكية تتزوج .. وتتركنا .. لا .. أريدُ بعدها عنا لقد تعودنا عليها كل التعويد .. انها انسانة جيدة .. وأمينة .. ورائعة .

الأب : لقد فاجئتنا .. مروة .. بهذا الخبر .. تُرى من هو الخاطب ؟

مروة : ما بكما إلا تُريدان لها حياة الإستقرار في بيت الزوجية والأطفال ؟

الأم بحزن : لا .. بالعكس إنها انسانة طيبة وأتمنى لها الحياة السعيدة .. لكن في نفس الوقت اتمنى ان لا أفقدها لأنني تعودتُ عليها كثيراً ثم انه لمن الصعب إيجاد مثلها ..

حريصة وأمينة وطيبة .. خبرك هذا ساءني كثيراً ليتني لم أسمعهُ .

مروة مبتسمة ابتسامة عريضة : ولديّ خبر آخر أيضاً .

الأب : ما هو ايضاً .. عساه ان يكون أحسن من سابقه .

مروة : شامخ سيترك العمل هنا وينتقل الى مكان آخر .

الأب وبصوت عال : لا .. هذا .. غير ممكن .. غير معقول لعلك تمزحين .. ها قولي

انك .. تمزحين .. حقاً .. ولماذا ... يترك العمل ؟

مروة : حتى أنت لا تقدر على بعد شامخ .. الحارس والفلاح .. ثم قالت : أنا لا

أتمازح ان شامخ وزكية سيتزوجان ان شاء الله .. في يوم من الأيام .

الأم : شامخ .. زكية .. انهما مناسبان لبعضهما .. ولكن اين سيذهبان ؟ ثم تنهدت
تضايقت لسماع ان زكية ستتركنا .. فكيف وقد ردفتيها بشامخ الأمين على المنزل
بأكمله اوه .. يا لها من ليلة مزعجة .. لقد طار الكرى من عيني أف .

الأب : لا تحزني حبيبتي فاطمة .. من حقهما ان يتزوجا وان تكون لهما حياة مستقلة
كيفما يشاءان وكيفما يقرران .. انه حقهما الشرعي وفقهما الله حيثما أرادا .

مروة مُبتسمة : هل تتمنيان ان يبقيا هنا ولا يغادرا ؟

الاثنان : نعم وبدون شك .. ولكن كيف يكون ذلك ..؟

مروة : ان تسمحا لهما العيش معنا هنا ... في غرفة شامخ .. على ان طورها الى
ملحق صغير .

الأب: أ .. قلب شفتيه واقطب حاجبيه ثم قال .. لكنه سكن يفتر الى ثم سكت .. أ ..
حسناً .. لا مانع لدي .. عسى ان يروق لهما المكان ... سنكيف المكان بالشكل الذي
نجعله بيتاً صغيراً .

الأم : هذا يعني .. ان زكية لا تتركنا .. ستبقى معنا .

مروة : نعم بمشيئة الله ، ولكن بالطبع سنسدي لهما المساعدة في كل شئ بدءً بتأثيث
بيتهم الصغير وحتى حفلة زواجهما ان شاء الله لأن الأثنين لا أحد لهما ، ولنبدأ
بخطبتها من أخيها عصام .

الأب : بدون شك .. سنساعدهما .. الأثاث من شركة الأوجي للموبيليات انهما يستحقان
كل الخير إن شاء الله غداً صباحاً سأعطيهِ مبلغاً من المال ليُرتب به أمره ويجعل
الملحق صالحاً للسكن ، ها .. يا أم مروة كيف انتِ الآن بماذا تشعرين .. ها ..
وسنذهب الى بيت عصام كما تقتضي الاصول لخطبتها .

الجزء الثالث والثلاثون

عادت مروة وهي تتنائب متوجهة الى غرفتها وهي مسرورة حتى وصلت ودخلتها ، والبسمة لا تزال مرسومة على محياها أغلقت الباب ثم اعتلت سريرها وأضطجعت على جنبها الأيمن وراحت تكلم نفسها .. ها قد انحلت مشكلتيكما .. لييتي .. أبشركما الآن بموافقة والديّ لولا إن الساعة الآن أقتربت من الواحدة فجراً ، الحمدُ لله الذي قدرني على إسداء المساعدة لهما .. سيتزوجان ان شاء الله ويملأن البيت أطفالاً ... الله ليت هذا الحلم يتحقق .. متى .. تنقش ظلمة الليل وتتبلج الشمس لأزف البشرى .. ولتطير بها فرحة .. وأظنها من فرحها ستجري وهي حاملة المكنسة نحو الغرفة لتمنحها الحياة لأنها تفتقر كثيراً الى مقومات الحياة .

وفي الصباح زفت مروة الخبر الى زكية وشامخ وقد فرحا فرحاً كبيراً ... وأول عمل قاما به هو الذهاب الى بيت أخيها عصام لطلب يدها منه ، وقد ذهب برفقة شامخ عبد الرحمن وسراج الدين وأولاده وفاطمة وأميمة وبرفتهم الشيخ وقد فرح بهم أيما فرح وأكد وافق لموافقة أخته وبارك لهما ، وفي نفس الوقت عقد الشيخ قرانهما ، ليكملا في الصباح إجراءات عقد القران في المحكمة حيث يعمل سراج الدين ، وبالفعل بدأ شامخ العمل بتطوير وتأهيل المكان على الرغم من صغره لكنه بالنسبة لهما جنة المأوى ، وراح العمل فيه يجري على قدم وساق ، فضلاً عن تجهيز المنزل الصغير بكل ما يحتاجانه من أثاث وأجهزة وعلى نفقة العائلة كهدية لهما ، وفي حفلة صغيرة جميلة بهية في بيت عبد الرحمن جمعت الأهل والأحبة تم زواجهما ودخلا كوخهما الجديد الذي كان بالنسبة لهما محض خيال ...على أنغام الموسيقىار مُعاند وبهذا أوفت مروة بوعدها لهما بمد يد العون والمساعدة .

وبعد أن أبلغت هبة أيار حول مقاصد هدى في التقرب إليها لم تجد بداً إلا وبمواجهة مُعاند والتأكد منه أفضل لها من الإنتظار الى أن تأتي المعلومة عبر الآخرين ، فراحت تسأله .

أيار : مُعاند ... أريد أن أسألك أن تُجيبني بالحقيقة .

- مُعَاذ :** ولماذا أخفي عليك ، أسألي وأنا جريء كما تعرفيني أجراً من الجرأة نفسها .
- أيار :** ما هي علاقتك ... بالمدعوة هدى ...؟ أريد الحقيقة رجاءً .
- مُعَاذ فغر فاه وأتسعت حدقتاه :** مَنْ ... ؟ هدى .
- أيار :** نعم هدى ابنة جارنا أخت لطفي .
- مُعَاذ :** وماذا عرفتِ؟؟
- أيار :** عرفت من إحدى زميلاتي بأنها على علاقة بك منذ سنة .
- مُعَاذ مبتسماً :** وماذا عرفتني بعد !!؟؟
- أيار :** ولماذا تجيبني على سؤالي بسؤال ؟ أهو عجز أم ابتعاد عن الإجابة ؟
- مُعَاذ :** ولماذا الإبتعاد ؟ لكني أريد معرفة كل المعلومات التي وصلتك حتى أجيئك بعدها .
- أيار :** أكرر السؤال ... ما هي علاقتك ... بهدى وهل أنت على علاقة معها منذ سنة.
- مُعَاذ مبتسماً :** كل ما سمعتني صحيح ... ؟
- مُعَاذ :** سألتيني ... وأجبتك ... بكل ثقة .
- أيار :** متى وكيف وأين ...؟ أسئلة كثيرة تتصارع في رأسي .
- مُعَاذ :** لا تتعبي نفسك ... عزيزتي ... فالأمر هين وعلاقتنا علاقة أعجاب وصدافة .
- أيار :** والله صدّعت رأسي ... وهل الأهل يعرفون بالأمر ؟
- مُعَاذ :** المسألة طبيعية جداً ... ونحن نتصل ببعضنا البعض منذ سنة ونيف .
- أيار :** وماذا بعد هذا التواصل ؟ ستفعل كما يفعل رفاق السوء ؟ فقرة التوديع .
- مُعَاذ :** نحن ...أصدقاء فقط ... كما أنني لم أعدها بأي شيء ولكن كيف عرفتني ؟
- أيار :** لكنها ... لا تعد هذا الأمر تعارفاً ... وإلا لم ... إنتشر الخبر وذاع بين طالبات المدرسة ، وأنها أعلنت على الملأ هذا الأمر ، حتى وصلني .
- مُعَاذ ضاحكاً :** أنت تلاحظين ... بنفسك ... كم أنا وسيم وجذاب .. ومحط أنظار وإعجاب كل الفتيات وكل الطالبات ، وهدى واحدة من هذه المعجبات .
- أيار :** وماذا ستفعل إذا عرفت أمي ؟

مُعَاذِ مَبْتَسِماً : وهل يهون عليك ... أخوك عندما يُعَنَّف ... ولاسيما الوالدة فأنها لا تفهم مثل هذه العلاقات الإنسانية الراقية بين البشر ؟

أيار : وهل تعتقد ... بأن العلاقات الإنسانية الراقية ... تكون خلسة ومن الشباك ؟
مُعَاذِ مَبْتَسِماً : يا أختي العزيزة قلت لك بأنها صديقتي وأبنة جارنا وأنا أتواصل معها بمحض أرائتها .

فكرت سبأ بتقديم هدية عيد الميلاد لأيار قبل الواحد من شهر أيار الذي يصادف عيد مولدها وهو اليوم الذي قد تبدأ فيه عطلة الشهر للسادس الإعدادي وهم الآن على أعتاب شهر نيسان ، على أن تسلمها الهدية في وقت الإستراحة وفي صدرها رغبة حقيقية لإغاضة فيها المجموعة على الرغم من حبها الصادق لها بالإتفاق مع أنصاف التي هي الأخرى أحضرت بطاقة تهنئة لها ، وبالفعل الخطة معدة لمباغثة أيار وعندما رن الجرس ووقف الجميع وإنكسر جدار الصمت وتحرر الكل من قيود الكراسي أقتربت سبأ وببدها هدية الميلاد وبصوت عالٍ هنتتها معانقة إياها ، معانقة الموجه للأرض الجرز عندما تغور في دقاتها ، وكذلك قدمت أنصاف الهدية ، والطالبات ينظرن وقد تقدمن بالتهنئة وصدمة المجموعة لا تصدق بدهاء سبأ التي إستطاعت بحسب زعمهم الإنتصار عليهم مستخدمة الأسلحة كافة دون أن تصاب أو تتأثر بأي شظية وجهت إليها لإبعادها عنها .

أيار مبتسمة وهي تحمل الهدية مستغربة : معقول ... اليوم عيد ميلادي ونسيته ... سبأ : لا حبيبة قلبي في الأول من أيار ،تبدأ عطلتنا وأحببت أن أسبق كل الكون لأقول لك كل عام وأنت حبيبتي ،كل عام وأنت صديقتي الحبيبة كل عام وأنت بمليار خير .
أيار مستبشرة متنهدة : والله أفحمتيني ...أشكرك ... على هذه الإلتفاتة الرائعة التي ستبقى لصيقة في الذاكرة .

سبأ مبتسمة : أفتحيتها حبيبتي وأعطيني رأيك فيها .

أيار فتحتها فإذا لعبة لطالبتين يتراقصان على أنغام الموسيقى : الله ... كم جميلة ...
هذه الهدية ومعبرة ... أشكرك لقد أدخلت السرور في قلبي ... ولكن ... لماذا كلفتني
نفسك يبدو من شكلها بأنها مكلفة ؟

سبأ بصوت عالٍ : لقد جمعت مصروفي لمدة شهر حتى أسدد ثمنها ، وأقسم لك بأنك
غالية وأتمنى أن أقدم لك كل الجمال الموجود ما بين السماء والأرض .
أيار : أشكرك غاليتي ... والمخرج ... حتى أنني لا أعرف يوم ميلادك متى ولدت ؟
سبأ مبتسمة : سأبلغك فيما بعد على (الواتس أب) .

هبة اقتربت منها وسحبته خارج الصف وهمست في أذنها : أقسم بأن الذي جرى
محض رياء ودور تمثيلية مدروساً وبدقة وبقصد الإغاضة وأنا أعرف هذه الأصناف
جيداً .

أنسام : وإلا لماذا ... التهنئة بصوت عالٍ ... ولم تترك الأمر بينكما ؟
لينا : ثم ... أننا تعودنا ان نتهادى كل عام ولم ننسَ عيد ميلاك ولا أعتقد بأنك نسيتي
ميلادنا .

أيار : على الأقل ... قدموا لي التهنئة وتمنوا لي عاماً جديداً مليئاً بالخير .
هبة : ولماذا نسبق الأحداث ... ولماذا نرائي ونحاكي الداهية سبأ ، وهي قاصدة
الرياء ليس إلا .

أيار : وما الضير من تقديم التهنئة الآن؟؟

لينا : كلامك صحيح ... ولكن ... هل فكرتي يوماً بتقديم التهنئة لإحدانا قبل أوانها .
نادين : أنت تعرفين جيداً ... بأننا نُحبك ونتمنى لك من الخير كله دقه وجله ... عاجله
وآجله ولكن نخشى من لهذه الداهية التي جلبها القدر لتكون حجر عثرة بيننا ونتمنى أن
تتجاهلها لأنها تتقصد إزعاجنا والكل ينتبه لتصرفاتها الصبيانية ، ولاسيما عندما
تعانقك متظاهرة بأنها تُحبك ، فابتسمت أيار على هذه الكلمة الأخيرة .

مُعَاذ يدرس في غرفته وكل لحظة يطلُّ من خلال النافذة سألَه أنس أخي مُعَاذ لماذا تطلُّ على النافذة كل لحظة ؟ ، أجابه : هكذا أرى الطقس أجابه وما هو الطقس يا مُعَاذ ؟ أجابه : الطقس هو المُناخ هو الجو ثم جلس وهو يحاول القراءة .. نهض أنس ليسدل ستار النافذة .. صاح مُعَاذ عليه .. كلا .. كلا.. إتركها لا تسدلها .. اجابه : ألا ترى شعاع الشمس الساقط على سريري .. اجابه : ليس الوقت وقت نوم .. لا أعرف الدراسة والستار مسدول أحب ان أدرس وأنا قرب النافذة .. لدي فكرة جيدة لك الأفضل لك ان تذهب وتجلس لمشاهدة التلفاز مادمت أنهيت الإمتحانات ، أفضل لك من الجلوس هنا أليست فكرة جيدة ضحك وقال له : أوه أنها فكرة جيدة أنا ذاهب لكن لا تترك النافذة مفتوحة لكي لا تدخل القطة أجابه حسناً .. أذهب انت أطمئن ومن أين تأتي لك القطة ؟ وهل هي تتسلق على الأسلاك الكهربائية ثم تدخل غرفتك في الطابق الثاني أغلق الباب وراءه ، أنس فكرة القطط ، وحتى قطة عمتي مروة المقدسة ماتت وتخلصنا منها ، وأنها نزولاً لرأي صديقتها سُبُل لم تعاود الإحتفاظ من جديد بقطة أخرى لتخلفها ، لذلك لا يوجد لدينا ثم أنك الآن رجل وليس طفلاً ، وأنا سأستقل بغرفة أخرى أي أنك ستكون لوحدها هنا أفهمت أف كم أنت ثقيل الدم .. ثم دنا قرب النافذة وأخذ يحرق والكتاب في يده .. تارة ينظر فيه وتارة أخرى ينظر من خلال النافذة وكأنه يراقب حركات شخص ما .. أو ينظر الى شخص ما في بيت قريب من . أيار تواصل الدراسة وهي محنية على الكتاب .. والنعاس يهزها بين الفينة والفينة لكنها على الرغم من ذلك تقاومه .. وضعت الكتاب وقالت .. أحس بالنعاس .. وبالجوع ايضاً .. نعم لأكل شيئاً ما .. ينسيني هذا الوسن المزعج في هذه الساعة نهضت وتناولت تفاحة حمراء كبيرة .. كانت في طبق موضوع على طاولة قرب السرير .. وأخذت كأس ماء .. ثم جلست .. وأعدلت في جلوسها .. فقضت التفاحة .. وهي تمضغ في فمها ما أكلته من التفاحة .. وقالت .. ليت لي دماغاً كدماغ عمتي مروة فيه عقل لبيب .. وها هي تستمتع في الوقت من غير امتحان ولا وجع رأس ولا تعاني مثلي من نقص فيتامين النوم .. ثم ابتسمت وكأنها تحاور نفسها .. ما هذا يا أيار

.. كثرة الدراسة أثرت عليك وجعلتك تحيين بثاً خارجياً .. هذه مصطلحات غير معقولة وغير مسموعة ايضاً .. ثم ضحكت قائلة : حقيقة أنا الآن أعاني من نقص فيتامين النوم .. لعله مصطلح معروف ومتداول لدى الأخصائيين .. وما الذي يُدريني بعد أنتهاؤها من التفاحة .. شربت قرح الماء ثم عادت الى دراستها وهي تشعر بنوع نسبي من الحيوية .. واخذت تقرأ مادة الاحياء .

مُعَاذُ في غرفته يذرع باحة الغرفة جبهة وذهاباً والنافذة مفتوحة مرفوعة الستائر كل لحظة يطلُّ وبنظرات ثابتة من خلال النافذة المطلة على بيوت الحي وكأنه يراقب خروج شخص ما حتى كلِّ وضجر من شدة المثل أمام النافذة تأفف كثيراً ثم استدار وقال : لماذا لا أعزف على البيانو وأبدد بثي وحزني وهمي وتشتت أفكارني نعم لأعزف .. ثم توجه نحو آلة البيانو .. سحب الكرسي وجلس عليه وراح يحرك أنامله ببراعة على البيانو مصدراً نغمات جميلة عجت أصواتها كل ارجاء المنزل .

وكانت **(أيار)** تقرأ بكتاب أدبي لغرض التثقف وهي غارقة في القراءة ومُتمتعة كل المتعة .. فإذا هي تنتبه لوقع النغمات الجميلة العذبة .. تركت القراءة وأغلقت الكتاب وراحت تُمتع أسماعها بهذه الموسيقى التي تعبر عما يجول في خاطر أخيها ، إندمجت وراحت تترنم مع الإيقاع الموسيقي الذي إستساغته نفسها وقالت بعد ذلك ، صدق من قال ان الموسيقى غذاء الروح ومُهجة القلب ثم بعد ذلك نهضت وتوجهت مسرعة نحو غرفة أخيها حتى وصلت الباب الذي كان مفتوحاً فوقفت عنده تسمع وتراقب ما يحدث عن كُتب وكان يواصل عزفه وبإندماج تام وانتظام حركة أنامله ورأسه على البيانو ، وبينما هي كذلك جاء قتيبة ماشياً نحو غرفته وعندما لاحظته أومأت له .. واطعة بنائها على فمها إيماءة الهدوء وهي مبتسمة .. فابتسم ابتسامة عريضة ثم وقف قربها يرنو وبأعجاب ، وهكذا استمر في مقطوعته الموسيقية الى ان ختمها بأن ضرب أنامله بقوة على البيانو ثم بعدها وضع رأسه على البيانو .. إلا ان أخويه صفقا له تصفيقاً حاراً فاجأه ، رفع رأسه مُستغرباً وهو صامت يرنو لهما وهما واقفين لدى الباب .

أيار : عزفك جميل ولشدة جماله جذبني الصوت رويداً رويداً الى مصدره .
 قتيبة : وأنا أيضاً كنت أراقبك وأنت تعزف في عالمك الموسيقي الجميل .
 مُعَاذُ مُتْنَهْدًا وَمِبْتَسِمًا ابْتِسَامَةً مَشْوَبَةً بِحُذْرٍ : لا أعرف ماذا أقول لكما .. هذه المرة الأولى التي أرى فيها من يسمُع لعزفي وينشدُ إليه كل هذا الشد ، هل صحيح انكما انعجبتما بمعزوفتي أو انه إطراء ومبالغة ومُجَامِلَةٌ ؟
 قتيبة : كلا .. قلتُ لك أكثر من مرة إن أناملك أنامل فنان رومانسي عاشق للطبيعة .. لكل شئٍ فيها .

أيار : ان الفنان عندما ينهي عزفه يشعر بالفرح ، لكن أنت عندما أختتمت معزوفتك كنت قانطاً حزيناً واضعاً رأسك على البيانو تُرى أيها الموسيقار بما تفسر ذلك .
 مُعَاذُ مُتْنَهْدًا : كُنْتُ مُتَضَايِقًا ، فوجدت في نفسي رغبة عارمة في ان أمارس هواياتي وأبدد ما أشعر به من ضيق وضجر وعليه في النهاية وضعت رأسي كما رأيتي .
 أيار : ولماذا الضيق يا ترى هل لديك مشكلة ؟

مُعَاذُ : كلا .. كلا .. فقط أُنِي لم أجد أفصد لم أرَ من يستمع لي ، ثم استطرد قائلاً هل تريدان ان أغني لكما ، أغنية عراقية أحبها من الصميم وهي ((يلجمالك سومري ونظرات عينك بابلية)) ؟

قتيبة : أنها قمة الرومانسية .. وهي من الأغاني الجميلة .
 أيار : لا أعرف ... لكن ... هل قتيبة يعرف بأنك تصادق فتيات ؟
 قتيبة ضاحكاً : والله ... سأصدق ... وان قلت له عشرًا من المعجبات ... لأنه يفسح المجال واسعاً لأي تعارف .

مُعَاذُ : أتقصدان ... هدى ؟
 أيار مبتسمة : وتقول ملء فمك هدى ... دون الإكتراث حتى بأسمها الآن عرفت أنت منزعج لأنها تخاصمت معك أو صدتك أو لم تتصل أو لم تفتح نافذتها لترنو إليك .
 مُعَاذُ مِبْتَسِمًا : أضحككتيني يا أيار ولم أضحك منذ مدة وأنت تحللين الأمر .
 قتيبة : نحن أخوتك ونهتم لأمرك ونتمنى أن تكون موسيقاراً ناجحاً .

العائلة جالسة على المائدة لتناول الفطور سأل الأب أولاده ها.. يا أولاد .. كيف حالكم في الدراسة .. والإمتحانات النهائية على الأبواب .

معاذ بأسلوب أقرب الى السخرية من الدراسة : أما أنا .. فدراستي سهلة .

أيار بجدية وقد اعتدلت في جلوسها : بالنسبة لي .. لا بأس أجاهد .. والحمد لله .

الأم مبتسمة معترضة : يا سراج الدين .. أيار ستجاهد بربع وقتها للدراسة .

معاذ : ماذا انه شئ مضحك .. وأين تقضي باقي الوقت ؟

سراج الدين : ماذا تقصدين يا أم قتيبة .. أستغربت أيار وهي تحرق بوجه والدتها .

الأم : ان أيار وفي هذا الوقت تريد ان تقرأ الكتب الخارجية .

سراج الدين : ماذا .. ماذا ؟ هل صحيح هذا الكلام وفي هذا الوقت الحرج يا بنيتي ؟

أيار اطرقت قليلاً ثم قالت : أ .. نعم صحيح ولكن يا أبتى أريد ان أتثقف كالأخرين .

الأب مبتسماً : لا بُنيتي .. أهتمي بدراستكِ أولاً : ثم بعد ذلك يأتي التثقف .. وكم كتاب انهيتي الى الآن .. ؟

أيار : أربعة كُتب ولكن لا تقلق عليّ يا أبتى .. أعدك بتأجيل القراءة الخارجية .. ثم قال الأب حسناً يا أحبائي .. ونهض قائلاً : ذاهب لعملي .. وأعلموا .. ان لكل منكم هدية ثمينة .. إذا نجح .

نهضت أيار متوجهة نحو غرفتها لتكمل دراستها .. دخلت وجلست وأخذت تدرس .. قائلة : ان أبي محق فيما قال : لا بد أن أتواصل في دراستي قبل إنتهاء الأيام ويفوت الأوان .. ثم إن سبأ اتصلت بي ليلة أمس وقالت أنها ستتنافس معي أذن لا بد لي من تدارك أمري .

بدأت الإمتحانات ومُعاذ جالس في قاعة الإمتحان .. وتبدو عليه الحيرة .. وعيناه متلصصتين هنا وهناك .. سأله المدرس .. هل تُريد شيئاً .. أجابه : ها .. نعم استاذ . لقد سقطت المحاة .. ولم أرها ، أين وقعت .. أجابه خذ محاة صديقك .. وأرجعها بسرعة .. أجابه : حسناً .. فأخذ محاة صديقه وكانت محاة ذات حجم كبير نسبياً فعندما استدار الأستاذ أسرع في الكتابة عليها .. (س 3 .. قانون المعادلة) ثم

أعطاهما **لطفي** .. فلمح ما مكتوب عليها .. فكتب عليها ما يُريده وهو حذراً ومحتاطاً .. خشية ان يراه الأستاذ .. فنظر **معاذ** الى الأستاذ ومدَّ يده الى **لطفي** .. ابتسم الأستاذ وقال : خذها ولنرى النهاية ما هي ؟ فأخذها **مُعاذ** .. وقرأ ما موجود عليها ففرح عندما رأى القانون .. فنقله بسرعة .. وحل في ضوءه المسألة .. هم بعد انتهائه من اكمال حل اسئلة الإمتحان بالخروج .. فناداه **لطفي** .. عفواً يا أستاذ .. أريد الممحة .. ضحك .. واعادها الى **لطفي** .. قائلاً .. معذرة .. نسيت ظننتها لي .. وخرج .. وهو يتمختر في مشيه .. قائلاً : الحمدُ لله .. لولا هذا السؤال .. لما تمكنت من النجاح .. نعم .. ستكون درجة بالكاد 50% ، أنا أفكر أذن أنا ذكي وأنا لا أريد أي كلية سوى كلية الفنون الجميلة لأنها تنسجم مع موهبتي في الغناء والموسيقى أولاً .. وأنها تلائم المعدل الذي سأحرزه ان شاء الله ثانياً .

الجزء الرابع والثلاثون

بدأت الإمتحانات والكل يعدُّ العدة لإحراز النتائج التي تؤهل لدخول الجامعة ، وكل الطالبات قد أكملن المناهج ، وواصلن الإمتحانات وكل منهن تضع في مخيلتها الكلية التي تروم دخولها ، ويجتمعن بعد الإمتحان ليتناقشن في الأسئلة وحلولها قبل الإنصراف ، وكل يوم ينتهي يشعر فيه المحبون الصادقون بالأسى لأن الفراق سيطل بأنين الحزن ولوعة الشوق .

سبأ: أشعر بالأسى كيف يمكن لي أن لا أراك بعد أن تعودت ذلك وبلهفة وشوق عارم .

أيار : والله وأنا أيضاً ... فالعشرة التي جمعتنا ... لا تقارن بعشرات السنين .

سبأ : وهل تتوقعين بأننا سندخل ذات الكلية وذات القسم .

أيار : أنا أتمنى أن أدخل كلية القانون ... لأعمل مع والدي .

سبأ مبتسمة : وأنا أيضاً أحب أختصاص والدي أي أريد كلية الزراعة .

أيار : هذا يعني بأنني سأكون في جامعة البصرة كليات باب الزبير عند ساحة سعد ،

وأنت ستكونين في جامعة البصرة في كلية الزراعة .

سبأ : هل ... ستأتين لزيارتي ؟

أيار : أكيد ... سأتي لزيارتك ... ولن أنساك ما حبيبت .

سبأ : أشعر بالحزن ... والأسى كل ما فكرت بالأمر ، لكنني سأجلب آلة التصوير آخر

يوم لألتقط آخر الصور .

أيار : حبيبتني ... لنكمل الإمتحانات أولاً ... ثم نتكلم بما بعدها ، فوالدي دائماً يقول من

الخطأ تعجل أحداث المستقبل ... لنتركها حياتنا تسير بتلقائية ... كما إتقينا بعتة ...

دون أن نُحضر لأنفسنا اللقاء والإعجاب والشوق والحب والمد والجزر .. فلنترك

أنامل القدر ترسم لنا مسارات حياتنا القادمة التي نجهلها ونجهل طرقها ورسائلها.

سبأ : أكيد ... حبيبتني ... فعزائي بوسائل الإتصال الإلكتروني ... سنقربني منك ...

أي أن علاقتنا ستكون محكومة بأسلاك النت ... ولكن مهما كانت الجامعة جميلة

ستبقى الثانوية أجمل مراحل عمري التي عرفتنى بك ، والأجمل صدق مشاعرنا التي تقربنا بقوة مغناطيسية كلما نأينا على الرغم من كل التحديات التي جابهتنا .

أيار بمشاعر جياشة : ذكرتيني اليوم يا صديقتي بكلام والذي عندما أنتقلنا الى منزلنا الجديد ، وقد خيم علي الحزن وأظلمت روعي الى درجة العتمة وأعتقدت بأني سأفارق الحياة أن فارقت بيئتي التي ترعرعت وتربيت فيها ، فقال لي والذي بإبتسامته الرائعة كعادته قائلاً : مثلما أحببتي صديقاتك بعمق ، ستسسين هذا الشغف بعمق ، لأنك في المحطة الأولى من العمر ولم تتبلور مشاعرك بعد ، وكلما تقدمتي في محطات الحياة ستتعرفين على صديقات أخريات فكلنا عاش هذا الدور التراجيدي الذي تلاشى مع زحمة الأيام الممتلئة بالوجوه ، ثم أستطردت متتهدة : ولا أقصد بأننا سننسى بعضنا ولكني أثق تماما بكلام والذي سنذوب بالحياة الجديد وستجعل مشاعرنا بصورة جديدة أكثر إتزاناً وأشدُّ عمقاً وستبقى أرواحنا متصلة وأن تفرقت أجسادنا هذه هي الحياة .

سبأ متأثرة : أتمنى أن نبقى متواصلين حتى وأن أصبحنا في أرذل العمر ... ومشيئا على العصا ... سأمسك بيدك ... ونمشي ... تحت زخات المطر ... شاعرين بتلك السعادة التي لا تنسى أبداً ... هل تعديني بذلك .

أيار بسرور : إن شاء الله توأم روعي لن نفترق أبداً ، سنبقى نتواصل إلى آخر لحظة في حياتنا ولا يفرقنا إلا الردى ، أعدك بذلك فصدقتنا روحية صادقة ، ولدت بالصدق ولن تنهي أبداً حتى وأن رسمت لنا أنامل القدر طرقاً أخرى .

سبأ مبتسمة : هناك موقع الكتروني اسمه المستشاراة النفسية للطالبات دائما ما أقرأ الرسائل التي تأتي إليه من الطالبات ، وكثيراً ما أعلق على رأي المستشاراة المجحف بحق هذه العلاقات الإنسانية الراقية وكأن هذه المستشاراة والدتي ، والله أمني ضد أي علاقة صداقة في العالم وتعتبر الحياة مكونه من عائلة فقط أم وأب وأولاد ، والصداقة برأيها مجرد محطة للراحة تنتهي مع انتهاء العام الدراسي دون ان تترك أثراً حتى ، ولكن تعالي ندخل هذا الموقع من خلال نقالي فيه خطط للانترنت الآن ، ونقرأ على رسالة الطالبة ترانيم واثق من كلية العلوم التي شدتني كثيراً وتفاعلت معها .

أيار مبتسمة : أذن تمام حبيبي ما دام لديك خط لأنني لم أفعل أنت على شريحة الهاتف ، يسرني جداً أن أتابع كل موضوع تتابعينه على النت او في أي موقع كان ولاسيما إذا كان الأمر متعلقاً بموضوع الصداقة حتى نستفيد منه ، فعلى نقرا رسالة ترانيم واثق ونعلق عليها .

سبأ بسرور : هل صحيح بأنك تُحبين متابعة ما أتابع ؟

أيار بسرور شادة على يدها : والله صحيح وأكد ومؤكد لأنك الأقرب الى روجي .

سبأ بسرور : لذلك أسميك توأم روجي الذي لم أجده إلا فيك .

أيار مبتسمة : لقد زاد شوقي للإطلاع على الموقع وقراءة كل الرسائل يوماً .

سبأ بسرور : هيا حبيبة قلبي ها أنا ذي فتحت موقع الاستشارة النفسية لنقرأ معاً رسالة ترانيم وكالتالي : دعوت الله أن يكتب لي صديقة تحبني وأحبها كأخوات في الله ونكون قريبات من بعضنا دون ان تدخل بيننا صديقة ثالثة ، تشاركني همومي وأفراحي ، أحسس معها بطعم الصداقة الحقيقية وما فيها من وفاء وتضحية وصدق وتناصح وإيثار ، ومنذ قرابة الخمس سنوات تعرفت على صديقة معي في الجامعة بعمرى وبنفس المستوى الاجتماعي والاقتصادي والديني ، وأصبحت علاقتنا روحية ، وهي أعز واقرب إنسان عندي حتى اقرب من أمي ، ولا أنساها حتى في دعواتي في صلاتي وسجودي وأهتم بها ، وكم أشتاق لها إن غابت عني ، أصبحت تعرف عنى الكثير وأنا أعرف عنها مثل ذلك ، وهي تحبني كما أحبها وتفضلني أيضاً ، إلا أنني دائماً أتضايق لأنني أشعر بأنني أحبها أكثر ، وأنها لا تهتم بي مثل اهتمامي بها ، وهذا من خلال بعض المواقف التي تحصل ، فلم أحكم عليها بمجرد أحساس ، وأكثر ما يضايقتني أنني أغار عليها من صديقاتها السابقات وخاصة من واحدة كانت معها في المرحلة الثانوية ، مع أن هذه الفتاة قد تعيش في دولة أخرى ، لكنها لا زالت على تواصل دائم وشبه يومي ، وكأنها معها في ذات المكان ، وتهتم بتواصلها كثيراً وتحديثي عنها كثيراً يومي معها وعن مدى حبها وشوقها كثيراً ، دون أن تهتم أو تنتبه لقساوة كلامها على مشاعري تجاهها ، فاشتعلت في داخلي الغيرة ، أصبحت أتضايق

في داخلي بمجرد أن تأتي بذكرها ، تتحدث عن ذكرياتها معها ، وأشعر بأنها قد لاحظت علي ذلك ، لكنها لم تراعني وهي تعلم بمحبتتي الكبيرة لها وهذا يؤثر علي كثيراً ، أريدها دائماً قريبة مني ولا يفرقا أحد ، وأريد أن أعزز ثقتي بنفسي أكثر وأن تحتفي الغيرة ، أريدها أن تهتم بي مثل اهتمامي بها ، أريد أن تجمعني فيها كل معاني الصداقة والإخوة والحب والوفاء ، ووالله أنني أريد أن تكون محبتنا في الله وأن يجمعنا ربي في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وأدعو ربي أن يجمعني بها في الدنيا والآخرة دون أن تكون بيننا صديقة ثالثة ، وبعد أن انتهت من القراءة بدأ التحليل والتعليق .

سبا وقد بدت عليها علامات التأثر : لا يوجد تكافؤ روحي بينهما هذا ما لاحظته .

أيار بغموض : ولكنها لم توضح للقارئ نوع الغيرة التي تشعر بها ، فهناك نوعان من الغيرة ، الأولى الغيرة من والثانية الغيرة على .

سبا متنهدة : وما الفرق ؟ النوعان يحملان ذات المعنى ، فشعور الغيرة حالة صحية طبيعية وتعبير روحي أنساني عن فيض العاطفة التي يكنها الصديق للآخر .

أيار معترضة : لا وألف لا . . . فالغيرة حالة مرضية وليست صحية أبداً ، كيف تكون حالة صحية وهي تفكر في إقصاء الآخر عن الميدان وهل الصديق حاجة تمتلك بمجرد المحبة والشعور بالغيرة ، فالغيرة حالة مرضية ونقطة ضعف ودليل فشل وعدم الإعتداد والثقة بالنفس ، فان كانت صديقتها تُحبها لا تجعلها تعاني هذا الشعور المرعب ، وان دفعتها الى ذلك الشعور فلا تستحق أن تسمى صديقة .

سبا معترضة : لا بل حالة صحية وغير مرضية ووصفك (مجحف) للأمر ، وقد ذكرت ترانيم بأن بينها وبين صديقتها سنوات أي عشرة عمر فكيف لا تغار عليها ؟

أيار معترضة : وان كانت بينها وبين صديقتها سنوات لابد من احترام علاقاتها مع الآخرين ، ولا بد ان تعرف حجم علاقتها أولاً قبل ان تفكر بمسح ذاكرة صديقتها ، ثم أنها لا تغار على صديقتها بل تغار من صديقتها .

سبأ منزعة : أنت تخلطين بين الأمور دائماً وتلحين وتصرين على سداد رأيك وتتمسكين بأرائك ، حتى وان لم تكن على صواب لمجرد انك صاحبة الجلالة ذات الرأي السديد وما على الآخرين سوى الانحناء والتبجيل والتصفيق .

أيار منزعة : نعم وان يكن فهذا رأيي ومن حقي التمسك به ولن أتنازل عنه ، وان كنتِ وصفتني متهمكة ، فأنا أقول لك وبالفعل بأنّي امرأة استحق التبجيل والإنحاء ، لأنّي تعودت أن يصفق لي الجميع وأمام عينيك .

سبأ منزعة : ولماذا تتكلمين بهذه الطريقة المزعجة وتشيرين بحركات يدك موحية لي بأنّي المقصودة ، وكذلك تطرقين على ذكريات سابقة حول هذا الشأن .

أيار منزعة : سبحان الله لماذا تغتالين البسمة بيننا وهي في مهد ولادتها ، لم أقصدك طبعاً فان أعلق على حالة معينه ، لماذا لا تمتلكين الثقة بنفسك وكل كلمة تعتقدن أنها موجهة ضدك ، فأنا كعادتي أحرك يدي للوصف عند الحديث ، فماذا تريدين ؟ هل أشبك يداي وأحرك أنفي وأذني حتى أرضيك .

سبأ متوترة : لا ... هذا يكفي طفح الكيل والذنب ذنبي لأنّي أطلعتك على هذا الموقع .

أيار متوترة : سرعان ما تقلبين الطاولة بيننا وتحولين العاطفة إلى عاصفة دون سابق إنذار ، نحن نتحاور حتى إننا لم نطلع بعد على رأي المستشاره الذي لم يعجبك أيضاً .

سبأ غاضبة : أنا أعتال الابتسامه وأقلب الطاولة وأحول العاطفة الى عاصفة أم أنت ، بغرورك وانفعالك واعتدادك برأيك الخاطئ تقلبين مجرى الحديث رأساً على عقب .

فرحت **سُبل** كثيراً بعيادتها وعدتها الحلم الجميل الذي تحقق على الواقع وقد إزداد زبائنها وذاع صيتها في المنطقة ، فأول أمر فعلته حققت كل أمنيات أخويها التوأمين في شراء كل إحتياجاتهما البسيطة الكبيرة في نظرهما ، وكان **خالد خير** من تثق به وتعتمد عليه في شراء أي شيء تحتاجه بحكم وجوده يومياً في العيادة القريبة من منزلها ، وكل يوم بعد انتهاء آخر مريض في القائمة يعد **خالد** النقود التي يستلمها من المرضى المراجعين ويرفقاها بقائمة الأسماء ويسلمها الى **سُبل** وهي بدورها تعزل الجزء الأكبر لتسديد الأقساط وراتبه ومصروف البيت ، وبعد ان أطلع على

موضوع ديون الدكتورة عرض عليها فكرة الإشتراك في سلفة وإستلامها مقدماً أيسر لها في السيطرة على المصروفات ثم الإلتزام بالتسديد كل شهر ، فإستأنست بهذا الرأي وعرضته على زملائها الأطباء في المستشفى وبالفعل ومع إستلام الراتب جمعوا مبالغ السلفة ووافقوا على إعطائها الرقم الأول مما جعلها تدفع التكاليف كافة لمنذر ، وقد شكرت خالد على هذه الفكرة الرائعة التي غربت عن بالها وسددت كل تكاليفها ، وأن كانت بالأساس عملية تحويل الديون من منذر الى مجموعة من الأطباء ، وتغير المصطلح من دين الى سلفة وفي ذلك راحة لها ، وقد مرت سنة كاملة على عملها في العيادة وهي تحقق نجاحات متصاعدة في عملها وفي رصيدها المالي ، مما قادها الى زيادة راتب موظفها الذي أعتاد كثيراً عليها وعلى العمل في العيادة ، وقد إعتادت ان تسمع أخباره وعائلته وتعلمه فوجدته سريع الحفظ وسريع البديهة ويؤدي أكثر من دور ، فتارة يجلس في السكرتارية لتسجيل وتنظيم دخول المرضى وتارة يدخل الى غرفة الطبيبية يساعدها في تقديم الأدوات التي تستخدمها لعلاج الأسنان وتنظيف وإزالة مخلفات العمل جراء عملية المعالجة ، وان نشاطه قد نال إعجابها ، وكلما فكرت في تعيين عامل آخر على الأقل للتنظيف ، يرفض ويقول لها أنا أؤدي هذا العمل قبل بدء الدوام لأن المكان صغير ولا يتحمل شخصين .

وذات يوم من الأيام أراد أحد المراجعين أن يدخل عنوة دون الإلتزام برقمه التسلسلي المعد للدخول ، ولكن خالد رفض ذلك بأدب وطلب منه أن ينتظر مثل باقي المراجعين ، لكنه رفع صوته وأتهمه بأنه يريد منه مبلغ من المال حتى يقدم رقمه مما قاد ذلك الى الجدل والعراك وهو يقف أمام الباب رافضاً دخوله بقوة ، مما حدا بالمراجع الى ان طلب إسترجاع المبلغ الذي دفعه الى خالد لأنه لا يريد الإنتظار ، فكان له ذلك وصفا جو العيادة من صوته المتعالي ، وديسبل تسمع لكنها مستمرة تعمل في فم أحد المرضى ، وعندما انتهى آخر مراجع .. وسلمها النقود جلس ليشرح لها ... خالد منزعجاً : هذا يريد الصعود على أكتاف المراجعين دون الإنتظار .

الدكتورة : ولكن قل لي ... هل فعلاً طلبت منه مبلغ من المال ... لقد سمعت صوته وهو يقول ذلك.

خالد متشائماً : دكتورة ... تربيت في بيت يعرف الدين ويعرف الأخلاق ، وأريدك أن تعلمي بأن والدي علمني القرآن الكريم ، وعندما تعلمت القرآن الكريم ، علمني القرآن كل شيء ... وعرفت الحلال والحرام منذ نعومة أظفاري ، فكلامك يا دكتورة أفسى من القساوة على قلبي ولم أنتظر ذلك منك .

الدكتورة مبتسمة : لا تنزعج ... أحببت الإستفسار ... عن سبب هذا الإدعاء ولا أقصد الشك البته .

جاء الخميس لينهي الإمتحانات المرهقة لكل طالبات ثانوية الرحمة ، وقد اجتمعن لتوديع بعضهن البعض وإلتقاط الصور التذكارية ، وقد أتفقن بعدم النقاش في أسئلة الإمتحان وتنفس الصعداء ، خرجت سبأ من الإمتحان متوجهة صوب الساحة وإنضمت الى الطالبات ولاسيما **أنصاف وهيفاء** ، وإستخرجت كاميرتها من حقيبتها بإنتظار أيار ، فطلبت منها **هيفاء** بلهفة الإطلاع على كاميرتها الرقمية اللمس وكيف تلتقط ، وكيف توجد الصور فيها وبإلحاح فوضعتها بين يديها وراحت تقلب الصور وهي مسرورة لأنها لم ترَ مثلها ، وكلما رأت صورة طلبت منها التعليق وبإلحاح وهي ضاحكة مما أثارت فضول الطالبات اللاتي تجمعن قريبا لرؤية الصور الفنية ذات الجودة العالية الدقة وحتى **لينا** كانت موجودة وأشرت في المشاهدة و**هيفاء** تارة تمدح وتارة تقدح الصور بمزاح وهي تقدم الكاميرا أمام أعينهن للتركيز على الصورة التي تعلق عليها ، وقلب سبأ مشغول بأيار وأنظارها مصوبة الى الصفوف بلهفة لماذا تأخرت هل معقول بأنها وجدت صعوبة في الأسئلة ؟ وراحت الوسواس تأخذ جانبا منها ، مما دفعها الى التحرك خطوات بإتجاه الصفوف لعلها تراها خارجة لتبدأ بتوثيق الصور لمثل هذا اليوم وبقيت واقفة تنتظر ، فيما بقيت الكاميرا بيد **هيفاء** و**أنصاف** ، وحالما لمحت **لينا** الصور وأطمأنت من إنصراف سبأ أشارت الى المجموعة بالمجيء للمشاهدة ، وحالما وصلوا مبتسمين مجاملة ل**هيفاء** التي راحت أناملها تحرك أنامل

القدر فظهرت الصور الكثيرة التي ألتقطت في مناقشة مروة ، والكل تساءل ... من هذه ... أنها مروة عمه أيار ... وهذه سبأ تتوسط العائلة ... يا لها من أجواء بهيجة ممتعة ... ولماذا .. خبأت أيار هذه المناسبة .. ولماذا فقط الدعوة لسبأ ، مما قاد الى الجدل بينهن وقد أعتلى وجوههن الوجوم والعتب والتساءل ... التي حاولت أيار أن تتأى بنفسها عنه وقد أكدت على سبأ ذلك في ذات اليوم الذي جرت فيه المناقشة ... التي وعدتها بكتم الأمر ... وأنها محط ثقة .

ولم يهدأ لها بال حتى رأت أيار من بعيد وقد شقت الإبتسامة محياها وتمسكت بيدها شادة عليها قائلة : حبييتي قلقت عليك ... لماذا تأخرتني ..؟!
 أيار مبتسمة : حبييتي لا داعي للقلق ... فقط أردت إستثمار الوقت المتبقي ليس إلا .
 سبأ : الحمد لله أنشغل فكري عليك ... والآن لنطوي ..صفحة الإمتحانات الكئيبية ...
 تعالي لنلتقط الصور التي توثق آخر يوم جميل في هذه الإعدادية كما أتفقنا .
 أيار مبتسمة : حسناً ... وثقي أيتها الصاحبة الطيبة وأختاري المكان الذي يُعجبك .
 سبأ مبتسمة وهي تشدُّ على يدها : تعالي ... تعالي .. كاميرتي عند هيفاء التي تشبثت بها .. وأشارت الى حيث هي واقفة والتجمع قريبا ... علماً بأن الساحة تعجُّ بالمجموعات من الطالبات لأنه آخر يوم .
 أيار ضاحكة : الأ زلتِ ... تتقين ... بطبيعتها الفطرية ... أعتقد ... بأن كل صورك تم مسحها لأنني لا أعتقد بأنها تجيد استخدامها ... فكيف تتركينها بيدها .
 سبأ : لا ... لا تكثرني فأنا صاف قريبا وهي تجيد استخدامها ... ثم أنني أعرف برنامجاً يسترجع الصور في الكاميرا حتى وأن تم مسحها ... أطمأني ... وما أن وصلا ... حتى جابهت المجموعة أيار ... معاتبة بشدة ... حول أخفاء موضوع مناقشة مروة ...
 ولماذا الدعوة فقط لسبأ .. كما هو واضح بصور الكاميرا .

وبما أن خالد يعمل في السوق صباحاً في البقالة ، عرض على الدكتورة سُبُل أن يتولى مهمة التسوق لعائلتها وهو مسرور بهذا العمل ، فوافقتة الرأي لأن فيه راحة لوالدتها من الذهاب الى السوق ، مما وسَّع نطاق تعارفه مع العائلة وقد أحبه

الجميع ونال رضا الوالدة والتوأم ، وفي مهمته الجديدة هذه دخل البيت من خلال إدخاله المواد الغذائية الى المطبخ وهو الشاب المستقيم الغاض للبصر الدمث الأخلاق ، وراحوا يعتمدون عليه في كل شيء تحتاجة العائلة وفي هذا الإعتماد مصدر لسروره وراحته النفسية ، وكما أسلفنا عند نهاية العمل يجلس ويكلمها عن يومه ، وبالمقابل سُبُل أعتادت على هذه الجلسة لتستخدمها كموضوع للحديث والنقاش مع مروة في الحديث شبه اليومي .

الدكتورة : أن الوالدة معجبة بك جداً ... وتُثني على تسوقك ... فقلت لها ... بالطبع فهو بقال محترف ، وأكد يقتني المواد الغذائية بإحتراف ودقة ... لأنه أبن سوق .
خالد ولم يعجبه التعليق : لم أكن أتمنى يوماً من الأيام هذه الوظيفة أو هذا الوصف ولكن الظروف تحتم على الإنسان ان يعمل أي عمل ليسد رمقه وعائلته .
الدكتورة لاحظت علامات الضيق التي إرتسمت على وجهه : خالد لم أفهم ... كلامك ... لقد نقلت لك إطراء الوالدة ... ولكن ردك مبهم .

خالد : الذي أردت إبعاله لك يا سيدتي بأني لم أتمن يوماً أن أعمل في السوق ، أو أسمع أي شخص يسميني أبن سوق ، لقد مات والدي وأنا في الخامس العلمي ، ولي والدة وخمسة أخوة وأنا أكبرهم ، ونعيش في منزل للإيجار فضحيت بمستقبلي من أجل عائلتي ومن أجل أن يكمل أخوتي دراستهم .

الدكتورة مبتسمة بهدوء : خالد ... أنا عندما وصفتك بأبن سوق لم أقصد الإساءة البتة أقسم لك ، ونحن (الأكاديميين) نصف كل من يعمل بالسوق بهذا الإسم ، ليس للإساءة أبداً وإنما للوصف ، وأنا قلتها لك بقصد مدحك وليس قدحك ، وإن كل من كان بظرفك سيفعل نفس العمل الذي أدبته ونجاح أخوتك يعني نجاحك ، وأنا أعتذر لك لأنني لم أعرف بأن هذا المصطلح يؤذيك ... وأرجوك أطلعني على أي مصطلح آخر يؤذيك قد أتلفظ به عن حسن قصد ، وإعلم بأن الحياة ليست وردية للجميع ولكل من الناس متاعبهم ومشاكلهم وقد تكون أنت أفضل المئات ... من الناس ... ومن يطلع على مشاكل الناس تهون عليه مشكلته .

خالد وقد تبدد ضيقه : لا ... دكتورة ... أنا أعتذر ... لك .

الدكتورة : أعلم يا خالد بأنك كفوء في عملك وتمتلك المقدرة على وضع منهاج تسير على وقته ، ولاحظ كيف تخطط ليومك لعملك في الصباح وعملك في المساء ، أذن أنت أنسان ناجح ورائع وبار بوالدتك وعائلتك وهم أكيد ومؤكد يفخرون بك ، وأنت في مرحلة تستطيع فيها أن تواصل مسيرتك العلمية وأنت بمستواك هذا قادر على الإجتياز، وإذا كان أسم أبين سوق يزعجك فلا بد من الدراسة .

خالد مبتسماً : كيف يا دكتورة لقد تقدم بي العمر وضعفت الذاكرة ثم ليس لي وقت للمدرسة .

الدكتورة ضاحكة : ماذا ماذا تقدم بك العمر .. وكم عمرك يا رجل يا عجوز !!؟!

خالد مبتسماً : سبعة وعشرون سنة .

جابهت المجموعة ... أيار ... معاتبة بشدة ... وبمبالغة عنيفة ... حول إخفاء موضوع مناقشة مروة ... مستغلة الموضوع لأثارة ضجة ، ولماذا أيضاً في مثل هذا اليوم الذي يجب أن نتوابع فيه بكل هدوء ونقاء ... تأتينا سباً ... بالصور التي في داخل هذه الكاميرا اللعينة ؟، ولماذا تستمر في أدوارها التمثيلية التي تغيضنا .. ها قولي لنا لماذا .. لقد طفح الكيل ، لم نكن نتوقع منك التجاهل والإهمال وضرب كل وجوهنا عرض الحائط ، والسير وراءها كالأعشى الذي يتخبط خبط عشواء دون أن يهتدي الى الطريق الصحيح لقد تعبنا من هذا الإزعاج المتكرر ، لقد تعبنا من هذا التمثيل المفضوح فإذا كنت أنت قد أخفيتي الأمر وتكتمي عليه فلماذا تزعجنا في مثل هذا اليوم الختامي ؟؟ فقد كانت الصدمة قوية على أسماع أيار التي وثقت بسباً وطلبت منها الإحتفاظ بالأمر ليس خوفاً وإنما تجنب لمثل ردود الأفعال هذه ، أما سباً فقد كان الوقع عليها أشد وأبلغ لأنها تبدو بنظر أيار بذات الوصف للمجموعة تؤدي دوراً تمثيلاً محبوباً وإلا لماذا في مثل هذا اليوم، تترك الكاميرا بأيادي الطالبات، وهي تعرف تماماً بأن صور المناقشة موجودة، فللوهلة الأولى إلتزمت أيار الصمت وهي مصعوقة لا تعرف ماذا تقول وكأنها في كابوس أمام هيفاء فراحت تتهياً للدفاع عن سباً.

سباً متأثرة ومتوترة وبغضب : أحترمي نفسك يا هبة ولا تزيدي الطين بله ، وأرجوك أيار أسمعيني أولاً .

لينا : طفح الكيل يا ... سباً ... وأنكشفت مآربك ...والحقيقة أن أيار مخدرة بتخدير ساحرة مشعوذة .

هبة : أنا .. أعذرك ... فأكيد ... عذرك الذي تتوين قوله أقبح من فعلك .

سباً بتوتر : أحرصن جميعاً ... يا منافقات ... فأيار ستسمعني ولكن ليس أمامكن ... أوليس كذلك يا أيار ؟

هند : ماذا ... ستقول ... أتركي الفتاة وشأنها ستسببين لها الجلطة .

لينا متظاهرة بالتأثر : لقد خاب ظني فيك يا أيار ... كم كنت أتمنى أن أرى المناقشة ... وكلما سألتك تقولين لي لم يحن الوقت ... يعني كذبت علي ... فكيف يمكن أن أثق بك ... طوال كل هذه المدة وأنت تخدريني بجرعة الكذب وقد مرّ على المناقشة شهران بحسب التاريخ الموثق أسفل الصورة في الكاميرا .

هيفاء غاضبة بشكل يثير الضحك وهي تتأهب للرد : والله التي تقترب من سباً ... سأمزقها بأظفاري .

هبة بسخرية : أيتها الفلاحة لسنا في الريف ... لنتعارك ... أنأي بنفسك أفضل لك .

سباً : أحرصن يا رقيقات السوء والنميمة ... والفتنة ... الفلاحة تشرفكن .

أيار وهي ترتجف بتوتر : سباً .. الكتاب يُقرأ من عنوانه كما يقول المثل ... ماذا .. قلت لك حينها ... ولماذا ... تستمرين في قتل البسمة على شفاهي ؟ ولماذا تعاقبيني على حبي الصادق لك ؟ ، ولماذا هذا الدور الدرامي المبالغت ؟ وأنا الغبية ... صدقت أنك المنشغلة عليّ وتنتظريني ، أراك تنتظريني لرؤية هذا المشهد الكئيب ؟؟

سباً متشبثة بها : أيار ... أرجوك لا تصدقي كلامهن الماكر وأنت تعرفيني جيداً ... أرجوك ... لا تنزعزع ثقتك بي .

هبة غاضبة : أجيبها لماذا التهرب قولي بأنك تقصدين رؤيتنا للصور لماذا الخوف ؟

سبأ وقد إزداد توترها وأحمرت عيناها : ومن أنت ومن تكونين لأخاف منك ؟ نعم أيار دعنتي للمناقشة ، ولم تدعك وأنت رأيتي الصور بأم عينيك الماكرتين ، وشاهدتي البسمة والإنسجام وأنا اليوم أريكن ما تمنيتن رؤيته على الواقع ، وأيار طلبت مني إخفاء الأمر لكني أردت لكنّ الإغاضة والسخرية لأنكّن أهل لذلك .

فلم تصدق أيار ما سمعت ... وسحبت جسدها بهدوء وقد أحمرت عيناها وهي تقول لها ... مع بالغ الأسف ... أن الذي كان بيننا لم يكن حباً ... نزوة عابرة وتصفية حسابات ... أعتذر لنفسي ... على هذه التجربة الخاسرة ... وهذا فراق بيني وبينك ... وسلام على الدنيا يا سبأ ... وراحت مسرعة والدموع تنحدر من عينيها ولم تنبس بكلمة ... والمجموعة تسرع خلفها بسعادة بالغة على نجاح خطتها الأخيرة الممتلئة بالمفاجآت ، وحالما وصلت باب المدرسة ... رمقت سيارة قتيبة فأسرعت الخطي وركبت السيارة وهي تمسح عينيها بيديها ... أسرع أرجوك .

قتيبة بقلق : ماذا ... حدث ... هل أنت على ما يرام .

أيار : نعم أكيد ... بخير ... لكني لم أفصح في الإجابة .

قتيبة : كم سؤال تركتي .

أيار : أجبت عن كل الأسئلة ولكني لا أعتقد بأن أجابتي سديدة بحسب آراء الطالبات .
قتيبة مبتسماً : أفرغتني أنها مجرد وجهات نظر وأنت خير من يقرر فيما إذا كانت أجابتك صحيحة أم لا بمجرد أخذك قسطاً من الراحة، وإسترجاع المعلومات بالإستعانة بالكتاب سنتعرفين أجبتك، أما الرجم بالغيب يبقى مجرد تكهنات غير واقعية، لا تؤخذ بنظر الإعتبار وراح قتيبة يتكلم، وأيار تنظر وعلى عينيها غشاوة وعلى أذنيها وقر وراح شريط ذاكرتها يسترجع المعلومات، وكأنها راجعة من معركة ضارية خاسرة.

كان حال سبأ أشدّ وطأة على نفسها ولا تعرف كيف باغتتها الظروف وكيف أنقلبت العاطفة الرقيقة الى عاصفة رهيبة ورياح عاتية ، وكأنها فصلت روحها عن جسدها ، ورفعت رايات النصر لرفيقات السوء بعد مئات المحاولات التي باءت بالفشل ، لكن هذه المرة صعبة لاسيما عندما فقدت أعصابها وأعترفت زوراً على

نفسها بأنها متقصدة لهذا العمل وهي التي قد نسيت وجود صور المناقشة في الكاميرا ، ولم تعتقد بأن الأمور ستؤول الى ما آلت إليه اليوم ، ولم تجد سوى الوسادة تحكي لها وقد أبتلت من دموعها ، نامت كل العيون وشخير أخواتها يملأ الغرفة ، وقلبها يعتصر المأماً لما جرى ، وهي تراجع أحداث اليوم وبالذقة المتناهية وكأنها تحرك الفلم وتعلق على كل لقطة أرادت الوقوف عندها ، وراحت تكلم نفسها حيناً ، وحيناً آخر تكلم أيار ، أيار أقسم لك بأني بريئة ... والله اني بريئة ولينتك تدركين ذلك ... ولينتك تدركين بأن رفيقات السوء ، وجدن الكاميرا في يد البلهاء وعندما وقعت عين أحدهن على الصورة استخدمن الأمر لضربي ونجحن في ذلك ، وأنا بغباء ، فقدت أعصابي وأعترفت زوراً بأني خططت للأمر كم أنا غيبية ... نعم سأتصل بها غداً .. وأوضح لها الأمر من الألف الى الياء ... نعم أنها مجروحة الآن وتعتقد بأني خططت للأمر .. وأني مخادعة كما قالت نزوة عابرة ، أي كالفقاعة الجوفاء خالية المحتوى ، هذه أنا بوصفها ، لكني سأتصل بك يا أيار وسأشرح لك الأمر ، لكن السبب سببي لماذا لم أمسح الصور عندما حولتها الى الحاسوب ؟، كان عليّ التأكد من خلو الكاميرا من الصور قبل أن أخذها معي الى المدرسة ، لم أتصرف بحكمة من البداية ، ولو كنت تصرفت بحكمة لما وقعت بمثل هذه المشكلة التي أقضت مضجعي وأعتقد مضجع صديقتي الحبيبة كذلك .

الجزء الخامس والثلاثون

واصلت زكية سردها لقصة ولاء بحسب طلب مروة التي راحت تتحرق شوقاً لسماعها ، وكما أسلفنا بأن **عابد** لم يرعو عن الطلب من والدته الرجوع الى والده وإنه جاء معه لأجل ذلك الغرض والسفر معهما وإكمال حياتها معها في استراليا وعليها ان تضحى لأجله ، وإستثمار هذه الفرصة التي يعرضها عليه وان تصفي متعلقاتها في العراق ولاسيما الإستقالة من الوظيفة وتبرئة ذمتها من كل شيء ، وبالفعل وتحت وطأة تأثير ولدها وإلحاحه وافقت والدموع تتزاحم على أولادها الثلاثة الذين سيبقون في العراق وكيف ستتحمل فراقهم ، وافقت مكرهة على الرغم من رفض **عصام** القاطع لهذا الرجوع غير المبارك بحسب وصفه ، إلا أنها طلبت منه أن يوافق ، فترك الأمر لها ولأختيارها دون موافقته أو حضوره حتى ، وبالفعل أستغل **عابد** ووالده هذه الموافقة غير المتوقعة والتي لا تخطر على بالهما وبالسريعة القصوى لئلا تغير موقفها وليس لديهم من الوقت إلا ثلاثون يوماً ويسافرون ، وقد توارى **صدقي** عن الأنظار ... ولا يُعرف أين ذهب !

مروة مبتسمة واضعة قبضتها تحت خدها : سبحان مغير الأحوال ... تعود له بعد كل هذه المراحل التي مرت بها مع عدد من الأزواج ... وعدد من الأولاد ... مع أحترامي لرأيها ... اعتبره ... لحظة ضعف ... ولا أعتقد كما سترتاح ... ذرفت الدموع على ولد واحد واليوم تسافر معه وتترك وراءها ثلاثة أولاد تعودت على رؤيتهم .. فأين الرأي السديد والحكمة وكيف تترك مصدر رزقها ... المهم ... أكملني رجاءً .

زكية : وبالحال أحضر الشيخ الى بيتها ليعقد قرانها من جديد و**عابد** لا يكاد يصدق والفرحة لا تسعهما ، ومباشرة أستأجروا شقة مؤثثة لمدة شهر وانتقلت معهما للعيش في هذه الشقة ، وراح زوجها الأسبق يكلمها عن شوقه لها ولوعته على فراقها وانه لم ينسها يوماً من الأيام ، وأن حبه لولدها **عابد** شئى ولأولاده الآخرين شئى آخر لأنه ابن الغالية التي تمنى من الله ان يجمعه بها يوماً من الأيام ولو في لحظة حلم ، وأنه وعدها بأن ينسيها كل أيام الحزن والأسى التي عاشتها ويبشرها بأيام أخرى أكثر

سعادة ، وليس لديه أي ممانعة أن أرادت العمل هناك وبحسب أرادتها ، وأنها ستعيش في منزل ولدها كخطوة أولى .

مروة متنهدة : أخشى أن لا تنسجم مع كنتها ... والمضحك ان هذه الكنة ستفاجيء بعمه لم تنتظرها ولم تتوقعها ... ستقيم معها وتُعكر استقلاليتها ... كما حدث عندما دخلت ساجدة بيتها ، عندها ماذا ستفعل؟؟

زكية : المهم ... قضوا ثلاثة أسابيع في كردستان العراق للتنزه والإستجمام ولم تكن أم عابد زارت شمال العراق من قبل ، فشعرت بالسعادة لأول مرة في حياتها بهذه السفرة وبهذه الأماكن التي لم تكن تراها إلا على شاشة التلفاز وتتمنى زيارتها ، وها هي أنامل القدر تحرك عدسة حياتها بالتنزه من الجنوب الى الشمال ، وقد ألتقطوا المئات من الصور التي سيحتاجونها لإستذكار هذه الأيام التي قد لا تعود ، لكن الحياة مهما أتسعت وتشعبت أطرافها تبقى قصيرة دانية المنازل وما أقل الأوقات الحلوة في حياتنا ، المهم الآن انتهت السفرة وعادوا ، فطالبت أم عابد بتوثيق عقدها الشرعي في المحكمة ، لكنه راح يماطل ويسوّف ، ولم يتبقي إلا خمسة أيام على السفر فصارحها بالحقيقة، بأنه لا يستطيع أن يعقد قرانها في المحكمة وذلك لأنه متزوج كما تعرف هي، والقانون في استراليا يمنع منعاً باتاً الجمع بين زوجتين وسيجعله ذلك تحت طائلة القانون، لكنه هياً لها جوازاً جديداً يمكن ان تخرج به من العراق عبر مطار أربيل .

أما أيار فحالتها مزري تبدو وكأنها مريضة بشحوبها وشرودها الذهني ولم تجد ملاذا لها سوى الهرب الى مروة والبقاء معها لليوم التالي بإعتقادها أن مشكلتها تتطلب المزيد من الوقت لذلك أبلغت ذويها بأنها ستبيت في بيت جدها لأجل غير محدد ، ما دامت أنهت أمتحاناتها المرهقة فذهبت عصراً ... وقد قضت معهم وقتاً طيباً وبعد العشاء ... ذهبت مروة الى الحديقة حيث جلستها الخميسية ... وبالحال جاءت زكية محببة وهي تحمل العصير البارد ، فشكرتها ... قائلة مبتسمة : أشكرك عزيزتي ... فلننجل لقاء اليوم الى الإسبوع المقبل ، فاليوم نحفني بالغالية أيار ... حسناً ...

مروة : أراك مكدره خاطر ... وليس حالك حال من تخلص من إمتحانات مصيرية .

أيار متنهدة : أكيد ... كان يوماً مأساوياً بجو مكفهر ... لذلك أتيتك .
 مروة : حسناً عزيزتي أسمعك ... تكلمي فرغي ما بصدرك ... وبينما هي تتكلم رن
 نقالها فإذا هي سُبل تتصل ، حياك الله صديقتي الحبيبة أشتقت إليك كيف حال العيادة
 وحال خالد .

سُبل مبتسمة : الحمدُ لله رب العالمين ... أنا بخير وخالد رائع ... ومخلص في عمله
 ... ثم .. استطردت قائلة : من قربك ... أسمع صوت .
 مروة : هذه أيار ... ونحن جالستان في الحديقة .

سُبل ممزحة : أيار ... كم أغار منها ... اليوم لا أستطيع أن أكلّمك براحتي .
 مروة : وهي أيضاً ... تسلم عليك حبيبتي .
 سُبل : تقصدين ... أنصرفي ... الآن حسناً سأتصل لاحقاً بعد ساعتين أو أكثر.

مروة : نعم ... أنهت الإمتحانات اليوم ... وجاءت لتبيت معي الليلة .
 سُبل مبتسمة : كذلك ... ستحرمني حتى من الإتصال بعد ساعتين .
 مروة مبتسمة : أعذريني عزيزتي .. لأنني مقصرة معك .
 سُبل متنهدة : ما أفعل حكم القوي على الضعيف سأنتظر إتصالك عندما تتحررين الى
 اللقاء .

مروة مبتسمة : أسعدني سماع صوتك ... أشكرك على إتصالك الرائع أكيد أكيد الى
 اللقاء ثم وجهت كلامها الى أيار تسلم عليك وتتمنى لك النجاح والكلية التي تتمنيها ان
 شاء الله .

أيار : أشكرها نيابة عني ... ولكن بالمناسبة ... أن أسمها غريب ... سُبل ... وغير
 مألوف ... ولم أسمع في حياتي المدرسية قط طالبة أسمها ... سُبل ... فإنصحها
 بأن تغير أسمها ... حتى أنه لا يصلح كأسم ... وليس له معنى محدد حتى .

مروة مبتسمة : أولاً يا عزيزتي أسمها رائع ورقيق وراقي وخفيف ومحبب للروح ...
 وكما يقولون أسم على مسمى ، ويكفيها فخراً بأن أسمها مستخرج من درر القرآن
 الكريم في قول الله تعالى : { { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم

مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾}} سورة المائدة ،
وأن معنى سبيل السلام هنا يعني الطريق الى الجنة ، هذا فضلاً عن أن سبيل جمع كلمة
سبيل والسبيل يعني الطريق ... المهم ... كلميني الآن عن سبب كآبتك .

أيار متتهدة : عندما ننصرف الى الغرفة سأحدثك .

مروة مستغربة : وهل الخطب جلل لا تُخيفيني ... أرجوك .

أيار : بالطبع لا ... ولكن أخشى أن لا أتأثر ويراني أحد .

مروة : وهل الأمر متعلق بصديقتك سبياً ... وزعل كالمعتاد .

أيار متتهدة : نعم الأمر متعلق بسبياً ... ولكن الأمر اليوم ليس زعل كالمعتاد .

مروة : الحمدُ لله أرحتي قلبي تكلمي حبيبتي فلن يراك أحد والدي لا يُحذان السهر
وهما قد ناما الآن وقد أعتادا على جلستي هذه كل خميس مع زكية فأطمئني تكلمي .

أيار : وبينما أنا خارجة من الصف تنفست الصعداء ... لأنه آخر يوم للتعب لمحت

سبياً ... وهي تنتظرني من بعيد (وراحت تستذكر الحدث من الألف الى الياء) ، وقد

أرهقها الحدث والحديث فترقرقت عيناها بالدموع قائلة : والذي ذبحني من الوريد الى

الوريد أنها أترفت بملء فمها بأنها تقصدت هذه المشكلة تعظيماً لدرجة الرياء التي

تتصف بها وعلى الرغم من أنني أكدت عليها أن تتكتم على الخبر ، إلا أنها بمثابة

إفشاء السر ، وأنها لم تحترم كلامي .

مروة : هدئي من روعك أرجوك ... أشربي العصير البارد أولاً ولنتناقش بروية ،

عندي نقطة نظام يا أيار ... الأمر ليس إفشاء سر ، ولكن السؤال معذرة لماذا الخوف

من معرفة المجموعة بدعوتك لسبياً؟؟

أيار معترضة : ماذا خوف ؟ ولماذا الخوف ؟، لكنك قلت لي أنفاً بعدم التصادم مع

المجموعة وليس من الرشادة فتح جبهات عديدة في نفس المكان ، وقلت لي أسحبي

نفسك بهدوء دون الإعلان عن خطة الإنسحاب لاسيما ونحن جميعاً سنفترق ، لذلك لم

أحب أن أجابه بمثل هذا الموقف اليوم ، وإتهامي بالكذب والتجاهل ...إلخ ، ثم أنني

أخذت منها موثقاً بعدم التحدث في الأمر وهي أكدت لي ذلك ، فكيف تتنصل من ذلك .

مروة : لكنك تقولين ... بأن الجدل إحتدم بينهن ... ولا تنسي مجموعة ضد واحد ... وتحت وطأة الشعور بالألم وفي لحظة غضب ... أيدت سباً كلام هبة ... أي أنها لم تبدى معترفة بالخطأ ، وإنما أكدت مزاعم هبة التي أعرفها من خلالك بأنها رفيقة سوء وتعمل جاهدة على الإجهاز على علاقتك الطيبة مع سباً وأنا في الحقيقة لاحظت الطالبتين ورأيت الفرق بينهما كالفرق ما بين السماء والأرض .

أيار : نعم لا خلاف على كلامك .. ولكن الذي جمد الدم في عروقي ردها المتكابر ... وأفشائها لكلام جعلني بحجم حبة الخردل أمام الطالبات اللاتي كن متجمهرات للتنصت والفضول ... وردها .. العنيف يا عمتي ردها العنيف ... المتحدي ... غير المتعقل .

مروة : ألا تعتقدين ... بأنها شعرت بالغيرة لأنك تُحابين وتُجاملين وتكثرين لأمر المجموعة على حساب مشاعرها ، دون الإهتمام بمجرد تسفيه الأمر وعده طبيعياً مما جعلها كقنبلة أُقتت بالإتهامات التي وجهت إليها ألا تعتقدين ذلك؟! ألم تتصل بك لتسمعك سبب ثورتها.

أيار : أخرجت الشريحة من نقالي وحطمتها ورميتها في سلة المهملات ... وسأغير صفحتي على الفيس بوك وإيميلي ... لا أريد سماعها ... لا أريد سماعها .

مروة : لكن ... الأفضل سماعها ثم إصدار القرار النهائي بناءً على ما سيتم التوصل إليه من أستنتاجات ، ولا يجوز أبداً اتخاذ القرارات جزافاً ... حتى وأن تكلمت بكلام غير عقلاي وغير منطقي فلا تنسي ... أنها تكلمت تحت وطأة الغضب والغيض الموجه من المجموعة ... هذا رأيي ولك بالطبع القرار النهائي ... والآن وبعد هذا الحديث المشحون بالألم لنتوجه صوب الغرفة ونصفح الفيس بوك .

بدأت أيار بتفقد صفحتها فرأت بالحال بريدها ممتلئاً بالرسائل .. فأعتقدت بأنها معروفة المصدر وتحت تأثير الغيظ والألم ألغت صداقتها لسبباً ولكل الطالبات دون إستثناء ، وغيرت أسمها من معلوم الى أسم مجهول لا يمكن التوصل إليه مهما بحثت ... فسالت دموعها .. ومروة ترنو إليها ... وهي تجري هذه

العمليات ... فقالت لها : لماذا التسرع في مسألة الإلغاء ... ولو قرأتني الرسائل ... لرأينا على الأقل الآراء فيما حدث.

أيار : لقد خيبت ظني بها وجرحتي جرحاً عميقاً وقاتلاً لا يُحى أثره ، وبينما هي متأثرة أستذكرت **هيفاء** وهي متأهبة للدفاع عن سبأ وصد الهجوم أن أقتضى الأمر .
مروة مبتسمة : طيبة بالفطرة ولكن تسببت في نشوب الصراعات لأنها لا تُحكّم العقل .
أيار متنهدة : سأنسى الثانوية بتفاصيلها ولن أتألم على وهم وسراب لأنني قوية وسأسفه الأمر وكأنه لم يحصل .

مروة : أرجو ذلك ... ولكن تذكرني أن الحب الحقيقي لا يموت إلا بموت الإنسان ، فأخذت تقلب مجاميع الصور في حاسوبها كل صورها موثقة ، صورها المدرسية والجامعية وسفراتها وكل لقطة تركت في نفسها الأثر الجميل والإبتسامة الرقيقة ، حتى وصلت الى صور المناقشة وجعلت التصفح تلقائي ، والإبتسامة تشق محياها وهي تنظر الى نجاحها وتألّفها وفرحة الأهل والأحبة الى وصلت الصور التي أظهرت سبأ وهي تتشبث بيد أيار وكأنهما في إرتباطهما الطفل والأم ، وحالما رأتها أيار أنهمرت دموعها من جديد ولم تستطع السيطرة عليها لأنها كالغيمة الممطرة التي لا يمكن أن تتجمد أو تتبخر بين عشية وضحاها ، فإستطردت **مروة قانلة :** وهل تعتقدن .. بأن هذه الدموع ستتحجر في مقلك مع الوقت ... ما بكاؤك إلا شوق لها ... فأمنحيتها الفرصة الأخيرة للتعبير عن رأيها حتى لا تشعري بالندم .

أيار : لا أريد الإستمرار مع أي طالبة بالإجمال فكلهن ماضي سأتغلب على مشاعري وسأنتصر على نفسي فكرامتي أغلى من كل هذه المسميات وهي لم تحترم هذه الصداقة ولا هذا الحب وهذه الثقة وأرجو منك مسح صورها وعدم الإحتفاظ بها فلا أراها تستحق أن تكون بيننا من اليوم سأعتبرها ماضياً ولى دون عودة .

مروة : أعلمني أن صور من تُحب ليست مادية نتلمسها بأيدينا بل روحية نشعر بها ونراها حتى في الظلمة لأنها في دماننا وسويداء قلوبنا نعيش أجواءها ، وإن لم يكن للأخرين مكانة في قلوبنا وبصمة في حياتنا حتى وأن رأينا صورهم مراراً وتكراراً

فلا يحرك وتر مشاعر ولا حنين ، ولكن كما يقولون الأيام بطبيعتها كفيّلة بالنسيان ولاسيما عندما تتوارى الوجوه عن الأنظار والتاريخ مليء بالصور ، وأكد ستقبل عليك الجامعة بفضائها الواسع وجوها المليء بالوجوه من كل حذب وصوب ومن كل أرجاء العراق ، وأنا متأكدة وكل التأكيد بأنك بذكائك وجاذبيتك ستكوينين محط الأنظار وكل الطالبات سيتمنين صحبتك وما عليك سوى الإختيار من تتوافق معك خُلقاً وأدباً وأخلاقاً ... وستستسين الماضي وتعيشين الحاضر .

خالد : دكتورة سُبل لم أنم ليلة أمس وقد قضيت الليل بطوله للتفكير في مسألة الدراسة الخارجية التي عرضتها عليّ ... ووجدتها فرصة ذهبية ... ولكن أعتقد بأنني سأدور في حلقة مفرغة .

الدكتورة : ولماذا ... ستدور في حلقة مفرغة ... لم أفهم ؟

خالد متنهداً : أقصد الوقت الضيق ... ففي الصباح أفضيه في السوق ... والعصر هنا ... وعندما أعود الى البيت أنام من شدة الإجهاد وأنا جالس فمتى أدرس أكيد سأفشل .
الدكتورة مبتسمة : إذا أردت الدراسة ستدرس ... أي ستولد في نفسك الرغبة للوصول ... أنا لا أقول لك بأن الطريق هين وسهل ومفروش بالورود ... ولكنه غير مستحيل ... ويحتاج الى جهد وإجتهد ومثابرة وجهاد بمعنى الكلمة ... وأنا أثق بأنك ستحقق الهدف الذي تصبو إليه ، فالسؤال الذي أوجهه لك من جديد ... مشيرة تجاهه بسبباتها ... هل تريد ان تكمل الدراسة ؟ أجب بنعم أو لا .

خالد مبتسماً : نعم ... وأشكرك على ثقّتك ودعمك الذي يجدد في الطموح السابق .

الدكتورة : أذن توكل على الله ... وأذهب في الغد الى مديرية التربية ولتكن ثقّتك بنفسك عالية .. وتذكر دائماً بأن الله تعالى خلق أعيننا في مقدمة رؤوسنا .. حتى نتقدم ولا نلتفت الى الوراء ... المهم الآن تحصل على الكتب كاملة .

خالد : أن شاء الله ... سأذهب غداً صباحاً ... وجميل هذا القول وبالفعل أعيننا في المقدمة وليست في الجوانب ... أما بالنسبة للكتب فهي موجودة ، فأختي ملاك الآن في

السادس العلمي ... وأعتقد بأنها ستضحك عندما تسمع بأني سأعود الى المدرسة وأنا في هذا العمر .

الدكتورة : أ ... عظيم عظيم ... أذن بإمكانك الإستعانه بها أو حتى الدراسة معها المهم الآن أن تبدأ بالدراسة وبدقة متناهية... وتسال عن المواضيع المبهمة ... أنا ظننتك في اللقاء السابق تتمازح حول مسألة العمر ، لكني اليوم عرفت بأنك ترى نفسك بعمر كبير لأنك الأخ الأكبر ولأنك المعيل ، مهما كبر عمر الإنسان تبقى حاجاته متجددة وواعية ولاسيما طلب العلم فهو فريضة على كل مسلم ومسلمة ويقول أيضاً سيدنا محمد (ص) : (**أطلب العلم من المهد الى اللحد**) ، وليس هناك عمر يحد من طلب الإنسان للعلم والتعلم ، ولو دخلت الى الجامعة في الدراسات المسائية ستري الطلبة بعمر والديك ... يكملون الدراسة الجامعية لأجل التعلم أولاً ... ولتعديل الراتب الوظيفي ثانياً ... وأنت ستكون أصغر طالب فيهم .

خالد متهداً : سأحلم الليلة وكأني في الدراسات المسائية ... وزملائي من الكهول ... وأنا الشاب الوحيد بينهم وهم يتكئون عليّ في كل شيء .

الدكتورة : وعندما تستيقظ ... تجد كل ما رأيت وهماً وغروراً وسراباً ... أستيقظ ... يا رجل ... فالأحلام جوفاء مضللة وغير واضحة المعالم ، لا أريدك أن تحلم البتة ، كن واقعياً في كل خطوة تخطوها فالدراسة كما قلت لك جهاد وصبر وتحمل وطموح ورغبة وإصرار ومحاولة بلا كلل أو ملل .

خالد : غداً أن شاء الله ... سأدقّ دسار العودة ... والله الموفق .

الدكتورة : اتمنى لك التوفيق ... والسداد والرقى والتقدم .

أقترحت مروة على أيار مرافقتها وذويها في سفرتهم الصيفية الى الشمال هذه العطلة بعد ظهور النتائج وفي حالة النجاح ، وبعد أن عرضت أيار الفكرة على والديها وافقا بشرط النجاح ، وكذلك الأمر لمعاذ الذي ألح بمرافقتهم أيضاً ، وبعد مرور الأيام ظهرت النتائج وبالطبع لكل مجتهد نصيب ، وكل الطلبة يعرفون مستوياتهم كل بحسب إجهاده ، أما بالنسبة لمعاذ فهو مكمل بالرياضيات والإنكليزي

وعليه سقط حقه في السفارة ، وقد تلقى الخبر بكل فرح وسرور لأنه كان يتوقع الرسوب ، أما أيار فقد ثبت حقها بالسفيرة لأنها ناجحة ، وكذلك الحال بالنسبة لسبأ بحسب المعلومات المحملة على النت ، والتي تظهر نتائج الجميع ، فراحت تعدُّ العدة الى هذه السفارة على الرغم من عدم إستساغة أميمة لهذه الفكرة لأنها لا تريد لأبنتها الإبتعاد عنها ولكنها وافقت مكرهة تحت توسلات مروة التي تجد في هذه السفارة فرصة لأيار لتشقى رداء الظلام خارجة الى النور بطور جديد ، في محاولتها الإرتقاء بشخصيتها الى الأفضل حتى وان كان التطوير والتغيير مظهرياً لا جوهرياً وهكذا لتتعدى الأزمة بسلام الى ضفة الأمان ، لتتصهر في بوتقة إتحاد غير طوعي معها ليكون هذا الإتحاد الحبل الذي يسحبها من الدهليز المظلم في كهف خفافيش الحزن لتطلُّ على العالم الأوسع .

وبالفعل سافرت مع عائلة جدها السفارة الأولى لها لشمال العراق وبهرت بمناظر الطبيعة الخلابة كأى إنسان يراها للوهلة الأولى ، وعلى الرغم من أجواء الفرح والسعادة إلا أنها لم تنسَ الحزن المسكون في داخلها ، وأن قررت أن تتأى بنفسها عن أحاديث الآسى ولكن شوقها يخونها دون أن تنتبه فترى لسانها يستذكر اللقطات الجميلة المرسومة في خيالها ، ولاسيما عندما رأت بساط الأزاهير الحمراء في دهوك ، تذكرت لقطه وهي تجلس على هذا البساط السماوي مستنشقة عطرها الأخاذ، فراحت تسرد : وفي ذات يوم لم أكن ذاهبة فيه الى المدرسة ، وسبأ تبحث عني وهي تخبىء وردة جوري ببيضاء رائعة البياض تريد ان تهديها لي وهي أول وردة تزهر في حديقتهم الجديدة في أول تعارفنا على بعضنا ، لكنها بقيت محافظة عليها الى اليوم التالي ولم تسمح لأى طالبة بشمها ، وقد أرجعتها معها الى البيت وجلبتها لي في اليوم التالي واضعة أياها في قرح ماء ، بحسب ما قصته لي وبسبب برودة الجو وقتئذ حافظت الوردة على شكلها ، فإستلمتها منها وقد فرحت بها كثيراً ودسستُ أنفي في ثناياها وكأني غرت في أعماقها متنفسة الصعداء ، لقد فرحت بها لأنها أول وردة تُهدى لي فوضعتها في كأس زجاجي شفاف أبيض فيه ماء على مكتبي

وحاولت أن أحافظ عليها عليها تبقى مدة أطول، ولكن كلنا نعرف بأن الورود وعلى الرغم من جمالها وروعها قصيرة العمر ، وما هي إلا أيام قلائل وقد ذبلت فأخرجتها من القدر ووضعتها على المكتب وكأني أرى سباً فيها ، وعندما جفت أوراقها لم تفقد قيمتها عندي ، لفتتها في منديل ورقي ثم وضعتها في إحدى القصص التي أحفظ بها لتنام قريرة العين بسلام ، ثم أستطردت قائلة متتهدة : ولأن أحفظ بها داخل هذه القصة ، وكلما فتحت القصة وكأني أشاهد هذا المشهد الجميل المليء بالسعادة .

مروءة مبتسمة : سرحة ذهنية رائعة ... وقد قرأت في الفيس بوك قبل مدة حكمة رائعة ومُعبرة ولا بد لك أن تستفيدي منها : (الورد لا يبوح لحاجته للماء ... أما أن يُسقى أو يموت بهدوء ...) ، فأرشيف الذاكرة خالد بكل الأحداث المؤرشفة بدقة متناهية ... وقلبك لا زال ينبض ... ولم تمت الذكريات بعد .

وسباً بقيت تعيش الخيال وتنقصم الدورين ... تتحدث مع أيار ... تسأل وتُجيب ، ولاسيما عندما تضع رأسها على الوسادة ، تارة تعاتبها وأخرى تعتذر ، وقد عرفت من النت كما أسلفنا بأنها ناجحة ولم تفقد الأمل ، ولم تنفك عن الكتابة لها وكل يوم تتصل على رقمها على أمل أن تفتح نقالها وتستلم الرسائل ، لأن الرسائل التي ترسلها إليها تبقى قيد التسليم الى أن يأتيها الرد بفشل التسليم فتحولها الى المسودات التي تكاد تمتلئ ، تقاوم أحزانها مع نفسها ولم تعتد أن تتحدث عن مشاكلها مع أخواتها أنهار وأطوار ، ولم يكن والداها من النوع الذي يؤيد إقامة علاقات الصداقة بهذا العمق والتأثر ولاسيما أمها التي لا تهتم بمثل هذه العلاقات التي تعتبرها ... محض علاقات بشرية تبدأ وتنتهي في المدرسة ... وليس من الرشادة أن يتأثر الإنسان بشخص لا يمت له بصلة قرابه ، وهي تؤكد دائماً على قوة العلاقة بين بناتها الثلاث وأن يكن صديقات لبعضهن البعض لذلك عندما تتحدث سباً عن لواعج حبا وشوقها لطالبة لا تعرف أين ذهبت بها الحياة وهم وسراب لا بد من التخلص منه برشادة العقل وهي لا تفهم ذلك ، على الرغم من نجاحها ببناء علاقة قوية ورسينة وناجحة بين بناتها وعندما يجتمعن وكأنهن صديقات ... في الجسد والروح ... لذلك

وسبأ تجد في نفسها خروجاً عن القاعدة وأن تكلمت لوالدتها ستكون محط سخرية وتهكم وعتب شديد بحسب اعتقادها ، وتفضّل أن تنأى بنفسها عن مثل هذه المحكمة ذات الأحكام العرفية .

لذلك تبقى حبيسة خيالها متلذذة بهذا الخيال الذي يجسد لها الصور وكأنها بالفعل تراها ، فضلاً عن أنها كثيرة الأحلام وقد غزت أيار هذا الموقع عندها دون منازع ، وحتى وأن تكلمت مع أخواتها فكيف تقول بأن أيار هجرتها دون عودة لأنها تتوقع بأن سبأ مخادعة وممثلة وتجيد اللعب بإرجوحة المشاعر ، وبإعترافها على المأ ، الخطب جلل ولا أحد يفهم طبيعة العلاقة الرقيقة البريئة التي كانت تعيشها معها ، لكنها تقول في نفسها ، قد تلتقيها ... في المدرسة ... قد تلتقيها في الجامعة ... قد تلتقيها في محطة من محطات الحياة أكيد ستراها ... وتبرر لها ... فراحت تكتب ... لخيال أيار ... وكأنها تراها وتسمعها وترد عليها ... تبتسم وتتمتم ... أو تغضب وتُغمغم وهذا هو حال الذاكرة التصويرية ...

عندما أغمض جفوني أراك فراشة ترفرف في خيالي ... تغازل مشاعري العقيمة ... وتراقص أشواقى اليتيمة ... تهيمن بهدوء على واقع احلامي ... وتهمس بغنج على مسامعي ... وكأس الألم بالشوق مترع ... يكتوي خافقي بألم الفراق ... فتتقد بغتة جذوة الاشياق ... فهل يا ترى لا زلتِ تذكّريني ...؟؟؟ عندما البدر يتوسط السماء ، وهل لا زلتِ تذكّريني إن ظمأت للماء ... أم غدوت في نظرك كالضباب في الجو المكفهر ، ولا زلت الى للآن لهوة النسيان أتهدان ... ترى من يساجلك الشعور عند الظلام ، أتون يستعر عند إمتشاق الحسام ، لماذا دائماً يساورك شعور بالإضطهاد فتشرأب الى عنقي منك كل الإصفاذ ، وأنا أعرف ان الظروف القاسية التي عشتها بسببي تطول الأظفار ، وتنتشر الشفاء وتمسخ النور الى نار ... وأن البحث عن روح تفهم لغة الأسرار كالبحث عن المجهول ، في عالم الأقدار لكنها الدنيا صغيرة ضيقة دائية المنازل ففي المساء أكيد سيجتمع الكل في المنازل وسأراك هناك ... حيث ستكونين ... وعندما أراك سأتكفىء عليك كالموجة ...

أعرفين يا عمتي مروة كم كنت أتوق لرؤية الشلالات وطاقتها السماوية العجيبة ... فصوت تساقط الماء المتراشق المتلاحق يشبه وقع المطر عندما يتساقط على النوافذ ... كم هو جميل ورائع منظره وكم هو ساحر صوته ، يختلط مع دقات القلب النابضة بالحياة ، وهما عندي سيان النبض دليل الحياة والماء دليل الحياة والنماء أيضاً.

مروة مبتسمة : أكيد عزيزتي ومؤكد ... بحسب قول الله تعالى : **{ { وجعلنا من الماء كل شيء حي (30) }** في سورة الأنبياء ، فضلاً عن أنه يتأثر بالصوت ، والمغناطيسية ، والحرارة ، والبرودة ، والضوء ، والطاقة الحيوية ، ولكنك ... قطعاً ... لا تقصدين كل هذه الصفات وإنما تقصدين كيف له القدرة على تحريك المشاعر وتحويل الأحزان الى ألحان وتلطيف الأجواء بقطرة واحدة تتحول العاصفة الى عاطفة وأليس كذلك؟؟؟

أيار متتهدة : أكيد صحيح ... فأنت تقرأيني قبل أن أنطق ... ولكن عندي سؤال يحيرني !!

مروة : أسألي عزيزتي أي سؤال على الإطلاق ... ثم أستطردت مازحة أسمح لك .

أيار : أليس الحب جميلاً ورائعاً ... وراحة للنفس والقلب ...؟؟

مروة ضاحكة : أوه ... الحب أجمل شعور يمكن ان يشعر به الفرد وأعلى شيء في الوجود .. ولولاه لتحول الكون الى مقبرة كبيرة لرفات جميع البشر ، لأنه روح الطبيعة الذي يمدُّ أوداجها بالحياة ، الحب حقيقة الحياة المفعمة بألوان المشاعر الفياضة ، التواقة إلى العشق المغروز في كيان الكون ، وينبوع الحب الذي يصب في مصبات الزمن ، وأنهار الشوق المتدفق الرقراق السلسبيل القراح ، وروح الوجود المسكوبة في أوداج الطبيعة ، ومصباح السماء حين تنطفئ كل مصابيح الأرض ، هو اللون والعطر والمذاق ، والبشر والجمال والإشراق والشوق والوجدان ، والمعنى واللحن والقصيدة وخضرة الفردوس وثمر الكون الباسم ، هو الألق ويد اللطف وعين الرحمة وينبوع الحنان ، ومصدر الوجود ، وجذوة الفكر ، ومداد اليراع ، ومجداف الطموح ،

ونبراس الزمان ، وإيناس المكان ومحتد الأوطان ، حب العائلة والأقارب والأصدقاء والوطن وحب الخير لكل الناس .

أيار بعد أن كانت منصته مبتسمة : وعلى الرغم من كل ما تقدم ... أسأل ... لماذا يكون الحب الصادق مصحوباً بألم ... ولماذا صوت الماء يوجب الشوق ...؟؟؟ ملاحظة لك أن أختها ... أسمها أنهار .

مروة مبتسمة : لقد قرأت في الكتب عن الحب بأنه مأخوذ من الخُباب وهو الذي يعلو الماء عند المطر الشديد ، فكأنَّ غليان القلب وإشتياقه ، وقيل مأخوذ من القلق والإضطراب ، لأن القلب أصل كيان الإنسان ومستودع الخُبِّ ومكمنه ، والألم الذي تقصدينه لوعة الشوق لمن نُحب ، سواء كان معنا أم بعيداً عنا ، فمثلاً الآن أتمنى لو كانت سُبُل معي هنا وأشعر بأن مكانها خال في أي مكان جميل تطأه قدمي ، وشوقك مفضوح يا أيار ؟

أيار متنفسة الصعداء : لكنها لا تستحق ... لحظة واحدة من التفكير .. أو الشوق إليها ... أتمنى لو أستطيع مسح كل الملفات الموجودة في ذاكرتي التصويرية ، ولكن ملفاتنا مؤرشفة كما قلت وبدقة متناهية ، وكل مكان أدخله أجد لنا ذكرى فيه مسجلة ، ولم أتوقع يوماً أن كل هذه محض رياء ودوراً مسرحي انتهى ... وأسدل الستار عليه ، ثم راحت تكابر .. وتقول ... ثم أنا لم أقل لك بأني أشتاق لها ... لكن الألم يعصر قلبي بسبب أنها كانت تستغفني .. أسمعني ... أنا كنت مستغفلة .

الجزء السادس والثلاثون

سبأ تعزي نفسها دائماً بصوت الماء ، ولاسيما سقي الحديقة حتى وأن كانت لا تحتاج الى السقي تمسك أنبوب الماء وترش بقوة على المزروعات وتعيش سرحاتها الذهنية في عالم الخيال الذي يجلب إليها أيار ، ذلك الصوت الذي سكن روحها حالما نزل من السماء ، في داخلها مونولوج يتكلم بصوت عالٍ دون هواده ، وعندما يحل المساء تضع رأسها على الوسادة قبل أخواتها ... وتمسك النقال الذي تعدُّ حبل الوصل وتكتب فيه الآتي : **ليت العصافير تطير مجتمعة حولك وتخبرك بشوقي الأعمى إليك ، ليت السماء تمطر الآن في شهر تموز وتخبرك بحنيني الصادق ، ليتك تسمعين صوت الماء ، وتشعرين بنبضات قلبي الناطقة بالوفاء ... وأنين روحي الظمأنه للقاءك ... أشعر الآن وكأني صائمة في شهر تموز وقد أظناني الظماً ... ولا أعرف أين أجد الماء ، لم أكن أتوقع منك كل هذه القساوة تجاهي ، والله إنني متعبة جدا أكثر مما تتصورين ويا ليت ربي يعجل في إستلام أمانته لأرتاح ، لأنني لا أطيق شهراً ثانياً حتى أراك في الجامعة ، وا.. أسفاه ... لقد تساقطت أوراق الغضة الندية بنظرك ولم يبق مني غير الشوك ، وبما أن الألم حبر الكتابة الساخن ، سأكتب لك كل يوم وأن تعكر مزاجي وتحطمت روحي وتعلقت صحتي ، سأكتب لك مرغمة على استخراج رفات الكلمات من أحداث الماضي الأغبر الأشعث سأكتب لك التوضيح الذي يفتح الملفات التي لا تسمن ولا تغني من جوع ، غير أنها محض دلانل وبراهين على براءتي من مواقف خالية من أي مآرب هدامة ، وسنرى فهل بعد آيات الإهتداء بيننا والحجة نكون بعد كل هذه السنين ضللنا في المحجة ، أين المواثيق والأدلة القاطعة ، أين براهين الصدق التي كانت ساطعة ، واليوم تبدو صورتني بهذه الهيئة الغريبة وكأننا كنا نمثل وإنتهى الدور التراجيدي ، تجعل الدموع تنهال من العيون كالمطر وفي النهاية تسدلين الستار بقولك سلام على الدنيا يا سبأ .**

فإذا كنتِ رقيقة من زجاج فلن أكون الحجر ، وإنما سأكون الأزاهير المتناثرة على ثناياك لأنك أحب لي من نفسي ، وأعشق البسمة على محياك ، لم

تلهني مشاغلي عنك يوماً أبداً ، لأنك تعيشين معي في دمي ، والله بأني أتكلم معك دائماً ، وحتى عندما أضع رأسي على الوسادة ، استلم النقال لأختلي بخيالي معك وأحاول أن اكتب لك ... لكني أنام والنقال في يدي قبل أن تكتمل الرسالة فتذهب غير مكتملة إلى المسودات ... فلا يخالجك الشك في حبي ووفائي وإخلاصي لك ... لأن الدنيا كلها عندي في جهة وأنت في جهة ، ولكن تذكري على الرغم من الشد والجذب والمد والجزر تواصلنا لسنوات وزاد ديمومتنا خطاباتنا وأصواتنا وكأننا لم نبتعد في أجسادنا ، وكأننا نستطيع في كل إتصال طي تضاريس الأرض والأيام ، وكلانا كان يرى الآخر في صورة البدر وسط السماء ، نتراسل نتكلم والسعادة ملء أفواهنا ... نعم ... يا أيار ... نتكلم كما تعودنا حتى ينتهي الرصيد ونحن طالبات ومصروفنا محدود ندخره لنشتري الرصيد ، والمضحك نرى بأننا لم نكمل الحديث بعد ، فالحديث طويل أن بدأ لا ينتهي ... وعن ماذا نتكلم لا ندري؟؟؟ فالحديث يولد ويكبر ويتشعب ويتفرع ، نتبادل الآراء والنصح ووجهات النظر ، وكأننا نعيش مع بعضنا البعض ، متفقيين في معرفة خطة الحياة وبنودها وأجنداتها ، والجميل عندما تأتي عطلة نهاية الأسبوع نودع بعضنا وكأننا سنفترق وننتظر العودة الى المدرسة ، لكن اليوم يكتمل البدر ويختفي مرات عديدة وأنت غائبة ومُغيبية ، ولا أعرف أين أنت مني الآن ؟ أقرية فأناجيك أم بعيدة فأناديك وقد تلاشى صوتك ، وأمسينا لا نعرف عن بعضنا غير أننا على قيد الحياة ، والله يا أيار إنني لأقدر زعلك الذي يقض مضجعي وقراراتك المتسرعة الظالمة القاسية ، ولن أكلفك ما لا طاقة لك به ، واليوم أقول لك يا صديقتي الصديق طمأنينة وخلافه ريبة ، ولم تعهديني إلا صادقة ، وقد شط لساني وزل بسبب الغضب ، بالله عليك كم بدر مر وهو منطفي ولم يثر حتى إنتباهك ، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن وكيف يمكن لك أن تتحملي تجاهلي ، وكيف تجافي إتصالي وأنت تعتبريني كذويك بحسب قولك؟! أم إنه زخرف قول خالي من الروح وليد لحظة؟! أم أنا لا زلت في ضلالي القديم ، ولا أعرف السر ، وهل أحصيت الأيام التي مرت أو تعرفين حتى بعدها ، قد تكون عندك دقائق أو ثوان ...

وكيف تفرطين بهذه الأيام من حياتنا القصيرة الضيقة ، ان كان لها معنى عندك ، ولا أعرف ماذا ترجمتي زلتي وكبوتي ، أصدقيني القول ورحم الله أمرؤ عرف قدر نفسه ، وباليك تفتحين نقالك ، وتقرأين هذا الغيض من الفيض والفضفضة التي ضاق بها صدري وخلجات نفسي ، وكم من مرة إتصلت بك طوال هذه المدة وأرجع بخفي حنين ، سكنتني الحيرة وخيم الشؤم في أركان حياتي منذ شهرين ولم أسمع صوتك بها ، وأعرف سلفاً بأننا كنا في أحلك الظروف وأقساها نتهاطف نتعاتب نتشاطر بيننا الهم ليصغر كما تعودنا لأن حبنا في الله معقود ، وأخوتنا لا تنتهي ولا يفرقنا إلا الموت كما كنت تقولين لي آنفاً ، أتذكرين ... ذات يوم اتصلت بك في عيد الحب لأهنئك وأنا مبتسمة ... لكنك رفضت التهنة وتظاهرتي بالوجوم مما أثار استغرابي ، فقلت لك لماذا تردين على التهنة بهذا الأسلوب ، أتذكرين ماذا قلتي لي أنذاك؟؟ قلت لي أسمعني يا سبأ ... لا أريد يوماً واحداً للحب وأنا أريد الحب كله ، أريد كل الايام التي تجمعني بك حبا ، لكنك اليوم تثبتين لي عكس ذلك وأحوالك تخالف أقوالك.

فيا أيتها الزعالة ... لا تحري الحقيقة في عجالة ...

هدي طود الهموم السادر ... واقلعي ديجوره الجائر ...

فالعتاب دوحة واسعة الأفياء ... يلوذ بظلها الأصدقاء الأوفياء ...

لكني سأنتظر مجيئك حياك ... لأرى البسمة على محياك ...

لتعود المياه لسواقيها من جديد ... لنحتفل باللقاء وكأننا في يوم عيد ...

إنتهت السفارة وعادت أيار وهي تحمل إنطباعات جميلة ورائعة قصتها لعائلتها وشحذت رغبتهم في التنزه في شمال العراق للتغيير والإستجمام ، وهي تعدُّ العدة لحياة جامعية جديدة خالية من الألم بحسب قرارها الذي قطعتة على نفسها ، وقد لاح بالأفق ... بصيص الأمل ... وظهرت قبولات الجامعات ، عبر النت والكل جالس وأنظاره متمسرة على النت ... وقد ظهرت الآن ... سبأ في كلية الزراعة كما رغبت ، ولم تكن الأرض تسعها من السعادة وهي تصل الى هذا اليوم الذي تمنته ، كم

قاست وكأنها قطعت مسافات شاسعة بالسير على أقدامها في صحراء جرداء خالية من الناس ، والأجمل والأروع بالنسبة لها بأنها عرفت الكلية التي ستلتقي فيها أيار التي ظهر أسمها في كلية الآداب لأن معدلها لم يؤهلها لدخول كلية القانون ، وفريال في كلية الإدارة والإقتصاد ، أما مُعاد فقد نجح بأعجوبة وقد ظهر أسمه كما تمنى في كلية الفنون ، وراح يعزف ويرقص محتفياً بذلك ... أما أنصاف فلم يؤهلها المعدل للجامعة وكان قبولها للمعهد التقني .

ولم يقتصر أسلوب الكتابة على سبأ فقط وإنما شمل أيار التي كلما شعرت بألم الشوق تمسك النقال وتكتب ، فراحت تكتب الآتي : على الرغم من أصالة الماضي وعبير ذكرياته الأخاذ الذي يلامس الروح كل حين يبقى الحاضر هو الأقدس والأوثق ومن الخطأ رؤية الحاضر بعين الماضي وكثيراً ما تعودت على تمزيق بعض الصور في ألبوماتي القديمة التي تلاشى تأثيرها وغاب سحرها ، كما عودت نفسي على رمي الأشياء القديمة تدريجياً في مكبات اللاشيء التي احتفظت بها لسنوات عديدة في صناديق غصت بها الغرفة ، واليوم أطبق هذه السياسة على جميع الرسائل لئلا أتعلق بحبال الماضي وأتشبث بخيوط العنكبوت الوهمية ، أمحوها إيماناً مني بأن رسائل الماضي كالدّم الجامد لا حياة فيه ، ورغبة أخرى في أن يحل محلها دم حار لرسائل اليوم التي يجسدها واقع الحال في حله وترحاله كأزهار تتفتح في أوانها ، وذلك لأنني رحمت أوّمن بالتغيير وتقلب القلوب وذلك لأن الأرواح جنود مجنّدة والقلوب بيد الله يقبلها كيف يشاء ، فراحت يدها تكتب بالنقال ...

لن استسقي غيثك ... وأن أجدبت إليك روعي ...

ولن استجلب طيفك ... وان بالشوق عظمت جروحي ...

فالحب ليس لقمة يلوكها أيّ لسان ... ولا لوحة مزاجية بريشة فنان ...

بل لغة روح تجسدها المشاعر ... لا يفقه ترجمتها إلا من كان بها شاعر ...

وخوافق للصدق ظواميء ... تهيم في فراديس الشواطيء ...

لا أستسقي غيثك لأنك الملامة ... ولك في القساوة علامة ...

ظهرت نتائج القبول رسمياً وبإدر جميع الطلبة بالتسجيل كل بحسب جامعته وكليةه وكانت أيار قد تم قبولها في قسم الإنكليزي بحسب نصيحة عمته الإستاذة مروة ، ولكن المفاجأة التي أفرحت مروة كثيراً فرحة لم تُصدق بأن منذر قدم الى الدراسة المسائية في قسم الإنكليزي ولم يأخذ رأيها حتى في الأمر ما دامت تنظر له بصمت بأنه دون مستواها العلمي وأن لم تنطق بالأمر إلا أن تصرفاتها توحى له بذلك بحسب أعتقاده، وما هي إلا بعض أيام حتى أنتظم الدوام في الكليات وأيار أعتادت على الدراسة الإنكليزية التي لم تكن تهويها البتة ولكنه المعدل يأتي بالمفاجآت ، وأشد ما أعجبها مرافقتها مع الإستاذة ذهاباً وإياباً فضلاً عن كونها معيناً في توضيح أي مادة يعب عليها فهمها ، والكل قد عرف أسمها أيار سراج الدين ابنة أخ الإستاذة المتألقة، وكان الأمر يجعلها تبدو كالتواؤوس المغرور حينما ينفش ريشه الجميل المتألق قاطعة على نفسها أن تبقي على صداقتها لعمتها أسلم لها من مغبة الوقوع في دهاليز الطالبات المظلم التي تركت في نفسها الأثر العميق لعدم الإخلاص والوفاء والإحترام .

نعم قالتها في نفسها وعينها متسمة في كتابها يظنها الرائي تقرأ ، جالسة على كرسيها الجامعي الجديد المستقل في الصفوف الأمامية كما كانت ولاسيما بأن أسمها في القائمة يحمل الرقم واحد في شعبة الألف ، وراحت تتكلم في منولوجها الداخلي : ولن أخضع قلبي من جديد لقيود الأسى والحزن والألم من جديد وأنا في الأصل لا زلت أعاني الأصفاد الثقيلة التي خلفتها لي سباً في عدم وفائها وأن كابت ولم أفصح دائماً ، ولن أعيش التوحد والوحدة ستكون علاقتي طيبة مع الجميع ولكن بحدود الزمالة فقط نعم ولا أجعلها تتطور أبداً ، وأنا قوية وقادرة على تحقيق كل ما أخطط له والكل يعرف أيار التي يصفق لها الجميع ، سأثبت جدارتي بكل معنى الكلمة وسأتحفظ على رقم نقالي فأكيد ومؤكد سيأتي كل الطلبة ويتقربون مني لأكون حلقة وصل أو جسر يوصلهم للإستاذة ولكني أعرف كيف أقيس الأمور وأزنها بالقسطاس المستقيم ، ولاسيما الأؤاد الذين همهم الحقيقي اللهو بمشاعر البنات وأنهم سيتقاتلون ويتبارون ليفوزوا بصحبة طالبة لينالوا الرهان من بعضهم كما نرى في الأفلام ، بل

وكما أرى في أخي مُعَاذ الذي سيصادق مئة من كل كلية ، وهو في حقيقة الأمر جذاب وله مقدرة عجيبة في النقاش الذي يسمعه للوهلة الأولى يظنه بالفعل يحمل الذكاء كله دقه وجله ، ولا يُصدق بأنه نجح بأعجوبة كانت لتودي بحياتنا جميعاً من شدة الفرح ، وكأن الكهرباء العالية القوة صعقتنا وجعلتنا نتهستتر غير مصدقين تارة نضحك وأخرى نمسح الدموع الهائلة ، وبينما هي في سرحتها الذهنية ألقى عليها التحية مجموعة من زملائها مبتسمين واقفين أمامها قائلين : سنضعفين عينيك من القراءة قبل أوانها وستستخدمين النظارة الطبية وتكبرين بسرعة وتتقدمين في العمر وأنت جالسة في نفس المكان تقرأين ، معنا أخرجي معنا الى التنزه لنتعرف على فضاء الجامعة وأماكن الكليات ومعالمها ، فهنا جامعة وليست إعدادية سنذهب في جوله فهلا رافقتينا ، وسندعوك الى الكافتريا الجميلة الرائعة القريبة من الكلية ما دامت هذه الساعة إستراحة ، فراح كل واحد منهم يُعرفها بأسمه كما توقعت وقد أحو عليها ، وأمام هذه التوسلات أشفقت عليهم من وجهة نظرنا وقبلت الدعوة لرؤية معالم الجامعة فقط ، وليس الذهاب للكافتريا حتى لا يتولد بينهما علاقة تعارف وكما يقولون خبز وملح .

بدأت مروة دون سابق إنذار تهتم لأمر منذر دون أن يطلب المساعدة منها وعلى الرغم من عشقه وشوقه لها إلا أنه قرر أن ينأى بنفسه عنها ظاهرياً ، لأنه يرى فيها مكابرة لا يراها الآخرون والفرق العلمي واضح بينهما لذلك قرر المغامرة في هذه الدراسة التي يراها الآخرون خطأً أحمر وصعب المنال ، ولن يخسر شيء مجرد محاولة تجعله يراها كل يوم ولاسيما وهي تلقي المحاضرة كأستاذة ، ولعله يستفيد من رسائل القدر التي توزع على الناس بشكل مبالغت والأهم من ذلك تم قبوله في قسم اللغة الإنكليزية على الرغم من الإختبارات ، وأن أهم إرشادات فريال أن يُشكل له مجموعة من الزميلات عسى ولعل أن تثير الإنتباه ، وبالفعل سرعان ما كون مجموعة والغالب على طلبة الدراسات المسائية من الموظفين والموظفات لذلك وجد سهولة ويسراً في التعامل والإنسجام معهم ، مما دعا إلى أن تتساءل مع نفسها لماذا تغير منذر تجاهي ، نعم كنت مُصيبة في الأمر فلو كان جاداً معي على الأقل لتقدم ويرى

هل سأوافق أو أرفض ؟ أما يبقى ملمحاً لإقامة صلة تعارف خارجة عن المؤلف أمر لا يوجد في قواميس حياتي البتة ، لذلك عندما لمس مني عدم التجاوب نأى بنفسه ، ولاسيما وهو في الكلية الآن وأمام عيني وكأنه لا يراني ، كم كنت غبية عندما ظننته معجباً بشخصي وشخصيتي ، والمشكلة بأن سُبل تقول لي بأنه متيم بي ، يا فتاة أنا أعيش في الكلية منذ سنين وعلى مرأى ومسمع تجري أساطير الحب على شاطئء الحب الجارف الذي يجف عند التخرج ، ولكن لا أعرف لماذا أثار انتباهي هذا الأمر ، شيء لا يصدق أيعقل بأنني أحب أن أسخر كل الناس حولي وأجعلهم ينظرون لي فقط ويصفقون لي دائماً ؟ ، وبينما هي كذلك ... أنتبهت من سرحتها الذهنية ... وإتصلت بالحال بسُبل وهي تعرف بأنها الآن في المستشفى .

سُبل مبتسمة : يسعدني ... سماع صوتك الجميل ... صباح الحب .

مروة بهمس : أحتاااa

سُبل : لا تُخيفيني ... هل لديكم حالة طارئة ... فمستوصف الجامعة قريب منكم .

مروة ضاحكة : أولست طيبة ... فأنا أحتاجك ... جداً ... أشتاق لك .

سُبل مبتسمة : الله ... كم أحتاج الى هذا المهدىء... أعيدي ما قلت لأسمع صوتك .

مروة : ماذا ماذا؟؟؟ يُعالج الناس وهو عليل .

سُبل مبسمة : ومن قال لك بأن الأطباء ملائكة ، تعالي الى السلك الطبي وسترين العجب ، أتعرفين أن المخترع ميخائيل كلاشنكوف ، أي مخترع رشاشة الكلاشنكوف بعد ان فرح بهذا الإختراع في شبابه عاش طوال عمره مكتئباً وهو يرى ثمرة جهده تستخدم لإراقة الدماء .

مروة متنهدة : لم أفهم قصدك ... ولكنني أريد أن أراك ... حقيقة أشعر بأنني أحتاجك كثيراً فلا تتركيني هذه المدة ، ولا تقولي نتواصل بالهاتف ... فالهاتف جهاز للتعزية ... لا يُعوض عن اللقاء البته .

سُبل : حبيبتي ... أنت تعرفين ... مواعيد وقتي وبالظبط ... وأنا الآن أتحدو معك ... أشاروا لي أكثر من مرة وتعرفين الواجب في المستشفى ... انساني قبل ان يكون

عملاً ، في الصباح هنا ... وفي العصر في العيادة ... لكن حدي لي الموعد الذي تريدينه ... وسأكون أمامك ... حتى وأن تلقيت عقوبة التغيب .

مروة : لا لا ... أبداً لا يُرضيني ذلك أنا سأحدد الوقت الذي يناسبك وسأتيك بنفسني .

وأثناء تجوال أيار مع مجموعتها الجديدة من الطلبة والطالبات ، في داخل الحرم الجامعي رأت مُعَاذَ من بعيد وسط عدد من الطلبة في حديقة كليته الجميلة وهو يعزف على الغيتار ، والكل ينظر له بإعجاب فابتسمت وتجاهلت الإتجاه صوبه ، وأثناء تجوالها رأت أنصاف فطارت فرحاً عندما رأتها فإنعزلت بالحال عن المجموعة منفردة بالجلوس على أحد المصاطب وكأنها وجدت كنزاً فقدته ، وكذلك أنصاف التي فرحت بها وترقرقت عيونها من شدة الفرح .

أيار : والله يسعدني رؤياك ... كيف حالك ... أخبارك وماذا تفعلين هنا أشتقتُ لك .

أنصاف مستغربة : ماذا ؟ أفعل ؟ أنا في دوامي .

أيار : رأيت قبورك على النت في المعهد التقني ...

أنصاف مبتسمة : ها ... صحيح ... ولكني الحمد لله سجلت في الدراسات المسائية كلية الإدارة والإقتصاد ، ولكني أداوم مع الدراسات الصباحية ... يعني أدفع القسط السنوي ولا أداوم معهم ، كم عتبت عليك ... وأنت تغلقين نقالك أو بالأحرى غيرتي رقمك وصفحتك على النت وإيميلك .. فعن أي شوق تتحدثين يا أيار .

أيار : إعدريني ... لقد تلقيتُ ضربة قوية وقاصمة ممن وثقت بها ... جعلتني أفقد الثقة حتى في نفسي وقد رأيت بأُم عينيك ما حدث ... وبالكاد فقت من الأزمة الآن ... لقد خيبت ظني بها ... سأعطيك رقمي الآن .

أنصاف : والله ... الأمر هين وليس بمستوى التهويل الذي وصفته ... ولو كنت لم تتوارى عن الأنظار بقرارك الصارم المتسرع غير المتأنى لرأيتي ... خطأ قرارك ... الذي همشها ... وخبب ظنها بك .

أيار منزعة : للأسف لا زلت كعادتك تدافعين عنها على الرغم من إعترافها أمامك .

أنصاف : لن أدافع عنها ولا عنك وأعتقد بأني فشلت في التقريب بينكما وأن كل منكما لم يفهم الآخر ، ولن أتعب نفسي تارة أخرى ... ولو كان بينكما توافق روحي لما تفرقتما لسفاسف الأمور ... وعليه أنأى بنفسي عنكما وعن مشاكلكما التي جعلتني أدور في دوامة لا أعرف في أي إتجاه تقف ، ولكن الذي أريد أن أقوله لك ولتاريخك القادم مع الصداقات ... لا تهربي من المواجهة ... ولا تتخذي الحكم جزافاً على أي شخص ... وأنا أحبكما .. وأتمنى لكما الخير ... وكلتاكما صديقتاي ... ولكني لا أخاف جفائها لأنها رومانسية رقيقة صادقة المشاعر ، ولكل فعل رد فعل ، ولا تنسي مجموعتك الماكرة التي دقت أسفين الفرقة بينكما ، وكيف جعلتها تعيش في جو مكفهر بسبب قربها منك حتى أن علاقتها بدأت تتأرجح ما بين شد وجذب منذ بداية ولادتها .

أيار بفتور : وكأنك تلقين عليّ اللوم ... وتبررين خطأها ... ولكن كيف حالها ... الآن ... أتمنى لها كل الخير ولم أرغب بفرض نفسي عليها ما دامت تستخدمني كأداة لضرب المجموعة أو غيرها .

أنصاف : حالها كحال أي شخص مقعد الفكر ... لكني قلت لها في إتصال ، تكيفي مع حياتك الجديدة في كليتك التي تمنيتها والأيام كفيلة بالنسيان ... وقلت لها لو كانت أيار تهتم لشأنك كما أنت تهتمين لها... لما هجرتك .

أيار تفرقت عيونها حالما سمعت ذلك : لقد جرحتني جرحاً عميقاً ... ولكن لا تظلميني في وصفك .

أنصاف نهضت مستعجلة وهي ترنو لساعاتها : لم ولن أظلم أحداً في حياتي ولكن للأسف أنتهى وقت الإستراحة ردي لي رقمك بسرعة ، سيحين وقت المحاضرة أنا في قسم الإحصاء ... الى اللقاء .

أقتنع خالد برأي الدكتورة سُبيل بالدراسة الخارجية وإستثمار الفرص لأنها تمر كالسحاب والعمر يسرع كذلك الى نهايته ، وبالفعل أكمل إجراءات التقديم في مديرية التربية وقد هياً لنفسه مستلزمات الدراسة كافة وهو مسرور بسرد هذه المعلومات للدكتورة بعد أن أنتهى آخر مريض .

الدكتورة مبتسمة : هذا خبر رائع ... وأريدك الآن أن تبدأ بالدراسة باهتمام .
خالد : أخشى أن لا يسمح لي الوقت بالدراسة .. فمستقبل أخوتي العلمي الآن أهم شيء في حياتي ... ولا أريد لهم الشعور بالأسى على حالهم أو حالي .
الدكتورة بغبطة : يا خالد أترك نبرة رثاء الحال هذه ... وتوكل على الله تعالى فأنا كان لك نصيب في شيء سنناله ويُعجبني أن أستشهد بحكمة رائعة : (لو عرض الله تعالى على ابن آدم أن يختار قدره بنفسه ، لما أختار إلا القدر الذي كتبه له) .
خالد مسروراً : أتمنى أن أكون عند حسن ظنك .

الدكتورة : أنت ستحاول وفي المحاولة مغامرة والمغامرة خطوة شجاعة للأمام وهذا لا يعني بالضبط ان يكون الطريق معبداً ومُحاطاً بالزهور ... قد تتعثّر .. المهم ... المواصلة ... والعزيمة ... والإصرار ... وإلا لما تم فتح الدراسة الخارجية ولو تطلّع على عدد الطلاب المتقدمين لهذه الدراسة لا تُصدق العدد ، ولكن هل كل هؤلاء حققوا النجاح ؟ طبعاً لا ... وليس بالضرورة أن يحقق الجميع النجاح فلا يسقط من الغربال إلا المصفي ، أتمنى أن تكون منهم ... المهم الآن ... أبداً ... في الدراسة ... ولا تستعجل الغيث ... ولكل حادث حديث .

خالد متنهداً : أسأل الله تعالى أن يبدد مخاوفي ، سأبدأ بالدراسة اليوم وأبرمج وقتي القليل ليتناسب مع الإلتزامات الجديدة ... وكفى ... وكما يقال أشعل شمعة صغيرة خيراً من لعن الظلام .

الدكتورة : وأنا من جانبي ... أدمك بزيادة مرتبك الى الضعف ... فالخير وفير ... والزبائن كُثر ... وأنت تستحق لأنك تؤدي هنا أكثر من مهمة ووالدتي أعادت عليك .
خالد بغبطة عارمة : أنا عاجز عن الشكر والإمتنان ووالله لكم جميعاً مكانة كبيرة في قلبي ، ولاسيما والدتك الكريمة الرائعة التي أحبها وأحترمها كوالدتي ، ولكن دكتورتي أنا لا أريد البتة أن أشق عليك وأنت ما زلت ترزحين تحت وطأة الإلتزام السلفة ، ومسؤولياتك الأخرى .

الدكتورة قاطعته مبتسمة : لا داعي للشكر فهذا إستحقاقك وبكل جدارة والسلفة أمرها سينتهي قريباً جداً ان شاء الله ... وأشكرك على فكرتك الرائعة التي أزاحت عن كاهلي ثقلاً كبيراً ... أتعلم يا خالد ... أنا أتفهم شعورك الأخوي الرائع تجاه أخوتك ، وهذا لا يعني البتة إهمال نفسك ، وأنا كذلك أفكر بأخوتي التوأم وهما كما تعرف الآن في المتوسطة ، نشأنا يتيمين وكانا يريان فيّ مثلهم الأعلى وكان لدينا راتب والدي التقاعدي ودكان صغير مستأجر ، وقد إستطاعت والدتي من خلال تنظيم الميزانية بالمبلغ المحدود من المصدرين أن تسد الإحتياجات الضرورية فقط ، وتزرع في نفوسنا القناعة دون أن نفكر بطلب المزيد وان فكرنا بالكماليات نتراجع بالحال لأننا نعرف مستوى الميزانية مسبقاً ، وعندما كنت طالبة كنت أستخدم أردى أنواع الورق وأرخصه ، بل والأكثر من ذلك كنت استخدم سجلات بعض الدوائر المهمة التي تجلبها لأمي إحدى قريباتها بحجة أنها تستخدمها في التنور الطيني الموجود الآن في زاوية دارنا ، تقول لها أحتاج الورق لأحرقه في التنور مع الحطب ، وفي واقع الحال أنا من أستخدم هذا الورق وكما تعرف بأن دوائر الدولة تستخدم صفحة واحدة للكتابة ويبقى ظهر الورقة فارغاً ، ويأتي دور الحاجة هنا (كأم الإختراع) ، أتناول السجل وأستخدمه بالمقلوب وأكتب في الجزء الفارغ من الورقة ولم يطلع أحد قط على هذا النوع من الورق سوى صديقة العمر مروة التي كانت تتأسى على هذه الحالة وتحاول أن تعرض علي المساعدة بتوفير كل ما أحتاجه من قرطاسية ، ولكني أخبرتها أن أرادت الإحتفاظ بصداقتي فعليها الإعتياد على هذا الأمر وأن تحترم وضعي كما هو ، لأنني لم أشك من أمنيائاتي المحدودة وحالنا أفضل بكثير من أحوال الالاف من الناس ، ثم إنني أشعر بالقناعة الكافية والكاملة بما موجود لدي ، لذلك الذي أريد أن أقوله لك بأن الفقر ليس عيباً والحاجة كما تقول الحكمة أم الإختراع ، فلأننا نشعر بالحاجة لابد أن نفكر وننفنن في طرق الحصول عليها والعمل أرقى أنواع الكسب الحلال ولكن كما تعرف حتى العمل فيه درجات ومستويات ومؤهلات دنيا وعليها ، والراتب الضمانه الوحيدة للإنسان التي تكفل له الطريقة المريحة المنظمة التي تفيده ان واجهته متاعب

الحياة وتقلباتها المفاجئة ، ولا نكترث للماضي وإنما لا بد من التفكير بالحاضر ، أفضل لك من عمل السوق وتسمية البقال ... ستتغير نظرة المجتمع لك من بقال الى موظف ... أو حتى الى عامل في معمل .

خالد منزعجاً : أتقصد أن أعمل في إحدى دوائر الدولة ... وأتقييد بقيود الوظيفة ودراتب لا يكفي عائلتي .. ثم من يوظفني بشهادة المتوسطة ... ومن قال لك أن مهنة البقال مهنة السوقى من المجتمع ولكن حاجة الناس هي التي تقودهم الى البيع والشراء ... وهناك الكثير ممن أعرفهم يعملون في السوق وهم يحملون شهادة البكلوريوس ولم يلتحقوا بدوائر الدولة للتعيين ، فلا أعرف لماذا تنظرين للفقراء هذه النظرة الدونية ...
الدكتورة مستغربة ومنزعجة : يا خالد ... لا تجعلني أندم لأنني كلمتك عن نفسي ... ثم خاطبته معاتباً ... أنا بنظرك ... أنظر الى الفقراء نظرة دونية ... ولماذا لأنني ... تمنيت لك حال أفضل ؟ ولكني أكيد مخطئة في كلامي ، ولا أعرف كيف ولماذا بالأساس كلمتك عن نفسي وخصوصياتي ، لتأتي وتعطي لنفسك الحق في مثل هذا الكلام الكبير والجرح ... أنا أعتذر لنفسي أولاً ثم أعتذر لك ... لأنني تدخلت في أمور بالفعل لا تخصني ولا تهمني ولكني قلتها من باب النصح والإرشاد ليس إلا .. وأنا بالفعل مخطئة وأعدك بعدم تكرار هذا الخطأ ، فسحبت حقيبتها الطبية لتهم بالإنصراف ، لكنه وثب على الحقيبة كما أعتاد كل يوم يحملها ويوصلها الى بابها ويسلمها الى أخيها علي الذي يكون عند الباب بالإنظار .

خالد شاعراً بالخبيل : أرجوك يا دكتورة لا تفهميني خطأ ... والله لم أقصد أبداً إزعاجك بأي رأي لكنه محض حوار وهذا ما خرج من لساني بعفوية مطلقة ، لأنني شعرت بالأسى على نفسي وأنت تتكلمين بالدونية لمهنة البقال مقارنة بالموظف .

الدكتورة منزعجة : قلت لك بأنني مخطئة من رأسي الى أخمص قدمي ، وما دخلي أنا بك أو بوظيفتك سواء كنت موظفاً أو بقالاً أو إسكافياً ، ثم أنه من الخطأ الفادح الذي لم أنتبه له هو بقائي في العيادة بعد أنتهاء الزبائن ، لأتبادل معك أطراف الحديث وأنت تعمل عندي ... كم كنت مخطئة ... ثم إنصرفت بسرعة .

مرّ على دوام أيار ثلاثة أيام وقد أعتادت بسرعة على نفر كبير من الطلبة ولاسيما فجر الطالبة اللصيقة التي إختارت الكرسي القريب منها وأخبرت الجميع بعدم الجلوس على هذا الكرسي وأن تأخرت عن المحاضرة ، وان رأت أحدهم جالساً عليه تطلب منه إفراغ المكان ، لأنه مكانها مما يثير شعور أيار بالزهو لأن الجميع يتمنى الجلوس قربها بحسب رؤيتها بسبب قرابتها من عمته أستاذة الأدب الإنكليزي التي تدرس المرحلة الثالثة في القسم ، فضلاً عن تميزها في الكثير من المواد وحفظها للكثير من المصطلحات التي ترد في المحاضرات ، إلا أنها وعلى الرغم من هذه الحياة الجديدة وتزاحم وتسارع الأحداث لم تنفك عن الشعور بالإضطهاد الذي لحقها في الأيام الماضية شعور بالألم لا تستطيع وصفه ولا تريد البوح به لئلا تشعر بالضعف ، ومنولوجها الداخلي حي لا يموت ما دامت حية ، كلما أختلت بنفسها في جامعتها أو غرفتها يبدأ حوار الحنين العارم الممزوج بنكهة المطر وتبدأ إرجوحة الذكريات تداعب خصلات شعرها المسترسل ولاسيما بعد لقاءها بأنصاف وكلامها الذي علق بالذاكرة وجدد الأوجاع التي كانت متوارية عن الأنظار ، وراح صدى كلماتها يتردد في خلواتها ولاسيما بعض العبارات مثل : (ولو كان بينكما توافق روحي لما تفرقتما لسفاسف الأمور ، ولكن الذي أريد أن أقوله لك والتاريخ القادم مع الصداقات ... لا تهربي من المواجهة ... ولا تتخذي الحكم جزافاً على أي شخص ...) (ولكني لا أخاف جفاءها لأنها رومانسية رقيقة صادقة المشاعر ، ولكل فعل رد فعل ... ولا تنسي مجموعتك الماكرة كيف جعلتها تعيش في جو مكفهر بسبب قربها منك) .

يعني تقصد بأني هاربة الآن من المواجهة وحكمتُ عليها جزافاً بدون إصدار مذكرة قضائية ولم أسمح بالدفاع عن نفسها أو توكيل محامي ، ولكني سمعت إعرافها الكامل ، وان كانت قد كلفت هيئة الدفاع عنها لفشلت ولخسرت القضية ، وقد أنتهت ثلاثة أيام ولم تفكر حتى بمجرد السؤال عني لو نفترض جدلاً بصحة كلام أنصاف ، ولو كانت مخلصه وصادقة لبحثت عني أو لسألت عن طريقها ، أو على الأقل مهاتفتي على رقمي الجديد ، نعم أنا لست مخطنة وأن كنت طوبانية ، ولم أظلمها نعم طوبانية

أنا ... لا أفقه لغة الزحام امرأة من زجاج تعيش لحظات الوهم ، تجافي الواقع أحياناً وعلى سمفونية الروح ترقص ، حيث لا يسمعها الآخرون ، وبعد الفاصل تصفق لنفسها جذلي وتسدل الستار أرأيتي مثلها ... وحيث توجد جذوة الأحلام تأتلق نيرانها لتتير الظلام ، مرت ليالي دهماء قاصفة بتراشق حبات البرد الرائع على النوافذ لتتعم بصباح منعش لذيد بنكهة البرد الجميلة التي لا يمدحها إلا من حرم منها وتحت سياط الشوق تنساق المشاعر الخالية من اي مآرب ، مع ريح الصبا الى من أعتبرتها جزء من حياتي ، لكن هذا الجزء أصابني بالذهول ووقفت عاجزة على عكازة الصبر ولو كتبت موسوعة ، أشعر انها تبتعد عن الهدف والمقصد ... ولكن عمتي تقول لي دائماً بأنه من الخطأ رؤية الماضي بعين المستقبل ، والمهم الآن أن أتعافى ، لأنها لا تستحق مني لحظة تفكير واحدة ، لأنها هي من حددت طريق الفراق ولم تحترم إخلاصي ولا وفائي ولا حبي الجارف الذي كان ينهال عليها كشلالات نيكارا وقد أخبرتها بذلك ، فكيف تفرط بهذا الحب وهذا الإخلاص إن كانت صادقة ، ثم إن أنصاف بطبيعتها تعمل جاهدة بالصلح بين المتخاصمين أذن لماذا تسحب نفسها الآن؟! فالكتاب مقروء من عنوانه ، فلا داعي الى شعوري بالألم البتة لأنني على حق دائماً ووثيقة من كلامي و متمسكة بأرائي وأن خالفها الجميع .

بسبب تزامم الأحداث وتشعبها راحت مروة ترجى لقاءها الإسبوعي مع زكية غير مكترثة ، وبينما هي تنتظر لقاء سُسبل وجدتها أحوج للمساعدة
 مروة مبتسمة : أراك لم تحددى موعدا للقائنا ؟ أولم تهتمي لدعوتي الروحية ؟
 سُسبل بفتور على غير عاداتها : أعذرني حبيبتى ... أشعر بالتعب أكيد سأزورك .
 مروة بقلق وبرقة متناهية : سبل ... ما الأمر ... لماذا كل هذا الحزن في صوت.
 سُسبل منتهدة : لا شيء ... لا شيء مهم لا تشغلي فكري الأمر لا يستحق.
 مروة بجدية : أرجوك أن كنت لا تريدين التحدث عن الأمر فلماذا تعلنين عنه ، من البداية عن الإشارة ، ومن هو الذي لا يستحق على كل حال أنا لا أجبرك ان أردتي عدم التحدث ، أنت حرة ولكن هل المشكلة في المستشفى أو في البيت أو في العيادة ؟

سُبل متنهدة : لا ... في العيادة .

مرورة منزعة : وهل سيجري حديثنا بطريقة التحقيق والسؤال والجواب ... أم ماذا؟؟ لا توتريني رجاءً وأنت تسخرجي الكلمات كالذي يستخرج الحصى من عنق الزجاجة ، ماذا دهاك ولماذا لا تريدين التحدث بطلاقة عن المشكلة وكأنك ألتقيتيني صدفة على قارعة الطريق **سُبل** ... أنا مرورة ... تحدثي أرجوك ... ماذا حدث لك في العيادة هل أخفقتي في علاج أحد المرضى .

سُبل : لا تقلقي حبيبتي ... فالأمر ليس مشكلة .

مرورة متوترة : حسناً ليس مشكلة وقد غيرتي رأيك ما الأمر ولماذا أنت منزعة ؟
سُبل : أنا منزعة من نفسي أيما إزعاج ، لأنني أوليت خالد أهمية أكثر من حجمه ونسيت بأنه عامل عندي بالدرجة التي وصفني بها بأني أصف الفقراء بالدونية بعد أن دار بيننا حوار (كيت وكيت) .

مرورة : وأنت لماذا تتبادلين معه أطراف الحديث بعد أنتهاء آخر الزبائن .

سُبل : أقد يأتي مريض في هذه المدة التي نتحدث فيها بحدود ربع أو نصف ساعة
مرورة : أعلمي يا صديقتي ... بأن الحديث ... لغة تحتاج الى طاقة ... والطاقة لا تُشحن إلا بين من تألفت أرواحهم ، هذا يعني بأنك ألتني جانبك تجاه خالد مما جعله يتحدث إليك بعفوية لأنك أنت من فتحتي الباب لتجاذب أطراف الحديث ، وأعلمي بأني وعلى الرغم من كثر علاقاتي مع الناس لا أرتاح إلا بالحديث معك ولا تُشحن طاقتي إلا لأجلك لذلك ، وعليه تجديني أتعامل بخطين للإتصال واحد أستخدمه في العمل وأغلقه عصراً كل يوم ، وواحد مع أهلي وأنت من ضمنهم وهو الذي أكلمك منه الآن ، لذلك أن كان هناك خطأ في هذا الأمر فهو خطأك ورأي خالد بديهي لأنك أعبتي ولو بشكل غير مباشر على عمله .

سُبل متأثرة : أنا أردت نصحه ولم يفهم ذلك الجاهل المتخلف،وقبل أن أنصحه تحدثت عن وضعي سابقاً وحتى مسألة الأوراق لئلا يشعر بأني أتعامل معه كما تصور .

مرورة : ولماذا ؟ هذا الخرق السافر لخصوصياتك أيتها الدكتورة لماذا ؟ يكاد عقلي يقف ولا يصدق ما تفعلين بنفسك ، ولا تثريب البتة عليه فهو معذور وأنت الملامة .

بدأ الإِسبوع الثاني للدوام الجامعي وأيار تتواصل بكل جد وعزيمة ومثابرة ولم يغفل عن بالها قراءة الكتب الخارجية وأن أول مكان قصده هو التعرف على مكان المكتبة ، والإِطلاع الأولي على الرفوف وما تحويها من كتب وأول كتاب رشحته لها عمته قصة الشيخ والبحر الرائعة بنسختها العربي والإنكليزي وكانت تقرأ وكأنها تهتم بالكم قبل النوع لسرعة انتهائها من القراءة والبدء بأخر المهم أنها تُعلن عن بداية يوم جديد لموضوع جديد لدرجة أن الكثير ينظرون إليها نظرة إستغراب ممثلة موحية بعدم التصديق ، في زمن قل فيه القراء للكتب وإتجوا نحو الكتاب الإلكتروني مباشرة من على شاشات الحواسيب ، لكن لا يجرؤ أحداً على مناقشتها بالأمر ، لأنها أكيد من وجهة نظرها بأنها ستفهمهم من خلال إسترسالها في الكلام بالشكل الذي يقودهم الى الإستسلام والتراجع في الدفاع عن آرائها كما أعتادت ، وأنها قررت اليوم الهرب من زميلتها فجر حال إنتهاء المحاضرة مباشرة وبعد أن تتوارى عن أنظارها تموه في المكتبة وتغوص في الكتب لتستفيد من الوقت ما دام الوقت التالي ساعة إستراحة ، وبالفعل وبعد ان كانت متهياً خرج الأستاذ قبل خمس دقائق ، وبالحال خرجت خلفه وكأنها تريد ان تتكلم معه ماشية خلفه متوجهة صوب المكتبة ، وقد تلاشت صورتها وسط زحمة الطلبة في الممرات المؤدية لدرجة لم تعرف فجر أين أختفت ولم تألف الأماكن بعد ، وكانت أنظار أيار مصوبه الى النوافذ الزجاجية في أبواب القاعات وهي مبتسمة وفي نفسها رغبة لرؤية عمته داخل إحدى القاعات المتأخمة لقاعتها لتتفاخر بها كعادتها ، لكنها رأت عجباً في قاعة رقم ثلاثة أهتزت له روحها وكادت أن تفارق جسدها ، وتسارعت ضربات قلبها فوق التصور فتسمرت قدماها لدى الباب وكأنها فقدت الحركة وشلت بالكامل فغرت فاها وأتسعت حدقتها وهي تنظر ناسية مقصدها .

الجزء السابع والثلاثون

وكانها في لحظة حلم لا تريد ان تستفيق منه أيعقل ما ترى أيعقل بأن الحياة قصيرة وأن تزامت أطرافها ؟ ، أيعقل بأن الحياة صغيرة وأن تعددت أيامها ؟ ومزقت كل الظروف ، وكلما ضاقت الدنيا باليأس أتسعت السماء بالتفاؤل ، ولكن ماذا تفعل صديقتها في هذه القاعة واقفة على المنصة قرب الإستاذ تحاوره وهو ماسك إستمارة الحضور يجوس فيها متأهياً للخروج ، وما هي إلا خطرات حتى خرج الإستاذ وتعالى الأصوات التي كانت صامته ودبت الروح في السكون والكل يريد الخروج من الباب ليذهب لشأنه عداها التي بقيت تقف قرب النافذة واضعة يديها خلف ظهرها ، ثم أدخلت يدها في جيبها وإخرجت نقالها وراحت تنتظر فيه وكانها تتفقد الإتصالات الواردة بحسب ما يعتقد الناظر إليها ، وراحت تصوب أنظارها في أجزاء القاعة وصولاً الى الباب وحالما رأت أيار واقفة ترنو إليها عن كئيب أهتزت مشاعرها وترقرقت عيناها وإرتعدت فرائصها من هذا اللقاء المحفوف بالمخاطر من وجهة نظرها وكان البرد ثلج أطرافها وهي في شهر تشرين الأول ، ماذا تفعل غير الإقتراب بضع خطوات صوبها فاتحة إليها صدرها ويديها دون ان تنبس بكلمة وحالما رأتها أيار مقتربة تناست كل ما كان أغرورقت عيناها بالدموع وأنكفأت عليها كالموجة وغاصت في ثناياها بالعناق وكانهما الطفل وأمه كلاهما الطفل وكلاهما الأم ، وأمتزجت دموع اللقاء الباردة بدموع الفراق الحارقة لتتعادل ، فمسكت أيار يد سباً وكانها تريد أن تضعها في قلبها وتوجهتا صوب نادي الجامعة القريب من الكلية .

وبعد تطور النقاش دون سابق إنذار شعر خالد بالإهانة ولم ينم ليله وصدى صوت الدكتوراة يتردد على أسماعه ويزيده تأثراً وتوتراً ، مما قاده الى إتخاذ قرار غير عقلاي يثار به لنفسه من وجهة نظره على الرغم من حاجته الماسة للمبلغ الذي يتقاضاه من العمل في العيادة ، وراح يحسب الساعات لتطلع الشمس ويبريء ذمته من هذا العمل ، ومع بزوغ الفجر كبس عليه النوم دون ان يعلم كيف بعد ان أقض مضجعه السهر ، ولم يستيقظ إلا الساعة التاسعة صباحاً على غير عادته على صوت

والدته التي أفنقدهته على طاولة الفطور اليومية ، وبعد إن أستيقظ شعر بالكسل وكأنه قضى ليلة في زنزانة انفرادية وبالفعل وقبل ذهابه الى السوق ركب دراجته الهوائية متجهاً الى منزل الدكتورة وفي نفسه رغبة عارمة للصرخ على أي شخص يراه أمامه ليفرغ الألم الذي بداخله ، وعندما أقتربت الدراجة من باب المنزل ترجل منها وكأنه يريد ان يلقي التحية على الباب وعلى الجدران وعلى العيادة وعلى كل طابوقة شيدت هذا المنزل ، شعر وكأنه يريد تقبيل المقبض الذي يجده مفتوحاً بثقة الوالدة التي قالت له سأترك الباب لك مفتوحاً أدخل وأقترب من المطبخ ونادني ، ولكن لا بد أن يثار لنفسه ولذاته التي مسحتها الدكتورة بحسب وجهة نظره ، ولكنه هذه المرة لن يدخل من الباب ويعرف بأنه مفتوح ووضع يده على المنبه وقلبه يرتجف بين أضلاعه ، وبعد التحية .

الوالدة مبتسمة : أهلاً أهلاً ولدي خالد كيف حالك ... تفضل ظننتك .. بائع الغاز ...
خالد مرتبكاً مستخرجاً المفاتيح من جيبه : خالتي ... هذه مفاتيح العيادة ... أعطيها للدكتورة .. لأنني سأسافر الى بغداد لأمر عائلي خاص .

الوالدة مستغربة وقد غارت إبتسامتها : ماذا؟؟ ومن سيدير العيادة بعدك ؟ ولماذا ستسافر خير إن شاء الله ؟ ولماذا لم تخبرني سبيل ؟ وكم يوم ستبقى ؟ وكيف سنجد من ينوب عنك ... إلخ وأسئلة أخرى شعر وكأنه لم يسمعها لشدة الحزن الذي خالجه عندما سلم المفاتيح وكأنه سلمها روحه وليس مجرد قطع معدنية ، وقد أعتاد كل يوم على هذا المكان والعيادة والحوار .

خالد مكتئباً : خالتي ... أعذريني ... فهو ظرف عائلي طارئ ... وداعاً ... ثم صعد دراجته وأرسله وكأنه ملحق في طائرة نفاذة الى موقع عمله في السوق وحالما وصل الى موقع عمله ، وبعد ان ركن دراجته إستخرج نقاله وراح يكتب ... بعد التحية سيدتي الدكتورة أكتب لك هذه السطور .

بسبب كلماتك التي قلتيها لم أذق طعم النوم أبداً في الليل الذي جعله الرب سباتاً ، وشعرتُ وكأنك فجرتي في إذني ثورة كانت لديناميت الشك كفات فلم أعد أعرف إن

كنت الآن في العمل حياً أم ميتاً ، وأصداء صوتك تلاحقني كل حين وشعرت بالآسى على نفسي ، قد لا يكون لي الحق ان أتكلم هذا الكلام في حضرة السيدة الطيبة وأنا العامل عندها وأن تركت العمل في عيادتك ، فأماكني معروفة ومحددة سلفاً أما في سوق البقالة أو في سوق الحمالين أو في سوق الأساكفة ، هذا هو قدري وقدري ، لكنك لن تجديني في سوق النخاسة ، والحياة القاسية تطول الأظفار دائماً وتملأها بالطين، لكن العقل يبقى ذاته والقلب الطيب يبقى ذاته ، أعزيرني لا أستطيع الإستمرار في العمل في العيادة، وقد سلمت المفاتيح للوالدة وأخبرتها بأني سأسافر الى بغداد ، وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد أن مسكت أيار بيد سبأ وتوجهنا صوب نادي الجامعة القريب من الكلية ، طلبت منها سبأ عدم الدخول في النادي وأن يذهب بعيداً عن أنظار الطلبة لتتجاذب معها أطراف الحديث .

أيار رفعت يدها موحية لها بعدم فتح الملفات : أرجوك لقد عفوت عنك وأتأمل بفتح صفحة جديدة بعيدة عن الملفات الأليمة والذكريات القاسية المنغصة ، المهم الآن إبليغيني ماذا تفعلين هنا في القسم وفي القاعة بالتحديد عندما رأيتك تتكلمين مع الأستاذ وهل باشرت الدوام في كلية الزراعة .

سبأ متتهدة : لا عزيرتي ... لا بد لك أن تسمعيني أولاً ولا يجوز أبداً غلق الملفات دون نقاشها ، وكأني مذنبه بحسب وجهة نظرك وقد عفوتي عني لا بد أن تسمعيني لأنك ظلمتيني بقسوة متناهية ، وبعدها سأفصّل عليك سبب وجودي هنا اليوم كما رأيتيني .

أيار بوجوم : يعني أنا الآن ظالمة وقاسية ... وماذا بعد ؟؟ وبينما هي تتكلم أتصلت فجر فتجاهلت إتصالها .

سبأ : أسمعيني ... أرجوك ... ولك القرار في وصف نفسك أو وصفي ، لقد أخبرتك سلفاً قبل بدأ الإمتحانات النهائية بأني سأجلب معي الكاميرا ونلتقط صوراً تذكارية في آخر يوم من الإمتحان ، ولفرط حبي لك لم ألتقط ولا صورة حتى أراك خرجتني من الإمتحان وقد كانت الكاميرا بيدي ، وأنت تعرفين بالبلهاء عندما تصرُّ بتطفل وعفوية

على شيء معين ، وعندما تركت الكاميرا بيدها ووقفت تحت الشمس أنظر الى صفك منتظرة مجيئك ، أقسم بالله الذي خلق السموات والأرض بأنني نسيت وجود هذه الصور في الكاميرا وقتئذ ، ولم أتقصد إظهارها أمام أية طالبة ولا حتى أمام الرائعة أنصاف ... أقسم وبإمكانك التأكد منها وهي صادقة .

أيار متتهدة : أتقسمين برب السماء والأرض يا سبأ ؟؟ وقد أعترفتي وأمامي بأنك متقصدة أيعقل كلامك هذا ؟

سبأ وقد أحمرّت عينها وقد تكسّر صوتها : سبحان الله ... وكأنك تتكلمين عن موقف حدث في ظروف طبيعية ، ولم تشيريني حتى الى الهجمة الوحشية للمجموعة الماكرة لا بارك الله فيها ، وكيف أستغلت الموقف البريء لضربي وخطأي الوحيد وقتئذ هو إني فقدت أعصابي ولم أع لما قلت ، المهم أني أشفيت غليلي وكلمتهم باللغة التي يستحقونها ، وقلت نعم لقد تقصدت ... ووالله ... لم أتقصد ... ولكن ...

أيار متأثرة : ولماذا فقدتي أعصابك ... ولماذا تكذبين على نفسك ... كان بإمكانك الدفاع عن نفسك بصدق .

سبأ وعيناها مترقرقتان : توترت منك أكثر من توترتي من المجموعة الماكرة ، تمنيت لو إنك دافعتني عني وسفهتي الأمر ولم توليه أهمية قصوى بقولك الذي ذبحني من الوريد الى الوريد وصفقت له حتى الشياطين ، وأنت تقولين : الكتاب يُقرأ من عنوانه ، ولماذا تستمرين في قتل البسمة على شفاهي ؟، ولماذا تعاقبيني على حبي الصادق لك؟، ولماذا هذا الدور الدرامي المبالغ وأنا الغبية صدقت أنك تنتظريني، وعبارتك التي لا أنساها أبداً ما حييت التي قلتي لي فيها دون رحمة بعواظي : أن الذي كان بيننا لم يكن حياً نزوة عابرة ، وهذا فراق بيني وبينك وسلام على الدنيا يا سبأ .

أيار وقد أغرورقت عينها بالدموع : أرجوك أمسحي دموعك لا أحتمل رؤيتها ... لأنك البسمة على محياي وعندما سلمت على الدنيا بعدك ذلك لأنك نافذتي الجميلة إليها ، ومن حقي أن أعتزل الدنيا بأكملها أن أعتزلتك ، قلبي لا يحتمل أرجوك أمسحي من ذاكرتك هذا الألم الذي لم يبارحني طوال هذه المدة التي فارتكك فيها .

تكيفت عائلة سراج الدين مع طفلهم الجميل تسنيم لاسيما وقد غابت ترانيم الأطفال في بيتهم من عمر أنس لذلك الكل يتوق لحمله وتقبيله وترديد ترانيمه عندما بدأ السنة الأولى من عمره ، وحتى جده راح يتوق لحمله ومداعبته ، ولكن مُعاذ يشده دائماً الى أدواته الموسيقية الجميلة ، فراح الطفل تسنيم يتعلق بمعاذ بحركاته الجميلة ورقصاته البريئة وهو يُشير الى كيتاره الذي يحمله بشكل مفهوم .

سراج الدين : كم أتوق الى رؤيته وهو يسوق الدراجة الهوائية .

أميمة : ستراه حبيبي ... ستراه ... ولكني أحب أن يكون جالساً في أحضاني دائماً .

أيار : لا أعرف كيف ... يفهم لغة مُعاذ .. وكيف تعلق به بمجرد ان يراه .

سراج الدين : ومن قال لك بأن الطفل لا يفهم ، لديه ذاكرة خالية ... المهم لديه مخزن للذاكرة وما عليك سوى تخزين المعلومات في هذه الذاكرة وستجدينها محفوظة بدقة متناهية والطفل يمتلك لغة الإشارة ولعله تعلق بالموسيقار مُعاذ لأنه يُشير له بأنامله .

أنس : أتعرفين يا أمي أن أنثى الكنغر تحمل ولدها في بطنها .

أميمة ضاحكة : أوه ... يا له من وصف غير دقيق ... ولكني حقيقة أغبطها لأنها تحمي طفلها من أي مؤثرات خارجية وأن خرجت للتنزه فليدها حقيبة طبيعية .

سراج الدين مبتسماً : يبقى طفل الكنغر في الحقيبة الطبيعية لمدة ستة أشهر الى أن يكبر ويعتمد على نفسه في التغذية دون الإعتماد على والدته .

أيار ضاحكة : وأن أرادت أن تمنعه من الخروج ستعلق عليه الحقيبة .

أميمة : قلب أم رؤوم .

أيار : حتى وأن كانت أم يجب أن لا يكون حبها لأولادها امتلاكها لابد ان تسمح له بالإختلاط مع الآخرين والتعرف على أقرانه والتمتع بالحياة والطبيعة .

قتيبة مبتسماً : تقصدين الكنغر أم وجهة نظر عامة .

أيار : لا بل عامة ... أكيد ... وتعليقاً على كلام والدتي فالحب الإمتلاكي غير محبب .

مُعَاذَ مَمَازِحاً : وأنت يا أيار في كل مرحلة دراسية تعيشين قصة حب والآن قصة حب جديدة مع سبأ ضاربة الأخريات في الزمن الماضي عرض الحائط ... فيا لها من طاقة مرنة تتكيف مع الجديد الحديث .

أميمة بعدم رضا متنهدة : وأنا أتوقع بأنها تُحب سبأ ... أكثر مني ... لشدة دفاعها المستميت عن العلاقات الإجتماعية خارج حدود العائلة ... ورفضها وشجبها لكلامي ووصفها غير المتعقل بالحب الإمتلاكي .

سراج الدين : لم تقصد أيار ذلك ... ولكنه تعليق ووجهة نظر .

أيار مستغربة : أمي ... كيف يمكن لك قول مثل هذا الكلام .

أميمة : أبنتي وأعرفك جيداً ... هذا هو قصدك .

أيار منزعة : لا ... أمي ليس هذا قصدي ... ولا يجوز لك ان تقوليني ما لم أقل .

مُعَاذَ مَتَبَاهِيّاً : بالنسبة لي ... فعلاقتي كثيرة ... ولكنها ليست بذات تأثير علي فالمعجبون كُثُر .

وبينما دَسُئِلُ في المستشفى خارجة من غرفة الحسابات تحمل مرتبها في يدها اليمنى وهي تلفه بإحدى الصحف القديمة التي وجدتها في غرفة المحاسب ، خالجه شعور وهي ماشية الى غرفتها بأنها ستعتذر لخالد اليوم عندما تسلمه راتبه الشهري عصراً في العيادة وتوضح له بأنها تريد صالحه ولم ولن تنقصد الإساءة إليه ولا بد عليه أن يستفيد من ملاحظاتها لأنها أكثر منه خبرة وتجربة في الحياة ، وأن يأخذها بروح رياضية ، وأن كلام مروة صحيح فالرجل لم يخطيء وتبادل معي أطراف الحديث ، ولكني من اليوم وصاعداً لن أتجاوز معه وريثما انتهى من المرضى سأخرج مباشرة ، نعم هذا أفضل من النقاشات التي تجلب الهم ، ولكني أشعر بالراحة النفسية وأنا أتجاوز معه وكأني تعودت وجوده معي في العيادة ، لكنه في الحقيقة مجد وكفوء ومحترم وله ثقافة حديث وحوار تمتص غضب بعض المراجعين عند الإنتظار ، نعم خالد يستحق وقد وعدته بأن أعطيه اليوم أجراً مضاعفاً لأعينه على إكمال دراسته الخارجية ، تتمشي وتتحدث مع نفسها الى أن وصلت الى غرفتها ، سحبت

الدرج الموجود في مكتبها واستخرجت حقيبتها لتضع راتبها ، وبعد ان وضعته ، سحبت النقال لترمقه بنظرة سريعة فإذا هي تلاحظ وجود رسالة ، وبعد أن جلست فتحت الرسالة وبادىء الأمر فرحت بإبتسامة شقت شذقيها لأنها من **خالد** وراحت تقرأ مقدمتها الإستهلاكية وبإمعان تام الى أن وصلت الى مربط الفرس وقد غرات الإبتسامة وتحولت الى تجهم وهو يتهمها بأنها أساءت ولاسيما في عبارته : لن تجديني في سوق النخاسة ، لقد أساءها كثيراً ما قرأت ولاسيما عندما قرأت كلمات الوداع والرحيل .

كان للرسالة وقع سلبي كبير جداً وكأنه صفة مباحته على وجه غير منتبه ، لم تكن تتوقعه ولم تستطع حتى إخفاء علاماته متظاهرة بالصداع أمام زملائها ، وبينما هي كذلك إتصلت والدتها لأنها قلقته على **خالد** الذي اعتادت عليه وعلى خدماته اليومية ..

الأم : سبل .. هل لديك علم بالذي جرى اليوم ... بأن **خالد** سلمني مفاتيح العيادة ، ويقول بأنه سيسافر الى بغداد ولكنه لم يذكر لي كم يوم سيبقى ولماذا؟؟ لكنه كان عابس الوجه ، وغادر مباشرة ..

سبل بهدوء : نعم لقد أخبرني ، أمي لا تهتمي ... أرجوك ... لدي عمل الآن عندما أعود سنناقش في الأمر .

الأم : كيف لا أهتم ... ومن سيفتح العيادة .

سبل وكأنها نسيت هذا الأمر متتهدة : ها أرجوك سنناقش الأمر عند العودة ليس لدي أي أجابة الآن ، أمي الى اللقاء عندي عمل ، الى اللقاء ... وبالحال ... شعرت وكأنها لا تستطيع إن تواصل دوامها ... فحملت حقيبتها وتوجهت بالحال الى مسؤولها المباشر لتستأذن منه وتخرج الى البيت متظاهرة بأنها تعاني من صداع شديد باغتها والذي يراها يتيقن تماماً بأن كلامها صحيح ، وعندما استأذنت وخرجت من المستشفى اتصلت بمرؤة وسألته هل لا زالت الآن في الجامعة ... على الرغم من أنها تعرف بأنها اليوم في الجامعة .

مروة مبتسمة : أسعدني سماع صوتك حبيبتي نعم أنا الآن في الكلية وقد أنهيت محاضراتي.

سُبل : أنا في طريقك إليك ... إنتظريني ... أرجوك .

مروة بقلق : ماذا ... ؟؟؟ وفي مثل هذا الوقت هل أنت بخير ولماذا صوتك متعب ؟

سُبل : لا شيء أنا بخير .. والساعة الآن الثانية عشرة ظهراً وليس عصرأ حتى تستغربي .

مروة : لا لا حبيبتي ... ليس هذا قصدي ... ولا سيما اليوم عندي دوام مسائي وسأبقى في الكلية سأنتظرك ، أنهت مروة الإتصال ولكن القلق داهمها ، مما قادها الى التوجه بالحال الى باب الجامعة الرئيس سيرأ على الأقدام وعلامات القلق بادية على ملامح وجهها ، تسير وكل فكرها مع سُبل وبينما هي هكذا ، كان منذر قادماً قبل موعد الدوام داخلاً الى الجامعة ومباشرة في وجهها وقد فرح كثيراً عندما رآها من بعيد ، وحالما أقترب منها ألقى التحية عليها والابتسامة تشق شذقيه ، ولكنها لم ترد عليه التحية مستمرة في سيرها ، وفي الحقيقة لم تسمع وكأن في أذنيها وقر ، فلحقها ماشياً بجوارها ولم يصدق وفي نفس الوقت مستغرباً لأنها عادة لا تخرج سيرأ على الأقدام وإنما تركب السيارة من داخل الجامعة ومن أمام الكلية مباشرة ، مما قاده الى مناداتها : استاذة مروة : وحالما سمعته بالحال استدارت إليه وهي مستمرة في مشيها وهو يمشي بجوارها وراحا يتحاوران وهما ماشيان .

منذر : خيراً ... أستاذة ... أراكي تلهتين ... حتى إنك لم تردي عليّ التحية .

مروة مبتسمة : أهلاً منذر كيف حالك ... ولماذا تناديني استاذة أولاً ... نحن أقارب .

منذر فرحاً : يسعدني ذلك لكنك في موقع عمل ... أرجوك أخبريني هل من خطب ؟

مروة : عفواً لم أرك أعذرني لا شيء بالطبع ... فأنا ماشية للباب فقط أنتظر الدكتورة

سُبل سنأتي لزيارتي ... وأحببت أن أستقبلها عند باب الجامعة هذا كل شيء .

منذر : الحمد لله رب العالمين ... أن أحتجتي الى مساعدة ... فأنا بالخدمة ... وما عليك سوى الإتصال .

مروة ضاحكة : أشكرك .. أحتفظ برقمك ... وبينما هي كذلك حتى نزلت سبل من سيارة التاكسي وحالما رأتهما مع بعضهما فرحت كثيراً وإرتسمت ابتسامة على محياها بعد وجوم ، وبعد التحية ... قالت : يسعدني أن أراكما ، كيف حالك وأحوالك يا منذر في الكلية .. راحا يتبادلان التحايا وهم داخلين الى الجامعة .

منذر مبتسماً : أنا بخير أشكرك ... كيف حال العيادة ... هل التجهيزات كاملة .

سبل : والله أنا ممتنة لك ... يا منذر ... وأتمنى أن أقدم لك خدمة لقاء الخدمات الكبيرة التي قدمتها لي ، فلك مني كل الشكر والتقدير والإمتنان ، والعيادة بخدمتك .

مروة متمازحة : أقلعي له سنين بسعر واحد ... فضحكا على هذه القفشة حتى وصلا الى الكلية ، ومنذر راح لشأنه ، والصديقات توجهن الى نادي الكلية .

سبل : الله كم أنا مشتاقة لك وكأني لم أرك منذ سنين .

مروة مبتسمة : ولكنك تقولينها ... بدون ابتسامة وعلى غير عادتك ... والله أنا فرحة بوجودك فرح لا يوصف ولكنك في الأصل لا تُحبين المفاجآت ، حتى تفاجئيني بهذه الزيارة ، أقرأ الكلام في عينيك ... تكلمي فكلي أذان صاغية لك ... تكلمي .

سبل وفي يدها نقالها : حقيقة أفكارى مشوشة ولا أعرف من أين أبدأ ... ولكن من الأفضل أن تبدأي بقراءة هذه الرسالة الموجودة في النقال (بالإشارة الى رسالة خالد) ، ثم بعدها نتحاور وأسمع رأيك ، فتناولت مروة النقال وهي مبتسمة وراحت تقرأ بصوت خافت ... نص الرسالة .

سبأ متنهدة : وكيف بحالي ... وأنا عبثاً أتصل بك لأبرر ولكن دون جدوى ... والحصار القاسي الذي فرضته عليّ دون رحمة بقلبي ، وقد غيرتي كل عناوينك الإلكترونية التي توصلني بك ، أيعقل بأنك كرهتيني لهذا الحد الذي لم أتوقعه يوماً في حياتي ، وكيف لك تحمل عدم سماع مبرراتي ، تحكمين علي حكم عرفي لمجرد أنني دافعت عن نفسي وعن عواطفى ، ألم تنتبهي لنفسك وأنت تصدقين كل كلمة من المجموعة الماكرة تجاهي ، وكأنك تريدان إرضائهن بهجراني بهذه الطاقة القاسية التي لا أعرف من أين أنتك ؟ لم أذق طعم النوم ليلاً أبداً طوال كل هذه المدة وأنا أشعر

بالظلم والجفاء الذي لا أستحقه ، وأنت تعرفين بأني لا أستطيع أن أشتكيك إلاً لنفسي ووسادتي التي تغرق بالدموع كل ليلة أتعزى بها ، والى من أشتكي وأقول بأن الصديقة التي أعلنت أمام الملأ بأنها ستكون صديقة العمر تهجري وتُجافيني ، لقد كتبت لك كثيراً وكأني أتكلم معك وأحاورك أناجيك وأعاتبك وكأني قربك ، حتى تكاد المسودات في نقالي الخلوي أن تمتلئ من شدة ما أكتب لك ، وقد بلغت نفسي التراقي ؟ بهجرك ولم أستطع حتى البوح بهذا الأمر حتى أمام أخواتي أطوار وأنهار ، اللاتي يسألنني عليك وعن أخبارك وعن كليتك وأنا أقدم لهن الإجابة بحسب ما تراه عواظفي ، والطريف بأنه كلما أتصلت بي أنصاف أو أنا أتصلت بها أخبرهن بأن أيار ترسل لكن التحية ... فأنت مخطئة يا صديقتي .

أيار شدت على يدها متتهدة : لم يكن حالي بأحسن من حالك وقد أضناني الشوق لرؤيتك وراح لساني يتلذذ بذكرك ، وقتها شعرت بأني سأنفجر كقنبلة موقوتة إن لم أتحدث مع عمتي مروة حولك ، فحدثتها عن الأمر كله دقه وجله من الألف الى الياء ، علماً بأن لديها معلومات مسبقة عن المجموعة وقد نصحتني بالابتعاد عنهن رويدا رويداً دون أن يشعرن لئلا أفتح على نفسي جبهة قد لا أستطيع مواجهتها لاسيما إذا كان الطرف الآخر لا يعرف الحياء ، لقد قتلتني الشعور بالإستغفال فأنى لي أن أعرف بأنك غير قاصدة وأنت تعترفين بملء فيك ، وأنا القوية التي لم تبك على نزاع ، بكيت وبكيت أمام عمتي ، نعم بكيت من الشعور بالفشل والإستغفال ، وبكيت من شدة الشوق الذي برح بي ولكن لم أستطع مهافتك ، لشعوري بأنك تستخدميني لتصفية حساباتك مع المجموعة وتضربيني بهم ، فأنت مخطئة ولا يجوز لك مطلقاً بدافع الغضب أن تتصرفين هكذا ، ذكراك يسكن روحي أينما ذهبت تلتبس فروة جسدي ، لم أستطع الفرار منها وعزائي كذلك بالرسائل التي أكتبها لك كل حين في مسودات النقل كذلك ، فأنت مخطئة يا صديقتي ولندع هذه التجربة في أرشيف الذاكرة دون رجعة ، ولكن المهم أن نستلهم منها الدروس والعبر ، ولتكن صداقتنا كعقدة الحبل كلما شدها الطرفان إزدادت قوة ، وأرجو منك أن تلتمسي لي العذر وأن كان لي حق فأنا أعتذر سامحيني .

سبأ : كنت أراك في كل مكان وفي كل شيء ولكن الشعور بالظلم لا يُحتمل وأجمل ما يذكرني بك صوت الماء ، وكنت دائماً أتخيل نفسي معك تحت المطر والزخات تداعب خصلات شعرنا وتتخلل مساماتنا وتملأها سعادة ورضا ، وعندما أغرق في سرحانتي الذهنية التي تُقربني إليك أتمنى أن لا أستيقظ منها وأبقى أراك كل لحظة بمجرد أن أغمض عينيّ وأضع رأسي على الوسادة ، المهم الآن إلتقينا من جديد وقربتنا الأيام بعد أن فرقتنا شر فرقة ، فلا بد أن نسجد لله شكراً لأن السجود من أجمل تجليات العبودية والتجلي ما تكشف القلوب من أنوار الغيوب ، وأرجو منك يا حبيبة قلبي أن تلتمني لي العذر وأن كان لي حق فأنا أعتذر وأرجو أن تسامحيني.

وبعد أن شربن عصير الليمون البارد اللذيذ وجفت دموع الألم الساخنة بأخرى باردة عززت الثقة وجددت الحب وقوت الأواصر الروحية لترتقي الى علياء كبريائها ، وقد أنطفت أهات الحزن البركانية التي كادت ان تودي بحياة هذه الأصرة الروحية المتوأمة بفقاعة زعل ، فإستخرجت سبأ نقالها وراحت تننقي مما كتبتة وتقرأ وأيار ترنو إليها بإعجاب تام وبإبتسامة تشقُ شدقيها : وهي تقرأ ما كتبت في الأيام الخوالي وتارة أخرى بعد مودة ولفاء نتشاجر على صغائر الأمور ، وبالحنن نتشاطر ... لا نعرف كنه المشكلة وكيف تمر كعود ثقاب يشتعل ويدمر ... كل منا يستغرب لماذا التوتر لماذا الفلق وحبنا وعشقنا وشوقنا يملأ الأفق ... لِمَ بين المحبين الشدُّ يظهر ؟ لِمَ التناهي لما التوتر ؟ ثم تبدأ الروح بالشوق تأتلق ألا يا ليت فقاعة الزعل تنفلق ... فضع يدك الكريمة في يدي ولنتعاب على الخلق المحمدي ... ولنتصالح ونتناصح بكل خير كما جاء في القرآن إن الصلح خير ... يا صديقي أعتذر عن غير قصد لذنبي وإعتذر أنت لي لسوء الظن بي ولشد مرير أقسى من العلل ... وألم يذيب الجبال في المقل ... فليجعلنا الله إخوة مؤمنين نظفر ولنلتمس لبعضنا ألف عذر ... من جديد روحي تشتاق لروحك فهل سمعت حنين النداء روحك .

أيار مبتسمة : الله ... والله رائع ... أحسنت ، ثم أستخرجت نقالها من جيبيها وقالت لها : دعيني أقرأ لك جزء مما كتبت لك ، أسمعني أرجوك : صديقتي لشد ما أقاسيه من

سوء ظنك قررت إلى الأبد أن أنساك طوال كل هذه الأيام لم ولن تفهميني ، وسوء الظن يملأ جوك ومقلتيك كنت معك كالماء الفرات السلسيل القراح والروح الشفافة التواقة لرضاك كم حاولت الوصول لتفتكٍ وكم مددت من جسور وسلالم لسماكٍ فالصداقة التي تجمعنا محط إعجاب ومحبة في الله حباني بها وحبكٍ وكم من دساتير وقعتها لك ، وكم عهود ومواثيق أقرت لرجاك لكني اليوم فشلت في الوصول إليك وقررت أن أهاجر بعيداً بيدك أتعبتي عيوني التي لم تبك ، وأوجعتني خافقي الذي يهواك اليوم هجرتك المقل في النهار لكن الروح تكابد في غسق الدجى تذكرك ، والآن تعودين تارة أخرى لكن يا سيدتي عودي لمخدعك عودي كفاك فراحت الأيام تجرُّ أذيالها وأنا أحاول أن أمحو من ذاكرتي ذكراك ، لكنك تغزين حياتي في يقظتي وفي منامي ، كيف اهرب من رؤياك أوصد الباب بوجهك وروحك تسكن روعي وأفلاكي فما كانت الأيام تمحو صورة ، بل تمحو الزعل وتذوّب صدى جفاك ما أجمل صوتك السيمفوني ، وما أجمل البسمة المرسومة على محياك تعالي صديقتي لقد قبلت اعتذارك تعالي إليّ أسرعٍ خطاك ، نسيت ما بدر منك ولا أتذكر سوى مزايك وسأتكفى عليك كالموجة عندما أراك قبلت اعتذارك صديقتي ... تعالي حياك الله وألف حياك ثم أستطردت قائلة : لكن أجمل ما كتبتة عنك الآتي :

إلى الصديق الذي كرمه الرحمن في سورة النور من القرآن جمعه الرب مع الأهل على المائدة مع الأعمام والأخوال والإخوان ، فطوبى لمن نالوا هذه الكرامة إخوة مؤمنين على أرائك الجنان الحب والإخلاص لله مآربهم فلنصل على من علمنا الحب والحنان ، بدر التمام محمد خير الأنام فالفؤاد والروح شكراً لله يسجدان ... على صديق ولد من رحم الحياة تشتاقت الروح لروحه وان نأت وتذكره بظهر الغيب على مر الزمان فالمرء وأن ساد في الوجود يبقى قليلاً بنفسه كثيراً بالإخوة والخلان ، وبينما هي تتكلم اتصلت فجراً فتجاهلتها ، ثم استطردت قائلة : والآن يا عزيزتي ... تحدثي ... ماذا كنت تفعلين في قسمنا اليوم .

الجزء الثامن والثلاثون

فتناولت مروة النقال وهي مبتسمة وراحت تقرأ بصوت خافت ... نص الرسالة ... وعندما أنتهت من القراءة تنهدت وقالت مبتسمة : والله تصرفه طبيعي ...

سُئِلَ منفعلة : كيف تبررين تصرفه الأحق ، وقد تركيني وأنا بأمس الحاجة الحاجة إليه ، فضلاً عن ذلك اليوم موعد مرتبه الشهري وقد وعدته بأن أمنحه الضعف .

مروة مبتسمة : أنت طبيبة ، وأقدر مني على تشخيص الوضع النفسي لأي حالة ، فأسألك الى البدء بنفسك وتشخيص حالتك ووضعك الآن .

سُئِلَ : لم أفهم ... أرجوك .. أبتعدي عن الألغاز وتكلمي بوضوح لأنني أكاد أنفجر .

مروة : لا حظي مفرداتك أكاد أنفجر وعلى ماذا على مجرد عامل جاهل ومتخلف .

سُئِلَ : خالد شاب واع ومتقف ومهذب وأمين ولا أعتقد تنطبق عليه هذه المفردات .

مروة مبتسمة : لكنك أنت من وصفته بأنه جاهل ومتخلف وأخرق .

سُئِلَ : مروة أرجوك لا تُعنفني أنا جئتُك هنا ولم أذهب الى المنزل لأنني متألمة جداً .

مروة مبتسمة : الذي ينظر الى المشهد يرى أن بينكما أبعاد من علاقة عامل برب عمل وإلا ... لما كتب لك خالد هذه الكلمات الخارجة من جرح ينزف ، على الأقل من جانبه هو ، أن لم تعترفي أنت بوجود مكانه خاصة له في داخلك أوليس صحيحاً وإلا لماذا يوحي إليك بأنه إذا أردت البحث عنه فتعرفين مكانه ، ثم يؤكد لك بأنك لن تجديه في سوق النخاسة.

سُئِلَ : تحليلك غريب ... وهل تجدين عندي الوقت لأضيعة في مثل هذه الطرقات ... لكن الذي يزعجني إنني تعودت عليه في العيادة وانه ليس من السهل إيجاد من أثق فيه ، ولاسيما اليوم كيف سيُدار العمل في العيادة ، والله لا أعرف لذلك أتيتك لتخفني عن صدري هذه الحيرة وليس لتدخليني في حيرة أخرى ، ولكن كيف نسي موعد مرتبه اليوم .

مروة مبتسمة : لم ينسَ أبداً ... ولكن ... لأنه شعر بالإهانة ... ترك العمل وما فيه ...

سُبل متوترة : والله لم أنهه ولم أقصد أهانته لكنه غبي وقاصر الفهم لأنني قيل أن أتحدث إليه تكلمت عن نفسي وعن ظروفي المادية سابقاً وكيف ان الله تعالى وفقني بعد صبر .

مروة مبتسمة بهدوء : والآن ... وبصراحة ماذا تريدان ... أريد أن أفهم لأنك تدورين في حلقة مفرغة .

سُبل : أريده أن يتنازل عن رأيه المخبول هذا ويعود الى عمله لأنه يحتاجه أو على الأقل ليأتي ويأخذ مرتبه.

مروة : إتصلي به ووضحي له سوء فهمه وحسن قصدك .

سبل معترضة : أنا ... أتصل به .. لا ... لا .. إستبعدي هذا الحل .

مروة مبتسمة : هل لديك حل آخر ... غير الإتصال به ؟

سُبل متنهدة : عن طريق المتيم .

مروة ضاحكة : لم ... أفهم ... عفواً ... من تقصدين .

سُبل متوترة : مروة ... أرجوك ... أطلبي من منذر ... إقناعه ليعود الى عمله .

مروة تتصل بمنذر ليتوسط لإرجاع خالد للعمل في العيادة مع الدكتورة

سُبل ، وقد طلبت منه أن يراجعها غداً في الكلية عندما يأتي ، وعندما سمعها طار فرحاً لهذا الطلب وراحت مشاعره ترسم أفاقاً واسعة لطموحاته اليتيمة ... وبالفعل جاء للكلية كعادته قبل موعد دوامه المسائي ومثل أمام باب غرفتها طارقاً الباب بخفة وهو مفتوح ، وعندما رآته نهضت من على كرسيها والإبتسامة تهلت على وجهها ، فرحبت به وطلبت منه الجلوس على الكرسي قبال مكتبها .

منذر مبتسماً : كيف حالك وحال الدكتورة سُبل لاحظت أمس أنها ليست بخير وأتمنى أن أكون مخطئاً .

مروة مبتسمة : لا ... لست مخطئاً وأنتك على صواب ... ولكن في البداية كيف حالك أنت في الدراسة .

منذر : أن شاء سأكون بخير وكما تعرفين بأن دراسة الانكليزي منطقة لغة أخرى .

مروة : تعبير مضحك ... مناطق ... ولكن قلت لك سلفاً ... إذا إحتجت أي مساعدة فلا تتريث في طلبها مني أرجوك وأنا مستعدة لشرح أي مادة على الإطلاق ...
ووالدي دائماً يوصيني بك .

منذر : ليحفظه الله تعالى والدك رائع والله أحبه كوالدي ... وهو الذي شجعني على إكمال الدراسة المسائية .

مروة مستغربة : والذي هو الذي طلب منك اكمال الدراسة ... ولكن لماذا ؟

منذر : يقول بأن الشركة تحتاج الى استيراد نوع من الأخشاب من بلدان أجنبية ، ومن الأفضل ان نتعلم اللغة لفهم على الأقل التعامل مع هؤلاء التجار وليس الإنجراف وراء ترجمة المترجم التي قد تكون مضللة في بعض الأحيان ، لذلك شجعني على الدراسة ومحاولة التعلم .

مروة : وهل أنت واثق مما إنك ستتحترف الإنكليزية .

منذر متنهداً : سأحاول والله المعين ومعدلاتي متوسط والحمدُ وأفضل من المقبول .

مروة : ان شاء الله تعالى سنتال ما تصبو إليه وها أنت الآن في المرحلة الثالثة وهذا رائع ، المهم أريد أن أطلب منك طلباً صغيراً .

منذر فرحاً : وأنا رهن أشارتك ... أمري ... ولا تطلبي ... أرجوك .

مروة مبتسمة : أشكرك عزيزي ... المسألة متعلقة بالدكتورة سُبيل فزميلك خالد ترك العمل في العيادة .

منذر متفاجأ : ماذا ماذا؟؟ ترك العمل وما السبب؟؟ لقد إلتقيته قبل شهر وكان مسروراً من العمل لأنه أحوج الى المال ليدير شؤون عائلته ودفع الإيجار الشهري ، ثم إنه شكرني كثيراً لأنني عرضت عليه هذا العمل .

مروة مبتسمة : الذي أرجوه منك ... أن تقنعه للعودة الى العيادة لأن سبل محتاجه .

منذر : ولكن لماذا ؟ ألم تذكر لك السبب ؟

مروة متنهدة : سوء تفاهم .. ليس إلا .

منذر : لا بد ان تطلعي على كل المعلومات حتى أستطيع ان أناقشه بها .

مروة : كل الذي أريدك ان توصله إليه بأن الدكتورة إنسانة طيبة وراقية وأحبت له الخير بالنصح والإرشاد ولم تتقصد إيذاءه بقدر أنمله ولكنه حساس جداً وفهم النصح ... إهانته ... وتقليل قيمة .

منذر مبتسماً باستغراب : والله لم أفهم شيئاً مما ذكرتي ... فهلا ... بلطفك أوضحتي لي حديثك لأنني على قدر فهمي ... ولكن عندما أكلمه ماذا أقول له ، بأن الدكتورة إنسانة طيبة وراقية وأحبت لك الخير بالنصح والإرشاد ولم تتقصد إيذاءك قدر أنمله ولكنك حساس جداً وفهمت النصح أهانه .

مروة مبتسمة : عليك نور ... بالضبط قل له هذا الكلام ... وأسمع منه ... ولنز ردة فعله ... ثم ان له مرتباً لدى الدكتورة ولم يأت لأخذه وأعذرني لا أستطيع الإسترسال اكثر في الموضوع غير الذي ذكرته لك ، فهل أنت مستعد وقادر على هذه المهمة .

منذر : أنا رجل المهمات الصعبة وما عليك سوى الإعتماد .. ولكن ما هي أخبارك في الدكتوراه ... أقصد في اطروحة الدكتوراه .

مروة : الحمد لله قاربت على الإنتهاء .

منذر متنهداً : وماذا بعد الدكتوراه ... يا أنستي .

مروة : عفواً ... لم ... أفهم .

منذر : أخاف الإنجراف في الحديث أكثر معك لنلا تفهميني خطأ لذا سأغير الحديث.

مروة مبتسمة : لا تستعجل الغيث ... يا منذر ... ولكل حادث حديث ... عندما أحصل على الدكتوراه سأقرر ماذا أفعل بعدها ... لكنني أفهمك .

منذر فغر فاه : صحيح .

مروة متنهدة بفتور : نعم صحيح ... ولا ... تظنني مبلدة المشاعر .

منذر متفاجيء متأثراً : وهل تعرفين بشلال حبي الدافق الذي عاش في دواخلي منذ سنين ... منذ الثانوية ؟ ولا أعرف كيف أبوح لك بهذا الفيض الذي خلقه الله تعالى في دمي ... فأنت في دمي ... تعيشين ... في خيالي ... ولأجلك دخلت هذه الكلية حتى أراك وأسمعك ... وأرى الأماكن التي ترتادينها ... على الرغم من قنوطي بأنك لن

تنظرين لي وأنت تسكنين في قصرك العاجي ، إلا أنني أحاول وأحاول فعسى ربي أن يجعلك من نصيبي ، وأنا رهن إشارتك ... فقط أعطيني بصيص أمل ... تتوق روحي دائماً وأبداً ... لسماع أخبارك .

مروة بعد ان انصتت إليه : يؤسفني أن تنظر إليّ بهذه النظرة الإستعلائية يا منذر وكأنني متكبرة ... ولكن أريدك أن تعرف بأنني أحترم مشاعرك ولا أتجاهلها ، ولا أعرف ماذا أقول لك سوى أنني لا زلت طالبة ولا أريد أن أشغل نفسي وأشتت أفكاري ... ولا أعدك ... بأي شيء ... أعذرنى ... أرجوك .

منذر مبتسماً فرحاً : والله ... أعدتي الروح الى جسدي البالي ... وحديثك السحري أشفق بحالي ... وخصب حياتي المجدبة بعد سنين القحط ... لكنني سأبقى ... أفهمك يا ملاكي وملاذي ومستقري ومستودعي ... وأعذرك ... وسأصبر حتى يمل الصبر مني وأشكرك على ثقّتك بي وأعدك بأن أكون عند حسن ظنك وظن عمي عبد الرحمن، وتقي بأنني لن أفرض نفسي عليك أبداً ، والمقدر في السماء سيصيب العبد لا محالة .

مروة بعد ان سمحت له بمواصلة الحديث الرومنسي مبتسمة بهدوء : أشكرك ، عزيزي الإيمان بالقدر بلسم للجراح والآن لا تنسَ موضوع خالد أرجوك لأجل سُبُل

سبأ مبتسمة بفتور : أتيت هنا لأجلك .

أيار : لأجلي تحدثني أرجوك وإسترسلني ولا تجعلني حديثنا يجري كالإستجواب .

سبأ : طبعاً ... أنك أكيد عرفت ... قبولي في أي كلية .

أيار : مؤكد ... جامعة الكرمة كلية الزراعة وقد فرحت لك كثيراً لأنها أمنيته .

سبأ : هذا صحيح ... أنها أمنيته ... ولكن وجودك في دمي حدد إختصاصي ، وقوض هذه الأمنية وحدد إتجاهها وغير خطة القبول .

أيار وضعت قبضة يدها تحت خدها وقالت بغير رضا بفتور : وماذا بعد ؟؟؟ أختصري

رجاءً وهل باشرتني في الكلية وفي أي قسم أنت الآن ؟؟ أختصري لا أحب التفصيل .

سبأ مبسمة : لا تستعجلي الغيث ... سيأتيك ... رذاذاً ... ثم وابلأ ... وبما أني عرفت بأنك في كلية الآداب ، طلبت من عائلتي ان أقدم طلباً لأغير ترشيحي الى كلية الآداب ، في البداية أعترضت والدتي وزمجرت وسألتنني عن السبب فقلت لها ، أشعر بأن طموحي في الآداب أكثر ، ولكن والدي أقنعها وأقنع برأيي وقال لها لنغير الإختصاص فلدينا في المنزل مهندس زراعي ، وقد تبني الأمر ولا أريد التفصيل في قضية الترشيح والقبول ، المهم تمت الموافقة الى قبولي في كلية الآداب ، وبعد أن عرفت من أنصاف بأنك في قسم الإنكليزي قدمت على القسم ، ولم يقبلوني بادئ الأمر بحجة أن القسم لا يستوعب عدداً آخر من الطلبة ، وأن الطلبة الذين تم قبولهم خضعوا لإختبارات ، ولولا يد اللطف وعين الرحمة لما قبلت هنا ، كان لوالدي صديقاً يعمل في رئاسة جامعة البصرة كان وسيلتنا الفاعلة هنا وإستخرج القبول من فك الأسد ، واليوم أول يوم أداوم فيه وقلبي يخفق كلما فكرت كيف سألتقيك وهل سترحبين بي أو لا الكثير من التساؤلات التي تتجمع في صدري ، ولكن (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله) ، ويجب علي أن أخبر كل التدريسين بأنني طالبة جديدة حتى يُضيفوا أسمى في القائمة التي معهم ، الى أن تصدر القائمة الجديدة من القسم التي تتضمن الأسماء الجديدة المضافة ومنها أسمى ولكن للأسف أخبروني بالذهاب الى شعبة باء .

أيار تهلل وجهها وشدت على يدها وقالت بصوت فرح : صحيح ... حبيبتي ... سيقف قلبي من الفرح ... غير معقول بأن أنامل القدر ستجمعنا من جديد بعد أن فرقتنا الحمد لله رب العالمين كم تمنيت ذلك وكم رفعت أكف الضراعة للسماء قبل القبول بأنني يجمعني الله بك في الكلية واحدة ، هذه نعمة لأنك أيضاً نعمة قدمها لي القدر ، وبينما هي كذلك رن نقالها ، فرمقته بنظرة إنزعاج ولم تعر له أهمية وتجاهلته أكيد فجر لأنها قالقت عليها لأنها لم تحضر محاضرتين الى الآن لنسجد لله شكراً على هذه النعمة .

سبأ مستغربة : من هذا الذي يتصل وتتجاهلين إتصالك .

أيار : هذه فجر لصقة الأسد .

سبأ ضاحكة : ومن تكون فجر لصقة الأسد؟! حتى أعود أدراجي الى كلية الزراعة هاربة .

أيار متمازحة محرقة كتفيها ويديها : إحدى زميلاتي معي في الصف ، وبما إنني شديدة الجاذبية كالمغناطيس يجذب إليه الجميع ولاسيما هذه الطالبة التي أهرب منها كلما رأيتها ، لأنني لا أحب الإلتزام تجاه أحد ولاسيما في الكلية ولكنها في النهاية تجدني وأكد الآن أخبرتك مركز الشرطة ، المهم دعينا من لصقة الأسد هذه لقد قطعت سلسلة أفكارني ، نعم غردي حبيبتني وأطربي أسماعي بصوتك السحري لقد مرّ عامان ولم أسمعها ، أتعرفين يا سبأ أشبه شوقي إليك ... كالصائم الذي أضناه العطش ولا بد له من الصبر والإنتظار ... لا بد ان يتحمل الظمأ حتى وأن تعبت روحه ، هذا هو شعوري والله يشهد على صدق كلامي ... وبينما هي تتلذذ في حديثها ... رنّ هاتفها فرمقتها متأففة ضائنة انها فجر لكنها الآن عمتها مروة ... فأكيد سترد عليها .

مروة بقلق : أيار ... أين أنت أنشغلت عليك؟؟

أيار باستغراب مقطبة حاجبيها : ماذا؟؟!! أنشغلت عليّ ... ولماذا؟؟ ماذا حدث؟؟

مروة : وأين أنت الآن؟

أيار : أنا في الكلية؟

مروة : ولماذا تغيبتي عن محاضرتين؟

أيار : ومن قال لك ذلك؟

مروة : جاءتني زميلتك فجر تسأل عنك بقلق وأخبرتني بأنك أختفيتي بعد المحاضرة

الأولى ، وأنها بحثت عنك ولم تجدك فقلت لها أكيد في المكتبة فذهبت وجائتني مرة

أخرى وقالت لم أجدها ، أين أنت؟

أيار ضاحكة : أنا قلت (لصقة الأسد) ستُخبر مراكز الشرطة عن اختفائي ونسيت بأنها

ستقصدك .

مروة : لا تغيري الموضوع اي انت الآن؟

أيار : أولاً لا تخبري فجر (لصقة الأسد) بمكاني أنا الآن بالتحديد أجلس في الحديقة الواقعة خلف كلية الإدارة والإقتصاد .

مرورة : مع من تجلسين ؟

أيار ضاحكة : مع شخص أحبه وأعشق الإبتسامة على محياه .

مرورة منزعة : أيار ... تكلمي برشادة ... وأبتعدي عن هذه النبرة الغريبة ... وتعالى لئلا تفوتك المحاضرة الرابعة ، وسنتكلم لاحقاً حول هذا الموضوع .

أيار ضاحكة : عمتي ... أحزري من معي الآن ؟

مرورة وقد تبدد قلقها : أشعر بأنك سعيدة ... أكيد أنك تعرفين من تتكلمين عنه .

أيار : أعرفه ويسكن روجي وأوداجي وخيالي ... منذ الأزل ... وقد كادت روجي تبلغ الترقى بالشوق إليه سنأتيك بعد هذه الساعة وسأعرفك عليه الى اللقاء ... إنتظريني .

مرورة مبتسمة : أقصدك ... سباً ... قولي قولي ... أشعر بذلك .

أيار راحت تدور بمرح في الحديقة حول سباً : الله ... كم أنت رائعة يا عمتي تقرأين الكلام وهو على شفاهي ، نعم أنها سباً ... سينتهي رصيدك ... سنأتيك بعد ساعة ان شاء الله ولن أحضر المحاضرة الأخيرة أعذريني .

سباً : أشكرك حبيبتني ... لكم أشعر بالسعادة ... وأنا معك .

أيار ممزحة : اثبتي لي حبك ... ولنمشي تحت أشعة الشمس الحارقة ... كما مشينا تحت المطر .

سباً مبتسمة : أمشي معك ولو في حر تموز الذي يُذوب الأجساد ما دام معك سيكون أجمل من جو إسطنبول .

تتوق المراكب إلى شواطئ الأمان مهما توغلت في الإبحار تريد الوقوف تحنُ حيناً مدناً للأحبة والأوطان فلا بد من وضع النقاط على الحروف ، لا يداوي الجفاء جرح عليل ولا يمحي من الدهر أي صروف ، ولا مناص اليوم من حقيقة تتبلور بين الجوانح بذات الهوى المعروف ، كلاهما أساء التعبير بلغة الغضب الفورية وترجمة قاسية سطرّتها الظروف ، باعدت بين الأيادي المتشابكة وذُبحت

البسمة بآلاف السيوف ، وفرضت تنانياً علقمياً أهوج إن نزل للساحة بالقساوة موصوف ، فعدت الروح أسيرة في زنزانة الألم تأن ظمأنة للقاء بالخوف محفوف ، ناظرة للسماء تستسقي وقع المطر ليغسل غبار ذرته رياح الحتوف ، تستسقي المراكب من جديد تجدل على جبلين رقيقين على الرغم من كل الأنوف وكلاهما يرنو للأخر ينتظر مجيئه ، كطائر مهاجر بالشوق مكتوف ، ولكن عندما إلتقت الأرواح مع بعضها في لحظة تكاد تكون حلم حلفت ناسية كل الملفات السابقة في الأدرج والرفوف ونثرت المشاعر والأحاسيس أكاليل الزهور ووقفت ملائكة الحب محيية في صفوف ، وتناثرت على الأرض أكاليل الورود وإرتسمت البسمة على الثغور في الأركان والسقوف وقد عادت المياه الى مجاريها وانتظمت سبأ في دراستها ومرت الأشهر الأولى بكل هدوء وشوق ولهفة ، وأصبح لكل منهن مجموعة وزملاء مقربون في كل شعبة ، وفي بعض الأيام لا تلتقيان إلا للتحية السريعة وذلك لتقاطع وقت المحاضرات بينهما .

ولكن للغيرة أصول حية متجذرة بينهما تتحرك بانسيابية وتلقائية دونما تكلف ومروة المراقب الوحيد والحكم المباشر ، ولاسيما وقد توسع المكان وإزدادت الأحداث وتنوعت الشخصيات على مسرح الحياة الجامعية ، ومثلما أيار تتشدد بأن فجر وغيرها معجبة بها راحت سبأ تخطط وتعد العدة لنفس الغرض بدافع الغيرة لتبادل الأدوار ، لكنهما يبقيان مثل الشكر والشاي كلاهما الشكر وكلاهما الشاي ، ولا تعترف إحداهن بأنها الشاي ، وكأنهما طفلتان عند الزعل وعند الرضا ولهما باع طويل بضجيج الطفولة والمزاج المتقلب الذي لا يمكن قبوله فتارة تجاذب روعي ملائكياً اخذاً ، وتارة تنافر وجفاء يصهر الروح في قارورة الجسد ، ومروة تكتب الخواطر بما يتناسب وهذا الواقع وكلاهما يقرآنه ويصوبان الأخطاء : ومنها كتبت الأتي : كان لدي دمية دب يحمل طيلاً أشغله وأنا أتقافز على الحبل ... وعندما أنتهي من الففز واللعب ... أطفأه وأخبأه في الصندوق بعد التعب ، وأنت الآن تشاطرينني الصداقة ... تقولين بأني غدوت البسمة على شفتيك واني حمامة سلام أطيير في مقلتيك ..

وأنت تعرفين كم روحي لك تشتاق ... وكم من مرة قطعْتُ لك ميثاق ... ماذا دهاك اليوم ... لا أعرف ؟ وإساءة الظن بي أسلوب مقرف ... تثورين بدافع الشك ولا تريدين السماع ... ككاهن متعجرف يأمر بما لا يُطاع ... وكما لفن الحديث تعلمتي ... لفن الإصغاء عزيزتي تعلمي ... فالمحب يعاتب ولا يظلم المحبوب ... وسوء الظن آفة تفتك بالقلوب ... والآن يا صديقتي عدت بعد أقول ... وفي يدك إبريق لسقي الأزهار بعد ذبول ... تطلبين مني العذر والتفهم؟! ولأنك تسكنين أوداجي سأتجاوز وأبتسم ... لكن أنظري ما أشبهنا الآن بعد العودة ... بما أسلفتُ من حديث اللهو والمودة ... فأنت تلك الطفلة المدللة تبكين ... وأنا في يدك ذلك الدب المسكين ... ولكن هما اليوم في جامعة ومن أسماها فهي جامعة لكل أصناف الطلبة ، وفضاء واسع لا يمكن السيطرة عليه بسهولة ، فعلى الرغم من أتون الحب المستعر تبقى الغيرة سبب المشاكل وتعكير الصفو وتحطيم الهدوء .

الجامعة حياة جديدة مليئة بالأحداث ولاسيما من حيث إختلاط الطلبة بالطالبات بعد أن عاشوا الابتدائية والثانوية بإستقلالية تامة ، واليوم على مسرح هذه الحياة يظهر الجديد في الإنجذاب وتكوين العلاقات الحميمة الصادقة منها والتمثيلية التي ما تلبث أن تنفجر كالقفاعة لحظة التخرج ، ولكن أيار تحاول أن تُحصن نفسها من هذه العلاقات وأن جنحت بالإعجاب ، لاسيما وعمتها تراقب تحركاتها عن كثب ، ولكن الطريف أنها في الكثير من الأحيان تحاسب سبباً على الكثير من المواقف والعلاقات وتمنعها حتى من الجلوس أو الوقوف مع الطلبة مما يولد بينهما بعض الشد وشعور بالتدخل وقد أصبحن الآن في السنة الثالثة من الكلية وبمعدلات متوسطة بالكاد نجحن وذلك لأن أيار دخلت القسم لأجل مروة وسبباً دخلت لأجل أيار وليس نسبة لمستوياتهن في مادة اللغة الإنكليزية .

أيار : كم مرة قلت لك ... ألا تقفي بمفردك مع الطالب ... ؟ وعد .

سبأ : كنت واقفة بانتظارك ... وجاء وعد ووقف يتحدث معي ... فهل أقول له يا ترى أبتعد عني لأن أيار لا تقبل ... وقد أمرتني بأن أكون خلف الزجاج الصقيل ... ثم ... أريد إبلاغك بخاطب تقدم لي ، لكنه لم يعجبني ورفضته .

أيار : لقد رأيتك واقفة معه قبل عشر دقائق وأنا أنظر إليك من بعيد من على إحدى المصاطب ... ثم أنك وقفتي معه أكثر من مرة وقد حذرتك من ذلك ، ثم لماذا يا ترى رفضتِ الخاطب .

سبأ معترضة : هذا يعني أنك تراقبيني ولا تتقين بي ، ثم إنني رفضت الخاطب لأنه لم يتفق وأحلامي الرومانسية أريده يشبه شخصية دايسكي في أفلام كارتون الكريندايزر يشعر طويل متهدل على أكتافه ... ثم الساحة ممثلة وما عليّ سوى الإنتقاء .

أيار : أراك دائماً من بعيد وأنت تتقين مشية الغنج والدلال ، أرجوك انتبهي لنفسك أخاف عليك ... وعلى سمعتك ... لأنك زجاجة .

سبأ : كم من مرة أراك تجالسين وتتكلمين مع الطلبة ... أولست زجاجة ... أيضاً .

أيار : نعم صحيح ولكن لأجل المدارس والمناقشة ليس إلا .

سبأ متوترة : هذا يعني أنك تتهميني ، ثم لماذا لا تلاحقين صديقتك فجر وهي تعلن وعلى الملاء حبها وعشقها للطالب وضاح في قسم اللغة العربية ، والكل يعرف بعلاقتها العلنية هذه حتى وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة ، أم أنك لا تعرفين سواي؟ حرريني من قيودك، وأفصلي ما بين الصداقة والمسائل الشخصية، وأنا حرة أمشي بغنج أم أمشي مشية العسكر، أنا حرة في نفسي وليس لك سلطان عليّ أسمعني؟!

أيار منزعة : أنا لا أتهمك ... ولكن أريد أن أحافظ عليك كما أحافظ على نفسي ولا أريد أي كان ان يتكلم عنك بسوء ، وفجر صحيح صديقتي وتحبني بجنون ولكن هذا شأنها ، وقد أختطت طريقها بنفسها وأنا لا أويدها البتة ولكن لا أتدخل بشؤونها... أتعرفين لماذا؟؟ لأنها لا تهمني ... ثم ألا تلاحظين المشاكل الكبيرة التي حدثت ما بين زميلتنا المتبرجة أفكار وأحد أصدقائها في المرحلة الرابعة ، وكيف تطور تعارفهما

من إنجذاب ولقاء الى مشاكل لا تُحمد عقباها وهي الآن في غرفة العميد مشتكية تدّعي بأنه مسك يدها .

سبأ منزعة : ثم هذا شأني وأنا حرة أقف مع من أقف ولسنا في ثانوية ولا تبالغي ولا تتجاوزي الحدود ، ثم هل أنت أبي أو أمي حتى تحاسبيني هكذا ؟، أبتعدي عن فلان أو فلانة ؟ هذا أمر مقرف لا أحتمله ، وأنا سبأ ولست مثل هذه البلهاء **أفكار** تطور علاقتها بالطلبة أنا أتعرف بهم وأسمعهم فقط وأحاول التمييز فيما بينهم لأنتقي الأفضل والأجدر دون أن يلين جانبي لأي أحد منهم لئلا يتجاوز .

أيار : نعم .. أنا هنا أدافع عنك كأملك وأبيك .

سبأ : وهل تريدني ... وفي هذا الفضاء الفسيح أن أعلن العزلة والإنفصال عن الطالبات والطلبة لمجرد إنك ترفضين ذلك ؟ انتبهي يا أيار ... فكلامك خطير وغير عقلاني وغير منطقي .. ويجعلنا في مفترق طرق ، أسمعني جيداً فأنا طالبة هنا وسأقيم علاقات تعارف مع كل الطلبة والطالبات ... شئت أم أبيتني ... أتعرفين ، ولا تحكمني عليّ بالأحكام العرفية التي لا تعرف العقل ، وعد وغيره من الطلبة زملائي ... ثم إنك تعرفين بأنني لن أرفض أية فرصة للإعجاب ، ويُعجبني أن أرفه عن نفسي براحتي وعلى مزاجي و**وعد** أحد المعجبين مثله مثل غيره من الطلبة وصديقاتي جيدات ولا أريد عنهن أبداً سواء كن سلبيات أم إيجابيات وعليك التكيف مع هذا .

أيار منزعة : يؤسفني ردك المخبول هذا ... فأنا لا أقصد إلا النصح الرشيد ... ولن أفرض نفسي ولا رأيي عليك تارة أخرى ، وبالفعل قد تفيدك علاقاتك برفاق ورفيقات السوء وأنا بحل من هذا الرأي ولك الخيار .

سبأ منزعة : نعم لأنه سبق وأن أستفدتني من رفيقات السوء لذلك تكررين النصيحة اليوم ، وتصفين ردي بالمخبول وفي الأصل كلامك أجوف فاقده المحتوى .

أيار : قلت لك ... عليّ النصح وعليك القرار ... ولن أكرر كلامي ... ولكن ... ليكون بمعلوماتك ... لن أقبل أبداً .. بأن تؤذي نفسك ... ولن أسمح لك بذلك .

سبأ تضحك بسخرية : كيف لن تسمحى ... هل ستضعين الأصفاد في معصمي ، أم ستضعين كاميرات مراقبة ترصد لك تحركاتي ... أم سيكون لك خطة إستخبارتية اخرى للسيطرة عليّ .

أيار متتهدة : لن أبلغك بأي معلومات فهي خاصة بي ... أمض في طريقك ... ولن أكون حجرة عثرة في طريقك ما حييت ... ولا حتى في هذه الساعة الوحيدة للإستراحة التي تجمع بين شعبتنا .

سبأ : يعني ليس لديك حل وسط ... تريدين إرغامي على إقامة جبرية ... حيث لا يبقى صوت لديّ أستطيع نطقه ولا أعرف متى تصدر أحكامك العرفية ... تتكلمين براحتك وتغلقين في وتكسرين أسناني لتدعين بعدها بأن إبتسامتي غدت غريبة وحشية ، وتترجمين مقاصدي على هواك ... أيّ ظلم يفوق ذلك يا أيار ... أعرف وأفهم قصدك ولكنك تخنقيني بهذا الإهتمام ، أرجوك لا تُعامليني وكأنني طفلة صغيرة لا تفقه ما تقول وما تفعل ، فأنا بعمرك ولم أتدخل قط في شؤونك وعلاقاتك ... أرجوك أفهمي كلامي ... وأطمئني ... فإن لعبت فمزاجي ... لأنني حذرة ... ولن أعب بالنار أبداً .

أيار بوجوم : أعتذر لنفسي ... لأنني أصبحت بنظرك ظالمة وقاسية ومنتسلطة ومتعجرفة وفوق كل ذلك أحنقك ، لذلك أعدك بأنني لن أكون حجر عثرة في طريقك مرة أخرى ، ولكني سأختط لي طريقاً أخرى مغايرة لطريقك ، فلكل منا وجهة نظره التي لا ترضي الآخر.

الجزء التاسع والثلاثون

لا تخلو الحياة من المرضى النفسيين الذين يفتعلون المشاكل حتى من العدم ، ولاسيما رئيس القسم بدأ يعامل مروة بإزدواجية سيئة فيبعد أن كان خير أستاذ لها وهي طالبة أصبح اليوم أسوأ زميل لها ، ولاسيما وهي اليوم تتربع على عرش التميز في حلقاتها النقاشية وندواتها مع جهابذة الكلية ، فضلاً عن أنها نشرت خمس بحوث علمية في مجال تخصصها وحصلت على الترقية من مدرس مساعد الى مدرس وبجدارة وأسرع من عدد من أساتذتها الذين لا يزالون قابعين مكانهم دون ترقية ، وحصلت على العديد من كتب الشكر وشهادات التقدير بشهادة جهابذة الكلية والجامعة بأن الأستاذة مروة يشار لها بالبنان ، ولكن رئيس القسم راح يضيق عليها في أية فرصة يراها سانحة أمامه وتحت صلاحيته ، مما جعل هذا الوجه الباسم البهيج يبدو كنيباً قلقاً لما ستؤول إليه هذه العدائية المبالغته التي لا تعرف سببها ، ولكن الذي يزعجها أن الكثير من زملائها يسألها لماذا الدكتور أسامة زين عابس يناصبها العداء في أرائه ومواقفه ولا يعترف بجهدا العلمي ويعتبره مجرد حشو ونثر في ورق قدر له القدر القبول والثبات ، وعزاؤها الوحيد هو ان تشكو لرفيقة دربها .

سُبل متهددة : يفلقتي ويزعجني التعامل السيء للدكتور العابس ولا يستحق أسم أسامه زين معك ، من الآن أصبح أسمه العابس ، ولكن كيف كان تعامله معك عندما كنت طالبة ؟

مروة مبتسمة : والله كان أروع أستاذ معنا في تعامله وتواضعه وخفة دمه وفي سخائه في الدرجات وقد كان يمنحني أعلى الدرجات ويميزني عن الطلبة بمزيد من الثناء والتشجيع ، ولكن اليوم سبحان الله أنقلبت الآية وقد تحول المدح الى قدح ونثر الأحجار في طريقي وإن كان بصورة غير مباشرة إلا أنها معروفة ومن قبل الجميع ، ووصل به الأمر حتى التلاعب في جدولتي وتغييره بالشكل الذي لا يناسبني ، ووضع محاضراتي في قاعات نائية تحت الدرج لا تصلح حتى لقطيع أغنام ، وعندما أطلب منه أجازة يكتب لا أوافق لأنها كثيرة التغيب وغير ملتزمة ، وبالفعل أصدر بحقي

تغيباً وقطع راتب وأصبح في أضرارتي المهنية تغيب ، ولكم أسائني هذا التصرف الأهوج .

سُبل متأففة : أشتكى العابس الى العميد ... ولا يجوز لهذا الفاشل ان يعاملك هكذا وأنت الحاصلة على العديد من كتب الشكر من العمادة ورئاسة الجامعة ... وأنت باحثة يشار لك بالبنان في مجال الأدب الإنكليزي .

مروة مبتسمة بسخرية : العميد ... وماذا يفعل العميد وهو الذي جاء به رئيس قسم غير عابىء بالألقاب العلمية الموجودة في الكلية المهم أن يضمن ولائه له ، لدرجة أنه غيبي مباشرة وبدون أن يصدر حتى كتاب استفسار ، وعندما قدمت له اعتراض لم يكثرث لأمري وقال بأن رئيس قسمك هو الذي يقيمك ، وإذا كنت متميزة كطالبة فالأمر يختلف ولا بد علي من الإلتزام بالضوابط والتعليمات ، وأنه يشكو منك دون غيرك ، هذا ما قاله لي دون رحمة فقلت له : يا دكتور : (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) ، فإمتعض وقال : لماذا دكتور زين يشكو منك أنت بالذات دون غيرك .

سُبل : ولكن هل طلبتي منه ان يحول التغيب الى اجازة اعتيادية ... ثم أن القانون يمنح التدريسي الحق في طلب اجازة ، فكيف يمكن لهم خرق القوانين والتعليمات ، ولكن بالفعل أمر محير إذ كيف ينقلب بين عشية وضحاها من صالح الى طالح .

مروة : نعم .. وطلبت منه ان يجعلها اجازة وبدون راتب المهم إن يُرفع من الإضرارة أمر التغيب المجحف ، ولكن والقرار نافذ والظلم سابق ولا يعرف العيب والأمر مبيت له في ليل فحسبي الله ونعم الوكيل عليهما ، وحتى أيار لم تسلم من أساءته بصفتها ابنة أخي يتعامل معها على الحد وبالدرجة التي تأخذها دون زيادة ، وذات يوم في الإجتماع أشار لي بصورة غير مباشرة ولكن الكل يعرف ان الموضوع يخصني ، بقوله هناك تدريسيات يتعاملن معاملة خاصة مع الطالبات فلا بد من الحد من العلاقات العائلية في موقع العمل ، ولا يجوز للإستاذ ان يلين جانبه لأي طالب مهما كانت علاقته به ، والأكثر من ذلك فإنه يشير للجميع بأنني من خلال علاقتي أتوسط لها عند معارفي ، ثم أستطردت قائلة : لقد وصل تعامله السيء الى درجة لا أحتملها ولاسيما

عندما تصل شرارة غيرته الفاتلة لمستقبل أيار ، ولكني وعلى الرغم من كل هذا أحاول أن لا أتصادم معه في النقاش إذا تعلق الأمر بدروسها خوفاً عليها ، لأنه رئيس قسم وقادر على أي عمل من شأنه أن يضربها وفي أي مادة لاسيما وأن اللجنة الإمتحانية من الوصوليين المستفيدين الذي يطوفون حوله ، لذلك أحاول جاهدة أن أتحمّل حماقاته .

سُبل : إذا كان تصرف العايس السلبي ضدك بسبب مرض الغيرة النفسي ونجاحك المضطرد بحسب ما أخبرك به السيد العميد صراحة ، فلماذا يُعاقب أيار ؟ فهل طلبتي منه مثلاً مساعدتها ؟

مروة : نعم للأسف ... في العام الماضي وبينما كان سعيها منخفضاً في مادة التلطف ، طلبت منه أن يرفع درجتها خوفاً من الدور الثاني ، لكنه وللأسف أستغل الموقف رفض طلبي وقال هذا مستواها ويجب أن لا أتعامل بهذه الطرق الملتوية لأنه يُعامل كل الطلبة بالمعيار ذاته ، وفي ذات الوقت دخلت إحدى التدريسيات من قسم آخر فرحب بها وطلبت منه المساعدة لأحد الطلبة من أقربائها وتعديل سعيه السنوي اليائس ، وبكل سهوله رفع السعي عشر درجات ، كانت الصدمة كبيرة ولم أكن أتوقعها فخرجت من غرفة القسم دون أن أنبس بكلمة ، ولكنه راح يزوج لهذا الحدث وأمام الجميع حتى أن زملائي المقربين أخبروني بهذا الموقف ، ولم أستطع حتى معاتبته لأنه لا يستحق العتاب ، وذات يوم عندما كنت أروّج معاملة الترقية ، إكتشفت بأن أحد البحوث غير داخل في الخطة العلمية مما يُعرقل إتمامها ، فطلبت منه إن يُدخلها في الخطة العلمية والمسألة يسيرة جداً ، كتابة اسم البحث في سجل موجود في القسم ، ثم تزويدي بكتاب يطبع في القسم بأن هذا البحث داخل في الخطة العلمية للقسم ، أتعرفين ماذا فعل ؟؟؟ أمر لم يصدقه العقل ، رفض نعم رفض على الرغم من توسلاتي إليه لنلا تتعرقل المعاملة ، وذهبت الى العميد الذي راح ينتظر زيارتي مشتكية بين الفينة والفينة ، وكلما رأني بيتسم ساخراً أو مماًزحاً ويقول : ها مروة ... أهي شكوى على الدكتور أسامة ؟! المهم عرضت عليه الأمر وحقيقة أستغرب ، وأوعز إليه بكتاب

رسمي بأن يضيف البحث في الخطة العلمية في القسم ، وأخذته كأمر إليه ولكنه تارة أخرى رفض وبدون حياء وبحقد مبطن .

سبل منزعة : ولكن لماذا؟؟؟ يرفض العابس والأمر هين مجرد إدخال معلومات في سجل أو حاسوب ؟

مروة : يدعي صاغراً كاذباً بأن الأمر فيه مسؤولية والأمر مفضوح لأن السيد العميد ونظراً لكثرة شكاوي ضده وهو يسمع ويرى عن كثب ، نصحني بالصبر وقال الذي يغار من الآخر له حقد كحقد المجرم فتجنبيه .

وبعد أن وعدت أيار صديقتها بأنها لن تكون حجر عثرة في طريقها ، اعتزلتها والألم يعصر قلبها ولم تعد تحضر الى الحديقة التي كانتا يلتقيان فيها في كل يوم اثنين ، وأعتكفت في المكتبة ساعة الإستراحة تواصل قراءتها للقصص الإنكليزية وترافقها فجر حتى وأن جلست تتطلع دون ان تنبس بكلمة المهم انها ترافق حبيبة قلبها أيار التي تعتبرها صديقة عمرها التي تثق بها وتكلمها عن كل خصوصياتها كمخزن لأسرارها ، كما أنها أخذت وعداً على نفسها بأن لا تكلم سبياً في الهاتف أيضاً ولا تسألها عن أي شيء حتى تعود الى رشدتها وتستفيد من هذا التجاهل معترفة بخطأها من وجهة نظر أيار ، مرّ أسبوع والتعنت بادي من الطرفين مجرد التحية عند اللقاء في أروقة الكلية ، وفي الإسبوع الثاني بدأ أتون الشوق يستعر ففكرت أيار بطريقة تسحبها كالمغناطيس وبصورة غير مباشرة بتحريك طاقة الغيرة الكامنة لديها ، من جانب تبدو أنها تتجاهلها ومن جانب آخر تثير غيرتها وتتقصد الجلوس في الحديقة على المصطبة مع فجر وتضحك على صغائر الأمور بقصد الإيحاء لسبياً ليس إلا ، وما أسهل الحديث مع فجر ، فبمجرد سؤالها عن حبيبها مكرم ستسترد الى الصباح وهي تعرف جيداً بأن سبياً تنتظر إليها خلسة أن لم تكن من بعيد فمن الشباك المطل على الحديقة تعرف بأنها تُحبها ولكنها تعرف أيضاً بأن مغريات الجامعة كبيرة جداً ويغرق فيها كل من لا يعرف السباحة .

وبالفعل وعلى الرغم من إنشغال سبأ اليوم مع إحدى صديقاتها التي تخرّج حبيبها وهجرها تسمعها وتواسيها ، والثانية التي أعلنت خطوبتها مع أحد الطلبة ، فضلاً عن إنشغالها بالمعجبين ، ووسط هذه الزحمة أفتقدت أيار وشعرت بأنها تحتاجها كشعور أي محب ، تحتاجها دون ان تتدخل في شؤونها ، تحتاجها كجدار تستظل بظله عند المطر ، تحتاجها كصدر رحب تبكي عليه عند الشعور بالغبية ، تحتاجها لأنها تعودت رؤيتها ، ذلك الشعور الذي يمتلكها حتى وأن توسطت ملايين الناس ، فليست الغربة بعد مسافات ولا رحيل أوطان ، ولكن الغربة غربة الروح داخل الجسد وهي وسط زحمة ملايين الوجوه ، لقد مرّ اسبوعين وهي ترى بأن أيار لم تكثرت لها وكأنها إستبدلتها بفجر وهذا بادي للعيان من ضحكاتنا ، حتى إنها لم تكلف نفسها برسالة على الواتس أب ، أيعقل بأنها هجرتني بجفائنا هذا ، والذي قتلتني اليوم عندما ألقيت عليها التحية صباحاً ونحن داخلون الى القسم ، ردت عليّ التحية ببرود حتى دون ان تنظر بوجهي ، أيعقل بأنها أعلنت إنشاقها عن صداقتي ؟ وهل ستتنازل عني بكل هذه السهولة ، فرجعت الى صفها بعد ان كانت تنظر إليها من النافذة واستخرجت النقال وراحت تسطر خوالج نفسها بالآتي : لم ولن أجافيك لكنك غريبة الأطوار دون تريث للأمر ينقلب الهدوء بيننا دون سابق إنذار وحبّي لك دائماً ممزوج بألم يتعاقب فيه النور والنار فألى متى يستمر الحال والى متى نجني من المر الثمار ، وتذكري بان روحينا كجناحي طائر لا يفرقهما تصدع المنقار ولا يمكن للحن أن يحيا إن فارق العود الأوتار ، والسحب مهما تلبدت لا بد لها من أن تتحول إلى أمطار تسقي البوادي الجرداء الظمأنه وتتراقص جذلي في سواق وانهار والليل مهما أدلهم وطال لا بد من أن يأتي بعده النهار والزرع الأصفر سيعود بعد ذبول إلى جنة وأزهار ، لأن الحب الملاكي لا يموت أبداً ولا تزعره قوة إعصار يبقى بريقه الأخاذ كالشمس والنجم والأقمار كالبوصلة يهتدي بها كل من ظل طريقه حتى وان غاص في قاع البحار نعود من جديد نتعلم كيف نلتمس لبعضنا الأعدار .

زكية تواصل الحديث عن قصة أختها أم عابد مع مروة وقد وصلت الى حيث عودتها من الشمال وقد رفض زوجها العقد القانوني مكتفياً بالعقد الشرعي ، وذلك لأن القانون الغربي لا يسمح بالزواج من امرأة أخرى كما أسلفنا ، ولكن كان الأمر صعقة قاتلة على ولاء ولم تتوقع ان تضعها الأقدار بمثل هذا المحنة القاسية ، ولكن أشد ما أسائها هو كيف أن أبنها عابد شارك في هذا الأمر ، واثارت ثورتها ورفضت الأمر جملة وتفصيلا ، وأشدت الجدل بينهما ولكن دون جدوى جدال عقيم (لا يُعني ولا يُسمن من جوع) ، لا يُمكن تجاوز القانون الغربي ، وبنفس الحالة لا يمكن لولاء أن تجازف بهذه السفرة المجهولة دون إن يكون لها ضمانه وحقوق في العالم الغريب ، وقد لامها عصام شر لائمة ووصل لحد العراك وتعلق في عنق زوجها الغادر وولدها وطلب منه تطليقها ، ولكن عابد رفض ذلك ، وحاول ان يفتن والدته القبول بالأمر الواقع وأن تعيش معه ، ولكن الحكمة تقتضي عدم المجازفة ، فعادت الدمة من جديد تشقُ خديها ولم تكذ تجف بعد .

مروة متنهدة : لا أكاد أصدق ما أسمع وكيف لولد أن يستغفل والدته كان لزاماً عليه ان يشرح لوالدته الأمر قبل أن يطلب منها العودة لوالده المغفل .

زكية : عابد لا يفهم الأمر بالصعوبة التي نفهمها نحن ، ويُسفه الأمر لأنه يأمل بالعودة الى العراق وعندها سيتم توثيق العقد ويطلب منها الصبر والتصبر والسفر معه والعيش معه لأنها والدته .

مروة : السفر معه بهذه الطريقة الفجة كاللعب بالنار .

زكية : المهم أنستي .. باءت كل النوايا بالفشل وطلبت ولاء التفريق وعادت أدراجها الى بيت عصام وطلبت من عابد أن ينساها وأن لا يُعاود الإتصال بها لأنه خيب آمالها ، ولكن المضحك المبكي بأن عصام في هذه المدة القصيرة أستولى على غرفتها بما فيها وحولها الى غرفة لأبنائه ما دامت ستسافر الى استراليا ، فنشبت الخلافات الشديدة بينها وبين مائدة التي راحت تعيرها بفكرها المراهق وزواجها المتكرر على مبدأ الأخذ بتجربة الصح والخطأ وأصبح الجو العائلي مشحوناً ولا يُطاق البتة ولاسيما وأن

عصام لا ينفك عن لومها وتعنيفها وتوجيه أعتى الألفاظ بوجهها وكأنها أقترفت ذنباً لا يمكن التكفير عنه ، وبما أنها أخطأت من وجهة نظره وخرجت عن طاعته وعادت صاغرة ذليلة بكفي حُنين ، فلا ينبغي عليها أن تنفوه بأي كلمة تُذكر لأنها أصبحت نكرة من وجهة نظره ، وعندما أنتهت المدة طلبت منه تطبيقها وبعنف وهي باكية منهارة ، فطلقها مرغماً ، وعادا أدراجهما الى استراليا يجران أذبال الخيبة والخسران ، أما ولاء بقيت ترزح تحت وطأة هذا الأمر المريب مما قادها الى أزمة نفسية حادة أثرها دخلت المستشفى وقد رافقتها وقتئذ وبالكد تعافت ، وكان لابد عليها من مواصلة حياتها وعملها فأول أمر فعلته بحثت عن صديقي الذي تواري عن الأنظار حالما عادت الى أبي عابد نعرف أين ذهب ، حتى أن نقاله مغلق وكأنه غير رقمه ، ليُعاود إيصالها الى عملها ، ولكن دون جدوى فقدنا الأمل في الوصول إليه ، وذات يوم أتصل في أخي عصام فلقاً مستهجناً يسأل عن النكرة ولاء ويقول بأنها لم تعود الى البيت وقد دخل الوقت على المغرب ، وحالما سمعت الخبر إرتعدت فرائصي وذهبت بالحال الى هناك ، وقد إتصلنا بها مراراً وتكراراً ولكن نقالها مغلقاً ، وقد فتشنا كل مكان يمكن ان تكون فيه ولكن دون جدوى ، عند صديقاتها وفي المستشفيات ، والإبلاغ في مراكز الشرطة ولكن كأنها ملح وذاب .

يجري اليوم في قسم اللغة الإنكليزية اجتماع مجلس قسم مما يجعل كل المراحل في هذه ساعة الإجتماع شاغرة ، ففكرت سبباً بإغتنام هذه الفرصة لتتحدث مع أيار حديث روح ووجهاً لوجه وتطيب خاطرها لنلا تتوسع الهوة بينهما في هذا الفضاء الفسيح للجامعة ، فأول ما توجهت الى قاعة صف أيار وعندما ألفت التحية فتشيت بأنظارها فلم تجدها ثم سألت الموجودين فلم تحصل على معلومة سوى انها خرجت قبل هنيهة ، إبتسمت وتوجهت الى المكان الذي تقدسه صديقتها المتمثل في المكتبة وعندما وصلت فتشيت بأنظارها أيضاً فلم تجدها ، فإستخرجت نقالها وإتصلت ولكن رن دون جدوى ولم ترد عليها ، فراحت تجوس بلهفة المشتاق في الحديقة والقاعات وأروقة الكلية وإذا ما رأت باب مغلق لقاعة ما تفتحه لعلها تجدها ، ولكنها وبالفعل

وجدتها في إحدى قاعات المرحلة الثالثة بعد ان فتحت بابها المغلق ، فتفاجأت وهي تراها جالسة على كرسي الأستاذ على المنصة وأمامها طالبة من المرحلة الثالثة إسمها **الطاف حاكم** مسترسلة بالحديث وأيار منصتة إليها باهتمام ، وحالما رأتها ، دخلت مسرعة إليها مبتسمة والغيرة بادية على أوجها .

سبأ : لقد حفيت حتى وجدتك ماذا تفعلين هنا ؟

أيار واجمة : أنا هنا مع صديقتي **الطاف** نتباحث بإمر ما .

سبأ : عن ماذا تتحدثان ؟

أيار : مواضيع شخصية تهمةا .

سبأ : ولماذا لم تردي على اتصالي .

أيار : عذراً ... تركت نقالي ... في حقيبتني ... وحقيبتني تركتها في صفي .

الطاف لأيار : أرجو ان لا أكون قد سببت لك حرجاً .

أيار : لا لا العفو ... ليس لدي إلترام ... وهذه صديقتني **سبأ** .

سبأ لأيار منزعجة : أنا أحتاجك .. أنفهمين .

أيار متظاهرة بجدية : حاضر عزيزتي ... سنلتقي ... ولكن بعدما أنهى الحديث الخاص مع الصديقة **الطاف** ، موحية لها وبما أن الحديث خاص ، فعليها ان تتركهما وتخرج ... ومن اللياقة فعل ذلك .

سبأ متتهدة : حسناً ... سأنتظرك ... في الحديقة وعلى ذات المصطبة ... الى اللقاء ... فخرجت ... متألمة .

الطاف مبتسمة : أشعر بأنها .. تألمت من ردك ... حتى تكاد تذرف الدموع ... ما مدى علاقتها بك .

أيار متتهدة : أنها رفيقة روعي وحببية قلبي والإبتسامة الرائعة المرسومة على محيياي منذ أيام الثانوية وهي أختي التي لم تلتها أمني ، لأنني البنت الوحيدة لأهلي وثلاثة أخوة ، ولكن الواجب أن أسمعك الى نهاية حديثك لأنك طلبتني مني الرأي والمشورة ، وليس من الإصول أن أخرج معها وأنت مستمرة في الحديث .

الطاف : أنا أشكرك عزيزتي ... لأنك أعطيتيني هذا الوقت وهذا الإهتمام فراحت تكمل حديثها ، بالوقت الذي بدأ قلب أيار يغلي من هذا الموقف القاسي الذي جابهت به سباً ، وأنها تصرفت بهذه الجدية ليس من أجل **الطاف** البتة ، وإنما العبرة منه لإعطاء درس لصديقتها بأن لا تستهين بأرائها ولاسيما عندما تنصحها ، ولتريها بأنها موضع ثقة الجميع وكل من لديه مشكلة يذهب إليها لأنها صاحبة القرار الأمثل من وجهة نظرها .

جلست سباً على ذات المصطبه التي كانت تجلس عليها مع أيار وهي متألمة منكدرة البال متوسوسة خاطر من الموقف البارد الذي وجدته منها ، منتظرة مجيئها وراحت تكتب بنقالها الآتي :-

كالوردة الندية قرانح البشر ... لا تتفتح إلا لمن تهوى من البشر ...
ولا تكتب دساتيرها الأصيلة إلا في جمهورية المثالية ...

كثيرة هي الوجوه التي نلتقيها في الحياة ..

لكن لا يعلق في الغريبال إلا بضاعة مزجاة ... إلا من أراد له القدر...

أن يسكن الروح ويترك الأثر ... كالنبض يدوم ويعيش بألق مهما اشتدت الرياح لا يفترق.

أما عنصر الشد السحري فهو الأغررب ... ويا ليتني أعرف جذوره ليبطل العجب ...
لأستأصله .. إذ كلما أمتدت الجسور ... أجهز عليه عنصر الشد وحولها إلى سور ..
أشبهه بالشيطان الذي كلما تمنى الإنسان ألقى في أمنيته الشك ...
ولا يحصل الشد إلا معك يا أيار ولا أعرف كيف يظهر ...

وكلانا يرجعه للآخر ...

لكن بذور الشوق في الحال تنمو في قلوب المحبين الصادقة ...

وفي خطواتهم الواثقة ...

بالإيمان بصداقتنا الراشدة يجب أن نتسلح ... وحسن الظن ببعضنا بعضاً حتى نفلح
في دهاليز خيالي المشرقة ...

لا ... زلتُ عنكَ أبحت ... فأين أنت مني الآن ؟
والماضي غدا أغبر أشعث ... أجد جثث الكلمات تكتبني ...
كلما أخترق طيفك الأسوار ...
انك دوامة متقلبة ... مبهمة غريبة الأطوار ...
فأشبح بوجهي عنك ... كثيراً من الأحيان لا أحتمل ... وعندما تتاديني تارة أخرى
أرجع القهقري وكل شيء قد أفل ... فالعتب بيننا بساط أخضر إعتدناه ...
كما أعتادت الحمام الهديل ... لكن إذا كان الحب والوفاء ديدنك ... فلم ؟
تنصبين نفسك الحاكم والجلاد ... وأنا دائماً المتهم سيمائي بجيبني ...
سأصفي عنك لأنني المخلصة ... حتى وإن المزاج تعكر ...
وأمحي غبار التنائي ... وأرمي في البحر كل ما بدر ...
لأنك جزء من حياتي لا يتجزأ ...
أعتدت عليه مهما حصل ... زعلي وعتبي عليك ثقيل ... لكن حبي شلال دافق أجمل
وعندما أشبح بوجهي عن وجهك ... ستبقى روعي واقفة تراقب الباب ...
تشتاق لروحك فهل تأتي روحك مبتسمة بعمامة وجلباب ...
يشدني الحنين إليك غردي الآن ... بصوتك العذب الفريد ...
مرحباً بك .. تحدثي .. إروي مساماتي ... وكأني اليوم أعرفك من جديد ...
وفي المساء إتصلت سبأ بمروة لتشتكي إليها جفاء أيار المجحف وتصرفها
اليوم حيث تركتها تنتظر الى ان أنتهى وقت الإستراحة ، وقد إعتادت مروة سماعها
كما تسمع أيار وتضع النقاط على الحروف بينهما ، أخبرتها عن تدخلات أيار في
شؤونها الخاصة دون ان تتعمق في التفاصيل ، ومروة كعادتها تسفه حتى الأمور
الصعبة وتعمل على تجاوزها وحلها .
سبأ : ولكني أشعر بإنها بدأت تنأى عني وإنجذابها إليّ بدء يخفت وليس كما كان براقاً
في الأمس .

مرورة مبتسمة : عندما كنتما في الثانوية هل كنتما تتناقشان بمثل هذه الأمور التي لم تفصحي لي عنها .

سبأ : بالطبع لا .

مرورة : وماذا قالت أيار لماذا تتدخل بمثل هذه المسائل الصميمية من وجهة نظرك .

سبأ : تقول بأنها تهتم لشأني وأنها تخاف عليّ كخوف أبي وأمي ، ولكني بعمرها ولست طفلة حتى تُعلمني كيف أتعامل مع الآخرين ، وكأنها تضع راداراً يرصد تحركاتي .

مرورة : يجب أن تعرفي بأني أقف بينكما على الحد ولا أميل الى أيار قدر أنملة ، ولكن ينبغي أن توضح لي بعض الأمور التي أعتمد عليها في الوصول الى صياغة قانون يحلّ هذه المشكلة ، مثلاً ... أنت الآن وفي كلامك الأنف عنها ماذا تقصدين ؟ اللوم ... العتب ... الإنتقاد .. التعنيف ... الإستهجان ... الجفاء .. أو غير ذلك ، أصدقيني القول رجاءً .

سبأ : أستاذة مرورة أرجوك أفهميني ... أن أيار حدية في تعاملها معي ولديها اللون أما أبيض أو أسود وملتزمة بأرائها الى حد العظم حتى وأن كانت على خطأ ... فإما أن أنصاع الى أوامرها غير المباشرة وأما الفراق بيني وبينها ، وهذا تصرف غير رشيد وغير عقلائي ... ومما زاد الطين بله ... إنها تهتم بطالبة من المرحلة الثالثة وتفضلها عليّ فيما أنا أبلغها بحاجتي للتحدث معها الذي يقتلني تجاهلها لي وكأنها لا تعرفني .

مرورة : بقي سؤال واحد ... هل ما زلت تكنين لها المودة كما كنت ؟ وهل تثقين بها ؟

سبأ مبتسمة باستغراب : يا أستاذة مرورة ... أنا أتيت الى هذه الجامعة لأجلها ، ولكنها تريد ان تضع لي خطة على مزاجها وهواها وكأنها هي الوحيدة التي لا تخطأ وكل الناس في قسمة ضيزى ، أما حبي لها فشلال هادر لا يتوقف وشوقي إليها لهيب لا ينطفئ ، وثقتي بها عمياء ، وهي الأقرب الى روحي ، بل أنها حتى أقرب لي من والدتي وأخواتي ، فعندما أريد أن أتخذ قراراً لا أجد سواها يفهمني ، ولكنها اليوم تُصيبنني بالذهول ، ولاسيما عندما سلمت عليها اليوم صباح اليوم عندما كنا على السلم

أنا صاعدة وهي نازلة ، ردت عليّ التحية ببرود تحت الصفر ونزلت مسرعة وكأنها إنقذني صدفة على قارعة الطريق .

مروة : الحب معدن أصيل وأن لم يُعزز بالتواصل والإهتمام تآكل وصدأ ، وأن الإهمال يقتل أقوى العلاقات البشرية ، وقد فهمت من كلامك بأنها تتدخل في شؤونك بحسب وصفك لأجل مصلحتك ، وما أجمل أن يكون الإنسان محاطاً بإهتمام من يحب ومن يخاف عليه كوالديه ، ولو لم تهتم لشؤونك لما تدخلت بحسب وصفك ، إنها تحبك بقسوة حب الوالدين ، ثم أنها وضعت أمامك خيارين ولك حرية الاختيار ولم تحبذ أن تجعل من نفسها حجر عثرة أمامك ، وتمنت لك الخير بحسب ما ذكرتني ، لكنك للأسف لا تفهمين قصدها .

سبأ منزعة : يعني لا يوجد حل وسط عندها ... إما أن تضع القيود في معصمي ... أو تسرحني سراحاً جميلاً ... بالله عليك يا أستاذة هل توافقينها هذا الرأي .

مروة : أنا أقف بينكما بعدالة وبمسافة واحدة ، صحيح أن أيار ابنة أخي وأنا أحبها كثيراً ولكني أعرف جيداً بأنك الأقرب الى روحها وحبها لك إسطوري وان لم تفصح عنه أحياناً ، ومن كلامك أحل واستنتج الرأي ولم أسمع منها بعد ، وقد ذكرتني أنت لي بأن الإنجذاب بينكما قد خف بريقه وليس كسابق عهده .. لأنك نأيتي بعواطفك عنها وأخذتك رياح التجديد بعيداً ، وأعتقدتي بأنك كلما أبتعدتي ستجرف هي إليك ولكنك تفاجأتني بأنك كلما ابتعدتي عنها تجدينها واقفة مكانها ترنو إليك رافضة التجديد محتفظة بالقديم الأصيل ، وإلا لما تغير خطابك من الترغيب الى التهيب ، لينذر بمنزلق جديد في صداقتكما أو مفترق طرق لا أتمناه لكما البته ، لاسيما وبينكما سنوات عديدة مليئة بالمشاعر الجياشة الصادقة ، أنت أندمجتني وإنسجمتني مع مجموعتك الجديدة وهي كذلك ، ولكنها تعرب لك دائماً بأن سفينتها دائماً ترسو في ميناء عينيك ، وأن كنت لا زلتني تحتفظين بتلك المشاعر الجياشة فلا تفرطي بها ولك الخيار ، وأنها وعلى الرغم من حبها لك جعلت زمام الأمر بيدك .

سبأ متأثرة : لماذا ??? لا تفهميني يا أستاذتي .

مروة مبتسمة : عفواً ... وضحي لي قصدك لئلا أغرد خارج السرب كما يقولون .
 سبأ متأثرة : أنا ... لم أتغير ... ولم تتغير مشاعري تجاهها ولا قدر أنملة ... ولكني
 في جامعة وأحب أن أتعرف على الجميع هنا ، وليس قصدي التنازل عن صداقتي
 لأيار ... ولكنها تجافيني بقساوة ... وتصوري بأن قلبي لا يكتب لسواها قط ، كل
 خواطر الحب والشوق لها وحدها دون منازع ، ويُسعدي أن تسمعي ما كتبت لأيار
 عندما تشتد أزمة الشوق وليس أمامي سوى تجسيد هذه اللواعج على صفحات النقال
 الأقرب من الدفتر وكالاتي : الشوق تلك الصرخة الخرساء ... التي تنفلق من
 أعماق الصخر الصوان ... تباغت الصمت الكئيب ... وعلى نار هادئة تهدم الكيان
 ... دون أن يدرك المرء ... قد يحرق نفسه في كلماته ... ويحمل مرارة الأسى وفي
 مقصلة الشك تعدم بسماته ... وهو ينظرُ مذهولاً لماذا ؟ عندما يرى الموت يقبل
 وجناته ... كيف تجافي الروح توأمها ... وتعيش كالبحر ما بين مد وجزر ... وحتى
 مصباح السماء يتقلب في ضوئه ... ما بين هلال ونصف وبدر ... عندما توقن
 الروح واقع الحال فتتمشى بخيلاء ... ترنو من بعيد لتوأمها ... وقد أرقها الشوق
 وذاب الجفاء ... تركب موجة الهوى على بساط الأفق ... تستسقي يد اللطف وعين
 الرحمة ... لترتقي الأرض الجذب في أحضان الشتاء ... لكن الروح وإن زلت ...
 قدمها .. لا تعدُّ قاصرة ... فهي الحرة في حركاتها وذات القدرات العجيبة القاهرة
 ... مُتسيدة في طبيعتها تجوب الطرقات ... وتضرم نيران الشوق في صدر توأمها
 المتظاهر ... فتبدأ النفس اللوامة بالإستنكار حتى تتساقط أدمع القمر ... معلنة
 العزيمة على الصلح والاستسلام ... مع توأمها حتى وإن البحر اضطرب ومار ...
 مروة وقد ترقرت عينها متنهدة مبتسمة : الله ... كم هي رائعة مشاعرك وقد
 ترقرت دموعي لما سمعتك ، ولاسيما قولك الرائع قد أرقها الشوق وذاب الجفاء ،
 وأقسم لك بأن أيار لو سمعت هذا الكلام ستبكي شوقاً وسيذوب جفائها ، أدعوك الآن
 الى إرسال هذه الخاطرة الرائعة حفظكما الله ووثق عقدة صداقتكما الى الابد .

بعد أن طلبت مروة من منذر الإتصال بخالد وإقناعه بالعودة للعمل في العيادة وإصلاح ذات البين ، وقد تآقت روحه المجذبة الى مواصلة الحديث الرومانسي بصوتها السحري لاسيما وأن الأمور بدأت تسير لصالحه دون أن يدور في خذه كيف تطورت الظروف لتجعل مروة تعترف له بأنها تعرف بعاطفته وان كانت لم تعده بشيء ولكن الأمر يعدُّ خطوة جبارة ، وبإمكانه ان يستغل الظروف الحالية لصالحه ، المهم سارع وبخطى عملاقة وطار بجناحي نسر لإصلاح ذات البين بهدف الوصول الى مروة ، ولعل الذهاب الى بيته خيراً من الإتصال ، وبالفعل طرق بابه بعد ان أتفق معه في الهاتف بأن سيزوره وقد رحبَّ به أيما ترحيب ولم يتوقع سبب زيارته هذه لأنه لم يخبره .

خالد فرحاً : سبحان الله تذكرتك فجراً عندما جلست أدرس بعد صلاة الفجر .

منذر مبتسماً : ماذا ؟ تدرس ؟ لم أفهم ؟

خالد : الحمد لله لقد سجلت في الدراسة الخارجية وأعدّ العدة للإمتحان إن شاء الله وأن كان الأمر غريب نوعاً ما بالنسبة لرجل كادح مثلي ، ولا أقول بأنه يسير ولكني أحاول ومن الله التوفيق ، أدرس بعد صلاة الفجر ثم أخرج الى السوق صباحاً ، ثم أستطرد ضاحكاً ... ولكن المشكلة بأنني لا أستطيع السهر يغلبني النوم بعد العشاء مباشرة ، لذلك أحاول استغلال لحظات الفجر .

منذر حك صدغه : والله يُسعدني ما سمعت لأنك كفوء والكل يعرف بالظروف التي أجبرتك على ترك الدراسة ، فهذه خطوة رائعة وقرار جريء وأنت قادر إن شاء الله على النجاح ولكن ماذا عن عمك عصرأ ؟

خالد وقد غطت وجهه الكأبه متنهداً : تقصد في العيادة ... لقد تركت العمل هناك .

منذر : ولماذا تركت العمل ... وأنت بحاجة ؟؟؟!! ألا ترى في الأمر ريبة ؟

خالد : لا يناسبني العمل ... وأريد الإفادة من الوقت لغرض الدراسة .

منذر شاداً على يده : لا تُكابر .. يا صديقي وحدثني عن الأمر من الألف الى الياء .

خالد : لا شيء يستحق الحديث ... كيف حالك أنت ؟

منذر : لكن لماذا ؟ لم تستلم مرتبك ؟

خالد فغر فاه : ماذا ؟ وكيف عرفت ذلك حدثني بصراحة ولا تُحاول استدراجي في الكلام ؟

منذر : ألم أقل لك لا تُكابر يا صديقي ... نعم أنا عرفت بأمر تركك للعمل قبل أن تستلم راتبك ، وأستنتجت من ذلك بأن في الأمر ريبة وأنت أحوج الى هذا المال الذي كسبته بعرق جبينك ، وكما تعرف بأن الدكتورة كانت تعتمد عليّ في الكثير من الأمور التي تحتاجها في العيادة ، وعندما أرسلت لها بعض المتطلبات لم أجدك ، فسألت عنك ... ولكن تركك للعمل محير ومُثير للريبة .

خالد بحزن : أولم تسألها عن السبب ؟

منذر : بالطبع ... لكنها .. لم تضيف غير ... إن لديك ظروف عائلية ... ثم أدخل يده في جيبه وأستخرج ظرفاً ووضع بين يديه وأستطرد قائلاً : وأرسلت لك مرتبك هذا وتساءلك العودة للعمل في العيادة لأنها تحتاجك .

خالد : أبهذه السهولة ... ؟

منذر منزعجاً : يبدو إنك لم تعد تثق بي مثلما كنا وغيرتك الأيام ... ثم تاهب للنهوض ، ولكن خالد مسك بيده وأرجعه في مكانه محاولاً إرضائه ... وقال أرجوك أجلس مكانك ولكن أشعر بأن صدري ضيق ولا ينطلق لساني بأي كلمة موجودة في صدري ... ولكن ما هو رأيك لو ذهبنا وجلسنا على شط العرب فوافقه الرأي وقال له : حسناً فكرة رائعة ... هيا ... وبالفعل توجهنا بسيارة منذر الكلاسيكية الكابرس الى شط العرب وراحا يتبادلان أحاديث عامة حتى وصلا وبعد ان ركنا السيارة توجهنا الى أحد الأماكن المطلة على الشط فجلسنا والأمواج تتلاطم ولصوتها جمال يبعث الراحة والطمأنينة بالنفس وكأنها تغسل النفس المتعبة من غبار الأيام وتنفس الكروب وتزرع بذور النفاؤل بعد جو مكفهر .

خالد : والآن ... أسأل يا صديقي ... وكلي أذان صاغية .

منذر : كلمني عن سبب تركك للعمل من البداية الى النهاية .

خالد : حسناً ... وراح يسترجع ذاكرته الى الوراء ويسرد ما أعتقده مسيئاً من وجهة نظره (كيت وكيت) كما ان علاقتي تطورت بعائلتها ولاسيما والدتها الكريمة ، والآن أعتقد بأنها تنظر لي نظرة دونية نظرة إستعلاء .

منذر : ليس لك الحق يا صديقي في كل ما ذكرت ؟ لأنك تعمل عندها بأجر ، والكلام الذي سمعته لا يخرج من صدر عامل بل من صدر عاشق وهذا واضح وجلي في كلامك وينتبه إليه حتى الفاقد للمشاعر ، فأصدقني القول أرجوك هل تكن لها حباً خاصاً .

خالد متنهداً : للأسف نعم ... وجدت نفسي أعود عليها ... وسرعان ما تحول هذا التعود الى شعور .

منذر : وتلك طامة كبرى ... فأنت تبخر بزورق مثقوب الى قلعة نائية ... ثم أن كلام الطيبة بديهي وأن نطقت بأي كلمة فأنت تعمل عندها وتصرفك هذا غير مبرر ، ثم أستطرد قائلاً بعد أن قطب حاجبيه وشدّ على شفته السفلى بسبابته وإبهامه الايسيرين قائلاً : ولكن المثير للريبة لماذا؟! هي تتجاذب معك أطراف الحديث عندما ينتهي المراجعون ، ولماذا تحدثك عن نفسها ... أيعقل .. لا .. لا .. ؟ المهم الآن أنتبه الى نفسك ولا تخسر عمالك ... بسبب نزوة عابرة ... حاول تجاوزها لنلا ... توقعك في حضيض الآسى والأحلام الزائفة أرجوك حاول أن تفهمني فالفرق شاسع بينكما ، ومن الأفضل لك أن تنتبه لمصدر رزقك لأن في رقيبك عائلة ، وأخوة لا زالوا زغب الحواصل .

خالد : لم أبح بمشاعري هذه لأي إنسان ... لكنهم أحاطوني بإهتمام قل نظيره .

منذر : بديهي ... لأنك مصدر ثقة ... وجدير بالإهتمام ... ولكن ما أدراك ، يقول الله تعالى : **{ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) }** سورة الطلاق .

خالد مبتسماً : لم ... أفهم ... ماذا تقصد ... رجاءً ... ؟

منذر : لا بد ان تعود الى العمل ... ولكن دون تأمل ... وقد تتحقق أمانيك بمعجزة القدر ، التي لا يعرف الإنسان متى تأتي وفي أي ساعات اليوم ... ولكن دعني أفكر لك

بطريقة تجعلها هي من تطلب منك العودة ... وتبرر ما قالته لك ولعلها لا تقصد ...
وبحسب معرفتي بها .. لا أتوقع أنها تسيء الى أحد البيته ... فأنها إنسانة محترمة ومن
عائلة أصيلة ومتقفة وهي صديقة الإستاذة مروة الأوجي .
خالد : حسناً ... أنت فِكر ... وأنا سأكون بانتظارك ... وبنظرة سماع صوتها الذي
تعشقه روعي .

وحالما وصلت الخاطرة الرومانسية التي إرسلتها سبأ الى أيار تأثرت بها
كثيراً وسالت دموعها فرحاً وهي تقرأها وعندما قرأتها ثلاث مرات راحت تكتب لها
رداً على ما قرأته بالآتي : -

صديقتي لا زلت لكِ أشواق ... لكني أحتق بهذا الشوق ...
لأنك بين الحين والحين تلفين أفعى لعنتك حول عنقي بكفي سوء الظن والتجاهل ...
فأشعر بغصة تتحسرج في صدري ... وحبك الممزوج بالألم يسري ...
دائماً تنصّبين نفسك الحاكم والجلاد ... وأنا المتهم الأصم الأبكم ... مشدود اللسان .
قولني لي الآن يا موجهة بؤسي ؟ كيف أعبر لك عن خلجات نفسي ...
وأنت التي شهرت السلاح بمغامرة وأطلقت رصاصات نارية قتلت أفكار المتناثرة .
كيف لي أن أصل إليك ... وأنت التي أوصدت الباب بيديك ...
وأرجعتي رسائلي في أقدام الزواجل الأمانة ...
كيف لي أن أتحدث إليك بذات السكينة ... وقد شنفتي طاقة الحديث معكِ ...
وأصبتني أسلاكها المتشابكة بالشلل التام ... ترى أسألت نفسك ذات السؤال ؟
لماذا تحدث بيننا هذه القصة التراجيدية ... وكلانا ينظر إلى القمر ...
متى يكتمل ويصبح بديراً ... ونرى في شاشته المهيبه صورة بعضنا ...
وأنت تعرفين بأن سفينتي الأمانة دائماً ترسو وفي ميناء عينيك الجميلتين تغفو ...
لكني دائماً كنت أقول في الحب ... بأن المحب يحرص على من يحب ...
ولا يبذل أفكاره بالمتاعب ولا يخلق معه أيّ جوّ صاخب ...
دائماً أفتش في ذاتي عن ظلي ..

فأرى صورتك ترسم في قلبي ...

على الرغم من أنني حاولت أن أفارقك وأبعدك عن التفكير ...

إلا أنني الآن أشعر بالفشل المرير ... نسيت بأنك تعيشين في دواخل روحي ...

واني حتماً سأفارقك عندما يودع جسدي روحي ... لأنك إبتلاء كتب له البقاء ...

مهما ازداد معه الجدل والشقاء ... لكنني لم ولن اشتكي همي إلا للورق ...

شاهدي الليل وخليله الأرق ...

ويراعي يورخ التفاصيل والأحداث بجثث الكلمات المنفلقة من الأحداث ...

ولا خير في ماء يشك فيه أجاج ... لا يُروى من ظمأ ولا يعدّ علاجاً ...

فطاقة الحديث لا تنضب بين المحبين ... وان فقدت شحنها انقع الوتين ...

كإنقطاع الضوء والماء والملاذ ... فكيف للروح أن تحيا بعد وابل برداذ ...

وحالما وصلت خاطرة أيار استقبلتها سباً بدموع مترقرقة وقرأتها مبتسمة

وكانها تسمع صوتها يطرب روحها ويمحو غبار الأيام الذي يحجب الرؤية عن قلوب

المحبين الصادقة ، وراحت تقرأها وتتلذذ بقرائتها لأكثر من مرة وتحلل شفرة كل كلمة

مكتوبة فيها ، وما هي إلا خطرات حتى وجدت نفسها تتصل بها ليبدأ العتاب الذي

يغسل القلوب من بقايا الجفاء المحبط للنفس البشرية وتجعلها تنتظر للحياة من زوايا

ضيقة .

أيار بهدوء مبتسمة ولكنها تتظاهر بالجدية : ألو ... نعم .

سبأ ولا زالت الدموع تتراقص في عينيها : أشتاق إليك ... والله أكثر مما تتصورين .

أيار : كلامك في الهاتف رومانسي ... وفي الجامعة طوبائي غير منطقي .

سبأ : أيار أرجوك أفهميني ولا يجوز ان تلقي عليّ التهم جزافاً فأنت الأقرب الى

روحي.

أيار بجد : نعم أبلغتني عمتي بهذه العبارة الجميلة ولكن السؤال الذي يطرح نفسه الآن

لماذا تتعاملين معي بالوساطة وأنا أمامك أيعقل بأن صداقتنا الرائعة وصلت الى هذا

المستوى اليتيم فهل تقطعت بك السبل لتشتكين الى عمتي وتبدأ بتعنيفي ، ولا أعتقد بأن

الصورة واضحة لأنك تطرحين لها النقاط الرئيسة دون الدخول بالجزئيات التي تعدُّ السبب والمسبب لأي سوء فهم أو مشكلة ولا بد ان تعرفي قواعد الحب الصحيح .
سبأ متتهدة : أنتِ علمتيني أسلوب الإلتجاء الى الاستاذة لأنها موضع ثقة ، ولكن علميني هذه القواعد .

أيار : نعم أكيد كانت ولا زالت موضع ثقة بالنسبة لي وللجميع ، ولكني أفضل أن نتواصل دون أن يكون بيننا حاجب ، لأن لغة التحوار أداة لخدمة الحياة ولخدمة الإنسان ، وما أجمل أن نتحاور وجهاً لوجه ... وما أجمل أن تصدقيني القول لأنني أقدس الصراحة ، وأؤمن تماماً بأن القلوب بيد الله تعالى يقبلها كيف يشاء وليس بالضرورة ان تكون مشاعرك بذات الوزن لمشاعري ، أي الذي أريد أن أوصله إليك بإنك في جل من أي إلتزام عاطفي تجاهي إن شعرتي يوماً بأني مصدر ألم أو إزعاج ، وأصل الحب تحاور وتفاهم وتواصل .

سبأ قاطعتها : يا إلهي كيف يمكن للسانك ان ينطق مثل هذا الكلام ، وأنت مصدر سعادتي بعد أهلي ، بل أنت البسمة التي تجملُ محيياي ، لاحظي بأنك عندما تجافيني يرتسم الوجوم على وجهي وأفقد صوابي .

أيار : لماذا تصفين حبي لك أمام عمتي بأنه إمتلاكي ... وتصفيني بأني مصدر سعادتك ... بالله عليك كيف يمكن لك العيش في هذه البيئة المتناقضة ... من الأقوال .
سبأ مربكة : ها ... أنا ... أعتذر لك حبيبتي ... أنسيها رجاءً .

أيار متأثرة : لذلك ... أطلب منك ... ان تكوني صادقة القول ... وأنا أحترم صدقك ... وليس المهم الاعتذار ... بل المهم فك شفرة هذه العبارة التي خلقت في نفسي الشعور بالإبتدال العاطفي ... إعلمي يا صديقتي بأن إلقاء الله في المخلصين فرض ، فهلا لنعيم المودة أزلقتم بفرض ، فكم من متفقه عُرف بالسفاهة وكم من سفيه عُرف بالفقاهه ، تمضي الأيام كالبرق ولا تقف ، والذي ينأى عن الحقيقة سيعشوا ويكف .

سبأ والعبرة تكسرت في صدرها : أرجوك ... لا تسترسلني ... أولم تقولي سلفاً ... بأنه من الخطأ رؤية الحاضر بعين الماضي ... أعترف لك بأني أسأت التعبير ... بقول هذه العبارة ... فسامحيني ... أرجوك .

أيار متتهدة : يقول الحكماء لا ينفع الندم بعد عثرة القدم ... لكنني أكيد ومؤكد سأسامحك لأنني تعودت .

وفي المساء إتصل منذر بمروة وما أجملها من فرصة تتاح أمامه تكاد روحه تخرج من صدره من شدة اللفهة والفرح ، وكيف ان الظروف تطورت لتتيح له الفرصة للتحدث إليها وبإمان ، ولا سيما وهي من تطلب منه المساعدة والعون ... وبعد التحية .

مروة بابتسامة : حياك الله منذر .

منذر والابتسامة تشق شذقيه : لقد ذهبت بحسب طلبك الى أبي الوليد خالد وتكلمت معه .

مروة بتحمس ولهفة: أشكرك ... عزيزي نعم حدثني حدثني وهل أفنعته على العودة.

منذر : تريدين الملخص أم التفصيل ...؟

مروة : منذر ! ... تكلم ... رجاء .

منذر ضاحكاً : حاضر مولاتي ... سأتكلم .

مروة ضاحكة : مولاتي ... كم .. هي جميلة .

منذر مبتسماً : هل أعجبتك الكلمة ... مولاتي مولاتي مولاتي .

مروة : أشكرك ... والآن ... هل سنستمر ... هكذا ... الى الصباح .

منذر : لالا دخيلك ... مولاتي ... لا تزعلي ... سأبدأ ... بالطبع تكلمت مع أبي الوليد ووجدته في حالة نفسية سيئة وشعور بالإحباط والأسى .

مروة بجذ : ولماذا ... يُعاني هذا الإحباط ... هل أخبرك ؟

منذر : بادئ الأمر لم ينبس بأي كلمة حول الموضوع ، لكنني حاولت معه بالطرق كافة وخرجنا وجلسنا على ضفاف شط العرب واستحلفته بكل المقدسات بأن لا يُخفي

عني أي معلومة ، ولا سيما سبب تركه للعمل في العيادة وتركه حتى مرتبه وهو في أمس الحاجة إليه.

مروة : هل أستلم منك المرتب .

منذر : نعم ... استلمه .. فهو حقّه وعرق جبينه .

مروة : رائع ... إكمل أرجوك .

منذر : نعم سأكمل ... وبعد معاناة وجدته يتهم الدكتورة بأنها أهانته ... وتعامله معاملة قاصرة ... والذي فهمته منه إنها تتصرف بمكابرة وعجرفة وللأسف الشديد .

مروة قلبت شفتيها متتهدة : وماذا قلت له ... ؟ أو بالأحرى أنت عملت مع الدكتورة فهل وجدتها كما وصفها .

منذر : أنا للأمانه ... قلت له بأن الدكتورة إنسانه طيبة وراقية ولا ينطبق عليها هذا الوصف.

مروة : المهم الآن ... ماذا فهمت منه ... هل كره العمل في العيادة .

منذر : أتعرفين يا مروة ... بأن أبا الوليد ... يتوق للعودة ولكن كرامته تأبى ذلك .

مروة : عجيب ... ومن مس كرامته بسوء ..؟! بل بالعكس إن سبيل وثقت به وعرفته على ذوبها ، وهي من أفنعتة بالدراسة الخارجية لترفع من شأنه ذلك لأنها تتمنى له كل الخير والتطور ... وقد ضاعفت مرتبه وأنت تعرف بذلك لأنه يستحق وبجدارة فضلاً عن أنها تكن له كل الإحترام والتقدير ... لكن لماذا تناديه أبو الوليد هل هذا أسم ولده ؟

منذر باسمًا : لا هذه كنيته منذ أن كنا في الإعدادية ، ونظراً لتمييزه علينا كان أحد الأساتذة يلقبه بهذا اللقب ومنذ ذلك الحين ونحن نناديه هكذا .

مروة : مسكين ... على الرغم من تمييزه لم تساعده الحياة ولكن لماذا ترك الدراسة؟!

منذر بجد : بسبب وفاة والده ... أصبح المعيل لوالدته وأخوته الصغار .

مروة : أعانه الله ... وسدد خطاه ... لذلك سبيل تكن له كل الإحترام والتقدير وتمدّ له يد المساعدة وترى فيه الخير كله دقه وجله ، وإلا لما شجعتة على الدراسة الخارجية

على الرغم من ظروفه ، ويجب عليك أن تعاود الحديث معه مراراً وتكراراً وأن تقنعه بخطأ إعتقاده .

منذر : أنا تكلمت معه كما أسلفت وحاولت إقناعه ولكنه لم يعطني كلمة ... لكن إطمأني مولاتي .

مروة قاطعته ضاحكة : أشكرك ... لقد أسعدني إتصالك ... وأشكرك لأنك تبذل جهداً في إصلاح ذات البين .

منذر ضاحكاً : ما دامت عبارة مولاتي تضحكك سأردها دائماً وأبداً وحتى في قاعة الدرس وأمام الطلاب .

مروة : إياك إياك ... يا منذر التحدث أمام الطلاب بأي شيء من خصوصياتي .

منذر مماًزحاً : لك الأمر والطاعة ... يا مولاتي ... يا صاحبة الجلالة ... أكيد للخصوصية مكانة القدسية ... وهذا محض مزحة وكوني على ثقة ويقين بأن منذر يحرص عليك كحرص والديك أو أشد والله هذا شعوري.

مروة مبتسمة بهدوء متنهدة : أشكرك ... على كلماتك اللطيفة ... الجميلة الرقيقة .

منذر : ولكن يا مولاتي ... إذا كانت الدكتورة بحاجة الى خالد في العيادة لماذا لا تتصل به وتحاول التحاور معه وإقناعه للعودة وأنا واثق تماماً بأنه بمجرد سماع صوتها سيلين جانبه وينسى حتى كرامته .

مروة وكأن الكلام وخزها : ماذا ؟ ماذا قلت ؟؟

منذر وكأنه إستفاق من نوبة حلم : ماذا ... قلت ؟ وماذا حدث ؟ لقد نسيت ماذا قلت ؟! ولماذا تغيرت نبرة صوتك ما الذي أزعجك ؟

مروة : ولماذا تتصل به ... هو يعمل عندها ... أن أراد العمل فليأت وإلا فلا .

منذر منزعجاً : أذن أعتبري الأمر منتهياً .

مروة وقد وارتها سحب الشك : ماذا تقصد ؟

منذر : لتبحث عن عامل آخر فخالد لن يعود وأخبريها بذلك وحسبه انه يصلى بناها .

مروة : في كلامك ... إبحاء عن شيء ما ... لم أفهمه .

منذر : كلامي طبيعي جداً ولكنك كالدكتورة سبيل تضعين له وزن وقافية وتنسبينه لأحد بحور الشعر وتعتقدين بأن له موسيقى شعرية خاصة به ... وبحسب ترجمتك الحدسية .

مروة بجد : وأنت الآن ... لماذا توترت وأقلبت شخصيتك من اللطافة الى الفجاجة .

منذر : أنا منطقي وواقعي دائماً ولا أحب اللف والدوران والتخبط العشوائي دون الإهتمام الى جودة الصواب .. على كل حال ... فأنا أعتذر لك يا أستاذة ... إن تجاوزت حدودي وان لم أكن أعرف السبب ... أسمح لي الآن وداعاً ... فأغلق الخط منزعاً ... والنقال لا زال مرفوعاً على أذن مروة ... فكان موقفاً مؤذياً لها ولم تعتاده ... فألقت النقال على سريرها ... ورمت بنفسها على السرير وراحت تحدث نفسها ... لماذا انزعج ، ليس له الحق في هذا التصرف الأهوج وعلاقتنا مجرد تحاور ليس إلا ، ولكنه اساء الى سبيل نعم اساء لها بقوله : (إذا كانت بحاجة الى خالد لتتصل به وتحاوره وتقنعه للعودة وأنا واثق تماماً بأنه بمجرد سماع صوتها سيلين جانبه وينسى حتى كرامته) ، ثم استطردت تتكلم في دخيلة نفسها ... ولكن هل أستطيع ان أناقشه بذلك وماذا أقول له ، أو بالأحرى لماذا قال هذا الكلام ؟ بمجرد سماع صوتها سيلين جانبه ، أكيد أنه يقصد شيئاً ما ولكنه موه الأمر وولى هارباً خلف برقع الاعتذار ، ولكن لا يمكن له ان يغلق الخط وأنا لا زلت أتكلم ، أه ... لعل وجهة نظري التي أبديتها لسبيل صحيحة مئة بالمئة فهي السبب والمسبب ، لو لم تتجاذب معه أطراف الحديث لما تفوه منذر بهذا الكلام الذي هو في الأصل إمتداد لكلام أبي الوليد بحسب وصفه ، ثم تناولت النقال وهي مستلقية ... نعم لا بد أن أتصل بمنذر ليوضح لي هذه العبارة المليئة بالكلام المغلف ويفك شفراتها ... وبالفعل أتصلت به وردّ في الحال وبذات اللهفة والشوق.

منذر : أعذريني ... على توترتي ... أرجوك ... سامحيني .

مروة : وهل من اللائق ان تغلق الخط بوجهي وأنا لا زلت أتكلم معك .

منذر متنهداً : شعرت بأنك أنزعجتني من كلامي ولم أطق نفسي فأنيت لأبدد التوتر.

مرورة متسائلة : وهل بددت التوتر الآن ... بتصرفك غير العقلاني غريب الأطوار .
منذر بنبرة إنزعاج : مرورة ... لماذا ... تعامليني هكذا ... أصدقيني القول لماذا ؟
مرورة : الذي أزعجني ... تصرفك ... وكأنك أغلقت الباب في وجه من لا يزال واقفاً
يكلمك ولم يودعك .
منذر : لكنني قلت لك وداعاً .
مرورة : نعم بالضبط ... لنفس المثال ... وكأنك ستغلق الباب وأنا لا زلت واقفة أتكلم
... وفي هذه الأثناء قلت وداعاً وأنا لا زلت واقفة يعني عملية طرد بإسلوب التوديع .
منذر : هل هذا هو ظنك بي ... مع الأسف يا مرورة .
مرورة : ليس هذا بظن ... وإنما الواقع الذي حدث من لحظات ... كان من الأجدر بك
أن لا تهرب من التحوار وأن انتهى الحوار ... سينتهي الإتصال .
منذر بفتور : يعني ... أنا مخطيء ... وأنت على صواب .
مرورة : نعم ... أنت مخطيء ... وليس بالضرورة أن أكون أنا على صواب .
منذر : أذن ... أنا أعتذر ... لك ... ثم صمت ... وانتظر ... ردها .
مرورة صمتت ثم قالت مبتسمة ناسية سبب اتصالها : وأنا أعتذر أيضاً وأشكرك
عزيزي على مساعدتك لسبيل .
منذر وقد إرتسمت الإبتسامة على محياه بعد ان غارت متنهداً : العفو ... مولاتي ...
لا تهتمي أنا في خدمتك .

الجزء الرابعون

أطلت سبأ على أيار من باب المكتبة فوجدتها تجلس مع مجموعة من زملائها تشرح لهم مادة الشعر الإنكليزي في المكتبة ، فنظرت إليها من بعيد وشعرت بألم لأنها تهتم بالآخرين ولا توليها أي إهتمام وفي هذه الأثناء أنتبهت أيار إليها فرفعت يدها محيية وملوحة لها بأن تعالي معنا وأجلسي ، ولكن سبأ بعد ردت التحية إنصرفت وفي نفسها رغبة بأن تخرج معها ، لا سيما وهي تعرف في هذه الساعة بالذات ساعة الإستراحة لكليتهما في كل اثنين ، فتوجهت الى الحديقة الى حيث المصطبة التي تمتلىء بالذكريات طوال الأعوام التي مرت ، لكنها حالما وصلت وجدت **فجر** وصديقها **مكرم** يجلسان عليها ، فأحست بضيق شديد عندها أخرجت نقالها من حقيبتها واتصلت بالحال بأيار وقالت بلهجة حادة : أيار ... أنا ... أحتاجك .

أيار مستغربة : حاضر حاضر ... وأين أنت الآن ... أهدي أي أرجوك .

سبأ : سأذهب الى قاعتي ... الفارغة .

أيار : حسناً ... حسناً ... سأنهاي شرح هذه الفقرة وأتيك .

سبأ : قلت ... لك ... أحتاجك ... تعالي بالحال ... وأغلقت الخط وعادت الى صفها .

وبالحال أعتذرت أيار من زملائها وإنصرفت الى صف سبأ الذي عادة ما تكون فارغاً في وقت الإستراحة فأسرعت خطاها حتى وصلت إليها ووجدتها تنظر الى النافذة ، فأقتربت منها وقالت : هل أنت بخير ؟ أقلقيني ، وحالما إقتربت منها ضمتها سبأ بشدة وغارت في ثناياها ثم قالت بعد ان جلست : أنا أحتاجك .

أيار مبتسمة ومتأثرة من هذا الموقف : حبيبة قلبي ... وأنا ... قربك الآن .

سبأ : وهل نسيت لقاءنا في مثل هذا الوقت .

أيار : لا لم أنس أبداً .

سبأ : لا ... بل ... نسيتي ... وحتى مكاننا محتل الآن من **فجر** وعشيقها .

أيار ضاحكة : كل مكان يجمعنا ... هو ... لنا ولا يتحدد بمكان واحد مثل المصطبة .

سبأ : ألم ... تنتقديني ... في مثل هذا اليوم عندما لم أنتظرك .

أيار مبتسمة : والآن ... ما هي أخبارك ... متى ستتزوجين ؟ ألم تجدي المناسب .

سبأ : أتسخرين مني يا أيار ؟

أيار ضاحكة : لا والله ... لا أسخر منك ... بل أتمازح معك ، لأنني أراك لا زلت متوترة فأحاول أمتصاص هذا التوتر ، أبتسمي أرجوك ... ثم أن الزواج سنة الحياة ، والأطفال زينة الحياة الدنيا .

سبأ : بقدر تعلق الأمر بالموضوع عندي سؤال يخص الإستاذة مروة ، فهل ترين أنها على رشاد وصواب ، امرأة مثلها بهذا الجمال والجاذبية والمركز لم تحظ بالإمومة الى الآن ، ومن الخطأ ان تتأثري بها .

أيار وقد غارت بسمتها : سبأ أن عمتي ... أعقل وأجمل امرأة في العالم وكل الرجال ينتظرون إشارة منها .

سبأ مبتسمة : حبيبتي ... والله أعرف ذلك ... وكلنا هنا نعرف دكتور أرشد الذي تقدم لها ورفضته ... ولكن السؤال المحير ... لماذا ... ترفض كل هذه الكفاءات ...؟ هل يوجد سبب ما ... مثل ... !!؟؟

أيار قاطعتها : لا تجعلي عمتي موضوعاً حديثاً وتكلمي عن نفسك ... أفضل لديمومة الحديث بيننا وإلا فلا ... فعمتي ترفض تماماً أن يتدخل أي أحد في شؤونها ولا سيما مثل هذه المواضيع ، وتصوري أنا ابنة أخيها ولا أجرؤ على سؤالها هذا السؤال ، لنلا نعتبره تدخلاً في شؤونها الخاصة .

سبأ : أنا قصدي ... هل تتفقين معها أن تبقى بلا زواج وقد وصلت الى هذا العمر ؟

أيار متتهدة : لا ... أعرف .

سبأ : بل تتهربين من الإجابة .

أيار : يا أبنتي (مازحة) تزوجي الإسبوع المقبل ... هذا حق من حقوقك .. وكم أتمنى أن أرى أولادك أكيد سيكونون غريبي الأطوار مثل أمهم ... ولا تحاولي اللف والدوران ولا تتعكزي بطرق أبواب الآخرين .

سبأ ضاحكة : بل سيكونون مثل خالتهم أيار غريبة الأطوار .. وبالمناسبة أنا أرى عبد الحافظ مهتماً بك ... بل أرى في عينيه الإعجاب لك ... فهل تلاحظين ..؟

أيار مبتسمة : نعم أكيد ومؤكد ألاحظ ... وهو شاب جيد ومهذب ... ولكني ليس العوبة بيد كل من هب ودب ولا أسمح أبداً لنفسي قبل الآخرين ، بإقامة علاقة تعارف وحب وعشق وغرام مثل المغيبة **فجر** غير قائمة على أساس صحيح ، علاقة هشة ومجهولة الهوية والإتجاه وبعد التخرج ستقلب طاولة اللعب .

سبأ : يعني الذي أفهمه انت لست ضد التعارف وانما طبيعة هذا التعارف ، ولكن كيف أفيدني حتى أستطيع التصفية بين المعجبين بأسلوب علمي أكاديمي أو بأسلوب أيار نعم سأسميه أسلوب أيار كيف؟! كيف يمكن لي أن أطور علاقتي **بوعد** مثلاً بأسلوب أيار؟

أيار مبتسمة : الدخول من الباب ... أن كان يرغب ... بتوطيد ... علاقته بك ... فليدخل من الباب ، أي يذهب الى بيتك ويطلبك من أهلك وفي ذلك تأصيل وتوثيق لهذا الرباط العاطفي ثم إنني ان ارتبطت برجل يتوافق معي بأفكاره وأرائه وتعليمه وهكذا .

سبأ : أكيد سيقول بأنه لا يزال طالباً ولا بد أن أنتظره الى أن يتخرج ثم يتعين وهكذا .

أيار ضاحكة : رأينا ... قصصا كثيرة من هذا النوع ... ضحك على الذقون ... وأنت تترين على مسرح الجامعة الذي نعيش فيه العلاقات وحدث بلا حرج وأنت تترين بأمر عينيك ذلك ، ولكن التربية الجيدة هي التي تسيّر الفتاة فعندما تضع الفتاة تربيتها وسمعة عائلتها نصب عينيها لا تخطأ أبداً ، وأعلمي يا سبأ فأنا لست ضد الحب لأنه روح الطبيعة الذي يمدُّ الكون بالحياة ، والكون بلا روح لا حياة فيه بل يمكن اعتباره ميتاً ، ولكن لابد من تأصيل وتوثيق هذا الرباط الروحي برابط مقدس وعلى مرأى ومسمع الأهل والناس ، وإلا لما تجدين العشاق في الجامعة يتختلون خلف الكليات أو يناون بأنفسهم بعيداً عن الأنظار أتعرفين لماذا؟؟ لأنهم يوقنون بأنهم على خطأ وخطأ تام ، ووالله لو كان الرجل يحب المرأة حباً في الله تعالى لخاف عليها كخيفته على أخته لأن سمعتها كالفماش الأبيض الذي لابد أن يبقى أبيض لأخر يوم في حياتها .

سبأ مبتسمة : معنى ذلك وبحسب رأيك نرفع لافتة ونكتب عليها يمنع منعاً باتاً الحديث بين الطالب والطالبة .

أيار : سأسألك سؤال ... هل ستقبل والدتك ان سمعت بأن لك علاقة رومانسية مع أحد الطلبة كوعد مثلاً .

سبأ مرتعدة : أمي ... أكيد ... سئعلقتي ... تحت أشعة شمس تموز ... الى أن يأتي ... فصل الشتاء ... وستفرض عليّ الإقامة الجبرية وتمنعني من الخروج ... فأمي من الطراز القديم لا تتفاهم بمثل هذه المسائل .

أيار ضاحكة : الحمد لله ... أذن سأهددك بها كلما رأيتهك تنأين بنفسك .

سبأ ضاحكة مازحة : لا أرجوك ... أشتكى لأبي ... لأنه ديموقراطي ... وإياك وأمي ... إياك ... لأن أحكامها عرفية .

أيار : دائماً ... الأباء بحكم ... عملهم الكثير خارج المنزل يكونون الأقرب لأبنائهم .

سبأ مبتسمة : أتعرفين ... بأن هيفاء أصبحت الآن أمماً لثلاثة أطفال وزوجها أمي .

أيار مبتسمة : ما شاء الله ... تبارك الله ... وما هي أخبارها مع زوجها هل سألتها ؟

سبأ : نعم بالطبع ... سألتها وقد قضيت معها وقتاً ممتعاً ومضحكاً لا يمل ولا يُنسى أبداً ، وقد سألتني عنك وأوصتني بك خيراً... وهي تستذكر الماضي الأغر .

أيار مبتسمة : أوصتك بي ... فيها الخير ... راعيني ها .

سبأ : قالت لي بأنها أخبرت زوجها في الأيام الأولى من زواجها بأنها عصبية ومزاجية ويجب عليه ان يتحملها ويروضها اذا انزعجت منه ، فأجابها مبتسماً بحسب كلامها ، لا تهتمي يا هيفاء سأجعلك ناعمة مثل (الكرتة) ، وهي تضحك كعادتها ، فقلت لها مستغربة وهل قبلت كلامه ، فقالت : ولم لا ما دامت ناعمة ، فقلت لها وماذا كان يقصد بالكرته ، فقالت والله لا أعرف ولكني أستنتج من وصفه بالناعمة مصدر خير وراحة ، فضحكت كثيراً ، وأحبيت أن أعرفها بهذه الأدوات بصورة غير مباشرة ولكنها لم تفقه .

أيار متتهدة : انسانة رائعة في بساطتها وفطرتها ولهجتها العفوية ... ولكن هل أخبرتها بالمعنى؟!!

سبأ ضاحكة : أمري الله ... بادىء ذي بدء تدرجت في الموضوع وقلت لها هي أداة صغيرة تستخدم لتذليل أمر صعب متعلق في قدم الرجل ، فقالت ضاحكة : ألم أقل لك ... فهتمت الأمر ... من كلمة النعومة ، ولكني وجدت نفسي وكأنني أتخطب خطب عشواء دون اهنداء فقلت لها وبشكل مباشر .

أيار ضاحكة : وماذا قلت لها ؟

سبأ : لا أريدها أن تتقبل الكلمة وكأنها كلمة جيدة لئلا تتباهى بها أمام الآخرين ، فقلت لها عندما تشتريين حذاءً جديداً وتريديين ان تجربيه سيعطيك صاحب المحل أداة صغيرة من الألومنيوم تضعيها في الحذاء لتساعد قدمك على الدخول في الحذاء ... و ... وبنعومة تامة ، وبإختصار قلت لها هي أداة معدنية او بلاستيكية تستخدم لادخال القدم في الحذاء خاصة اذا كان الحذاء ضيقاً .

أيار ضاحكة : يا للهول ... وماذا قالت عندما سمعت؟!؟!!

سبأ ضاحكة : انزعجت وراحت تلغنه ... وقالت ... وأنا الغيبة ضحكت عندما قالها ، سألقنه درساً لن ينساه وستأتيك الأخبار ... فقلت لها لا ... بالله عليك أخرجيني على الأمر ... ولا تخبريه بأسمي حتى .

أيار : لا عزيزتي لو كنت نصحتها بأن تستوعبه بحكمة لأنه غير متعلم، ولا يتورع عن ضربها ،فهذا ديدنهم في التعامل مع العائلة كما كانت تتحدث هي عن نفسها.

سبأ : لا تهتمي ... يضربها وتضربه ... هكذا هي حياتهم ... وهم متعودون عليها ... ببساطتها وسذاجتها ، ولكن ليس هذا القصد وإنما ... أنت لا زلتِ تنظرين لنفسك ، بأنك الطفلة المدللة وحيدة والديها ،وتنأى بنفسها عن أي حديث رومانسي أو إحساس مرهف ورقيق تجاه الجنس الآخر ، وجل ما أخافه إنك تتأثرين بعمتك مع جل حبي واحترامي لها ، لاحظي بأن هيفاء بعمر أولادها أصبحت أمّاً لثلاثة أطفال ، وهي لا تزال الى الآن تجهل أمومتها ومستقبلها ولا سيما بأن المرأة لها عمر محدد للأمومة .

أيار متأنفة منزعة : لقد طلبت منك أن لا تجعلني من عمتي موضوع حديث .
سبأ بوجوم : أيار ... ألا تلاحظين ... بأنك تعامليني وكأنني غريبة عندما أناقشك عن أمر يخص عائلتك فيما أنت عندما تسأليني عن عائلتي وأخواتي لا أعترض أبداً ... فهل هذا الإعتراض قلة ثقة ... أم ماذا ؟ أصدقيني القول حتى أفهم موقعي في حياتك ولا أتجاوز حدودي البتة .

أيار متتهدة : غريبة الأطوار ... يا ألهي ... لا تعكري المزاج ... لماذا أنت هكذا كالهدهوء الذي يسبق العاصفة ... خذي نفساً عميقاً ... وأقلمي صفحة بيضاء ... ها ... أريد أن أتزوج الإسبوع المقبل فهل ترقصين في عرسي أم تتظاهرين بأنك لا تجيدين الرقص ... ها ... لكني سأحقق الرقم القياسي في الإنجاب ولن أقبل بثلاثة أطفال **كهيفاء** ... سأنجب ... سبعة عشر ... وأفتح لهم مدرسة خاصة بهم ... وسأسمح لك بأن تدخلني أطفالك في هذه المدرسة ... ليتعاركوا معهم في درس الرياضة فهل بحوزتك رجل مناسب ... إرسله لي ... ولن أرفضه أبداً أعدك ... ولو كان لك أخ لما رفضته حتى نتعارك في المنزل أفضل من الجامعة .

سبأ مبتسمة : يا ليت لي أخ ... لما وجدت له زوجة أفضل منك .
أيار : أتعرفين بأن إبتسامتك ... أجمل إبتسامة رأيتها في حياتي .
سبأ : أشكرك ... على المجاملة .

أيار : أقسم لك وأنا الصادقة وبدون قسم بأن إبتسامتك أجمل إبتسامة رأيتها في حياتي ، وعندما تعبسين تتغير معالم وجهك الجميلة وتصبحين بهيئة مخيفة غير هيئتك الجذابة الرومانسية المحببة الى روعي .

سبأ : سأذوب ... لا تتواصلني لأنني لا أحتمل الغزل .
أيار : ومن ... غيرك يستحق الغزل .

سبأ : وإذا تزوجتي ... هل ... ستغازليني ... أم ستذروني رياح الأيام بعيداً .
أيار مبتسمة : الله أعلم وقتها احتمال أنساك لأنني لم أجرب الغزل لغيرك هذا غيب .
سبأ معترضة : ماذا ... ؟ ماذا ؟ ومن هذا الذي سيشاطرنني حبك هل أنت جادة أيار .

أيار : والله أنا أتبع نصائحك أوتريديني أن أبقى هكذا كعمتي بدون خليل لا أضمن لك .

سبأ برضا : لا ... أصدّق ... فأن روحينا كجناحي طائر لا يفرقهما تصدع المنقار؟

أيار : الله ... يا له من وصف رومانسي جميل ... المهم صديقتي تذكرت سنقيم يوم الجمعة حفلة عائلية صغيرة لميلاد حبيب القلب الصغير تسنيم ... حفلة عائلية وفيها بعض الأحبة ويسعدني دعوتك ووالدتك الى الحفلة .

سبأ بفرح : حبيبتي تسعدني هذه الدعوة ويسعدني جداً التعرف الى كل أهلك وكل من تُحبين ... وهل سيُغني الموسيقى مُعاند في الحفلة ... ويسعدني رؤية أنس فأني أحبه كثيراً ... منذ ان كان طفلاً صغيراً .

أيار : أوه ... أن مُعاند منذ صغره مولع بحب الموسيقى فكيف الآن وقد أصبح مختصاً ... أكيد لن يضيع مثل هذه المناسبات لأظهار موهبته ... وحتى تسنيم ... يحب آلاته ويطلب منه بإلحاح ان يعزف له ... وهو يترنم ويرقص معه بصورة مضحكة

سبأ متتهدة : ولكن ... لا أعرف إن كانت الوالدة ... ستسمح لي بالمجيء لبيتك.

أيار مقطبة حاجبيها : ولماذا ؟

سبأ : لقد تكلمت ... سلفاً ... عن والدتي ورأيها ... بضرورة تحجيم علاقتنا بالعالم الخارجي لنتقي شرهم من وجهة نظرها، فكيف ستسمح لي بحضور حفل في بيت صديقة في المدرسة.

أيار : لا عليك سنحاول معها وأنا أحترم كل أم حريصة على أبنائها، سأتي أنا ووالدتي وأدعوك وإياها لحضور الحفلة العائلية الصغيرة وانها لفرصة للتعارف العائلي .

سبأ مبتسمة : هذا ... رأي سديد ... ثم قالت مازحة فكيف يقولون بأنك لا تفهمين .

أيار تفهم لغة مزاحها في هذه العبارة : لا ... أنا أفهم وأجيد القراءة والكتابة أيضاً .

سبأ ضاحكة : أشكرك حبيبتي ... سأنتظرك ... لكم أتوق لمعرفة كل فرد من أفراد عائلتك ... فقط عائلتك ... ها ... ولا أريدك أن تتعرفي على صديقة غيري أنا فقط .

أيار : ولكن لماذا الوالدة مع جل احترامي وتقديري لها تتخذ مثل هذا الموقف؟! أليديها ردة فعل سلبية من موقف معين في حياتها ؟

سبأ : لن أكون مثلك وأقول لك لا تجعلي والدتي موضوع حديث ، وأغير الموضوع وأتظاهر بحديث آخر ... سأخبرك لأنني أثق بك ... أكيد فأن والدتي تحتفظ بذكريات سيئة لأحدى زميلاتها جعلتها تفقد الثقة بالآخرين ؟ وأنها تحدّرننا دائما من الإنجراف خلف مشاعرنا ولاسيما الصديقات ، لئلا نتأثر بالمواقف السلبية الشريرة التي قد تصدر عن احداهن من وجهة نظرها .

أيار : في أي مرحلة من حياتها تعرضت للخيانة أو الخداع ؟

سبأ مبتسمة متتهدة : في مرحلة الشباب والرشادة .

أيار : كيف ؟ هل لي أن أعرف !؟

سبأ : حاولت إحدى صديقاتها التقرب لوالدي .

أيار ضاحكة : أوه ... أنها ... جريمة لا تُغتفر .. ولكن كما يقولون أن أصابع اليد متباينة .

سبأ مبتسمة : ولعل الجريمة الأكبر التي لا تُغتفر لدى والدتي الآن ... أن عرفت بأني أفشيت هذا السر .

أيار : وهل ... تثقين بي لهذا الحد الذي يجعلك ... تفشين لي سراً عائلياً .

سبأ : تثقي بك عمياء ... وليس لها حدود بحر عميق بلا شيطان ... بل إنني أثق بك أكثر من تثقي بنفسي .

أيار شادة على يدها : وأنا أعدك ما حييت بأن أكون عند حسن ظنك ... وأنت أيضاً محط تثقي القصوى .

طلبت مروة من زكية بعد إنقطاع ان تواصل الحديث عن قصة أختها أم

عابد وقالت : وقد فتننا في كل مكان يمكن ان تكون فيه ولكن دون جدوى ، عند صديقاتها وفي المستشفيات ، وفي تقارير مراكز الشرطة قد تكون انتحرت أو سافرت لتتحرى الشرطة من المطارات والموانى والحدود البرية ، ولو كان صدقي موجوداً لذرف الدموع على فقدها لأنه يُحبها كثيراً ، لكنه هو الآخر كما أسلفت أخنفي حال زواجها من ابي عابد ، وفجأة طرأت على بالي فكرة الذهاب الى الأقسام الداخلية في

الجامعات إذ قد تكون ذهبت هناك لتعمل كموظفة خدمة ، لأنها عندما خرجت أخذت كل مستمسكاتها معها ، تعمل وتبقى في نفس المكان ، وأنها لفكرة وذهبنا أيام وأيام حتى حصلنا على الموافقة للسؤال فقط وسألنا في كل الأقسام الداخلية وملاجئ الأيتام ولم يبق سوى دار المسنين .

مروة : صحيح ... أنها فكرة جيدة ... وان ما تعرضت له ام **عابد** يندى له جبين الإنسانية ، المهم واصلي فهل ذهبتى الى دار المسنين ؟

زكية **متنهدة** : كلما أتذكر الأحداث يعتصر قلبي ألم وكأنني أعيشها اليوم ، المهم أنستي الرائعة ... توجهنا الى دار المسنين ... ودخلنا الى غرفة الإدارة علماً بأننا استنسخنا صوراً ملونه لها لنعرضها في أي مكان نأمله .

مروة : وهل أخبرتم ... أولادها ... وبالأخص **عابد** .

زكية : بالطبع ... أكيد ... لأن أولادها الثلاثة **حسن** و**حسين** و**أياد** كانوا يزورونها شبه يومي وقد تأثروا كثيراً ، ولكن لا حول لهم ولا قوة ... وعندما سمع والدهم بذلك ... منعهم من المحيء لبيتها ولا أعرف بماذا سم أفكارهم لينقطعوا من السؤال عنها حتى النقال صادره منهم وتوعدهم بالعقاب أن خالفوه ، ولكنهم يسألون أولاد خالهم في المدرسة ويتقصون أخبارها .

مروة : و**عابد** ... سبب المشكلة .

زكية : أه ... من **عابد** .. سبب المشكلة ... لم يصدق الأمر ... وعده نكته لاذعة من أمه للضغط عليه ، ولكنه بعد أسبوع عاود الإتصال ليتأكد ... فلم أرد عليه لأنه لا يستحق تضحيات امه له .

مروة : امر ... لا يُصدق .. فكيف يمكن له ان يتهمك ... بالإخبار الكاذب .

زكية **متنهدة** : لا تتعجبي يا أنستي فالحياة مليئة بالعجائب والغرائب ... ثم ان **عابد** لم يترب في أحضانها فقد عرفها عبر التواصل الإلكتروني الفائق للحس والعاطفة ، ثم انه ينادي زوجة أبيه ماما ولا أعتقد بأنه يشعر الآن بمعنى ام وإلا لما أشترك بجريمة أبيه

في حقها وأرادا خداعها بالسفر بجواز مزور ، والمشكلة انه لا يعترف بالخطأ ويصرُّ على انه اراد مساعدة امه بهذه الطريقة التهريبية .

مروة : واصلي أرجوك ... ولن أقطعك ... عندما دخلنا إدارة دار المسنين .

زكية : نعم أنستي عندما دخلنا أنا وعصام كنا نحمل معنا صوراً ملونة لها ونسخة من الإبلاغ عن فقدانها ، وبعد أن رحب بنا المدير ظاناً لأول وهلة بأننا هنا لزيارة أحد المسنين ، لكننا سرعان ما أخبرناه بالأمر وأريناه نسخة الإبلاغ والصورة الملونة الكبيرة بحجم الورق A4 ، وحالما رأى الصورة ارتعدت فرائصه وقال نعم هذه ولاء كانت هنا منذ مدة ولكنها أختفت عندما دخل أحد رجال الشرطة ولا أعرف الى أين ولماذا؟

أنكشف الليل المدلهم والفجر قد تنفس وكل الطلبة في دخائل نفوسهم خوف ممض من الإمتحانات التي تجعل الطالب يعيش مدة من الكآبة والشد النفسي تواقاً الى الوصول الى بر الأمان في النجاح ، لكن البعض الآخر أشرب عنقه الى عالم الخيال ويتعزز بعكازة الوهم ويحصل على النجاح وهو تحت اللحاف دون تعب أو سهر ، بمجرد ملء بعض القصاصات أو إستنساخ المحاضرات بشكل مُصعّر جداً (براشيم) ، ولهؤلاء النفر خبرة في هذا المجال وهو يحتال على إستاذة المراقب في قاعة الإمتحان إلا الدكتورة ريام فأن لها خبرة واسعة جداً في إقتناص كل من تسوّل له نفسه التعكز على الآخرين ، ولا ينجو طالب غشاش قط من قبضة مصيدتها أن كانت هي المراقبة ، لذلك فالكل يتهيب ويأخذ حذره منها ، وقد حازت على العديد من كتب الشكر والتقدير لأمانتها ، ولكن سبباً تكرهها وتُجادل أيار في هذا الشأن لأنها ترفض رفضاً قاطعاً هذه الفكرة .

سبأ : أنا معك الدراسة أفضل ولكن كما يقول الطلبة إذا (وقف العقل إستخدم النقل).

أيار : أنا ... ضد هذه المسألة جملة وتفصيلاً ... وقانا الله من شر هذا العمل الدنيء ... أتعرفين ماذا قالت لي عمتي عندما وطأت قدمي الكلية ؟ قالت إياك ومسايرة الغشاشين

، إياك والتأثر بأرائهم ، إياك ثم إياك وحماية الغشاشين والدفاع عنهم لأنهم سراق لصوص ... يسرقون جهد الطالب المجد .

سبأ : وهل ... وشيتي بأحد ؟

أيار متتهدة : للأسف ... لا ... وأنا أراهم ... أمام عيني ... كاللصوص ... وأتمنى لهم الهداية بإسداثهم النصح والإرشاد ... لأنهم ضعاف نفوس وأكيد ستوقعهم أعمالهم المشينة في المصيدة يوماً ما .

سبأ : أقرأتي مقالة الأستاذة مروة عن الغش والغشاشين في جريدة الكلية المعلقة على اللوحة في باحة القسم .

أيار : أكيد ومؤكد قرأتها قبل أن تصدر ... كمسودة .

سبأ : سمعت بعض الزملاء يتهايمسون ويضحكون على بعض مفرداتها .

أيار : يضحكون على فشلهم وخيبتهم ولأنهم جردان لا يتكلمون على المأ والإا من يجرؤ على الإنتقاص من مقالات مروة الأوجي التي تصدر الصحفية دورياً وعند كل حدث ولكن هل تذكرين أي مفردة أثارت ضحكهم.

سبأ : ما دمنا خرجنا من الإمتحان ... تعالي لنذهب معاً ونقرأ المقالة وصحيح فيها بعض المفردات القاسية التي قد لا تنطبق مع واقع الطالب ... وافقتها أيار الرأي ولحظات حتى وقفن أمام اللوحة ورحن يقرأن بدخائل نفوسهن الآتي : - بادىء ذي بدء أودُ التتويه عن مسألة مهمة ونحن في صدد التطرق الى مبررات اللجوء الى وسائل الغش عند الطلبة كافة ناهيك عن وسائل الغش الأخرى في شتى مجالات الحياة ... الى أن الغش ظاهرة عامة ، وعادة سمجة ومحرمة شرعاً وقانوناً ، وفوق كل ذلك فقهاء الدين عدّوها كبيرة من الكبائر ، وإذا ما أردنا البحث في مكونات هذه الظاهرة نجد أن لها مناشيء عديدة منها الإرهاصات النفسية التي تعترى شخصية الإنسان خلال سنوات عمره ، منها الإرهاصات البيئية التي حوله والتي ينصهر هو فيها مُرغماً لأنه جزء من المجتمع الذي يتأثر فيه ، منها الإرهاصات البيولوجية التي تعترى البشر وأبرزها هنا .. ما يتعلق وبشكل كبير جداً بشخصية الأستاذ وعدم

إكترائه لقدسية العلم ... وإنه لم يصل الى هذا المستوى بجده وتعبه وإنما بالتعزز على بعض الوسائل التي أوصلته الى هذا المكان .

سبأ ضاحكة : هذا يعني ومن الفقرة الأولى للمقالة إن بعض الأساتذة وصلوا بالطرق الملتوية .

أيار مبتسمة : الله أعلم ... للكاتب تفسير قد يكون مبهماً عن القراء لنكمل الفقرة الثانية رجاءً .

وتبدأ الفقرة الثانية بالآتي : الغش كالبذرة الخبيثة تُزرع في دواخل الإنسان ... فهي معه تُرافقه مُد الصغر وحتى الهرم ... تنمو وتترعرع في سويدائه حتى ليُخال له أنها فكرة نيرة برمجها عقله المتقد ذكاءً ودهاءً ، على شكل وسيلة تُحقق له النجاح المبتغى بأقل جهد ممكن وبأقل تكلفة ممكنة المُتمثل بالحيلة والحذر الممزوجتين بالخوف والإرتباك ، كالمحلول الكيميائي الفعّال داخل بوتقة إختبار ، الذي يتطلب من القائم بهذا العمل شخص حذر لأنه إغفاله ولو لدقائق يولد نتائج وخيمة ولا يُحمد عُقباها .

أيار : أرايتِ ... خطورة ... الغش ... وعواقبه الوخيمة .

سبأ مبتسمة مقلته من شأن ما قرأت : أوه ... إنه حبر على ورق ... والغشاشون ... يحرزون أعلى النتائج .

وعد وغيره ... فلنواصل الفقرة الثالثة أريد رؤية المفردات التي أضحكت الزملاء : - الغش كالبذرة الخبيثة التي وصفها الله تعالى في محكم كتابه الكريم ، كلمة خبيثة كشجرة خبيثة طلعتها رؤوس الشياطين ، وعليه فأن الغش هو معادلة مركبة من حيلة وحذر ، خوف وإرتباك ، بذرة سمجة ، فعل مزدري ، وصمة عار في الجبين تُرافق الغشاش الأجوف فاقد المحتوى ، كل ذلك متمثل برؤوس الشياطين طلع الشجرة الخبيثة التي هي النفس الأمارة بالسوء ، الأمارة بالعمل الطالح ، تلك النفس الضعيفة الإرادة البليدة التي ترتأي وترتضي الغش مخرجاً سهلاً من معمعة الإمتحان وبناتج جيدة ، لأن الحل طبق الأصل كما جاء في البراشيم .

أيار مبتسمة : أعتقد إن هذه الفقرة هي التي مستهم وأضحكتهم على أنفسهم .

سبأ : وأنا أيضاً ... أعتقد ذلك ... ولا سيما مفردة رؤوس الشياطين ولكن لماذا مقالات الأستاذة طويلة هكذا .

أيار مبتسمة : بحسب طبيعة الموضوع ... إذا شئتِ ننصرف للبيت ورائنا إمتحان .
سبأ متأنفة متمازحة : لا ... أمري لله ... لتُكمل الفقرة الرابعة ... القائلة : - نلاحظ كل عام في الجامعة إرتفاع عدد حالات الغش على الرغم من وسائل الردع المتمثلة بالفصل وحرمان الطالب من الدوام لمدة عام كامل وعده راسباً في كل المواد ، إنما يعود ذلك الى الجهل المخيم على عقليات الغشاشين ، بسبب نقص بل إنعدام النصح والإرشاد والوعي الديني والأخلاقي بين صفوف الطلبة ، وتشبث التدريسي بحدود المنهج المقرر ، غارباً عن خلده ان عملية التدريس عملية خطيرة جداً لأنها تُحدد إتجاه الطالب في طريق العلم والمعرفة ، ذلك لأن بعض الطلبة شديدي التأثير بالأستاذ ، فكيف إذا كان المدرس يحتكر النصح والإرشاد لنفسه فقط ، نعم في بعض الأحيان وبسبب الغش قد يتساوى الكسول مع الطالب المجد في إحرازه الدرجة نفسها أو ربما أعلى منه ، اي بين الطالب الذي سهر الليل بطوله وربما في ضوء المصباح النفطي حتى تسهدت جفونه وتورمت عيناه وبين ذلك الطالب المتثائب البليد الذي ملأ قصاصات الورق بأسرع من طرفة عين ، وبعدها إلتحف بلحافه الدافئ حتى طواه الكرى ودار في دوائر فلكية في مجرة الأحلام .

سبأ متظاهرة بالتثاؤب واضعة يدها على فمها : والآن وصلنا الى فقرة النوم والمقالة لم تنته .

أيار ضاحكة : لا ... قاربت على الإنتهاء فأنت من أردتِ تلك الفقرة الخامسة تقول الآتي : -

وعليه نتسائل عن هذه النفس البليدة الأمانة بالسوء التي حبذت الطرق الملتوية بدل الجهد والمثابرة ، هل فكرت يوماً بمسألة قطعية لا جدال فيها تضم شقين أولهما : المعرة والعقاب وعلى مرأى ومسمع الجميع ، عندما يقع في قبضة المراقب الحريص الأمين ، وثانيهما : إكتساب المعلومات أثناء مراحل الدراسة وخبزها على

شريط الذاكرة وبرمجتها في الدماغ ذا الأسلاك المكتظة في مجتمع سريع التطور والتغير والتجدد والإبداع ، هل فكّر كيف يمكن له أن يجالس الآخرين المثقفين ، فلا بد أذن من الطرق بمطرفة النصح الحديدية على هذا الدماغ المتحجر الصدى المتبدل الذي يمارس الغش في حياته ، واسدال الستار على حقيقة العلم والشرع والأحاديث النبوية الشريفة التي تنساب كالدرر والتي تحثنا على العلم والتعلم ومنها قول سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : (أطلب العلم من المهد الى اللحد) ، وقوله : (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) ، وقوله : (أطلب العلم ولو كان في الصين) ، وقوله : (من غشنا فليس منا) ، ومن هذه المقدمة الموجزة أجمع الخيوط الرئيسية للموضوع وأنسج منها الخلاصة من وجهة نظري كباحثة : بأن مبررات اللجوء الى الغش تتمثل في الظروف النفسية والبيئية والبايولوجية والنفس الأمارة بالسوء وعدم اكتراث الاستاذ وضعف سيطرته على الوضع الإمتحاني وانعدام الوازع الديني والوعي والنصح والإرشاد ، وانتشار الجهل بين صفوف الطلبة كل ذلك شكل بيئة خصبة لنمو مثل هذه الظاهرة الخبيثة .

سبأ مصدرة صوتاً من فمها كالصفيير ممازحة مبتسمة : وأخيراً ... أنتهينا ... ولاحظي ... الأستاذة حفظها الله تقول ومن هذه المقدمة الموجزة ... أنا ... تورمت أقدامى من الوقوف وهي تقول ... موجزة .

أيار مبتسمة : لكنها ... حقاً ... قيمة ... لكم أنا فخورة بها ... وبينما هما كذلك ... حتى سمعا ... وقع أقدام متسارعة نازلة من الدرج وحديث محتدم ... مما دعاها الى الإلتفات لمعرفة ما السبب ... فإذا بالدكتور أسامة العابس يحمل بيده ورقة نازلاً بسرعة متجهاً الى العمادة والطالب وعد يسايره متوسلاً به ... وقد ترقرقت عيناه وأحمرّت خدوده ... والعباس يبعده عنه وقد سبق السيف العذل ... والطلبة قد تجمعوا في باحة القسم ماذا حدث ماذا حدث؟! والبعض يسأل أيار لتتوسط له عند عمته .

أيار مستغربة : وماذا ... حدث ... بحق السماء ... أتوسط عن ماذا ... ؟

لغيف الطلبة : أن الدكتورة ريام ... مسكته وهو يغش وقد إستخرجت من كمه مجموعة كبيرة من البراشيم .

سبأ وجلة : أرجوك ... يا أيار حاولي فهذا مستقبلي وقد يتعرض للفصل والتشهير .
أيار لتخفف من حدة الوضع : حسناً ... حسناً ... سأحاول ... وأسرعت خطاها الى غرفة عمته ومعها سبأ .

سبأ مسرعة بجانبها وجلة : هل صحيح ... حبيبتي ستحاولين ... لأجل وعد ؟

أيار ضاحكة : بالطبع ... حبيبتي ... لا ... وألف لا ... أتعرفين لماذا ؟

سبأ مستغربة : لماذا ؟

أيار مبتسمة : وكأنك لم تفقه ما قرأت للتو في المقالة ولأهرب من الموقف السيء الذي كنت فيه وكان الأمر بيد عمتي أن مثل هذه المواقف لا يتدخل فيها أحد ما دامت **الدكتورة ريام** هي التي ألقت القبض عليه وبالجرم المشهود ، فما على رئيس القسم سوى الإسراع بإتخاذ اللازم لفصله وسيذاع نبأ فصله في الغد على كل الأقسام وسترين ذلك بأم عينك عندما يذاع خبر الفصل في كل قاعة إمتحانية ... يا للهول ... وصمة عار حقيقية .

سبأ منزعة : أراك ... تتشفي به ... وكأنك فرحة .

أيار : أنا ... لا أتشفى بأحد ... ولكن من الظلم ... أن يحرز نفس الدرجات التي يحرزها المجدون ... ثم أن كلامي وصف للعقوبة التي ستصدر اليوم وستذاع في الغد القريب ... وكما يقولون إن غداً لناظره قريب .

سبأ : ومن سيوقع ... على قرار الفصل .

أيار مبتسمة : أن مثل هذا القرار الجريء ... كمن أهدر دمه ... ستوقع اللجنة الإنضباطية المشكلة من كل أقسام الكلية ، وعندما يوقعون بعد التثبت من واقعة الغش سيوقع العميد ... عندها ... سيكون القرار جماعياً ... والعبرة لمن أعتبر ... يا ليت يتعظ في السنوات القادمة ... ولكن أراك ... متأثرة ... ثم أستطردت قائلة : ها ... ها ... لقد نسيت إنه أحد المعجبين .

- سبأ بجد : أرجوك ... توقفي عن هذا الوصف ... فليس المجال الآن للهزل .
- أيار مبتسمة : لا يستحق الآسى ... هذا ما جنته يده .
- سبأ : يعني أنت جادة في كلامك ... سيفصل ... من الكلية .
- أيار : نعم أكيد كما أعرف وكما يقول المثل (سبق السيف العذل) .
- سبأ : مسكين .
- أيار مبتسمة : أنت ... المسكينة ... لأنك ركيكة القلب ... أقصد رقيقة القلب ... ألقبي صفحة أنتهى الأمر فغداً لدينا مادة النقد ... أدرسي جيداً ... هيا تعالي لأوصلك سيراً على الأقدام الى باب الجامعة ، وسأنتظر قتيبة هناك وأمري الى الله ... لا تتأثري يا ابنتي هذا ما جنته يده الغشاشتان ... ولكن .. صحيح هل تعرفين أخي الرائع قتيبة ؟
- سبأ : بالأسم ... فقط ... لم أره .
- أيار : عجيب ... ألم تريه في مناقشة عمتي عندما كنت هناك .
- سبأ : في الحقيقة لا أتذكر ... أي منهم قتيبة كانت القاعة ممتلئة وكنت محرجة جداً .
- أيار : ولماذا الإحراج ... وممن محرجة .
- سبأ : لأنها المرة الأولى ... التي أخرج فيها مع صديقة الى مناسبة خاصة وان كانت في الجامعة وقد بذل والذي الكثير من الجهد لأقناع الوالدة .
- أيار : لا ... علينا ... الآن أتركي الماضي سأعرفك اليوم بأخي قتيبة لأنك تعرفين كل أخواني ما عداه ... وسأوصلك الى البيت وأتمنى أن أتعرف أكثر على أنهار وأطوار ووالدتك علماً بأنني لم أنس رأبها بعلاقاتك .
- سبأ : سأتعرف عليه في وقت آخر ولكن توصليني لا .. فهذا الأمر يتطلب تقديم طلب مسبق للوالدة ، لا تكلفي نفسك فخط السيارات المائل أمام الجامعة سيوصلني مباشرة الى دارنا ستمتلىء السيارة ... في أمان الله .
- أيار مبتسمة : سابقى أنظر إليك الى أن تصعدي السيارة ... في أمان الله ... فذهبت سبأ متوجهة الى سيارة الركاب ... في مرآب الجامعة على مقربة من الباب الرئيس للجامعة ، وأنظار أيار تتابعها حتى صعدت السيارة وجلست قرب النافذة والسيارة لم

تمتلىء بعد ... وراحت تنظر الى صديقتها من بعيد ... وهي واقفة ولم تأت سيارة قتيبة بعد ، وراحت تتكلم في دخيلة نفسها ... ليتني بقيت واقفة قرب أيار ... حتى تصل سيارة أخيها ... لا أحب أن تأتي طالبة وتقف قريبا وتبدأ بسرد قصة حياتها ومشاكلها ... وبديهي بأن أيار ستتظاهر كعادتها وبغرور بأنها المصلح الإجتماعي وحلالة المشاكل ... عندها ستخصص لها الوقت على شكل جلسات الى أن تنتهي من وضع المسودة النهائية للقرار ، كما فعلت مع الطالبة أفكار وعندما فتشت عنها في كل أرجاء الكلية وجدها تجلس على منصة الأستاذ وكأنها القاضي الذي سيفرج عن المتهم بعد ان سمع أقواله ، فليتك يا أيار تهتمين بي ... كما تهتمين بالآخرين ... أه ... ولكن المشكلة عندما أناقشك بأرائك تتصلبين حتى في الرد وتدعين جدلاً بأنك تتمسكين بأرائك ... وكأنك الوحيدة التي تملك زمام الأمور والآخرين لا يفهمون أرائك ... صحيح أنا أحبك ... وأعشق البسمة على محياك ... ولكن في الكثير من الأحيان أجهلك وكأنني أعرف إليك للوهلة الأولى ولاسيما عندما ترفضين الإجابة على بعض أسألتني ... أولست الأقرب الى روحك بحسب وصفك ... أذن لماذا ... تعرضين عن الإجابة وكأنني غريبة عنك ...؟ يا ... للهول ... نسيت أن أعاتبك ... كيف يمكن لك أن تنسين موعدنا اليوم ... الذي أعدنا ان نتقابل فيه ونذهبين مع زملائك الى المكتبة تشرحين لهم ... ترى هل نسيتي الموعد أو تناسيته ولماذا تهتمين بالآخرين أكثر من إهتمامك بي بحجة مساعدة الآخرين ... وعلى حسابي ... هذا أمر غير منطقي وغير عقلائي وغير مقبول ... وغداً سأجادلك فيه بعد الإمتحان ... وبينما هي كذلك ... تحركت السيارة دون أن تنتبه حتى كاد أن يرتطم رأسها لولا أن تداركت الموقف .

أما أيار وبعد أن رمقت ساعتها اليدوية وجدت أنها خرجت قبل ان تبلغ قتيبة بذلك وبعد أن إستخرجت نقالها وأتصلت به لتبلغه أنها بانتظاره ... راحت تتكلم في دخيلة نفسها وهي تنظر الى سبأ جالسة قرب النافذة ولم تمتلىء السيارة بعد بالطالبة ، أتعرفين يا سبأ بأن وصفك لوالدتك يشابه تماماً وصفي لوالدتي حتى أن والدتي بعض الأحيان تعاملني وكأنني طفلة صغيرة بعمر تسنين ، وعندما أقول لها بأني أحب

صديقتي ، تقول لي وأظنها جادة غير ممازحة ، أتحيبنهن أكثر مني؟! أشعر بأن والدتي تغار علينا من أي شيء وتعاملنا وكأننا جزء من ممتلكاتها لا تريد أبداً أن نحب غيرها وأن لم تفصح جهاراً بذلك إلا الأمر واضح ومكشوف ، وإلا لما أصبحت عمتي صديقتي وألجأ إليها كلما تعرضت الى مشكلة أو أزمة نفسية بسببك ، وبسبب تناقضك العاطفي معي ... فأمرك غريب ... يا سبأ ... إذا أصبحت مدأ ... أمسيت أنتِ جزراً ... وإذا صرت جزراً رجعت أنت مدأ ... لا يوجد عندك حد وسط ... كم كانت علاقتنا جميلة ببساطتها على الرغم من الإرهاصات الطبيعية في الثانوية ، ولكن الجامعة ألقت بظلالها الثقيل علينا توسّعت وتشعبت علاقاتنا بالآخرين ... وصار لكل منا إلتزاماته ومسؤولياته تجاه الآخرين ... ولكنك مغرورة يا سبأ ... وتتأثرين كثيراً بالمغريات الموجودة في الجامعة ... ولكني ... أحبك .. وأحبك كثيراً ... فإنتبهت الى السيارة عندما تحركت ... وقالت ... في أمان الله يا صديقتي ... تسعدني كثيراً ثقّتك الكبيرة بي وسأكون عند حسن ظنك ما حييت .

الجزء الحادي والأربعون

مروة أتصلت بسُبل مساءً وأطلعتها بأخر التطورات حول ما جاء به

منذر من أبو الوليد .

سُبل متأففة : ولكن ألم يبلغه ... بأني أطلب منه العودة .

مروة : أكيد أبلغه ... ولكنه يرفض العودة ولو ضاعفتي مرتبه الحالي .

سُبل منزعة : يا ألهي ولكن ... لماذا .. ما هو تبريره الذي ذكره إليه .

مروة : يزعم ... أبو الوليد أنك ... أهنتيه .

سُبل متأففة : والله ... يا مروة لم أهنه ولكنه حساس جداً ... فماذا أفعل الآن ؟

مروة : شغلي غيره ... فهناك عدد كبير من العاطلين .. أفضل من أبي الوليد هذا .

سُبل متأففة : لقد ... شغلت أحد أقاربي تحت إلحاح ... والدتي ... وبأجر يومي

مرتفع أكثر بكثير مما أقدمه لخالد ، ولا يعمل أي شيء في العيادة من تنظيف أو تهيئة

مجرد أنه يسجل الأرقام ... ولكنه ماذا فعل ... يدّخل المرضى المتأخرين مقابل مبلغ

مادي مما يخلق الجدل بين الناس المنتظرين هذا أولاً ، والأبلى من ذلك أتعرفين ماذا

فعل؟! سرقني ... بحجة أنه وضع النقود في الدرج ولم ينتبه وسرقها أحد المرضى ،

فطردته وأنا مرتاحة نفسياً ... وكم تمنيت لو يعود خالد رمز الأدب والأخلاق ومثال

الأمانة والكلمة الصادقة ، وأردت بعدها بأن أغلق العيادة ولكن أُمي رفضت وطلبت

من علي أن يحل محله بشكل مؤقت في دوامه المسائي ، وطوال الأيام الثلاثة يملكني

القلق عليه ، علماً بأني طلبت منه أن يسجل عشر أسماء فقط ولا يستقبل غيرهم ونغلق

العيادة قبل أن يحل المغرب ليلحق على دروسه ونولي هاربيّن الى البيت ، هذه هي

أخباري فهل أعجبتك ... ؟

مروة مبتسمة : وهل تريدين من أبي الوليد ... أن يرجع .

سُبل مبتسمة : أولاً لماذا تسميه بأبي الوليد ... ؟ وأكيد بل مؤكد أتوق الى رجوعه

وحتى الوالدة تريد رجوعه ليتولى مسؤولية التسوق ، علماً بأنها صدقت مسألة سفره

ومشاغله العائلية وتربيتها كل يوم تسألني عنه .

- مرورة مبتسمة :** وهل تريدين من أبي الوليد ... أن يرجع ... حقاً .
- سُبل :** ما بك ... لقد كررتي السؤال لأكثر من مرة وأجبتك .
- مرورة :** ولكن لماذا لم تتصلي به حتى لمجرد السؤال عنه ، أو طلب عودته .
- سُبل بمكابرة :** ولماذا أتصل به ... هو ترك العمل بمحض أرائته وأن أراد العودة فالباب مفتوح وإلا فلا .
- مرورة :** حسناً ... لا بد ان تبحتي عن آخر لأنه رفض العودة .
- سُبل بعصبية :** أي آخر يا مرورة أرجوك أطلبي من المتيم منذر بأن يقنعه بالعودة .
- مرورة ضاحكة :** أتعرفين بأني بدأت أعتاد وجوده في حياتي وقد تكلمنا ليلة أمس طوال ساعتين .
- سُبل :** الله الله هذه تطورات مهمة ... حديث مسائي ... ولماذا لم تخبريني ... والله قلت لك من زمان إن هذا الرجل يناسبك تماماً ... وبماذا تكلمتما ... هل اتفقتما عن الخطبة ؟
- مرورة ضاحكة :** نعم أكيد تكلمنا كثيراً ... عن خالد والعيادة ويسعدني بقوله مولاتي .
- سُبل ضاحكة :** أترين تأثير خالد وكيف جمع بينكما في ساعات رومانسية ولكن ما هو رأي منذر في الأمر ؟
- مرورة :** أكيد أبدى رأيه في المسألة ... لكنه قال عبارة ذات إيحاء ... ولم تُعجبني أبداً وقد عاتبته عليها .
- سُبل مقطبة حاجبها :** عبارة ذات إيحاء ... ماذا قال بالضبط ... لا تقلقيني ... تكلمي بسرعة .
- مرورة :** قال بالضبط ... إذا كانت الدكتورة بحاجة الى خالد في العيادة لماذا لا تتصل به وتحاول التناوب معه وإقناعه للعودة وأنا واثق تماماً بأنه بمجرد سماع صوتها سيلين جانبه وينسى حتى كرامته ... لاحظي ودققي وحللي شفرة كلماته ... بمجرد سماع صوتها سيلين جانبه وينسى حتى كرامته .
- سُبل مبتسمة بهدوء :** الله .. كم طربت روحي لسماع هذه العبارة .

مرورة مستغربة : ماذا؟ أنا أقول أنزعجت وأنت طربت روحك ما الخطب يا مولاتي؟
سُبل ضاحكة : أعذريني مولاتي لم أسمع في حياتي قط برجل قال عني هذه العبارة .
مرورة ممازحة : عبارة واحدة ... ذبتَ فيها ... فكيف إذا ظهر لك معجب مثل **منذر** ...
سُبل ضاحكة : يا ألهي مثل **منذر** سأتشبث به بيدي وأقدامي وسأعطيه كل ما أملك .
مرورة : أطمأني ... لقد فتحت له الباب ... دون أن أوعده بشيء وقلت له سأفكر في الأمر الى ما بعد الدكتوراه ... وأكد وافق ... وقال سأنتظرك ... ولكن الشيء الذي جعلني أتواصل معه هو والدي ووالدتي وحبهما له وامنياتهما بأن أقبل به زوجاً ... على الرغم من أنني أتمنى ان تتوافق روحي وتطلعاتي وطموحي معه ... أتمنى أن ارتبط بمن يفهم مفردات شعري دون أن يسألني عن تفسيرها أو يترجم مقالاتي الإنكليزية دون أن أترجمها له وهكذا ... فالتوافق العاطفي والروحي والعملية شيء معهم لإستقرار البشر .

سُبل : والله يا صديقتي ... أنا أراك تقامرين بحياتك وفرصك الذهبية ... وتؤمنين بمبادئ النظريات الوهمية والفلسفات الخداعة التي لا تمت الى الواقع بصلة ، ولو سلمنا بأن كلامك صحيح ... ما الذي منعك من الإختيار وأنت بجمالك تحظين بفرص كبيرة جداً ، فلم يتقدم إليك الشرطي أو النادل أو بائع اللبني مع أحترامي وتقديري لكل المهن ، ولكنك تفهمين قصدي تقدم لك أعلى الكفاءات من القاضي والطبيب والمهندس وأخرهم الدكتور **أرشد** في كليتك ، أيعقل بأن كل هؤلاء ... لم تجدي معهم توافقاً روحياً أو وظيفياً ... ولكنك برأيي تنظرين الى **منذر** وتنتظرينه ليطور ذاته ، وقد لاحظتني فهو يعمل جاهداً وبإتقان في شركتكم ويعمل بذكاء في الأعمال الحرة ، ولأجلك جاء ليدرس الإنكليزي ، ولكنه لا يزال يسكن في بيت أختك ... وهو بيت أخيه ... فهذه قدراته وهذه إمكانياته ، وأني لأخاف أن يملُ من الإنتظار ويعتبرها فقد أمل في مفترق طرق ، ويرحل مع أيّ امرأة أخرى بسبب صدودك له ويفقد الأمل منك ... نعم يفقد الأمل منك ... وقد أنتظرك كثيراً ... وما عليك إلا عد السنين وسترين كم صبر لأجلك ... وأنا أقول لك يا صديقتي ... واجهي نفسك قبل أن تواجهيه ... إما

قبوله أو ليرحل عنك دون رجعه ... ليشق طريقه بعيداً عنك ... ولا أعرف هل تتلذذين بتعليقه هكذا ؟

مروة متنهدة مبتسمة : لقد ... قبلته لأجل والديّ ... أطمئني وسأحاول أن أعتاد عليه ... وقد سمحت له بالحديث معي بالأحاديث الرومانسية وبخلجات نفسه ولواعجة ... دون أن أعده بشيء ... وقد تفهم ذلك .

سُبل بغيطة : يا سلام ... قالتها مطولة والله أفرحتيني أجمل خبر سمعته في حياتي.
مروة مبتسمة : ولكن لديّ سنة كاملة لأحصل على الدكتوراه ... وبعدها ... سأدعوك الى حفلة العرس .

الإمتحانات لم تنته بعد في الكلية ولا زالت الدكتورة ريام لها السبق والريادة على كل تدريسي آخر في القسم في رصد كل حالة غش تتم في قاعتها وعبر أيّ وسيلة من وسائل الغش المتعمدة التقليدية أو الإلكترونية التي تتم عبر النقال والإسلاك والسماعة البلوتوث وغيرها ، وقد تميزت بقوة الملاحظة فضلاً عن أنها لا تتورع عن تفتيش كل الطلبة وحتى أكمامهم وكل أدواتهم القرطاسية ، ولا تفرق ما بين الطلبة سواء كان كبيراً أو صغيراً ، فاللص لص وأن تقدم عمره بحسب وجهة نظرها ، والذي حدث اليوم في الدراسات المسائية مع الطالب صافي ما يؤكد وجهة نظرها ، وبعد أن فتنشت الطلبة وجدت أحد الطلبة وقد كتب قانوناً إحصائياً على المسطرة الصغيرة ، وعندما وجدتها أمامه على المنضدة ومسكته بالجزم المشهود تبريء منها وزعم بأنها ليست له وجدها على الأرض ورفعها ليستفيد منها دون أن ينتبه الى ما مكتوب عليها ، مما جعل الجدل يحتم بينهما فقاد الدكتورة الى طرده خارج القاعة وقد سحبت منه عينة الغش لتستخدمه كدليل دامغ لفصله ، ولكن الطالب صافي رفض ذلك وأعتبره تجنياً ولم يعترف وبصلافة بمسؤوليته وراح يهتف ويصيح ظلم ظلم ، فأخذه بعض التدريسيين ليهدؤوا من روعه ، لاسيما وأن وقت الإمتحان شارف على الإنتهاء فحاول الكثير من التدريسيين إقناع الدكتورة ريام وهي ماشية وفي طريقها دخلت غرفة الأستاذة مروة بعدم تقديم المذكرة لعله يكون مظلوماً والمسطرة لا تُعدُّ دليل إثبات ،

وبعد أن جلست الدكتورة ريام قرب الاستاذة مروة جاء الدكتور أرشد ومعه الطالب صافي ليعتذر الى مدرّسته لتدارك الموقف فراح صافي يعتذر ويبرر لمدرساته توتره وكيف إنه وجد المسطرة على الأرض دون أن يرى ما مكتوب عليها وراح يتحدث والمدرسات يستمعن إليه بإصغاء تام ويبادلنه الحديث ، فيما جلس الدكتور أرشد على الكرسي القريب للباب يستمع .

وفي هذه الأثناء دخل منذر عتبة باب الغرفة كعادته بعد أن ألقى التحية بإحترام وتبجيل وهدوء والإبتسامة تشقُّ شذقيه وأنظاره موجهه صوب مروة ، وقد جاء بحسب الموعد فيما يتعلق بمشكلة أبي الوليد ، ولكن الدكتور أرشد قال له بإبتسامة : منذر من فضلك أجل أمرك ... لدينا مشكلة الآن مع زميلك صافي ونريد حلها أذهب الآن وتعال في وقت آخر ، فبقي منذر ينظر الى مروة وكيف أنها لم تنبس بكلمة ، وكيف أن الدكتور أرشد تفرد بتصرفه الغريب معه الذي لم يعرف كيف ولماذا سمحت له بذلك ، شعر وكأن دوار أصابه وزلزلت الأرض تحت أقدامه ، فهل هذا الذي رآه الآن حلم أو علم أو محض تمثيل أو عقوبة فوضوية سطرّتها أنامل القدر ، ومن هذا الشخص بالذات ، وبعد إن تلقى هذه الصفحة والصدمة التي كادت أن تفقده صوابه ، لملم أشلائه المتناثرة وكرامته الموقودة وراح يتعكز على عكاز الثبات يمشي وكأن كل شراينه تنزف لا يعرف ماذا يقول وماذا يفعل ، فعاد الى البيت ووجهه مملوء آسى ، وكلما سألوه برر الأمر بعدم أجابته في الإمتحان ، ومن حسن حظه كان هذا اليوم الأخير للإمتحان ، لكنه ماذا يقول وبماذا يبرر ؟ الموقف صعب والحديث أصعب ، ولكنه يسأل نفسه لماذا ؟ في دخيلة نفسه ، ولكن لماذا لم تنبس ولا بكلمة واحدة وهي تعرف تماماً بأني جنّت إليها لأحل المشكلة التي كلفنتي هي بحلها ، لكن هل يعقل بأن هناك وشاة تدخلوا بيننا ، ثم ضغط على رأسه بكتنا يديه قائلاً : رباه ... لماذا يحصل لي كل ذلك ... يكاد رأسي ينفجر من شدة التفكير ، ولا أجد جواباً واحداً للمهزلة التي رأيتها اليوم ويا لهول ما حصل لي لا أكاد أصدق .

ثم تنهد وهو في منولوجه الداخلي ... لكنها ... أخبرتني أنفأ بأنها لم تعدني بشيء ... وأنا وافقت بهذا الرأي ... نعم أنك وافقت ورضيت يا منذر وقبلت بهذه الإهانة وهذا الإستصغار ... أكيد لقد تجاوزت حدودك ما أنت إلا طالب مسكين ما زلت تتدرج في مشيك ، وهي تدريسية وفي أوج العظمة وما هي إلا أيام وتحصل على الدكتوراه في اللغة الإنكليزية وفي موقع عملها وكانت تتحاور مع زملائها ، ومن أنا من وجهة نظرها حتى أريد الدخول الى حصنها الحصين بدون تصاريح منها ، آه كم كنت مخطئاً ... وآه من نفسي التي لا تعرف أين تضع خطواتها ، فلو كانت تحترمني بقدر ذرة خردل لما إرتضت لي ذلك ، ولكنها حتى لم تنبس بأي كلمة وكأني متسؤل نكرة وقف على بابها ، وقد سمحت للدكتور رشدي بدعي قبل أن أهم بالدخول ، ولكني حتى لا أعرف لماذا تصرف معي هكذا ، أيعقل بأنه عرف بعشقي الأبله لزميلته المبجلة وتصرف بدافع الغيرة ، لكنها بحسب علمي رفضته ولم تقبله ، أنتبه يا أبله فأنت تغامر وتقامر بنفسك وكرامتك ، دكتور ناجح كأرشد رفضته بغرور وكبرياء ، فمن تكون أنت حتى تضع نفسك بمثل هذا الموقف المزري ، والحمد لله لم يرني أحد من زملائي لأصبح الأمر سيئاً ولذاع صيته في أرجاء الكلية ، ولكن إعلمي يا مروة بأنك لم تريني بعد الآن ماثلاً على بابك ، وحتى رقمك سأمحوه من نقالي ، وأن أبا الوليد على حق فأكيد إن صديقتك الدكتورة مثلك ومثل غرورك وعجرتك وفي المساء وعندما غارت النجوم وهدأت العيون سحب نقاله من الدرج ليفتحه ويمسح رقمها كما قرر ، فبدأ بدليل الأسماء ومسح رقمها فإذا بالنقال مهلهلاً بعدد من الرسائل ، وعندما رآها وجدها تقارير لإتصالات فائته ، وعلى الرغم من إنه مسح الرقم إلا إنه عرف بأن هذه الإتصالات منها ، فقال : آه منك يا قلبي مسحت الرقم من دليل الأسماء ولا أعرف كيف أمحوه من أرشيف ذاكراتي المتقد .

وبعد أن حاولت مروة عبثاً الإتصال بمنذر لتسأله عن أبي الوليد وضعت نقالها على المنضدة القريبة من سريرها دون أن تغلقه قبل أن تنام وعلى غير عاداتها في غلق نقالها قبل النوم ، وعندما فتحه رنّ نقالها برسالة ، فمدّت يدها بكسل وقد أخذ

منها النعاس مأخذاً لترى الرسالة ، وعندما دعت عينيها وفتحت الرسالة وجدت بأن نقال منذر الذي كان مغلقاً مفتوح حالياً ، فجلست متربعة وسط سريرها وراحت تتكلم في دخيلة نفسها : أكيد سيتصل بي الآن ... فرمقت الساعة فإذا بها الحادية عشرة ففتحت النت على الهاتف وشاهدت خدمة الواتس أب مفتوحة بنقاله ، فقالت : الوقت غير مناسب ليته يرسل رسالة أفضل من الإتصال فالوقت غير مناسب ... كررتها مرتين ... ولكنه لم يتصل ... لا أعرف لماذا لم يتصل ... وقد رأى اتصالاتي ، وهل أفع أباً الوليد أو لا ... لكن هل أرسل له رسالة على الواتس أب .. ؟ لا لا سأتصل به لأسمع آخر التطورات نعم أتصل أفضل فإتصلت وإتصلت ولكن دون جدوى لم يرد عليها ، ولكن لماذا يرد عليّ وأنا أرى خدمة الواتس أب مفتوحة (مكتوب متصل) ثم فتحت الفيس بوك ... فرأت صفحته مفتوحة وله مشاركات في هذه اللحظة الآنية مما خلق في نفسها التساؤل ... لكن لماذا؟! لم يرد على إتصالي الأمر غريب فقد كان بمجرد أن يرى إتصالي أو رسالتي يتصل بالحال ، أتمنى أن يكون بخير وأتمنى أن تكون أجاباته مسددة في الإمتحان ، فأرسلت له بتحية على الواتس أب والفيس بوك فتم التسليم بالحال ، فمرّت الدقائق ولكن لم يأت الرد بل بالعكس أغلق الخطوط ، لكنها نامت متأملّة إتصاله في الغد لأن الوقت متأخر بحسب وجهة نظرها .

وبعد أن تنتهي الإمتحانات النهائية ينشغل الطلبة بتحضير ورقة براءة الذمة التي تسلم للقسم ، لغرض إستلام النتيجة والكل منشغل والإزدحام على أوجه في الأماكن التي يرتادها هؤلاء الطلبة ، ولكن منذر لم يتصل ولم تره في الكلية ، فراحت تتصل به مجدداً ... ولكن الهاتف يرن دون جدوى مما زاد قلقها ففكرت الاتصال بوالدها لتسأله عنها ، ولكن ترددت ، وراحت تتمشى في ساحة القسم ونقالها في يدها تواصل الإتصال ، ولعلها ترى بعض زملائه لتسألهم عنه وقد إنتصف النهار ، وبينما هي تتمشى لمحته من بعيد واقفاً قرب لوحة الاعلانات ، فوقفت تنظر إليه بإستغراب وهو ينظر الى نقاله فقالت لعله يريد الإتصال بي ، فقامت من جديد بالإتصال به ولكنه لم يرد وهو ينظر الى نقاله ، مما شعل جذوة الإستغراب في صدرها فأسرعت الخطأ

نحوه دون أن ينتبه وعاودت الإتصال وهي تقف على مقربة منه ولاحظت عن كثب تجاهله لإتصالها، فقالت ببرود منزعة مندر ما الخطب ؟

مندر بوجوم مندهشاً : أستاذة .. مروة .

مروة منزعة : ماذا ؟ أستاذة مروة ... هل أنت تعي ما تقول ؟ ألم تسمع إتصالي ؟ ولماذا لم ترد .

مندر : سمعته .

مروة : قلت لك ... ما الخطب ؟

مندر : لك طاقة كامنة وهائلة للتجاهل .

مروة : لا أفهم ماذا تقصد ... ولا داعي للكلام المبهم .

مندر منزعاً مشيحاً بوجهه عنها : لا بل تفهمين وتتواصلين في أسلوبك المهين .

مروة متأثرة : يا ألهي ... أنت تتكلم عني بهذه الطريقة الفجة ... ولا أعرف ماذا تقصد ... ولكن ضع عينك في عيني عندما تتكلم ... أهدأ أرجوك وتعال نبتعد عن القسم لئلا يسمع الطلبة ويبدأ التأويل ... والتأليف .

مندر : هذا الذي يهكم فقط ... سمعتك العلمية وأنا تضربيني عرض الحائط .

مروة متنهدة : أسمع يا مندر ... لم يعهدني الاخرون إلا صادقة ولم يشكك أحد يوماً في كلامي ... ولكني الآن ... أقسم لك بالله خالق السموات والأرض لا أعرف عن ماذا تتكلم ، وكأنني أرى اليوم شخصاً آخر غير الذي أعرفه من زمان غير الذي قررت الإقتران به بعد سنة ... تعال من فضلك نجلس في الحديقة وتكلم بهدوء وسأسمعك الى النهاية ... وبعد ان جلسا على المصطبة قالت له : ماذا تقصد في أسلوبك المهين ... ؟ فلا أقول إلا ... لا إله ... إلا الله .

مندر وقد هدأ : محمد رسول الله ، أنا أصدق قسمك ولكن لا أعرف عن ماذا قسمتني ؟

مروة بهدوء : حسناً ... أذن ما دمت صدقت قسمي ... تكلم ... رجاءً ... فقلبي بدأ يؤلمني ... ولا أحب ان يتهمني الآخرون جزافاً .

مندر بقلق : حبيبتي هل أنت بخير ... ؟

مرورة بهدوء وقد أشاحت بأنظارها عنه : : دع الحب الآن ... وتكلم عن المهم ... رجاءً ... لقد أتعبتني ... أريد الإنصراف ... لقد تأخرت .
 منذر ينظر إليها بمودة : حسناً ... أتذكرين مسألة البارحة مع الطالب الذي مسكته
 الدكتورة ريام عندما اجتمعوا عندك في الغرفة الدكتورة ريام والدكتورة أرشد والطالب
 ... أتذكرين ؟

مرورة : أكيد وكنت حينها بانتظارك لتكلمني عن خالد لكنك لم تأت وأستغربت لذلك.
 منذر أقطب حاجبيه وقلب شفثيه : ماذا ... لم آت ولم تريني ... وهل كنت مغيبة ؟
 فكيف لم تريني وأنا واقف عند بابك أريد الدخول ... والمعتهه أرشد دعني ولم يسمح
 لي بذلك وبوجودك حدث (كيت وكيت) .

مرورة : أقسم لك تارة تارة بأني لم أرك ... ومستحيل يأتي في خلدك بأني سأسمح
 لأرشد أو لأي زميل آخر التصرف هكذا سواء معك أو مع غيرك وفي غرفتي ،
 ولكنك المخطأ ويقع عليك اللوم ، كان من المفترض بك أن تدخل وتأتي أمام مكتبي
 وتنبهني بأنك أتيت بحسب طلبي لأنني أنا من أستدعيتك ولا يجوز أن تنصاع هكذا
 لأوامر أي شخص ، ومن الخطأ أيضاً أن تتهم الآخرين جزافاً بالتقصير دون ان تسمع
 آراؤهم تجاه الأمر ، ولا أحب هذه الصفة البتة صفة الهروب من المواجهة كان لزمأً
 عليك أن تسمعني وتعاتبني ان كنت قد تصرفت بالفعل معك هكذا لأي سبب كان ،
 وتسمع رأبي ووجهة نظري .

منذر بخجل : أنا أعتذر .

مرورة : لا ... لا ... من حقك ... ان تنزعج فالموقف مزعج ... ولكن ليس من حقك
 أن تتهرب من المواجهة ... وهذه الصفات لا تُعجبني ... فإذا أردت الإقتران بي
 فتكيف مع المصداقية والشفافية والثبات عند الشدة .

منذر : أنت تعرفين جيداً بأني أحلم بك منذ صباي حتى تحولتي الى دمي تتحركين فيه
 ، ولكني لا أرتضي لنفسني أبداً أن أكون حجرة عثرة في طريقك ولن أفرض نفسي
 عليك أبداً .

مروءة متتهدة : وليست مروءة الأوجي من تتعامل بالعنف او بالإكراه ... أعلم بأني أتصرف معك على سجيّتي وبمحض أراذلي ولا أحد يجبرك عليّ فأطمأن .
منذر : ماذا تقصدين ؟

مروءة وعلامات الانزعاج لا زالت باادية عليها : أقصد الذي أقصده ،ولست ملزمة لبيان كلمة كلمة أتفوهها ، ما دمت أنت تتهمني بأني أسأت إليك وأهنتك دون أن أعلم .
منذر بأسى : أرجوك ... أصفحي عني ... فالموقف صعب ... وأقض مضجعي ... فبمجرد التفكير بأنك لم تدافعي عني ... كدت أن أموت من شدة الألم ... أعذريني ... ولو كنت أنت من تعرضتني الى هذا الموقف لشعرتي بذات الشعور الذي شعرت به .
مروءة بجديّة : أنا ... لا أسمح لأي كان أن يتعامل معي هكذا ... حتى ولو كان أستاذاي ... وتعودت أن آخذ حقي حتى وأن كان في فم الأسد ، ولا أتهم الآخرين جزافاً ... وبإمكانك أن تسأل سبيل عني ، أسمع الآخر ثم وأناقشه ثم استنتج في النهاية .
منذر بتودد مبتسماً : أعذريني ... مولاتي ... ألا أستحق منك لحظة عذر ... وأنت الأستاذة الفاضلة ، حَقك عليّ ، أقبل رأسك إعتذاراً ... أقبل يدك إعتذاراً .
مروءة مبتسمة : ماذا ؟ ماذا ؟ هل جننت ... أبتعد عني ... أنقشع ، وخذ مكانك ... يا غريب الأطوار .

سبأً تتحدث مع أيار في الهاتف يومياً كما تعودا وقد بدأت العطلة وكما أسلفنا أن الإتصال ليس له موضوع للحديث كما يفعل الكثير من الناس وإنما يلد الحديث بمجرد الإتصال ويكبر ويتطور ويتشعب وقد أعتاد الأهل على ذلك وعندما تضحك احدهما يعرفون انها تتكلم مع صديقتها وبعد التحية والسلام والكلام المعسول عن الشوق والأخبار يتطور الحديث .
سبأً : أتعرفين بأن والدتي أرادت أن تسميني **جلنار** ولكن والدي رفض الأسم وهو الذي أسماني سبأً .

أيار ممازحة : ها ... تقولين بأن والدتي متسيّدة في المنزل ؟

سبأ مبتسمة وبهدوء : والله والدتي تضطهد والدي كثيراً ... وأحياناً كثيرة نراه يأخذ فراشه وينام في غرفة الإستقبال هارباً منها ... على الرغم من عدم سماعنا بأصوات معركة .

أيار ضاحكة : أحذري أن تسمعك ... أحذري ... والله كل الأمهات هكذا ؟ لهن السيطرة في المنزل ، ولكن حقيقة أرى أسمك أجمل بكثير من هذا الأسم المليء بالنار والعياذ بالله .

سبأ ضاحكة : صحيح وأنا أقول كذلك ولكن معناه حلو ومحبب للنفس فأسم جنار يعني وردة شجر الرمان، لكن أتعرفين لماذا والدي رفض الاسم فالسبب لأن ذويه سخرُوا من الأسم وتهكموا عليه ضاحكين فخشي ان يأتي يوم آخر ويتهم الآخرون على الأسم دون ان يعرفوا معناه، كما ذكرتي للتو اسم ممثلىء بالنار، ولكن لماذا أسموك أيار؟ وهناك من يسمون أبناءهم **نكتل** يزعمون بأنه أسم أخو سيدنا يوسف في القرآن الكريم. أيار **مبتسمة** : أتعرفين أنا لا أحب أسمي ... لأنه لا يليق بأسم فتاة جميلة وجذابة مثلي ، ثم وهل أنتهت الأسماء حتى يسموني بأسم أحد الأشهر ، ولكن الحمدُ لله لم يسموني تموزاً وأنا أعيش في البصرة ، وكثيراً ما أجادل أبي بذلك وأطلب منه أن يُغير أسمي الى أسم آخر يليق بالفتاة ، ولكنه يقول لي مبتسماً لا يمكن يا بُنتي فأسمك تم نحتته قبل ان تأتي الى العالم (وقد سبق السيف العذل) الآن ، اما بالنسبة لأخو سيدنا يوسف فهو بنيامين .

سبأ : نعم أعرف ... والمقصود بنكتل الكيل ... لكن كيف تم نحت أسمك قبل مجيئك ؟ أيار : لأنه ألتقى بوالدتي في شهر أيار وبعدها قررا إذا روزقوا بفتاة سيسميانها بأيار ، وقد انتظراني الى ان آتيت والمصادفة المقدسة لديهما بأنني ولدت في الأول من أيار . سبأ **مبتسمة** : أوه ... يا لها من مصادفة ... حقاً ... فالحدث والتأريخ يستحقان التسجيل والتوثيق ، ثم من قال لك بأن أسمك غير جميل ، فأنا أراه أجمل أسم في الوجود لأجمل صديقة مغرورة .

أيار ضاحكة : أشكرك .

سبأ : لا تقولي لي ... هكذا ... أشكرك ... وكأنك في مسرح جاد .

أيار : وإنما ؟ لم أفهم ؟

سبأ بجدية : لا أو من بما يسمى الإفحام ... قولي لي وأنا أيضاً أرى أسمك أجمل الأسماء ، بادليني ذات الحديث ، وذات الرقة والمشاعر الفياضة التي أشعر انها لو فاضت لمألت الدنيا بأكملها .

أيار مبتسمة : حبيبتي أنت تعرفين مدى حبي لك وكأنه شلال نياكارا الذي يحار الناظر له .

سبأ برضا ممزحة : أها الآن ... بدأت تفهمين ... الرومانسية .

عائلة سراج الدين جالسة في الحديقة تتبادل الأحاديث والكل مجتمع ، كما ان الأب عوّد الجميع على إلقاء الرأي وسماعه وإحترامه الرأي ولكن ، لديهم ضيفة اليوم وهي عمتهم الصديقة مروة .

سراج الدين : نبحت عن فتاة مناسبة للوسيم قتيبة .

مروة وجهت كلامها لقتيبة : وما هي المواصفات التي تريدها أيها الوسيم ؟

قتيبة باسماء : أنا أهتم بالثقافة والأصل أولاً يا عمتي على ان يكون شكلها مقبولاً .

مُعَاذ ضاحكاً : أنا أرشح سُبُل حتى تُعالج أسناننا بدون أجر ... فضحك الجميع عدا مروة .

سراج الدين : حسناً أذهب الى عيادتها فهي فتاة راقية ومن عائلة محترمة نحن نعرفها مذ كانت صغيرة .

قتيبة : حسناً ... ما دامت عمتي تعرفها .

أميمة أقطبت حاجبيها وأعطت تسنيم لأم سالم لأنه يُشر لها : لا بالطبع لا ... فسُبل ليست من مستوى جمال ولدي ، أنا أريد فتاة جميلة يتعجب عليها الحضور ولا داعي للإستعجال ، فسُبل لا تناسبه من وجهة نظري .

أيار : أذن .. لم تتم الموافقة لنغير الحديث .

مُعَاذ ممزحاً وهو ينظر الى الباب:أذن إنصرفي يا سُبل انصرفي فوالدتي غير مقتنعه.

مروة بعد ان انصتت منزعجة : لا يجوز التكلم عن سُبُل بهذه الطريقة ... وإسمحوا لي بالإنصراف .

سراج الدين : أجلسي أرجوك يا مروتي فأنت تعرفين مُعَاذَ فكاهاياً ولا يقصد الإساءة .
مُعَاذَ : أنا أعتذر يا عمتي .. صدقيني لم أقصد ... أجلسي أرجوك فحنن فرحون بك .
أنس : نعم ... عمتي على صواب فهي أخت صديقي علي وهو صديق راقى جداً على الصعد كافة .

سراج الدين كمحاولة لتغيير الموضوع مبتسماً : مروتي ... هل لا زلتِ تكتبين القصص القصيرة ؟

مروة : نعم ... أكيد لا زلت ... أكتب ... وأن كنت مشغولة الآن بأطروحة الدكتوراه .
سراج الدين : عندما تتفرغين بعد الدكتوراه ان شاء الله أريدك أن تكتبي قصة بعنوان كرسي الحلاق .

أيار ضاحكة : ماذا ؟ وهل أنتهت الأسماء والمواضيع يا أبي ؟

مروة مبتسمة : حسناً وما هي الفكرة ...؟ التي تتمحور عليها القصة ؟

سراج الدين : أتعرفين بأن كرسي الحلاق كالمسبار الذي يقيس أغوار كل من يدخله ، وخلال كل عمري هذا لم أدخل صالون الحلاق قبس إلا وقص علي قصة اليوم ذلك لأنه صديقي منذ الصبا ، حتى أن بعض الأحيان تتضمن القصص مواضيع خطيرة تمس احوال الناس وسمعتهم ، ولعل أبرز محاور القصص النساء في المنطقة ، وهذا أكثر ما يُخيفني ، فأن الرجل عندما يمثل على الفتاة بقصة حب ، سينقل هذه الصورة مباشرة الى الآخر ، وهذا الآخر ينقلها الى الحلاق قبس ، وقبس بدوره ينقلها لي بالحرف والصورة ، لذلك أردت الكتابة عن هذا الموضوع وسأخبرك بهذه القصص تباعا لتكون على شكل حلقات ، هذا فضلاً عن اننا إذا استدليننا على فتاة لقتيبة يجب أن نسأل قبس عنها وعن عائلتها فعنده الخبر اليقين لأنه مسبار المنطقة .

أم سالم والطفل في أحضانها : الله يرحم أيام زمان ... فأين ... أنتم منا .

مُعَاذٌ مَمَازِحاً بِأَسَى تَمَثِيلِي : ماذا ؟ ماتت أيام زمان؟! ولم تخبرينا لتقيم لها سُرادق مَاتَم .

أَنَسٌ ضَاحِكاً : وهل تموت الأيام ؟ وأين سنمضي نحن .

أُمِيمَةٌ : والله صحيح لكم أشتاق الى هذه الايام لتجمعني بوالديّ رحمهما الله تعالى .

مَرُوءَةٌ مَتْنَهْدَةٌ : كل إنسان يرى أيامه التي جمعته بأحبته جميلة .

سَرَاجُ الدِّينِ بِأَسْمَاءَ : ولكن يا خالتي ... ماذا تقصدين بكلامك أرى فيه حكمة والحكمة ضالة المؤمن .

أَيَّارٌ بِأَسْمَةَ : أيّ حكمة تعرفها ام سالم يا والدي فهي تترحم وتتأسى على الأيام .

أَمُ سَالِمٌ : اضحكوا عليّ ... فلن تصدقوا ما سأقص عليكم .

قَتِيْبَةٌ بِأَسْمَاءَ : هلمي يا حاجة فُصِّي علينا ما أردتي قوله أرجوك .

أُمِيمَةٌ : بوركنت يا ولدي قتيبة .

مُعَاذٌ : وماذا قال حتى تباركيه ، ولماذا لم تقولي لي بوركنت يا مُعَاذٌ .

أَيَّارٌ : كفاك غيرة ... وكأنك تسنيم ... لنسمع القصة التي سترويها ام سالم .

مُعَاذٌ مَمَازِحاً : لا تتدخليني بيننا أيتها الطفلة ابتعدي عنا .

سَرَاجُ الدِّينِ : كفاكما جدالاً يا أولاد ... تفضلي تكلمي يا خالة .

أَمُ سَالِمٌ مَتْنَهْدَةٌ : قبل سنين خلت كانت الحياة بسيطة جداً وخالية من التعقيد عندما

كنت صبية بعمر أنس ، كانت هناك سيدة تحمل زنبيلاً كبيراً على كتفها مملوء

بالخضروات والحاجيات قادمة من السوق متجهة الى بيتها سيراً على الأقدام ، وكانت

شوارع المنطقة غير مُعبدة آنذاك ومليئة بالحفريات والسواقي الأسنة .

مُعَاذٌ ضَاحِكاً : حفريات وسواقي أسنة ... وتترحمي على أيامها .

ام سالم : آه ... نعم والله أترحم عليها ... وبينما كانت هذه السيدة تسير وهي تنوء

بحملها تعثرت قدمها في احدى هذه السواقي وتبعثرت الفاكهة ... فضحك الجميع من

طريقة يسردها ... ثم قالت ... فماذا تفعل هذه السيدة جلست على قارعة الطريق

وراحت المسكينة تلملم أغراضها وبأسى وبعد ان ملأت زنبيلها بالفاكهة التي سقطت

بالوحد ، طرقت أحد الأبواب القريبة منها لتشكو حالها عسى ولعل أن يُعطوها أبريق ماء تغسل يديها وقدميها لتواصل السير الى بيتها ، وبينما هي كذلك حتى خرجت لها فتاة تأثرت لحالها بعد أن سمعت ولم ترضَ أبداً ... بأن تخرج لها أبريق وانما طلبت منها الدخول الى المنزل وتغتسل في الحمام وترتاح قليلاً وتشرب الماء بعد أن لسعتها لُهب الصيف الحارقة في البصرة ، وبالفعل أدخلتها وقدمت لها الواجب وغسلت الفاكهة وعباءتها وجواربها وفوطتها ونشرتهما على الحبل وما هي إلا دقائق حتى نشفت تلك الملابس ، بينما كانت والدة الفتاة تجالسها وتتبادل معها أطراف الحديث .

أيار مبتسمة : كيف ... ذلك ... إذ قد تكون لصة ... وتتحجج بهذه الذرائع .

أم سالم : فإنصرفت الى بيتها وهي قريرة العين ... مرتاحة البال ... وكأنها سقطت في وادي أخضر مُعطر ، وفي العصر عاودت المجيء الى دار الفتاة لتطلب يدها الى ولدها على حسن ضيافتها ... وبالحال تمت الموافقة ، أتعرفون من هذه الفتاة الطيبة البسيطة ... هذه ... أنا ... أم سالم وما أسهل وأيسر خطبتي .

سبأ مكدره الحال متوسوسة خاطر منزعة ولا تعرف لماذا أيار لم ترد على إتصالها كعادتها وقد مرت أيام ، وكلما أرادت الإتصال تقول في دخيلة نفسها لا لن أتصل ... سأنتظر ردها ... ولكن القلق يعمل عمله ويجعل الإنسان يتحرك بطاقة سحرية أخاذة فلم تستطع الإنتظار فعاودت الإتصال بها من جديد لتطمئن عليها وبعد التحية والسلام سألتها : هل أنت بخير ؟

أيار مبتسمة : الحمد لله بخير ونعمة ... كيف حالك أنت ؟

سبأ منزعة : ألم تري إتصالي قبل أيام .

أيار مبتسمة : أعتذر ... لقد نسيت من شدة انشغالي بقراءة الكتب وانشغالي مع الطفل تسنيم ... لكني أكيد سأتصل بك ... أين ستذهبين ... ؟

سبأ منزعة : عذرك غير مقبول ... يا أيار ... تجعليني في قلق ... ثم تدعين بأعذار واهية لا تمت الى الحقيقة بصلة، نعم قد تكونين منشغلة وقت الإتصال ولكن المسألة متعلقة بالمشاعر والإهتمام ولو كنت مهتمة بي وبإتصالي لما قدمتي هذا التبرير العقيم.

أيار مبتسمة : ماذا دهالك يا سبأ ... ؟ ما الخطب ؟ حقيقة لم أفرغ وكنت منشغلة .

سبأ متنهدة : حسناً ... لا تهتمي لتعليقي ... اتمنى ان تكوني بخير لا تهتمي لرأيي .

أيار مبتسمة : أتعرفين يا صديقتي إن الحياة تتغير وتتوسع وكلما توسعت إزدادت أحداثها لدرجة إن بعض الأحيان لا يكفي اليوم لتغطيتها ... لكننا نتواصل في الرسائل إن لم نتمكن في الإتصال ... وكما تعرفين في العطلة تتغير خطة حياتي نسهر الليل وننام النهار ... وضيوفنا كثيرون ومملون ... وقد يتطلب الأمر بعض الأحيان أن أبقى في ملابس الرسمية طوال النهار وهذا يؤثر على طاقة الإنسان .

سبأ واجمة : وهل تعتقديني ... أعيش في هدوء تام ... وإستقرار مثالي .

أيار مبتسمة : نعم أعتقد ... بأن حياتك مستقرة هادئة ... قليلة المشاغل والإلتزامات المملة تجاه الآخرين .

سبأ : كلا يا أيار أنت مخطئة ... ومخطأة تماماً وقد نأيتي كثيراً عن الهدف هذه المرة ، فحياتي غير هادئة وغير مطمئنة كما تتصورين ... وهناك أمور لا تعرفها بعد عن حياتي لتجعلك تتصورين هذا التصور المثالي وكأنني أعيش في جمهورية افلاطون المثالية ... الشبيهة بالجنة ... لي متاعبي النفسية ... ولكن على الرغم من كل ذلك لم أتجاهلك يوماً .

أيار : عزيزتي لم أتجاهلك ولكنك أكيد ستعذريني لأنني لم أفرغ من شدة الإلتزامات .

سبأ : لا تكثرثي ... تصرفي على راحتك وبمصداقية تامة ... أنفهمك ... وأنفهم بأن بقاء الحال من المحال ... والقلوب بيد الله تعالى يقبلها كيف يشاء .

أيار : أرجوك ... لا تظلميني بهذه العبارة ... وأنت تعرفين أيار جيداً ... صادقة إن نطقت في أي قول ، وألتمس منك العذر تارة أخرى .

سبأ : المسألة يا أيار أكبر من قولك أو تبريرك أو إنشغالك ، الحال الآن يدعو لنعي لهفة مجنونة جمعتنا سابقاً ، وإقامة ماتم لموت شعور ... ورحيل حلم لطالما تشبثت به ... ثم أنهت الإتصال .

مرت مدة طويلة وزكية لم تواصل قصة أختها مع مروة وقد تناست لقاءاتها الخميسية منشغلة بحياتها الجديدة ولاسيما وهي تنشغل طوال النهار بأعمال المنزل ، ذهبت إليها وعاتبها وطلبت منها بإبتسامة رائعة ... يقتلني الفضول لمعرفة باقي القصة ... وعلى الرغم من فرحة زكية بها وطلبها بأن تدخل كوخهم الصغير إلا أنها أبت الدخول مكثفية بطلبها على أن تحدد زكية الموعد الذي ترتأيه مناسباً لوقتها على أن لا يتعارض مع وقت زوجها **شامخ** ... وما أن حل مساء الخميس حتى جاءت زكية الى المكان المليء بذكريات العشق ، وذكريات السعادة التي جمعتها بمروة مصدر سعادتهما بحسب زعمهما .

زكية مبتسمة : يسعدني جداً طلبك هذا يعني انك مهتمة .

مروة مبتسمة : مهتمة جداً لسماح الباقي ... ولكن هل كل هذا الوقت عسلاً .

زكية ضاحكة : الحمد لله ... الفضل لك ... أنت مصدر إستقراري وسعادتي .

مروة : ها ... قفي قفي ليس الوقت الآن للتهنئات لم أفعل شيئاً .. واصلي القصة ها .

زكية : نعم أنستي وصلنا الى عندما دخلنا أنا و**عصام** كنا نحمل معنا صوراً ملونة لها ونسخة من الإبلاغ عن فقدانها ، وحالما رأى الصورة عرفها وقال هذه **ولاء** كانت هنا منذ مدة ولكنها أختفت عندما دخل أحد رجال الشرطة ولا أعرف الى أين ولماذا ؟ فوقتئذ ألجمتني المفاجأة على النطق بآيات الشكر والفرح ، فجلسنا وتنفسنا الصعداء وأعتقدنا بأنها عادت لبيتها وتاقت لرؤية أولادها المهم الآن هي على قيد الحياة .

مروة متنهدة : والله لا أعرف ماذا أقول في شأنها أهي سخرية قدر ، الجميع بالطبع أعتقد أنها أنتحرت لتتخلص من واقعها المرير ومن خيبات أملها في الحياة لاسيما والدسياسة من فلذة كبدها، فالأمر جلل وبعيد عن التصور، اكلمي رجاء يا سيدتي.

زكية مبتسمة : أشكرك ... الله ... كم جميلة العبارة في فمك .. يا سيدتي .

مروة مبتسمة : أدام الله سعادتك يا سيدتي ... أكلمي ... دون توقف .

زكية : لقد عرف **عابد** بضياع والدته وكل يوم يتصل باكياً يسأل عنها ويبرر موقفه ويزعم بأنه تمنى لها الخير ولم يخذعها كما يعتقد الجميع وكل اتصال يثير شفقتي .

مروة : ليذهب الى الجحيم ... هو السبب ... لأنه عاش في استراليا ويعرف القوانين السارية هناك من جانب ويعرف بأن والده متزوج من جانب آخر ، كان لزاماً عليه أن يطلع والدته على الأمر لأنها تجهله ... ويطلعها على كل الخطة المبيته في ليل مظلم من قبله وأبيه .

زكية : وعلى الرغم من طلبه إلا أن عصام حذرنى بعنف من مغبة إيصال أخبار والدته ليقى يشعر بالألم ، كعقوبة توجه إليه لئلا يخطأ تارة أخرى مع الغير ، لكني أحبه ... كثيراً ولا تنسى فهو ابن أختي وشعوري تجاهه شعور الأم تجاه ولدها لكني قلت في نفسي سأخبره عندما آخذ رأييها المهم توجهنا الى المنزل ونحن مليونين بالأسئلة التي سنطرحها عليها وطوال الطريق أطلب من عصام ان يكون هادئاً عندما يتحدث معها ، وحيث ان وصلنا لم نجدنا وأنتظرنا أياماً ولم تظهر ، فبدأت الحيرة تتقمصنا من جديد والأسى يدور حولنا والأقسى من ذلك ماذا نرد على من يسأل عنها؟!!

لم يكن إتصال سبباً اتصالاً مريحاً ألقى بضلاله الريبة والشك والتساؤل ... فأقض المضجع وتردد أصدائه الأركان في ليلة أنتصف مسائها ... فغدت أيار تارة تذرع الغرفة ذهاباً وأخرى إياباً وهي تسترجع كلماتها المؤثرة المليئة بالشفرات التي تحتاج الى تفسير ، ولكنها تلوم نفسها لماذا لم تسألها بالحال ، ولكن بالأصل لماذا تناست إتصالها وهل يعقل حقيقة ما قالت موت اللفة المجنونة والتواصل الذي كان يثير انتباه وتساؤل واستغراب كل من رأى وسمع عن هذه الصداقة ، ولكن ماذا حدث؟؟ يا ألهي ... قالتها بأسى وهي في منولوجها الداخلي ... ثم جلست على سريرها بقوة ... ثم مدت يدها بكسل الى جهازها النقال الموضوع على الطاولة يمين السرير وجلست جلسة القرفصاء وسط السرير ثم اعتدلت في جلستها وسحب الحيرة تُخيم على أجواء الغرفة وقد نامت كل العيون عداها ... وبعد أن تفحصت النقال لم تجد رسائل منها كعادتها ... فراحت تتصل ... بها لتسألها توضيح كلماتها المليئة بالألغاز ... إتصلت بها بعد أن تأكدت من إستيقاظها من كلمة متصل على الواتس آب كما كانت

هي تقول لها ، وانها عندما تنام تغلق الهاتف ، ولكن رنّ الهاتف مرات ومرات عبثاً
ودون جدوى مما أجاج الشكوك في صدرها ، فراحت تكتب ما يجول في خاطرها ...
أحقيقة صديقتي ما قلتي ... ماتت بيننا اللهفة المجنونة بجمار الحسد الملعونة ...
وغدت خطوات التواصل بيننا مريضة كسيحة ...
وقلاع صداقتنا غدت طلالاً مستباحة ...
بعد ان كانت عداة يشار لها بالبنان ... ومثالاً يُحتذى به في الأوطان ...
أحقيقة مرت من أماننا الأيام الجميلة ... وأمست أطيافاً مستحيلة دون أن ندري
كيف تبددت كالماء ...
وجفت وتناثرت كالأشلاء ... أحقيقة كلامك يا سبأ ... أحقيقة هذا النبأ ...
وإلا لماذا نسيت اتصالك وتناسيت ... وأجد نفسي ذات مسؤولية عالية تجاه الأهل
ولا بد عليك ان تتبني بوقت فراغي لتكوني به أهل ...
أه ... ولكن ان كانت بيد الإله القلوب ..
فليس للعبيد المقدرة على المكتوب ... أشعر وكأن فكري مقعد ...
وليلي مقفر سرمد ... ولا أحب البتة أن أعاملك بهذا الزعم ...
فهلا من قريب للفهم ...
أه من الشعور بالآسى ... والوجوم على بابي قد رسا ... فلن أشكي همي إلا للورق
شاهدي الليل وخليله الأرق ... ويراعي يورخ التفاصيل والأحداث ...
بجثت الكلمات المنفلقة من الأجداث ... الشكوك تُدمر وتحطم النفوس ...
وتجعل النخيل الشامخة واقفةً بلا رؤوس ... ولا خير في ماء يشك فيه أجاج ...
لا يُروي من ظمأ ولا يعدّ علاج ... ولا جدوى من حديث النفس والجدال ...
ما دام الجو متقلب الأحوال ... فطاقة الحديث لا تنضب بين المحبين ...
وان فقدت شحنها انقع الوتين ... كإنقطاع الضوء والماء والملاذ ...
فكيف للروح أن تحيا بعد وابل برداذ ؟ وكيف لها أن تثق بالهدوء والأمان ...؟
بعد أن فقدت الشرعية وغادر الأوطان ...

لم تشعر سبياً بالرغبة بالرد على إتصالها لأنها تعتقد بأن المشاعر الصادقة يجب أن تنساب بعفوية دون طلب أو إلحاح أو تكلف وبقاء الحال من المحال وإلا من وجهة نظرها لماذا تشعر بأنها تغيرت ؟ ، راحت تدور في رحي المنولوج الداخلي الذي أعتادت عليه ، وهي تقول ... لقد وصلنا الى عمر الرشادة ولا زلنا نتعثر في خطواتنا تجاه بعضنا أنا أعاتبها وهي تتشبث بذريعة اللعب مع أخيها الصغير ، والإنشغال والإلتزامات ونست وتناست السنين التي جمعتنا ، لم ننشغل عن بعضنا في الإتصال أو الرد حتى ولو لثواني ، ولكن يا سبياً هذه هي الحياة ، ومحال أن تصفو لأحد ، ولكن أين ذهبت الالهفة المجنونة والتجاذب الروحي الذي كان يجمع روحينا في قارورة واحدة ، لدرجة عندما كنت أتصل بها أجدتها ترد مباشرة لأنها للتو نوت الإتصال ، وأين المترجم الروحي الناطق بكل اللغات ، أيعقل بأن رسائل القدر أبدلته وغيرت محتواه ، على الرغم من شعوري بالأسى على نفسي لكني حتماً سأتكيف لأنني في عمر الرشادة وستجف دموعي وسأوافق على خطة والدتي في الحياة وأعد العدة للسفر بعيداً عن هذا الشعور بالألم ، المهم لن أشكي همي إلا للورق فهو الصديق الوحيد الذي يفهم الإنسان ويتحملة ولا يغيره الزمن ، نعم لا بد أن أكون قوية وأعتد على نفسي في تسوية مشاعري لا بد أن أهدبها وأقننها وأعامل أيار بذات المعاملة التي تعاملني بها لتذق الكأس ذاته ، ولكن ماذا أفعل بالشوق الكافر الذي يصهر روعي وأن كانت وسط الجليد ، لكنها الأيام ستكفل لي النتيجة وتحسم الإجابة ، وعزائي في حبي لها أنها صادقة في كل ما تقول ولا تُداهن ولا تدعي ما ليس لها ولا تُجيد التمثيل حتى الذي في قلبها يُقرأ على لسانها ، ولا يبقى جرح على حاله ، ما دامت القلوب بيد الله يقبلها كيف يشاء ، لقد عشنا أياماً جميلة مليئة بالذكريات والقصص والعبر ، ولن أفرض نفسي عليك ما حبيت فإما حياة عز وإما الحل والترحال ، وستبقى أكف الضراعة لله بأن يحفظك ويسدد خطاك وراحت تكتب بمكابرة والهم يعتصر قلبها .

أشكر الجرح ...
الذي قربني منك أكثر ...
فالألم مهما اشتد زائل ... ومر الشاي يقتله السكر ...
وسحائب الليل ستنتشع ... ويتبلج النور بدرّ مسطر ...
يا جرح هكذا علمتني الحياة ... أن أشركك عندما اكتشف البشر ...
وليس من رقص بأسنانه يبتسم ... وليس من عاش في الحب دهرًا ينسجم ...
وهكذا رُفِعَ النقاب عن أرواح ظننتها الماء المنهمر ...
لكني شكرت الجرح الذي واجهني ...
لنلا في لهيب الشوق أبقى أعتبر ... وأعيد الكرة من جديد بمن أعرفهم ...
واثبتت الصادقين في ذاكرتي بألواح ودرر ...
هذه هي الأدوار على مسرح الحياة ... مخاض يسير وأخر عسر ...
لا يبقى حال على حاله ...
فلا بد من حقيقة بعد إعشاء ستبصر ...

الجزء الثاني والأربعون

الأجواء في منزل مروة مساء اليوم غير طبيعية والدموع تتصبب من عينيها ووالدتها فاطمة لتردي صحة والدها عبد الرحمن الذي يشعر بالصداع وإنعدام الرؤية ، فأول إتصال قامت به وهي باكية الى صديقتها الدكتورة سُبُل وقد أخبرتها عن وضع والدها ، فطلبت منها بالحال نقله الى المستشفى وأن لا يتهاونوا في هذه الحالة ، وإنها ستتوجه الى المستشفى وبالحال إتصلت بأخيها سراج الدين ونقلوه الى المستشفى الخاص وما هي إلا لحظات من وصولهم حتى وصلت سُبُل وأطلعت عليه مع الطبيب المختص بعد أن عرفتهم بشخصها ، وأحالوه الى أجهزة الفحص ، وقد أجروا له اللازم وأطلعت سُبُل على تفاصيل المرض وعلى التقارير كافة ، وبعد ذلك توجهت الى حيث صالة الإنتظار حيث كان الجميع في انتظارها وعندما لمحوها من بعيد وقفوا .

مروة بأسى : ها ... سبُل ... بشريني ... أرجوك .

سُبُل : أطمأني أرجوك أطمأني وقولي الحمد لله فوضعه مستقر الآن أطمأنوا جميعكم سيتعافى ان شاء الله .

سراج الدين : ولكن دكتورة ... حدثينا عن حالته ... ماذا شخصت الأجهزة ... أين التقارير .

سُبُل بهدوء وهي تنظر لمروة وتشده على يدها متهددة : جلطة دماغية .

مروة وفاطمة أجهشتا بالبكاء حال سماعهما الخبر : لا ... لا ... يا إلهي أرجوك .

سُبُل متأثرة محاولة تهدأة مروة : أرجوك أهدأي صديقي هو بخير الآن وسيتحسن.

مروة باكية : لا .. لا ... انك تواسيني فقط .

سراج الدين متأثراً : هل يمكن أن نراه .

سُبُل : ان شاء الله ولكن ليس الآن هو تحت العلاج فهذه بحسب التقارير جلطة مؤقتة.

مروة : ماذا تعنين بجلطة مؤقتة ؟ فلا تنسي عمره تسعون سنة .

سُئِلَ : بحسب ما أخبروني هي جلطات صغيرة نتيجة انقطاع مؤقت في وصول الدم إلى جزء من الدماغ ولكن هذه المنطقة خلاياها لا تموت بسبب رجوع ضخ الدم إليها ، في هذه الحالة يحس المريض بنقص في وظيفة معينة من الدماغ ولكن هذا النقص لا يستمر أكثر من دقائق أو ساعات ، وهذه الجلطة المؤقتة مهمة فهي رسول يحذر المريض من احتمالية حصول جلطة كاملة إذا لم يبادر إلى علاج أسباب حدوث الجلطات.

فاطمة باكية : أرجوك ... أريد أن أراه فقط ... ولا أتكلم معه .

سُئِلَ : أرجوك يا خالتي ... فوضعه لا يحتمل أن يراكم في هذه الحالة مما يشعره بأنه في خطر ، فالجانب النفسي مهم لدى المريض ... ستريته وأؤكد لك ولكن ليس الآن فالليل طويل ... أهدؤا وأرفعو أكف الضراعة الى الباري جل وعلا ليرفع عنه البلاء ... أطمأنوا أرجوكم ... فجلس نائل وسراج الدين وولده في جهة وفاطمة ومروة في الكراسي المقابلة لهما ومعهما الطبيبة ... وبعد أن أطمأنوا انصرف نائل وسراج الدين وأولاده ليعاودوا في الصباح الباكر إذ قد يحتاج الوضع الى المناوبة .

فاطمة : لقد أتعبتك معنا يا أبنتي .

سُئِلَ : لا يا خالتي الغالية أنتم أهل فلا يجوز أن تقولي مثل هذا الكلام وتُشعريني بأني غريبة عنكم وتشعرين مني بالحرَج وتكلميني بالتكلف ، هذا أقل ما أقدمه لعمي عبد الرحمن شافاه الله وعافاه .

لقد تلبدت السحب في أجواء أيار في أيام العطلة الأخيرة ، وسبأ لم ترد على إتصالها لتضع النقاط على الحروف التي سطرّتها في إتصالها السابق ، فضلاً عن قلقها على جدها وتأثرها بمروة التي لم ترها باكية في حياتها قط ، وإنشغالها معها في بيتها الممتلئ بالزائرين ولاسيما عائلته أولاده وأبنته وأحفاده (ومنذر جزء منهم) ، والكل يريد أن يراه بعد ان خرج من المستشفى ، ولكن الطبيب أمر بعدم الحديث معه وإبقائه في غرفة نومه بعيداً عن كل المؤثرات ، وعلى الرغم من ان الكل يعرف ، ولكنهم يريدون رؤيته لأنه أبوهم وجدهم ، فإقتصر الأمر على رؤيته وتقبيل يده ثم

الخروج بالحال من الغرفة حفاظاً على سلامته ، ولكن الملاحظ إن نائل غير راضٍ عن تحركات منذر داخل المنزل بذات الحرية الممنوحة للأحفاد ، فيما يتعلق بتقديم الخدمة للضيوف الدخول والخروج من والى المطبخ ، ولكن السمة الأبرز هنا بأن شامخ وزكية عرفا وأيقنا بعلاقة الحب التي يكنها لمروءة وقد أحبا كثيراً وتطورت علاقته بهما ، وراحا يتناقشان بهدوء في المطبخ .

شامخ : هل رأيتي هذا الفض نائل ؟

زكية : نعم ... ما به ؟

شامخ : لا أرتاح له ... شخصية وصولية ... مزعجة ... ينظر الى البيت وكأنه يصور أجزاءه بكاميرا .

زكية مبتسمة : لا تجعلني أضحك وأنفجر بالضحك وأنا والله متألمة على السيد عبد الرحمن .

شامخ : وهل قلت نكتة تستدعي الضحك ؟

زكية : أنه بيت والده وله الحق في تفقده متى ما أراد .

شامخ : كم أنت بلهاء ... مع أحترامي ... وكأنني أتكلم مع جدار لا يفهم .

زكية منزعة : لا داعي للغلط ... يا شامخ ... وتكلم بأسلوب .

شامخ : أنا أول المتأثرين للسيد وكل يوم أدعو له في صلواتي ... أتعرفين ماذا يحدث لنا من بعده .

زكية بخوف : أطل الله في عمره ... وماذا سيحدث ؟

شامخ : سيأخذ الورثة المنزل ... وسيطردوننا الى الجحيم ... ونائل شرير .

زكية : يا للهول ... كذب الله توقعاتك ... وأطل في عمره .

شامخ : والله أنا أحبه وأتمنى له من الخير كله دقه وجله كوالدي بل أشد منه ، ولكن عمره الآن تسعون سنة ومُصاب بالجلطة الدماغية ، ولا بد لنا من تقبل الآن أن حلّ علينا .

زكية : لا ... تتشائم ... فلكل حادث حديث ... وأسأل الله تعالى أن يجعل الأنسة مروة تقبل بهذا الشاب الرائع منذر لنبقى دائماً معهما والى الأبد في أيّ مكان .

شامخ : ومن قال لك بأنه يروم الإرتباط بها .

زكية مبتسمة : الكل هنا يعرف وحتى السيد والسيدة وقد سمعتهما ذات مرة دون قصد وهما يطلبان منها التفكير بطلبه وإنهما يحبانها ويتمنيانه لها ... وبينما هما يتناقشان دخل عليهما منذر مبتسماً وهو يحمل صينية الأقداح الفارغة التي قدمها للعمال وقد أقبلوا جميعهم لزيارة مديرهم والإطمئنان عليه على الرغم من مكوثه في الغرفة لكنهم يسجلون موقفاً لزيارته .

وبالنظر للحالة الصحية للسيد عبد الرحمن الذي بدأ يشهد تحسناً طفيفاً شريطة أن لا يرهق نفسه وأن يتناول العلاج بدقة متناهية ، ناب ابنه نائل إدارة الشركة عنه وكان متعجباً شديداً في أوامره وهو يتجول في أروقة الشركة ، لكن أبرز أعماله تركزت في الإطلاع على كل الأوراق الموجودة في خزانة الإدارة وكلما دخل عليه منذر كمحاسب يجده مستمر في قراءة الملفات وكأنه يبحث عن أوراق مهمة لم يجدها .

منذر : سيد نائل ... لقد تجمع لدينا مبلغ كبير من المال ... سأذهب الى المصرف لإيداعه وأعود .

نائل : لا ... داعي لذهابك أنت ... أعطني المبلغ ... وأنا سأتولى إيداعه ... أو أضعه في الخزانة هنا قد نحتاجه في شراء بعض المستلزمات للشركة .

منذر : ولكن يا سيد نائل ... لدينا لجنة مشتريات وهذا عملها بحسب المتعارف عليه .

نائل منزعجاً : بدون ... لكن ... وهل نسيت من أكون أنا بالنسبة له ... ثم من أعطاك الحق لتحتاجني بهذه الطريقة الرخيصة وكأنك وصي على أملاكنا لا تنس انك موظف عندي فإنتبه الى كلامك .

منذر : حسناً ... يا سيد نائل ... سأسلمك المبلغ ولكن أكتب لي ورقة بأنك أستلمته ... لأنه في ذمتي المالية .

نائل : أنت ... تتكلم كلام ... أكبر من حجمك ... وإياك والتهور معي في مثل هذا الحديث ... فأنا المدير اليوم وسأكون الأمر النهائي في هذه الشركة ومن لا يُعجبه الكلام ... فالباب مفتوح .

منذر وقد شعر بأن الكلام معه أصبح عقيماً : حسناً ... سأعود لك بعد لحظة ... وتوجه الى غرفته ... والحيرة قوّضت أفكاره لا يعرف هل يجاربه أو يترك العمل .

نائل : وعندما تأتي ... أجب لي كل الملفات الموجودة في غرفة المحاسب لإراجعتها .

منذر : حسناً ... ثم خرج وتوجه الى غرفته ... وجلس على كرسيه ... لا يعرف ماذا

يفعل ... هل يسلم المبلغ دون ورقة اثبات ... لكنه قد يتورط ... أو قد يدّعي نائل بأنه

لم يستلم المبلغ منه ويسبب له مشكلة ومن يصدق القول عندها ، أكيد الجميع سيصدق

أبن السيد المهذب .. وأتورط ... أنا ... الى أن وصل الى فكرة تجنبه هذه الحيرة ،

نهض بسرعة ووثب على الخزانة فتحها واستخرج المال بأكمله وكل الملفات التي

كانت بحوزته وبذمته المالية والتي تحمل توقيعه ووضعها في حقيبته ، وخرج بسرعة

البرق حاملاً حقيبته وصعد سيارته المركونة في مرآب الشركة ليهرب من هذه الحيرة

وينجو بنفسه من أمر قد يبيته له نائل وسيتحمل تبعات هذا العمل ، أما المدير الجديد

الذي كان بالإنظار وقد تأخر عليه ... ضغط على زر المنبه للسكرتارية ... فجاءت

السكرتيرة وأمرها بإنزعاج ... نادي لي المحاسب بسرعة ... هيا .

السكرتيرة : حاضر سيدي ... وأسرعت خطاها ولحذائها وقع يتردد خلفها وتوجهت

الى غرفة المحاسب ، فوجدت الباب موصداً ، فحركت مقبض الباب لكنه كان مقفلاً ،

وراحت تدور باحثة بين الغرف ثم ذهبت الى الجانب التشغيلي للمعمل الى حيث

المكائن والأجهزة والأصوات المتعالية المزعجة ، تسأل ولا يكاد صوتها يسمع حتى

عادت أدراجها بخفي حنين الى غرفة المدير ، لتخبره بأنها لم تجده وقد بحثت عنه في

كل أرجاء الشركة.

نائل غاضبا متوتراً : ماذا ...؟ لم تجديه ... أنا هنا المدير ... وهذا النزق ... لا يسمع كلامي ... أسمعني أيتها السكرتيرة صدري بالحال أمر فصله ... هيا أطبعيه لكي أوقعه وأرميه بوجهه عندما يأتي ... هيا .

مرّت أيام وسبأ مكدره الحال متوسوسة خاطر والظنون تجيء بها وتروح ولم تتصل بها أيار لتطيب خاطرها بكلمة من وجهة نظرها ، وقد تأثرت كثيراً بشعر أحمد شوقي القائل : (هجرت بعض أحبتي طوعاً لأنني ! رأيت قلوبهم تهوى فراقي .. نعم أشتاق ... ولكن وضعت ، كرامتي فوق إشتياقي ... أرغب في وصلهم دوماً ... ولكن ! طريق الذل لا تهواه ساقى) ، ولكنها بدأت تقلق مرت أيام ولم تعاود الإتصال وحتى صفحة الواثس أب والفيس بوك لم تفتح وهذه ليست من عاداتها ، ومن جانب آخر بدأت تشعر بالجفاء الشديد والشعور بأن مقولة أحمد شوقي تنطبق عليها ... فإستجمعت كل قواها وأرسلت لها برسالة : **حلّ الجفاء بيننا بعد إحصار الحنين ... فهل نسيتي العهد بيننا أم لا زلت تذكرين ، فقلبي جذوة شعور ومشاعر وليس من ماء وطن ... فإما وصال صادق من الأيام بساعة ... وإما بأزاهير الكون كلها نوقف عقارب الساعة ، أرسلتها سبأ والألم يعترض قلبها والوجوم يخيم على محياها ... (فهلهل) النقل في جيب أيار وهي في بيت جدها جالسة قرب مروة في الصلاة لوحدهما ، فمدت يدها بسرعة وأخرجته وراحت تقرأ الرسالة ، فتغيرت ملامح وجهها مما دعا عمته الى سؤالها : ماذا دهاك ؟ من المرسل ؟ فوضعت النقل في يد عمته وقالت متتهدة : أقرأي رسالة المتبطرة ، فنحن في أيّ حال ...؟! وعندما قرأت الرسالة مروة تأثرت وترقرقت عيونها وقالت : لا تتبطري يا أيار فحب الآخرين نعمة تستوجب الشكر وهي لا تعرف بظرفك ، هيا أنهضي وأذهبي بعيداً وإتصلي بها وبرري لها إنقطاعك عنها ... هيا .**

أيار : يا عمتي ... أنا صدري ضيق الآن لكن لماذا لم تتصل هي بدل هذه الكلمات .
مروة : كلمات قليلة ... تحتاج الى كل موسوعات الحب الصادقة لترجمها ... ثم ... خذيه درساً لك وللمستقبلك ، إن الإنسان عندما يتعرض الى موقف معين ، هذا لا يعني

أن يوصد الأبواب أمام الآخرين وان لا يتواصل معهم ، والصديق أخ يولد من رحم الحياة ، لقد هزت مشاعري كلماتها ، ثم أنها لم تجبرك على المواصله وتركت لك الحبل على القارب وأنت حرة إما أن تتواصلني وإما فلا ... فقط تأملي كلماتها .

أيار : ولكن لماذا تكتب مثل هذه الكلمات وماذا صدر مني ؟

مروة : أسأليها هي ... ولا تسأليني أنا ... فعندها الإجابة ... فنهضت أيار لتتكلم مع سبأ في مكان خالي لتختلي بصوتها كما تعودت ولا تحب أن يسمعها أي أحد حتى ولو كانت مروة ، وبالحال دخلت زكية وهي تخبر مروة بأن السيد منذر يريد لقاءها فأومنت لها بالدخول فأدخلته وإنصرفت ، وبعد التحية والسلام جلس قربها واضعاً الحقيبة على ركبتيه وسألها والإبتسامة تشقُّ محياه : كيف حال العم عبد الرحمن ؟ ان شاء الله بخير ؟

مروة بهدوء : الحمدُ لله ... أفضل ولكن الطبيب أوصى بأن يبقى في الغرفة ويقال من الكلام .

منذر : ألا ... يمكنني التحدث معه بهدوء ؟

مروة : حول ماذا ؟

منذر : أمور مهمة حدثت في الشركة وجعلتني عاجزاً عن التفكير .

مروة بشدة : يا منذر ... ألا تعرف ماذا تعني الجلطة الدماغية ... أي شركة هذه وأي أمور ... أحذرك من البوح بأي مشاكل أمام والدي ... أسمعت أترك المشاكل هناك .

وبعد التحية والسلام بدأ الحوار والعتب بينهما ليفتح أفاقاً جديدة للحديث غير الكلمات وغير العتب وغير تفسير الكلمات والشوق الدفين ، فقالت أيار : قبل أن تحكمني عليّ بالجفاء تعرفني على ظروفي .

سبأ : ومنّ منا ليس لديه ظروف !

أيار : وما هي ظروفك ... ؟ أنا من الإسبوع السابق أنتظر منك أن تخبريني عن هذه الظروف التي تتذرعين بها كل حين وعندما أسألك تغيرين الحديث ، ولولا مرض جدي المفاجيء لما تأخرت عنك .

سبأ : حمدا لله على سلامة جدك ؟ خير ان شاء الله .

أيار متتهدة : جلطة دماغية عابرة والحمد لله رب العالمين هو في تحسن الآن ، ولكن اليوم لن أفلتك إلا وتخبريني عن الألغاز التي بدأتى بها من مدة ليست بالقليلة ، أريد أن تفسري لي قولك قبل مدة : (فحياتي غير هادئة وغير مطمئنه وهناك أمور لا تعرفيها بعد عن حياتي ... لي متاعبي النفسية ...) ، أسألي من المتغير أنا أم أنت ...؟ بيننا كل هذه السنوات ولا زلت أجهل الكثير عنك فهل هذه رشادة يا صديقتي .

سبأ متتهدة : لم ... ولن ... أتغير ... ولكن ... سأخبرك في الغد في الكلية عندما نباشر في المرحلة الرابعة .

أيار : أذن ... فأما وصال صادق من الأيام بساعة ... وإما بأزاهير الكون كلها نوقف عقارب الساعة .

سبأ متتهدة : منذ سنين ووالدتي تصرّ على والدي بالهجرة .

أيار مسحت على رأسها بشعور تلقائي وكان العرق قد تصبب على تقاسيم وجهها :
ماذا ؟ هل هذا مزاح ؟

سبأ : نعم منذ سنوات ... ووالدي يرفض ويتحجج بوظيفته ودراستنا .. ولكن اليوم وقد أحيل والدي على التقاعد ، وسأباشر غدا في المرحلة الرابعة فلم يبق أمامه مبرر ، لاسيما وعمي في بريطانيا يضغط على والدي بالسفر ويصرّ عليه بطلب كلتا أخواتي أطوار وأنهار لولديه بعد تخرجهما من الكلية .

أيار وقد إزدادت ضربات قلبها بفتور : سبأ ... هل تعين ما تقولين ... ؟

سبأ : وأزيدك معلومة بأن أُمي نمت في قلوبهن حب أولاد العم وهن موافقات وابتنظاري لأنهي دراستي ثم ألتحق بالعائلة والعيش هناك ، وأنت تلوميني دائماً عندما أقول لك أتمنى أن أتزوج ... لأعيش هنا لأنني أحب بلدي وأكره فكرة الهجرة وأنا الوحيدة التي أنفق مع والدي ، ولكن كل مبررات التأجيل أنتهت ، أتعرفين يا أيار بأن والدتي لا تشعر بالإنتماء تجاه الوطن وتريد تزويج بناتها وهن موافقات لاسيما واني سأتخرج هذا العام وينتفي سبب تواجدنا في العراق ، وسيأتون بعد أسبوع وينجزون ما

تم الإتفاق عليه من خطبة وعقد قران وغيره ، والمتبقي مسألة وقت ... يا أيار ... مسألة وقت .

أيار ترقرقت عيونها وتكسرت العبرة في صدرها : سباً ... أنت جزء لا يتجزأ من حياتي فكيف تذروك الرياح الى مكان بعيد لا أستطيع الوصول إليه والله لن أحتمل .
سباً متأثرة : لذلك ... أخفيت الخبر عنك طوال كل هذه السنين ... على أمل أن تتغير خطة أمي ، ولكنها امرأة متسلطة وغير عادية ... مع إحترامي لها ... لأنها أمي واللوم يقع على والدي بالطبع لأنه يجاريها ، ولا سيما بعد أن أحيل على التقاعد ... ولعل لموافقة أخواتي الدور الأبرز في ذلك .

أيار : الآن فقط فهمت لماذا كانت الوالدة ترفض وبشدة الإنصهار في بوتقة الصداقة لتجنبكم ألم الفراق .

مروة بشدة : يا منذر ألا تعرف ماذا تعني الجلطة أنت محاسب وحل مشاكلك بنفسك .

منذر منزعجاً : أنا أقدر ظرف عمي ولكني أحتاج الى الرأي والمشورة .

منذر : أعتمد على نفسك في أداء عملك فهذا اختصاصك .

منذر منزعجاً : أن أخوك نائل يتجسس على مكتب الوالد ويراجع كل الملفات ولم يدع ورقة إلا وقرأها وأحفظ منها بنسخة ثانية لديه ، كل الملفات تم استنساخها فضلاً عن أسلوبه الفج معي ومع كل الموظفين ، يتصرف بتهوّر وقلة احترام مع الجميع دون استثناء .

مروة أقطبت حاجبيها منزعجة : أنتبه يا منذر وأنت تتكلم عن أخي نائل ... لا أسمح لك البتة ولا لغيرك التهور بالحديث عن أخوتي ... ونائل يحلّ محل والدي وكل ما يقوم به من شأنه وليس شأنك أفهمت ، فهذا سوء تصرف وتدخّل في شؤون عائلية وأحذرك من اخبار والدي ، ومن لا يحترم أهلي لا يحترمني ، وأرجوك لا تُحملني ما لا طاقة لي به ... يكفيني القلق الذي أعيشه ، وعليك أن تنصاع لأوامر نائل الإدارية .
منذر وقد أحمرّ وجهه منزعجاً وقد تقطعت السبل بينهما واقفاً : حسناً ... أعذرك ... حبيبتي ... سيأتي اليوم الذي تعرفين به بأني لم أسئء لذويك كما لم أسئء لأي شخص

كان ليست هذه أخلاقي ، ولكن عندي أمانه أرجو أن تضعيها بيد عمي عبد الرحمن ووضع الحقيبة أمامها وإنصرف بسرعه ولأقدامه وقع على الأسماع ، فأرادت أن تتفوه ولكنه اسرع الخطا ولم يكتمل النطق ، فنهضت حاملة الحقيبة متوجهة بها الى غرفة المكتب لتضعها في أحد الأدراج وقالت في نفسها حتى أني لم أسأله ماذا يوجد فيها ، المهم خبأتها وأغلقت الباب راجعة الى أيار وقبل أن تصل إليها رأتها تتكلم بفتور والدموع غطت وجهها ، فلم تحبذ أن تسألها وهي مسترسلة في الحديث والدمع مدرار ، وفي دخيلة نفسها تعرف الإرهاصات التي تلف صداقتهما وقالت هذه دموع العتاب المؤلمة بين المحبين ، وتوجهت الى غرفة والدها لتطمئن عليه ولعلها تجد ثغرة للحديث تدخل من خلالها لتخبره عن الحقيبة دون الحديث عن وجود مشاكل للعمل ، فإقتربت ووجدت الباب مفتوحاً ووالدها جالس على الكرسي وقبالته والدتها فاطمة وقد تهلل وجههما عندما رأوها .

مروة مبتسمة وقد أنشرح صدرها : والدي الحبيب ... أراك بخير الحمدُ لله .

فاطمة مبتسمة : الحمدُ لله بخير... والدك بخير .

عبد الرحمن : أنا بخير حبيبتي ... وسأحضر مناقشتك أن شاء الله .

مروة : ان شاء الله اسبوعان يا ابتي .

عبد الرحمن متأثراً : وأتمنى أن أحضر زفافك قبل وفاتي .

مروة وقد ترفرفت عيناها وتكسرت العبرة في صدرها مقبلة يده : لا ... يا أبتي

أرجوك لا تقل هذا الكلام .

فاطمة والدموع سالت من عينيها متظاهرة بإبتسامة : سترى حتى أولادها ...

أرجوك كف عن هذا الكلام .

عبد الرحمن : كم أتمنى لك منذر زوجاً ... لأنني أحبه ... وأثق به ... ولك الخيار .

مروة باكية وقد جثت على ركبتيها قرب الكرسي : ما دامت أمنيتك ... فسأقبل به ...

وبعد المناقشة مباشرة .

عبد الرحمن مبتسماً : الله ... بارك الله فيك ... أشعر بتحسن الآن .

يأتي خالد الى العيادة ظهراً لينظفها ويعطرها ويُشغّل التلفاز على القناة الطبية ، ويستقبل المرضى ويسجل أسماؤهم بحسب التسلسل الذي جاءوا به وبكل أدب وإحترام ، وعندما تأتي الطبيبة ينهض مبتسماً ويفتح لها الباب ويسير وراءها الى أن تدخل وتجلس على كرسيها وتتهياً ثم يخرج ليتولى إدخال المرضى ، ويبقى جالساً قريبهم الى أن تحين أدوارهم ليكمل المشاهدة والمتابعة ، وبينما هو كذلك حتى دخل العيادة شاب واضعاً بين أصبعيه سيجارة كأنها المدخنة القبيحة في روائحها ، وحالما رآه خالد قال له بأدب من فضلك أطفئ السيجارة لأنها مقززة وتزعج المرضى ، وأشار الى جدار في العيادة معلق عليه لوحة صورية تعني ممنوع التدخين ، لكنه لم يراعو وطلب أن يدخل الى الطبيبة ولكن خالد أخبره بأنه إذا أراد الدخول فلا بد عليه أن يلتزم بالدور ، ولكن الشاب غير المهذب رفع صوته وقال له بأني قريبها فرج ... وكانت الطبيبة تسمع وبقلق وقد فتحت الباب وعادت تحاول قلع سن المريض ... وحالما إنتهت خرجت لتري المساجلة .

خالد : حياك الله ولكن النظام هنا يقتضي الإنتظار وهذا المكان للعلاج وليس للضيافة .
فرج مبتسماً بسخرية : أيّ نظام وكأنك تتكلم ... عن مكان محترم .

خالد : أحترم نفسك ... وإياك والإساءة ... الى هذا المكان .

فرج : الطبيبة سرقتني ... وبخست حقي عندما كنت أعمل هنا واليوم جأت لأحاسبها وأرى من سيقف معها .

خالد غاضباً وقد لطمه على وجهه : أحرص أيها اللص الوقح وأغرب من هنا وإلا وقد تشابكا بالأيدي ، مما دعا الى ان تتدخل الطبيبة وبعض الرجال الموجودين .

الطبيبة : اتركه يا خالد .

فرج صارخاً : اعطيني ... مستحقاتي .

الطبيبة : اي ... مستحقات .. هذا مكان عمل وليست ساحة مقامرة أغرب من هنا ؟

فرج : سأريك من أنا لكن خالد لم يحتمل أن يوجه لها كلمات جارحة بإسلوبه المنحرف وراح يجره الى خارج العيادة ، ثم عاد وأعتذر الى الناس وأبلغهم بأنه

منحرف مخمور لا عتب عليه ، فخرج فرج وهو صارخاً متوعداً بالقصاص ، فدخلت
الطبيبة غرفتها والألم يعتصر قلبها من هذا البلاء الذي مُنيت به ، ولكن تصرف خالد
أثلج صدرها وهكذا الى إنتهى نصف المرضى وما هي إلا ساعة تمر حتى عاد
المنحرف فرج ومعه شرطيان وقد أقام دعوى ضد خالد وقد تعالت الأصوات من جديد
مما قاد الى خروج الطبيبة مرة ثانية ولكنها رأت الشرطيين يقودان خالد معهما .

الشرطي : لدينا شكوى ضد المدعو خالد ياس حكيم .

الطبيبة وقد أرتعدت فرائصها : شكوى على ماذا وعلى من؟ أنا من سأشتكي على هذا
الأبله الذي تهجم عليّ في موقع عملي وخالد ليس له علاقة بالأمر .

الشرطي : نحن ... ننفذ الأمر ... ليس إلا ... وبالحال إتصلت مستنجدة بمروة على
الرغم من ظروفها ، ووعدتها مروة بالمساعدة وبأنها سترسل إليها المحامي قتيبة
ليقدم لها دعوى على فرج ... وبعد أن إتصلت به ذهب بالحال وأقام دعوى ضده بأسم
الطبيبة وتم إلقاء القبض عليه ورميه بالسجن وأخلى سبيل خالد بكفاله .

كل طلبة كلية الآداب والإدارة والإقتصاد متوجهين اليوم في سفرتهم الى
الساحل الجميل في البصرة في قضاء شط أبو الخصيب وعلامات الفرح والزينة
والبشر مرسومة على وجوههم ، وفريال تُحضّر لهذه السفرة مع عمها منذ أسابيع
، وهم يخططون للون الذي يلبسونه ونوع الطعام الذي سيأخذونه معهم والفواكه
ويدعون الآخرين الى مانتتهم ، وقد وعدته بأنه ستقتنص أية لحظة تراه قريباً من
خالتها وتلتقط لهما صورة للذكرى وتضع الكاميرة في كنفها على أهبة الإستعداد ، ما
دامت خالتها وافقت مبدئياً على الخطبة على أمل إعلانها بعد الدكتوراه ، وكل الطلبة
اليوم قد تحرروا في ملابسهم من ألوان الزي الرتبية بحسب رأيهم من الأبيض
والرمادي الى كل ألوان الطيف الشمسي الزاهية وقد تعالت أصوات الأغاني وبعد أن
إنتظموا في طابور أمام السيارات سعدوا الحافلات التي توجهت الى الساحل ذلك
المكان الرائع الذي يتميز بجماله وهدوئه ، والكل يلتقط الصور ويوثق الأحداث في أي
مكان كان ولاسيما مع الكادر التدريسي الذي يرافقهم ، وكلما وقفت مروة وسط

مجموعة فيها طالبة كلما رأت منذر بالحال يقف قربها وفريال كالصحفي تسير خلفه كظله وتلتقط الصور منتظمة كانت أم عشوائية ، ثم تسلم الكاميرا بسرعة لأحد الطلبة الواقفين وتتوسط هي بين خالتها وعمها ، وسبأ في كل لحظة تتهم عليها مازحة أمام أيار ، علماً بأن مروة لا تقوت سفرة تمر إلا وتدعو رفيقة روحها سُبُل التي تنسى نفسها ووظيفتها وتذوب في أجواء الطلبة التي تعود بها الى أيام الإعدادية ، وإنها لفرصة كبيرة من وجهة نظر مروة لتجمعها بها بعيدة عن العمل وتعبه ، ومنذر يعرف بتلك العلاقة الروحية التي تجمع بينهما من سنين خلت ، ولا يشعر بالغيرة منها أبداً ولكنه اليوم يتمنى وأن لم ينطق أن يجلس قربها في الحافلة ، وأن تمسك بيده بدل يد سُبُل ولكنها دعته لتشغل هذا المنصب وذلك لأنها ضيفة وغريبة على كل الحضور ، ثم أن مروة تغتنم هذه الفرصة لتدعوها الى الإستجمام وعيش يوم مختلف عن جو المستشفى المأساوي ، أي لأجلها فقط تنضم الى هذه السفرة وإن لم تأت تصرف نظر ، فضلاً عن إنها تتشقُّ عن الكادر الذي جاءت معه وحتى عن زميلاتها المقربات مثل الدكتورة ريام والدكتورة زينب وطلبتها الأذكيا.

المهم وصلت السيارات القادمة من جامعة البصرة باب الزبير الى مقصدهم ساحل أبو الخصيب ونزلوا بسرعة وهم يحملون أمتعتهم وكل مجموعة توجهت صوب مضلة ليحتموا من الشمس ، وبعد أن وضعوا أمتعتهم راحوا يجوبون المتنزه الممتلىء بطلبة الكليات والمدارس ، وأمام كل لعبة من الألعاب طابور من طلبة المدارس ، فجابوا المتنزه بأكمله جيئة وذهاباً ومنذر يلحق بمروة أينما حلت وسبُل مسرورة بهذه الملاحقة وتشجع مروة على مبادلتها الشعور لأنه لائق لها ، وفريال تلاحق عمها بكاميرتها بحسب الإتفاق ، وقد دعتهم سُبُل لشرب عصير الليمون البارد في هذا الجو القانظ ، وقد إنفردت سبأ بأيار كارهة أن تلتصق بهما دلال أو فجر أو أي طالبة عديمة الإحساس بحسب وصفها ، إنتصف النهار ولا يزال الحشد الأكبر أمام الدولاب وكل الناس يحبون صعود هذه اللعبة ولعلها تذكرهم بدولاب الحياة الذي يدور بهم من حال الى حال فتارة الى الأعلى وتارة الى الأسفل ولا بد أن تؤخذ العبرة من هذه اللعبة

المحبية الى النفس والتي يرتادها كل الأعمار ، فترى الدكاترة صعّدوا قبل الطلبة والضحكات تتعالى من كل جانب ومكان وصياح الطلبة لكل منهم الآخر مع تعاقب الدوران ، وقد تمكن منذر من الصعود مع مروة وسبل والإبتسامة تشقّ محياه ، وعلى مقربة منهم أيار وسبأ وفريال ، وراح الدولاّب يدور والكل يتمنى لو يبقى في الأعلى دائماً ليرى الجميع تحته ويرى وكأن كل الأبنية في المناطق البعيدة في قبضته ، لحظات هدوء رائعة شيّقة ممتعة ما تلبث أن تنتهي شأنها شأن السعادة قبل أن يتمسك بها الإنسان تنفذ من بين يديه كالماء الذي مهما أوتي الإنسان من قوة لا يستطيع أن يتمسك به بيديه ، وسبأ تهمس لأيار تمنيت لو لم تتطفل قريبتك فريال في الجلوس معنا وهل الأماكن قليلة ؟ ولكن أيار لم تتمكن من الإجابة سوى إبتسامة الرضا والقبول برأيها التي إرتسمت على محياها، ثم قالت لها دعينا ننظر الى الناس والأبنية في الأسفل ، أما فريال فقد كانت منشغلة بالضحك والإشارة والتصوير لعمها وخالتها وهما ينظران إليها ضاحكين، وهكذا مرت لحظات رائعة سريعة سُجلت في شريط الذاكرة وبدأ الدولاّب يتوقف لينزل من كان فيه ويستبدل بأناس آخرين، ليرتقوا نفس الأماكن ويعيشوا نفس اللحظات وتدور عليهم نفس الأحداث بمبدأ الأيام دول بين الناس .

ثم توجهوا الى القوارب (الماطور) التي تبلغ طاقته الاستيعابية خمسة عشر فرداً ووقفوا في الإنتظار ، منظره جميل جداً وهو يشقّ أمواج الماء بسرعة البرق ولعل رغبة أصحابه في الحصول على المال أسرع من الماطور نفسه ، تراه بسرعة يشقّ الطريق ويعود من جديد ليملاه بأخرين ويحصل على أجرة أخرى ، والكل يتمنى الصعود وعيش هذه اللحظات وسط هذه المغامرة وهذه السرعة وسط الأمواج ، والحشد غفير والأجمل إن من ينتظر يبقى يستمتع في النظر إليه وهو يشق الماء ذاهباً وأياباً ، وهكذا الى أن وصل دورهم والكل مبتسم ويتأهب للصعود فصعدت مروة وسبل وريام وبعض التدريسيين وبينما يحاول منذر الجلوس سبقه الطالب عبد الحافظ الذي ينوي الدراسة العليا لذلك تراه يحاول الإقتراب من مدرّسته مروة ، فسحب قدمه وقد إعتصر قلبه الألم ولاحظت مروة وسبل ذلك ، تمنى لو حجزت مروة المكان

وهي تراه يتأهب للصعود وقد كان بإمكانه الصعود في البداية ولكنه إنتظر لتصعد مروة ويطمأن عليها ثم يصعد هو ، نزل ولم ينبس بأي كلمة ورجع القهقري الى حيث فريال واقفة ، وفي هذه الأثناء نزل **عبد الحافظ** لينتظر الجولة الثانية فعاتبت **سُبل مروة** على عدم حجزها للمكان ، فطلبت منها أن تناديه ليصعد وقد توفر له المكان ، فأقتنعت بكلامها فراحت تلوح له بالصعود لكنه إنزعج بشدة وزعل ورفض طلبها وإعتبرها إهانته له ، فقالت **لسُبل** أنا لم أتقصد ما حدث ولكنه لم يسرع في الصعود ، المهم سار القارب وفي قلب **منذر** شعور بالإهمال والتجاهل من مروة وهي بالأصل لم تنتبه ولكنها لو إهتمت لأنتبهت وهذه القاعدة ، شقَّ عباب الماء وسط فرحة الإبحار وسط هذه الأمواج ولكن مروة تحت تعنيف ولوم **سُبل** لم تشعر بالراحة ، المهم دقائق معدودة حتى عاد القارب أدراجه من جديد ليملئه من جديد ليلحق بسرعة ويستفيد من الواقفين وعندما وقف طلبت مروة من السائق أن يحجز لها أربعة أماكن **لمنذر وفريال** وأيار وسبأ وعندما نزلت توجهت إليه بسرعة وطلبت منه أن يسرع وهي تسحبه من يده ، وقد صعد الأطفال مع معلمتين وكذلك **فريال وأيار وسبأ وعبد الحافظ** وعدد من الطلبة ، ولكن **منذر** إمتنع على الرغم من توسلات مروة و**سُبل** ، ولكن السائق لا يعترف بهذه التوسلات وفسح المجال للصعود ، فراح **منذر** يقترب من القارب وكاميرته في كتفه ليبعد عن مروة بحجة إنه يلتقط الصور **لفريال** وهي في القارب وقد قضت جل وقتها لأجل تصويره.

ولكن صعدت **فجر ودلال** مما أثار حفيظة **سبأ** لتزاحمهما في مكان واحد بالقرب من **أيار** ، لم تحتل الشعور بالتهميش وهمت بالنزول على الرغم من تمسك **أيار** فيها وهي تشدُّ على يدها ، ولكن **سبأ** قبل أن تنزل همست بوجودها لها بعبارة لو كانت تحبها تنزل ولا تبقى في القارب ، وتذهب معها الى القارب الآخر ، فقالت لها ليس الوقت وقت غيره ... ولا تنزلي أرجوك ولكنها نزلت ، وإعتبرت **أيار** الأمر طفولياً وغير جاد فبقيت تنتظر إليها ولم تنزل ، فتأهبَّ السائق لتشغيل محرك القارب وقد تعالى صوت المحرك الصدى الذي يوقر الأسماع وقد ملأ القارب بأكثر من

طاقته الإستيعابية ، ليستفيد من موسم السفره هذا قبل أن تغيب الشمس ، فعادت سبأ أدراجها والزعل يملؤها وأنظارها موجهة الى أيار التي لم تهتم لها ، فإنتبهت لها مروة التي بقيت واقفة قرب منذر وهي تنظر الى القارب الممتلئ ولا تعرف لماذا نزلت ، فعندما جمع الإجرة من الركاب تحرك القارب ببطء ليعلن الإنطلاق عندها شعرت أيار وكأن روحها ليست في جسدها شعور بالحزن لا يمكن وصفه وكيف يمكن أن تتحمل عبارتها هذه وتعتبرها وصفاً طفولياً وكيف لسبأ أن تسامحها بعد الآن تلك أذن طامة كبرى ونهاية متزلزلة وموجعه إن لم تتدارك الأمر ، وبالحال نهضت بقوة وبصوت عالٍ لتطلب منه التوقف وإرجاعها الى الشاطئ وبصوت متكرر أوعبه وأثار إستغراب الجميع ، فأوقف المحرك وإعادها الى الشاطئ وقد تحرك قرابة متر واحد لينطلق من جديد وبقوة ليستثمر وقته ولئلا يرى مثل ما رأى الآن ، فنزلت أيار مبتسمة وعمتها وسبأ تنظران إليها وهي عائدة ، ومنذر مستمر في التصوير وقد حول نظام التصوير الى الفيديو ليوثق كل الأحداث ويعرضها على الشاشة عند العودة الى البيت وكل العائلة تنتظر ، لينأى عن الجدل مع مروة وقف ليواصل تصوير الفيديو من البداية وحتى عودتها بحسب قراره ، وعندما وصلت أيار مبتسمة عانقت سبأ بقوة وهمست في أذنها وهي في أحضانها ... هل جاءتك الحالة اليوم ؟ .

سبأ مبتسمة : تعرفيني جيداً بأني لا أحب فجر لصقة الأسد ولا (الدلوعة) دلال .

أيار مبتسمة : لا ... بل ... قولي ... غيرة ... غيرة .

مروة مبتسمة : ولم لا ... فالغيرة حالة طبيعية بين القلوب النقية الصادقة .

سبأ : الله ... كم أتوق الى أيام الدراسة وأيام الماضي .

مروة : ماذا ... أيام الماضي ... وهل نحن نعيش في الماضي .

سبأ ضاحكة : لا تزعلي فنحن نعيش الماضي والحاضر والمستقبل إن شاء الله .

وبينما منذر يوثق الأحداث في كاميرته في هذه الدقائق المعدودة فإذا هو

يرى كارثة تقع في القارب الذي يصوره ، إرتعدت فرائصه وصرخ صرخة مرعوب

شقت أمواج البحر ... فريبييال ...

الجزء الثالث والأربعون

صرخة مرعوب شقت أمواج البحر فريبييال ... نبهت كل من كان في المنتزه ، ولو لم تكن الكاميرا في كتفه لوقعت في الماء ، من شدة هول ما رأى فتجمع الجميع ليروا الحادث المأساوي الرهيب وقد تعالى صوته بالبكاء لا يُجيد العوم وكأن ملك الموت كان ينظر إليهم من بعيد ، تحول الضحك الى النحيب ودموع حارقة تحرق الوجوه ، فتجمعت سيارات الشرطة والإسعاف والغواصين الموجودين لنجدة من بقي على قيد الحياة بعد إنقلاب القارب أثناء عودته ، وبالحال رمى **عبد الحافظ** نفسه في الماء وكل من يجيد العوم لأن القارب مليء بالأطفال وعسى ولعلّ ينقذوا من بقي على قيد الحياة .

كارثة حلّت على مروة وأجهشت بالبكاء قرب **منذر** وأنظارها مصوبه الى النهر أما أيار فقد أصيبت في صوتها من شدة الذهول لقد نجت من موت محتم لولا سبأ ، التي راحت تشدّ على يدها باكية لا على الغرقى وإنما أيار فيما لو لقيت حتفها وأبعدتها الأقدار عن طريقها ، مرّ الوقت وحضرت كل وسائل الإعلام التي تهدف بالدرجة الأساس للفوز بسبق صحفي وتوثيق الحدث ليس إلاّ ولكن المأساة كبيرة وعدد كبير لا يزال وسط البحر ، وكلما إقترب صحفي منهما يصرخ **منذر** بوجوههم معترضاً ، لحظات عصبية ثقيلة على نفوس الأهل والأحبة وهم يرون الموت يخطف أحبّتهم من بين أيديهم ، ويحول الضحكات الجميلة الى مأساة كبيرة لا يستطيع القلب تحملها ، وقد ذاع الخبر في التلفاز وفي صفحات الفيس بوك قبل إستخراج الجثث الغرقى ، وقد إستطاع **عبد الحافظ** انتشال جثة أحد الأطفال ، وكلما وجد الغواصون جثة وضعوها على الشاطئ على مرأى الجميع ليتم التعرف عليها وهكذا دواليك ، مرت ساعة كاملة على البحث حتى وجدوا جثث المعلمتين **وفريال** والعدد الآخر لا يزال في الأعماق لا يعرف مصيرهم ، يا لهول المنظر الغواص يحمل **فريال** وقد فارقت الحياة وأمام نويها الذين تلقفوها من بين يديه بالبكاء الحار والنحيب الحارق ،

ولكن قوات الأمن تحاول عزل الناس عن الجثث ووضعها على نقالة الإسعاف ونقلها الى مستشفى البصرة التعليمي .

كم هي ثقيلة لحظات الموت والفراق عندما يلتف الساق بالساق ، وقد تجمع الأهل في المستشفى ، ولكن مروة تعرف بأن والدها قد لا يحتمل مثل هذه الصدمة في حفيده وتمنت لو لم يصل الخبر إليه ، ولكن كيف وقد ذاع الخبر في كل حذب وصوب وقد ساءت صحته وتآزم قلبه ونقلوه بالحال الى المستشفى لئلا يتفاقم وضعه ، فعندما تحل الرزية تتصاغر كل حاجات المرء وتصبح بخسة أمام الروح البشرية أمام قيمة الوجود أمام حلاوة اللقاء بين الأحبة ، ذلك الحزن الممض الذي يزور كل المنازل بلا إستذان وبلا موعد ، فالموت الحقيقة الوحيدة في الحياة التي تتميز بالديمقراطية والعدالة ولا تفرق بين الناس ، نعم صحيح القدر يحل في مواعده ولكن هناك أسباب تجلب التهلكة فسائق القارب أسرع ولم يتأن محاولة منه لإستثمار الوقت قبل أن تغيب الشمس ، ومحاولة منه في الكسب وقد ملء القارب بأكثر من طاقته الإستيعابية ، وقد تبين بعد إنتشال جثث الغرقى تبين بأنهم من الإبتدائية والإعدادية والكلية .

كانت الوطأة كبيرة على ذوي الغرقى وهم يعرفون بأنهم في متنزه فكيف يفجعون بنقلهم الى المدافن فأنا لله وإنا إليه راجعون ولا نقول إلا ما يرضي الله ، وهذه سنة الحياة بعد المآتم يتكيف الناس والأيام كفيلة بالتكيف على الحاضر وتخفيف وطأة الألم ، وقد أدى كل من أفراد العائلة واجبه تجاه هذا المآتم والخطب الجلل ، ولكن لا بد عند الصباح تتكشف الظلمة وتدفع الطبيعة عن كتفيها بقايا رقاد طويل ، والأيام سريعة تمرُّ مر السحاب وسرعان ما إنصرم الحدث وأصبح حدثاً من الماضي ، وأقترب العام الدراسي على الإنتهاء ، وأيار مدينة لسباً لأنها منحتها الحياة بتصرفها غير المتوقع ، ولكنها ترد عليها وتقول بأن روحينا كجناحي طائر ، خلقنا في لحظة واحدة لتعيشا وتتعايشا معاً ، وأنها تشكر الرب الذي جعلها تنزل من القارب وتتسبب في نجاة أيار ، وأن تصرفها تلقائي ومتسرع وغير مقصود كعادتها ، ولكن كان له أثر كبير ووقع جميل على النفوس التي استبشرت بنجاتهما من موت محتم .

إمتلأ العام الدراسي بالأحداث وأبرز النقاط الراقصة في تاريخه حصول مروة على شهادة الدكتوراه بدرجة الإمتياز وسط فرحة الأهل والأصدقاء التي أمتزجت بالدموع على فقد الأحبة ، وقد تم عقد قرانها على منذر ، ولعل الأبرز بأن شامخ وزكية رزقا بطفل جميل أسمياه عبد الرحمن حباً بالسيد عبد الرحمن مصدر أمنهم وأمانهم وأستقرارهم ، وقد فرحوا به أيما فرح وكأنه ولد لهم ، ما أسرع الأحداث في هذه الحياة ولاسيما على قلوب المحبين المخلصين وهم يعرفون بأن الأيام القادمة ستجعلهم في مفترق طرق لا بد منها مهما تشبثوا بها ،(إذا حل القضاء ضاق القضاء) ، وترى العلاقة ما بين سبأ وأيار كالكر والفر والشد والجنب المهلكة ، فكيف اليوم وكلاهما ينظر الى الشمس في الأفق وهي تجرُّ بأذيالها معلنة إسدال الستار على هذا التواصل الذي يثير الإعجاب والحسد والتساؤل ، ومهما يكن لا بد على سبأ من الجد في الدراسة بعد أن حزم الأهل أمتعتهم وأعدوا العدة على السفر بعد شهرين ، فالأفضل لها ان تسافر وهي متخرجة عسى ولعل أن تجد لها وظيفة هناك تشغل فيها نفسها ، لاسيما بعد أن أحتلت غرفة الإستقبال لتختلي بنفسها وكتبها وخيالها ، وقد طلب والدها من والدتها أن تسايرها بكل ما تقول المهم ان تنتهي السنة بنجاح .

ولكن أين المفر من المنولوج الداخلي الذي يسكن الإنسان فراحت تكتب من أهات صدرها والدموع تتساقط على خدودها كالمطر والله يا صديقتي لو كنت أمسك زمام الأمور لأخترت العيش معك في أي مكان في العالم يجمعني بك ، أشعر بآلمك أشعر بلوعة الفراق في ثنايا صدرك فهي ذاتها التي أكتوي بها ، نعم لدي أخوات لكنهن بعيدات وأنت البعيدة عني الآن قريبة الى روعي كل القرب بل أجدك تسكنتين روعي وعالمي وأفلاكي ولو كنت عشقت رجلاً لما تعلقت به كل هذا التعلق نعم أشعر بكلماتك التي تحرقني وأنت تقولين والله لن أحتمل فراقك وأنا والله ، لن أحتمل فراقك ولو خيروني ما بين الموت وفراقك لأخترت الموت ، والله أنت مثل روعي بل أعلى عليّ من روعي والشوق يقتلني إليك وأنا أراك كل يوم فكيف بي عندما أهاجر ، ولكن يا حبيبتي لن أجعلك تتألمين لفراقي أعدك ... لن أرضى بأن أتسبب بإيذائك وآلمك وأن

كلفني ذلك الكثير ... أعدك لا بد أن أجد طريقة ما لتنسيني بها قبل أن أسافر نعم لا بد من ذلك أعدك ثم أزاحت الستار عن النافذة ورأت البدر مكتملاً ورجعت تكتب والدموع تتصبب من عيونها هل رأيتي البدر يا صديقة الروح هل تذكرين عندما قلت لي بأنك ترين صورتني فيه ... قلتي لي بأنك ترين صورتني فيه عندما يكون هلالاً ونصفاً وبدراً يا إلهي ... لا أحتمل أكادُ أختنق من شدة التفكير والمشكلة بأن أخواتي يسهرن الليل بالضحكات ويحسبن الساعات لطوي صفحة الحياة هنا في العراق ، وكأنهن لم يقضين وطرا من حياتهن هنا وكأنهن لم يتعرفن على أيّ بشر ، لا أعرف كيف يفكرون ، ولماذا أنا المختلفة فقط أسئلة لا أعرف الإجابة عنها ، وبينما هي كذلك حتى هلهل نقالها فإذا هي أيار حملت سبأ الجوال وقبلته وهو يرن ولم ترد عليها الى أن انتهى لتستمع بترديد النقال لأسمها أيار أيار ، فقالت في دخيلة نفسها أكيد ومؤكد لتذكّرني برؤية البدر كما تعودنا منذ سنين ولكن من اليوم يا حبيبتي لا بد ان تعودي نفسك على الخطة الجديدة التي سيرسمها القدر لكلانا سنفترق ... يا توأم الروح سنفترق ألا تفهمين ألا تعين ما أقول سنفترق ولن يفيدنا القمر أن كان هلالاً أو نصفاً أو بدراً تعودي على الأمر الواقع ولا تجافي الحقيقة ولا تتصلي وتتباكي كالأطفال وتقدمي (طاسة) رثاء الحال أسمعني ؟

حاولت سُبُل النوم باكراً مرارا وتكراراً ... ولكنها كلما أغلقت عينيها رأت خالد قريبا على الوسادة يوقظها لتتحدث معه فتبتسم ، ولاسيما عندما رأت موقفه الشجاع الذي رآته في العيادة وكيف استمات في الدفاع عنها ، وقالت في دخيلة نفسها كم أنت رائع يا خالد وشجاع فأمتدت يدها الى النقال وحاولت الإتصال به ، وقبل أن يبدأ بالإتصال تغلقه فلعل الوقت غير مناسب ولعل الظرف غير مناسب ولعل الأمر غير مناسب ، ولكنها الرغبة الجامحة في سماع صوته أو على الأقل شكره على موقفه وقد تحمل الأذى من قريبتها فرج وأمام الناس ، لكنها أرجعت النقال في حقيبتها الصغيرة ووضعت جانبا قرب سريرها وتفرصت محاولة النوم وأغلقت عيناها ، ولكن الرغبة في سماع صوته عارمة ومدوية في رأسها ، فجلست في منتصف السرير

مطرقة رأسها مسندة ذقنها على يديها المتشابكة وقالت سأتصل بمرودة وأتحدث معها ، ثم مدت يدها الى النقال وراحت تبحث عن أسمها في تحريك الأسماء بسرعة ولكن أعترضها اسم **خالد** فإتصلت به وقبل أن تسمع الرنه أغلقته وكأنها أقترفت ذنباً وكان عقلها الباطن هو الذي قام بالفعل وقالت يا ألهي ماذا فعلت ، عندها كان **خالد** يراجع بعض الدروس في غرفته لكنه إنتبه الى شبه رنة ، فتناول النقال بكسل وعندما رأى أسمها اندهش ووقف دون شعور وقال هذه **سُبل** ، غير معقول لعل في الأمر ريبية ، نعم قد يكون خطأ أو يكون في النقال مشكلة أو قد يكون النقال هو الذي إتصل بأي حركة من الحركات ، فجلس وقال لا هذا تفسير مجانيين وكيف يتصل النقال من تلقاء نفسه ، قد يكون الأبله فرج تعرّض لها ، يا للهول لأتصل بها وأرى ، فرّن الهاتف بينما كانت **سُبل** في سرحة ذهنية فإنتبهت برهبة ، وعندما رأت أسمه راحت تنظر إليه وهي تشعر بالذنب تارة وبالحياء تارة أخرى ، فوضعت رأسها على الوسادة وفتحت الخط قائلة بهدوء وكأنها نائمة لتتدارك الموقف من وجهة نظرها : ألو .

خالد بخجل : مرحبا ... دكتورة ... هل أنت بخير ... ؟

سُبل متظاهرة : ماذا ؟ ما تقصد يا **خالد** ؟ كنت شبه نائمة .

خالد بإرتباك : أ ... أ .. لقد إتصلتي بي قبل لحظات ... أقصد نقالك إتصل بي ...

وبإمكانك التأكد غداً من أن رقمك موجود على جوالي يا دكتورة ... صدقيني ...

سُبل : ماذا ؟ ظهر رقمي عندك ! قد يكون لأنني أتصل بك في النهار ثم أن النقال كان في الحقيبة ولا أذكر ما حدث، وأنت تعرف بأن ذاكرتي متواضعة بعض الشيء .

خالد : أعذريني .. دكتورة لقد قافقتُ عليك عندما رأيت رقمك ... فالحمد لله .

سُبل مبتسمة ومسرورة ، ثم قالت بهدوء : ولماذا القلق يا **خالد** ... ؟

خالد : لقد أزعجني موقف قريبك النزق فرج والذي أزعجني أكثر تنازلك عن الدعوة.

سُبل : ما كان عليك أن تتشاجر معه وتعرض نفسك الى الأذى فأنا من أردُ عليه ، وللأسف انه قريبي ولولا توسلات والدته بي وبأمي لما تنازلنا عن الدعوة ... لفض المشاكل التي تأتي مع مهب الريح .

خالد متفاعلاً بعاطفة مشبوبة : دكتورة ... أنا أفديك بحياتي كلها ... ولن أسمح لأي مخلوق في الأرض أن يتكلم عنك بكلمة سوء واحدة حتى وأن كان قريبك ... أقسم لك بكل مقدسات السماء والأرض .

سبل وقد أفحمتها الكلمات وروّت شراينها فأغلقت عينيها وقالت بهمس مبتسمة : أشكرك تصبح على خير .

وفي اليوم التالي كانت عيون أيار تبحث عن سبأ بين جموع الطلبة في باحة القسم ولم تجدها كعادتها فسألت بعض زميلاتها وقبل أن تحصل على الإجابة لمحت سبأ من بعيد تشبك يد زميلتها دلال وحالما رأتها لوححت لها من بعيد الى أين ولم تجبها إلا بتلويحة أخرى غير مفهومة وسارت باتجاه كلية القانون ، مما أثار حفيظة أيار ولم تعرف حتى ماذا حدث ؟ وقد تعودت إخبارها بكل دقائق الأمور أو على الأقل تحييتها أو تراها قبل أن تذهب بهذه الطريقة وهي تشبك يد الزميلة دلال ، وأي دلال تلك التي كانت تقحم نفسها عندما تجدهن جالسات مع بعضهن البعض ويتضايقن منها لأنها لا تحترم الخصوصيات وطفيلية هكذا كانت سبأ تصفها ، ولكن تشبك يدها بهذه الطريقة التي توقد أتون الغيرة والألم شيء لا يصدق ، وعلى الرغم من كثرة الطلبة الذين يحومون حول أيار إلا إنها تشعر بالغربة ان لم تجد توأم روحها ، تتحدث وأنظارها مشدودة وفكرها شارداً ، ولا تستطيع حتى ان تكلمها بكلمة عتاب قاسية لأن أيام الفراق أزفت ، وكلما أقتربت كلما إزدادت سبأ في تصرفاتها التي تثير الريبة والذهول ، وهذه الأيام قاسية على كل القلوب المحبة الصادقة أيام الوداع لا سيما وقد حدد موعد حفلة التخرج وإلتقاط الصور التذكارية مسبقاً ، وكل الطلاب بيدهم الكاميرات وكل لحظة يقفون قرب معلم أو منظر أو نصب ليُخذ هذه الأيام ، وكاميرا أيار لا زالت في يدها لم تفتحها بل نست بأن في يدها كاميرا ولوعة الذهول تقتلها على نار هادئة ، دون أن تنبس بكلمة أمام زميلاتها المحيطات بها من كل جانب.

بقيت أيار جالسة على المصطبة مع المجموعة التي اعتادت ان (تضرب) المحاضرات واهمين بأنها تجالسهم وتتبسم على نكاتهم وان كانت سمجة ، لكنها تراقب

مجيء سبأ وقد قاربت ساعة الإستراحة على الإنتهاء وبالفعل لمحتها مع دلال قادمات وفي أيديهم الآيس كريم ، وحالما رأتها إنسحبت من المجموعة وإقتربت منها وشدت على يدها وقالت تعالي أكلمك جانباً ، هل أنت بخير ؟

سبأ متظاهرة بإبتسامه دون ان تنظر إليها : ألا ترين في يدي آيس كريم والجو حار .
أيار مسحت على وجهها بشعور المذهول : عزيزتي ... هل بدر مني خطأ دون أن أنتبه .

سبأ وهي تعلق الايس كريم : كلا ... كلا ... عندي محاضرة الآن .
أيار واجمة : وأين ذهبت مع دلال وأنت متشبثة بها ؟ أنا أيضاً عندي محاضرة ولن أحضرها .

سبأ متأففة : تريدين التقرير الحزبي اليومي ؟ أم تريدين أن أقلدك أن حضرتي محاضرة أحضر وإلا فلا .

أيار : لماذا تعامليني بهذه الطريقة ضعي عينيك في عيني عندما تتكلمين لما تشيحين ببصرك عني ، أردت فقط الإطمئنان عليك ، وأردت التصوير معك ولاحظي هذه الكاميرا الرقمية الحديثة ... لا زالت في يدي لم أفتحها ولم ألتقط ولا صورة لأنني كنت أنتظر ... دعينا نلتقط صور تذكارية هيا هيا .

سبأ : لا أحب الصور ... وأكره حتى أسم كاميرا .
أيار بأسى : لماذا ... تعامليني هكذا يا سبأ ... أكرر السؤال ؟ أصدقيني القول .

سبأ متظاهرة : منذ اللحظة التي أهنتني بها أمام المجموعة الفاشلة في الإعدادية لا أستطيع نسيان الموقف يدق ناقوسه كلما رأيت كاميرا أو ... ولم تستطع الصمود أكثر في التمثيل فإسرعت خطأها الى صفها .

أيار بذهول متأثرة : يا إلهي ... لا أكاد أصدق ... لا أكاد أصدق يا لسخرية القدر .

الجزء الرابع والأربعون

جمع السيد عبد الرحمن أولاده وأحفاده في إجتماع عائلي وهو ما يزال كنيباً ويحتاج الى الراحة وعلامات الإعياء بادية على وجهه ليطلعهم على ما قرره بشأن أختهم مروة حول زواجها من منذر ، وهي تسترق السمع جالسة مع والدتها قرب الباب ، وقد بدأ كلامه لهم : أوصيكم بأختكم الصغرى خيراً ، وأريد أن أخبركم بأن منذر تقدم لخطبتها في وقت سابق قبل الحادث ، وأنا وافقت ولا أجد أفضل منه زوجاً لها فضلاً عن ذلك بأنه أبنا وتربى في أحضاننا .

نائل منزعجاً : وما هو دورنا هنا وقد حسمت أنت الأمر ووافقت .

سراج الدين : أنا بالنسبة لي مسرور جداً بهذا الخير ... ومنذر أحد أولادي .

قتيبة ومُعاذ : ونحن كذلك فهو نعم الشاب المثابر الخلق الصدوق ... والكل يعرف بأنه يتمنى الإنتساب لنا من سنوات خلت من أيام الإعدادية .

عبد الرحمن : وهل في الأمر ريبة يا نائل هل تعرف عنه شيئاً لا نعرفه ؟

نائل : أولاً أنا غير موافق ... ولا أتشرف به .

سراج الدين : ولماذا الرفض !؟

نائل وقد أثار انتباه واستغراب الجميع : بإختصار ... فهو لص ... إنتظرت الى ان يتحسن الوالد ويخرج من حزنه وأطلعه على الأمر ، ولكن اليوم لابد من حقيقة تتبلور حول هذا اللص الذي أستطاع ان ينال رضا الجميع ، ثم انه أكيد ومؤكد طامع بما لدينا هذا الجرد الشحاذ الذي يعيش في قبو أخيه ، ثم إن مروة ملكة وألف من يتمناها ولا أعرف لماذا صدرت الموافقة بهذا الوغد .

عبد الرحمن اقطب حاجبيه : ماذا ماذا؟؟ لص كيف ومتى ؟ أطلعنا فلا زلنا على البر كما يقول المثل .

قتيبة : هذا إتهام غير معقول يا عمي وتصريح خطير ... فلا بد من بيئه .

سراج الدين : حسناً أطلعنا على الأمر .

نائل : قبل مدة أخذ النقود من الشركة وسرقها (كيت وكيت) .

عبد الرحمن منزعباً وقد تصبب العرق على تقاسيم وجهه : لماذا لم تخبرني بالحال؟
نائل : يا أبتى ... لم أرد ازعاجك ... وقررت بأن أخبر عليه الشرطة لينال جزاءه
العادل لولا الحادث.

عبد الرحمن : إياك إياك ... واتخاذ مثل هذا الإجراء ... وبينما هو كذلك أخرج قتيبة
نقاله من جيبه وإتصل بمنذر وطلب منه الحضور بالحال لأن جده يريدّه ... ومن حسن
طالعه إنه كان قريباً من دارهم ... وقد امتهن مهنة سائق الإجره عندما ترك العمل في
الشركة ... وعندما سمع طلب قتيبة استبشر وقال له بالحال سأكون عنده ... وما هي
إلاً لحظات حتى دخل عليهم والكل نهض مرحباً به عدا نائل .. وعلى الرغم من ذلك
مدّ منذر يده ليصافحه ولكن نائل أجابه بغلظة قائلاً : لا أصافح اللصوص .
منذر وقد غارت بسمته متوتراً : إلزم حدودك يا نائل ... أنا لست بلص وأنت تعرف
من اللص .

عبد الرحمن محاولاً التهذنة : أجلس الآن يا ولدي ... ولدينا أسئلة تحتاج الى إجابة .
مُعاذ وقتيبة : يا منذر أن عمي نائل يتهمك بالسرقة ونتمنى ان يكون إتهامه غير
صحيح .

منذر متوتراً عصبياً : أنا ... أنزه من النزاهة ... وجميعكم تعرفوني ... واتهامه باطل
ومردود عليه .

عبد الرحمن : يا ولدي أرجو ذلك ... وأنت ملزم بتوضيح الأمر .

نائل : أرجع المبلغ الذي سرقتة ليلتند ، وإلاً لن ترى منا حسناً .

منذر : أرجوك عمي ... نادي مروة .

نائل ساخراً : لن تأتي ... يا هذا ... ولا تغير الموضوع .

سراج الدين : ما الخطب يا منذر هل فقدت صوابك .

منذر : عند مروة الإجابة .

قتيبة : حسناً يا جدي فلنستدعي عمتي ولنرى .

عبد الرحمن متنهداً : حسناً نادها ... علماً بأنها كانت تسمع وقبل ان يصل قتيبة دخلت عليهم وهي واجمه وقد أساءها ما سمعت ولا تعرف سبب استدعائها .

سراج الدين : تعالي يا مروتي اجلسي قربي .

مروة واجمة : نعم يا منذر عن أي إجابة تتكلم أكاد أختنق من موقف اليوم .

منذر : يا مروة قبل الحادث سلمتك حقيبة وطلبت منك إعطائها لعمي **عبد الرحمن** أتذكرين وهل أعطيتها .

مروة واجمة : أولاً ... تكلم بهدوء ... وأخفض درجة توترك ... لنفهم الأمر ، أما بالنسبة للحقيبة ... فهي في غرفة المكتب الآن وحقيقة أردت أن ينأى والذي هذه الأيام عن مشاكل العمل لذلك لم أطلعه عليها .

عبد الرحمن : بُنيتي ... أجلبها لنا ولنرى ... ما فيها .

مُعاذ : أتقصد بأنك خبأت النقود فيها ؟

قتيبة : ماذا يوجد فيها ؟

منذر : لتأتي الحقيبة أولاً فأسرعت مروة خطأها ووضعت الحقيبة بين يديه ، وعندما استلمها فتح رقمها السري وأخرج محتواها ووضعها على المنضدة أمام عمه ، وقال : عمي هذه حقبيتك التي أستأمنتني عليها وكلانا فقط من يعرف رقمها السري ، وهذه كل الأوراق التي كانت موجودة في الحسابات والتي كانت في ذمة المالية .

مروة : وماذا عن المبلغ الذي يتكلم عنه نائل ؟

منذر بعد أن قلب الأوراق التي أمامه : وهذا الصك فيه أكثر من المبلغ الذي ذكره ، وهذه الأوراق التي تثبت كل فلس استلمته .

مروة منزعة : وما سبب الفجوة أذن بينكما .

نائل : يا أختي الغالية ... انه لم يستأمنني على المبلغ ... يا لسخرية القدر .

منذر : لا ... يا نائل ... انك طلبت مني المبلغ دون ان توقع على أوراق استلام تبرى ذمتي المالية .

سراج الدين وقتيبة : منذر ... على صواب ... فهو المحاسب ... وهذه مسؤوليته .

عبد الرحمن وقد تنفس الصعداء مبتسماً : الحمد لله ... تبيدت الظلمة .
 مروة : يا منذر ... اعتذر لأخي نائل لأنك أسأت الظن به ... وأساءة الظن بلاء على
 النفوس .

منذر : لم أخطيء يا مروة حتى أعتذر .

قتيبة مبتسماً : عمتي انه سوء فهم ... وقد تم توضيحه .

مروة : أطلب منك الإعتذار لأخي نائل .

سراج الدين مبتسماً : يا منذر نحن نعاملك كأحد أبنائنا وتحدث في كل عائلة مشاكل .
 عبد الرحمن مبتسماً : كيف ستطلب منه يد أخته وفي صدرك غل عليه ... وحالما
 سمعت مروة ذلك شعرت بالحياء وإنسحبت بسرعة الى والدتها التي إستقبلتها بإبتسامة
 رائعة وعانقتها وقالت لها وهي في أحضانها كم أتمنى أن أراك في ثوبك الأبيض ...
 فأجابتها متتهدة لكنه عنيد يا أمي وأكره هذه الصفة فيه .

الأم فاطمة : لا ... لا تكثرثي ... منذر يعشقتك منذ الصغر والكل يعرف بذلك سيعتذر
 لأخيك وسيقبل يديه ان إقتضى الأمر ، ولكن كلمة الحق تقال بأني أثق بكلام منذر
 ولولا حرصه وأمانته لما فعل ذلك .

مروة متتهدة : مهما يكن يا أمي ... لا بد أن يحترم أهلي إن لم يحترم أهلي لن
 يحترمني .

فاطمة مبتسمة وهي تشد على يدها ممازحة : دعينا ... نواصل التنتصت يا فتاة .

أما منذر فحالما سمع كلام السيد عبد الرحمن إهتزت مشاعره ونسى كل شيء
 ترقرقت عيناه فرحاً وإرتسمت البسمة على محياه ونهض بالحال وأعتذر لنائل على
 الرغم من وجهه الغليظ تجاهه .

عبد الرحمن : أتمنى ان أراكم دائماً على وفاق .. ومروة وصيتي لكم جميعاً .

مُعاذ : أطال الله في عمرك يا جدي .

قتيبة : وأدامك ذخرا لها ولنا جميعاً .

عبد الرحمن متتهدا : لقد بلغت من العمر عتيا ... تسعين عاماً ونيف .

سراج الدين : يا أبتِ ... أنت بخير ... أرجوك .

عبد الرحمن : لستُ صغيراً ... يا ولدي ... ونهايتي قريبة ... وهذه الجلطة اندار بسرعة الرحيل ... ثم ألثفت الى منذر وقال له ... مروة وصيتي لك يا ولدي .
منذر تأثر وتكسرت العبرة في صدره : يا عمي ... أن مروة أعلى عليّ من روعي .
مُعاذ محاولاً تغيير الموضوع وإخفاء تأثيره : والآن ... أخبرنا يا جدي متى نحتفل بالخطبة ؟

عبد الرحمن : غداً ان شاء الله تعالى ... وخير البر عاجله .

سراج الدين مسح على وجهه متهدداً : على خير ان شاء يا والدي ... سيكون كل شيء على ما يرام أطمأن .
مُعاذ مبتسماً مماًزحاً : وأنا سأذهب معك يا عمي الجديد الى قبس الحلاق ... فليديه قصات شبابية .

قتيبة باسمياً : لا ... يا منذر ... انه يتمازح معك فالحلاق قبس رجل كبير ولا يُجيد القصاصات الشبابية .

عبد الرحمن مبتسماً : أدام الله ألفتكم يا أولادي .

منذر بعد ان نظر الى نائل ووجهه الثقيل : أشكركم جميعاً وأن شاء الله سأكون عند حسن ظنكم ... ومروة حلم حياتي ، أما مروة ووالدتها فعيونهن متواصلة بذرف الدموع وقد أحمرّت وجوههن من حرقتها ، وكأن كل كلمة قالها السيد عبد الرحمن ضربة خنجر مسمومة في قلوبهن .

الكلية مزدانه بأجواء الفرحة وعلامات البهجة الملعة في كل جانب ومكان وسبأ تتأى بنفسها عن القسم كلما رأت شاغر لا تريد أن تلتقي بأيار رغبة منها بتقليل وطأة الألم عليها ، ولكن تصرفها بالأمس لم يجد نفعاً ولم يبعد أيار عنها ولم ترفع رايات الزعل ولم تعلن الحداد ، بل بالعكس زادها الموقف إصراراً وفضولاً لمعرفة ما تخفيه سبأ ، تعبت من التفكير وخرجت من صفها ولا تطيق المشي مع احد ولا داعي للتمثيل ما دامت أيار في المحاضرة ، فسارت بخطى وثيدة تريد النزول من الطابق

الأول حيث القاعات ونزلت سلمات الدرج المعلق الأولى وقبل أن تستدير لاحظت من فتحاته أيار تقف قرب الجدول ووجهها مصوب الى الدرج فراحت تنظر إليها والدموع تنهال من عيونها غير أبهة بالطلبة النازلين والصاعدين تتكلم في دخيلة نفسها ، كم أنا قاسية في نظرك ، تقفين هكذا بانتظاري وعيونك الرائعة مشدودة إليّ والله لن أحتمل أكثر أحتاج الى أن أضمك الى أحضاني أشعر كشعور الصائم الظمآن الذي يتوق الى الماء ولكنه يتذكر بأنه صائم ... نعم يا أختاه لا بد أن أتذكر بأنني صائمة لأجلك أنت.

وبينما هي كذلك صعد زميلها وعد وراءها تنظر هكذا فإختلس النظر ووجد أيار ... فأوقضها من سرحتها الذهنية مبتسماً بالجنون الفتيات ... وعرا كهن الذي لا ينتهي ... هل زعلتك أيار من جديد ... ابتعدي عن الطريق يا سبأ ... قبل أن تلتقطك الكاميرات دون أن تنتبهي ... ولماذا الزعل بين الفتيات ... نحن الفتية نتعارك بالأيدي ثم نتصالح وكأن شيء لم يكن لا دموع ولا جروح ... وعندما سمعته مسحت دموعها وابتسمت وقالت له أريدك في موضوع مهم وخطير جداً .

وعد مبتسماً : يا مُغيث أغثنا ... جريمة قتل ... أم مخدرات أم منشورات أم ماذا؟! **سبأ :** المهم ... الآن .. تعال أنزل معي ... وكأنك مشدود إليّ تتحدث معي ولا تتركني الى أن نخرج بسرعة من القسم وأنا سأوضح لك الأمر ... أحتاج مساعدتك أرجوك ... أنا في مآزق .

وعد : والله بدأت أخاف ... من كيد النساء ... ولكني أخوك ... لا تبتأسي ... وان كنت في الثالث ... حسبنا الله ونعم الوكيل ، الدكتورة ريام لننزل مهرولين ... وكما اتفقا نزلا مهرولين دون أن يصوبا أنظارهما الى الجدول المواجه لبداية الدرج وفي وجهها أيار كانت واقفة ... لكنهما نزلا بذات السرعة حتى خرجا من القسم وتوجها الى جهة كلية الفنون ... وقد أسرعت أيار الخطى خلفهما ولولا مجاميع الطلبة التي أعترضت سرعتها للحقت بهما ، ولكنها خفت خطواتها واتجهت الى المصطبة التي أعتادت ان تجلس عليها والذهول والريبة يقتلانها ، أما سبأ ووعد وصلا وهما يلهثان

على مبعده من الكلية في أروقة الجامعة وجلسا على إحدى المصاطب الموضوعة للمارة ، فقال وعد وهو يلهث : لماذا تجري هكذا كالمجانين ما هي المشكلة .

سبأ : أقسم لك بمقدسات السماء والأرض لا يوجد أية مشكلة .

وعد مسح على وجهه ورأسه : يا ألهي ... زميلتي ... مجنونة ... كل هذا الجري لعب أطفال .

سبأ وقد تفرقت عيونها : يا وعد أنا سأهاجر الى بريطانيا مباشرة بعد الإمتحانات بسبب (كيت وكيت) ، وأنت تعرف علاقتي الروحية بأيار ورغبة مني في أن أجعلها لا تتألم لفراقي وتكرهني بشدة خططت بعض الخطط التي ستمحوني من ذاكرتها ، ولكن عدني بأن لا تحدثها بالأمر .

وعد متتهدا : أعدك بأن لا أحدثها لكنك مخطئة ... فالكثير يتواصلون عن بعد عبر وسائل الإتصال الإلكترونية.

ففي الوقت الذي تقضيه زكية في المطبخ تداعب مروة طفلها الصغير عبد الرحمن وقد أحبته كثيرا وأعتادت عليه وقد بلغ من العمر عاما ونييف ، وكثيراً ما تلح زكية في السؤال متى موعد الزفاف يا أنستي .

مروة : قريباً ان شاء الله تعالى .

زكية مبتسمة : اتمنى أن أراك أماً ... فالإمومة شيء جميل يفوق كل الوصف .

مروة مبتسمة : أعرف يا زكية فهو الزهر والثمر ولون الحياة الزاهي ... وزينة الحياة الدنيا بالوصف القرآني ، ولكني قبل أن أتزوج أريد نهاية قصة أم عابد لقد تركتي أسئلة كثيرة وذهبت في المرة السابقة .

زكية : سؤال واحد أجيبيني عليه وسأكمل أرجوك ، إذا سمحتي لي .

مروة مبتسمة : أسألي فأنت صدقيتي يا أم عبد الرحمن .

زكية : الله كم هي جميلة هذه الكنية تجعلني أفقد صوابي من الفرح ... أشكرك ... وسؤالي ... أين ستقيمين عندما ستتزوجين ؟ أرجوك أجيبيني ... حفظ الله لك والديك وحببيك .

مرورة صمتت برهة ثم قالت متنهدة : هذا الأمر موضوع نقاش ... وأفهم قصدك ... ولكن أطمأني ... ولا تفتحي نافذة اخرى للحديث ... اكلمي ما بدأنا الحديث عنه يا أم عبد الرحمن.

زكية : حسناً ... أتذكرين عندما قلت لك عندما وصلنا للبيت لم نجدها وأنتظرنا أيام ولم تظهر ، فبدأت الحيرة تارة أخرى نتقمصنا من جديد والأسى يدور حولنا والأقسى من ذلك ماذا نرد على من يسأل عنها !!؟!

مرورة : أكيد أتذكر فذاكرتي قوية ، لكن هل تكون قد إنتحرت هذه المسكينة ؟
زكية ضاحكة : لا لا على قيد الحياة .

مرورة مستغربة : ولماذا تضحكين ؟

زكية : لم ... تنتحر ... إطمئني ... بل تزوجت .

مرورة أقطبت حاجبها : هل تتمازحين !؟

زكية مبتسمة : لا ... والله ... ولكني أختصر لك الأحداث ... وحتى لا تتألمي ... وأن ولاء تعشق الحياة وأخر ما أتوقع بل لا أتوقع البتة بأنها تضر نفسها قيد أنملة بوعيتها .
مرورة باستغراب : ولكن ... كيف ... ؟ وأين ... ؟ ومتى ... ؟.

زكية : عندما فرّت ام عابد من دار المسنين لم تجد لها ملجأ يؤيها غير دار تثق به .
مرورة : يا ألهي ... ماذا تقصدين ؟

زكية : كانت عائلة صدقي فقيرة جداً أم طاعنه في السن وأخوين صغيرين ... في بيت طيني محاط بالقصب ملاذها الأمن وقد أستقبلوها بحفاوة وبقيت عندهم أيام ... ولم يتصلوا بنا حتى ليخبرونا بناءً على طلبها ، ولكن وجودها هناك ولأيام خلق في نفسها الشعور بالذنب ، فوجدت صدقي سائقها يعرض عليها البقاء معهم في البيت ويتزوجها ، لأنه يحبها بجنون وقد فقد صوابه عندما عادت الى زوجها السابق الى درجة البكاء ، وعندما نستذكر الأحداث الماضية نجد حقيقة ما يقول .

مرورة ضاحكة : أهي سخرية قدر أم ماذا يعجز اللسان عن التعليق وكم سيبقى معها وعمرها جاوز الأربعين ؟

وبعد أن ألقت أيار نظرة خاطفة على الجدول لتتأكد من وقت إستراحة سبأ لتقف عند الباب حتى لا تفلتها هذه المرة وتعرف منها ما الذي يحدث ومن حسن الطالع إن وقت الإستراحة ذاته الساعة العاشرة ، وقد استأذنت من أستاذها أثناء جرده لأسماء الطلبة وأتجهت الى قاعة سبأ لتقف عند بابها ، وبينما هي كذلك مرّ وعد وألقى التحية وبعد أن ردت قالت له : قف أريد أن أكلّمك .

وعد : تكلميني ... عن ماذا !

أيار : عن سبأ .

وعد مبتسماً : ما بها سبأ .

أيار بغلظة : أبتعد ... عنها .

وعد : والله أنا لم أجبرها لتقف معي ... ولو لم ترتاح لي لما وقفت معي .

أيار بذهول : كيف تتكلم بهذه الطريقة عن سبأ .

وعد : يا زميلتي ... هي تعرف مصطلحتها ... وبينما هي كذلك خرجت سبأ من القاعة ووجدت الكلام محتدماً بينهما ووعد بالحال إنصرف وبعد أن ألقت التحية سألتها ما الذي يحدث ؟ فشددت أيار على يدها وقالت لها : أشقت لك حبيبتي ... كيف حالك .

سبأ منتهدة : بخير ... أشكرك .

أيار معترضة : أ ... أشكرك ... كلمة خالية من المشاعر ... المهم لنجلس ونتحدث .

سبأ : حسناً ... جلسنا .

أيار : لا تفقديني ... صوابي ... أرجوك ... لماذا تتجاهليني هل بدر مني شيء؟

سبأ واجمة : كلا .

أيار : لقد تكلمت مع الوعد وعد ... وحذرته ... ولكن المحير متى أعدتي علاقتك به .

سبأ متوترة : عن أية علاقة تتكلمين ؟ ومن أعطاك الحق بهذا التدخل السافر ؟

أيار منزعة : لقد رأيكما البارحة مع بعض ولم ألحق بكما .

سبأ قاطعتها : مع الأسف ... كل توقعاتي بك ذهبت أدراج الرياح ... تراقبيني ...

تفقدين الثقة بي .

أيار : يا سباً أسمعيني ... أرجوك لم أراقبك ، وأن وعد يقول (والله أنا لم أجبرها لتقف معي ... ولو لم ترتاح لي لما وقفت معي) ، فهل يعجبك هذا الإسلوب .

سباً متظاهرة بالتوتر مشيحة بوجهها عنها : لقد ذقت ذرعاً بتدخلاتك ، وإقحامك نفسك بيني والآخرين وسوء ظنك ومراقبتك وقلة ثقتك بي ، وقد نيهتك وحذرتك من هذا التصرف غير الرشيد ، من سمح لك بالتحدث مع وعد دون أن تأخذي رأيي ، ثم أنا حرة قلت لك أنفاً أنا حرة في أي تصرف يعجبني وليس لك الحق في التفوه بأي كلمة ، انتبهي الى نفسك ، لست ملاكاً يا أيار لست ملاكاً فأنت إنسانة ولك أخطاؤك وأكبر أخطاؤك التدخل في شؤون الآخرين ، ومعاملتهم بكبرياء وعجرفة ودونية وكأنك النزيفة الوحيدة في العالم ، تُحرمين على الآخرين ما تحللينه لنفسك ، فأنا أقول لك مرة أخيرة إياك ثم إياك تكرر هذا الغلط .. إياك .

أيار رفعت يدها بوجهها بألم وقد أحمرت عيناها : كفى كفى ... لقد أكتفيت .. وأمتلأت ... أتركي الحقد الباقي في قلبك ثم إنصرفت ... وأنظار سباً تراقبها والدموع تنهمر على وجهها بحرقة ، لم تكن والدة أيار من النوع الذي يهتم بمشاكل مثل هذا النوع وكثيراً ما نقول لأبنتها إن كان لديك مثل هذه المشاكل حلها قبل ان تصلي الى البيت لأنها عابرة وغير مهمة لذلك فحالما وصلت الى المنزل قررت ان تبيت اليوم مع مروة في بيت جدها لأنها الوحيدة التي تخفف عنها وطأة الألم الذي لا يشعر به إلا من خاض هذه الدراما ، كان يوماً خميسياً رائعاً وله نكهة خاصة لدى مروة كنكهة العيد بعد التعب ، وأنظار كل المحبين موجهة إليها ، نويها وصديقتها أم عبد الرحمن في حلقاتها الإسبوعية ، ولكن وصول أيار يعني تأجيل كل هذه المهام ، وبينما أيار تتكلم لعمتها بعد العشاء ... رنّ هاتف مروة .

منذر مبتسماً : كيف حالك حبيبتي ؟ اشتقت لك .

مروة مبتسمة : أشرك ... وهل لحقت ... البارحة رأيتني ؟

منذر : والله أشتاق لك حتى وأنت قربي ولكني أريد التحدث إليك عن موعد الزفاف.

مروة : ليس قبل ان تحل مكان الإقامة .

منذر : أنت تعرفين ظروفى جيداً .

مروة : لا أريد الدخول في عنق الزجاجة ... ولكن من الأفضل أن نناقش الموضوع في وقت آخر لدي ضيف .

منذر منزعجاً : ماذا تعنين بالضيف أهو أفضل منى حتى تأجلين هذا الموضوع .

مروة مبتسمة : أيار الليلة تبيت معى ... كما تعرف نهاية أسبوع .

منذر متأففاً : متى تنتهي مثل هذه العراقيل ... يعني لا أستطيع التفوه بأى كلمة رومانسية .

مروة ضاحكة : في الغد ان شاء الله ... اشكرك .

منذر : حسناً .. امرى لله ... في امان الله .

مروة : في امان الله ... وحالما أغلقت الخط وقبل ان ترجع النقال الى مكانه وقبل ان تتفوه أيار لنكمل حديثها رنّ الهاتف من جديد ففتحت الخط مبتسمة .

سبل مبتسمة : حبيبتي ... مع من كنت تتكلمين ... فكما اتصلت يظهر في الإنتظار .

مروة مبتسمة : حياك الله وبياك حبيبتي كنت أتكلم مع منذر .

سبل مبتسمة : الحمد لله غلق الخط ... أنا قلت لن أجدك للفجر وتوقعت منذر ... أحتاجك كثيراً عندي كلام كثير أريد أن أتكلم به وأسمع رأيك به .

مروة : أ .. خاص أم عام ؟

سبل : ما بك ... ولماذا خفّت نبرتك ؟

مروة مبتسمة : أيار اليوم تبيت معى .

سبل منزعجة : ما هذا كل ما أردت أن أتكلم معك ... تحول بيننا أيار ... هذا غير

مقبول ... ألا تستطيعين الانتقال الى مكان آخر ؟ ولكن ماذا أفعل أمرى لله سأصل بك في الغد ... لا إله إلا الله .

مروة : حسناً ... حبيبتي أنا سأصل بك ... محمد رسول الله .

أيار : أعتذر عمتى ... لقد غيرتُ نكهة خميسك .

مروة شدت على يدها : صحيح لقد غيرتي النكهة لتصبح بمذاق أجمل وأطف ... لا عليك أكلمي حديثك حول سبأ .. ولكن ألم تحاولي سؤالها .

أيار : لقد نقلت لك الصورة من الألف الى الياء .

مروة : ومتى ستسافر الى بريطانيا ؟

أيار : بحسب ما قالت لي قبل أشهر في العطلة الصيفية ولا أعرف بالضبط في أي يوم ، وكل شيء مهيب لهم هناك من قبل أعمامهم ... المنزل والإقامة والعمل وغيره ؟

مروة : ألم تحاولي سؤالها عن سبب تصرفاتها ؟

أيار وقد أحمرت عينها : مللتُ وأنا أطلب منها تفسيراً ... ولكني كلما مددتُ إليها جسورا تحولها الى سور بالحال ... أكاد أفقد صوابي من غرابة تصرفاتها وكلامها الأخير الذي أشعرتني بالذل والهوان ... ولم أكن أتصور أبداً بأن في قلبها كل هذا الحقد وهذا الغيظ ، وكأنها تريد معاقبتي وأن تجعلني مشدودة الوثاق تجاهها تريد تعذيبني ... هذا ما فهمته من كلامها الأخير ... ولا أعتقد أبداً بأن الحب والحقد يجتمعان في قلب واحد .

مروة : لا ... كلاهما ... تستخدمان مثل هذه التعابير الرنانة ... ولكن أكيد ومؤكد ... هناك أمر ما ... دفعها لمثل هذا التصرف ... ثم أن سؤالك لوعده تصرف خاطيء .

أيار : بسبب خوفي وحرصني عليها .

مروة : هي مسؤولة عن تصرفاتها .

أيار بأسى : والله أشعر بأن رأسي سينفجر من شدة التفكير ... لقد تناولت قرصين من المهدىء ولم أهدأ ... كيف أكون الأقرب الى روحها بل توأم روحها ... ولا تسمح لي بالدفاع عنها .

مروة : وماذا عن **عبد الحافظ** ... أشعر بأنه معجب بك وأظنه يخاف الوصول إليك .

أيار : أنا لا أثق بالرجال وأعلن على الملأ هذا الكلام فالصادق يدخل من الباب ولا يقف عند النافذة .

مروة مبتسمة : كم أنت رائعة وذات خلق رفيع ... بوركت حبيبتى ... الصادق يأتي من الباب ، ولكن دعيني أتصل بسبأ وأعرف منها الأمر ولعلها هي تتصل بي وتخبرني بالأمر .

أيار معترضة : لا لا أرجوك ... يا عمتي لا تتصلي بها أرجوك فأنا أشعر بالإهانة من كلامها ولا بد أن تعرف خطأها وتعترف به وتعذر ... وأن إتصالك يعني أنني المخطئة وأوجب على نفسي الذنب .. سادعها تقرر ما تريد ولن أفرض نفسي عليها ولعلها أعدت العدة لبهرجة الحياة الغربية الجديدة ... وأقتنعت برأي والدتها بؤد أية علاقة يمكن ان تؤثر على صفو حياتها عندما تسافر ... نعم لعلها أتخذت هذا القرار وضربتني عرض الحائط غير أبهة بمشاعري الصادقة تجاهها .

مروة : والله يؤلمني ما يحدث بينكما من شد وتوتر غير مقبول ، وبينكما فراق وشيك وقد لا تلتقيان الى الأبد في هذه الحياة القصيرة الضيقة فحالما سمعتها أيار بكت بحرقة وراحت تنشج كالطفلة على صدر عمتها .

وجدت أميمة فتاة مناسبة لأبنتها قتيبة وهي طيبة ابنة صديقتها أم فارس تعمل معلمة في الروضة القريبة من منزلهم وقد أعدت حفلة صغيرة بمناسبة الخطبة ضمت الأهل والأصدقاء المقربين فقط ، وكم كانت تتمنى مروة لو كانت صديقتها سبيل تجلس قرب قتيبة ، وهي تتكلم في دخيلة نفسها أثناء جلوسها عصراً في حديقة المنزل وهي تداعب الصغير عبد الرحمن وقد أعتاد عليها بشدة ، والله أن سبيل أجمل بكثير من طيبة هذه ، وقد أقتنع قتيبة بها لولا والدته سامحها الله ، ولكنها مسألة حظ نعم مسألة حظ أسأل الله تعالى أن يرزقك بمن هو أفضل من قتيبة على الرغم من روعته.

زكية وقد أحضرت لها عصير الليمون : حدثيني عن طيبة هل هي جميلة .

مروة مبتسمة : ليس الجمال كل شيء في الحياة يا أم عبد الرحمن .

زكية أقطبت حاجبيها : يعني ... ليست جميلة ... مع الأسف قتيبة شاب رائع ..

مروة ضاحكة : لقد بنيتي تصوراً على مجرد كلمة أطمئني هي جميلة وتناسبه كثيراً ، وهي ابنة صديقة والدته أم فارس وتعمل معلمة في الروضة القريبة من المنزل .

زكية : رائع حتى أوصيها على عبد الرحمن عندما أدخله الروضة أن شاء الله تعالى .

مروة : أن شاء الله عزيزتي ... الأيام سريعة أسرع من البرق .

زكية : رأيتي البارحة السيد عبد الرحمن متأزم وقد سمعته يخبر والدتك بأن لا تخبرك عن تعب .

مروة بقلق : متى حدث ذلك ... ؟

زكية : عندما كنت في الجامعة ... ولكن لماذا لا تأخذونه ليتعالج في الخارج .

مروة : لا يقبل ... تكلمنا معه كثيرا ... ولكنه اليوم أفضل أن شاء الله .

زكية : لا تنسي ... المهدئات .

مروة : نعم صحيح ... أسأل الله أن يلف بي وأن يحفظه لي أنا أعيش في قلق دائم .

زكية : أنا لا أريد أن أثير همومك والله ... ولكن أتمنى لكم جميعاً كل الخير والسلامة

لأنني أعتبركم عائلتي التي أحتضنتي وأوتني وأنا صغيرة وأسكنتني في منزل كنت

أحلم به ، وبينما هي كذلك جاء شامخ إليهن وأخبر مروة بحضور منذر مما دعا زكية

الى النهوض حال وصوله .

مروة : تفضل بالجلوس حياك الله .

شامخ قبل ان ينصرفا : يا زكية خذي الطفل من الانسة مروة لنلا يؤذيها .

مروة : لا لا دعيه في أحضاني إنه مصدر سعادة لا يؤذي .

منذر : أرجوك ... حددي موعد الزفاف .

مروة : التحديد في يدك ... متى ما أردت ... ووالله لو أعرف بأني لن أتزوج أبداً ، ما

تركنت والدي ووالدتي وأنت تعرف وضع والدي الحرج وقلقي الدائم عليه .

منذر : وأنا ... لا أستطيع العيش هنا في بيت والدك ماذا سيقول عني أخوتك والناس .

مروة : أذن ... القرار لك ... وقد سمعت رأبي مراراً وتكراراً لن أبتعد عن والدي في

وضعه الحرج الحالي.

لم تنفك سبأ عن البكاء حال عودتها من الجامعة مخاصمة والدتها وأعتزلت عائلتها وأمتنعت حتى عن الأكل مما أثار قلق ذويها وأحتشدوا عند الباب ومعهم صينية العشاء وتحت ضغط والدها فتحت الباب.

الأم غاضبة : لا تكرري هذا العمل ... وتصرفي بعقل ... وأهتمي بدروسك حتى تجدين فرصة عمل هناك .

الأب : أتركها يا أم أطوار ... لتفرغ ألم الفراق بهذه الدموع .

الأم : أيّ ألم وأيّ فراق ...؟ كم حذرتها من هذه الأفعال الصبيانية ... التي لا تجلب سوى الأسى .

الأب مبتسماً : يا أم أطوار هذه المشاعر لا تسكن إلا في الأرواح النقية مثل أبنتي سبأ وأنت لا تعرفين مثل هذه المشاعر الصادقة لأنك لم تجربها .

الام منزعة : نالني من الصداقات ما نلت من الأذى .

الأب : حبيبتي سبأ ... أرجوك تناولي الأكل لأجلي .

سبأ مشيخة ببصرها عن والدتها : حاضر أبتى ، لا تهتم سأتناول العشاء أعدك .

الأب : حسناً حبيبتي أشكرك ... سنتركك الآن لتتعشي ... خرجوا وبقيت معها أنهار .

أنهار : أنا أقدر شعورك ... ولكن ألا تلاحظين بأنك تتصرفين بمبالغة في علاقتك بأيار ، ولو كانت هي المسافرة هل ستحزن عليك هكذا ، ثم نحن لا نعيش في عزلة ولدينا صديقات وسنتواصل معهن من هناك ، ولكن إعلمي بأن هذا الشعور سيتبدد وينصقل ويتحول الى مكانه المناسب .

سبأ وهي تأكل : وأين بإعتقادك سيكون في مكانه المناسب ؟

أنهار : حب الزوج والعائلة ، عندما سنتزوجين ستجدين مشاعرك منصبة لزوجك وأطفالك وستأخذك الحياة من زحمة الألم والإنفعالات هذه الى زحمة الحياة والإنشغالات ، وخذي مثلاً أنا كم أتوق الى السفر والإلتقاء بزوجي المستقبلي وبيتي الجديد الذي سأعيش فيه في بيئة الجمال هناك في بريطانيا ، سننتقل من هذه البيئة الشاحبة المملة الى بيئة الجمال والأمل والتجديد ، وسأتواصل مع من أريد من

صديقاتي عبر الفيس بوك أن أردت أنا التواصل وأن لم أرد لن أتردد في نسيان هذا التعارف ووضعه في أرشيف الذاكرة هكذا هي الحياة متغيرة ومتجددة دائماً ومن الخطأ رؤية الحاضر بعين الماضي ، وأكد بل مؤكد ستتعرفين على صديقات جديدات وقد يكن أفضل بكثير من أيار .

سبأ متتهدة : مع الأسف ... وكأنك نسخة من والدتي ... تتعاملين مع الأشخاص وكأنهم أشياء تباع وتشترى وبالإمكان إستبدالها بسهولة كأى قطعة جماد خالية من الروح ، والمضحك المبكي بأني سأجد صديقات انكليزيات أفضل من أيار رفيقة روعي ... يا لسخرية القدر ... يا أنهار ... إعلمي بأني لو تزوجت وأنجبت سبعة عشر سنتقى ساكنة في روعي ودمي تسير معي كظلي أينما ذهبت .

أنهار ضاحكة : سبعة عشر ... أكيد ستكونين حديث وسائل الاعلام الأوربية ، وأن الكل يتكلم هكذا في البداية عن المشاعر والأحاسيس ولكن سترين الحياة الجديدة تغري حتى العجائز ، هذه بريطانيا يا أبنتي وليست البصرة المألحة الكالحة ، وإعلمي بأن هناك جالية عراقية كبيرة جداً أكثر مما تتوقعين .

سبأ بجد : فاتخساً بريطانيا ... حبة ملح واحدة منها تعادل أوربا المليئة بالخمور بأكملها .

تشهد الدراسة في الجامعة أنفاسها الأخيرة وكالمعتاد قبل الإمتحانات النهائية بمدة وجيزة يتم إلتقاط صور التخرج وحفلات التخرج والأجواء مشحونه فالكل يركض لشأنه هذا للصورة وهذا للحفلة وهذا للمكتبة الخ ، ولكن ليوم الصورة نكهة خاصة وفرحة يتمناها كل من يراها ، صورة ناطقة حية تجسد خلاصة أربع سنوات للجامعية في أرواب التخرج وقبعاتها الجميلة التي تنتوسد على الهامات ، والكل اليوم اجتمع في يوم مشمس من الشهر الرابع في جو البصرة القانض ، العدد كبير والكل يريد أن يقف في المنتصف ومن يقف على الأطراف قد لا تظهر صورته ، ولكن هناك لجنة مشرفة من الطلاب تأخذ على عاتقها مهمة التهيئة للصورة وبالإستعانه بخبرة المصور ، والكادر التدريسي يجلس على الكراسي أمام الحشد والكل مبتهج عدا

أيار التي تغطي وجهها كآبه عارمة وسبأ لم تحضر وأنظار مروة مصوبه تجاهها مفتقدة رفيقتها ، وبينما المصور يقف أمام الحشد يحاول العد وقبل أن ينطق جاءت سبأ بعد إصرار والدها على الرغم من قرارها بعدم المجيء ، ولكنها جاءت وحالما رأتها مروة من بعيد حيث أعطت نقالها لوعدها ليلتقط الصورة ، نهضت وقالت بلهفة للمصور لحظة لحظة أرجوك نهضت من مكانها ومسكت بيد سبأ ووضعها بيد أيار التي كانت دلالة واقفة مستندة على يديها على كتفها ، وكلتاها بذات الشوق وذات اللهيب الذي جعل الدموع تنهمر على خدودهن ، فراح المصور يبدأ العد و يلتقط الصورة التذكارية لكل هذه الوجوه التي ستتلاشى عن هذا الميدان ، وبعدها تفرق الحشد والكل ذهب الى مقصده فقالت تعالي نجلس نتكلم على هذه الكراسي الجميلة عند بوابة القسم .

سبأ : حسناً نجلس ... ولكن عن ماذا نتكلم .

أيار : في لقاءك السابق ... تكلمتي بسرعة وتركت خلفك أسئلة أخرى دون جواب .

سبأ متأففة : لا إله إلا الله لقاء سابق ... لقد نسيت ... نسيت ... نسيت ... لا أتذكر فهمومي أكبر من هذه السفاسف التي تحفظطين بها وتدخرينها لمثل هذا اليوم .
أيار بحزن : أرجوك أريد أن أفهم .

سبأ تتكلم وأنظارها تجاه المارة : أنت ... تخفيني ... ولا ترعوي ... عن الشد .

أيار مسحت على وجهها : أنا برأيك أقحم نفسي بحياتك أنا أخنقك يا لسخرية القدر .

سبأ متظاهرة بالإنزعاج : أنت امرأة جدلية ... وتحبين الجدل ... أقول لك نسيت ما تحدثت عنه ... تكررين الكلام وكأنك لا تسمعين ... وكأن في أذنيك وقر ... حتى في القرآن الكريم يوجد نهى عن الجدل ... فلماذا تبالغين في الجدل ... والأدهى من ذلك أنت تخطين وتعمدين الخطأ ولا تعترفين .

أيار بتوتر وألم : حسناً ... أنا جدلية وطوبائية ... ومتسلطة ومتعجرفة ... ومماحكة ... وغيره من المفردات التي إنثالت من فمك علي كالوابل ، لقد أخطأت في حقك وأطلب منك الإعتذار ... ولكن أين موضع الخطأ .

سبأ : وفوق ذلك تتهكمين .. كنت أتوقعك إنسانة كاملة بلا أخطاء ، لكنك عقوبة السماء لي فالكمال لله وحده ... وأستغفر الله تعالى من هذا التصور .

أيار بأسى : أنت تعاقبيني وتعذبيني ... بهذا الأسلوب الفج ... تتكلمين وكأني سلعة رثة بيدك انتهت صلاحيتها واصبحت غير صالحة للإستخدام .

سبأ متنهدة : أحسدك ... على مشاكلك الطفولية ... فما عندي من هموم يفوق التصور وليس عندي وقت لأفضيه بمثل هذه المواضيع التافهة اسمحي لي بالإنصراف للتهيؤ للإمتحانات ورائي عالم مجهول ينتظرني.

أيار بخيبة أمل : لن أثقل عليك أبداً ... ولكن أقول لك ... لا تظلميني ... والظلم ظلمات يوم القيامة ... ولن أفرض نفسي عليك بعد اليوم ... وأنا عند كلمتي .

سبأ : لن أسمح لك بتكرار هذه الكلمة لست ظالمة لم أظلمك ولم أظلم غيرك وأحذرك من تكرارها .

أيار بخيبة وقد خفت نبرتها : وماذا بعد التهديد والوعيد وقلة الإحترام وزعزعة الثقة.

سبأ متنهدة : لا أعرف من أين تأتين بهذه الطاقة ... كفى كفى لقد سئمت لقد سئمت.

أيار متأثرة : هل تودعيني بهذا الإنقلاب الروحي المفاجيء الذي كسرني كالزجاج .

سبأ متأثرة وقد همت بالإنصراف بهدوء : لن أودعك ... ثم ذهبت خارجة مسرعة والدموع تتطاير من عيونها كالمطر متجنبة ان يراها أحد ، وتركت أيار كالطير المذبوح الذي فقد النطق في لحظة وهم كان يعيشها ، فعادت أيار الى المنزل وكأنها عجوز بظهر محدودب قد تقدم بها العمر خمسين سنة فوق عمرها وحال ما وصلت والألم يعنصر قلبها ويخنقها ، أسرعت خطاها الى غرفتها لتتوارى عن الأنظار وتفرغ البكاء الذي في صدرها وتغسل وجهها المحمر وتأوي الى فراشها لتهرب من الألم وتتنف بلحافها ... ولكن والدتها انتظرتها ونادتها دون أن تسمع الرد فصعدت إليها ووجدتها في فراشها ترتجف ... لا تريد الطعام وقد أكتسحتها رجفة البرد في صيف قانظ، تريد أغطية أخرى مما دعا بوالدتها الى تجميع الأغطية فوقها وقد مألها خوفاً وقلقاً .

الأم بقلق : ماذا دهاك ... يا أيار ؟

أيار بارتجاف : رأسي سينفجر ... أريد قرصاً مهدئاً أرجوك ، والبرد ثلج كل أعضائي ، فأسرعت الوالدة وأحضرت لها المهدىء وحاولت ان تسندها لتتناوله وهي ترتجف ، ثم قالت وهي ترتجف يا أمي مئانتي ممثلةة وستنفجر من الإمتلاء والبرد سيوقف قلبي .
الأم بقلق : أرجوك ماذا دهاك ... لكن حاولي النهوض والذهاب الى الحمام ... وسأتصل بوالدك ليأخذك الى المستشفى ... ثم أوعزت الى أم سالم بمناداة مروة بالحال ... فأسرعت لتناديها ... ثم قالت لها ... سأتصل بها أفضل ... نعم سأتصل وأخبرها ... لنوصلها للحمام ثم أتصل فذهبت بهذه الحالة الغريبة وعادت بصعوبة .
أيار بعد عودتها للغرفة : لا لا لا داعي للمستشفى صداع وسيذهب ، لن أذهب الى أي طبيب غطوني فقط .

الأم : قد تكون ضربة شمس .

أيار : نعم ... ضربة شمس أكيد ... ضربة قاصمة ... أتركيني أرجوك لأهدأ .

الأم : كيف أتركك !

أيار من تحت الأغطية : سأكون بخير ... سأكون بخير ... المهم غطيني ... غطيني ... يا أمي ... وبينما هي تتكلم تجمع أخوتها ووالدها وراحت مروة تطيل النظر إليها وهي تستنتج السبب .

الأب وضع يده على جبينها : حرارتها مرتفعة ... لنأخذها الى المستشفى .

قتيبة ومعاذ : هيا ... هيا ... لنسرع فالحرارة خطيرة ... قد تكون حمى طارئة .

أيار : لا لا ... لن أذهب ... فقط عندي صداع شديد ... أريد مهدىء آخر .

الأم : كلا ... أنهضي ... للمستشفى .

أيار : لا أرجوكم ... أنها ضربة شمس وسأكون بخير .

الأب : حسناً ... لنضع لها كمادات ... فالحرارة خطيرة .

مروة : نعم أنها ضربة شمس ..فقد وقفوا اليوم طويلاً تحت الشمس لإلتقاط صورة التخرج .

الأم : مُعَاذِ إِسْرَعِ وَأَحْضِرْ لِي الْكِمَادَاتِ وَرَاحَتِ تَسْتَعْمِدُهَا بِسُرْعَةٍ بِمُسَاعَدَةِ أَبْنَائِهَا .
أيار تأثرت جداً وهي ترى لهفة نويها عليها وعدم إكتراث من تُحب : أرجوكم أشعر
بتحسن وقد خفت موجة القشعريرة التي إنتابنتي .

الأب : الحمدُ لله ... للكمادات تأثير كبير ... ولكن لا بد من زيارة الطبيب عسراً .
أيار : لا أرجوك ... يا أبتى لا تقلق ... سأكون بخير ... لا تشغل بالك أنها مجرد
ضربة شمس فقط أعطيني قرص مهدىء آخر يكاد رأسي ينفجر من الصداع .
قتيبة : حسناً ... لنتنظر الى العصر ونرى وضعك .

مُعَاذِ : إن شاء الله ستكون بخير لكن المهم الآن لنحضر لها الغداء أكيد تشعر بالجوع.
الأم : إن شاء الله ... يا مُعَاذِ .. لقد أُرعبتني قبل ساعة من شدة الإرتجاف ... والحمد
لله الآن أفضل بكثير .

الأب : الحمدُ لله ... نسأل الله تعالى أن يبعد عنها الحمى .
مروة بعد صمت : ستكون بخير إن شاء الله فهي شابة قوية ... وستكون بخير بعد قليل
... خذوا راحتكم جميعاً سابقى قربها .. وسأتناول الغداء معها .

سراج الدين : أشكرك حبيبتى ... فأنت أيضاً متعبة ... وتحتاجين للراحة .
مروة مبتسمة ممازحة : لا داعي يا أخي لهذا الكلام ... فالجار أخ ... ونحن جيران .
أميمة : حفظك الله من كل سوء ... سأنصرف لأهياً الغداء الى العائلة فالجميع جياع .
مروة جلست على سرير أيار قرب رأسها واضعة يدها على جبينها وهمست بعد أن
خرج الجميع : هل هذا التعب بسبب سبأ يا بُنتي ؟

أيار من تحت الغطاء : نعم .
مروة مسحت على وجهها استغراباً متنهدة : سنتكلم لاحقاً ولكن هل هدأ صداعك .
أيار : قليلاً .

مروة : هل تريدون النوم لتهربوا من الواقع ؟

أيار : أتمنى الإختفاء من الحياة .

مروة : أرجوك يا أيار .. لا تقولي ذلك .

أيار بأسى : ولم لا وقد مات الإحترام بيننا وتزعزعت الثقة ، ومسح العتب المقدس الى لجاجة ومماحكة وكأني أعيش أحداث فلم للإثارة والرعب .

مروة : حبيبتي أفضل أن تهدأي الآن ... ثم نتكلم لاحقاً ... سأنصرف قليلاً ثم أعود إليك ... فنزلت ووجدت العائلة جالسة على طاولة المائدة المستطيلة بانتظارها فجلست على أحد الكراسي .

الأم بلهفة : ها ... هل خفت حرارتها ...؟

مروة : اطمئني هي أفضل الآن بعد الأقراص المهدئة ، لقد وقفوا اليوم كثيراً تحت الشمس من أجل الصورة .

الأب : والغداء !

مروة : أكيد سنتناول الغداء ... لتذهب موجة البرد من جسدها .

قتيبة : والله عجيبة مسألة البرد هذه في وسط هذا الحر الفائظ .

مُعَاذ : هذه هي ضربة البرد .

أنس : ولكن لماذا هي بالذات ضربتها الشمس فكلنا رأى الشمس اليوم .

الأب : أشك بأن هناك مسألة وترتها وأثارت إنفعالها وعرضتها لمثل هذه الحالة .

الأم بقلق وهي تصوب أنظارها الى مروة : ولماذا تشك في ذلك ... ؟

مروة : لا ... لم يحدث شيء .

الأب : لا ... لا أقصد ... مشاكل بل إنفعالات .

قتيبة : ماذا تقصد يا أبتى .

الأب : أن مثل هذه الحالة ليست غريبة عني وأم قتيبة تذكر عندما أتألم من شيء ما

تجتاحني مثل هذه الحالة وألتحف بالأغطية في وسط تموز .

مروة : لا لا ... لا يوجد ... أي شيء من هذا القبيل .

الأب : قبل أشهر قالت بأن سبياً ستهاجر الى بريطانيا أليس كذلك .

الأم : نعم صحيح ... وأين مربط الفرس في ذلك .

قتيبة متنهداً : لقد أصبت يا والدي ... إنه الشعور بالألم .

مرورة : نعم صحيح ستسافر بعد الإمتحانات .

الأب : إن أيار فتاة مرهفة الحس ... وشديدة التعلق بصديقاتها ... ولكن للأسف كلما تعلقت بصديقة وإعتبرتها صديقة للعمر يفرق بينهما القدر .

الأم : انها مبالغه ... منها وغباء ... تأتي صديقة وتذهب أخرى هذه هي الحياة .

مُعَاذَ بَجْد : ولكنها تعتبرها صديقة روح ... فكيف ستتقبل فكرة الفراق الأبدي .

الأم معترضة : لا تكثر الحديث معها يمثل هذه المفردات وحاول تسفيه الأمر ... ثم

منذ متى وأنت تعرف هذه المصطلحات الرنانة ... صديقة روح ... وفراق أبدي ...

قتيبة : ليس من السهل الحصول على صديق تألفه الروح في عالم غاب فيه الصدق والمصادقية .

أنس : أتمنى أن لا نفترق أنا وصديقي علي سأتأذى إن فاجئني القدر بذلك

الكل يتكلم ومرورة تأكل بإنصات مكتفية بإيماءة أوهزة رأس لتوافقهم الرأي وهي الوحيدة التي تعرف السبب .

بعد أن سجّل خالد في الدراسة الخارجية ودرس بكل جد وهمة وعزيمة وإصرار وإشترك في إمتحانات نصف السنة ظهرت النتيجة أنه راسب بثلاث مواد ومن محاسن الصدق إنه مشمول بدخول البكلوريا للسادس الإعدادي العلمي ، وقد استبشرت الدكتورة سُبُل بهذه النتيجة وعدتها نجاحاً حتى وإن لم يحقق النجاح .

خالد : هل صحيح أنت راضية عني ... أو ؟

الدكتورة مبتسمة : لا ... والله ... أنا أعتبر هذه النتيجة نجاحاً هذا وإن لم تنجح في الإمتحان النهائي يكفيك شرف المحاولة والمشاركة ، وإعلم بأن هناك طلاباً مستمرين في الدوام ولسنوات ولا يحققون النجاح ، ولا سيما البكلوريا فهي مسألة حظ ، لذلك تفائل وما كان لك لن يفاتك .

خالد : الحمد لله هذا بفضل دعمك وتشجيعك .

الدكتورة : أنا أريدك ... أن تكون رجلاً واقعياً ... المهم المحاولة ... وأنت حاولت وستحاول ... وإن شاء الله تعالى سيكون حليفك النجاح وإن لم يشأ الله تعالى لن تنجح .

خالد : أفهمك ... أكيد ... المهم سأبذل قصارى جهدي ... ولا تنسي أختي فهي ذكية وقد أستفدت منها كثيراً .

الدكتورة : أنت تحتاج الى الوقت لتستثمره في الدراسة لذلك يجب أن لا تخرج الى العمل قبل وأثناء الدراسة لذلك لا بد من إغتنام هذه الفرصة الذهبية وان لا تأتي حتى الى العيادة .

خالد : ماذا ؟ هذا مستحيل كيف ذلك .

الدكتورة : لا تهتم ... فمرتبك ... لن يتوقف .

خالد أقطب حاجبيه : للأسف لم تفهميني ليس هذا هو قصدي .

الدكتورة مبتسماً : ما هو قصدك ؟

خالد : لقد تعودت ... أن آتي الى العيادة كل يوم ، والإطمئنان عليك وعلى عائلتك ... وكلما يحل العصر أجد قدمي تأخذاني بسرعة الريح الى هذا المكان حتى وإن كانت العيادة مغلقة ، أخاف من رؤية فرج وأمثاله تارة أخرى ... فكيف تطالبين مني أن أغيب عنها شهراً ! كيف سأتحمل ؟

الدكتورة مبتسمة : أشكرك على إهتمامك بالعيادة .

خالد : يسعدني رضاك عني .

الدكتورة مبتسمة : أنا راضية عنك كل الرضا ... وأشكرك على شعورك الرائع ... وعلى كل ما تقدمه من خدمة لعائلتي خارجة عن إطار عملك ، ولكن أعلم بأن والدتي تحبك كثيراً وتسال عنك دائماً وكذلك التوأم وكأنك من أقربائهم .

خالد مبتسماً : كقريبهم فرج مثلاً ؟

الدكتورة ضاحكة : لا لا لن يتجرأ على المجيء ... ولن ينسى أبداً ذلك اليوم ... لو تعرف كم أنا فخورة بك لأنك دافعت عني .

خالد : أنا أفديك بروحي دكتورة .

الدكتورة مبتسمة : أشكرك يا خالد ... هيا لننصرف .

سنتكون حياتي ناقصة بدونك يا أيار وسيبقى مكانك خالياً ولا يمكن لأي أحد مهما كان حجمه أن يملأه ، والله يعزُّ عليّ أن أكلمك بهذا الإسلوب الفج ولكنك لو لاحظتني لم أتجرأ الى النظر بعينيك الرائعتين ، يا يا لقساوة لساني ، أعرف بأنك بدأتني تحتقرين تصرفاتي غير المسؤولة الى أن تكرهيني ، يا إلهي صبرني على الشعور الذي يصهر روحي في بوتقة جسدي ، وإمسح اسمي من حياتها ، لتتكيف بعد سفري ، أما أنا فلا أعرف ماذا سيحل بي عندما أفارق العراق ، وبينما هي تتكلم مدت يدها بكسل الى نقالها لتتصفحها قد تكون أيار إتصلت أو أرسلت رسالة ، لكنها لم تجد شيئاً ... وراحت تتفحص الفايبير وتطمأن كلما رأت كلمة متصل تحت أسمها ، ولكنها وعلى الرغم من ألمها تحاول الدراسة حتى تحقق النجاح لاسيما وأن سفرها على الأبواب ، وبينما هي كذلك تاهت في سرحة ذهنية رسمت الابتسامة على محياها الى وقت إنقراط الصورة وموقف الدكتورة مروة والأجمل من ذلك الصورة الرائعة التي التقطها وعد بنقالها ، ثم راحت تقالب النقال من جديد وهي تطلُّ على نافذة أيار ثم تمتع نظرها بالصورة التي رأتها مرات ومرات ، وبينما هي كذلك طرق والدها الباب بطرقاته المعهودة الرقيقة .

سبأ : تفضل ... أبتني .

الوالد : كيف حالك اليوم ... وماذا عن صورة التخرج التي طلبت منك أن تلتقطيها ..
سبأ متتهدة : أما حالي ... فأرجوك لا تسألني ... لأنني لست بخير وأما الصورة فهذه .. ووضعت النقال بيده .

الوالد مبتسماً : دائماً قلبي الحمد لله ... على كل حال من الأحوال ... ولا تنسي بأن أقدارنا مكتوبة وليس لنا يد في كتابتها ... وراح يتمعن بالصورة وهو مسرور .. الله كم هي رائعة ... وجميلة وواضحة ... والأجمل يدك في يد أيار ... لقطة فنية نادراً ما نراها وسط هذا الحشد ولكن قلبي لي هل هي فكرتك أم فكرتها .

سبأ متتهدة : أنها أنامل القدر التي رسمتها وليس لأناملنا أي تخطيط مسبق فيها .

الوالد : بُنيتي أريدك أن تكوني قوية فأمامك حياة جديدة ليست سهلة .

سبأ وقد أحمرت عيناها : ومن أين ... تأتي هذه القوة ؟ دلني عليها .

الوالد : كوني قوية بإيمانك وأعلمي بأن للصوم حكمة بالغة على الرغم من أهمية الغذاء لحياة البشر .

سبأ : الكلام سهل يا والدي ... أتعرف سأخبرك سراً ولكن بيني وبينك حصراً .

الوالد بقلق : ماذا سر ... تكلمي تكلمي .

سبأ : إن سبب دخولي قسم الإنكليزي هو أيار ... لاحظ لقد غيرت مسار حياتي العلمية لأجلها ، وابتقلت من جامعة البصرة كرمة علي الى جامعة البصرة باب الزبير عند ساحة سعد ولأجلها ... وأنت تطلب مني أن أكون قوية ... كلنا ضعفاء يا والدي كلنا ضعفاء ... ولو كنا نتحلى بالشجاعة لوقفنا بوجه والدتي وقرارها الجائر هذا بالهجرة .

الوالد متهدداً : سبق السيف العذل ... ولكن يا بنيتي ... أنت تعرفين بأننا هنا مقطوعين من شجرة كل أقربانا في بريطانيا ... وكذلك مستقبل أنهار وأطوار كما تعرفين ... المهم الآن ... أصبح هذا الحديث عقيماً ولا يجدي نفعاً ... أريدك ان تهتمي بدروسك وتحققي النجاح ... ولا نعرف سنعود الى العراق أم لا .

سبأ ترفقت عيناها : لن أغفر لأمي هذا الألم ... ما حييت ما حييت ...

مروة : أهي سخريه قدر أم ماذا؟! يعجز اللسان عن التعليق على نهاية السيدة أم عابد ولكن كم من الوقت سيبقى معها وعمرها جاوز الأربعين ، نرى هل فقدت صوابها بسبب الصدمات التي تلقتها في حياتها أم ماذا يحار العقل عن تقبل الأمر وكأنك تمزحين .

زكية مبتسمة : والله ... يا غاليتي ... هذه هي الحقيقة وسبحان الله كيف دارت الأقدار لتستقر في هذا البيت الطيني الدافئ المليء بالهدوء والحب والحنان والإطمئنان .

مروة : وما هي ردة فعل عصام ؟

زكية ضاحكة : يقول أنها ابتلاء من السماء ... ويعتبر قصور عقلها وتفكيرها السبب في كل ما حدث لها ... وراح يتمنى لها الموت ليتخلص منها ومن بلائها ، المهم

تعارك مع صدقي وضربه وطلب منه تظليفاً ، وضرب ولاء وطلب منها العودة معه ، ولكنها رفضت وصدقي رفض ودافع عنها دفاعاً مستميتاً لأنها زوجته ، ولكن ماذا عساه أن يفعل لقد وضعه القدر أمام الأمر الواقع .

مروة : أخشى أن تكون نزوة لصدقي وعندما يستيقظ منها سيتخلى عنها لأنه شاب والمستقبل أمامه .

زكية : لا أطمئني فهي الآن بخير عميم ثم إنها مصدر رزق ساقته السماء لهم عادت الى وظيفتها والى الخياطة وقد حققت مكاسب كبيرة من هذه المهنة ، وقد عدت سنين وهي مستقرة معهم ، ثم إنها طلبت منه ان يتزوج وهي ستساعده ، لكنه يرفض .

مروة مبتسمة : سبحان الله اتمنى أن تكون عاقبتها بخير ان شاء الله لقد أنهكتها الحياة ولكن ماذا عن أولادها ؟

زكية : ولاء أم والأم تغفر لفلذة كبدها كل الزلات ... يزورونها باستمرار وتعطيهم مما تربح من الرزق ، وحتى عابد غفرت له ... ولكنها لا تقبل منه أي نقاش ... حول الأمر الأخير ... أما عصام فقد تبرىء منها وقال لها لا أريد أن أراك بعد اليوم .

مروة : كلام الناس جارح وقاسي ... أعانه الله ... وتبرئته هذه بسبب الآسى الذي عاشه بسبب ضياعها ... ولكن الأيام كفيلة بتغيير الأوضاع ... ولا نعرف جميعنا ... ماذا يُحضّر لنا القدر .

زكية : والله كلامك صحيح ... لا أعرف متى تقرر الزواج يا أنستي الغالية .

مروة مبتسمة : المشكلة في مندر العنيد وليس لدي أية مشكلة ... لا أستطيع مغادرة هذا المنزل ولا أستطيع العيش في غرفة مع عائلة ، مع حبي لعائلة أختي أسيل وأولادها ، ولكني عشت وتعودت على الإستقلالية ، فكيف أخرج من الإستقلالية الى غرفة صغيرة في الطابق الثاني في بيت أختي .

زكية : أتعرفين بأني أتصور بأنه يشعر بذات الشعور كيف يترك البيت الذي ولد وتربى فيه وينتقل الى بيت أهل زوجته وهو يتصور بأنه يعيش وسط بيئة محاطة بالكاميرات .

مروة : أنا خيّرته ... وعليه الإختيار ... وهو يعرف بأن الطابق العلوي في بيتنا خالي ... وأية كاميرات هذه وأية شعور هذا ... وهو يعرف بأن والدي يحبه كثيراً ... وسيكون مسروراً إن عاش في بيته .

زكية : أسأل الله تعالى أن يقرب هذا اليوم لأنني أربط حياتي وإستقراري بوجودك حبيبتني .

مروة مبتسمة : إطمئي يا أم عبد الرحمن ... إطمئي ... وكل الإطمئنان .

تجاوزت أيار أيام عصيبة بسبب الانقلاب المفاجيء الذي شهدته وقررت أن لا تستمر بهذا الألم وأن تحافظ على كرامتها ولا تذلل نفسها أكثر ، ما دامت صلاحيتها نعدت من وجهة نظرها ، وإن تقاوم حبها ووشلال شوقها العارم والأيام كفيلة بنسيان ومحو هذه العاطفة ، وراحت تمرُّ من أمامها واجمة دون أن تنبس بكلمة ولا تحية متظاهرة باللامبالاة ، وكل لحظة تنتظر مجيئها بشغف معتذرة متأسفة ولكن ينتهي الوقت ويتلاشى ويتبدد الأمل وترتسم الخيبة على الوجوه ، وما أقسى الموقف على سبأ وهي ترى رفيقة روحها بدأت تكرهها ولا تكثر لها وهي تعرف بأنها ستسافر قريباً وقد لا تلتقيها بعد الآن ، وعندما تعود الى بيتها تفرغ غصة الألم هذه في طوفان دموع مفضوح أمام ذويها ، الذين راحوا يتمنون لو تمكنوا من طي هذه الأيام بسرعة والسفر الى بريطانيا وهناك ستنسى كل هذا الآسى .

أطوار : عزيزتي ... أنا لا أوييد البته أسلوبك المراهق الذي تطبيقه ضد أيار أفترقا وأنتم أحبة .

سبأ : أنت لا تعرفين أيار ستتأذى لفراقي .

أطوار : والله أنت تتخبطين خبطاً عشوائياً وهل تعتقدين ان أسلوبك هذا لا يؤذيها؟

سبأ : من وجهة نظري أنا أتبع الأسلوب الأمثل .

أطوار : تنزمتين بأرائك حتى وأن كانت خطأ هكذا أنت دائماً .

سبأ معترضة : والآن ... ماذا تريدان ... ؟

أطوار متتهدة : لا أريد شيئاً ... تابعي درسك ... الحديث معك عقيم ... سأنصرف .

سبأ : أطوار ... أرجوك لا تنزعجي مني فأن صدري ضيق وأشعر بالكآبه وكأن الدنيا كلها فوق رأسي .

أطوار : أريدك أن تعرفي بأن كل شيء في الحياة سيتغير ولن يبقى حال على حاله ، اطمئني عزيزتي أنا أنزعج عندما أراك بهذا الحال الكئيب ... المهم الآن ... أن تحرزي النجاح .

سبأ : أطمأني ... (فسعياتي) جيدة ... والنجاح أكيد إن شاء الله ... وكما تعرفين بأن الإمتحانات النهائية ستبدأ الإسبوع المقبل ... أما الحال فلا أعتقد أبداً بأنه سيتحسن ... وسأبقى أظاهر بالقوة .

أطوار : ووالدتي ... يا سبأ ؟

سبأ ترفقت عيونها : لا أريد أن أكلمها ... أرجوك ... أغلقي هذا الحديث .

أطوار وقد تأهبت للخروج : حسناً حسناً ... تابعي درسك سأخرج .

وبعد أن خرجت أختها واصلت بكاءها لتخفف من وطأة الألم الذي تعيش فيه ، شعور بالآسى لا يعرفه إلا من مرّ في دهاليزه المظلمة وإكتوى في لهيبه الحارق ، تعتقد أن أسلوبها صحيح لأنها ستساعد أيار وستحول شعورها من ألم فراق الى رغبة في الفراق بحسب وجهة نظرها ، غير أبهة بنفسها وصحتها ، وقد غادرت البسمة محياها ، بعد أن أعلنت الإعتزال الكامل عن كل وسائل الإتصال الإلكترونية غير النقال الذي أدمنت النظر إليه بين الفينة والأخرى ، شعور بداخلها إذ قد تجد إتصالاً مفقوداً أو رسالة يتيمة منها ، ولكن أيار أعتبرت الموضوع رصاصة في كيان الكرامة وجرح الكبرياء ، لكنها أكيد ستستقبلها أن جاءتها معذرة لاسيما وهي تعرف بأن هذه الأيام فاصلة بينهما .

كم هي الأيام سريعة لا نستطيع اللحاق بها وان جرينا خلفها وما بين مد وجزر وكر وفر وفسحة وشد وقطيعة وصلاح وزعل وابتسامة وضحكة ودمعة ، يضع التاريخ لمساته الأخيرة لكل شيء ولا يترك بداية إلا وحدد لها طريق النهاية هذه هي سنة الحياة شأننا أن أم أبينا ، بدأت الإمتحانات النهائية ودقت أجراس التأهب للرحيل ،

وما أصعبها وما أقساها على القلوب المخلصة المحبة الصادقة ، الفراق يقتل البسمة وهي واقفة على منابر السعادة ، وكل الطلبة في أجواء الشد الإمتحاني والقلق الطبيعي من نوع الأسئلة وطبيعة بعض التدريسيين وأسئلتهم التعجيزية التي لا تمت الى العلم بصلة أن نأت عن المادة ، ولكنها مادة أنكليزية ومن الضرورة بمكان أن لا تأتي بطريقة القص واللصق ، وانما على الأقل بطريقة الفهم والقواعد والترجمة والإنشاء فأن كانت الأسئلة خارجية فلا اعتراض يقبل منهم ، ولكن أيار أعتادت من سنواتها الأولى أن تبقى في الصف الى آخر لحظة بحسب توصيات عمته لتحضى بحل ومراجعة كل الأسئلة فضلاً عن احتمال مرور الدكتورة مروة على قاعتها عندما تنتهي وقد تعينها على أحد الأسئلة أن إستلزم الأمر ، لذلك أعتاد زملاؤها وأساتذتها على بقائها الى نهاية الوقت ، وسبأ وعلى الرغم من قساوة الظرف التي وضعت نفسها فيه قررت أن تواصل الدراسة ولكنها تحل الأسئلة بسرعة حتى وأن لم تضع الحل الأمثل لبعض الأسئلة ، لكن المهم لديها ان تضع حلاً ثم تبدأ بحساب درجاتها المتوقعة في الدفتر بأقل التقديرات متعكزة على سعياتها الجيدة ، وكلما خرجت من امتحان ذهبت لتطلُّ من باب قاعة أيار وتطمأن عليها وقد أدمنت رؤيتها وسماع صوتها ، لكنها دائماً ما تستأنس بكلام والدها الذي تعتبره مثلاً لها بقوله لها : بأن للصوم حكمة بالغة على الرغم من أهمية الغذاء لحياة البشر ، ولا بد لها من الصوم ومن الآن لتعتاد الفراق وتتكيف على الحياة الجديدة بألمها وغصتها ، الحقيقة التي لا بد أن تعيها جيداً ، المهم لديها أن لا ترى دمة واحدة على وجه توأم روحها التي تراها أعلى من روحها التي تمدها بالحياة والتي تتمنى أن تودع الحياة قبل أن تودعها .

وعندما تخرج من القاعة تجد بعض زملائها فتتحدث معهم حول الأسئلة وحلولها والكل يعرف بأنها ستسافر بعد الإمتحانات ولكنها لم تفصح لأحد بالضبط في أي يوم ، ولا أحد يعرف بالفجوة التي بدأت بينها وأيار ، لكنها كل لحظة ترمق بها الساعة لئلا يغلبها الوقت وهي تعرف جيداً بأن أيار لا تخرج إلا بعد أن تأخذ كل الوقت فضلاً عن أنها بطيئة في الكتابة وتتفنن في رسم الأحرف ولاسيما الإنكليزية

والكثير من التدريسين أثنوا على خطها في اللغة الإنكليزية الذي يغيّر خطها في اللغة العربية ، المهم تخرج مسرعة الى البيت لتراجع امتحانها القادم وتصب جام غضبها على كل من يعارضها ، وقد تغيّرت شخصيتها الى العدائية والكآبه وكأنها ستخرج من الجنة الى الجحيم بحسب تفسيرها للأمور ، أما أيار فعندما تخرج تبدأ تبحث في الوجوه المزدهمة متأملة رؤية سبأ وقلبا يخفق شوقاً وألماً تتحدث في دخيلة نفسها بمنولوجها الداخلي الذي عاشت معه ، لكن دون جدوى من رؤيتها بعد الإمتحان ، فقررت مع نفسها أن تدخل القاعة متأخرة بدقائق لتطلّ على قاعة سبأ وكأنها غير متقصدة ، شعور جميل وكأنها تستخدم جهاز الأوكسجين البخاخ عن بعد لتستنشق جرعة من الهواء يبقيها على قيد الحياة ، وقد قررت ان تتكلم معها وتلين جانبها لها ويشوق عارم في آخر يوم من الإمتحانات وأن كانت غير مخطئة ، ولكنها ستتحمل تكلفة الحكمة القائلة : (من أعتذر بغير ذنب أوجب على نفسه الذنب) .

تغير لون حياة مروة تلك الفتاة الناجحة المدللة من السعادة الى الحزن والإنشغال والقلق والتفكير بالمستقبل القادم وقد إنعكس ذلك سلباً على شخصيتها في عملها دون إن تنتبه أو تتقصد ولاسيما في علاقتها مع الطلاب ، ودائماً ينتابها شعور ورغبة بالبكاء فتهرب الى الملاذ خارجة من الجامعة بعد محاضراتها الى المستشفى حيث سبّل التي تشاطرها أفرانها وأحزانها كما أعتادت منذ سنين خلت فتضطر الأخيرة الى الإستئذان والتفرغ إليها وسماعها في مكان بعيد عن المرضى ، وبعد أن أنهت مراقبتها إتصلت بسبّل .

مروة كنيبة : أنا أشعر بالضيق وكأن في صدري طوفان من الدموع .

سبّل : حبيبتي أرم أوجاعك في صدري ... أتشاطرها معك ... ولكن هل من خطب جديد يستوجب هذا !؟

مروة وقد أحمرت عيناها : لا ... لم يحدث شيء ... ولكن تنتابني موجه من الكآبة ... ويكاد القلق يجهز عليّ لا أحتمل الحياة بدون والدي ولاسيما وضعه الصحي المتردي ... ومنذر هو الآخر لا يريد أن يفهم ذلك ويطلب مني أن أتعامل معه وكأنّ حياتي

فارغة وسعيدة ... وذكرى فريال الأليمة ... وتوتر علاقة أيار مع سبأ وتردي حالتها النفسية ومسؤوليتي تجاه عملي الذي لا يعترف بكل هذه الأمور يكاد رأسي ينفجر من شدة التفكير .

سُبل مبتسمة : حبيبتي ... لقد تعلمتُ التفاؤل منك ... وأن التشاؤم لا يجدي نفعاً سوى صهر الروح في بوتقة الجسد ... فلا تكلفي نفسك ما لا طاقة لك به ، ولا تستعجلي الأمور فأقذارنا مكتوبة ومحسوبة في صحف جفت أحبارها ، ولا نستطيع مهما فعلنا تغيير ما خطته أنامل القدر ، هذه هي الحياة شجرة تنمو وأخرى تموت ولا يمكن ان تتوقف مع توقف حياة أحد فهذه سنتها في الحياة ، **ومنذر** زوجك الآن شرعاً وقانوناً ... وقد قضى سنين عديدة في إنتظارك وأنت تعرفين ذلك جيداً ... فأرجوك أبدأي حياتك معه ... فمن منا لا يعرف العاشق الولهان ... ولا تنسي أن علاقته **بفريال** كالأخوة وعلى الرغم من ذلك يواصل حياته وهذا هو الصح ، ولا يجوز لك أبداً أن تحمليه مسؤولية كل ما ذكرتيه آنفاً ، أرجوك العمر يمضي من أمامنا دون أن نعلم ... أمنية حياتي الآن أن أراك في ثوبك الأبيض ، ومن الخطأ أن نقضي ساعاتنا في القلق ... وباب السماء مفتوح للدعاء ... ولنا أسوة حسنة في سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، كان في أحلك الظروف بيتسم ، والحمدُ العالمين على كل حال من الأحوال ، تتكلم وفي نفسها رغبة عارمة للاستمرار بالحديث لتهدأها وهي منصته وإلمتصاص كآبتها وتغيير جوها الغائم المتبدل ، ثم استطردت قائلة : لنخرج من المستشفى الى مكان أعشقه .

مروة وقد تبددت كآبتها : الى أين ... !؟

سُبل مبتسمة : هيا هيا إنهضي وتعالى لنستأجر سيارة وما عليك سوى الصعود والنزول عندما تقف ، وبالفعل أستأجرت السيارة من أمام المستشفى وصعدنا وسارت في شوارع البصرة الى أن توقفت قرب شط العرب (شارع الكورنيش) فإبتسمت مروة حالما رأت المكان الذي ترتاح فيه النفوس حال رؤية البحر وسماع أمواجه المتلاطمه

منظر يشرح الصدر ، وبالضبط الجلوس قرب تمثال شاعر البصرة الكبير بدر شاكر السياب.

مروة وهي تنظر الى الماء : الله ... كم أحتاج الى كل هذا الماء لأغسل كل أحزاني .

سُبل مزامحة : وأين أغسل أحزاني أنا عندما ينضب الماء أفي الصحراء أتظلى .

مروة : أشكرك حبيبتى ... أشعر بالراحة الآن وكأني تنفست الصعداء بعد إختناق .

سُبل : لقد أنتصف النهار ... أشعر بالجوع ... قالتها مطولة للمزحة .

مروة : أعرف حبيبتى ... ولديك واجبات أخرى في العصر حسناً لنعود الى البيت .

سُبل أقطبت حاجبيها : ماذا ماذا لم أسمع ...؟! وعن أي واجبات تتكلمين ... أقسم لك

بكل مقدسات الكون بأن اللحظة التي أقضيها معك تعادل عندي كل أموال الكون ...

ولكم أتمنى لو إني أستطيع أن أوقف كل عقارب الساعة عندما ألقاك ... وعن أي

عصر هذا ... سنجلس هنا قليلاً ثم نتغدى في أحد المطاعم القريبة .

مروة : أقصد العيادة .

سُبل مبتسمة : اليوم عطلة ... أريد الرجوع القهقري الى أيام الإعدادية والشقاوة

والجري ... والمشي تحت المطر ... وأن اقتضى الأمر المشي معك تحت أشعة

الشمس ... ثم مدت يدها بسرعة الى الحقيبة وإستخرجت النقال وإتصلت بخالد وفتحت

المايكروفون لتُسمع مروة صوته ولتبلغه بأن لا يفتح العيادة اليوم .

خالد بقلق شديد : لماذا دكتورة ؟ هل حدث شيء ؟ هل أنت بخير ؟ هل بإمكانني تقديم

خدمة ؟ وأين أنت الآن.

سُبل مبتسمة بفتور : لا لا ... لا هذا ولا ذاك أنا بخير عميم ..وأجلس الآن على

أكتاف شط العرب مع شخص أحبه وأعشق الإبتسامة على محياه منذ الصغر لا

تكثرث ولن أفرط بلحظات السعادة هذه من أجل عيادة .

خالد شعر وكأن العرق الحار يتصبب من على جبينه : هل من أوامر أخرى دكتورة .

سُبل تتكلم وهي تنظر الى مروة : لا أشكرك ... مع السلامة .

خالد بوجوم : مع السلامة .

سُئِلَ بسرعة : لحظة لحظة ... خالد ... لا تقفل الخط .

خالد بوجوم : نعم .

سُئِلَ مبتسمة : ألا تريد ... أن تعرف مع مَنْ أجلس الآن لاسيما وأن أمواج البحر اليوم متعالية .

خالد بوجوم : لا يهمني دكتوراة ... هذه خصوصياتك ... مع السلامة عندي عمل وأقفل الخط .

مروة ضاحكة : أقسم بأن خالد يُحبك ... ولكن كيف تمثلين عليه هكذا .

سُئِلَ ضاحكة : والله ... أنا جادة في كلامي لم ... أكذب ... فأنا أعشق البسمة على محياك ، يا مروتى أعرف بأنه يُحبنى ولكن لا أعرف نوع هذا الحب ... والخطوة غير المدروسة خطر ومغامرة .

مروة : وما هو رأيك فيه وأنت تعرفين بأنه يُحبك ؟

سُئِلَ : وما هو رأيك ورأي المجتمع بطبيبة ترتبط بعامل يعمل لديها .

مروة متنهدة بجد : أرجوك إرتقي بمستوى خطابك معي كتوأم لروحك ، ولا تُحدثيني وكأنني شخص عابر في حياتك ، حدثيني عن نفسك عن مشاعرك عن رأيك في هذا الرجل والعمل لا ينتقص من شأن الآخرين .

سُئِلَ بهدوء : أعترف بأنني أعتدت عليه كثيراً وقد أخبرتك آنفاً بذلك ، أما زوجاً ... فلا أعرف ماذا أقول وأنت تعرفين بأنني أطمح وأنتظر التوافق الوظيفي وأعلم بأن هذه المعادلة أصبحت صعبة الآن في مثل هذا العمر .

مروة : يا سُئِلَ أنا ... أيضاً أتمنى أن أراك بالثوب الأبيض فأرجوك أفسحي له المجال ليتحدث إليك ، ما دمتِ تشعرين تجاهه بنوع من القبول ... نعم ... لديك قبول ورضا ولا تكابري فأنا أعرفك أكثر من نفسك .

سُئِلَ ضاحكة : لنرى درجة الإختبار أولاً ثم نقرر النتيجة وبينما هي تتكلم رنّ نقال مروة فإذا هو منذر يخبرها بأنه زارها في بيتها فأخبروه بأنها ستتأخر في الجامعة

إن خالد لم يخبر منذر عن المهمة التي جاء من أجلها الى العشار حيث إنتقاه منذر صدفة وهو يقف في ساحة سعد ينتظر سيارة إجره ، وحتى منذر لم يخبره عن سبب مجيئه لئلا يرى الشخص الذي تجلس معه مروة في مثل هذه الساعة .

منذر : الى أين أنت ذاهب بالضبط ؟

خالد : أأ ... أنزلني قرب البنك المركزي لديّ موعد عمل وسر أنت في طريقك لا أريد أن أشقُ عليك ، فرأى الفكرة جيدة ليركن سيارته في مكان قريب ويذهب ويرى بنفسه وعن كذب وبعيدا عن أنظار خالد الذي بقي واقفاً على مقربة من البنك يتفحص المكان بحذر بخطوات بطيئة لئلا تراه من وجهة نظره ومن جهة اليسار دون أن يعبر الشارع ، أما منذر فبعد أن ركن سيارته ترجل منها وعبر الشارع وراح يتقدم بسرعة من جهة اليمين مقررا صفع المعتوه الذي مدحته أمامه ، وما هي إلا لحظات حتى تبدد غضبه وهو يصل عندها فنهضت إليه مروة مبتسمة وشدت على يده مشيرة الى سبيل : هذا هو الشخص الذي كلمتك عنه فراح منذر يضحك دون أن ينبس بكلمة ، ثم إنتبه الى خالد من بعيد وهو ماشياً ، فقال يا له من رجل رائع ذا همة عالية يلتقط رزقه في أي مكان ولعله ضل المكان الذي قصده مما أثار البسمة على شفاههن هذا ما أرادت أن تتأكد منه سبيل .

الجزء الخامس والاربعون

على الرغم من ثقل الإمتحانات على نفوس الطلبة للمرحلة الرابعة إلا أنها تضع حداً فاصلاً ما بين الحياة الأكاديمية والحياة العملية والإفتراق بين تجمع وفراق بعد لقاء ، ولكن أنامل القدر حددت اليوم الأخير للإمتحانات واليوم الأخير لبقاء سبأ في العراق ، وإن الطائرة التي ستقلع بهم من مطار البصرة الى بريطانيا ستكون اليوم في الساعة الثانية ظهراً ولكن بديهي أن يتوجهوا الى المطار قبل هذا الموعد أي مباشرة بعد الإمتحان ستجد سبأ ذويها بانتظارها في سيارة أجرة وبحسب ما أنفقوا معها ، كان اليوم ثقيلاً عليها تشعر وكأن روحها تصعد الى السماء وقد غارت البسمة على محياها وهي تدخل الصف لا تريد البوح لأحد ، غير الهرب ومواجهة الحياة الجديدة ، ومن حسن طالعها أن أسهل المواد وأيسرها توضع في نهاية الجدول الإمتحاني ، وبعد أن أنهت حلها كالمعتاد بسرعة الكتابة وهذه من صفاتها ، خرجت ضيقة الصدر مكدره لا تريد أن ترى أحد غير أيار التي أطلت عليها من باب قاعتها المفتوح وراحت تتحدث في دخيلة نفسها وكأنها تسمعها ، ولكن أنتبهت إليها مشرف القاعة وقال لها من بعيد مبتسماً : ها ... سبأ ... مما دعاها الى الإنصرف بسرعة في مقصدها ، وقد إنتبهت أيار وحرك الموقف مشاعرها ورسم الإبتسامه على محياها وقالت في دخيلة نفسها : أه حبيبت جئتِ تبحثين عني لتصالحيني كما أعتدنا ... أنا أعذرك وأنت تعذريني كما أعتدنا دائماً ، إطمئني نصف ساعة أن شاء الله وسأنكفيء عليك كالموجة الباردة في هذا الحر القانظ وقبل أن ينتهي وقت الإمتحان .

وبعد أن خصّبت روحها المجدبة في رؤيتها من بعيد أتصلت بوالدها لتخبره بأنها ستكون عند باب الجامعة بعد نصف ساعة من الآن وقد أكدت عليه ان لا ينسى حقيبتها الخاصة التي تحوي على كل مذكراتها الثمينة في العراق ، راحت تتمشى بهدوء وفي نفسها رغبة عارمة وشعور جامح في تقبيل وإحتضان كل أروقة الكلية وجدرانها وأبوابها وأعمدتها ومصاطبها وأشجارها ، وحتى الأرض التي كانت تجمعها بمن تُحب وفي نفسها غصة بالبكاء المقيد ، تريد أن ترى كل شيء الآن تريد أن تملأ

عدسة عينها بكل الصور واللقطات ... والضحات وكل الحكايات ... تدفع بجسدها الثقيل الى الأمام وعشقها وشوقها يشدها الى الوراء ، وبينما هي كذلك وقبل أن تخرج من القسم سمعت الدكتورة مروة تناديهما وهي خارجة من سكرتارية قسم الإنكليزي ... سبأ ... سبأ ... انتظري لحظة أسلم الدفاتر الإمتحانية أريد التحدث إليك ... استدارت سبأ وسمعت الملاحظة للوهلة الأولى فكرت في تجاهلها والإنصراف بسرعة الى باب الجامعة ولكن للشوق والحنين قوة فولاذية ... هذه جزء من أيار وبينما هي واقفة تنظر الى الجدول جاءت الدكتورة مروة مسرعة مبتسمة قائلة : ها ... عزيزتي ... كيف حالك في الإمتحان ... أريد التحدث إليك ... لأعاتبك ... ولأسألك عن موعد سفرك .

سبأ وقد أحمرت عيناها وقد رمقت الساعة : الحمد لله رب العالمين ثم أستطردت قائلة :
دكتورة عندي طلب .

مروة مبتسمة : أطلبي عزيزتي ... فأن لك مكانة في قلبي كمكانة أيار .

سبأ وقد ترقرت عيناها : دعيني أضمك الى صدري ، لم تستتكف ولم تستغرب مروة من هذا الطلب وفتحت جناحيها مبتسمة وغارت سبأ في أحضانها كالطفل الصغير ، وكأنها تعانق أيار للمرة الأخيرة ، ومروة تربت على كتفها مبتسمة ، وفي هذه الأثناء سمعت وقع أقدام للطلبة على الدرج هنيهة حتى نزلت الدكتورة ريام وقد أصطادت أحد الغشاشين وكالمعتاد يتوسلون بها ويحاولون ثنيها عن القرار ولكن دون جدوى ، إنتبهت مروة إليها ولصوتها العالي وإستدارت صوبها لتسألها عن هذه الضجة وعن اسم الطالب وما هو دليل الغش ، ولكنها عندما إستدارت الى سبأ لم تجدها ، خرجت والدموع تتطاير من عينيها مسرعة صوب باب الجامعة وقد أقلت نقالها ، فراحت مروة تواصل حديثها مع ريام وهي متجهة الى رئاسة القسم لتسلم شكواها كالمعتاد وينتهي الأمر بالفصل ، وبعد نصف ساعة بالضبط خرجت أيار من قاعتها الإمتحانية والإبتسامة مرسومة على محياها تبحث عن سبأ وبديهي بحسب اعتقادها ستجدها في الإنتظار وستقبل اعتذارها وتعانقها حتى دون البت بأية تفاصيل لأنها من سفاسف الأمور التي لا داعي الخوض فيها ، ذهبت الى الحديقة الى حيث المكان المحبب

لديهما ثم راحت تسأل بلهفة عنها كل من تراه أمامها من الطلبة ، وزادها سعادة عندما أبلغوها بأنهم رأوها مع الدكتورة مروة فأسرعت خطاها الى الدرج المؤدي الى القسم حيث غرفة عمته هناك وطارت بجناحي نسر عاشق حتى وصلت فرأت تجمهر الطلبة وبعض التدريسين ومن ضمنهم مروة وراحت تتفحص الحاضرين وبلحظة خاطفة واحدة لم تجدها ، فإقتربت من عمته وهمست في أذنها هل رأيت سبأ .
 مروة مبتسمة وقد شددت على يدها وابتعدت عن المجموعة : نعم نعم إنها كانت هنا قبل دقائق .

أيار بفرح : الحمد لله ... أكيد كانت تسأل عني ... وأين هي الآن ؟
 مروة : لا أعرف ، ولكن انشغلت بعض الشيء مع هذه المشكلة ولا أعرف أين ذهب ، لكن أكيد ستأتي لأنني طلبت منها الإنتظار لأنكلم معها ، تعالي ننتظرها في غرفتي .
 أيار متتهدة : كم أنتشوق الى رؤيتها ... ليبتها تبادلني هذا الشعور .
 مروة مبتسمة : أكيد ومؤكد تبادلك بل وتزيد في هذا الشعور .

أيار بفرح : عمتي أنا أثق في كلامك .
 مروة : لكن قولي لي ... متى ستسافر الى بريطانيا .
 أيار وقد غارت بسمتها : لا ... أعرف ... لكني أكيد سأسألها اليوم ... أفكر في الذهاب معها الى المطار فهل ترافقيني يا عمتي .
 مروة : أكيد ... سأرافقك ... والى لحظة إقلاع الطائرة .
 أيار وقد ترقرقت عيناها : وهل سأحتمل الموقف .

مروة : لا بد ان تعتادي على الحياة بملوها ومرها، لا أحد يحب الفراق ولكن لا أحد منا يعرف رسائل القدر المخبأة في عالم الغيب ، وأن كنت تترين للموقف صعوبة فلا تعرضي نفسك وصحتك الى الأذى ، وقد تتأذى هي عندما تراك متأثرة .
 أيار : قالت لي ذات مرة وهي منزعجة بأنها لا تريد توديعي .
 مروة : هذه عبارة بديهية ومنطقية فلا أحد يحب فراق من يحب .
 أيار : ولكن أخبريني ... أرجوك ماذا قالت لك عندما جاءتك ؟

مروة متنهدة : لم تقل شيئاً ... لقد عانقتني بشدة ... وأختفت ... دون أن أنتبه .
أيار باكية : أذن ... رحلت ... سبأ ... دون أن تودعني ... أنا أعرفها جيداً أعرفها
أكثر من معرفتها بنفسها .

صعدت سبأ في السيارة التي كانت تقل ذويها دون أن تتلفظ بالتحية على
ذويها بعد أن رمقت الحقائب فوقها ، واعتزلت في الكرسي الأخير منها واستدارت الى
الخلف لتودع كل مكان ، وسارت في مشهد كئيب على كل العائلة لا أحد يُحب لحظات
الفراق حتى وأن كان الرحيل الى الجنة ، فكيف بمن سيفارق وطنه بكل ما فيه من
ذكريات الطفولة والصبأ والشباب والصحب والرفاق ، وراحت سبأ تتلذذ مع منولوجها
الداخلي ودموعها تنهمر على خدودها وهي تودع الأماكن التي تقطعها السيارة ...
وراحت تكتب في خيالها ...

رفيقة الروح والدرب ... البصرة الحبيبة تشدُّ على يدي ...

لكني لا أستطيع والفراق ... رفعت أقلامه وجفت صحائفه ...

وبريطانيا الغربية بالإنظار الشمس ترافقتي بخيوطها الحمراء الذهبية ...

والنخيل يصطف لي مودعاً على جانبي الطريق ...

أما أنت حبيبتي فلا شيء يشبهك أبداً ...

وليس لك مني إلا القلب والدموع ... فأن الحياة علمتني معك ... انه مهما

إلتقينا لا بد لنا من فراق ...

وأنا على عهدي دائماً سأذكرك مهما باعدتنا الأسفار ...

مشوار سفري سينتهي ... وسأصل إلى بريطانيا مدينة الضباب ...

أما صداقتنا شلال أبدي لا ينتهي معه المشوار ...

لأن الحب في الله شجرة شامخة ... تنبت في القلوب الطاهرة ...

وتحمل من طيب الجنة أجمل الأثمار ...

حبيبتي لن أنساك ولن أتناساك ... وهل تنسى الروح توأمها ...

أحبك بعمق شوقي إليك الذي خصبّ الأحجار ...

وصلت السيارة الى المطار والوالد يحمل الجوازات وقد وضعوا حقائبهم جميعاً على شريط الشحن عدا حقيبة سبأ الصغيرة التي تحملها في كتفها ، حقيقه حالما رأوا المطار لأول وهله ذهلوا لجماله بكل أركانه وأروقته طوابقه وكوادره على درجه عالية من الأدب والذوق فضلا عن الأجهزة الإلكترونية ، أروقة وصلات إستراحه للنساء والرجال ومصلى ومطعم ومختلف المرافق العامه وعلى درجه عاليه جدا من الدقه وعندما رفع الأذان سعدوا في المصعد الجميل الى الطابق العلوي حيث مصلى وقاعات إستراحة ، وهكذا حتى وصلت الساعة الثانية ظهراً بعد ذلك طلبوا منهم التوجه إلى الطائره العملاقة وقفوا في طابور ثم دخلوا الطائره دون ان يروا شكلها في دهليز موصل إلى داخلها مباشرة ، فطلب الوالد من سبأ أن تجلس بالقرب من النافذة ، وبعد التأكد والتنبيهات وشد حزام الأمان ، ثم سارت الطائره على الأرض بعجلاتها الصغيرة دقائق حتى إرتفعت بصوت هز الروح في بوتقة الجسد إرتفعت الطائره في السماء كثيراً وراحت سبأ تشاهد من خلال النافذة بلادها ما أجمله ما أعذبه تارة ترمق حركة الطائره على الخارطة الإلكترونية أمامها على الشاشة ، وأخرى تمد عيونها على شرايين بلادها ، ودموعها تنهمر بصوت ينشج دون أن تكثرث لأي أحد ، وهكذا حتى إستقرت فوق الغيوم وكل الصور قد تلاشت .

مروة متأثرة وقد نهضت لتقفل باب الغرفة : لحظة لحظة ... يا أيار ... كوني قوية أرجوك ... دعيني أتصل بها وأكد سترد وسترين لأنني قلت لها أريد التكلّم معها ... فراحت تتصل مراراً ولكن نقالها مغلق ثم تفحصت صفحتها على الواتس أب والفايبر فرأت أنها لم تفتح النت منذ أسابيع ... وضعت نقالها في جيبها ... وقالت نقالها مغلق ثم رمقت ساعتها فرأتها الساعة الواحدة وخمسة عشر دقيقة ... ثم استطردت قائلة ... قد تكون في الحديقة أو في الممر ، أو في أي مكان لا تقلقي سنأتي لإكمال أوراق براءة الذمة فإن الطلبة بدأوا منذ الأمس.

أيار مسحت دموعها متهددة : أطمئني عمتي أنا بخير ... ولن أبكي بعد الآن ... لكني كثيراً من الأحيان أشعر بالإهانة والإزدراء ... وأن المشاعر اذا فاضت تداس بالأحذية وهكذا فعلت سباً معي .

مروة : لا لا أرجوك ... أبتعدي عن هذه التعابير .

أيار : أشعر بأن رأسي سينفجر ... لقد أنقلبت شخصيتها انقلاباً جذرياً وكأنها ليست هي ... راحت تتكلم جزافاً بكثير من المصطلحات التي لم ألفها من قبل ، تتكلم وأنا أنصت وقبل أن أتفوه تقول بأنها مضطرة للإصراف وتترك أسئلة كثيرة وراءها بلا جواب ، وعندما أطلب منها تفسيراً أو تحليلاً تصدني بقسوة وتتهمني بعدم اللامبالاة واللامسؤولية وأني أتلذذ في تعذيبها وتقليب مواجعها ولا أكثرث لها ولا لظروفها ، وكلما أردت معاتبته وصفته بالمجادلة والمماطلة .

مروة : دعينا نخرج ... لعلها في الباب ... وبالفعل خرجنا من الغرفة والطلبة ذاهبون وآييون لإكمال تواجيع براءة الذمة ... فرأت في ضمن المجموعة الطالبة ربي من شعبتها ، فراحت أيار تسألهن حول سباً .

ربي وقد رمقت ساعتها : هل يُعقل هذا السؤال والساعة الآن الواحدة والنصف .

مروة بقلق : ماذا تقصدين يا ربي ؟ وضحي بدون أسئلة .

ربي : سبحان الله يا دكتورة ... الله في خلقه شؤون ، كنت أظن بأنني سأجد أخبار سباً القادمة عند أيار ، لقد خرجت سباً من الجامعة مباشرة بعد الإمتحان وقد كلفنتي أن أكمل براءة ذمتها ، لتذهب الى مطار البصرة الدولي لأن الطائرة ستنتقل في الساعة الثانية ظهراً أي بعد نصف ساعة من الآن .

أيار لم تنبس بكلمة وراحت دموعها تنهمر من عيونها كالمطر ولا تعرف بماذا تتكلم وكأنها فقدت النطق ، كان النبأ كجلبه مدوية وقرت أسماعها .

مروة : أشكرك ربي على هذه المعلومات ... ثم شددت على يد أيار ورجعت الى غرفتها ... وتوجهت صوب الثلجة واستخرجت قنينة ماء باردة وطلبت منها ان

تغسل وجهها ... وهي ترمق ساعتها ... ثم أستطردت قائلة **بآسى منتهدة** : لقد أزال الوقت ... المطار بعيد ... ولم تبق سوى دقائق ... أبك بها فرغي دموعك لترتاحي .
أيار وهي تمسح دموعها : لا لن أبكي ... بعد الآن ... لقد باعنتي بسعر بخس .
مروة : لا عزيزتي ... يبدو أن في الأمر ريبة ... ولا أعرف سر انقلابها وتقلبها ...
أيار : أنا أعرف يا عمتي لقد أنتهت صلاحيتي ... كم أنا غبية ... لقد أنتهت صلاحية ابنة أخ الدكتورة مروة .

مروة بآسى وهي تشبك يديها كشعور بالحيرة : قطعاً لا ... هناك سبب أكبر ...
 فبينكما سنين طويلة قبل أن تصبح عمتك **دكتورة** ... سنوات من الجذب والخصب سنوات خلّدتها الذاكرة بأحرف من نور ... ولكن .

وصلت عائلة سبأ الى صالة الإنتظار في مطار لندن متهياً للخروج حال وصول اقربائهم بعد رحلة قاسية تفرحت جفونها من البكاء ، لكنها بدأت تنتبه الآن هي وعائلتها الى العالم الجديد الغريب ، بدءاً بالمطار المذهل الكبير الذي جعل مطار البصرة كقطرة في بحر ولا سيما السوق الحرة فيه (الديوتي فري) ، والعدد الكبير للطائرات الواقفة فيه وكأنه مرآب للسيارات وانهم لم يروا من قبل طائرات بهذا العدد وهذه الأحجام الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ، جمال لا يمكن وصفه وسعة لا يمكن حتى التهكن بحجمها مساحات شاسعة فقط للسوق فكيف بأروقة المطار الأخرى ، بعد ان كان في مطار البصرة عبارة عن ثلاثة دكاكين أو اربع أما هنا سوق ضخمة بل أسواق ضخمة وطوابق عدة لمختلف أصناف البضائع ، ذهلوا لجمال المطار وراحت البسمات ترتسم على محياهم كلما رأوا الإنكليز وأشكالهم البيضاء وهم يشيرون الى ألوانهم بنوع من المزاح ، وفي هذه الأثناء ورغبة من والدة سبأ للإطمئنان عليها نادى ... سبأ ... سبأ ... ما هو رأيك بالجو اللطيف الآن ... لم تنبس سبأ بكلمة وراحت تواصل النظر الى المارة وهي تشدُّ الى حقيبتها في كنفها .

اطوار معاتبية بابتسامه : سبأ ... الوالدة ... تكلمك .

أنهار : لقد قالت قبل هنيهة سبأ ... سبأ .

سبأ متظاهرة : ماذا؟! نادتنى ... لم أسمعها ... يا سيدتي ... ثم أن أسمى ماري ...
وسبأ ماتت هناك في العراق ... فلا تناديني بسبأ بعد الآن فأذني لا تترجم بعد اليوم
هذا الإسم .

الأب مبتسماً : حمداً لله على سلامتك يا ماري .

سبأ وقد خطت ابتسامة صغيرة على محياها بعد وجوم طويل: سلمك لي الله يا والدي.
أنهار بفرح وهي تتنفس بعمق : الله كم أشعر بالسعادة ... وأشد ما أريد رؤيته بعد
خطيبي ساعة بج بن ، ترى أين تقع يا والدي بالضبط حتى نذهب لرؤيتها .

الوالد مبتسماً : والله بالضبط لا أعرف أسماء المناطق هنا ولكنها في العاصمة هنا .

سبأ واجمة متنهدة : وأنا والله لا أشعر إلا بالتعاسة والوجع الممض الذي لا يمكن
لأحد أن يعرفه ، ولكن سأخبركم عن ساعة Big Ben لأننا درسناها في الانكليزي ،
يرجع اسمها إلى اختصار اسم بنيامين وزير الأشغال البريطاني آنذاك ، الذي أشرف
على تنفيذ مشروع الساعة وتصميم برجها ، وتعدُّ من أهم المعالم التي يحرص السياح
على زيارتها في بريطانيا ، ولما كان بنيامين ضخم الجسم، كانوا يطلقون عليه لقب
بيج بن ، وتوجد الساعة في برج القديس استيفان في الجزء الشمالي من مبنى البرلمان
في دائرة ويستمنستر في العاصمة ، منذ عام 1924 بدأت دقائقها تعلن الوقت عبر
إذاعة الـ BBC يومياً ، ويبلغ عمرها حوالى قرن ونصف .

الوالد مبتسماً : كم أنا فخور بك يا بُنتي ماري ... فضلاً عن ذلك ستكونين مترجمتنا
... وكلنا طلابك هنا .

الأم معترضة : أرجوك لا تناديتها بهذا الأسم لنلا يعتاد الآخرون عليه .

الوالد مبتسماً : كل شيء ستطلبه ماري سننفذه وأول طلباتها هذا الأسم ... أسمعني ...
أنهار مبتسمة : كم جميل يا ماري أن يجيد المرء لغتين .

الوالد مبتسماً يتقصد تغيير مزاج سبأ : أكيد كلنا سرنا خلفها وهي تحمل جوازاتنا
وتملاً المعلومات وكأنها أمانة ونحن صغارها ... لا نجيد ولا نفقه ما يقوله الآخرون
سوى بعض المصطلحات التي درسناها .

سبأ : العفو ... يا أبتى فأنت مثلي الأعلى في الحياة ... وأنا مهما كبرت أو تقدمت في السن أو في الدراسة سأبقى طفلتك الصغيرة المدلل التي تبكي على صدرك لتُحضر لها لعبة قاطونية جميلة .

الوالد وقد ترقرت عيونه : أتمنى أن أراك سعيدة كأخواتك .

سبأ : أعدك يا أبتى بأني سأكون عند حسن ظنك ... أرجوك لا تحمل همي فأنا بخير .
وبينما هما يتحاوران رنّ هاتفه فإذا أخوه يعقوب وأولاده يخبرونه بأنهم موجودون هنا في المطار بانتظارهم ، وما هي إلا لحظات حتى إجتمعت العائلتان وبعد التحية والسلام ودموع اللقاء واللهفة والشوق إرتقى الجميع الى السيارة لتنقلهم الى منزلهم الجديد المعدّ لهم سلفاً ، وكما أرادت جلست سبأ في الأخير لكن قرب النافذة لتشاهد الطبيعة عن كثب حيث النافذة مفتوحة والسيارة تسير بسرعة معتدلة ، الأرض مفروشة بالأزهار المختلفة الألوان على جانبي الطريق الذي يتلألا من النظافة ، كل شيء جميل هنا ولعل الأجل نسمات الهواء الرقيقة الباردة القادمة من النافذة التي تداعب خصلات شعرها ، والكل راح يتكلم ويضحك ، أما سبأ فدخلت في صومعة منولوجها الداخلي لتختلي بخيال أيار الأسر لتُخصب روحها المجذبة ... وراحت تتكلم في دخيلة نفسها ...

صديقتي الحبيبة ... هنا ... بدأت أشمّ روائح الشتاء ...

كعطر من نحب ومن نشتاقي إليهم ...

منعشة رقيقة ... تذكرني بعطر شط العرب ... فأنت نسمة باردة في جو

الجنوب الملتهب ...

ولا أحمل في نفسي الآن .. إلا ... وجهك الحبيب ...

الذي يرافقتني كظلي في كل مكان أقصده ...

أستنشق الآن ... نسمات باردة تقبلُ روحي المتعبة ...

تذكرني بتلك النسمات التي كانت تشقّ طريقها إليّ ... وسط تموز عندما ألمح

وجهك الحبيب ...

كنت أجلس معك يوماً ... وكان الحياة تعانقتي ... وتحملني على وسادة
وردية ...

وتهددني بين قطع الغيم ...

أجمل شيء أتذكره عندما كنا نمشي تحت المطر ...

والجميع ينظر بإستغراب ودهشة على صداقة روح بروح ...

لكني أحبك أكثر من نفسي وسأبقى كذلك ... فللقلوب رسائل لا يقرأها إلا
إحساس المحبين ...

وللنفوس حديث لا يسمع إلا في دعاء الصادقين ...

فيا رفيقة الروح لبيتك قربي الآن ...

وليت روحك النقية ... تلتقط رسائل روحي ... وبينما هي مسترسلة في حديث
النفوس ، إنتبهت لوالدها وهو يمدُّ يده الكريمة إليها مبتسماً والكل قد نزل
بإنتظارها ويقول حبيبتي ماري لقد وصلنا .. هيا أنزلي نحن الآن أمام منزلنا
الجديد قرب منزل عمك يعقوب بالضبط .

لقد كانت الأيام الأولى لهم في لندن مليئة بالأحداث وقد أطلعوا على
أماكن كثيرة جداً ، وتعرفوا على عدد كبير جداً من العراقيين الذين يسكنون
ذات الحي مما جعلهم يستأنسون بهم ، ولكن الحدث الأبرز هو زفاف بنات يمان
حذيفة أنهار وأطوار في الإِسبوع الثاني على ولدي عمهما يعقوب ، وقد تعرفت
سبأ بسرعة على عدد كبير من الأجانب وقد وجدت بيئة خصبة لتمارس وتطبق
ما تعلمته من لغة على الواقع وعن كتب فوجدت ان الإنكليز لا يتكلمون في نطق
الكلمات مثلما يتكلم من يدرّسها في الكليات العراقية ، ورحبت كثيراً بفكرة
عمها في البحث عن عمل يشغلها ويدمجها في هذا العالم الجديد الذي يُثير
الإنتباه في كل جانب من جوانبه ، وعلى الرغم من تخوف الوالدة من هذه
الفكرة إلا ان الوالد رحب بها لتخرج سبأ من عزلتها وانطوائها على ذاتها
بحسب وصفه لها ، ولكن سبأ يمان حذيفة تفضل المكوث في غرفتها قبل

المساء لتعتكف بخيالها عن الآخرين تعيش لحظات الوهم الذي يجمعها بأيار ،
ولاسيما نقالها الجديد برقمها الجديد وقد أدمنت النظر في النقال على صفحة
الواتس أب والفايبر ، وترتاح كثيراً عندما ترى كلمة متصل وكأنها تراها تتكلم
معها وكأنها تسمعها ، وبينما هي كذلك تذكرت الفيس بوك فنهضت بسرعة
وجلست وسط سريرها وراحت تُفعل لها صفحة جديدة بأسم ماري يعقوب ،
وعندما جهزت الصفحة ذهبت الى صفحة أيار فوجدت أنها لم تفتحها منذ
أسبوع ، أو بالأحرى لم تجد لها مشاركات جديدة حديثة ، ولكن طرأت على
بالها فكرة مراسلتها وعرض عليها الصداقة ، لتتواصل معها وتجلس نبضها ،
وتطمأن على حالها ، وبالفعل أرسلت لها رسالة ... وراحت تكتب ...

السلام عليكم ... أنا فتاة جريئة الروح ... مكدرة الخاطر ... أحتاج الى
المواساة ... وقد ملئت الناس قربي ... فدخلت على قائمة البحث عن الأصدقاء
في صفحتي ... فرأيتهم كثيرون ... ولكن أسمك غريب أثار انتباهي فدخلتُ
على صفحتك وأطلعْتُ على بياناتك وتخصصك في الانكليزي ، وقد فرحتُ كثيراً
لأنك من جامعة البصرة لأنني من كركوك ... لذلك أرجو منك قبول الصداقة
لأنني بحاجة ماسة الى المساعدة ومد يد العون الروحي ... أرجوك ...

ماري يعقوب / كركوك

ولكن من حسن حظها بأن أيار كانت جالسة على النت ورأت الرسالة
بالحال وإستغربت ولكنها سفهت الأمر وعاودت الى صفحتها ، ولكن سبأ
عاوت ارسالها ثلاث مرات لأنها رأت بأن الرسالة تم عرضها أي تمت قراءتها
، وقد فرحت كثيراً عندما رأت ذلك ، مما دعاها الى إرسالها من جديد ، ولكن
أيار لم تعتد من قبل بالرد على رسائل الغرباء ، ولكن روحها النقية وتأثرها
دفعها الى الرد ... فكتبت .

أيار : وعليكم السلام يا ماري ... أيتها الفتاة الجريئة ... فأنا شيخة كبيرة ...
لا أفقه لغة الشباب .. أبحثي عن غيري .لأنني عليلة والعليل لا يداوي العليل ..

وحالما رأيت سبأ رسالتها بكت بكاءً حاراً ... أمتزجت به دموع الفرح بالوجع الممض الذي تشعر به ، ولكنها نافذة فتحت لها من هنا تطلُّ منها عليها ... ولا بد من التفكير في استثمار هذه النافذة ... لاحقاً ... فراحت تكتب لها : يا لحسن طالعي أن أتعرف على سيدة ناضجة كبيرة تفقه الحياة جيداً ... وليست مثلي لا تزال في بداية الطريق تخرجت للتو من كلية الفنون الجميلة ... فأنا مكتئبة جداً ... وقد كرهت الحياة لأنني مجروحة ومخدوعة ، وقد أعتزلت العالم حولي فهل لديك أولاد وبنات ... يا سيدتي ؟

أيار قرأت الرسالة وابتسمت : الحمد لله

سبأ مبتسمة والدموع بللت خدودها : حفظهم الله لك أعتبريني واحدة من بناتك وساعديني .

أيار مبتسمة : أساعدك في ماذا يا ماري ؟

سبأ : أولاً ... قبول صداقتي .

أيار : وكيف أعرف بأنك فتاة ؟

سبأ مبتسمة : أقسم لك يا سيدتي بأني فتاة ثم ما الضير أن كنت فتى وأحتاج مساعدتك كأني ... وأجعليني تحت الإختبار ... يُعجبني حرصك ... يا أمي .

أيار مبتسمة : حسناً ... ولكن لماذا تناديني يا أمي ... فأين أمك .

سبأ : موجودة حفظها الله ورعاها وعلاقتي بها قوية جداً ورائعة ... ولكني لا أريدها ان تتألم بهمومي فهي الآن في بغداد .

أيار باستغراب : بغداد ؟ وأنت في كركوك ، كيف ذلك وضحي أكثر .

سبأ : أنا متزوجة في كركوك .

أيار مبتسمة : ها ... متزوجة ... في كركوك ... وما هي مشكلتك ؟

سبأ : مشكلتي ... يا سيدتي ... تحتاج الى الليل بطوله .

أيار : أيّ ليل يا فتاة ... فالشمس لا زالت .

سبأ وقد تداركت الموقف : لا يا سيدتي لا أقصد الآن وإنما قصدي يحتاج الى

الوقت.

أيار : ها ... حسناً اكتبني لي وسأردُّ عليك على وقتي سأصرف الآن وداعاً .

سبأ : لا ... ستذهبين يا زهرة الجنوب .

أيار : نعم عندي عمل ... ثم اعلمي يا ماري بأني امرأة (دقة قديمة) كما يقولون انزعج من المبالغة ولا أحب المجاملة ... عندي واحد زائد واحد يساوي اثنين ... لا زهرة جنوب ولا ثلج شمال .

سبأ مبتسمة : أعتذر يا سيدتي وأشكرك على قبول الصداقة ... سنتواصل لاحقاً ان شاء الله ، ولكني اعتبرتها كنية وليس وصف ، والكنية لا تمت الى الوصف بصلة الى اللقاء ... الآن ... ثم راحت تمرر يدها على اسمها الموجود على الصفحة وكأنها تتلمس خصل شعرها المسترسل ... وراحت تكتب .

يا زهرة الجنوب ... لك يهتف الفؤاد ... وترق أحلى الكلمات ...

وتتهادى أصدق الدعوات ... مثلما فرقنا الأيام لابد تحت سحائبها تجمعنا ...

أحبك بعظم شوقي إليك وبججم المسافات التي رسمتها الأقدار ...

لقد أنهى خالد امتحانات البكلوريا بكل جد وتعب وقد افاد كثيراً من أخته التي كانت في السادس العلمي أيضاً ولعل دافعه وطموحه في النجاح أكبر من كل الدوافع التي يتأملها الطالب ، وكما نصحته سُبُل اعتكف للدراسة فقط وابلى بلاءً حسناً ، ولم يُضَيِّع دقيقة واحدة إلا واستثمرها في الدراسة ، بعدها عاد للعمل في العيادة والى عمله في السابق في السوق ليعوّض ما فاتته علماً بأن الدكتورة قدمت له مساعدة مالية استفاد منها خلال أيام الإمتحانات ، وما هي إلا أيام خلت من الفلق والترقب لكل الطلبة حتى ظهرت النتائج الجامعية والأبرز نجاح كل من منذر وأيار وسبأ بمعدلات متوسطة ، ولكن المفاجأة إن الذي حصل على مرتبة الأول على القسم هو الطالب عبد الحافظ الذي لا يجب الأضواء وهو منكفئ على نفسه مهتم بدراسته يسمع أكثر مما يتكلم علاقاته محدودة كشخصية جادة غامضة ، وكالمعتاد يجتمع الطلبة في يوم استلام النتائج

عند باب القسم ولهذا اليوم رهبة في النفس ورغبة في النجاح ، وجوه مستبشرة وأخرى باسرة ، وللنجاح فرحة لا تضاهيها فرحة في الحياة ، وبينما كان التدريسيون يهنئون **عبد الحافظ** على نجاحه الباهر ، لمحت الدكتورة مروة الطالب **وعد** وهو يلتقط صورة في نقاله لإحدى النتائج ويرجعها مبتسماً الى السكرتيرة ، وبعد أن أنهت حديثها توجهت لتستلم نتيجة أيار **ومنذر** وتطلع على نتيجة سبأ علماً بأنها تعرف مسبقاً النتيجة ، فتولد في نفسها الفضول حول معرفة النتيجة التي صوّرها **وعد** ، وعندما سألت السكرتيرة أخبرتها بأنه صوّر نتيجة الطالبة سبأ التي سافرت الى بريطانيا ، وحالما سمعتها لم تنبس بأي كلمة وأسرعت خطأها لتلحق به لعلها تجد ضالتها ، ولكنها عندما خرجت لم تجده فعاودت أدراجها وفي نفسها مئة تساؤل وتعليق وقد شط فكرها لإيجاد اجابه ، فرأها **عبد الحافظ** تطيل النظر من بعيد على الطلبة فوقف قربها مبتسماً ، وراح يبحث عن أي حوار حتى يتحاور معها ، وفي هذه الأثناء دخل **منذر** القسم مبتسماً وهو بالطبع يعرف النتيجة مسبقاً من مروة ، وعندما رأته توجهت لغرفتها ليجلسا وبعد التحية .

منذر شدّ على يدها : حبيبتي أهديك نجاحي هذا ... لأجلك أنت فقط ... درست الإنكليزي .

مروة مبتسمة : أشكرك ... أحلى هدية .

منذر مبتسماً : صحيح .

مروة : أكيد .

منذر : وهل الكلام ... بالمال ... أراك ... تتكلفين في قول أي كلمة .

مروة : لا ... يا عزيزي ... ففكري مشغول بعض الشيء .

منذر : أولاً لا أحب كلمة عزيزي إما حبيبي ... وإلا فلا ... لأنني أعتبر كلمة

عزيزي تحصيل حاصل أما حبيبي فهي لغة القلوب التي لا يفهمها كل الناس ،

ولكن بماذا فكرك مشغول ؟ بنتيجة **عبد الحافظ** ؟

مروة مبتسمة : تحليل سليم ... يا ... حبيبي ... (قالتها بكسل) ، لقد رأيت وعد (كيت وكيت) ، فتمنيت أن أجد منفذاً أطلُّ منه يدخل السرور على أيار. منذر متنهداً : يا إلهي ... لبتك تهتمين بي مثلما تهتمين بالآخرين ، وليت فكرك ينشغل بي أنا فقط دون غيري .

وقد عدت سبأ الساعات لتتلقَّ خبر نتيجتها كما أتفتت مع وعد ... يرسلها على صفحتها في الفيس بوك ، وقد أبلغت والديها بذلك وكانوا قريبها عندما فتحت الحاسوب ودخلت على صفحتها وبالفعل أرسل نتيجتها ثلاث مرات للتأكيد ، فطاروا فرحاً لنجاحها ، وبينما هي كذلك لمحت رسالة في الوارد ففتحتها فإذا هي نتيجة أيار، كانت مفاجأة جميلة جداً لم تكن تتوقعها فسالت دموعها مدرارة وهي تقرأ أسمها.

الأم متأثرة : مبروك نجاحك ... يا سبأ .

الأب يمان متأثراً : الحمد لله رب العالمين كاد الفلق ان يجهز عليّ من شدة التفكير بالنتيجة مبروك بنيتي

سبأ والدموع تتطاير من عيونها : أشكركما .

الأب يمان : أنظري كم جميل التواصل ولو كان عن بعد فأرجوك تحدثي مع أيار .

سبأ متأثرة : لا ... أستطيع ... لقد خذلتها .

الأم : لا يا أيار أنا أشدُّ على رأيك بقرارك الصائب هذا والأيام كفيلة بالنسيان .

سبأ : أطمأني يا ... أمي ... صحيح كلامك ان الأيام كفيلة بالنسيان ، وأعدك بأنني لن أنسى أيار ما حبيبت ، وأنا أتواصل معها كل يوم .

الأم : لا .. بأس تواصل الخيال ... ينعش الروح .

سبأ : لا بالواقع ... أمس تحدثتُ إليها .

الأب مستغرباً : ماري ... ما الخطب ... هل أنت بخير ... ؟

سبأ : لا ... بل أنا جادة في كلامي أتواصل معها وأنا ماري (كيت وكيت) .

الأب أنفجر ضاحكاً : والله أنت داهية يا ماري أنطوانيت .
 سباً مبتسمة : لا يا أبي ... أنا ماري يعقوب من كركوك .
 الأم قلبت شفيتها : هذا الجنون بعينه ... لا تريد التواصل ... وتتواصل .
 الأب : لا بل فنون ... وقوة شخصية وقوة صبر وتأيي لكني على يقين بأنك
 ستخبريها ان عاجلاً ام اجلاً .
 سباً : لكل حادث حديث يا أبتى فتعارفي عليها حديث وبالخدعة عطفاً منها
 عليّ .

الأب مبتسماً : أذن تحدثي إليها ... ودائماً ثيري المواضيع التي تحبها ...
 لتتفاعل معك ... في الإعجاب أو المشاركة أو التعليقات ... حركي أجمل ما
 فيها من مشاعر تجاهك وتجنبني الضد ، والآن خذي راحتك وتكلمي مع أيار ...
 هيا هيا أفتحي صفحتها ... وقولي لها مازحة ... أن أبي يعقوب يحييك .
 سباً مبتسمة : أشكرك يا أبتى على مآزرتك الروحية ... ففتحت صفحتها
 وراحت تفكر بماذا تكتب وبعد التفكير ... تذكرت بأنها كثيراً ما كانت تتحدث
 عن عدم أجادتها للرسم ولا حتى شكل نخلة ، وبالمقابل حب أيار لموهبة الرسم
 وحديثها الدائم عن بيكاسوا ودافنشي وأن كانت لا ترسم ، فكتبت لها : يا سيدتي
 ... نسيئاً أن أخبرك بأني كنت في قسم التشكيلي وقد برعت في رسم اللوحات
 الزيتية والنحت بكل أنواعه وأصنافه ، وكان اساتذتي ينادوني بحفيدة بابلو
 بيكاسوا الخ .

مرت الأيام والأشهر سريعة وقد اعتادت أيار على رسائل ماري
 مجبرة كنوع من ملء الفراغ العاطفي الذي تعيشه ، ولا سيما بعد أن أخذت
 رأي عمته في الأمر ، والتي حفزتها على التواصل والتعرف منها على بيئة
 جديدة ، وكثيراً ما كانت أيار تسألها أن تصف لها كركوك وطبيعة جوها
 اللطيف الرائع مقارنة بجو البصرة القائظ ، فكانت ماري تشغل والدها في
 البحث عن المعلومات في النت ثم تشكلها على شكل إجابة وبالصور ، ولكن في

قلب أيار لوعة الفراق ولوعة خيبة الأمل الذي كان معقوداً بينهما في التواصل الروحي الذي أنقع وتينه على حين غفلة ، والشعور بالكآبة لمجرد تذكر مصطلحاتها الجارحة التي تدلل على الإبتذال وإنهاء الصلاحية ، ولكنها أيقنت بأنها بالفعل تُحبها أكثر من نفسها ، فعلى الرغم من كل الذي حدث لم تنفوه قط بأي كلمة سيئة تجاهها ولم يعلم أي من ذويها ما حدث وكانت تتأمل الأحسن وتتوسم خيرا بكلام عمتها مروة التي تعتقد بأن هناك دوافع وراء هروبها بهذه الطريقة ولا تشك أبداً في حبها وإخلاصها تجاه صديقتها ، وأن تتلذذ في ذكرها دائماً ويخفق قلبها طرباً لسماع اسمها ، ففي الوقت الذي تقول فيه عن نفسها بأن جزعت حياتها وكرهت روحها الكئيبة وفقدت الشعور بالرغبة بالحياة ، تقول سامح الله سبأ وحفظها وسدد بالخير خطاها في بلاد الغربية ، وقد تزوج أخيها قتيبة طيبة وهي الأخرى تعرفت على سبأ يمان حذيفة من خلال حديث العائلة عنها وعن علاقتها الروحية القوية التي قلّ نظيرها في الكون وعن سفرها القدري القهري ، فكثيراً ما كانت تسألها عنها وعن تواصلها فكانت أيار تخبرها بأنها على تواصل ، دون أن تنبس بأي كلمة من شأنها أن تفتح الباب على مصراعيه للتعجب والسؤال حول كيف ولماذا؟! ، فإنتهت العطلة وأيار لم تعد بعد على غياب سبأ لأنها تعيش في دواخلها في دمها وتسير معها كظلمها.

مروة مبتسمة : ما هي أخبار ماري يا أيار ؟

أيار : مملة أحياناً ... لا أعرف من أين تأتي بالوقت ... فعلى الرغم من أنها أم إلا أنها تكتب كثيراً ... وكل يوم ... أجد رسالة بل رسائل عدة ... وأحياناً أخرى تسعدني ببعض المسميات ... مثل يا سيدتي يا أمي ... أشعر بالراحة عندما أقرأها لا أعرف .

مروة : بديهي جداً ان كل انثى تولد معها غريزة الامومة وهذا شعور جميل .

أيار: ومتى ستكونين امأ ؟ ما دمت تعرفين غريزة الامومة وقد تقدم بك العمر.

مروة وقد غارت بسمتها متتهدة : لن أترك والدي .

أيار مبتسمة : أتعرفين بأن سباً كثيراً ما كانت تسألني هذا السؤال عنك ، وتقول بإستغراب إن مثل الدكتورة مروة يمثل هذه المزايأ ... حرام أن لا تفكر بالإمومة .

مروة مستغربة وقد خفت نبرة صوتها : سباً ... كانت تقول ذلك ...؟!
أيار : نعم ... كانت تقول ذلك ... وأكد كل من يعرفك يقول ذلك ... عنك وصديقتك والأخريات .

مروة : قريباً ان شاء ... فالزواج رزق من الأرزاق قد ينزل وقد يُحبس بحسب إرادة السماء ... وليس للإنسان مقدرة على تحريك خطة معدة مسبقاً ... فالحمدُ لله رب العالمين .

وفي المساء راحت مروة تفكر بكلام أيار حول عمرها المتقدم ، لكنها من وجهة نظرها تعيش حياتها المرسومة بعرضها وطولها وبصورة طبيعية ، لكنها بدأت تسأل نفسها ، أيعقل بأنها تنتظر سُبل حتى تتزوج ، وماذا أن لم يتقدم لها أحد ، ولكن لماذا لا يتقدم لها من يناسبها وهي تتمتع بكل المواصفات الجيدة للفتاة ، ولماذا بإتجاهها المد وصديقتها الجزر ، ثم إستطردت قائلة : استغفرك يا إلهي ... شاكرة لأنعمك غير متبطرة ، واتمنى ان تحظى سُبل بمثل ما أحضى به من قبول من الرجال ، ولكن للأسف لم يتقدم لها حتى إلا من لا تتوافق معه علمياً وبيئياً ومجتمعياً ، وبينما هي تحاور نفسها رنّ هاتفها ، فإذا به منذر وبعد التحية والسلام .

منذر : إشتقتُ لك حبيبتي .

مروة : أشكرك .

منذر : لا تقولي لي أشكرك ، بل قولي لي وانا أيضاً اشتقت لك يا حبيبي .

مروة مبتسمة : كان فكري مشغولاً عندما سمعت اتصالك ... عذراً .

منذر مبتسماً : مشغول وبمن يا ترى ؟

مروة : بسُبل ... كنت أفكر فيها .

منذر متأففاً : يا إلهي ... ليتك تتشغلين بي يوماً ، ولكن لماذا تفكرين بها ؟

مروة مبتسمة بصيغة المناداة : منذر .

منذر مبتسماً : يا روح منذر .

مروة : متى سنتزوج ؟

منذر مستغرباً ضاحكاً فرحاً : ماذا ماذا ؟ يا لسماء ... وأخيراً تذكرتي عاشقاً

مسكيناً جالساً على قارعة الطريق يستجدي يد اللطف وعين الرحمة ، وأنا رهن

إشارتك يا حبيبتي إن شأت في الغد .

مروة : تعالوا غداً وبحفلة عائلية صغيرة سنجري حفل الزفاف ما هو رأيك؟

منذر بجد : حبيبتي ... أرجوك ... إفهمني سكني في بيتك صعب .

مروة بشدة : وأين ستسكنني في غرفة صغيرة ... في بيت أخيك ... ؟

منذر واجماً وقد خفت نبرته : أنت تعرفين إمكانياتي وأنا أبني نفسي بالإعتماد

على قدراتي ، ولم أجد كل شيء جاهزاً أمامي مثل الآخرين ، لذلك لا بد أن تعي

ذلك إذا أردتي الإستمرار معي ، وإلا فأنت في حل من أي إرتباط لا ترتضيه

نفسك ، وبأي لحظة تقررين سأنهي هذا الألم المستعر ، لقد تعبت روحي من

إنتظارك كل هذه السنين ، وأنت تماطلين وتسوفين ، ولا أعرف موقعي في

حياتك ، فهل أجبرك العم عبد الرحمن على الإرتباط بي أو هناك أمر آخر لا

أعرفه ، أرجوك أصدقيني القول وأنا والله مستعد للخروج من حياتك والهجرة

حتى من العراق ، سأهاجر بعيداً الى أبعد مكان في الكون .

مروة منزعة : أستنكر كل كلماتك التي صيبتها في اذني الآن كالماء المغلي ،

ولو لم أكن أرتضيك زوجاً ، لما تمكنت قوة في الأرض على إجباري ، وأنت

تعرف بعشرات الرجال الذين طلبوا يدي ، ولكنك تجافي الواقع للأسف ، ولا

أريد أن أتواصل معك في الحديث الآن ... وأغلقت الخط بوجهه ، فشعر منذر

وكأنه تلقى لكمة قاسية على وجهه بطريقتها هذه ، وبقي ينظر الى الهاتف بيده

وقد تحول الى كتلة من الألم واليأس وكأن كل السبل تقطت به الى العالم .

ومن جانب آخر في الوقت الذي يعاني منه أهل البصرة من قيبظ الحر وناره الملهبة نهاراً والرطوبة القاتلة مساءً ، بدأ الجو يبرد في لندن وراح الكل يرتدي الملابس السميقة ، والناس هناك كثيراً ما يقصدون التنزه وتغيير جو البيت ، وان يعقوب وأولاده كل يوم يدعون عائلة عمهم الى الخروج معهم ، حتى وأن عارضت ماري ذلك الأسم الذي لصق بها للوهلة الأولى التي وطأت قدمها لندن ، واليوم النزاه في شارع العرب الذي يقطنوه وترى كل شيء فيه عربي من المساجد والمقاهي والباعة والبسطات ، ومختلف العادات والتقاليد العربية ، يشعر السائح بالراحة عندما يجد المكان وكأنه ماكيت مُصغّر من بلاده ، وقد شعرت سبأ بالراحة في هذا المكان ، وفي كل مكان تقصده وكأن أيار قد تمشي معها خطوة بخطوة تتحدث معها في منولوجها الداخلي ، وبعد أن قضوا وقتاً رائعاً هنا ، توجهوا لجولة أروع حول نهر التايمز المحاط بناطحات السحاب ومختلف الأبنية الجميلة وجسر برج لندن ، مكان أكثر من رائع ماء سلسبيل قراح ، ونُصب مذهلة على الجسر ، وبراعة معمارية تذهل العيون وكأنها ترى امواج شط العرب وأن كان الوصف بعيد جداً والمقارنه مجروحة إلا أنه المتنفس المائي الوحيد للبصريين الذين يغسلون فيه همومهم ، والزوارق البيضاء الراقصة ببطء كالأوز المغرور في وقوفه ، معلّم مُذهل من معالم لندن ، لا يمكن لأي سائح إلاّ ويزوره ويملأ روحه الظمآنه بهذه اللحظات الجميلة الأخاذة .

وعلى الرغم من هذه السعادة المتناهية لكل من يرى هذا المكان تبقى أيار غصة ألم في صدرها ، شعرت سبأ وكأن روحها تُصعد الى السماء أن لم تسمع صوتها ، فوقفت تنظر الى النهر الرائع وضحكات نوبها تتردد إصدائها في الأفاق فإستخرجت نقالها واتصلت بالحال بأيار ، وخفقات قلبها كادت ان تُجهز عليها ، فرنّ الهاتف في جيب أيار في ليلة خميسية قررت فيها المبيت مع عمته مروة ، لتُطلعها على رسائل ماري وترى اسلوبها ، فمدت يدها بكسل الى

جيبها وألقت نظرة فاحصة الى الرقم وعرضته على عمته وقالت رقم غريب وغير معهود لدي .

مروة مستغربة : ردي ... يا أيار .

أيار : كلا ... رقم غريب ... لا داعي ... فإنتهى الإتصال ولم ترد ... لحظات وعاودت الإتصال ، وتحت حث مروة ردت وقالت ... ألو ... ألو ... نعم ... ثم سكنت وراحت تسمع صدى أنفاساً وأن كان الصوت غير واضح ولكن شيئاً ما شدها ، أهتزت مشاعر سبأ الى درجة شعرت أن استمرت في سماع صوتها ستجهش في البكاء ... فأغلقت الخط فراحت دموع أيار بالإنهمار على خديها.

مروة بقلق : خيرا ... أيار ... ماذا ... حدث ...؟!

أيار متتهدة والدموع مسترسلة : هذه سبأ ... لقد سمعت أنفاسها المتعبة .

مروة مبتسمة : صحيح ... هل سمعتي صوتها ... عاودي الإتصال .

أيار : لا ... لم تتكلم ... لكنها ... سبأ ... روعي تقول ذلك ... فإطلعت مروة على الرقم وقالت ... هذا رقم دولي ... ثم راحت تعاود الإتصال فوجدت النقال مغلق ... فقالت متأففة ... يا ليتها فعلاً ... هي ... ويا ليتني أعرف ما هي دوافعها ، وكلية ثقة بصدق مشاعرهما وإخلاصها غير المتناهي لك يا أيار .

أيار باكية : عمتي ... أريد أن أنساها ... وأمحوها من حياتي ... لقد تسببت في إيذائي وتعاملت معي بمنتهى الكراهية والإحتقار .

مروة مبتسمة : حسناً حبيبتي إكرهيتها وتعاملتي معها على إنها نسج من الخيال.

أيار : يا ليتني ... أستطيع فعل ذلك ... ولكنها تسكن في دمي .

مروة مبتسمة : أذن (دع الأيام تفعل ما تشاء ... وطب نفساً إذا حكم القضاء)

، ولكن كيف تجزمين بأن هذا الإتصال من سبأ دون أيّ دليل قاطع أو بينة .

أيار : إن علاقتي بسبأ ... علاقة روحية ... ليس لها قرار .

مروة مبتسمة : لم ... أفهم حبيبتي ... بسطي المعنى لطفاً .

أيار : سلفاً كانت تتبع معي هذا الإسلوب ؟

مروة أقطبت حاجبيها وقلبت شفتيها : أيّ أسلوب بُنيتي؟!!

أيار بأسى : كانت تتصل بيّ بعض الأوقات عندما نكون على خصام لتسمع صوتي فقط .

مروة : وكيف؟!!

أيار : هي ... تقول لي ذلك ... تتصل وتسمع صوتي فقط ... دون أن تكلمني ... بحجة المشكلة في الإتصال .

مروة بأسى : أتمنى أن يكون حدسك صحيحاً بُنيتي .

وبعد جولة رائعة للعائلة حول نهر التايمز عاد الجميع الى منزل السيد يمان حذيفة القريب من منزل اخيه يعقوب أبا سيف الدين زوج أطوار وقد اشتد البرد فوق الحد الذي اعتادوه في جنوب العراق الحار ، وما هي إلا لحظات حتى تلبدت السحب ، وتعالى البرق والرعد ، ووسط هذه الأجواء الجميلة التي تجمع العائلتين إستأذنت سبأ وذهبت الى غرفتها ، إقتربت من النافذة لتعيش اللحظات التي تجمعها بالخيال ، استنشقت استنشاقاً طويلاً وهي تنظر الى المطر المصحوب بالبرد المتساقط من خلال النافذة ، ثم سحبت كرسيها وجلست تكتب ...

صديقة الروح ... لقد حلّ شتاء لندن ... تساقط الغيث ... وتراقص البرد اللؤلؤي ... على البساط الأخضر ... وكنت أنتِ أمامي ... في كل قطرة تلالأت ... وكنت أنتِ في كل بسمة ... وجدت طريقها على ثغري ... وبين حبات البرد رأيتك عليّ تتناثرين.

صديقة الروح ليتك هنا الآن ... فالسما سترسل غيثها ...

وما هي قطرات تتساقط ... بل قلوب تنثر حباً ... وما تزيدني إلا ترابطاً وتألّفاً ليس له قرار ... أحبكِ بعمق شوقي إليكِ ... فليتكِ تدرकिन ذلك ...

وبينما هي تكتب وغارقة في عالم الخيال ، طرقت أختها أنهار الباب ودخلت وكان معها زوجها شمس الدين ، فقالت لها بأنه يريد أن يتكلم معك وهو الآن

عند الباب.

سبأ : حسناً فلينظرني في الصالة .

أنهار مبتسمة : انه شمس الدين يا ماري .

سبأ : أعرفه زوجك ولا أريده أن يدخل الى غرفتي ويطلع على خصوصياتي .

أنهار : حسناً هلمي إلينا سننتظرتك وبعد لحظات لحقت بهما ووجدتهما جالسين مع العائلة جلست بتكلف وقد ازعجوها وسحبوها من خلوة الخيال التي كانت فيه .

الأب يمان : يا بُنيّتي ماري ان شمس الدين وجد لك عملاً .

سبأ : حسناً ... ولكن ما هي طبيعة هذا العمل أولاً ؟

شمس الدين : العمل في مكتب افتراضي وبالضبط في مصرف ألكتروني .

سبأ اقطبت حاجبيها : لم أفهم ... ماذا وكيف !؟

شمس الدين : أي تعملين عن بعد في مصرف ألكتروني يُدعى البيبال .

أطوار ممازحة : أي تتحكمين به عبر جهاز التحكم عن بعد(الريموت كنترول).

شمس الدين مبتسماً : نعم تستلمين طلبات الزبائن وتردين على استفساراتهم وتنظمينها على وفق استثمارات إلكترونية وتحولينها الى إدارة مصرف البيبال

Pay Pal التي تعملين لصالحه وربما تزورين الإدارة ان تطلب الأمر .

سبأ مبتسمة : ومن قال لكم بأني متخصصة في العلوم المالية والمصرفية الاللكترونية؟! فأنا لا أفقه أبجديات هذا التخصص فكيف أعمل فيه .

شمس الدين : المطلوب فقط إجادة اللغة الإنكليزية ... وستتعلمين الطريقة بسهولة.

أنهار : وما هي آلية عمل مصرف Pay Pal .

أم أطوار : صحيح ... نحتاج الى التعريف والتثقيف بالأمر لعلنا نعمل معها .

يمان ضاحكاً : نعم نعم ... نعمل وتحت أمره ماري نحتاج المال لنواصل الحياة.

شمس الدين : أن من يريد أن يزداد دخله بأسهل الطرق يسلك طريق الإنترنت

بالضغط على الإعلانات الإلكترونية وفيه تقوم الشركة بعرض مجموعة من الإعلانات للمشارك ويقوم بدوره بالضغط عليها مقابل الحصول على مبلغ عن كل إعلان ، والإعلان الإلكتروني الموجه للمستهلك ما هو إلا نتاج عقد يبرم بين طرفين هما المعلن ووكالة الاعلان ، ويعدُّ عقد الاعلان الإلكتروني من العقود التي تبرم وتنفذ عبر الانترنت ، وفي حالة الاتفاق على شراء مساحة اعلانية على الانترنت ، فإنه يجب تحرير عقد مكتوب بين الطرفين ، والإعلان التجاري أما أن يكون سلعة الهدف من إنتاجها او توزيعها تحقيق الربح ، وأما ان يكون خدمة تقدم للمستهلك ، وتفهم الخدمات هنا بمعنى واسع تشمل أنشطة متنوعة ومختلفة مثل أعمال وكالات السفر والسياحة وأعمال الوساطة وتنظيم العروض والمؤتمرات .

سبأ مبتسمة : لكني أريد الإفادة من تخصصي لأكون مترجمة محترفة ، وألم بكل تفاصيل اللغة الإنكليزية هنا وعن كثب، هذا هو مشروعني الذي يدور في خلدي الآن.

الأب يمان : والله أثلجتي صدري بُنيتي بهذا المشروع الرائع .

العم يعقوب : نعم مشروع رائع وبإمكانها أن تتعاقد مع كبريات الشركات للعمل كمترجمة فهنا الكثير من المؤسسات العربية التي تحتضن المترجمين العرب .

كم تمنى خالد لو أحرز على درجة النجاح في امتحان البكلوريا التي بذل فيه قصارى جهده منذ بداية العام الدراسي مستعيناً بأخته التي كانت في الصف السادس العلمي ، ولكنه وعلى الرغم من ذلك أكمل في مادتين وهما اللغة العربية والإسلامية ، خيم عليه الشعور باليأس والفشل والخجل من الدكتورة سُبُل التي كانت تدعمه بكل ما أوتيت من قوة ، وبعد أن وضع خالد نتيجة امتحانه بوجود بين يدي الدكتورة تمنعت فيها وتهلل وجهها سرورا وفرحاً : آه ... وأخيراً ... ظهرت النتيجة ... ألف ألف مبروك يا خالد ... أنها رعاية السماء لك .

خالد مستغرباً وقد أقطب حاجبيه : دكتورة أقرأني أرجوك أنا فاشل في درسين.
الدكتورة مبتسمة : والله أفرحتني هذه النتيجة ... وأثلجت صدري ... أنظر يا **خالد** ... فأنت ناجح في الإنكليزي والكيمياء والفيزياء والاحياء والرياضيات ... على الرغم من ظروفك الخاصة ... ودراستك الخارجية وعدم تلقيك الدروس من مدرسين ... أحرزت على معدل يمكن أن نقول (60) وهذا رائع يا **خالد** وأكثر من رائع ... أما اللغة العربية والإسلامية فإعتبرهما مؤجلتين وأبدأ من الآن بالدراسة والحفظ ... ولا أريد أبدأ أن أسمع كلمة الفاشل ... بمجرد إنك قبلت التحدي وواصلت الخطى للدراسة الخارجية هذا بحد عينه قوة عزيمة وإصرار وتحدي الظروف ... واصل ... ولا تتأثر ... فالحياة لا تقدم الفرص على طبق من ذهب لأياً كان ... والفرص تمرُّ على رؤوسنا كالسحاب فعلياً أن نتشبث بها بأيادينا وأرجلنا ... وأسناننا ... فقد لا تعود إلينا مرة أخرى ... ثم استطردت قائلة مبتسمة وهو ينصت إليها ، تكلم .

خالد مبتسماً متنهداً : لقد أفحمتيني ... بكلامك الرائع وتشجيعك الأروع ، وجعلتي الدماء تمشي في عروقي بعد أن تجلطت ، لقد تمنيت أن أحرز درجة النجاح لأقدمها إليك هدية على دعمك وتشجيعك ... ولكن ... (ليس كل ما يتمناه المرء يدركه ...) .

الدكتورة مبتسمة : حسناً .. سأعتبر نفسي استلمت نصف الهدية ... على أمل إستلام النصف الآخر ... ما هو رأيك ؟

خالد : إن شاء الله سأبذل قصارى جهدي في الدراسة ... وإن كنت في المواد النظرية ضعيفاً ... لأنها تحتاج الى وقت أطول للحفظ والإسترجاع .

الدكتورة : لا لا هذا كلام غير معقول ... وغير مقبول ... ومن الخطأ الذريع أن يتكلم المرء عن ... نقاط ضعفه .

خالد مبتسماً : أنا ... أتكلم أمام أمي والثقات فقط .

الدكتورة : ولا حتى أمام والدتك .

خالد معترضاً : ماذا ...؟! والدتي ... تفديني بحياتها ... وتعاملني بقدسية لم أر لها نظيراً ... وقد علمت أختي بأني في مكانة أبي بالنسبة لهم .

الدكتورة : أولاً أن أمك ستتألم من تصريحك هذا، أما الآخرون فسيعلنون على الملأ بنقاط ضعفك ولا تعرف ماذا ستفتح لك الحياة بعد نجاحك إن شاء الله .

خالد مبتسماً : أشكرك ... على كل هذا الدعم اللامحدود الذي يشعرني بأني ... أحب الحياة ... وأحب الإستمرار فيها .

الدكتورة مبتسمة : أنا ... أدمك ... وأحفزك ... لأنني أرّ فيك طاقة كامنة بإمكانك أستغلالها وإستثمارها سكتت برهة ثم استطردت قائلة ... أ ... هل تؤمن بالصداقة.

خالد مبتسماً : ومن منا لا يؤمن بالصداقة .

الدكتورة : ومن ... يا ترى ... أقرب صديق لك ...؟؟

خالد بهدوء : والله ... كلمة الصداقة بحر عميق بلا شطآن ... نعم لي أصدقاء في موقع عملي ومن منطقتي وهكذا ... ولكن وقتي ضيق ... مثلاً ... فارس وطائف وعبد الحكم ووراث وأيوب و... ومنذر .

الدكتورة تريد التكلم عن منذر ولكن بشكل غير مباشر قاطعته : أ ... صحيح ... بالنسبة لمنذر أعرفه ... ولكن الآخرون لا أعرفهم .

خالد مبتسماً : نعم صديقي منذر تعرفت عليه منذ أيام الدراسة ... والله ذكرتيني به ... مرت مدة طويلة ولم نلتق ... لكني كلما إتصلت به أجد النقال مغلقاً .

الدكتورة : ماذا؟! مغلقاً ... ولماذا!?!

خالد مبتسماً : في الأيام الأخيرة بدء يغلق النقال لعله يكون مشغولاً أو غير الرقم .

الدكتورة لم تحصل على أي معلومة منه متنهدة : حسناً ... لننصرف الآن .

خالد : حسناً ... دكتوراة في أمان الله .

أكتأب منذر من إتصال مروة وكلامها الشديد وعلى الرغم من عشقه وشوقه لها ، إلا إنه توصل الى نتيجة مفادها بأنها لم ولن تحبه وأنها أجبرت على قبوله بسبب اصرار والدها ، ومخطيء لو أعتقد بأنها ستتقبله اليوم أو الغد ولكنها تتلاعب بمشاعره من وجهة نظره ، وتتلذذ برويته مشدود الوثاق إليها يستجدي رضاها ، وإلا لما تعاملت معه بإسلوب المماثلة والتسويق والإرجاء ، وعلى الرغم من شعوره بالأسى والألم تمنى لو تتصل وتعتذر له ، ولكنها لم تتصل طوال أيام عدة ، مما قاده للشعور بالإغتراب الروحي الى الخروج من المنزل حاملاً حقيبتة الى جهة لم يبيع بها ، متذرعاً بذريعة السفر الى الشمال مع اصدقائه للإستجمام لينأى بنفسه عن الشعور بالألم بحسب وجهة نظره ، ولا أحد يعرف بهذه المشكلة عدا سُبُل التي أعتادت أن تشارك صديقتها أفراسها وهمومها ، ولعل سُبُل أشدُ تأثراً بالموقف من مروة التي عدت الأمر كنكتة سمة ومهما حدث سيعود ويعتذر .

سُبُل : أه ... يا مروة ... كم تغيرتي .

مروة منزعة : لم أتغير وكم يزعجني عندما يصفني الآخرون بالتغيير .

سُبُل وقد تغير صوتها منزعة : ومنذ متى ... تصفيني بكلمة (آخرون) .

مروة بهدوء وقد ترققت عيناها : أعذريني ... أرجوك ... فأنا متعبة ويشندُ تعبي كلما رأيت حالة والدي تتأزم ولا أعرف ماذا أفعل تحمليني أرجوك .

سُبُل متألمة : أنا ... أعذك دائماً ... ويؤذيني ما يؤذيك ... تكلمي معي ... أكتبي لي أن شنتي ... فرغي همومك في صدري لأتشاطره معك كما أعتدنا ... ألا ترغبي في الحديث معي .

مروة وقد تحشرجت العبرة في صدرها : كيف تقولين ذلك وهل لي غيرك؟
أبوح له بما يجول بصدري ؟

سُبُل ورغبة منها في تغيير مجرى الحديث : حبيبتي ... قرأت قبل سنين في إحدى كتب قصص الأنبياء بأن الله سبحانه وتعالى عندما خلق سيدنا آدم وضع

عجيبته قبل نفخ الروح فيه ، في بحر السعادة سنة واحدة وفي بحر الحزن أربعين سنة .

مروة قاطعتها : أوه ... يا سُبُل قد تكون المعلومة من الإسرائيليات .

سُبُل : وأن يكن ... نأخذ من الحديث عبرة .

مروة متتهدة : وأين مربوط الفرس ؟

سُبُل مبتسمة : أأ ... لأنك شخصية قيادية ... دائماً تسألين عن مربوط الفرس ...

وبالتحديد ... يا مروتى ... هل إتصلت بمنذر ... هل تصالحتما ... لماذا لا

تحدثيني ؟ لماذا لا تكتبي لي كالسابق ... !؟

مروة مبتسمة : ولماذا ... لا يتصل هو بي ... ويعتذر ... لم أخطأ بحقه لكنه

عنيد ويتدلل كالطفل ... ثم لا تقلقي عليه سيتصل وربما سيأتي أطمئني .

سُبُل : أتعرفين أفكر بالإتصال به .

مروة بشدة : إياك ... سُبُل إياك والإتصال به ... لقد تكلمت لك عن كل الذي

دار بيننا ولم أخطأ بحقه ولا قيد أنملة ... (من أعتذر بغير ذنب أوجب على

نفسه الذنب) .

سُبُل : يا حبيبتي ... حاولي بحكمتك ... أن تستوعبي شعوره بالتهميش

والإقصاء ، لقد حاولت أن أسمع أخباره بصورة غير مباشرة من خالد ، ولكني

أخفقت في الحصول على أي معلومة منه، يبدو إنه لم يبح بالأمر لأي أحد .

مروة : أكيد فهو كتوم ... كانت فريال صديقته المقربة ويتحدث لها عن كل

شيء ، ثم إني نبهته أنفاً عن عدم التحدث مع أي كان عن خصوصياتنا ، أه ...

يا سُبُل ... لقد كرهت أسلوبه وكرهت عناده وغيرته وشعوره بالتهميش ولاسيما

كلامه اللاذع (لا بد أن تعي ذلك إذا أردتي الإستمرار معي ، وإلا فأنت في حل

من أي إرتباط لا ترضيه نفسك ، وبأي لحظة تقررين سأنهي هذا الألم المستمر

، لقد تعبت روحي من إنتظارك كل هذه السنين) ، مللتُ هذا الحوار مللته .

سُبُل : ولماذا بإعتقادك يتولد لديه هذا الشعور ؟

مروة متنهدة : فلينسحب من حياتي ... إن أراد ... وفي ذلك راحة لكلينا ... لا يوجد توافق بيننا ... وهذه حقيقة اكتشفتها اليوم .

سُبل : يؤلمني والله ... ما سمعت ... ويُخيفني منك .

مروة منزعة : ماذا تقولين !؟

سُبل بألم وقد ترقرت عينها : نعم ... تتخلين وبهذه السهولة عن رجل عشقك بصدق منذُ صباه ، ماذا لو دخل الشيطان بيننا ... هل ستتخلين عني بهذه السهولة وكأننا تعرفنا صدفة على قارعة الطريق يا لسخرية القدر يا مروة يا لسخرية القدر ... على كل حال ... هذا شأنك ... في أمان الله .

مروة تأثرت وقد بان في صوتها : لحظة لحظة لا تغلقي الخط أرجوك ... كيف استطاع لسانك ان ينطق هذا الكلام ... أنا مروة أتخلى عنك ،أتخلى عن نفسي ولا أتخلى عنك والله أنت أحب لي من نفسي والأقرب الى روحي،ثم إستطردت قائلة مبتسمة والدموع تنهمر من عينيها،أتعرفين حبيبي ومن شدة حبي لك وإنشغالي بك في بعض الأحيان يغار منذر منك ، ويُعاتبني ويقول يا ليتك تمنحيني جزءاً من هذا الحب وأدور في أفلاكك مثلما سبل تدور في أفلاكك .

سُبل متأثرة : أذن لأجلي أمنحيه فرصة ثانية وأمنحي نفسك فرصة للصفح والتفهم .

مروة متأثرة بشدة : لقد أدتني كثيراً عبارته غير المسؤولة بقوله : (لقد تعبت روحي من إنتظارك كل هذه السنين) ، لا يقدر ظرفي ولا يتفهم حاجة والدي لي في مثل هذا الظرف الصحي المتأزم ، يربط كل شيء بالكرامة ، ولكني لم ولن أتخلى عنه ... بيد أنني أحتاج الى الوقت لتتصاغر الأزمة .

سُبل مستبشرة : الحمد لله ... فمُنذر نصفك الثاني الذي طالما تمنيته لك ،وهو الشخص الوحيد الذي لم أغار منه عليك،أتذكرين كم أنا غيورة في الثانوية .

مروة مبتسمة : نعم أتذكر ... وغيرتي أشد ... عليك ... كم كانت أيام جميلة .

سُبل مبتسمة : اليوم أجمل حبيبي ... لأننا متواصلتين ولن يفارقنا إلا الردى ،

ولكن حتى لا نبتعد عن الموضوع هل سنتصلين بمنذر بعد يوم واحد هل يكفي (24) ساعة ، أو هناك أمر لا أعرفه، ولكن على كل حال أوعديني بالإتصال به .

مروة مبتسمة : أعدك سأتصل ... ولكن بالضبط متى لا أعرف .

سُبل : لقد وعدتيني ... وأنا بانتظار آخر الأخبار .

مروة متتهدة : أشعر بتحسن الآن أيتها الطبيبة الرائعة لا تتركيني ... أرجوك

... أحتاج الى جلسات أخرى ... تجعل الدم يجري في عروقي .

سُبل مبتسمة : حبيبتى ... أنا معك في حلك وترحالك ... أنا معك قلباً وقالياً .

لقد اعتادت سبأ أن تتناقش بأي موضوع تقبل عليه مع أيار وتسمع

رأيها في الأمر ، واليوم لديها موضوع استراتيجي ومهم وهو الوظيفة التي

باغتتها والتي لم تفكر بها يوماً ، ولكنه منفذ جديد الى العالم الجديد والدخول في

عالم التقنية التي لا يفقه أبجدياتها أكثر من نصف الكرة الأرضية ، المهم الآن

أن تختلي بخيالها في غرفتها وتفتح صفحتها في الفيس بوك وتكتب لها حتى

وأن لم تجدها جالسة ، ولكنها تعرفها وتعرف أوقاتها وبالذقة المتناهية ، وان

الفرق ما بين توقيت العراق وبريطانيا ثلاث ساعات ، أي إذا كان الوقت لدى

سبأ الثالثة ظهراً فيكون لدى أيار السادسة مساءً ، وراحت تكتب ... وقد وجدتها

جالسة على النت .

مرحبا ... سيدتي الفاضلة ... كيف الحال والأحوال والأطفال؟؟

أيار إنتبهت الى رسالتها قرأتها والإبتسامة تشدق تشدق شديها : حياك الله وبياك

وجعل الجنة مثواي ومثواك .

ماري : كيف البصرة ؟ عنكم وكيف جوها ؟ ... هل تحسن ؟

أيار : البصرة ... حارة رطبة ... تصهر الأرواح في بوتقة الجسد ... في

الصيف ... وتنتشرها في الخريف ... أتعرفين أن ربيعنا في فصل الشتاء ، ولكن

الحمد لله الآن نحن في الشهر العاشر وقد ذهبت الرطوبة المقرفة .

ماري ضاحكة : هنا الجو أكثر من رائع .

أيار : نعم صحيح كركوك باردة منطقة شمالية جميلة .
 ماري وقد كادت ان تنسى انها من كركوك : ها ... صحيح ... كركوك رائعة
 وقد تذكرتك قبل مدة عندما أمطرت السماء هنا الجو رائع كم أتمنى أن ألتقيك .
 أيار : أأ ... ممم ... لا أحب الكذب ... وأقدس الصدق .
 ماري : خيراً ... سيدتي ... أرى الشيطان واقفاً ينظر لنا .
 أيار توقفت وتمعننت بهذه العبارة وكأنها سمعتها وتأثرت بها سحبت كرسيها
 للوراء بجسدها ثم عاودت تكتب : كيف تذكرتيني !!!
 ماري : تذكرت حديثك عن البصرة وقبضها ولكن ماذا تقصدين بالصدق والكذب .

أيار : لا لا ... عذراً ... لا تهتمي ... لقد شط فكري الى الوراء .
 ماري : تحدثي إلي بإمكانك الوثوق بي ... هل لديك مشكلة ... ألسنت صديقتك .
 أيار : لا ... لست صديقتي .

ماري : ولكن لماذا تتواصلين معي ما دمت لست صديقتك ؟
 أيار : تواصلت تحت إصرارك ... ولم أعديك بأي نوع من الصداقة .
 ماري : أه ... كم كانت عبارتك قاسية على كل حال أشكرك سيدتي ، وأعتذر
 ان فرضت نفسي عليك وأشكرك على تواصلك معي لبعض الوقت وداعاً .
 أيار متنهدة وقد شعرت بالذنب : أرجوك ... لا تتألمي من كلامي ... فعلاقتنا
 إلكترونية ... وهذا واقع الحال ... محكومة بمجموعة من الأسلاك الخالية من
 الروح ، وأعذريني أن لم أفاعل معك ... بسبب زكري أليمة جائزة على
 صدري أفقدتني الثقة حتى بنفسني ... أحاول أن أتناسى كلمة صديق أو صداقة .

ماري : أتعرفين بأن كلامك أبكاني ؟
 أيار مستغربة : لماذا ؟ أبكاك ... هل خدعتك صديقتك ؟

ماري : نعم خدعتني بعد قصة حب عميقة .
 أيار : وهل لا ما زلتني تذكرينها ؟

ماري والدموع تتصبب من عيونها : كلا ... كرهتها ... كرهتها ... لأنها لا تستحق دموعاً واحدة تسقط من عيني .

أيار : وكيف كرهتها !!؟؟

ماري : تعرفتُ على صديقة غيرها ... واكتشفت بأن كل شيء في الحياة يتغير وبإمكاننا أن نتغير وأن نُغير أنفسنا وأن لا نسمح للأخرين التحكم بمصائرنا ، وأنا أدعوك دعوة صادقة ... بالبحث عن صديقة أخرى ومحو الأولى بمحاة الأيام والتعلم من الماضي وإعتباره درساً أو أمتحاناً اجتزناه ... بنجاح أو فشل ... مجرد امتحان في الحياة ، ولا توجد قوة في الأرض تمنع الإنسان من التكيف مع كل ما هو جديد .

أيار متأثرة : أه كلامك رائع ويا ليتني أستطيع اجتياز هذه الأزمة ، ولكنها رحلت وتركت أسئلة كثيرة خلفها وعلامات استفهام كأغاز لم أجد لها حلاً .

ماري متأثرة : نعم ... هذا هو دين الأشباح ... تحطيم الآخر والرحيل دون وداع ، فلا تستحق منك هذه المخلوقة غير الإحتقار، ورميها في مكبات النسيان .
أيار : ليتها كانت شبحاً .

ماري متنهدة : وماذا كانت أذن ؟

أيار : كانت كتلة من المشاعر ... هكذا ... كاللون ... كالضوء في ظلمة الليل .

ماري مبتسمة والدموع تتصبب على خديها : أنا ... أعجب لقولك سيدتي .

أيار : ولماذا العجب !؟

ماري : أنت سيدة كبيرة ... وأم ... وزوجة ... ولك حياتك الخاصة ... ألم تنسيك زحمة الحياة ... وقفة سابقة مع مجرد صديقة .

أيار مبتسمة : الحب الحقيقي لا يموت ... وان كانت لا تستحقه ... فقد كنت اهتم لوجودها في حياتي كأهتمامي بعائلتي كجزء لا يتجزأ من حياتي .

ماري والدموع تتصبب من عيونها : وهل تتمنين رؤيتها ؟

أيار متنهدة : أكيد ومؤكد لا ، لأستجدي عطفها وشفقتها لأنها لا تستحق حتى

الذكرى، وإنما لأسألها فقط لماذا هجرتني دونما سبب؟ سؤال أفض مضجعي؟
 ماري : ولكن ألا ترين من العجب أن تتحدثين عنها بكل هذا النبل والأخلاق
 العالية وهي التي خدعتك وهجرتك وأذتك؟

أيار : لم تؤذيني ... بمعنى الأذى الذي تفهميه ... ولكن أوجعني فراقها .

ماري : ألم تخبرك بأنها ستهاجر .

أيار : نعم ... أخبرتني .

ماري : أذن وأين المشكلة ما دامت قد أخبرتك .

أيار : ذهبت بغتة دون وداع .

ماري والدموع تتصبب : أذن الأمر معروف وواضح .

أيار : ماذا تقصدين بمعروف وواضح؟

ماري : معذرة على عبارتي التي سأكتبها ... أقصد كما يقولون عند نهاية كل
 فلم ... النهاية ... لو كانت تكثر لك لودعتك ولكنها لم تأبه حتى بتوديعك ...
 فمثل هذه المخلوقة لا تستحق منك إلا الرمي في مكبات الماضي السحيق .

تشهد عائلة سراج الدين فرحة غامرة اليوم بمجيء حفيدهم الأول الى
 الحياة وكانت مروة من ضمن الذين رافقوا طيبة الى مستشفى الولادة ، وبينما
 كانت تجلس مع أم قتيبة في صالة الإنتظار رأت رجلاً ومعه امرأة تحمل طفلاً
 على كتفها يدفعان كرسيّاً متحركاً عليه شابة تتأوه من ألام الولادة ، وحالما
 دخلت أقدامهما باب الصالة بدءاً بإسلوب الشحن والتعبئة للموظف الجالس عند
 باب صالة الولادة ، وراح الرجل يقول ... رأيت هذه السيدة في الشارع وأنا في
 طريقي الى المنزل مع عائلتي ولم أحتمل الموقف فحملناها بسرعة الى هنا ،
 أرجوكم ساعدوها لقد أوشتك على الولادة فنهض الموظف متعاطفاً وحرك
 الكرسي الى الداخل بسرعة وأستلمتها احدى المرضات وسارت بها الى حيث
 غرفة الصالة ، وكل الحاضرين أنشغل في الدعاء لها ولغيرها ، فالأجواء هنا
 مقرفة ومحطمة للأعصاب من شدة الصراخ المتعالي وشد الأعصاب للمرافقين

، التي لا تهدأ إلا بإعلان البشرى من قبل الممرضة ، لا سيما وأن مروة بكت اليوم على وفاة إحدى النساء بعد إجراء عملية قيصرية شهدت فشل في إداء إحدى الطبيبات ، ولعل أكثر ما أبكاها أنها أمّاً لعدد من الأطفال ، المهم بعد الفينة والفينة تظهر الممرضة لتزف النبا وبعد مرور نصف ساعة خرجت مبتسمة لتزف البشرى بولادة طفل جميل للسيدة هالة ، وهي تتظر مبتسمة بوجوه الحاضرين ولكن الحاضرين أنفسهم ينظرون بوجوه بعضهم البعض والكل يتساءل من هالة؟! وأين ذويها؟! وعندما لم تجد إجابة غارت البسمة في جوفها وراحت توجه الأسئلة الى الموظف عنها وطلبت منه أن يراجع الاستثمارات ويخرج لها استثمارة هالة .

وبعد أن راجع الموظف الاستثمارات لم يجد استثمارة بهذا الاسم ، فقالت كيف ذلك ومن أين دخلت هذه السيدة وكيف لم تنظم لها استثمارة دخول كما هو معتاد عليه في هذا المكان ، وعلا صوتها بتحميله المسؤولية كاملة على هذا الخرق فلا بد عليه ان ينظم استثمارة بالإعتماد على هوية الأحوال الشخصية للزوجين ، عندها تذكرت مروة الموقف الذي أثار عاطفة الناس السيدة التي وجدوها بحسب زعمهم انها في الشارع ، فتذكّر الموظف وراح يركض الى خارج الصالة فلعلمهم ينتظرون في الخارج ولكنهم اختفوا دون أن ينتبه لهم أي أحد ولا حتى الموظف المسؤول عند باب هذه الصالة .

خيم الذهول على وجوه الحاضرين حول هذه السيدة إذ كيف لعائلتها أن ترميها في المستشفى وتذهب دون أن تسلم على الأقل أوراقها الثبوتية ، وما هي إلا خطرات حتى دخل أثنان من رجال الشرطة الى المستشفى وراحا يستفسران عن الأمر من الموظف المسؤول ، ثم انفردا بعدد من الأطباء وراحا يُدونان أقوالهم ، فإستشفت مروة والحاضرون بأن هناك أمراً جلاً استدعى حضور رجال الشرطة وفتح محضر للتحقيق عن الأمر ولكنها لا تعرف بالضبط ماذا؟! ففكرت بفكرة سديدة تجعلها تحصل على الأخبار من الداخل

وبالدقة المتناهية ، فقامت بإعطاء إحدى العاملات في داخل الصالة مبلغاً من المال جعلها تطير بجناحي نسر ، مقابل ان تتقصى لها أخبار السيدة هالة وماذا يحدث لها وما سبب وجود الشرطة ، وبالفعل نجحت الخطة وانطلقت عاملة التنظيف والسطل يتدلى بيدها اليمنى والمكنسة في اليد الأخرى ، لتتقصى الأمر ولا تعود إلا وتجلب كل البيانات المطلوبة منها ، وبعد أن جمعت البيانات جاءت الى مروة لتقص لها القصة .

مروة : ها ... سيدتي ... هل رأيتي هالة وهل هي وطفلها بخير ؟

العاملة مبتسمة : أولاً ... أراك مذهولة ... لا تتعبي نفسك كل يوم يمرّ نرى فيه الأعاجيب ... فهالة وطفلها بخير ، فقد أترفت بأنها مخطوفة منذ سنة وهي تعيش عند هؤلاء الناس الذين أحسنوا عليها طوال هذه المدة .

مروة وقد احمر وجهها وارتعدت فرائصها : يا للهول ... يا رب سلم سلم .

العاملة : وتقول بأنها تعرف أبا هذا الطفل وإنه في السجن الآن وأهلها يعرفون بذلك ، وهناك محضر في مركز الشرطة والقضاء يوثق كل أقوالها .

مروة وقد بدء العرق يتصبب من على تقاسيم وجهها : وماذا عنها وطفلها الآن ؟

العاملة : ستبقى محجوزة ... في غرفة خاصة هنا ... ويمنع عنها الزيارة ... الى حين مراجعة والتثبت من وضعها القانوني والعائلي .

مروة بأسى : أسأل الله أن يلطف بها وبطفلها ، سأعطيك مبلغاً من المال وأرجو منك ان تشتري فيه كل مستلزمات الطفل ، فهذا طفل برىء لا يُعاقب بجريرة أبيه .

العاملة : حسناً ... أعدك بذلك ... وكثر الله من أمثالك ... يا أبتني .

على الرغم من برودة الجو في لندن إلا جمالها الساحر يدعو كل قاطنيها الى إغتنام كل اللحظات في الإطلاع على معالمها الجميلة ، فكلما خرجت أطوار وأنهار في نزهة إلا وأخذوا العائلة معهم ، ولعل الدافع الأكثر هو زج سبأ في

الحياة الجديدة وإخراجها من صومعة الحزن غير المبرر من وجهة نظرهم ،
واليوم توجهوا الى حديقة سانت جيمس بارك في قلب لندن ، بجوار قصر
بكنغهام ، قصر الملكة ، صدق من قال (لكل غريب وحشة ولكل جديد دهشة)
، الجمال يريح القلوب ويجدد الأرواح المتعبة ، وبعد أن قضوا وقتاً رائعاً لا
يمكن ان يُنسى موثقاً بالصور توجهوا الى بعض الأماكن الترفيهية الأجل ،
وقد لعبوا كثيراً عند تساقط الثلج والكل مهتم بسبأ التي راحت تتكيف معهم
وتبادلهم رمي الثلج وسط الضحكات المتعالية ، وبعد قضاء وقت رائع للعائلة
توجهوا الى أحد المطاعم القريبة وتناولوا مشروبات ساخنة وبعض المقبلات ،
وقد تعرفت سبأ على عدد كبير من الأصدقاء بسهولة لأنها تجيد اللغة الإنكليزية
، ثم عادوا أدراجهم الى بيوتهم والبشر يطفح على وجوههم ، وقد توجهت سبأ
الى غرفتها ورمت بجسدها على سريرها وهي تنظر الى نافذة غرفتها ، كان
منظر الثلج رائعاً ولأول مرة في حياتها تشاهده وتتلمسه بيدها ، ثم نهضت
بسرعة وفتحت النافذة على الرغم من برودة الجو وأخرجت يدها لتلامس الثلج
المتساقط برقة ، لقد تحركت مشاعرها بقوة وتمنت لو ترى أيار هذه المناظر
الجميلة معها ، فأغلقت النافذة وراحت تخاطبها كما اعتادت رسائل بأنامل القدر
ولعلها تسمع .

صديقتي الحبيبة ...

ما أجمل ما تراه عيني هنا ... وكأني في حلم جميل ...

أقف خلف النافذة الآن ... والثلج يتساقط بنعومة على الأشجار ...

كم هو رقيق ذلك المخلوق ... يحمل كما كبيراً من المحبة ...

وكأنه لمسة حب وحنان ... من الله على قلوب أنهكتها الحياة ...

أتمنى لو يحملك لي الثلج ... وينزلك بنعومة عليّ الآن في غرفتي ...

كم أشتاق لك ... لبيتك تدرकिन عمق شعوري ... ولهفتي المجنونة ...

ثم سحبت حاسوبها اللابتوب لتفتح النت (الفيس بوك) لتتواصل مع أيار
وراحت تكتب ... مرحبا ... سيدتي الفاضلة ... ألم يبدر جو البصرة ؟
أيار مـمازحة : حياك الله ... بُنيتي ... نعم ... برد وتساقط الثلج .
مـاري مـبتسمة : هل رأيتي تساقط الثلج في الشمال ؟
أيار : لا ... والله ... زرت بغداد فقط وجوها يشابه البصرة تقريبا .
مـاري : أه ... يا سيدتي ... كم أتمنى لو ترين الثلج ... والله منظره أكثر من
رائع ... كأن يد خفية ساحرة تربت على الأجساد المتعبة التي أنهكتها الحياة .
أيار مـبتسمة : حسناً ... سأشاهده في التلفاز .
مـاري : يا ليتك ترينه على الواقع فيه طاقة هائلة من المشاعر النقية الفياضة ،
ولاسيما عندما ينزل بلطف ويُدغدغ مشاعرنا المتوارية تحت ملابسنا الثقيلة .
أيار : أسلوبك رائع ... يُذكرني بملفات قديمة أكره فتحها .
مـاري : أسفة ... سيدتي ... أنا ... لا أريد أماطة اللثام عن ماضي متهاراً ...
أُتفقنا على دوسه بالأقدام العسكرية ... دون رحمة ولا رافة ... ولكني أحببت أن
أفتح عينك على مصدر من مصادر الجمال في الكون رأيتُه بعيني ... وتمنيت
لو يكن أمامك .
أيار : أتعرفين يا مـاري ... أنتِ تثيرين التساؤل ... والحيرة .
مـاري : لماذا سيدتي؟!
أيار : أنت تعرفين بأن علاقتنا ألكترونية ... ولم نر بعضنا .
مـاري : وماذا ... تريدين قوله؟! يا ... سيدتي ...؟
أيار : وكل لحظة ... تنهالين عليّ ... بموجة ... عارمة من المشاعر .
مـاري متألّمة : وأين المشكلة ... يا سيدتي ...؟!
أيار متتهدة : أرجوك أنسي ... الأمر ففكري مشتت وأحتاج الى الوقت لكي
أتكيف على نفسي الجديدة وعلى الآخرين، فجرحي غير ملتأماً ولا يزال ينزف .
مـاري متألّمة : بإمكانك الوثوق بي ... افتحي لي صدرك .

أيار متتهدة : لا ... أرجوك ... اتركيني الآن فصدري ضيق ... لا إله إلا الله .
ماري وقد تفرقت عيناها : حسناً ... سيدتي ... محمد رسول الله .

كانت سُبُل بانتظار اتصال مروة لكنها راحت تتصل بمنذر قبل مجيئها الى العيادة ولكن نقاله مغلقاً فأثار في نفسها التساؤل وقد سمعت هذه المعلومة من خالد قبل أسبوع وعندما وصلت الى العيادة وجدت (خالد) بالانتظار حالما جلست على كرسيها راحت تسأله بالحال خالد ،أتصل بمنذر أريد أن أسأله حول الأجهزة هنا كما تعرف بأنه هو من زودني بها ... رغبة مني حول تجديدها .
خالد : والله .. يا دكتورة أنا أتصلت به أكثر من مرة ولكن نقاله مغلق ولا أعرف السبب .. مرّ اسبوع كامل ونقاله مغلق وكأنه غير رقمه .

سُبُل : ما هي أخبار ... الدراسة؟!!

خالد : والله اليوم ... لم أفتح كتاباً ... صدري ضيق ، كان لدي عمل في العشار على مقربة من شط العرب فرأيت جمهرة من الناس على الشط فإقتربت وسألت فقالوا ... للأسف شاب رمى بنفسه في الشط ، وتسارع الصياديون محاولين نجدته لكنهم للأسف وبعد نصف ساعة من التجمهر لم يجدوه ... حقيقة ألمني الموقف ... والمشكلة لم نجد أحداً من ذويه ، وأنا أتساءل كيف لإنسان أن يقترب هذه الخطيئة بحق نفسه وبحق ذويه، ولكن حقيقة لا أحد يعرف ظروفه ربما قاسية ولم يحتملها ، لا أريد أن أبرر فعلته هذه ، لأن قتل النفس من الكبائر وطوال اليوم الموقف مائل أمامي ، يقول الله تعالى : **{ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق (151) }** سورة الانعام .

سُبُل وقد أربها الخبر وثار في نفسها الشكوك : اللهم نسألك اللطف بنا جميعاً ... الله أعلم بحاله وبظروفه ... ولكن هل يعرفه أحد أو على الأقل أوصافه .
خالد : لا ... فقد قالوا شاباً ... لقد باغت الجميع بفعلته هذه .

سُبُل متتهدة : والآن أرجوك ... أدخل المرضى لنتتهي على وقت .

خالد : دكتورة بالنسبة لمنذر ... ربما سأذهب الى منزله أن سمح لي الوقت

للسؤال عنه ... ماذا أقول له عندما أراه ... ؟

سُبل : لا ... أشكرك ... أسرع بإدخال المرضى .

لقد توجست سُبل خيفة من كلام خالد وأسرتها في نفسها وراحت تعمل بسرعة لتنتهي عملها وتذهب للبيت مباشرة لتتصل بمرودة ، وبالفعل ذهبت الى منزلها إلا أنها أنشغلت مع والدتها في المطبخ وبعد جلسة عائلية على العشاء ومراجعة شاملة لأحاديث النهار في المنزل توجهت الى غرفتها وفكرها مشدود فرمت بجسدها المتعب على سريرها مستلقية على ظهرها شادة بيديها على صدغها شاعرة بنوع من الصداع ، فهضت متوجهة الى ثلاجتها الصغيرة عند زاوية في غرفتها مستخرجة قنينة ماء صغيرة وقرصاً مهدئاً ، فتناولته وشربت القنينة كاملة ، ورمتها على الارض كشعور بالإنزعاج وجلست على كرسيها خلف مكتبها الصغير ، مصوبة أنظارها الى القنينة المرمية على الأرض وهي تقول في دخيلة نفسها : طيبة وترمي على الأرض فلا عتب على الصغار ، ثم نهضت ورفعته ووضعته في سلة قريبة من مكتبها ، وسحبت الدرج مستخرجة حقيبتها لتستخرج نقالها وتتصل بمرودة : مرحبا بمرودة .

مرودة مبتسمة : أهلاً حبيبة قلبي ... يبدو الخطب جلاً ... من مناداتي دكتورة .

سُبل منفعلة : نعم ... جلل ... مرّ أسبوع وأنا بانتظارك تركتيني على الشحن .

مرودة ضاحكة : يا للهول ... أهدئي ... حبيبتني ... ما هذه المصطلحات الرنانة ... أنا ... مرودة أضحك على الشحن وأنساك ... لكني ... أنشغلت أعذريني .

سُبل منزعة : وبماذا ؟ أنشغلتني ... بحق السماء .

مرودة مبتسمة : باركي لنا ... جاءنا مولود جديد أول حفيد لأخي سراج الدين

أبن قتيبة ... والله لقد فرحت كثيراً ... وأنشغلت معهم .

سُبل : ها ... ما شاء الله ... تبارك الله ... مبروك مبروك يجعله الله من أبناء

السلامة.

مرودة مبتسمة : وقد ذهبتُ مع أم قتيبة الى المستشفى وقد كان الجو مأساوياً ...

للنساء ، حقيقة تحطيم للأعصاب ... ولكن الشيء الأبرز الذي أثار ذهولي وخوفي ... وجود حالة هالة (كيت وكيت) ، هذه المرة الأولى التي أدخل فيها مستشفى الولادة.

سُئِلَ بعد إنصات : مروة ... وقّفي الحديث عن الآخرين وأهتمي بنفسك .

مروة وقد غارت بسمتها : سُئِلَ ... لماذا تُكلميني بهذه الطريقة الموجهة ؟

سُئِلَ بجد : مروة ... أين ذهب منذر !؟

مروة مستغربة : ماذا تقصدين بأين ذهب منذر ؟ لقد أتصلت به كما وعدتك ... ولكن نقاله مغلقاً منذ يومين .

سُئِلَ : بل نقاله مغلق منذ أسبوع يا ... دكتوراه وأنت تضحكين دون مبالاة .

مروة بهدوء : وكيف عرفتي !!؟!

سُئِلَ : خالد أخبرني بأنه قلق عليه وأنه قد إتصل به منذ أسبوع ولكن نقاله مغلقاً ، وتصوري بأنه تصوّر واهماً بأنه قد يجد أخباره عندي من خلالك .

مروة : منذ أسبوع ... يعني من حينها .

سُئِلَ : نعم من حينها وأنت لا تعرفين عنه شيئاً هل إتصلت في بيته لتسألني عنه .

مروة : ومن هم بيته ... أنت تعرفين ... هو ذاته بيت أختي أسيل ... وماذا سأقول لها ها ... تعاركنا ... الأمر ... محرج ... كانت فريال حلقة الوصل ... ولكن ماذا نفعل للأقدار التي تحيك حتى ملابسنا .

سُئِلَ : ألا ... تخشين ... من إصابته بمكروه ... إذ ليس من عادته غلق النقل ... وقد اعتاد كما تذكرين أن يُكلمك كل يوم ... ماذا دهاك يا مروة تفرطين بهذه

السهولة برجل يعشق البسمة على محياك منذ صباه تعاملينه معاملة الغريب ... والذي أثار خوفي ورعبي خبر انتحار شاب في شط العرب بمواصفاته .

مروة وقد ارتسمت علامات الخوف على وجهها : يا ... إلهي من قال لك ذلك .

سُئِلَ : الحادث مروّع من البارحة وكل الناس تتحدث به .

مروة مرتبكة : حسناً ... اغلّقي الهاتف الآن لأتصل بأسيل وأسألها عنه .

سُئِلَ مبتسمة : حسناً ... سارعي سارعي الى اللقاء وبالحال إتصلت بأسيل .

أسيل مبتسمة: أهلاً حبيبتي مروة من زمان لم نسمع صوتك كيف حال والدي .

مروة مرتبكة : أعذريني ... على التقصير فمشاغل الحياة كثيرة ... والدي ان شاء الله سيكون بخير ، هل منذر موجود ... اتصلت به ولكنه لم يرد .

أسيل مستغربة : ماذا ؟ تسألين عن منذر ... ألا تعرفين ؟ بأنه مسافر منذ مدة .

مروة : ماذا ؟ مسافر ! متى وكيف وأين ومع من ؟!

أسيل مستغربة : أخذ حقيبته وخرج ... لكن ألا ترين ... الأمر غريباً ... يسافر دون أن يخبرك ... هناك مشكلة بينكما ... يا مروة .

مروة منزعة : لا لا ... لا شيء ... لكن أرجوك ... إذا إتصل أخبريه بأني أحتاجه ، الى اللقاء ... فأشعلت نيران القلق والخوف والتساؤل في صدرها من كلام سُئِلَ حول الغريق ، وهل يُعقل بأنه هو ... لا ... لا ... هذا عمل طائش ومنذر أنضح من ذلك بكثير ... ولكنه يُحبنى بجنون كما يذكر لي ... أيعقل بأني دفعت به الى هذا المصير يا إلهي دبر لي الأمر ماذا أفعل وراحت تستذكر بعضاً من كلامه الأخير ، (أنت تعرفين إمكانياتي وأنا أبني نفسي بالإعتماد على قدراتي ، ولم أجد كل شيء جاهزاً أمامي مثل الآخرين ، لذلك لا بد أن تعي ذلك إذا أردتي الإستمرار معي ، وإلا فأنت في حل من أي إرتباط لا ترتضيه نفسك ، لقد تعبت روحي من إنتظارك كل هذه السنين ، وأنت تماطلين ، ولا أعرف موقعي في حياتك ، وأنا والله مستعد للخروج من حياتك والهجرة حتى من العراق ، سأهاجر بعيداً الى أبعد مكان في الكون ، رنّ نقال سُئِلَ لكنها تجاهلته ، لم تجد في نفسها الرغبة في الرد وبالأحرى لا تمتلك أجوبة على أسئلتها التي تعرفها مسبقاً فأرجأته الى وقت آخر ، ثم راحت تتكلم في دخيلة نفسها ... نعم يا مروة ... لقد قال ... سأهاجر بعيداً الى أبعد مكان في الكون) قد تصرفني بغباء وغرور وعدم اكتراث ... وتصورتي بأنه سيبقى مشدوداً الوثاق على بابك ... دون كرامة ... ولكني لم أتقصد الاساءة إليه ... فقد أردته

أن يتفهم وضعي ... ويعيش معي هنا في بيتي ... بعيد عن تلك الكرامة التي تخلق حاجزاً كونكريتياً بيننا كلما أقتربنا من بعضنا ... فترقرقت عيناها بالدموع وهي تقول ... كم أشتاق لك يا فريال ... صحيح ان الإنسان لا يعرف مكانة الشخص في حياته إلا بعد أن يفقده رحمك الله وأسكنك فسيح الجنان ... والله أحبك يا منذر وأحتاجك كثيراً ، كم أشتقتُ إليك وكم أتمنى رؤيتك سالماً مُعافى ... ثم إنفتحت الى مكتبها وتناولت نقالها وراحت تتصل ولكن الرد ذاته النقال مغلق ... فشعرت بأنها وسط بركان من الحيرة والألم والقلق ... وراحت تردد (اللهم لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف بنا) ، وسُئِل مستمرة في الإتصال دون إنقطاع ، حتى جعلتها تفتح الخط .

سُئِل بتوتر : ماذا دهالك ... لماذا لا تردي عليّ ... ألم تسمعي إتصالي .
 مروة بفتور متنهدة : أعذريني ... يكاد القلق يجهد علي لا أعرف ماذا أقول وصدري ضيق .. أشعر بأني وسط جلبلة مظلمة .
 سُئِل بتوتر : أرجوك .. يا مروة أرجوك ... تكلمي معي بإسلوب مباشر وأبتعدي عن هذه العبارات ... هل إتصلت بأختك أو فريال ؟
 مروة : نعم إتصلت بها وقالت بأنه أخذ حقيبته وخرج منذ أسبوع ولم يقل لهم الى أين.

سُئِل بتوتر : يا إلهي ... كل الإحداثيات ... تتكلم من نفس الوقت .
 مروة متأثرة : سأذهب بعد ساعة الى شط العرب .
 سُئِل متعاطفة : يا مروة لا تقولي ... بأنه .
 مروة : لا ... وألف لا ... فمندر ناضج ... ولا يُلقي بنفسه الى التهلكة ... ولكني أشعر بموجة عارمة من الكآبة تجتاح صدري .
 سُئِل : حسناً ... سأستأجر سيارة وأمر عليك بعد ساعة ان شاء الله .
 مروة : لا ... لا تُكَلِّفي نفسك ... فلديك عيادة سأذهب بمفردتي .
 سُئِل بتوتر : مروة نبهتك أنفاً من هذه الطريقة التي تُعامليني بها، ولكني وبسبب

هذا الظرف سأتجاوز وأعتبر نفسي لم أسمع، سأجرك بعد ساعة لدى الباب .

مروة برضا : حسناً ... سأنتظرك ... فأغلقت **سُئِلَ** الخط وراحت تتصل **بخالد** وبعد التحية قالت : لا تذهب للعيادة ... اليوم إستراحة .

خالد : خيراً ... ان شاء الله دكتورة ... عساك بخير .

سُئِلَ : لا ... لا شيء سأذهب مع **دمروة** الى شط العرب للإستجمام ، ولكن هل سألت عن **منذر** كما قلت لي البارحة .

خالد : أن شاء الله سأذهب عصر اليوم الى منزله واسأل أخاه **أبا فريال** عنه ، ولكن لماذا لم تسألني **دمروة** عنه فهو زوجها .

سُئِلَ : لا تعليق لدي يا **أبا الوليد** .

خالد مبتسماً : ها ... فهمت ... ان شاء الله سأوافيك بأخباره قريباً .

سُئِلَ مستغربة : وماذا فهمت ؟!

خالد مبتسماً : الآن فهمت ... هناك زعل ثقيل لدى **منذر** مع **دمروة** ... وهو بطبيعته يهرب من الواقع أن شعر بالزعل فكيف وإن جاء من عشق وروحه وحياته ، وإلا لماذا تسأليني عنه ولديك زوجته أيعقل ذلك يا سيدتي .

سُئِلَ متتهدة : تحليلك صحيح ... ولكن أرجو أن يبقى الأمر بيننا ... لأن **مروة** لا تحب التحدث عن مشاكلها أمام الآخرين .

خالد : أفهمك يا سيدتي ... وسنعمل جاهدين على ردم ذات البين ان شاء الله .

سُئِلَ : حسناً ... أشكرك ... سأذهب الآن وسأكون بانتظار إتصالك .. فخرجت مسرعة الى الشارع واستأجرت سيارة أجرة والمسافة ليست بالطويلة لأنها في ذات المنطقة وقبل ان تصل لدى الباب اتصلت بها لتخبرها بأنها ستكون قريبة حتى تخرج إليها وعندما اتصلت بها كانت **مروة** في الحديقة تداعب **عبد الرحمن الصغير** قرب **زكية** وما ان جاءها الإتصال حتى أعطته لأمه وخرجت ، وهكذا سارت بهما السيارة وفي قلبيهما تساؤل وخوف كبير من مصير **منذر** ، فهل يكون هو الذي أنهى حياته على محراب العشق تحت وطأة وتأثير من أحب

، شعور بالذنب يحوم حول مروة وتشتت فكر وانعدام تركيز ، وهكذا حتى وصلنا الى شط العرب وبالتحديد الجلوس في ظل تمثال السياب هذا المكان المحبب لكل منهما ورغبة في استنشاق الهواء العذب ورؤية الأمواج الرائعة ، ولكن حالما وصلنا وقيل أن تجلسا ، شاهدنا جمهرة كبيرة من الناس والشرطة والغواصين وجلبة متعالية ، فأنقبض قلب مروة وراحت دموعها تتصبب من على وجهها : **سُئِلَ ماذا لو ... كان ... الغريق منذر .**

سُئِلَ بتأثر شادة على يدها : أذكري الله حبيبتي .

مروة : تعالي نقرب من الناس ... أرجوك ... لنقترب قليلاً .

سُئِلَ متتهدة : حسناً لنقف على مقربة فقط ، وبينما هما تقتربان ، حتى تعالت الأصوات بالبكاء من ذوي الشاب وتناقلت الأفواه معلوماته بعد إخراجها من الشط ، وقد تشابكت كل الأيدي لنقله الى سيارة الإسعاف ، وقد كان عمره عشرون سنة وأسمه شاهين ، فأجهشت مروة بالبكاء الحار دون إنفكاك وهي تضع رأسها على صدر سُئِلَ ، ولم تعرف سُئِلَ هل جاء بكأؤها هذا ، لأنها أطمأنت على منذر ، أم لأن الموقف المأساوي حرك ذكرى أليمة جاثمة في ذاكرتها لأبنة أختها فريال .

إحتدم جدال مُعَاذٍ مع عائلته حول عمله الجديد في الفرقة الموسيقية التي تعمل في فندق قصر النور الملكي ، ولعلّ أشد المعارضين والدته التي تزدري هذه المهنة وتعتبرها مُعيبية في حقه وعائلته ، ومضيعة للوقت ولكنه يُحاول أن يقنعهم بأنها مهنة كباقي المهن ووظيفة يتمناها الجميع ، والساحة التي سيبدع فيها ويطبق ما درسه على مسرح الحياة ، وإن الموسيقى وسيلة رائعة لغذاء الروح لا تضاهيها وسيلة ، ثم إنها تدرُّ عليه شهرة وأرباحاً كثيرة وقد تتعاقد معه شركات موسيقية كبيرة ، ولو لم يكن لقسم الفنون الموسيقية جدوى لما تهافت عليه المئات كل عام ، ثم إن مُعَاذٍ وبعد أن درس الفنون الموسيقية إحتترف الإختصاص وراح يشار له بالبنان في قسمه وكان يحيي الكثير من

المناسبات الوطنية في كليته ، واليوم يُطلعهم على قراره نعم إنه يناقشهم في الأمر ولكنه يعتبر قراره مصيرياً ولن يُثنيه أحد ولا بد على عائلته احترام قراره وعدم الوقوف في طريقه ، وليس المعيب ان يعمل الفرد في اختصاصه ولكن المعيب عندما يجلس بدون عمل في المنزل ، ويأخذ مصروفه من ذويه وهو بهذا العمل وقد تخرج من الكلية هذه هي وجهة نظره ، التي يريد أن يثبت للجميع بأن نظرة المجتمع قاصرة للموسيقى فليست المشكلة في فنها ، ولكن المشكلة في من يُسيء فهمها ويُسيء استخدامها ويجعلها ذات طابع سلبي بالضبط كالفرق ما بين الموسيقى الصاخبة التي (تصم) الأذان وما بين الموسيقى الهادئة التي تغذي الروح وتغازل النفس البشرية التواقة للتواصل مع من تُحب ولو في لحظة خيال .

الجزء السادس والأربعون

أما والده وعلى الرغم من إحترامه لقرار زوجته والذي يعده باتاً في كثير من الأمور ، إلا إنه علم أبناءه على حرية الرأي والإختيار الصحيح القائم على الأسس والمعايير ، فكيف وقرار مُعادٍ اليوم مستوحى من موهبة نمت معه من نعومة أظفاره وصُقلت على وفق منظومة علمية ، لكنه أبدى رأيه في التوظيف في مؤسسة حكومية تعمل في ذات الإختصاص ، وقد لاقى رأيه ترحيباً وقبولاً من مُعادٍ وأخوته فالوظيفة هي اللبنة الأولى لأي صرح مستقيم في الحياة ، ولا ضير أن يعمل في الفندق مع مجموعة من الموسيقيين الى أن يجد الوظيفة التي تحدد مسار حياته المهنية ، وبناءً على ذلك باشر عمله الجديد الذي اعتبره فرصة ذهبية لن تتكرر من حيث المكسب .

وبعد أن قضت مروة وقتاً تراجيدياً على أكتاف شط العرب دعته سُبُل الى التوجه الى إحدى الكازينوهات القريبة لتبعدها عن هذا الجو الكئيب وتناول بعض المثلجات وتجاذب أطراف الحديث بعيداً عن الضجيج .
مروة وفي فمها بعض الايس كريم : أتعرفين يا سُبُل ... الحمدُ لله أنا كنت واثقة بأن هذا الغريق ليس منذر ؟

سُبُل قلبت شفتاها مبتسمة :ها !! ومن أين لك بهذا الحدس ؟

مروة : لأنه يُحبني ويعشق الحياة لأجلي هو قال لي ذلك .

سُبُل متتهدة بلوم : وكيف تفرطين بهذا العشق ؟ ، ثم إنك أدنتي نفسك بفمك .

مروة مستغربة : كيف ؟

سُبُل : انه يعشق الحياة لأجلك ، لأنه يراك أنت الحياة ، وقد ... ولم تكمل .

مروة : ماذا ورائك اكلمي .

سبل : لا لا شيء ... أردت فقط ان أنبهك الى انك قد أوصدت الباب بوجهه .

مروة : نعم ... ولكن ان كان يُحبني فعليه طرق الباب مرة واخرى واخرى حتى أرضى ، وإن يوازرني في كل شيء .

سُئِلَ مبتسمةً بسخرية : وتقولين بإنك لستي مغرورة ولست أنانية .
مروة مندهشة وقد وضعت قذح المثلجات على المنضدة : سُئِلَ أنا مغرورة
 وأنانية؟! كيف تتكلمين معي بهذه الطريقة التي تخلو من الإحترام .
سُئِلَ وقد غارت بسمتها : أولستُ مرأتك كما تقولين لي دائماً ، فمن العيب على
 الصديق الصدوق أن يرى أخطاء صديقه ولا ينصحه وأنا أراك تخطئين بحق
 نفسك وبشدة ولا يمكنني السكوت ، وأنا أعاصر كل صغيرة وكبيرة في حياتك ،
 أنسييتي عما كنتِ تقولين لي بأن **منذراً** يتصل بك كل يوم وبعض الأحيان لا
 تردين عليه وعندما يُعاتبك تقولين له ، لا طاقة لي بالحديث ، فيحترم طاقتك
 ويُراسلك ويقول لك أكتبي لي ، تقولين لي لا طاقة لديّ على الكتابة ، وعندما
 يعاملك بإخلاص وشفافية ومشاعر صادقة ويسألك عما يحدث تقولين له لا ..
 تسألني ... بالله عليك يا مروة ... أيّ علاقة هذه ... والمشكلة بأن قرانك معقود
 عليه ... وتتعاملين معه بكل هذه الحدة والجفاء وعدم الإكتراث وكأنه ...
 شخص عادي ... وتأتين الآن ... وتقولين بأنك لا تتعاملين معه بأنانية ... بالله
 عليك كفي عن هذه التصرفات ولا تلعبين بالنار ، ثم راحت تخفضُ وتيرة
 صوتها وهي ترى صديقتها مطرقة منصنة شادة على يدها ... مروة أرجوك ...
 كوني قوية وواجهي كل شيء جديد ، فلم يأمرنا الله تعالى بأن نخرب حياتنا
 بذريعة القلق ... كلنا سنرحل عن هذه الحياة .

مروة بجزع وبصوت متحشرج : ماذا أفعل ليفهمني الجميع هل أرمي نفسي
 في البحر ، ثم لماذا؟؟؟ أنت تتفهميني وهو لا .

سُئِلَ مبتسمةً شادة على يدها : والله أحبك بحجم أنفاس هذا العالم ، ولكن لو
 عاملتيني كما تعاملين المسكين **منذر** سأصرف مثله وبإمتياز .

مروة سحبت يدها بقوة معترضة : ماذا تقولين يا سُئِلَ؟! أنت تؤذيني بكلامك .

سُئِلَ متتهدة : ليس من الرشادة عندما نتعرض الى هموم إن نوصد الأبواب بوجه من نُحب ، أتعرفين لماذا ؟ لأننا سوف نُؤذيهم ، المحبة بين الناس ليس فيها مواسم ، إما تواصل أو إنقطاع .

مروة همت بالنهوض : هيا لننصرف لا أطيق أكثر وأنت تنهالين عليّ باللائمة .

سُئِلَ مسكت بيدها : أجلسي حبيبي أرجوك ... لنواصل الحديث ، فليس الهرب من صفاتك ، حاوريني ناقشيني أو حتى جادليني بالتي هي أقوم .

مروة بقنوط : طاقتي نضبت .

سُئِلَ متتهدة : يا إلهي يؤذيني ما أراك فيه .

مروة وقد أحمرت عيناها متتهدة : حالة والدي الصحية تتأزم وتسوء كل يوم وكثيراً من الأحيان لا يقوى على المشي حتى في البيت فيستخدم الكرسي المتحرك .

سُئِلَ : حبيبي ... لذلك تحتاجين الى مآزرة روحية من محبيك الذين يفرحون لفرحك ويتألمون لألمك ... ها أنتِ تقولين بأن وضعه يتأزم ويسوء من الجلطة الدماغية ومشكلة القلب التي كان يعاني منها ولا تنسي فهو رجل كبير وفي التسعين من العمر ، لا أريد أن أحول الحديث الى صورة سوداوية ولكن الله تعالى منحنا العقول لتنفيأ بظلالها من لظى الأيام ، أنا أعذرك فوالدك رائع وأعذريني إن قسوت عليك ببعض المفردات والله يهمني أمرك ، ولكن هل تذكرين كتاب الصداقة والصديق ، قالتها رغبة منها لإمتصاص غضبها وتغيير مجرى الحديث لتخرجها من موجة الألم التي إجتاحها .

مروة فتحت عينيها باستغراب : ماذا؟؟!!

سُئِلَ مبتسمة مسترسلة : كتاب الصداقة والصديق الذي طلبتي مني قراءته عندما كنا في الإعدادية ، وهو من مكتبة والدك وأتذكر إنك قلت لي وقتها أقرأيه وتمنيتي أن يكون لي نسخة ثانية منه ، وقد قمت بقراءته خوفاً من أسئلتك من الغلاف الى الغلاف لتتأكدي .

مروة وقد إرتسمت بسمة خفيفة على محياها وسط الدموع التي تطايرت : نعم أذكر .

سُئِلَ مبتسمة : والمشكلة أنك كنت ترغميني على قراءاته هل تذكرين ؟

مروة : بالطبع أذكر وإنه من روائع الكتب التي تتكلم عن الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي ، فإيا له من مؤلف رائع ، موجة عارمة من المشاعر كالشلال الهادر ، ولكن يُعجبني أسلوبك .

سُئِلَ : أيّ أسلوب تقصدين ؟

مروة مبتسمة : الأخير هذا ، الذي يُغيّر مجرى الحديث كربان محترف يُجيد تغيير مجرى السفينة بسرعة البرق ، وقد أستفدت منه حتى في عملي .

سُئِلَ ضاحكة ممزحة : لم ... أفهم ... ؟

مروة مبتسمة وهي تعرف بأنها تتمازح : في كثير من الأحيان وأنا في أوج المحاضرة بعد إحتدامها وأنا أتجول في القاعة بين الطلبة أسأل هذا وأعنف هذا وأمدح هذا ، فتبدأ الذروة في الشرح والنقاش في موضوع المحاضرة وأثناء تجوالي ألمح الوقت في الساعة الجدارية المعلقة أمامهم فوق السبورة إن أقترب للنفاد ، وبينما أوصل الشرح والكل مُصغي إلي بعيون مشدودة وأيدي مرفوعة للمشاركة أقول لهم مع السلامة وأخرج بسرعة كالضربة المفاجئة التي يحتاجها المشهد الدرامي .

سُئِلَ ضاحكة : والله أسلوب لطيف ... ولكن ليس في يدك ساعة .

مروة مبتسمة : أكيد ... ولكن ... إن نظرت الى الساعة ... رأني الجميع ... وعرفوا بالنهاية هذا فضلاً عن إنني أتكلم بالمواضيع المهمة والتحضير والواجبات في بداية الدرس .

سُئِلَ بجد متنهدة : والله أنت أستاذة رائعة وأنا أفخر بك في كل مكان أقصده .

مرّت مدة طويلة ولم تُغيّر الأيام أيار ولم تفقدها الأمل في رؤية سبأ تسكن خيالها ، كما كانت وتغزو واقعها كما إعتادت ، وأحياناً كثيرة تنادي زوجة أخيها بسبأ ، على الرغم من شعورها بالإجفاف والظلم وإنهاء الصلاحية ، إلا إن شوقها فاق الحدود ، حتى مروة تغيّرت بتغيير ظروفها ، بل المسألة الأكبر أنها راحت تشعر بالخجل من البوح بهذا الشعور الذي يمس كرامتها إلا

عندما تسألها مروة ، وتحاول جاهدة أن تعيش حياتها في طولها وعرضها ولم تفكر بالوظيفة قط تسهر الليل وتنام النهار وقد تكيفت على هذا النهج من الحياة ، ولكن زوجة أخيها طيبة من النوع الذي يتدخل في شؤون العائلة وتسال عن كل صغيرة وكبيرة وتنقل الكلام بين أفراد العائلة فضلاً عن شخصيتها الدلوعة المتصابية المتقلبة المزاج مما جعل الفجوة كبيرة بينهما واستحالة بناء جسور الثقة والصداقة معها وإن الذي يربطها معها فقط التحية .

فكلما أحتدمت المشاكل المنزلية بسببها تحتاج أيار الى سبأ كثيراً فتختلي بخيالها وتحدثها وتمسح على صورتها شعوراً تلقائياً يشعرها بالراحة ، فضلاً عن أنها إعتادت الحديث مع ماري ورسائلها اليومية التي ترسم الإبتسامة على محياها ، التي تجدها مباشرة على الخط حالما تفتح النت ... ماري تكتب : سيدتي الفاضلة ... كيف حالك وأحوالك ... أحب التحدث إليك ... وأثق بنصائحك ... وإرشاداتك .

أيار متنهدة : كم أحب مناداتك بسيدتي الفاضلة ... وكم أقدم المصداقية وأنبذ الكذب وأعشق الصراحة ولو على حساب الكثير من الأشياء ... ولكن سبحان الله قد يضطر الإنسان بعض الأحيان الى مجافة الحقيقة ... وارتداء ثوباً أكبر من حجمه ... ولكنه لا يشعر بالراحة عند ارتدائه ... لأنه فضفاض للغاية . ماري مبتسمة وقد عرفت القصد : عذراً سيدتي ... عبارتك متناقضة ... ولكن أين المشكلة ما دمت تحبين هذه التسمية .

أيار : إعلمي يا فتاة بأني لم أكذب في حياتي قط هكذا تربينا ، ولكني ومن باب العطف وتحت اصرارك تواصلت معك بنية المساعدة فقط وقبلت علاقتنا الإلكترونية عبر الأسلاك والكهرباء ، فقلت لك بأني سيده كبيرة ... الخ . ماري مبتسمة : أنت سيدتي وتاج رأسي .

أيار متنهدة : قلت لك سلفاً بأني لا ... أحب المجاملات ... دعيني اكمل واسمعي ... نعم ... أنا لسئ سيدتك الفاضلة ولا تاج رأس أحد ، أنا فتاة بعمر ك

وتخرجت في السنة التي تخرجتي انت فيها ولا زلتُ ملكة في بيت أبي ...
فأستمبحك عذراً .

ماري ضاحكة : عادي سيدتي ... لا تُحملي نفسك فوق طاقتها ... لك الحق في
كتابة أي شيء ... وستيقين لي تاج رأس وسيدة فاضلة ... وحياتك خاصة بك
... وصدقيني بأني أحبك ... فلا تعتبري كلامي مجاملة .

أيار مبتسمة : أشكرك على تفهمك بهذه السهولة ... أما كلامك عن الحب ...
فأمر لا أعتقدُه صحيحاً ... وهذه وجهة نظري قولي تعود تسلية تمضية وقت .
ماري : ولكن لماذا هذه النظرة القاسية ... افتحي لي صدرك ارجوك .

أيار متتهدة : لأنني مجروحة ... وجرحي لم يندمل بعد ... أشعر وكأنني
مرضتُ نفسياً صديقتي المهاجرة تحتاح خيالي وتغزو واقعي وتترعب على
منصة أحلامي .

ماري وقد تصببت دموعها بحرقة : سنة كاملة ولم تكرهها ... على الرغم من
اجحافها ... ولم تنسيها ... ولم تستبدليها حتى .

أيار وقد ترقرت عينها بالدموع : يا ليتني أستطيع يا ليت في قلبي بطارية
أخرجها وأوقف التفكير فيها ... أشعر بأني كالصائم الذي برح به العطش يتوق
الى شرب الماء ، أشعر بأن روعي تتصعد في السماء أن لم أسمع صوتها الأيام
القادمة .

ماري باكية بصوت جعل أبويها يسمعونها : حفظك الله حبيبتي وتوأم روعي
والله وبالله وتالله أحبك بقدر أنفاس هذا العالم ... لا تعترضني على
مشاعري ... ولكن قولي لي هل ستسمعها عندما تتصل بك ... هل ستغفرين
لها كبوتها معك .

**أبواها طرقا الباب ودخلا واقتربا منها وراحا يحدفان في الحاسوب وقد عرفا
بأنها تتحدث مع أيار فقالت الأم :** يا إلهي ... الى متى يستمر هذا الجنون ...
لقد أرعبتني قلبي ... الى متى يا سبأ ... الى متى ... لقد أصبحت إنسانة راشدة

ولا يليق بك ذلك.

الأب مبتسماً : لم ولن تنسك فلا تستمري في إيذائها إتصلي واخبريها عن فكرتك .

أيار اندهشت من هذه المشاعر وساورها الشك : يا ليت هذا الحلم يتحقق .
الأم مؤنبة زوجها كالعادة : كل ذلك الأذى بسببك وبسبب تشجيعك لها
للاستمرار بهذه المهزلة .

يمان مبتسماً : أعذرك لأن الخيرة في داخلك قتلت معنى الصداقة والصديق .
بذل أبو الوليد الجهد الجهد في مواصلة الدراسة طوال أيام العطلة
وكان لأخته اليد الطولى في مساعدته وبالفعل دخل الإمتحان بكل اصرار
وتحدي نظرات سئبل وكلماتها في دعمه وتشجيعه لا تفارقه البتة ومنها يستمد
العزم والمواصلة ومن حسن طالعه أيضاً إنه تلقى مساعده من أحد المراقبين
الذين أشفقوا عليه وفي ذلك تضافرت جهود القدر لمساعدته وظهرت النتيجة
التي كان الكل ينتظرها مكلفة بالنجاح ولكن بمعدل قليل لا يؤهله لدخول الكلية .
أبو الوليد بهدوء : دكتورة ... أهديك نجاحي ... استلمت النتيجة اليوم صباحاً .
الدكتورة سئبل وقفت ووصفت بشعور تلقاني بفرح : الحمد لله الحمد ، مبروك
نجاحك يا أبا الوليد تستحق كل الخير الموجود ما بين السماء والأرض كنت
على ثقة من ذلك ، ولكن تعال قل لي لماذا لم تُبشرني حال معرفتك النتيجة .
أبو الوليد : والله ... في الحقيقة ... لأن معدلي قليل ... ولا يؤهني للكلية .
الدكتورة مبتسمة : وأن يكن ... المهم إنك أثبتت نجاحك ... ولكن كم المعدل ؟
أبو الوليد : 63 .

الدكتورة : سبحان الله يا خالد هذه طبيعة البشر كلما تقدم خطوة الى الأمام
يرتفع سقف مطالبه ، ولكني سعيدة جداً بهذا المعدل واعلم بأن هناك الالاف من
الطلبة لم يحالفهم الحظ في النجاح ، وهناك الالاف أيضاً ممن لم يحصلوا على
هذا المعدل وحصلوا على درجة الـ 50% ، على كل حال يسعدني هذا التطور

في طموحك وأكيد سنقبل في المعهد التقني في الأقسام الطبية وأنا أرى من الأفضل لك تدخل قسم الصيدلة ، وأنا واثقة من نجاحك فقط لا تستسلم وواصل الخطى ستجد نفسك في المكان المناسب الذي يُليق بمستواك الجديد .

أبو الوليد مبتسماً مسروراً : سأترك العمل في السوق .

الدكتورة مبتسمة : أكيد ... لتتفرغ الى دروسك ودوامك الجديد ... وأنا على عهدي ووعدي سأدعمك مادياً حتى النهاية .

أبو الوليد مبتسماً : أشكرك دكتورة ... لن أنسى لك ذلك الفضل ما حبيت .

سبل قربت يدها الى فمه : توقف .. ولا تكمل أرجوك فهذا استحقاقك يا خالد .

أيار كعادتها في الحديث مع ماري كلما فتحت النت تجدها أو تجد

رسائلها والتحيات الصباحية والمسائية وبإسلوب البطاقات الجميلة الملونة .

أيار وسؤال عابر : ماري ما هي أبرز الأمور التي تثير استغرابك في منطقتك.

ماري بسرعة : كثرة الكلاب والقطط .

أيار مستغربة : يا للهول معقولة تكثر في كركوك كلاب وقطط سائبة الى درجة

انها تملأ المنطقة ثم اني لم أسمع في نشرة الأخبار عن تفاقم المشكلة لهذا الحد .

ماري مبتسمة مدركة انها أخطأت ولتتدارك الموقف: لا أنا أقصد شارعنا فقط.

أيار : أتعرفين وأنا أيضاً أكره القطط والكلاب ولكن قد تفرض الظروف عليك

مراعاة قطة صغيرة مثلاً .

ماري مبتسمة وهي تستذكر كراهيتها للورين قطة مروة : كيف وضح لي؟!!

أيار : قبل أربعة أشهر رأينا في الحديقة قطة صغيرة جداً حديثة الولادة تُثير

الشفقة ، ولا نعرف من أين أتت ومن تكون أمها وقد تعاملنا معها كيتيمة (

للمزحة) ، وعلى الرغم من كراهيتنا للحيوانات الا انها فرضت نفسها بموائها

اللطيف الذي أثار اهتمام الأطفال في المنزل وراحوا كلما سمعوها يقلدون

صوتها بالشكل الذي يفرحنا بهم لفرحهم بهذه القطة الصغيرة المرقطة ، ورحنا

كل يوم نهتم بها وبغذائها الى ان اصبحت كبيرة بعمر خمسة أشهر فطلبت من

أخي الأصغر أن يمسكها بكمين ويرميها بعيداً .

ماري ضاحكة : أوووو ... ولماذا؟!!

أيار : حقيقة خفنا على الأطفال منها لاسيما وهي تقترب منهم وتحاول لعقهم
وكما يعرف الجميع فالحيوانات مصدر للأمراض والأوبئة ، ولكن لم تنجح
الخطة ، فحالما أمسك بها عضته كشعور منها بالفزع .

ماري : أوه ... يا إلهي أرجو ان لا تكون أذته .

أيار مبتسمة : ذهب أثرها الى المستشفى وحقنوه الأبر المضادة لجراثيمها .

ماري : وماذا فعل بها عندما عاد؟! هل ضربها هل طردها .

أيار مبتسمة : لا والله عطف عليها فهي حيوان مسكين لا حول له ولا قوة
وعضتها جاءت دفاعاً عن النفس وبقيت المشكلة ماثلة أمامنا الى ان نجد منفذاً
الى حل اخر.

ماري : أتعرفين يا أيار ... كم أنا فخورة بمعرفتك .

أيار : أشكرك .. وأنا أيضاً .

ماري : وأريد أن أعترف لك .

أيار مستغربة : ماذا؟! إعراف .

ماري : نعم ... وبدون مقدمات ... فأنا بعمرك .

أيار مبتسمة : عمري الحالي أم السابق .

ماري : لا بل الحالي بالضبط وقد تخرجت بذات السنة التي تخرجتي منها .

أيار مبتسمة : هذه خصوصياتك ... ولست أنا ممن يتدخل في خصوصيات
الأخرين ، ولكن ما الجديد هذه المعلومات قلتيها أنفاً .

ماري : وأنا ... لا زلتُ ملكة في بيت أبي .

أيار مستغربة : ماذا؟!!

ماري : نعم ... لا زلت ... أي غير متزوجة ... ولكني والله عندما طلبتُ
صداقتك أحتجت الى الرأي والمشورة كحاجة الطفل الرضيع الى صدر أمه .

أيار : يعني كل ما تقدم كذب ... وتريديني أن أصدق عبارتك الرنانة الأخيرة .
 ماري : أنا لم أكذب عليك ... وأنا كذبت على نفسي ... ولكن والله كنت في حالة
 يُرثى لها وبديهي تكون مليئة بالتناقض ، وبما أنك اصدقتي القول معي فمن
 المعيب ان لا أصدق القول معك فأنا بعمرِكَ وغير متزوجة ومشكلتي مع
 صديقتي ، ولكني خجلتُ ان أتكلم عن معاناتي وهمي الأخير من صديقة وقد لا
 يُصدقني الآخرون عندما أقول بأن حياتي كلها تأثرت بسبب صديقة ، وعندما
 ألتني لي جانبك وعرفت بأنك تعانين أيضاً من مشكلة صديقة ، شجعتني ذلك
 على الإعتراف وأرجو منك الصّح والتفهم .

أيار منزعة متهددة : حقيقة لا أعرف ماذا أقول لك فاجتيني .

ماري : والله أقول لك ذلك من باب الإعتراف بالخطأ ... رغبة مني بفتح صفحة
 بيضاء ناصعة مبنية على اساس المصداقية والشفافية ، وأنا أعرف بأنك
 تتواصلين معي من باب العطف ولم توعديني حتى بالتواصل ، وأنا أشكرك
 على ذلك وأشكرك على وقتك الذي تمنحيني إياه وأتمنى أن تفهميني
 وتساعديني دائماً فأنا أحتاجك .

تتميز شخصية نائل بالطمع والجشع والوصولية وحب الذات صحيح
 هو يعمل وبنشاط ولكنه كشجرة مثمرة لا تُؤتي أكلها إلا لمن إرتضى ، يختلف
 عن أخوته كل الإختلاف ويحاول أن يُسخر الجميع لخدمته وعائلته ومهما كسب
 من أموال تبقى عينه فقيره ويرى الآخرين أفضل حالاً منه حتى ولو كانوا يتامى
 يرى في تصدق الآخرين عليهم حظاً غليظاً ، لذلك يحاول جاهداً أن يستفيد من
 عمله الآن في معمل والده وأن يجني الكثير ولم يكتفِ بالإدارة وحرية التصرف
 بل أراد من والده أن يحرر له وكالة عامة مطلقة لكي يتفرد بمآربه الخاصة في
 حال وفاة والده الذي كان يراه هو وزوجته الإستقرائية إكرام قاب قوسين أو
 أدمى ، ولكي لا تذهب أموال والده للغرباء على حد قوله ويقصد بذلك الى
 أخواته ومن ثم الى أزواجهن ، لا يتمنى ذلك لوالده ولكن واقع الحال يتطلب منه

أن يجد في الخطأ ليحصد المزيد وعلى الرغم من رفض أخيه سراج الدين لهذه الفكرة وبشدة إلا أنه قرر الذهاب لبيت والده .

نائل : أعيد عليك الأمر يا أخي سراج الدين بحكم وظيفتك كمحامي وأنت الأقدر على حل كل المشاكل القانونية فالوكالة العامة المطلقة ستفتح الباب أمامنا على مصراعيه لنقطف منها ما نشاء للحيلولة دون تبديد الأموال بأيدي الغرباء ، ففي حالة وفاة والدي سيتفكك المعمل الى عدة جهات وربما سأفقد عملي ، وأنا لك ناصح أمين .

سراج الدين متأففاً : والله أنا أستغرب منك هذا الشعور الجاحد بحق والدك الذي لم يقصر معك قيد أنملة ، وكيف يمكن لك ان تتفوه بمثل هذه الطرقات ، وكيف يمكن لك ان تتصور بأني سأساندك بهذه الجريمة وكيف يمكن لك أن تتصور بأن أطلع أولادي المال السحت الحرام .

نائل منزعجاً : ولماذا حرام ... هذه أموال والدنا .

سراج الدين متأففاً : يعني قصدك نستبعد أثنين من الورث ونعطي أثنين ... الله أكبر يا نائل فأنت أب ... تلك أذن (قسمة ضيزى) ... أستغفر الله .

نائل : أنا ... لست لئلاً سأخبر والدي بهذه الفكرة .

سراج الدين غاضباً : إياك إياك فصحة والدي لا تحتل هذا الكلام المجحف .

نائل غاضباً : أنت لا تفكر بي لأنك ميسور الحال ولا تحتاج الى المال مثلي .

باغتت إحدى الطبيبات الدكتورة سُبُل بزيارة الى غرفتها للتحدث معها بموضوع خطبة استبشرت له ولأول مرة في حياتها تعرض عليها مثل هذه الفرصة لخطاب حاصل على الدكتوراه في الفلسفة وإن كان يكبرها بعشرين سنة المهم لديها ستكون العلاقة متكافئة وظيفياً ، وإن لم تخل هذه الفرصة من سلبيات متمثلة بأنه مطلق وله ثلاثة أطفال ، ولكن عزاءها بأنها ستحظى برجل متعلم وهي غير مسؤولة عن أطفاله بحسب ما تحدثت به زميلتها الدكتورة رزان ، وبعد أن أخبرت والدتها بذلك وافقت على المبدأ مكرهة تحت وطأة العمر الذي

يتقدم على الرغم من كراهيتها لفكرة انه يكبرها سناً ومطلق وله أطفال وتمنت لو كان المتقدم مستقلاً ، أما مروة وبعد نقاش حثيث معها تمنت لها الخير ما دام الأمر يروق لصديقتها وما دامت الخطبة هذه المرة تغيّرت بشكل جذري عن سابقتها من الأشخاص غير المتعلمين الذين لا يفهمون حتى وظيفتها ، وبالفعل جاء الخاطب وتعرف على عائلتها وتمت الخطبة بحفلة صغيرة جداً ، وقد شعرت سُبُل بأن الحياة فتحت لها الأبواب على مصراعها مع رجل حاصل على الدكتوراه وقور ويمتلك ثقافة حديث وشخصية قوية وجذابة وهدوء قلّ نظيره بين معارفه وقد بان الشيب في أطراف شعره .

وبالمصادفة اليوم كان خالد قمة في السعادة وشعلة في النشاط لاسيما بعد أن ظهرت نتيجته النهائية في قسم الصيدلة وقد ظهر أسمه من ضمن العشرة الأوائل ، لم تسعه الأرض وراح يشعر بأنه سيظير من الفرح وشعور لم يراوده يوماً بالنصر المؤزر وان الحظ وقف لصالحه في الإمتحانات الأخيرة ومن حسن طالعه أيضاً بأن أخته كانت في كلية الصيدلة وكانت تمُدُّ له يد العون والمساعدة وبإستمرار وإصرار مما قاد به الى هذه النتيجة الحتمية كمكافأة لتعبه ومثابرتة وطموحه الجارف وهدفه الذي يقف نصب عينه ، إحتفظ بالخبر الى العصر وفي قبضته لؤلؤة النتيجة النادرة التي سيقدمها هدية بعد ان ينتهي أخر مراجع مع الطبيبة ، وبعد انتهاء العمل ، قالت له الطبيبة وهي مبتسمة : خالد ... أنا أفخر بك واثق بك وأتمنى أن تبقى لي أختاً دائماً مهما حصل من ظروف ومهما فرقنا أو باعدتنا الحياة .

خالد مبتسماً : خيراً دكتورة لماذا تتكلمين بهذه الطريقة الغريبة فعندي لك هدية.
الدكتورة : لا بد أن تعرف يا خالد بأن دكتور تقدم لخطبتي وقد منحته الموافقة وأصبحت الآن بحكم المخطوبة وللتنبيه قد يأتي لزيارتي الآن بحسب ما قال لي صباحاً ، وعندما سمعها أرتعدت فرائصه وغارت البسمة على محياه وشعر بأن حلمه الجميل تهشم وتناثر كالزجاج المكسور أمام أنظاره ولم ينبس بكلمة وكان

لسانه موثق كانت الصدمة كبيرة ولم يتوقعها أبداً وقد بان على وجهه علامات اليأس والبؤس .

الدكتورة : وهو دكتور في كلية الآداب قسم الفلسفة .

خالد متنهداً وقد ابرق بكلمة واقفاً : يناسب وظيفتك دكتوراة اتمنى لك كل الخير وقبل أن يهم بالإصراف دخل خطيبها **الدكتور آزر الدجاني** بقيافته المهيبه التي تُثير الإنتباه والإعجاب وعطره الذي ملء المكان ولحذاءه اللامع وقع على الأرض ، فألقى التحية وعلى محياه بسمة خفيفة بنظرات خيلاء وزهو .

الدكتورة نهضت بسرعة وقد إرتسمت البسمة على محياها وصافحته : حياك الله دكتور تفضل بالجلوس ... ويُسعدني أن أعرفك على **خالد أبي الوليد** .

الدكتور آزر رمقه بنظرة خيلاء وأشار له ببنايه : هذا الذي يعمل عندك .

الدكتورة : هذا خالد ... يعمل هنا ... وهو أكثر من أخ .

الدكتور آزر وقد جلس واستدار إليها دون ان يُعلق الى كلامها : آه ... حسنا ... لنخرج الآن ونتعشى ، فإنصرف خالد مذهولاً ... وهو يجزّ اذيال الخيبة .

الدكتورة وقد خرجت أنظارها خلف خالد : يا دكتور ... إن خالد يعمل هنا ... وهو موضع ثقة وخير من اعتمدت عليه في إدارة العيادة وأتمنى أن تعامله معاملة خاصة .

الدكتور آزر استخرج سيجارة من جيبه وأشعلها وبعد ان سحب نفساً عميقاً : أه عزيزتي أعذريني ولكن لا بد أن تعرفي بأني لم أعتد التعامل مع رعاع القوم ، فأنا دكتور ولي طريقتي الخاصة في التعامل مع الآخرين ، ونحن نختلف عنكم معشر الأطباء ، فأنتم تجيدون التعامل مع سوقة القوم والعاملين والمرضى والفقراء ، لذا بحسب اعتقادي فأنا غير ملزم بهذا الذي خرج أو غيره .

سُئل مستغربة لكلامه وسيجارته الخانقة وخیلائه ولكنها أوهمت نفسها بأن كلامه هذا بدافع الغيره الذي تعشقه كل أنثى لذلك تحاول الإعتياد عليه كشيء جديد دخل حياتها .

خرج خالداً والألم يعتصر قلبه والخيبة تغشي بصره فشغلّ دراجته النارية وإنطلق وفي صدره شعور كبير بالبكاء لم يعهده من ذي قبل وحالما وصلّ صعد الى غرفته الصغيره في إحدى أركان السطح وقد أبلغ والدته بأنه تعشى في السوق لئلا تناديه ، وحالما وصلّ غرفته رمى بنفسه على سريره الحديدي الصغير وأجهش بالبكاء كطفل صغير ، وكلما تذكر نظرات الدكتور آزر الدونية له إمتلاً بالألم على ورمى باللوم على نفسه وإنه بالفعل مجرد عامل في عيادة الدكتورة ولا يحق له حتى أن يحلم بها ، وهذا هو مصير الحالمين عندما يستيقظوا وينصدموا بالواقع ، وبينما هو كذلك تذكر نتيجة نجاحه فنهض مسرعاً وبحث في جيوبه ولم يجدها وإزداد ألمه عندما أيقن بأنه فقدتها قد تكون سقطت منه في طريقه أثناء عودته فجلس قانطاً وراح يكلم نفسه : فلتذهب الى القير وبأس المصير إنتفت فائدتها وقيمتها كنت أحتفظ بها لأجل أن أقدمها هدية الى فتاة أحلامي كم أنا غبي ، ترجمتُ مساعدتها وعطفها اللامحدود على إنه إعجاب قد يتطور الى حب ، نعم أعترف لها بالجميل على كل ما أبدته لي من مساعدة ، ولكني لم أستطع إخبارها بمشاعري ولا قدر أنملة تمنيت أن أخرج من المعهد بتفوق وأفاتها بهذا الموضوع ، فمسح على وجهه بكلتا يديه وقال أتمنى لك الخير يا فتاة أحلامي وحببية قلبي ستبقين تعيشين في دمي ذكرى خالدة ، ولن أخذلك أبداً حتى لو كلفني ذلك حياتي سأهبها لك وأنا سعيد ، وبالفعل شتان ما بين الدكتور آزر وشكله المهيب والعامل الرث في عيادة يرتب طابور المرضى ، لك العذر يا ملكة أحلامي ومصدر إلهامي لك العذر يا مفتاح نجاحي ، لم ولن أخذل ثقتك بي كأخ كما قلتِ أمام زوجك القادم ، سأكون لك أماً وسنداً .

وقبل أن تخرج سُبُل مع خطيبها لمحت ورقة على الأرض أنحنت عليها وفتحتها وقرأتها بالحال ففرحت أيما فرح وارتسمت البسمة على محياها

وكادت تطير من الفرح ، فإنتبه الى فرحتها أزر وسألها ماذا في هذه الورقة لتفرحي هذا الفرح ، فقالت له ورقة مهمة ضاعت مني ووجدتها الآن بعد إنتظار طويل ، فخبأتها في حقيبتها وراحت تكمل غلق الباب وهي مبتسمة وتلاحظ عدم إقدام أزر حتى على تقديم المساعدة في وضع القفل الذي لم تعتد أن تضعه يوماً .

سبأ تكتب لأيار دائماً وبطاقة مشحونة فكلمنا فتحت النت تجد جملة من الرسائل الصغيرة والأشكال والصور الجميلة ، فتردُّ عليها مبتسمة : أشكرك .
ماري مبتسمة : أشتقتُ لك .

أيار مبتسمة : وهل رأيتِ صورتي أو صوتي لتشتاقي لي ألم نتفق على المصادقية .

ماري مبتسمة : أقسم لك بكل مقدسات السماء والأرض بأني صادقة .

أيار : أمرك عجيب ... ولكنك تذكريني ...

ماري بإستغراب : بم ... بماذا .. أذكرك ... بصديقتك .

أيار : تذكريني بقصة الكفيف العاشق ...

ماري ضاحكة : تشبهيني بالكفيف العاشق حسناً وأنا موافقة .

أيار : أما صديقتي فلا يشبهها أحد في الوجود .

ماري وقد غارت بسمتها وترقرقت عيناها : عجباً على قلبك الرائع الذي قلّ نظيره في الكون، وما أسعد صديقتك بك وما أشدُّ فخرها بهذا الحب الإسطوري.

أيار : ولكنها هجرتني .

ماري وعيناها مترقرقتان : لي خبرة كبيرة في سبر أغوار القلوب العاشقة الصادقة المحبة في الله ومن خلال المعطيات التي توصلت إليها أجد إنها لم تهجرك ان سمحتي لي بالحديث عن هذا الموضوع .

أيار : أدلي بدلوك أيتها الخبيرة ... كيف لم تهجرتني وقد هجرتني بالفعل .

ماري : نعم ... لم تهجرك ... لأنها كما أسلفتني صادقة في مشاعرها تجاهك

وإنها لم تخذعك قط وإنها اضطرت للسفر ، وبما أن أمر فراقها سيثقل عليك حاولت أن تخفف الوطأة عنك ، تمثل دور الجفاء والهجران لتستبدل لوعة الفراق بالرغبة في النسيان ، ظناً منها بأنه أسلوب قد يساعدك على نسيانها ، وأنا على يقين بأنها تتعذب أكثر مما تتعذبين وتتمنى أن تراك حتى ولو في لحظة حلم .

أيار تقرأ بإمعان متنهدة : ومن أين لك بهذه التفسيرات ؟

ماري : قصتي ... تشابه قصتك .

أيار متنهدة : أتعرفين لقد أطربني رأيك ولكنه بعيد المنال ونسج من الخيال .

سُئِلَ تهاتف أزر مساءً مبتسمة : مرحبا .. أحببتُ سماع صوتك .

الدكتور أزر متثائب : استغربت لإتصالك أويت للتو للفراش خيراً ان شاء الله .

سُئِلَ مستغربة وقد غارت بسمتها : ستنام .

أزر : نعم ... فلدي عمل في الغد وتعودت النوم باكراً قولي ما وراءك .

سُئِلَ مستغربة : لا شيء ... فقد أردتُ أن أسألك فقط .

أزر بتكلف : سلي !؟

سُئِلَ : أ ... هل ألتقيت بصديقتي مروة في كلية الاداب ، يسعدني أن تتعرف بها

... فهي الأقرب الى روحي ... بل رفيقة روحي .

أزر : ظننت إن لديك موضوعاً يستحق الحديث في مثل هذا الوقت ، فأنا

أعرفها كدكتورة في الكلية فقط وليس بيني وبينها أيّ تعارف ولا حتى التحية ،

ولكن ما هو قصدك هل تريدني أن أذهب إليها وأقول لها أنا خطيب الدكتورة

سُئِلَ !

سُئِلَ منزعة : لم ... أفهمك .

أزر : اسمعي يا دكتورة أن أرادت صديقتك أن تتعرف عليّ فلنذهب الى جدولي

المعلن على لوحة الاعلانات وفي أوقات فراغي فقط وحصراً في الغرفة لأنني

لا أسمح لأي كان أن يقاطع محاضرتي في ساعة الدرس حيث الطلبة منصتون

، أما هذه المفردات المضحكة رفيقة روح وما شابه ذلك فإتريها للمراهقين ، فأنت طيبة وحجمك أكبر من هذا المستوى .

سُئِلَ منزعجة متتهدة قاطعته : لا داعي .. لأن تكمل محاضرتك معي الآن يا دكتور فقد أكتفيت تصبح على خير .

أزر متثائباً : تصبحين على خير وأغلق الخط ، فبقيت سُئِلَ مذهوله الى أسلوبه الفج المتعجرف وكيف إنه أغلق الخط مباشرة ، وراحت تكلم نفسها : أ يكون كلامه هذا بسبب نعاسه ، لا لا ... انه رجلاً متكبر الى العظم ولم أنس تعامله السيء مع المسكين **خالد** الذي حتى لم ينبس بكلمة ، ولكن هل أطلب من مروة ان تذهب إليه ، ولكن ماذا لو قالت له أزر بدون كلمة دكتور ستطبق السماء على الأرض ، يا إلهي بدأت أشعر بالتعب والتشتت الفكري وقد مضى على تعارفنا ثلاثة أسابيع فقط .

وفي اليوم التالي وبينما سُئِلَ في عيادتها باغتتها مروة بزيارة غير معلنة وحالما رأها **خالد** نهض من مكانه مبتسماً محيياً مرحباً : أهلاً دكتورة مروة .
مروة مبتسمة : مفاجأة للدكتورة ... سأنتظرها .

خالد مبتسماً : العيادة عيادتك دكتورة شرفتي المكان ... عندها مريض ... وبالإنظار هذه المريضة الأخيرة وأشار بينانه عليها ، وهي بإنتظار قلع السن ، وبينما هما يتحادثان خرج المريض وأشار الى مروة بالدخول ، فدخلت وكانت المفاجأة رائعة لسُئِلَ حالما رأتها فرحت كثيراً ونهضت من مكانها وعانقتها بشوق ولهفة وكأن الدهر حال بين رأيهما وقالت لها : كم أنا سعيدة برويتك ما سر هذه الطلعة البهية .

مروة : والله شعرت بضيق مفاجيء في صدري ووجدت أقدامي تسوقني ، أحتاجك كثيراً ، في صدري كلام كثير .

سُئِلَ مبتسمة : تكلمي حبيبتي كلي أذان صاغية وصدري أوسع صدر في العالم، لديّ مريضة واحدة سأخدر فكها لقلع سنها ، ثم نخرج لتنعشى معاً ما

رأيك ؟

مروة محرجة : ولكنك متعبة .

سُئِلَ **متنهدة مبتسمة** : راحتني معك وسعادتي معك وأنا مستعدة أن أبقى معك نهار تموز بطوله ان اقتضى الأمر شاعرة بالسعادة ، تفضلي بالجلوس الآن لدقائق معدودة حتى يكتمل تخدير فك المريضة لأقلع ضررها ، وفي هذه الأثناء وبينما راحا يتحادثان عن أزر ، رنّ هاتف **خالد** وهو يجلس على كرسيه خلف مكتبه وحالما رأت عيناه الأسم طار فرحاً مستبشراً ووقف من فرحه ليرد على المتصل وقبل ان يرد أشار الى المريضة للدخول فدخلت وراح يتكلم : يا إلهي كم أنا سعيد بسماع صوتك لقد شغلتنني عليك كثيراً أين أنت الآن أنت؟؟ قل لي حدثني ؟

منذر بتعب : عدت الآن وما زلت في طريقي وعلى مقربة من البيت ، ولكن أخي **علي أبا فريال** أبلغني بأنك راجعتني مراراً وتكراراً فإتشغلت عليك .
خالد فرحاً : يعني أنت الآن قريب من العيادة .

منذر : نعم على مقربة ... ولكنني جداً متعب قطعت مسافات طويلة .

خالد برغبة ورهبة وإضطراب : أحتاجك الآن أرجوك تعال بسرعة .

منذر : والله أنا متعب سأزورك لاحقاً .

خالد : أرجوك المسألة مصيرية مسألة حياة أو موت ولا تحتمل التأجيل البتة .

منذر بقلق : يا إلهي ألى هذه الحد حسناً دقائق وسأكون عندك ان شاء الله ، وما هي إلا خطرات حتى وصل ودخل العيادة وفي هذه الأثناء خرجت المريضة ذات الفك المخدر لتنتظر حتى اكتمال التخدير وتدخل تارة اخرى ، فدخل **منذر** بقلق واستغراب : أراك بخير لقد أفرعتني ما المشكلة بحق السماء؟!

وحالما رآه **خالد** وثب عليه محبباً وهو يشدُّ على يده مرحباً به مبتسماً وكأنه يدعه دعاً الى باب غرفة الدكتورة **سُئِلَ** ففتح الباب وادخله وسحب المقبض خلفه و**منذر** مستغرباً ولكن تلاشى العجب عندما رأت عيناه السبب ، يا

للهول مفاجأة غير متوقعة وغير مدروسة إلتقت الأنظار بصدمة ورغبة ورهبة وقد تسمرت قدماه ولم ينطق بكلمة ونبضات قلبه فاقت التصور ، وحالما رأت كل من مروة وسبل نطقنا بذات الوقت : منذر ، فوثبت عليه مروة معانقة كالموجة واجهشت بالبكاء وقدبادلها البكاء وسُبل تنظر إليهما مبتسمة والدموع تتصبب من عيونها بفرح ، ثم قالت له مروة بعد ان ضربت بقبضة يدها اليمنى على عضده لماذا تؤذيني بهذه الطريقة المجحفة ، وهل هذا عقاب أو ماذا ؟ أين كنت ، ومع من ؟ ولماذا ؟؟

منذر مبتسماً رفع يدها وقبلها ومسح دموعها بيده : كنت فاقداً للوعي ، سأخبرك بالتفاصيل من الألف الى الياء وباللحظة فقط اسمعيني ... بعد ان عادت إليّ روعي .

سُبل مبتسمة ماسحة دموعها رافعة يديها : هنا مكان عمل وليس للحديث والعتاب ، اجعلا يديكما متشابكة في بعضها ، والله كم يفرح قلبي برؤيتكما مع بعضكما ، إذهبنا الى أهدأ مكان في الكون وافتحا كل الملفات وناقشاهما بروية وقبل ان تخطي الجراح نظفاه جيداً من مصادر الالم لئلا يبقى في الجرح سبباً ، يجعله يلتئم دون علاج ، واعدروني على مفرداتي هذه فأنا طيبة .

مروة مبتسمة : حسناً حبيبتي ... فالمريضة تنتظر ... الى اللقاء ... فخرجنا ودخلت المريضة وقلعت ضرسها ، وعندما انتهت من عملها جلست على مكتبها واستخرجت علبة ووضعها أمامها ، ولكن خالد ليس كسابق عهده يللم أغراضه ويهم بالإنصراف بعد الإستئذان ، فنادته ، خالد أبا الوليد .

خالد بهدوء : نعم دكتورة .

الدكتورة : لماذا تغيرت ... لقد تعودت الحديث معك ومناقشتك واخذ رأيك في كل أمور العمل والحياة فأنت أخ عزيز .

خالد شعر بالخجل : سيدتي (رحم الله أمروء عرف قدر نفسه) .

الدكتورة : خالد شأنك كبير عندنا ، وأنا أشكرك من سويداء قلبي على جهودك

الرائعة لقد وعدتني وكنت صادق الوعد واصببت الهدف ، يا لك من رائع بمفاجأة اليوم لقد أفرحت قلبي والله أكثر مما تتصور أشكرك كثيراً .

خالد : التقدير تقدير السماء سيدتي وما نحن إلا أدوات في هذا الكون الفسيح نسير على وفق خطة محبوكة بدقة رسمتها لنا أنامل القدر .

الدكتورة وقد أثرها قوله : ألا تريد الجلوس .

خالد : أعذريني ، إنتهى عملي وتعودت أن أصلي في الجامع الصلاة بأوقاتها .

الدكتورة : لم يحن وقت الصلاة بعد .

خالد أشاح بوجهه : الى اللقاء .

الدكتورة رفعت العلبه التي أمامها : تقبل مني هذه الهدية .

خالد بهدوء : هدية ... على ماذا !!؟؟

الدكتورة : خذها وافتحها ثم اعطني رأيك .

خالد وبعد ان فتحها وتمعن فيها إرسمت البسمة على محياه : القرآن في هذا الصندوق الرائع المنقوش بالفضة،قبله ثم لاحظ ورقة فيه قرأها فإذا هي نتيجته الإمتحانية ، فرح كثيرا لأنه اعتقد بأنها سقطت منه في الشارع : أشكرك.

الدكتورة : هذا مستوى مكانتك عندي كبيرة وغالية فلا تخذلني .

خالد متأثراً بصيغة التساؤل والإعتراض : أنا ... أخذك ...؟! ومن أكون أنا؟!!

مجرد عامل عندك بحسب قول السيد المهيب الدكتور أزر .

الدكتورة : أتمنى أن تستوعبه وتتعود عليه .

خالد رفع الهدية متأهباً للخروج : أنا رهن أشارتك لإعتبارات كثيرة ، ولا أريد

أن أستوعبه أو أتعود عليه أو أتعامل معه، عندها سيكون بيني وبين العمل فراق

، وبينما خالد يهم بالخروج رنّ هاتف سُبُل فرمقته والبشر يطفح على وجهها

فردت بالحال فإذا بوجهها يتغير ألوانه وعلت نبرتها بخوف : مروة ماذا دهاك

ماذا دهاك ، ومروة تبكي مخنوقة لا تستطيع النطق ، وخالد مشدود السمع إليها

وهي تحثها على النطق : قولي مروة لماذا تبكين هل حدث مكروه .

الجزء السابع والاربعون

مروة مجهشة : لقد مات والدي وقطعت الخط ، فأخبرت خالد والدموع تتصبب من عيونها وراحت تُعاود الإتصال عليها لكنها لم تجب ورد عليها منذر باكياً : فأخبرها بأن الخبر صحيح وبينما كنا جالسين على شط العرب إتصلت والدتها فاطمة وأخبرتها بأن والدها قد توفي وكل أختها قربه الآن .

سُئِلَ باكية : إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ولا نقول إلا ما يرضي الله ، أرجوك يا منذر إنتبه الى مروة وأين انتما الآن ؟

منذر : مروة في حدقات عيوني نحن في طريقنا الى المنزل ، فأغلقت الخط وقالت وهي باكية وقالت لخالد تعال معي الى بيت مروة بعد أن أخبر الأهل .

خالد متأثراً لأجلها : إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حاضر دكتورة فهذا واجب ، أخرجي الآن لأغلق باب العيادة واستأجر سيارة بسرعة تقلك الى هناك ، وصلت السيارة التي تقل مروة واسرع منذر ليأخذ بيدها قائلًا هيا حبيبتى كوني مؤمنة قوية وعندما وصلت باب منزلها المفتوح على مصراعيه وأصوات البكاء متعالية قالت له وهي باكية وبحدة بعد ان سحبت يدها من يده بقوة : لا تقل حبيبتى بعد اليوم أنت رجل مخادع لم تقف بجانبى ولا مرة أحتجتك معي هنا في بيتي لتعينني ، لقد تمنى والدي أن يراني بالثوب الأبيض ، واليوم لا أحتاج الى هذا الثوب ثم سحبت الخاتم من أصبعها ورمته عليه بقوة فسقط على الأرض ودخلت ، فإنحنى مصعوقاً لكلامها ورفع الخاتم ووضعها في جيبه ، وفي هذه الأثناء وصل خالد مع سُئِلَ وعائلتها ، ثم إنضم الى العائلة يبكي ولا يعرف هل يبكي على المتوفي أم يبكي على نفسه وحظه العاثر الذي يتأثر بالمد والجزر والأنواء الجوية ، رمت خاتمها بوجهه وأنهت علاقتها به ووادت الصلح وهو في مهد ولادته .

دخلت مروة مسرعة الى منزلها ولم تر والدها ولكم كانت تخاف من هذه اللحظة القاسية لكنها أتت دونما موعد فجنّ جنوها مجهشة بالبكاء ولم تره

بعد اليوم وكل قريباتها مجتمعات يشاركنها العزاء والدتها واختها وزوجات اخويها وبناتهم واولادهم واقرباؤهم وجيرانهم وكل محبيهم ، حيث والدها في الطب العدلي الآن ومعه أولاده وراحت توجه السؤال لوالدتها : لقد تركته بحالة مستقرة يا أمي يا ليتني لم أخرج يا ليتني لم أخرج .

فاطمة باكية : نعم كان في وضع مستقر واستقبل نائل وفرح لزيارته ، ولكن بعد نصف ساعة سمعته يصرخ ويناديني ثم اتصل بسراج الدين لتحضير الإسعاف ، ولم أعرف ماذا حصل له كل شيء حدث بسرعة البرق حتى نقله الى المستشفى .

مروة بغضب : لا يأتي من نائل إلا الشر أكيد كان وراءه سبباً .

إكرام غاضبة معترضة : لا يجوز يا مروة الاساءة لأخيك امام الغرباء فهذا تصرف أهوج وغير مسؤول .

مروة غاضبة : اذا كان في المنزل غريب فهو أنت ، ومن الأفضل لك أن تكرمينا بسكوتك ، وإلا أسمعتك ما لا يعجب سمعك .

سُبل تهدأ مروة : أرجوك حبيبتي أهدأي ... أهدأي لا ينع اللوم اليوم .

زكية باكية وهي تحمل ولدها : أرجوك انستي لا تفقدي اعصابك فوالدتك وأنا بحاجتك والله الخطب جلال على قلوبنا ولكن ماذا عسانا ان نفعل هذا أمر الله.

فاطمة : بُنيتي ... هدئي أعصابك .

مروة أرتمت في احضانها باكية : لقد تركته بخير يا أمي تركته بخير .

فاطمة : نعم صحيح ... هذه مشيئة الله ... قللي انا لله وإنا إليه راجعون ... سيُحضرونه هنا لتوديعه الوداع الأخير ولا تنسي وصاياه ... كوني قوية .

أسيل باكية : كم كنت حنوناً يا والدي تسأل عني وأنت بأمس الحاجة للسؤال ، أعذرنى على تقصيري تجاهك كانت مشاغلي تنهي يومي وتربط اوله بأخره .

أيار باكية : جدي إنسان رائع يا عمتي ومثواه الجنة ان شاء الله .

أميمة باكية : نعم لقد خسرناه وهذه هي الحياة شجرة تنمو وأخرى تموت .

وكان منذر وخالد وشامخ وانسابه واحفاده و(عمّاله) وكل محبيه وجمهرة من الجيران عند باب المنزل عندما جاؤا بجنائزته والد سراج الدين أدخلوه المنزل محمولاً على الأكتاف وقد تعالت الأصوات بالنحيب الذي شق عنان السماء مودعينه الوداع الأخير ، دقائق ثم اخرجوه ليواصلوا السير به الى مثواه الأخير (فإكرام الميت دفنه) ، كان لوفاته وقع كبير على قلوب كل أحبته وان كان رجلاً كبيراً بلغ التسعين من العمر ، فأحسانه للناس لا يُمحي أبداً الكل يذكر خصاله الحميدة وصفاته النبيلة ، ولا تكاد زكية تنفك عن البكاء لفقده وللقادم الذي ينتظرها وعائلتها وقد انقضت خيمتها التي كانت تستظل بها .

كان يوماً مظلماً مأساوياً بإمتياز وكان الكل يقف على أعصابه لا على قدميه والكل ينظر الى إكرام نظرة إزدراء وهي تبادلهم النظرة أيضاً ولكن المجاملات مطلوبة في مثل هذه المناسبات على الأقل أمام الناس في المأتم والكل يعرف ما تمتلكه من دهاء ، أما دور طيبة فهي الأخرى تتصرف بغباء في نقل الحديث بين العائلة بقصد او دون قصد هذه اسوء صفاتها التي تجعل أيار تشتتكم معها في الحديث بأنتقاد لاذع ، أما سُبُل فقد بقيت معها طوال أيام المأتم وأطلعت على الكثير من التفاصيل التي لم تكن تعرفها عن عائلة مروة عن طريق زكية التي راحت تكلمها كلما سنحت لها الفرصة عن سوء تصرف نائل وزوجته معها ، لاحظت سُبُل بأن مروة وعلى الرغم من قوة العلاقة التي تربطها بها لم تحدثها بسوء قط عن أخوتها بل بالعكس كانت تصور لها العائلة وكأنها الملائكة المنزهة من الأخطاء ، ومن المثير للإنتباه وعلى الرغم من وجود سُبُل في مأتم إلا أن كل من تعرف بأنها طيبة تعرض حالتها عليها ، وتبدأ سُبُل بتأدية الواجب في الفحص بحسب معلوماتها ، ولكن أنظارها مصوبه الى مروة، وبينما هي تتحدث معها رنّ هاتف سُبُل فلمحتة ولم ترد عليه، فسألتها مروة لماذا لم ترد على المتصل فأجابتها بطريقة المسرح إذ حنت رأسها : انه العظيم أزر يا مولاتي، لا تكثرني له هو في واد ونحن في واد آخر، هو يعرف

بأني هنا معك في المأتم، ويلح عليّ ويقول لي لنخرج نتناول العشاء، هل رأيت مثله في الأفلام فارتسمت على محيا مروة بسمة اخفتها بيدها دون ان تُعلق .
مرّ إسبوع وسبأ لم تجد أيار على الننت فإزداد قلقها وأخبرت والدها بذلك وهو يشعر بها فأشار عليها بأن تتصل بها وتسمع صوتها .

سبأ قلقة متهددة : كيف يا والدي أونسيت !؟

يمان مبتسماً : لا لم أنس ، اتصلي بها دون ان تعرف صوتك أو رقمك .
سبأ مستغربة : أرجوك يا والدي لا تلهو بعواطفك وكأني طفلة تقتنعها بدمية قاطونية .

يمان ضاحكاً : يا بُنيّتي أنت في لندن فضلاً عن انك تعملين في المجال الإلكتروني ، فكيف لا تعرفين بالبرنامج الذي يُغير الصوت وهناك برنامج آخر لا يظهر رقم هاتفك وعندما سمعته تشبّثت به وهي فرحة .

سبأ فرحة : هل صحيح يا والدي ؟ أو انها محض نكته، أرجوك أصدقني القول .

يمان : أكيد صحيح وتعالى معي نذهب الى ابن عمك نور الدين وهو الذي سيُفعل هذه البرامج في هاتفك كما فعلها في هاتفك .

سبأ : يا إلهي هل فُعلت في هاتفك ... أرجوك لنجرب لنجرب سأخرج الى الحديقة وأتصل بي ، وراحت تهزول واغلقت الباب خلفها ، وعندما خرجت اتصل بها وردت سبأ على اتصال والدها ولكنها لم تسمع صوته : ما هذا ؟ صوت امرأة ، من أنت ؟

يمان ضاحكاً : أنا والدك يا ماري .

سبأ ضاحكة : يا للروعة ولكن أين صوتك الجمهوري .

يمان : اختطفته الساحرة .

سبأ ضاحكة : أرجوك يا والدي ... مثلّ على والدتي دور المعجبة ، ثم أغلقت الخط ودخلت وارتمت في أحضان والدها : اشكرك اشكرك وكأن الامر ضرب من الخيال ، لم يظهر رقم المتصل ، ولكن لماذا هذا الصوت بالذات !؟

يمان : هنا عدد من الأصوات وما عليك الا اختيار الصوت الذي تريدين .

سبأ : سبحان الله كل يوم نزداد معلومات في الغربية .

الام وهي تحمل القهوة بالحليب : أرى السعادة تملأ الوجوه ... بشروني .

سبأ ضاحكة : يا أمي ... هناك معجبة بوالدي ... تتكلم معه .

الام مبتسمة : ماذا؟! معجبة ... عربية أم إنكليزية؟؟؟ صحيح أم مزحة .

سبأ : انكليزية طبعاً .

الام مبتسمة : اذا كانت انكليزية أقبل لأن قانونهم لا يسمح بزوجتين .

يمان ضاحكاً : إذن تمام لأنك أول مرة تتفقين مع رأيي ولا ترفضين .

اسبوع كامل والمنزل ممتلئ بالأهل لمواساة مروة ووالدتها أخوتها وعوائلهم واختها اسيل أم ألق وأولادها وأحفادها الذين عاثوا في المنزل خراباً ، وقد هدأت حدة المشاحنات بين إكرام ومروة وبين أيار وطيبة لوقوف الاخيرة بالرأي مع إكرام ، وسُئِل لم تفارق مروة ولا لحظة واحدة وكأنها أحد أفراد العائلة ، وقد تعرفت كثيراً وعن كثب عن الكثير من التفاصيل التي لم تكن مروة تبح بها ولاسيما العلاقة الباردة مع إكرام ، ولكن أكثر ما أثار انتباهها إن مروة بعمر بعض ابناء اخوتها كآلق وقنيبة ، وأختها الجدة البسيطة المتواضعة التعليم الى حد السذاجة ، وأخيها نائل المهذب الناعم الاسلوب الذي يريد ابتلاع الجميع خدمة لزوجته اكرام وهكذا ، وعائلة سراج الدين التي تحبها ، وزكية التي تنظر الى فمها لتقدم لها الخدمة والدعم وأختها ام عابد ، هذا فضلاً عن انها تعرفت على زميلاتها في الكلية وزيارتهم المتكررة لها ، وقد وصل اليوم الأخير لإجازتها ، وستُباشِر دوامها في المستشفى في الغد ، وفي نفسها رغبة بالبقاء والمواصلة ومسح لمحة الحزن المرسومة على محيا صديقتها ، ولكن هذه هي الحياة تقتضي على الجميع المواصلة دونما توقف ولا حتى بقدر أنملة ، وبعد إن انصرف الجميع عصراً وأوت فاطمة الى فراشها متعبة مرهقة ، بقيت مروة جالسة في الصالة وسُئِل التي ستنصرف اليوم ، فقالت لها : كم أتمنى لو

تبقين معي دائماً ، ولكن لا بد من إنصرافك لعائلتك وعملك ، لقد أتعبتك معي طوال هذه الايام .

سُئِلَ مبتسمة وهي تشدُّ على يدها : ألم أقل لك سلفاً بأن لا تقولي لي شكراً ، لأنك تُشعريني وكأني غريبة عنك ، لم أفعل سوى الواجب ، صدقيني وأنا أيضاً أتمنى البقاء معك مدة أطول ولكن هذه هي حياتنا عجلة تتقدم لا بد أن تباشري دوامك انت أيضاً .

مروة متتهدة : نعم أذهبي ستجدين آزر بانتظارك أو قد يكون زعلاً عليك .

سُئِلَ مبتسمة : لا تكترثي ... الامر هين سأجده بانتظاري وقد مدّ لي يده .

مروة مستغربة : لماذا؟!!

سُئِلَ مبتسمة : طبعاً ... لأقبلها ... حتى يرضى عني ... وهل تظنين بأن كل الرجال رائعون متواضعون كزوجك **منذر** ... أنا أعيش دوامة مع هذا الرجل التحفة الاثرية.

مروة متتهدة : قالتها بتأمل **منذر** ، وأسرت الباقي في نفسها الى ان يحين أجله .

سُئِلَ مبتسمة : نعم ... قولها براحة نفس ولا تسريها في صدرك .

مروة : اهتمي بخطيبك الآن لست بحال هذا الكلام .

سُئِلَ مبتسمة : حسناً ... سأهتم بأمر خطيبي لقد أختقت من شخصيته المتكلفة ، ولن أسمح لنفسي بالاستمرار بالاختناق وقد كذب علي وقال بأنه مطلق .

مروة مستغربة : ماذا ؟ زوجته ما زالت على ذمته ، لقد تمنيتي أن يتقدم لك كفاءة مثله ، والحق يقال فهو شخص جذاب يشار له بالبنان .

سُئِلَ متتهدة : نعم كفاءة وجذاب و متمكن مادياً وسيارته آخر موديل وبيته الذي خصصه لي كالقصر ، ولكني لا أحتمل أكثر والحمد لله لم يطلق زوجته .

مروة : ما هو قرارك .

سُئِلَ : سأنهاي الأمر بيننا غداً ان شاء الله فطوال هذه المدة لم أتحملة .

مروة قلبت شفيتها : بل قولي بأن بالك في مكان آخر .

سُئِلَ مبتسمة : يا ليت قالتها مطولاً ، ولكنه أغبى الأغبياء لا يتكلم ، يعتقد بأنى أعلى منه شأنًا ، ولكن أطلبى من منذر أن يتحدث معه .

مروة : حسنا ... فكرة جيدة ولكن عندما يحين أجلها .

كان مُعَاذُ يعدُّ العدة للسفر الى دبي مع الفرقة الموسيقية التي ذاع صيتها ولكنه تأخر بسبب المأتم ، يسعى دائماً الى الإستقلالية وتطوير ذاته الموسيقية الى أبعد الحدود ، حالماً في النجومية والشهرة وقد سحنت له الفرصة الآن على طبق من ذهب ، بعرض جاء من دبي ، ولم يكن أمر سفره هذا مفرحاً بل زاد العائلة إكتئاباً ولاسيما والدته التي كانت ترفض اختصاصه من البداية ، فكيف اليوم وقد اخذته الموهبة الى خارج الديار لرحلة طويلة لا يعرف مداها ، وأسبوع آخر تقضيه أيار تارة لتخفف ألم الفراق عن والدتها وأخرى تذهب الى بيت عمته مروة ، وكل وسائل إتصالها الالكتروني مغلقة ، وحتى فكرة يمان في تغيير الصوت لم تجد نفعاً لأن النقال مغلقاً ، فبقيت كالمدمنه التي تحتضن النقال والحاسوب وكل لحظة تطل على الفيس بوك الواتس اب الفايبير ... الخ ، عسى ولعل ان تجده قد افتتح ، لمجرد ان التاريخ يتغير في هذه البرامج يجعلها تتنفس الصعداء ، ولكن دون جدوى دخلت سبياً في دهليز القلق المظلم وقد طواها الإكتئاب ، وعلى الرغم من برودة الجو تخرج كل ليلة لدقائق تجلس على الأريكة في حديقة منزلهم تحاكي السماء وترفع أكف الضراعة لله تعالى بأن يطمئن قلبها على أيار ولو بمجرد ترى كلمة (متصل) في برنامج الفايبير ، او أي برنامج آخر ، ووالداها ينظران إليها من النافذة ولكن لا يستطيعان تركها وهما يعيشان معها الأحداث ، فيخرجا ليجلسا قربا برهة ثم يطلبها منها الدخول .

الأم معترضة : الى متى هذا الجنون يا سبياً ؟؟؟ والله لا أحد يصدق ما تفعلينه بنفسك وبنا نحن ... وكأنك عاشقة ، ولو كانت أيار رجلاً لعذرتك .

سبياً مبتسمة بإعتراض : أدخلني يا أمي لنلا تبردي ... فأنا أحب هذا الجو .

الأب مبتسماً : يا أم أطوار الصداقة رباطاً روحياً مقدس بين القلوب الطاهرة

وحباً في الله لا ينته بإنتهاء المسافات ولا حتى بإنتهاء النفس البشرية ، نعم إن التجاذب الروحي بين الأصدقاء نوع من أنواع العشق ، فلا تستغربي البتة .
الأم منزعة : والله ... يا رجل ... أنت الذي توقد النار فيها كلما بردت .
سبأ : أتعرفين يا أمي أن الله تعالى وضع أيار في دمي وكأنها تعيش داخل جسدي كروحي هذه التي تتعامل معك الآن ، على الرغم من هروبي من حياتها.
 الأب مبتسماً : وأزيدك علماً بأن الصداقة الروحية الصداقة المتأخية في الله أقوى من علاقات الزواج المقدسة ، لأن الثانية وأن توثقت لسنوات وكبرت الاسرة ، سرعان ما تنتهي لأتفه الاسباب بالطلاق والفرار ، أما الصداقة فهي بحر مترامي الاطراف لا ينتهي ولا يموت أبداً .

أخبرت أم سالم زكية بأنها سراج الدين تشاجر مع أخيه نائل ولا تعرف سبب ضعف علاقتهما ولكنها سمعت ايضا ان الاخير يريد طرد شامخ وزجته من المنزل بحجة عدم جواز وجوده في المنزل بعد وفاة والده ، وعندما سمعت زكية بذلك ضاقت الأرض بها بما رحبت فهذا هو اليوم الذي كانت تخشاه فكيف بها اليوم وقد رُزقت بثلاثة أولاد وعمل والدهم لا يكفي للإيجار فأسرعت وأخبرت زوجها بذلك ألهيء نفسه للحياة الجديدة وبيحث عن عمل جديد أو بيت ، لا يعرف ماذا يفعل وهو مقطوع من شجرة لا أحد له .
شامخ منزعجاً : الى أين سنذهب ومعنا ثلاثة أطفال؟ لقد عجزت عن التفكير .
زكية مترققة العينين : سأخبر الأنسة مروة .

شامخ : وماذا ستفعل لنا ، هي الأخرى في أزمة ، كل أملاك والدها للوارثين حتى هذا المنزل والمعمل .

زكية : ان مروة طيبة ولن تفرط فينا سنعيش معها نخدمها ، فلديها عمل يمكن ان يجعلها واقفة على قدميها .

شامخ : يعني ستستأجر بيتاً صغيراً براتبها وتنفق على خمسة افراد كخدم ، ثم ان الامر ليس بيدها ، بل بيد زوجها .

زكية : في كل الأحوال سأطلع مروة بذلك ولنرى ما هو رأيها بكلام نائل .
 شامخ : إن نائل رجل وصولي حسود بغيض لا يحب الخير لأحد ، قبل أيام
 وبينما كنت جالساً في الحديقة أهدهد ولدنا الصغير محمود أحاول اسكاته ،
 وعبد الرحمن وعبد الملك يتمسكان به يتضحكان معه ، دخل عليّ نائل متسيداً
 وكأنه يريد إلتهامي فسألني بهزاء لمن هذه الروضة وأشار بيده الى أطفالى
 بدهشة وإستغراب ، فقلت له هؤلاء أطفالى رزقنى الله بهم تبعاً ، فقال لى
 بنظرة عدم رضا : أمر غريب ، للتو تزوجت متى ولدوا ومتى كبروا ، وثلاثة
 أولاد ، أتعرف بأنى متزوج منذ عشر سنوات ولم أنجب سوى ولد صغير
 كولدك هذا وأشار الى عبد الملك ، ثم استطرده قائلاً : ولى بنت ابتليت بالبدانة
 والمرض ولا أعرف ماذا افعل لها .

زكية بقلق : يا إلهى ... أحفظ لنا أولادنا ... حسبنا الله ونعم الوكيل .

عاودت أيار الى غرفتها من جديد وقبل أن تفتح نوافذ الإتصال
 الإلكترونية سحبت كرسيها وفتحت دفترها وأخذت قلمها من الدرج وراحت
 تتكلم مع من لا زالت تسكن خيالها على صحراء الورق الأبيض الذى يُجسد كل
 الأحاسيس بصدق وشفافية متناهية ، وراحت تكتب : -

صديقتى كم أفقد سؤالك عنى ... لا زلت كما أنا لم أتغيير ... شوق
 جارف ولهفة مجنونة ... للقاءك ... تقاسيم وجهك الجميل مرسومة على
 جدران حياتى ... وصوتك السحري يسكن أسماعى ... وبسمتك الملائكية
 تتراقص فى حدقات عيونى لا أصدق ... بأنك هجرتينى وجفوتينى ...
 دون سبب ...

والذكريات الجميلة المنحوتة على أرشيف ذاكرتى كيف لى أن لا أعيشها ؟
 وأتذذ فيها كل يوم ... كيف لى أن أنساك وقد أصبحت كظلى ... أراك قبل أن
 أنام وبعد أن أستيقظ ... وأكلمك كل حين وأشعر بأنك تسمعينى ... ؟
 يقولون بأن السنين كفيلة بالنسيان ... تُبلد المشاعر وتُحجر الأحاسيس ...

فمال مشاعري تجاهك ... تتجدد وتتورد ... وتدب الروح فيها كل يوم ...؟
 وأنا ... لا زلت قابعة في مكاني ... لم أتعين ... ولم أتزوج ... ولم أتحرك
 خطوة واحدة جديدة ... أتخبط في ذكرياتي خبط عشواء ...
 تغيرت أمور كثيرة في بيتنا ... رحل جدي ... وتأثرنا عليه ... على الرغم من
 عمره الذي ناهز التسعين ... عمي ... تعيش في حالة اكتئاب غير معهودة
 مُعاذ سافر الى دبي وأخذ الطرفة والنكتة معه ... وسافرت روح امي معه ...
 والدي مكتب ... وعلاقته مع عمي ... ساعات لا اعرف لماذا ؟
 قتيبة مشغل في حياته الجديدة ... زوجته المقرفة ... وطفله الرائع ...
 وأنس مشغول في دراسته ...

وحتى تسنيم مشغول باللعب مع أصدقائه الجدد عبد الرحمن وعبد الملك ...
 والمضحك حتى أم سالم ملّت حياتنا وأنضمت الى زكية ... فيا لسخرية القدر
 بي يا سبأ ... أشعر بالوحدة القاتلة ... وأحتاجك بشدة كشوق الصائم للماء ...
 وشوق الصحراء للمطر ... وشوق العصافير للأغصان ...

بقيت مروة في صومعة حدادها لم تتصل بمنذر لتعتذر له ولم يتصل هو
 ليعتذر لها لأنه لم يخطأ بحقها ولا قيد أنملة بحسب زعمه ، وقد أخبرت سُبُل
 بذلك مما دعا الأخيرة الى المبادرة والإتصال به والتحدث إليه دون ان تخبرها
 بذلك ، للحيلولة دون تفاقم الأزمة بينهما وايجاد الحلول الكفيلة لرأب الصدع .
 سُبُل : حقيقة أنا أعرف مروة وكم تُحبك ولكن الظروف التي مرت بها كانت
 قاسية جداً وأنت تعلم عمق صلتها وتعلقها بوالدها .

منذر واجماً منتهداً : للأسف وبحسب المعطيات التي لمستها بأن مروة لم تحب
 إلا نفسها ، وحقيقة أشعر بالشلل التام والجهل المطبق بالطريقة التي يمكنني ان
 أتعامل بها ، وللأسف كل الظروف تقف بوجهي فيالسخرية القدر قبل أن
 نتصلح مات والدها ، فحملتني المسؤولية ورمت الخاتم بوجهي .

سُبُل منتهدة : نعم أعرف ذلك ... ولا تهتم بأمر الخاتم فهي زوجتك شرعاً

وقانوناً بموجب القران الشرعي والقانوني ، ومن واجبك الوقوف بجانبها وعدم التخلي عنها بمثل هذه الظروف العصبية .

منذر مكتئباً : لقد بقيت في المأتم مع عائلتها ولا أحد يعرف بهذا الأمر غيرك ، وأنا لم أتخلى عنها يوماً ولا قيد أنملة ، ولكنها باتت عصبية متقلبة المزاج وهي تعرف بأنني رهن إشارتها متى ما طلبت مني الوقوف معها ، ولكن أكره أن أسمع منها أي كلمة صدود أخرى ومن الأفضل أن أتركها حتى تهدأ .

سُئِلَ : والله يزعجني ويُقلقني وضعها النفسي المتأزم وأتمنى عليك أن تساعدنا فليس بين الأحبة كرامة ، وقد عانت من فراقك كثيراً وسبحان الله قبل ان تفرح بك زارها الحزن ، لذلك تعاملت معك بهذا الإسلوب .

منذر يائساً : وماذا لو صدقتني من جديد؟؟ أرجوك إتركها حتى تهدأ ، وتعرف وتقرر القرار الذي يناسبها بوضعها الجديد فقد أخبرتني بإنقضاء حاجتها لي ، ولن أفرض نفسي عليها والله لو كلفني ذلك حياتي .

سُئِلَ مُتَنَهِّدَةً : هداكما الله وأصلح بالكما ، ووالله لن يهدأ لي بال إلا وأراكما مع بعضكما ، وإن شاء الله أزمة عابرة .

بدأت مشاكل **نائل** جهاراً مع **شامخ** وطرده من منزل أبيه ، ومطالبته أخيه **سراج الدين** بتقسيم الورث ليتولى إدارة المعمل فهو القادر على ادارته بحسب زعمه ، وعلى الرغم من توتر العلاقة بينه وبين أخيه فله الحق في المطالبة في الورث هذا ما قاله له أخوه وهو يحاوره مشيحاً بوجهه : لا أستغرب ... مطالبتك بتقسيم الأثر البتة .

نائل مبتسماً : أليس هذا حق وأنت رجل قانون .

سراج الدين ساخراً : نعم من حقك ... الإستعجال ، وقد استعجلت بموت أبيك فكيف لا تستعجل بتقسيم أمواله ! وضرب الآخرين عرض الحائط .

نائل منزعجاً : أقسمت لك بأنني تكلمت بهدوء مع والدي .

سراج الدين قاطعه رافعاً يده : صه ... لا تتفوه بأي قسم فأنتك فاقد للمصداقية

حتى ولو أقسمت على كل مقدسات الكون ، ليس لديّ وقت أريد الخروج للمكتب ، أوجز ما تريد قوله ، دون أي مقدمات .

نائل منزعجاً متنهداً : سأقبل كلامك اللاذع لأنك أخي الكبير والوحيد ، ولولا ظروفى المادية الصعبة لما طلبت منك الإسراع بتصفية الأملاك بيننا .

سراج الدين : لا تستغفل نفسك بقولك بيننا ، فهناك السيدة فاطمة والأختان أسيل ومروة وصية أبي لنا ، فحالك المادي جيد جداً فلا تتباكى اقلع عن هذه الصفة .

نائل : لا ... لم ولن أنسى مروة ... فأنا قررت إعطائها بيت والذي القديم الذي عاشت فيه والدتي رحمها الله لتسكن فيه هي ووالدتها وزوجها المعتوه منذر .

قتيبة مستغرباً معترضاً موجهاً كلامه لوالده : يا أبتى هذا إحفاف بحق عمتي ، فكيف تستطيعون فعل ذلك ، اتركوها تعيش في منزل والدها بسلام ولا تعرضوه للبيع .

نائل : يا قتيبة ... هذا شرع الله ... فلا تعترض عليه .

سراج الدين بهدوء : يا قتيبة ... لا تُفحم نفسك وأترك الأمر ، فهناك وصية .

نائل مستغرباً منزعجاً : ماذا وصية ؟ أي وصية هذه ... لم أسمع بها ... ثم إني لا أعترف بأية وصية غير قانونية .

سراج بهدوء : إطمئن فهي قانونية وموثقة في المحكمة ، بعد اسبوعين من الآن بحسب وصية والدي سنقرأها بحضور كل الورثة .

تواصل سبأ كل حين تتبعتها لأيار وجربت الإتصال برقمها أكثر من مرة بعد أن جربت الإتصال بوالدها وتأكدت من تغيير نبرة صوتها بحسب البرنامج ، ولكن دون جدوى اسبوعان من الألم والقلق ، فعلى الرغم من أعمالها مع مصرف البيبال الألكتروني إلا أن نقالها نصب عينها والسماعة اللاسلكية في أذنها ، وبينما هي تُدخل بعض البيانات الخاصة في عملها وثبت على هاتفها وجربت الإتصال ، فإذا بالنقال مفتوح ، إهتزت عروش مشاعرها وكادت أن تعانق النقال الذي يحوي رقمها ، وبذات الوقت إستغربت أيار من

الإتصال لم يظهر رقم فراحت تحملق بالنقال الذي يتربع راحة كفها بإستغراب وهي تصعد على درجات السلم متوجهة الى غرفتها وهي تحدث نفسها إتصال بلا رقم الى أن أنتهى ، سمعتها طيبة وهي تنظر إليها بإهتمام لتتعرف سبب استغرابها قائلة : من على الهاتف ولماذا لم تردى ؟

أيار مبتسمة معترضة : تتحرقين شوقاً لتسارعي بنشر الخبر .

طيبة : لا ليس كذلك ... أرجوك لا تعامليني بهذا الجفاء والريبة مجرد سؤال؟! وبينما هي كذلك رنّ النقال من جديد فتوجهت أيار الى غرفتها وتوجهت طيبة خلفها بكل فضول ، فدخلت أيار الغرفة وأغلقت الباب وقالت لها معذرة عندي إتصال مهم وبعد أن أوصلت الباب فتحت الهاتف وقالت : نعم .

سبأ وقد إزدادت ضربات قلبها وكادت ان تقع من شدة الفرح وتركت أنفاسها تتكلم : **أيار** شكيت وشعرت بأن المتصل **سبأ** فأختلطت مشاعر الفرح بالحزن : نعم ، ولكن **سبأ** راحت تسمع وتعيش لحظات الخيال التي لا يفهمها إلا من عاشها وجربها .

أيار متأثرة متتهدة : من الوقاحة القصوى أن نتعامل مع الآخرين بإسلوب الأفتعة الزانفة ومن الفجاجة بمكان مراقبة الآخرين كاللصوص من بعيد ، غير أبهين بلعنة الأوجاع التي نسبها لهم ، وغير أبهين بخيبة الأمل التي تركناها لهم ، وبينما هي تتكلم أمتلأت عيون **سبأ** بالدموع وتغيرت أنفاسها ، وأستشعرت **أيار** ذلك ، فواصلت كلامها متأثرة وقد بان في صوتها ، يا لسخرية القدر بالماء الفرات الذي بات أجاجاً ، الله هو الحقيقة الوحيدة في فوضى هذا الكون ، وعداه زيف ووهم وسراب ورغبة حقيرة جامحة بالإنتقام بدموع تماسيح لا تعرف الصدق أبداً ، ثم أغلقت الخط بوجهها عندما رأت صدرها أمتلاً بالغیظ وأمتلأت عيونها بغيوم مدلهمة من الدموع رمت النقال على سريرها وأجهشت بالبكاء ، وقد سمعت **طيبة** صوتها فحركها الفضول وهي تُدير مقبض الباب ولكنه مقفل ، الأمر الذي دعاها الى النزول مهرولة الى والدتها لتخبرها ببكاء ابنتها ، بصوت

مسموع ، وحالما سمعت والدتها بذلك أسرعت وكأنها تريد أن تصعد السلم درجتين درجتين وليس بواحدة وحالما وصلت حركت مقبض الباب بقوة بقوة وهي تناديهما بقلق : أيار ... ابنتي ماذا دهاك ، وحالما سمعت والدتها نهضت ومسحت دموعها بكلتا يديها وهبت لتفتح الباب وهي مستغربة : ماذا .

الوالدة ومعها طيبة : ماذا دهاك ؟ لماذا تبكين .

أيار وأنظارها مصوبه الى طيبة : أخبرتك الأذاعة المتنقلة .

الوالدة : لها الحق قلقت عليك وعيناك متورمتان ماذا حدث بحق السماء ؟

طيبة : والله قلقت عليك ولكنك لا تُصدقين دائماً .

أيار متتهدة : لا شيء يا أمي ... لقد أتصلت سبياً للتو وتأثرت قليلاً .

الأم مبتسمة : الحمد لله ... لقد أُرعبتيني ... فجنّتك سعياً وتركت الغسالة تعمل ... وكيف حالها في بريطانيا ؟

أيار : بخير الحمدُ وقد اعتادت على حياتها الجديدة ... لقد أغلقت الباب هروباً من الصحافة ولكنها ألتقطت الخبر بسرعة بحكم الخبرة والممارسة .

طيبة : سامحك الله ... لأنني أهتم لك تنعتيني بهذا النعت .

أيار : حسناً ... أذهبوا الى أعمالكم ... أشعر بالنعاس ... فرجعت الى غرفتها وأغلقت الباب وراحت الى نقالها تراجع كلامها بحسب برنامج التسجيل الموجود فيه وهي تتلذذ في سماع أنفاسها ميقة بلا شك بأنها سبياً ، التي غدت حالتها أشد وهي تتكلم مع والدها وهي الأخرى تراجع التسجيل وتنقل ما يحدث لوالدها ، الذي يلومها دائماً ويطلب منها أن تكسر جدار الصمت هذا وتخبرها بالحقيقة .

سبياً باكية : لقد أوثق لساني ولم أستطع التفوه بأي كلمة عندما سمعت صوتها .

يمان : ولكنها عرفتك وكل هذا الكلام موجه لك ، وإلا لماذا تتكلم بأسلوب اللغز الذي لا يفك شفرته سواك أنت مخطئة يا ماري فلا تستمري في هذا الخطأ .

وبعد أن سمعت أيار تسجيل الإتصال فتحت الفيس بوك فإنهالت

عشرات الرسائل والصور من ماري وجلها تنطوي على السؤال والقلق ، فراححت أيار تقلبها والإبتسامة مرسومة على محياها كم جميل أن يشعر الفرد بأن مهم وان لغيايه وحشة ، وكم جميل قلق الغريب الذي لم يرك يحبك دون مآرب مادية أخرى ، علاقة ألكترونية ولدت هذا الفيض من المحبة التي تجعل الفرد يشعر بالراحة ، وبعد أن تنفست الصعداء وهي تقرأ الرسائل راحت تكتب مسرورة : أه أيتها الشخصية الألكترونية الغربية الأطوار ... كيف غدوت من ماء وطن ... كيف دخلتي عوالي اللامرئية المشفرة ... وكيف جمعتي هذا الفيض من الكلمات المتألثة كعقد الجمان ... حقيقة ولأول مرة ينشر صدي بكلماتك ... الرقيقة .

أشركك أشرك يا ماري ... فقد أصبحت بخير الآن ... لا داعي للقلق .

ماري بعيون مترققة : الحمد لله على السلامة كدت أجن من القلق ... كيف حالك وأحوالك ... عساك بخير وصحة وعافية ... عسى الأمر خيراً .

أيار مبتسمة : رجعنا ... يا ماري للمصطلحات الرنثة !...

ماري وقد ارتسمت على محياها بسمة خفيفة وسط الدموع : لم أفهم !؟

أيار مبتسمة : استخدمتي كلمات بسيطة خالية من المبالغة .

ماري متنهدة : وهل بالغتي يا أيار بقولك الأنف وكيف جمعتي هذا الفيض من الكلمات المتألثة كعقد الجمان .

أيار مبتسمة : أها ... صحيح ... لا لم أبالغ ... ولكني وصفت كلماتك ... وهي بالفعل جميلة وقد تسربت موعلة في كل مساماتي .

سبأ : ويا ليتها تنفذ الى سويداء قلبك .

أيار ضاحكة : اعلمي يا صديقتي الألكترونية ومع جل احترامي وتقديري لك ولكلماتك الجميلة الرقيقة ، بأن الحب لا يخضع أبداً لقانون العرض والطلب وإنما ينبع من التآلف والتوافق الروحي وليس المادي .

ماري باعنتها : ماذا تفعلين بصديقتك المهاجرة عندما تأتيك مشتاقة مبررة

غيابها .

أيار متنهدة : سأنكفيء عليها كالموجة عندما أراها المهم أعرف سبب جفائها .

مروة وفاطمة تتحاوران مع شامخ وزكية وتطلب منهم عدم الإنصياح

لأوامر نائل ولكن زكية بدت تخاف منه ومن تهديداته .

مروة : قلتُ لكم لا تخافا ... فليس له أي سلطة عليكم .

فاطمة : لا تأبها لهذا البغيض الذي كان سبب بموت والده .

مروة متفاجئة : ماذا يا أمي هل تخبئين امرا ما ؟

فاطمة : لا ... ولكني تشائمت منه ، لأن والدك كان بخير قبل ان يأتي أخاك ،

وبعد مدة سمعت صياحه فوجدت والدك وقد فارق الحياة أمر لا يصدق .

مروة : الله أعلم بالسرائر يا أمي فوالدي كان يعاني القلب والجلطة .

فاطمة : المهم الآن لا تقلق يا شامخ فأنت كولدي واولادك أحبتي .

شامخ بيأس : يا سيدتي ... والله أشعر بالضياح بعد وفات الوالد وفقدان

السيطرة وأنت تعرفين بأني يتيم ومقطوع من شجرة وفتحت عيني عليه ، لقد

خرجت البارحة أبحث عن بيت للإيجار ورجعتُ خائباً فما لدي لا يكفي لسد

رمق هؤلاء الأطفال .

زكية باكية : لا تقل مقطوع من شجرة وأين ذهبت أنا .

مروة متنهدة : ألم أقل لكما لا تكثرنا لأي كلام سواء من أخي نائل أو غيره .

شامخ : كيف يا سيدتي وإن الأملاك ستتوزع بعد أيام .

فاطمة : أطمأنا ... لن نترككما أبداً ... أين ما نكون ستكونون معنا .

زكية انحنت محاولة تقبيل يدها : حفظك الله لنا سنضيع إن لم تؤوينا .

فاطمة سحبت يدها بسرعة : ما هذا يا أم عبد الرحمن فأنت كأبنتي وعندما

دخلتي بيتي كنت صغيرة وقد أحبيناك ولم نفرط بك قيد أنملة .

شامخ متأثراً : لا يؤلمني سوى هؤلاء الأطفال المساكين ، وان السيد نائل

أخبرنا بأن الوصية ستقرأ بعد أسبوع هذا يعني ان أمامي أسبوعاً .

مروة : لا تكرر الكلام يا أبا عبد الرحمن وأذهب الى عملك ولا ترد على أخي نائل بأي كلمة فليس له سلطان عليك أسمعت .

زكية متأثرة : قال شامخ للسيد نائل بأن عمله في الحديقة حتى إنه لا يدخل المطبخ.

فاطمة مبتسمة : أها .. المطبخ حضري لنا الغداء وسألعب مع أحبتي الصغار.

إعتادت أيار على التواصل اليومي مع سبأ لملأ الفراغ العاطفي الذي

تعاني منه ، ولكن جل أسئلة سبأ عن الصداقة والصديق وصدقتها المهاجرة .

أيار : ما سر إهتمامك بصدقتي المهاجرة أراك تكثيرين من السؤال عنها؟!

ماري : وما الضير في أسئلتني؟؟

أيار : لا ... للإستفسار ... فقط ... ليس إلا .

ماري : علاقتك بصدقتك المهاجرة كانت تجربة فيها دروس وعبر أليس كذلك.

أيار : نعم بالضبط .

ماري : وأنا أودُ الإفادة من هذه الدروس والعبر .

أيار قلبت شفقتها : أسئلتك مثيرة للريبة تجعلك غريبة الأطوار وكأنك تعرفيني

علم اليقين وتتبعين أخباري وخطواتي وأثري .

ماري مبتسمة : الله ... يا ليتني أحظى بلقائك ... ولو للحظة في حلم .

أيار مبتسمة : ها ... بدأنا ... العبارات الرنانة .

ماري : أيقن تماماً بأن صدقتك عشقت روحك فأخذتها معها عندما هاجرت

أعرفين لماذا؟؟؟ أخذتها .

أيار بعدم رضا : ولماذا؟!

ماري : لتعيش بها في عالمها الجديد ، معتقدة بأنك ستتكيفين على غيابها

وجفائها ولا تتألمين لفراقها، وإختارت أن تعيش ألم الفراق بمفردها، وهي تتوق

تماماً لرؤيتك ولقائك كتوق الحمام للشجر وتوق الصحراء المجدبة للمطر .

أيار بدهشة : ومن أين لك بهذه الإستنتاجات ؟ ومن أين لك بهذه العبارة

الأخيرة.

ماري : من خلال معرفتي بك ومعرفتي بها من خلالك ، أما العبارة فهي من البديهيات وكل من يشناق يشبه شوقه ولهفته وحاجته كالطيور التي تحتاج الى الوقوف والإستراحة من الطيران في مكان آمن فوق أغصان الأشجار بعيدا عن كل الأعين والباقي مفهوم ومن المسلمات به فبدون المطر لا حياة في الأرض.
أيار مبتسمة مازحة : أذن أخبري صديقتي المهاجرة عن تداخلك في لحظات الوهم التي تعيشينها ، بأني سأتناسى كل الكون عندما أراها .

لم تترك سُبُل صديقتها مروة تدور في دوامة الألم فدائماً تحرك صمتها وتدفعها الى الامام قدماً والتكيف مع الجديد وإصلاح الاخطاء قدر الامكان ، وعلى الرغم من ضيق وقتها كطبيبة وانشغالها ، تقضي ما تبقى من وقتها مع مروة ، تتحدث إليها وتحثها على عبور أزمتها مع منذر لتكمل معه حياتها ، فضلاً عن حديثها مع منذر .

مروة متنهدة : ألا تريني في حداد وقد فقدت والذي أجلي الحديث عن الاخرين.
سُبُل : وأنا أيضاً فقدت والذي وأنا بأمس الحاجة إليه وواصلت الحياة .
مروة متنهدة : أرجوك لا تضغطي على أعصابي أحتاج الى المزيد من الوقت ، اهتمي بخطيبك الآن وأتركي أمر منذر لوقت اخر .

سُبُل منزعة معترضة : تقصدين أف أمامك أتفرج فقط ليس كذلك ؟

مروة وقد ترققت عيونها وتحشرج الكلام في صدرها : أرجوك .
سُبُل وقد سالت دموعها مبتسمة وهي تشدُّ على يدها متنهدة : أنظري الى دموعي سالت قبل دموعك لمجرد ان رأيتها تترقق في عينيك ، فكيف أقف كالمتفرج يا مروة فهذا خارج طاقتي ، اسمك في قلبي اقترن مع اسم منذر فمستحيل ان ينفصل اسمه عن اسمك ولن اسمح أبداً بتدمير عشق دام سنوات وسنوات لن اسمح لك ثم ابتسمت وقالت : لم تسأليني عن قيادتي للسيارة .
مروة : ليس له الحق في عقابي لم أكن في وعيي عندما كلمته .

سُئِلَ مبتسمة : ولكنه بقي في بيتك مع ذويك طوال المآثم ، لقد أهنتيه وجرحتيه وطرديته من حياتك يا مروة لقد أهنتيه ، فكيف يقدم لك العزاء ومن يضمن له بعدم توجيهك اهانه اخرى امام الناس ، لقد أخطأتني في حقه ولا بد من الاعتذار ، لماذا تتجاهلي سيارتي الجديدة ؟

مروة مبتسمة : من يعتذر أنا؟! لا أبداً فأنت بطلة والقيادة أمر لا بد منه .

سُئِلَ : نعم انت من تعتذرين له ... وأشكرك على الاطراء .

مروة : حتى انه لم يكلف نفسه في السؤال عني .

سُئِلَ مبتسمة : يا حبيبتى أنت تعرفين جيداً بأنه يعتبرك الوحيدة له في هذه الحياة ولكنك رميتي الخاتم على الارض وهذه أهانه لا تغتفر .

مروة بأسى : قلت لك لم أنتبه لأي تصرف تصرفته معه ، وعن أي خاتم تتكلمين وبينى وبينه عقد قران شرعي وقانوني فمن الإجحاف ان لا يقف معي في أزمتي هذه ، ولا يوجد في الحياة أزمة أفسى من الموت ، المفروض يقدر كارثتي بفقد والدي ، المفروض يؤازرنى ويقف جنبي ويضمني الى أحضانه ليخفف من ألمي .

سُئِلَ مبتسمة : عبارتك رائعة فهل ستستقبله اذا زارك ؟

مروة باستغراب : انه زوجي يا سُئِلَ لماذا تتكلمين بهذا الاسلوب ؟

سُئِلَ مبتسمة : أعذريني قد أتخطب في كلامي ولكني لا أشعر بالراحة إلا بعد أن أراكما مع بعضكما ، ولاحظي بأنك عدتي الى حياتك الطبيعية وعملك وعلاقاتك مع الآخرين وتردين على كل الاتصالات ونسيتي اصلاح أهم شيء في حياتك .

كانت سُئِلَ تتواصل مع منذر وتتحدث إليه هاتفياً وتحته دائماً على التواصل وأخذ زمام المبادرة ، كما تحت مروة بالضبط وكان تواصلها معه مصدر سرور يجعله يسمع اخبار مروة ويطمأن عليها من خلالها ، وتنقل له عبارات مروة المهمة دون علمها بقصد إصلاح ذات البين بينهما ولتوضح

الكثير من الاعتقادات الخاطئة المرسومة في مخيلته بسبب الموقف الاخير ،
وتطمأنه بأن مروة تتوق لرؤياه وسماعه وتحتاج الى مؤازرته وتجاوزة ما قد
سبق ، وعلى الرغم من حزنه العميق هذه المرة اقتنع بكلامها ووعداها بأنه
سيزورها وينهي الامر .

سُئِلَ تهلّل وجهها وكاد النقال يسقط من يدها من شدة الفرح : صحيح أقسم لي .

منذر مبتسماً : وهل سمعتي الكذب عني ؟

سُئِلَ : كلا ولكن ليطمأن قلبي .

منذر مبتسماً : أقسم لك ، وأرجوك بأن لا تخبريها بذلك .

سُئِلَ مبتسمة : لا لا بالطبع لا ، فاجئها أفضل وأعد الابتسامة على محياها ،
فهي تحتاج الى المواساة والمؤازرة ستفرح كثيرا عندما تراك ولا تتأثر والله
تُحبك وتتمنى ان تراك ، أتعرف سأخبرك بعبارتها ولكن استحلفك بالله ان يبقى
الحديث بيننا قالت لي أمس : (قلت لك لم أنتبه لأي تصرف تصرفته معه ،
المفروض يؤازرني ويقف جنبي ويضمني الى أحضانه ليخفف من ألمي) .

منذر متأثراً : هي قالت لك ذلك هل أنت متأكدة دكتورة بأنها قالت ذلك ومتى !؟

سُئِلَ ضاحكاً : ليطمأن قلبك سأقسم لك والله وبالله وتالله قالت ذلك مساء الأمس .

سبأ تتمشى على احدى جوانب نهر التاييز الذي أحبته كثيراً الى درجة
العشق الملائكي لأواجه النقية التي تريح النفس وتهدأ الشوق ، تجلس الى جانب النهر
لتتحدث إليه تجده يفهم اللغة الشفوية التي تعودتها مع سبأ ، وعلى الرغم من جمال
الحياة هنا وتوسع قاعدة معارفها من العرب والاجانب في منطقتها وفي عملها في
المصرف الالكتروني وفي مجال الترجمة ، تبقى تترنم دائماً بأسلوب الحياة التي نشأت
فيها ، وتسترجع الذكريات التي تجعلها تنفّس الصعداء ، فأيار بالنسبة لها وكأنها
جذور الأرض التي نمت فيها ، وكأنها البلاد التي تنتمي إليها ، فكلما ذكر اسم بلاد ما
بين النهرين أمامها توسدت أيار ما بين هذين النهرين العظيمين دجلة والفرات ، ولكن
الأمر الآن بالنسبة لسبأ أصبح أكثر تعقيداً من ذي قبل ، إذا كان جفاؤها بدأ بفكرة

محاولة مساعدة أيار على نسيانها ، اليوم انتهى الأمر بأكدوبة ماري التي تتواصل معها ولا تعرف ماذا تفعل تشعر بأن الأمر تعقّد الى درجة الذروة وتوقف العقل عن التفكير ، وكأن حكايتها مع أيار خرجت من دور الواقعية الى دور التمثيلية ، وكيف يمكن لها أن تحل هذا اللغز وكيف ستخبر أيار بذلك ، وهل ستصفح عنها عندما تعرف ؟ كلها أسئلة تتزاحم بسرعة في رأسها فتارة تبتسم وتارة يرتسم على محياها الأسى بحسب حركة المنولوج مع الأمواج وبينما هي كذلك تنظر الى النهر والهواء العذب يداعب خصلات شعرها غارت في سرحتها الذهنية مع أيار مستذكرة كلامها القاسي الذي أفض مضجعا وأدخلها في دهاليز الحيرة والتساؤل ، ولاسيما قولها عبر الهاتف وكأنها فكت شفرة لغة ماري : من الوقاحة القصى أن نتعامل مع الاخرين بإسلوب الأفعنة الزائفة ومن الفجاجة بمكان مراقبة الاخرين كاللصوص من بعيد ، غير أبهين بلعنة الأوجاع التي نسببها لهم ، وغير أبهين بخيبة الأمل التي تركناها لهم ، يا لسخرية القدر بالماء الفرات الذي بات أجاجاً ، الله هو الحقيقة الوحيدة في فوضى هذا الكون ، وعدها زيف ووهم ورغبة جامحة بالانتقام بدموع التماسيح لا تعرف الصدق أبداً ، ولعل هذه الكلمات التي تتردد على ذاكرتها من أفسى ما سمعت منها ، فتشعل نيران الألم في صدرها وتملأ المقل طوفان من الدموع ، ولكنها تشعر بالراحة عندما تتحدث مع نهر التاييز وكأنه يفهمها ويُعانقها مؤيداً ومواسياً .

تجلس مروة في الحديقة وقد أعترتها الكأبه وحولها أطفال زكية يلعبون في العابهم ، تتحدث في دخيلة نفسها : أشعر بأني فقدت كل شيء بموتك يا أبي لا أشعر بطعم الحياة أبداً ، ولا قيمة للأشياء حولي كلها أمامك فتات ووهم وسراب ، هل تعرف بأن أخي نائل يريد الإسراع في تقسيم أموالك ؟ سنقول هذا الشرع والقانون ، وأنا معك يا والدي كما ربيتني ، ولكنه يتطفل على حياتي ويريد أن ينصب نفسه الوصي ، لدرجة إنه طرد شامخ وعائلته من بيتي هذا الذي ولدت فيه ، والأكثر من ذلك يا والدي يريد إخراجي ووالدتي منه ، ويحرمني من ذكريات الطفولة التي عشقتها معك ، كم هو تفكير دوني وقاصر أن يفكر الأخ في ايذاء أخيه ، وعلى الرغم من كل ذلك

لم أتفوه معه إلا بالخير كما علمتني وأمرتني لأنه أخي وقد أحتاجه يوماً ما وقد تدفعتني الحياة الى طلب العون منه ، وسأتركه يتلذذ بأوهام التركة ولن أتجادل معه الى ان يأتي اليوم الذي تقرأ فيه الوصية من قبل أخي الرائع سراج الدين ، وهناك أختلاف شاسع ما بينهما كالإختلاف ما بين الأرض والسماء ، أو بالاحرى كالفرق ما بين الثرى والثريا ، ولعل هذا المثل ينطبق بالصميم على نائل لأنه انسان عديم الإحساس بالآخرين ويريد تجريد الكل من أموالهم وتسخيرها له ولزوجته ، ولو أمتلك مال قارون يشعر بالدونية وبالمسكنه مع الأسف يا والدي أخي الذي يحمل أسمك يوصف بهذا الوصف السيء ، ولعل ما خُفي من شخصيته السيئة كان أعظم ، وعلى الرغم من كل مساوئه وطباعه الفجة لم أنتقده ولن أنتقده أمام الآخرين ، وان سألني الآخرون عن أختي سأقول كما وعدتني وأمرتني ، بأن أخلاقهم راقية كأخلاق الأنبياء وعظفهم عليّ كأختهم الصغرى كعطف الآباء ، نعم أبي لم ولن أكون إلا كما ربيتني وعلمتني ولن أنتقدهم إلا مع نفسي في حديثي الروحي معك ، وبينما هي كذلك تفاجأت بمجيء أنس وهو يحمل كتاب الإنكليزي وعندما رأته مسحت دموعها ورحبت به .

أنس : لا تبتك أرجوك فجدي طاعن في السن وقد تجاوز التسعين ورأى أولاد أحفاده .
 مروة مبتسمة بإستغراب على كلامه الطفولي : ماذا قلت يا أنس ... ! فجدك والدي ... ألا تحب والدك أن أصبح طاعناً في السن ... ورأى أحفاده .
 أنس خجلاً مطأطأ رأسه : أنا ... أقصد ... أن لا تؤذي نفسك عمتي .

وفي اليوم التالي وبعد أن أنهت الدكتورة مروة محاضراتها وجدت عبد الحافظ واقفاً عند باب غرفتها ، وبعد التحية طلب منها بأنه يريد التحدث إليها بأمر مهم جداً ، وأن لا يسمعه أحد من التدريسين فحبذا لو تكرمتي عليّ بسماعه في الحديقة أو في الكافتريا .

مروة : أكيد سأسمعك في المكان الذي يروق لك فأنت أحد طلبتي المتميزين ، وبعدها توجهت الى حيث الكافتريا بعد أن أبلغت د.مروة زميلتها د.فاطمة بأنها ستتوجه الى

الكافتريا مع تلميذها **عبد الحافظ** إن سأل عنها أحد ، وبعد أن وصلا طلبت له عصير الليمون اللذيذ وقالت بإبتسامة : كلي أذان صاغية تكلم .

عبد الحافظ مبتسماً ممتناً شاكراً : طبعاً أنت تعرفيني وتعرفين أخلاقي ومستواي العلمي وقد حصلت على بعثة الى بريطانيا وسأسافر قريباً ، وحالما سمعته رمقته بنظرة إستغراب ودهشة في نيته وطلبه وقالت في نفسها معقولة يقدم على ذلك؟! **مروة قاطعة بجدية مبتسمة** : عبد الحافظ ! أدخل في الموضوع بدون تمهيد تكلم مباشرة ، نعم سمعت بأمر البعثة الى بريطانيا وتمنيت لك كل الخير فأنت تستحق ذلك بجدارة .

كان **منذر** كتلة من المشاعر وهو في طريقه إليها ، وقد قضى ليلته في الاعداد للاحاديث الرومانسية وأحاديث العتب الشفاف التي سيبدأ بها مع **مروة** حالما ان يراها وهو يعرف جدولها الإسبوعي ولحظة انتهاء محاضرتها الأخيرة وقد تأنق غاية الأناقة ، والمنولوج الداخلي عنده لا يتوقف يتحدث مع نفسه على طول الطريق الى ان وصل الى باب غرفتها طرق الباب وحرك مقبضه ثم فاتحاً اياه باحثاً بعيون لاهنتين في مكتبها مباشرة فلم يجدها ، وحالما رأته **د.فاطمة** رحبت به مبتسمة وقالت : له **د.مروة** في الكافتريا .

منذر مبتسماً وبعد التحية : هي الآن في الكافتريا ، حسناً أشكرك دكتورة ، فأسرع الى حيث هدفه ومقصده والشوق يأسره ، وحالما وصل رأى ما لا يرضيه غارت بسمته وهو يقف قربها عند الطاولة وهو يراها تبتسم بفرح وسرور لم يتوقعه عكس وصف **سُبل** لها في حوارها مع **عبد الحافظ** ، وحالما رأته **مروة** أرتبكت وقالت : **منذر ! لم تعلمني بمجيبك** .

منذر بألم شديد : نعم كان لابد عليّ أن أستأذن قبل مجيبي للحديث معك .

نهضت مروة وشدت على يده بتوتر : أرجوك تفضل بالجلوس .

مروة : أرجوك أجلس **فبعد الحافظ** ليس غريباً .

منذر : واضح دكتورة واضح اسمحي لي وغادر بسرعة .

الجزء الثامن والأربعون

تخرج **خالد ياس حكيم** من المعهد الطبي وكان من العشرة الأوائل ، وقد حصل على التعيين في مستشفى البصرة التعليمي والدكتورة سُئِلَ هي التي قدمت أوراقه ولم يتوقف طموحه الى هذا الحد بل تطور الى فكرة دخوله كلية الصيدلة ، والدنيا لا تسعه من الفرح والإمتنان **للدكتورة سُئِلَ** التي دعمته الى أن وصل الى هذا التوظيف ، وفي حوار هاتفي مسائي :

خالد بفرح وغبطة : لك الفضا الكبير في حياتي ولو أقدم لك حياتي كلها لا أجازيك على ما قدمتيه لي من دعم مادي ومعنوي .

سُئِلَ بفرح : يسدني أن أراك بهذا السرور فأنا لم أقدم لك إلا ما يقتضيه الواجب ، وأنت شاب مجد ومثابر ومجتهد وتستحق كل الخير وسأبقى أدمعك الى ان تدخل كلية الصيدلة وتخرج منها ، ويكفي بأنك علمتني قيادة السيارة .

خالد بسرور : أنت من نعم الله عليّ دكتورة وأنا رهن أشارتك في كل شيء .

سُئِلَ مبتسمة : في كل شيء !

خالد مبتسماً : نعم رهن أشارتك في كل شيء أقسم لك في كل مقدسات الكون .

سُئِلَ بتردد : لم أسمع رأيك حول فسخ خطبتي من **دكتور آزر** .

خالد : والله أجمل خبر سمعته في حياتي شعرت وكأنني طرت من الفرح .

سُئِلَ بتردد : ولماذا طرت من الفرح هل لي أن أعرف !؟

خالد بتردد وارتباك : أ... لأنك جوهرة نادرة ثمينة وهذا المتكلف المتكبر لا يستحقك ، لقد كرهته وكرهت اسمه ، **خالد** يتحدث **وسُئِلَ** تتحدث في دخيلة نفسها والله لم أرَ مثل غبائك ، وهل تريدني أن أتقدم بنفسي لخطبتك ألا تشعر بأني موافقة فيك ، ألا تشعر بأنك أصبحت جزءاً من حياتي لا يمكنني الإستغناء عنك ، ثم عادت من سرحتها الذهنية وسألته : **خالد** وكيف حال الوالدة والأهل ؟

خالد مبتسماً : الوالدة تُحبك كثيراً وتدعو لك بالخير صباحاً ومساءً وستزورك قريباً في البيت ان شاء الله هي طلبت مني ذلك .

سُئِلَ وقد تهلل وجهها : صحيح ... حياها الله وبيهاها من الباب الى الباب ، ولكن عذراً على سؤالي لماذا تريد زيارتي؟!

خالد مبتسماً : لتشكرك على ما قدمته لي من دعم كبير لا يمكن أن يقدمه أي أحد .
سُئِلَ وقد غارت بسمتها : لا تكلف نفسها أذن فلم أقدم إلا الواجب ، قلبت شفتيها اعتراضاً ثم قالت : حسناً الى اللقاء عندي إتصال على الخط الثاني ، ولعلها أرادت أن تنهي الحوار بحجة ذلك وفي ذات الوقت تتصل بمنذر وتسمع منه قبل أن تسمع من مروة ما دار بينهما من حوار ، فاتصلت مراراً ولكن دون جدوى الهاتف مقفل ، فقالت في نفسها : ولكن لماذا لم يتصل بي ويطلعني على التفاصيل كما أتفقنا ، ابتسمت وهي تحدث نفسها : احتمال هو الآن في بيت مروة يتبادلان أحاديث العتاب والشوق ، ثم قالت ولكن ليس من عادة مروة أن لا تخبرني بعد كل حالة زعل بينهما، ماذا أفعل وهي لا تعرف بإتفاقي مع منذر لاتصل بها وأرى ماذا حدث بينهما بصور غير مباشرة.

مروة بهدوء : أهلاً سُئِلَ كيف الحال ؟

سُئِلَ مبتسمة : ماذا هل أنتِ نائمة ؟

مروة متنهدة : متعبة قليلاً ومستقلية على سريري .

سُئِلَ مستغربة : متعبة أم مريضة ؟

مروة بهدوء : لا والله متعبة .

سُئِلَ منزعة : وهل سابقي أسحب من فمك كلمة كلمة ثم أجمعها في عبارة ، كلميني ما الخطب ؟ كلميني فأنا أسمعك ، ولماذا أنت متعبة وممن أنت متعبة ؟

مروة متنهدة : متعبة من منذر .

سُئِلَ ضاحكة : هل أتصل بك ؟ هل زارك ؟ أرجوك واصلي دون توقف .

مروة : فاجأني بزيارة للكلية قد حدث (كيت وكيت) .

سُئِلَ قلبت شفتاها متأففة : ما هذا ولماذا يأتي عبد الحافظ في هذا الوقت الذي يأتي فيه منذر ، وأنت تعرفين جيداً بأنه يغار منه ولا يكاد يطيقه ، ولكن كان عليك التمسك به وعدم تركه يغادر فهو حساس جداً .

مروة بتوتر : والله تعبت من حساسيته المفرطة هذه وغيرته الصببانية ، ثم ممن يغار فعبد الحافظ أحد طلبتي وبعمر أبنائي لو كنت تزوجت وأنا صغيرة لكان أبنائي بعمره تقريباً .

سُئِل : العمر يركض ونحن لا زلنا نراوح أماكننا نتبطر .

مروة : كل شيء نصيب إذا كنتِ تبطرتي على الدكتور أزر فلم أتبطر أنا على أحد .

سُئِل أنزعجت ولكنها أسرتها في نفسها : لا أختيار ... فأنت تعرفين منذر وتعرفين بأنه أنتظرك كل هذا العمر ولا أعتقد أحداً ينتظر كل هذه السنين غير المتيم .

سُئِل : أرجوك صالحيه لأجلي ألم أطلب منك العون حول أمر خالد .

مروة متجهمة : لم يجبره أحد هو يعرف بأني نويت الدراسة العليا .

سُئِل : لقد أنهيتي الدراسة العليا منذ مدة لا تتغافلي الأمر .

مروة : مرت الأيام سريعة ، الدراسة ومرض والدي وما أعقبته من مشاكل .

سُئِل : السنون تمرُّ مسرعة لا زلتِ تنظرين بعين الشباب الى الأمر ، أتعرفين لماذا ؟ لأنك تعرفين بأن هناك رجلاً مشدود الوثاق وفقاً على بابك .

مروة منزعة : نظرتك لي ظالمة وقاسية وغير منطقية وغير صحيحة .

سُئِل مبتسمة ولكنها عندما تتكلم تخفي بسمتها بهدف تحريكها : خذي الحكمة مني الى الآن لم يتقدم لي الذي يناسبني ، فأرجوك أطلبي من منذر التحدث مع خالد وجس نبظه ان كان يرغب في الإرتباط أو لا .

مروة منزعة بتوتر : ما هذا يا سُئِل وهل هذه عقلانية توافقين على الدكتور أزر ، ولا تكثرثي لخالد ثم تتركي الدكتور أزر وتعودي تتوسلي من أجل التوسط عند خالد ، ثم من يضمن لك بعد أن حصل على الشهادة والوظيفة ، ولا تنسي بأن بينكما أكثر من سبع سنوات ، لذلك فكري برشادة ولا تنساقى خلف أهوانك ، فأنتِ راشدة يا دكتورة ، أم أنها مراهة الأربعين؟! بعد أن كانت سُئِل منصبته للغاية تأثرت كثيراً وأحمرت عيناها بل أختنقت ولم تستطع التفوه بأي كلمة وأغلقت الخط ، فإبتبعت مروة بعد كانت مسترسلة ونظرت الى نقالها وقالت يبدو بأن أنت انقطع ، لأكمل معها على الشريحة

فاتصلت بها مباشرة ولكنها لم ترد ، فعاودت الاتصال وراحت تسمع دقائقه هنيهة حتى سمعت النقال مغلقاً ، ففغرت فاها واتسعت حدقتها ، وقالت لماذا لماذا سُبُل ، فأسرعت بالإتصال عبر رقمها الآخر بنقال ثانٍ كانت قد خصصته لها ، فرنّ النقال وماهي إلا هنيهة حتى ألغت سُبُل الإتصال وظهر عندها مشغولاً وعرفت بأنها هي من ألغته ، فهاج الحزن في صدرها وراحت تكتب لها رسالة : ترى لماذا أغلقتي هاتفك ولماذا ألغيتي اتصالي كنا نتجاذب أطراف الحديث كما اعتدنا ، لماذا يا سُبُل ردي عليّ ؟ لستُ بحال المشاكل أرجوك ، ولكن سُبُل قرأت الرسالة ولم ترد عليها وقد تاهت في بكاءٍ شديد شكته لوسادتها ، بعد أن أغلقت نقالها الثاني ، علماً بأن مروة لاحظت بأنها قد أطلعت على الرسالة وتجاهلت الرد ، ولأول مرة في حياتها تتجاهلها بهذه الطريقة .

توسطت سريرها وجلست جلسة القرفصاء مكدرة الحال متوسوسة الخاطر وقد خيم عليها الحزن تحادث نفسها : كنا نتكلم كلاماً عادياً مجرد حوار ، وبينما هي كذلك تذكرت بأن في نقالها برنامج التسجيل ، فوثبت على النقال حتى كادت أن تقع من سريرها وبالحال فتحت البرنامج واستلقت وراحت تسمع الحديث بسماعة الأذن كلمة كلمة الى أن وصلت الى اللحظة التي انقطع عنده صوتها أي توقفت عن الحوار وراحت تنصت لها فقط وسمعت قبل أن تغلق خطها تنهيدة مكبوتة لعبارات لم تستسيغها ، وراحت تتحدث مع نفسها متأثرة ولكني قلتُ لها الحقيقة من وجهة نظري ولم أجمالها بالفعل ليس لها ضمانه منه ، ثم استطرقت قائلة : ولكنك بالفعل تجاوزتي يا مروة دون إنتباه جرحتها ، كان لا بد من إختيار اسلوب أكثر ليونة فالمباشرة تأثيرها كالسكتة القلبية ، وربما كلمتي الأخيرة أزعجتها أيضاً ، يا إلهي لم أتقصّد إيذاءها ولا قيد أنملة هي من استفزنتني بحوارها ، فجرحتها دون أن أنتبه فكم أنا قاسية كما وصفتني .

سبأ في محادثة يومية شجية ملائكية مسائية مع أيار ...

ماري : أيار هل سافرت خارج العراق .

أيار : لا أبداً ولكني أتوق الى ذلك يوماً ما .

ماري : وما هو مصدر هذا التوق؟!

أيار : لرؤية أخي مُعاذ الذي غادرنا واستحسن الحياة في الغربية .

ماري : وبعد ؟

أيار أستدركت مغزى السؤال وفهمته ولكنها تغافلت : ماذا تقصدين ؟

ماري : أشعر بأن توفك الروحي لصديقتك المهاجرة خف عندما سافر أخوك .

أيار مطرقة لحظة للتفكير : ومن أين لك بهذا الشعور غير الإلكتروني .

ماري : أنا أشعر بكل كلمة تكتبها وأشعر بتغيير مزاجك من حروفك .

أيار : والله إنك لتضمرين أمراً ... !

ماري بدهشة : ما هو هذا الأمر ؟

أيار : أحفظ نفسي بهذه المعلومة ولكن لي حدساً في الأشياء دائماً .

ماري سألت دموعها وقالت في دخيلة نفسها والله حدسك صحيح وأيقن تماماً بأنك

عرفتني ولكن توقعك غير مؤكد تريدين تأكيده : أعتذر على التطفل في أمان الله .

أيار شعرت بأن ماري ستسحب فأنشدت إليها : لا ماري لا تذهبي أرجوك فنحن في

حوار لا تنزعجي بالكاد بدأنا أسألي ما شئت عن صديقتي المهاجرة سأجيبك وبكل

صراحة ، فهي تعرفني جيداً لا أخشى في الحق لومة لائم .

ماري بحزن : أنتهت أسألتني لا أريد أن أفرض نفسي عليك .

أيار شعرت بأنها تتحدث مع سبأ لطالما شكت في ذلك منذ البداية وهذه عبارتها

المألوفة كانت دائما تقولها عندما تتأثر منها ، وأن أيار تستطيع أن تميز أسلوب سبأ

من ملايين الأساليب واختيار العبارات التي بالأصل لصيقة في شخصية الإنسان ،

فكتبت ماري .

ماري متأثرة : يا روح ماري .

فتحت أيار حدقتها وهذا أيضاً أسلوبها لطالما شكت في الأمر متتهدة : هل تُحبييني

بالفعل أو أنها مجرد كلمات عابرة كزخرف القول .

ماري وقد زادت دموعها : أحبك ... أكثر من روجي المتعبة ... لأنني أقسو على روجي أحياناً وأتمنى لها الموت في لحظات الضعف التي أمرُّ بها أحياناً .

أيار باكية : ولماذا بإعتقادك أن صديقتي هجرتني وهي تحمل لي ذات المشاعر ، ما هو دليل الحب في الله والأخوة في الله غير التواصل مع الأحبة .

ماري باكية : لقد فسرت لك الأمر أنفاً ، لتشابه قصتي مع قصتك .

أيار متظاهرة بالنسيان : متى لا أذكر فذاكرتي ضعيفة كذاكرات العجائز البالية .

ماري مبتسمة ضاحكة والدموع تغطي وجهها وهي تقول في نفسها والله تكذابين حبيبتي فذاكرتك قوية كالحديد : حسناً سأعيد إرسال ذات المحادثة من جديد لأنني أحفظ بكل المحادثات ولا أمسحها : (أيقن تماماً بأن صديقتك عشقت روحك فأخذتها معها عندما هاجرت أتعرفين لماذا ؟ أخذتها ، لتعيش بها في عالمها الجديد ، معتقدة بأنك ستتيكفين على غيابها وجفائها ولا تتألمين لفراقها ، وإختارت ان تعيش ألم الفراق بمفردها ، وهي تتوق تماماً لرؤيتك ولقائك كتوق الحمام للشجر وتوق الصحراء المجدبة للمطر) .

أيار متتهدة : ومن أين لك بهذه الإستنتاجات ؟ ومن أين لك بهذه العبارة الأخيرة ؟

ماري : من خلال معرفتي بك ومعرفتي بها من خلالك ، أما العبارة فهي من البديهيات وكل من يشناق يشبه شوقه ولهفته وحاجته ، كالطيور التي تحتاج الى الوقوف والاستراحة من الطيران في مكان آمن فوق أغصان الأشجار ، بعيدا عن كل الأعين والباقي مفهوم ومن المسلمات به فبدون المطر لا حياة في الارض .

أيار فرحة مستبشرة ولم تجف دموعها بعد وقد إزدادت خفقات قلبها متتهدة : نعم ...

أخبري صديقتي المهاجرة بأني سأتناسى كل الكون عندما أراها فأين هي الآن ؟

شعرت مروة بأنها في أتون من القلق الممض الموجه لم تشعر به من ذي قبل وكان بادياً على محياها حتى وهي تؤدي عملها في الكلية والأشد مضاضة بأن سبُّل لا ترد على اتصالاتها ، نعم أيقنت مروة بأنها أخطأت بحقها وجرحتها ولكنه خطأ غير مقصود وغير متعمد ، ثم كم أخاف عليها من قيادة السيارة وهي بهذا التوتر ، لا بد

عليها من الرد عليّ وان تفهمني وأخذ بالها يجيء ويروح بهذا الحديث وكأن فكرها أصبح مقعداً ماذا تفعل؟! لم تشعر بالراحة البتة ، انتهى نهارها ولم ترد صديقتها على اتصالها وهي تعرف بأنها في وقت العصر في العيادة ، وبينما هي كذلك ترواح مكانها في غرفتها ولا تعرف غير اللوم على نفسها لأنها لم تعتد أن تنقل مشاكلها مع صديقتها لوالدتها أو غيرها ، لأنها أكيد ستسأل عن الأسباب والمسببات ... الخ ، وبينما هي كذلك سمعت طرقاتاً على باب غرفتها فأجابت بتراخي وهي واقفة قرب النافذة ؟ تفضلي ، فإذا بها أيار تفاجأت بزيارتها إذ لم تبلغها بالمجيء ، المهم رحبت بها وجلسنا للتحدث .

مروة : هااا ... أيار ، هل وافقتي على الخاطب فإنه جيد ولا يمكن أن تقدم لك الحياة مثله فهو فرصة على طبق من ذهب .

أيار مبتسمة : لا عمتي أحتاج أسبوعاً للتفكير .

مروة قلبت شفيتها : لا أعتقد الأمر يحتاج الى تفكير .

أيار : عمتي لدي موضوع آخر ولكن في البداية أراك على غير عادتك وكأنك صائمة أقسم التعب الذي في وجهك كأنه تعب صائم أنهكه الجوع والعطش فهل أنت صائمة .

مروة : ماذا ؟ صائمة ؟ كلا كلا فأنا بخير مجرد تعب بسيط من الدوام ، المهم الآن تحدثي ما هو موضوعك ؟

أيار مبتسمة : لقد عرفت طريق سبأ .

مروة مستغربة : وما الجديد فهي في بريطانيا وبالسهولة معرفة طريقها من خلال السفارة العراقية هناك ، ولكن يسعدني البشر الذي في وجهك

أيار مبتسمة : كلا يا عمتي ... أتذكرين ماري التي كلمتك عنها والتي طالما شككت في أمرها وفي أسلوبها وتواصلها .

مروة برغبة في التعرف : نعم أتذكرها تماماً لقد أريتيني رسائلها ذات مرة .

أيار مبتسمة متنهدة : هي سبأ ... ماري هي سبأ .

مروة متصنعة الإبتسامة : وهل أتعرفت لك بذلك .

أيار متتهدة : نعم ولكن بشكل غير مباشر ، عرفتھا نعم عرفتھا والله من البداية من أسلوبها فأنا أعرف أسلوبها في الكتابة ولو من مليون أسلوب .

مروة : وما هي الخطوة القادمة أذن هل تتمنين الذهاب إليها .

أيار : يا ليت هذه أمنية حياتي .

مروة : أذن ستتحقق هذه الأمنية قريباً .

أيار شادة على يد عمته : وكيف يا عمتي .

مروة مستغربة : أولم تعرفي بأن عبد الحافظ الذي تقدم لخطبتك سيكمل دراسته العليا في بريطانيا .

أيار باستغراب وتوتر : كلا عمتي كلا والدته لم تقل ذلك ولكن عتبي عليك كان المفروض بأنك أول من تخبرني بذلك .

مروة : لقد أنشغلت عنك هذه الأيام سأتصل به ليأتي الى الكلية وتحديثي معه .

أيار : أذن أنا موافقة على عبد الحافظ ان كان بالفعل سيدرس في بريطانيا وسأأخذني معه ، أما إذا كان قصد والدته أن أبقى معها وهو يسافر فلن أوافق .

مروة : هذه حياتك فلا تربطها بمصير الآخرين حتى ولو كانت صديقتك فالحياة العائلية مادية والصدقة جانب روعي منفصل تماماً عن المادة .

أيار مستغربة مبتسمة : عذراً ولكن ينطبق عليك قول الشاعر : يداوي الناس وهو عليل ، تغدقين عليّ بأطنان النصائح ولا تطبقي واحدة على نفسك .

مروة : ليس من الرشادة أن يضيع شباب المرء دون أن يرى ثماره أمام عينه .

أما سئبل فهي الأشد توتراً وألماً وتأثراً من مروة ، ولكن تتظاهر بالتعب أيضاً وقد انعدمت ابتسامتها وأصبح أسلوبها مباشر مع الجميع ولم تشعر برغبة بالرد حتى على مروة ، فجرحها كبير بحسب إعتقادها وتحتاج للوقت حتى ترد وربما لا ترد أبداً وربما لا تسمح أبداً لمروة ان تتواصل معها ما دامت تتعامل بمكابرة حتى مع زوجها ، تتحدث مع نفسها حول غرابة الموقف وقساوته ، المهم زعلها شديد وعميق بحسب شدة وعمق الأواصر التي تربطها منذ سنين ، ولعل أبرز من تأثر بهذه الأزمة هو

خالد الذي راحت تعامله بسطحية ومباشرة لم يعهدها منها من قبل وحالما تنهي عملها تخرج بالحال الى بيتها دون ان تنبس بأي كلمة ، وعلى الرغم من محاولته سؤالها ولكن دون جدوى فأسرّ الأمر في نفسه معتقداً بأنها تأزمت بسبب تركها للدكتور آزر ، ولكن لفرط تعلقه بها شعر وكأن هذه الأزيمة تسللت الى صدره وحياته ولم يعد يحتمل الأمر ، فأتصل بالدكتورة مروة وأخبرها بأنه سيزورها في الكلية ، وقد وجدته أمامها بحسب الوقت الذي حددته له وبعد التحية والسلام بدأ الحديث .

خالد بخجل : أنا أعتذر عن الإزعاج ولكن الموضوع مهم ويتعلق بالدكتور سئبل فأردت أن أطلعك عنها .

مروة بوجل : ماذا سئبل ، ما بها أرجوك تكلم بسرعة وبدون مقدمات .

خالد : منذ ثلاثة أيام أنقلبت رأساً على عقب أشعر بأن لديها مشكلة وعلى الرغم من اني حاولت أن أسالها ولكنها لم تتجاوب معي فخفت أن ألح عليها .

مروة متتهدة بأسى : وماذا بعد ؟ تكلم يا أبا الوليد أنا كلي أذان صاغية .

خالد : وكأني أرى الدكتورة سئبل ثانية وليست هي ، غارت ابتسامتها الجميلة وسؤالها الدائم وحديثها الشجي ، وتحول تعاملها الى تعامل جاد مئة بالمئة ، وهي تضمّر ألماً كبيراً أثرّ عليها ، وعلى نفسيتها لذلك لم أجد نفسي إلا أمامك لأنني أعرف بأنك أقرب الناس إليها ، وربما أعرف سبب انطوائها على نفسها .

مروة شعرت بالراحة من حديثه متتهدة : وماذا تعتقد السبب ؟

خالد منزعجاً متوتراً : ذلك الرجل المتكبر الذي حوّل حياتي الى جحيم .

مروة مبتسمة محاولة اغتنام الفرصة : ولماذا حوّل حياتك الى جحيم ما الربط يا أبا الوليد ؟

خالد خجلاً وكأنه لم ينتبه لكلامه مسح على وجهه بمنديله : أعتذر دكتورة زلة لسان غير مقصودة ، قصدت بأنه أذاها .

مروة مبتسمة : ومن أين عرفت بأنه أذاها ، هي التي رفضته بمحض إرادتها ولم يطلب منها أحد ذلك ، فهل أخبرتك هي بذلك .

خالد : لم تخبرني ولكن أراها وأشعر بها .

مروة مبتسمة مسرورة وقد انشرح صدرها وتنفست الصعداء : خالد أريد أن أسألك

سؤالاً ، وأريدك أن تجيبني بصراحة تامة .

خالد : نعم دكتورة تفضلي أسألي .

مروة مبتسمة : لماذا قصدتني لتحدثني عن الدكتورة **سُئِل** .

خالد مستغرباً : سؤالك غريب دكتورة .. طبعاً لأنك الأقرب الى روحها وروح

صديقي **منذر** وهما دائماً يكلماني عنك وعن مكانتك عندهما منذ سنين .

مروة متتهدة : وماذا بعد لماذا قصدتني بالذات ؟

خالد : لأنني أثق بأنك أنت الوحيدة القادرة على إخراجها من الضيق التي هي فيه الآن

ولا أعرف غير ذلك .

مروة : تقصد بأنك تثق بي .

خالد بسرعة : طبعاً أثق بكِ دكتورة وثقة كبيرة ومن ذا الذي لا يثق فيك ؟!

مروة : يسعدني والله قول ذلك ، أذن كلمني بحجم هذه الثقة واعتبرني أختك وأعدك أن

يبقى الحديث بيننا ، ما طبيعة علاقتك **بِسُئِل** وما هو سبب اهتمامك بها ، الى درجة

تتحول حياتك الى جحيم عندما خطبها **الدكتور آزر** ؟ هل تكن لها مشاعر خاصة ، أبعد

من مشاعر علاقة العمل والأخوة في الله ؟

خالد بأسى : يا سيدتي نحن ناس بسطاء وقد نتخبط في مشاعرنا وفي حاجاتنا وفي

مطالبنا ، والدكتورة **سُئِل** نعمة من السماء هطلت عليّ بغزارة ونقلتني نقلة نوعية من

اللاشيء الى الشيء ، من اللاوجود الى الوجود ، من عامل بسطة على قارعة الطريق

في السوق الى موظف حكومي في المستشفى ومؤهل لدخول كلية الصيدلة ان شاء الله

، ولكني مع الوقت شعرت بأنها أصبحت كل حياتي ولا أتصور حياتي بدونها ووالله

... أحبها أكثر من روحي وحياتي ، وأعذريني قد يخونني الوصف لأنني لم أتوقع يوماً

أن أبوح بلواعجي لأحد ، وأرجوك أن تبقي هذا الأمر بيننا .

مروة مسرورة : أطمأن ولكن هل أخبرتها بذلك ؟

خالد : كلا ، أخاف من الأمر لأنني لست بمستواها .

مروة مبتسمة : أنت شاب رائع ومؤمن فلا تنظر لنفسك بهذه النظرة القاصرة فشأنك أكبر من ذلك بكثير ، ولا تنسَ بأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف ، لذلك لابد أن تغتنم الفرصة وتبوح لسئبل بحقيقة مشاعرك وتخبرها بنيتك بخطبتها والإرتباط بها وخذ مني كلمة بأني سأدعمك الى أبعد الحدود ، لابد أن تسرع في خطبتها ، سبحان الله ربما دعوت الله تعالى ان يجعلها من نصيبك ، لتقوم هي بإتخاذ قرار مصيري بترك الدكتور آزر ، وأنبهك وأحذرك من أمر جديد أنت لا تعرفه بأن هناك شخصاً جديداً شاباً وكفاءة ومناسباً لها كلمني عنها أمس وطلب مني أن احدد له موعداً لزيارتها في البيت .

خالد تصبب العرق من على وجهه : متى حدث هذا الأمر ؟

مروة بتمثيل : أنا نبهتك وربما زارها أو خطبها لا نعرف وستذهب فرصة ثانية من يدك ، وعليه اغتنم الوقت فهو ليس بصالحك ، تكلم معها الآن .

خالد متردد : الآن ! لا .. بل .. أفضل عصراً سأكلمها ولكن ؟ هلا تكرمتي عليّ بجس نبضها وأخبارها بالأمر ، أنا أرى من الأفضل التمهيد لذلك !؟

مروة مبتسمة مسرورة : حسناً يا أبا الوليد أنا سأكلمها وسأدعمك ان شاء الله .

خالد فرحاً : أنا أشكرك دكتورة يعجز لساني عن شكرك حفظك الله ورعاك .

لقد تم الإتفاق بسرعة بين أيار وعبد الحافظ وفي ذات الاسبوع جرت الخطبة وحفلة العرس ، لأنه يعدُّ العدة للسفر الى بريطانيا وأيار الأشدُّ شوقاً وتحمساً إليه وكل يوم تسألته كم تبقى من وقت .

عبد الحافظ مبتسماً : أشكر القدر الذي جعل سبأ في طريقك .

أيار مستغربة : ولماذا تشكر القدر لم أفهمك !؟

عبد الحافظ : لأنها السبب في قبولك لي ، لولاها ما قبلت بي زوجاً أليس كذلك ؟

أيار مبتسمة : شددت على يده أنت الآن زوجي وحيبي فأرجوك لا تؤاخذني على كلمات تلفظتها وأنت غريب عليّ أرجوك .

عبد الحافظ مماًزحاً : أفهم من ذلك بأنك نسييتي سبأ ألا تريدين رؤيتها .

أيار متتهدة : لأنك زوجي المفروض أن تتعرف على كل مكونات صديري ، فأعرف يا زوجي الحبيب لو كان في عمري يوم واحد فقط ، سأطلب رؤيتها ولقاءها ، وبينما هي تتكلم بكت ، واستطردت الكلام : لأسألك فقط لماذا هجرتيني لماذا دون وداع ولا كلمة ولا تواصل ترى هل نسييتيني ؟

عبد الحافظ تأثر كثيراً ومسح دموعها بكلتا يديه : أنظري يا زوجتي الحبيبة ، طوال حياتي لم أخلف وعداً ولم أفش سراً ، ولكني لا أحب أبداً أن أراك تعيشين هذا الألم بل الوجد الذي أراك فيه ، وسأطلعك على أمر أن سبأ اجتهدت في تصرفاتها معك وأكد ومؤكد لم تصب ، وقد حدثتني عن الأمر صديقي وعد عندما أخبرته بأمر خطبتي لك ، بأن سبأ كانت بأشد حالات الألم قبل أن تسافر وكان روحها تصعد للسماء ، وقد طلبت منه أن يساعدها في تصرفاتها ضدك لتوهمك بأنها حقيقة حتى تكرهها ولا تعاني بعد سفرها ، علماً بأنه متواصل معها الى الآن عبر مواقع التواصل الاجتماعي وأنا الآن سأروي لك القصة (كيت وكيت) ، فأطمئني يا حبيبتي هي أشد معاناة منك اليوم لأنها لا تعرف كيف تتجاوز هذه الأزمة وتخشى أن تفهميها فأرجوك لا تبكي .

أيار باكية : كلامك صحيح مئة بالمئة لأنها تتواصل معي بأسم ماري (كيت وكيت)، وتكتب لي كل يوم وقد كتبت لي كل كلمة قلتها بذريعة تشابه الاحداث ، يا ليتني ألتقيها يا ليتني .

عبد الحافظ مبتسماً : أعدك بأنني سأوصلك عندها لأن وعد أعطاني عنوانها الكامل بالضبط وأنها كل يوم خميس تذهب الى نهر التايمز لتتحدث معك .

أيار أجهشت بالبكاء : يا ليتني أراها قرب هذا النهر من بعيد وأراقبها كيف تتحدث إليّ ومن يجالسها .

عبد الحافظ : أرجوك كفا ... بكاء ... ستصلين إليها ان شاء الله قريباً أعدك .

أيار : وأطلب من وعد بأن لا يخبرها بأمر زواجنا وسفرنا .

عبد الحافظ : بالطبع نبهته لهذا الأمر قبل أن يبث الخبر إليها إطمأني .

أيار : وماذا حدثك عنها بعد أريد أن أعرف كل أخبارها بالتفصيل الممل .
عبد الحافظ : أنها تعمل هناك في مجال الترجمة في إحدى شركات الترجمة العالمية ،
 فضلاً عن أنها تعمل في مجال الإعلان الافتراضي وهي جالسة في بيتها .
 أيار مبتسمة ولم تجف دموعها بعد : يا حبيبة روجي ، وعلى الرغم من عملها
 تتواصل معي كل يوم لساعات طويلة .
عبد الحافظ مبتسماً : ها ... بدأت أغار منها .

أيار مبتسمة : لا يا حبيبي أنت زوجي وهي أختي التي لم تلدها أمي .
عبد الحافظ : ولكن أليس غريباً بأنك لم تكتشفي أمر ماري خلال كل هذه المدة لاسيما
 وأنت تعرفين أسلوبها لسنوات خلت .

أيار مبتسمة متتهدة : في البداية كنت في أزمة وكنت أتواصل معها من باب الرأفة،
 لأنها استخدمت أسلوب الاستجداء مستغلة باب الرحمة الموجود في قلبي وهي تعرف
 مفتاحه، ولكن بعد أن تطور الحديث بيننا شككت في الامر ورأيت صورها في أسلوبها
 وكأنها تعرض أمامي، وكل أحاديثها عن صديقتها وصديقتي وكثيراً ما تبرر لصديقتي
 وكل كلمة قلتها لي قبل قليل قالتها هي يعني تطابق في القول ولكن تصرفها خاطيء .

جاء يوم الجمعة وبعد إتفاق مع أبا الوليد توجهت مروة الى عيادة الدكتورة
 سُبُل معتقداً بأنها أتت لأجله ولا يعرف بالتوتر الذي حدث بينهما ، المهم وصلت
 وجلست حتى ينتهي آخر مريض وتفاجيء صديقتها بالزيارة ، وقد رحب بها أبا الوليد
 أيما ترحيب وكل لحظة يطلُّ من طرف خفي على سُبُل ، فيما إذا انتهت من المريض
 الأخير أم لا ، وما هي إلاّ خطرات حتى خرج المريض فارتسمت على محياه ابتسامة
 عريضة شقت وجهه فأراد أن يخبر سُبُل ولكن مروة اعترضت دخلت وأغلقت الباب
 خلفها بهدوء فوجدت سُبُل تستعد للخروج بعد أن وضعت اغراضها في حقيبتها ،
 فاقتربت منها مبتسمة ولم تنبس بأي كلمة وعندما إستدارت سُبُل رأتها أمامها
 فتفاجأت بها وقالت بتلقائية مرووة ، فأجابتها : نعم مروة التي لا تستطيع الإستغناء
 عنك فأخذتها في أحضانها كلقاء الأم بالولد وهطلت عيونهما بالدموع ، فجلستا ومروة

تشدُّ على يدها وهي تقول لها أرجوك سامحيني والله لم أتقصد بأي كلمة أدتك ، وأنت تعرفين الأزمة التي أمر بها لم أنتبه سامحيني أرجوك .

سُئِلَ متأثرة : لقد جرحتيني أيما جرح ولو كنت عشت مئة سنة لا يأتي في تصوري بأنك تكلميني بهذا الاسلوب .

مروة متتهدة : أرجوك سامحيني أشعر بأن روحي تتصعد للسماء سياق حديث وتطور بتلقائية دون أن أنتبه لما حدث ، وهأنذا أمامك كلميني بما تشائين عنفيني وبخيني بما يريح نفسك ، ولكن لا تستخرجي روحي من جسدي فأنت كالروح فهل تريدني موتي .

سُئِلَ متتهدة : كفي عن هذا الكلام أرجوك ولا تتفوهي به .

مروة مبتسمة وسط الدموع وهي تشدُّ على يدها : والله أنا جادة الآن رهن أشارتك ، ما الذي يريحك لترضي عني حتى وأن أردتي أن أرمي نفسي في وسط شط العرب لترضي سارمي نفسي .

سُئِلَ ابتسمت وسط الدموع : حسناً سأرضى عنك بشرط الذهاب معي الى مكان معين ، وأنت قسمتي بأنك ستلبين كل ما أطلب ثم بعدها أرمي نفسك في شط العرب .

مروة مبتسمة : والله وبالله وتالله سأذهب مع الى أي مكان تحبي الذهاب إليه ، لا تطلب بل أمري مولاتي لأنني أثق بك وبأي مكان تقصديه .

سُئِلَ متتهدة مسحت عيونها : حسناً الآن تهياً لنذهب ما دمتي قسمتي .

مروة مبتسمة : حسناً معك الى أي مكان حتى لو طلبتي التوجه للمطار .

سُئِلَ متتهدة مبتسمة : هيا هيا لنستغل الوقت بعدها نذهب للمطعم ، فخرجن من الغرفة والبشر والابتسامة مرسومة على وجوههن وأبو الوليد فرحان مبتساً وهو يرى الإنفراج على محيا سُئِلَ ، فخرجن من العيادة وكناتهما رمقتاه بابتسامة جميلة وبكلمة مع السلامة ، فبقي أبا الوليد يتحدث في دخيلة نفسه مسروراً متلهفاً لمعرفة ما دار حوله من حديث ، معتقداً بأن مروة كلمتها عنه وأنها ستأخذ وقتها في التفكير وأن مروة ستوافيه بالنتائج في وقت لاحق ، فركبت مروة سيارة سُئِلَ وهذه المرة الاولى لها .

سُبُل : تحدثني معي أشتقت لسماع صوتك ودعيني أنظر للطريق لأنني سائقة جديدة .
مروة ضاحكة مستديرة باتجاهها : والله أنا الأشدُّ شوقاً لسماع صوتك ، وكأني لم
اسمع صوتك لسنوات وليس لأيام ، وكأني أعاني من نقص فيتامين حاد أن لم أتلقَ
جرعة كبيرة تعوض النقص سيجوز علي وينهي حياتي .

سُبُل ممازحة : الذي يسمعك يصدق !

مروة : **سُبُل** ، أكيد تتمازحين فأنت نافذتي الوحيدة للسعادة في هذا العالم .

سُبُل متتهدة وقد أوقفت سيارتها : جميل كلامك جداً يا ليت كل يوم نختلف ونتشاجر
لتستخرجي هذه المشاعر الرقيقة ، وهذا الاسلوب الذي كدت أنساه ولم أتوقع بأني
سأسمعه يوماً من الأيام ، هيا لننزل ولا تنسي قسمك الغليظ .

مروة مستغربة : وقد غارت البسمة على محياها وإرتعدت فرائصها وهي تنظر الى
المكان ماسحة على وجهها شاعرة بالعرق عليه دون أن يكون .

الجزء التاسع والأربعون

نزلت مروة بتثاقل واستحياء وتأفف وكأن صديقتها تجرّها جرّاً وهي تشدُّ يدها حتى وصلنا لدى الباب ، فوضعت سُبُلُ يدها على زر الجرس ، برهة حتى فُتِح الباب وتم الترحيب بحفاوة بمروة وصديقتها .

مروة مبتسمة : أين أختي أم ألق والعائلة .

زوجة ألق : خالتي وعمي في السوق ومنذر معتكف في غرفته كالعادة ، ثم توجهت لتحضر لهما العصير .

سُبُلُ مبتسمة واثبة على مروة : هيا توجهي بالحال لمنذر اعتذري منه وأدعيه ليتناول الغداء معنا متُّ من الجوع هيا بسرعة ... وإلا .

مروة بتأفف وحذر : حسناً حسناً ، أهدئي ولا تثيري الإنتباه أرجوك سأذهب ، وبالفعل توجهت بالحال الى غرفة منذر مرتقية السلم الضيق البائد بتثاقل وهي تتأمل أجزاء القديمة ، وهكذا حتى وصلت باب الغرفة وفتت لدى الباب ثم راحت تتأمل أجزاء المكان بعين البؤس لحظة ثم طرقت الباب واضعة يدها على مقبضه فسمعته يقول : أدخل ، فدخلت الغرفة بهدوء دون أن تنبس بأي كلمة وعيناها تتفحصان المكان حيث بعض ملابسه وأغراضه على الأرض والأتربة على كتبه وهو مستلقي على سريره وفي أذنيه سماعة أذن موصولة بالنقال والإبتسامة مرسومة على محياه وعيناها مسدودتان مما أثار دهشتها وتبسّمها ، وعندما فتحت عينه ليرى من الطارق لم يصدق ما رأى وكأنه في حلم ، مروة واقفة في غرفته وتنظر إليه هكذا وتبتسم ، فنهض بسرعة البرق والخجل يعتريه وقال بتلقائية مروة وهو يحاول أن يللمم أشياءه المبعثرة هنا وهناك .

مروة مبتسمة : لا تُخرج مني يا منذر فأنا زوجتك .

منذر متلعثماً : والله أكاد لا أصدق هل أنا في حلم أو واقع ؟

مروة مبتسمة شادة على يده : سامحني عما بر مني بغير قصد فأنت زوجي وحببي ولا يمكنني الاستغناء عنك .

منذر مبتسماً مسروراً شاداً على يدها بتأثر : بل أنت التي تسامحني حبيبتى ، لا أتذكر الآن أي موقف أختلطت عندي المشاعر .

مروة مبتسمة : ماذا كنت تسمع أغنية؟!

منذر مبتسماً : نعم كنت أسمع وأستمع كل يوم قبل نومي وعندما استيقظ الى أجمل أغنية في حياتي وأجمل صوت ملائكي في الوجود أغفو والسماعة في أذني .

مروة وقد غارت بسمتها منتهدة عن غير رضا : ومن هذه التي تنام وتصحو على صوتها الملائكي يا ترى أسمعني صوتها؟!

منذر مبتسماً وهو يضع السماعة في أذنها ويسمعها الصوت الذي ينام ويغفو عليه كما قال لها ، وراحت تنتبه بتلهف وعندما سمعت هداً تعجبها وأحمرت عيناها تأثراً وهي تنتظرُ إليه بعين الرضا منتهدة : هل كنت تسجل كل مكالماتنا .

منذر مبتسماً : نعم كل مكالماتنا موجودة حتى قبل سنة من الآن .

مروة مبتسمة : أشكرك حبيبي وأنا أيضاً والله أحبك وأرجو أن تفهمني وتفهمني عندما أمرُ بظروف صعبة وتقف معي وتأزرني ولا تتركني .

منذر مسروراً : لم ولن أتركك يوماً لأنك الروح في جسدي وأنت تعرفين هذا جيداً ، ولكن الزلزل يحول بيننا أحياناً فأنت أيضاً تفهميني .

مروة مبتسمة نهضت : هيا حبيبي تأنق لنخرج لأن سُبُل دعتنا على الغداء وهي تنتظرنا في الصالة قرب زوجة ألق .

منذر وقف بسرعة مندهشاً وقد غارت بسمته : قصدك بأن سُبُل هي التي أحضرتك هنا لتعتذري لي أليس كذلك ولم يكن القرار قرارك؟

مروة منزعة متوترة واضعة يديها على جانبي وجهها : يا إلهي يا إلهي صبرك ، ثم قالت له بتوتر إذا كنت تتزعزل كل حين فأنا لا أملك الطاقة لإستيعاب زعلك ، أعرفت أسمعته وهمت بالخروج ، وعندما رآها هكذا تشبث بها كالطفل مبتسماً : أهدئي أهدئي حبيبتى وقبّل يدها ، نحن نتحاور ، أعتذر أعتذر أرجوك أهدأي ، إنزلي لسُبُل الآن وسأوافيك بسرعة البرق .

بعد ذلك توجه الثلاثة الى أحد المطاعم لتناول وجبة الغداء وقد طلبت مروة من منذر أن يقود السيارة بدلاً من سُئبل ، فركبت مروة وسُئبل في المقاعد الخلفية للسيارة وسارت بهم والبشر يطفح على وجوههم ، ومروة تتحدث مع صديقتها بهدوء شادة على يدها ، وبينما هي كذلك استدار منذر إليهما مبتسماً ملقياً أنظاره على تمسك مروة بيد سُئبل واسترسالها بالحديث معها ، حيث التوقف عند نقطة المرور فإنتهت له مروة وقالت له مبتسمة : هااا ... ما بك تنتظر شزراً هكذا ألدك إعتراض أم تحاول أن تسترق السمع بيننا ، يبدو عليك علامات الزعل وتحتاج أشهر للمصالحة .

منذر ضاحكاً : ومن قال لك بأني أصم .

مروة ضاحكة : وماذا سمعت ؟!

منذر : تحدثي عادي يا مروة فسُئبل أكثر من أخت وخالد أروع وأنقى إنسان رأيته في حياتي .

سُئبل مبتسمة : أشكرك عزيزي منذر .

مروة ممازحة : ما هذا تتغازلان وأمامي ... أكثر من أخت وعزيزي ، أنا أغار ولا أسمح لكما إلا بمغازلتي أنا فقط دون منازع .

منذر ضاحكاً : أذن تحدثي بصوت طبيعي ولا تتعبي نفسك .

مروة مبتسمة : نعم كما سمعت فإن خالد طلب مني أن أتكلم مع سُئبل ، يعني بعبارة أخرى خطبها مني بصفتي ولية أمرها .

منذر : ولماذا خطبها منك وكيف يتحدث معك وأين رأيك ومتى ؟

مروة ممازحة مبتسمة : يعني سترعل من جديد ؟ فلدك طاقة نووية من الزعل .

منذر : وما هو رأي أختي الدكتور سُئبل .

مروة ممازحة : ألم أقل لك لا تمدح غيري هل تريدني أن أزعل ؟!

وبعد أن قضوا وقتاً جميلاً جداً ألتقطوا بعض الصور التذكارية لتوثيق الحدث ، وفي العصر رجعوا الى بيت مروة بحسب طلب منها ، وعلى الرغم من إمتناع سُئبل عن النزول من السيارة ، نزلت تحت إلحاح مروة ودخلوا المنزل ورحبت بهم زكية

وقد فرحوا كثيراً بأطفالها الذين يملأون المنزل سعادة ، وما هي إلا دقائق معدودة حتى إمتلأ المكان بأخوة مروة، وبعد التحية والضيافة همست مروة مبتسمة بإذن والدتها أتعرفين يا أمي أقسم لك بأني نسيت موعد أخوتي هذا لجمال الوقت الذي قضيته اليوم. أم مروة مبتسمة : جعل الله كل أيامك سعادة حبيبي .

سُئِل شعرت بالحرج وهي تهمس لمروة : هل هم مدعون أم زيارة لهم ؟
مروة : لا بل إجتماع عائلي نسيته .

سُئِل نهضت وهمت بالحال للخروج مسرعة : استأذن منكم جميعا الى اللقاء .
مروة تسير خلفها وهي تشدُّ على يدها : أقسم لك بأني نسيت مواعيدي مع أخوتي ونسيت نفسي معك وأشكرك حبيبي نكمل حديثنا بالهاتف حول خالد .

سُئِل مبتسمة : المهم الآن أهتمي بمنذر ، فأوصلتها للباب وعادت وجلست قرب منذر الذي كان جالساً قرب زوجة أخيه أم فريال وولدها ألق ، التي يعدها بمثابة أمه كما أسلفت لأنه بعمر أبنائها .

منذر همس بأذن مروة : ما الخطب الكل مجتمعون هنا لم تخبريني بذلك ؟
مروة مبتسمة : لا بأس الآن عرفت بأنه إجتماع عائلي .

منذر : إجتماع ! حول ماذا ؟ وبينما هما يتحادثان ، برز نائل قائلاً : أنا أفضل أن يكون الاجتماع بحدود ضيقة ويضم العائلة فقط وهو ينظر الى منذر بقصد اخراجه من المكان ، وعندما سمع منذر ذلك همَّ بالخروج إلا أن مروة نظرت الى عينيه بشدة ، شادة على يده هامسة بأذنه بهدوء : لا تخرج ، قف بجانبني ولا تكرر موقف الأمس ، بقاؤك يعني وقوفك بجانبني ، ثم اتجهت الى أخيها نائل قائلة : نعم يا أخي العزيز كلامك صحيح فلتخرج زوجتك إكرام من المكان .

نائل معترضاً : هذه زوجتي يا مروة .

مروة مبتسمة : احترامي وتقديري لها وايضاً منذر زوجي يا نائل .

سراج الدين : أرجوكم لا غريب بيننا ثم أن الأمر ليس سراً ، وأزيدكم علماً بأن والدي رحمه الله أوصى أن تقرأ الوصية على كل العائلة بفروعها ، فضلاً عن أم سالم

وشامخ وزكية ، وبعض العوائل التي كان يكفلها طوال هذه السنين ، وأنا بجانبني لم أَدْعُهُمْ حَتَّى لَا يَطَّلِعَ كُلُّ النَّاسِ عَلَى مَشَاكِلِنَا وَأَمَّا أَكْتَفِي بِإِيصَالِ حَقُوقِهِمْ لَهُمْ كَامِلَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

أم قتيبة : أحسنت أبا قتيبة الأفضل أن تبدأ .

سراج الدين : حسناً فلنقرأ سورة الفاتحة أولاً على روح والدي ، ثم وضع قتيبة الحقيبة على الطاولة أمام والدته فتحتها واستخرج الوصية ، وأحب أن أنبه الجميع بأن الوصية مصدقة من قبل المحكمة من قبل الوالد ، وهو من قام بكتابتها بخط يده وبإمكان الجميع التأكد من هذا الأمر بنفسه أن أراد .

نائيل مبتسماً : هيا يا أبا قتيبة فأنا عرضت هذا المنزل للبيع وربما سيأتي المشتريين بعد دقائق .

أم مروة منزعة لم يروق لها الحديث : أنا أستأذن يا أبا قتيبة .

سراج الدين مبتسماً : أرجوك يا أم مروة أجلسي الى الأخير تحملينا ، وكل شيء سيعود الى وضعه الطبيعي تفضلاً منك ان بقيتي وسمعتي فهذه وصية والدي وعلينا جميعاً سماعها .

مروة منزعة : أمي أرجوك ، كلام أبا قتيبة صحيح هذه وصية .

نائيل مبتسماً : هيا يا أبا قتيبة لا تتعب أعصابنا لدينا أعمال ومشاغل ، أحسم أهم الأملاك هذا القصر والمعمل .

سراج الدين راح يتلو عليهم : نعم لا تستعجل رزقك يا نائل ، بأن المنزل هو بالأساس بأسم السيدة أم مروة ونصف المعمل بأسم مروة .

نائيل منتفضاً والجميع ينظر له باستغراب : كيف ذلك هذه قسمة غير صحيحة أنا أظن بمصادقية هذه الوصية ووالدي منصف وكلنا يعرف ذلك .

سراج الدين : أن هذا المنزل شيده والدي نعم ، ولكن ببال السيدة أم مروة الذي ورثته عن والديها وأنا أشهد بذلك ، ولأن والدي منصف كما تقول وضعه بأسمها من

البداية ، وان كان عندك إعتراض فالمحكمة موجودة أذهب لها ، وعلى ماذا تعترض
ألا تفهم الموضوع هذا المنزل ليس من ضمن أملاك الورث .

قتيبة مبتسماً وهو ينظر الى منذر قائلاً لوالده : أكمل أبتى أرجوك .

سراج الدين : نعم يا قتيبة أنا أقرأ وأوضح الأمر ومن حق كل وريث أن يطرح أسألته ،
أما بالنسبة للمنزل الذي جمعنا بوالدتنا ولنا فيه كل ذكريات الطفولة فهو بأسم والدي
وسيوزع بحسب القانون والوصية بين **سراج الدين ونائل وأسيل .**

أم قتيبة : ومروة !؟

إكرام معترضة : لا تخافي عليها فلديها حصة الأسد ثم إنه بيت صغير وقديم .

نائل منزعجاً : يا أخي أن المعمل يعمل على قدم وساق وخيره وفير وقد رأيتته بأمر
عيني يعمل دون هواده وكل العمل يسوق فوراً والحجز مسبقاً .

سراج الدين مبتسماً : لا تستعجل رزقك قد لا تعلم بأن لوالدي بساتين من هذه
الخيرات التي تحدثت عنها ، أحدهما بالأساس منذ بداية الشراء بأسم مروة ووالدتها
والآخر بأسمائنا نحن الثلاثة **سراج الدين ونائل وأسيل** فقط ، هذا بالنسبة للأملاك ،
أما بالنسبة للأرصدة النقدية فقد قسمها والدي بيننا جميع عائلته دون استثناء ، فضلاً
عن مبلغ متواضع بأسم **شامخ وزكية** وأم سالم وبعض العوائل التي كان يكفلها ،
وأخر كلامه يوصينا جميعاً بتقوى الله أولاً في أنفسنا وصلة رحمتنا وأن لا نتخلى ما
دمنا أحياء عن **زكية** وعائلتها .

نائل معترضاً : نحن أولى بهذه المبالغ التي بعثها هنا وهناك بين هذا وذاك .

سراج الدين وجه كلامه لأخته أم فريال : ما رأيك أختي ؟

أم فريال وقد أغرورقت الدموع في عينيها : تمنيت لو كان موجوداً الآن ، لم ينسني
والدي في حياته ، ماذا أقول ليتني أوفيه حقه عليّ .

سراج الدين وجه كلامه للجميع : هذه هي الوصية ومن كان لديه أب تسأل أو
اعتراض ليعترض لأن أنا المحامي الموكل من قبل والدي وبالقانون .

مروة مبتسمة وهي تشدُّ على يد منذر لنلا ينهض : وبما أنكم مجتمعون كلكم هنا حفظكم الله جميعاً ، أريد أن أبلغكم بأن زوجي منذر سيعيش معي هنا في منزلي ، ووالدتي من أتخذت هذا القرار ومن اليوم .

نائل قلب شفثيه : بدون عرس وإعلان وإشهار أمام الجميع .

مروة : أنتم عائلتي وقد عرفتم بذلك ، لم ينقضِ على وفاة والدي إلا بضعة أسابيع فعن أيّ عرس تتحدث ، سأسافر الى تركيا .

سراج الدين : قرار سديد وصائب وأنا أشدُّ على يدك ، وحتى أطمأن عليك من الآن ، ومنذر ولدنا ويسرنا جميعاً أن يكون أحد أفراد العائلة .

أم قتيبة مبتسمة : ألف مبروك حبيبي قرار سديد فالتأخير ليس بصالحك .

إكرام : نعم التأخير ليس بصالحك لاسيما وقد تأخرتني أكثر من المقرر .

أم فريال فرحة : منذر ليس أخا زوجي فحسب وانما ولدي وحبيبي وقد تربي في أحضاني ولطالما تمنيت له هذا اليوم ، فربما أنا أشدُّ سعادة منه الآن فألف مبروك يا حبيبي منذر وألف مبروك لك يا أختي وأبنتي وحبيبي مروة .

منذر متأثراً : أشكرك أيتها الغالية أم فريال والله إنك لصادقة في كل كلمة قلتيها فأنت أُمي ولن أنساك ما حبيت حفظك الله لي ان شاء الله .

فاطمة بكآبة : تمنيت أن يكون حفل زفافك يا مروة حديث الناس .

مروة متنهدة : أُمي أرجوك لقد تناقشت معك في الأمر تمنني لي الخير فقط ، وليكن تجمعنا الآن بمثابة حفلة بسيطة .

أم مروة : كانت أمنية والدك أن يعيش منذر معه لأنه يحبه كثيراً كأحد أولاده .

قتيبة مبتسماً : هل لديك اعتراض يا صديقي منذر .

منذر محرّجاً : ماذا أقول غير اني لن أتخلى عن مروة وسأوافقها بأي رأي .

مروة مبتسمة : أشكرك يسرني تأييدك لرأيي يا حبيبي ، وبعد تناول العشاء بارك الجميع لمروة وانصرفوا ، ولعل فرحة زكية وشامخ لا توصف أكبر من كل فرحة في الكون ، فشعورهم بالأمان والاستقرار وزال الخطر الذي كان يهددهما ، أهم شيء وأهم

فرحة صادفتها في حياتها ، وبينما مروة ومنذر يصعدان سلالم الدرج المؤدي الى غرفتهما ، سألتها عندي سؤال يا مروة ؟

مروة مبتسمة : لدخل الغرفة وسأسمع كل أسألتك وما هي إلا لحظات حتى دخلا غرفة جميلة جداً بكامل أثاثها وعدتها ، فقالت له وقد ترققت عيناها : أتعرف بأن هذه الغرفة قد هياها والذي وتمنى لي هذا اليوم ، وتمنى أن تعيش معه ، ولم أدخلها لأن غرفتي كانت في الأسفل قرب غرفة والدتي الآن .

منذر مسح عينيها متأثراً : سبحان الله كل شيء صار سريعاً بحسب إرادة السماء ، لم أكن أتوقع أحداث اليوم ولم أكن أتوقع أبداً بأن الحياة ستجمعني معك في غرفة واحدة وسقف واحد وباب مسدود ، فالحمد لله رب العالمين .

مروة : لماذا فأنت زوجي شرعاً وقانوناً .

منذر متلعثماً : أ ... لأنك قلتي لي بأنك لن تلبسي الثوب الأبيض الذي تمناه والدك ، ولكنك اليوم وأمام عائلتك أعلنتي زواجك مني .

مروة : نعم وأنا عند كلمتي وهل تراني لبسته الآن ، فأرجوك أغلق كل الملفات القديمة ، أريد أن نبدأ بداية جديدة بعيدة عن كل التوترات .

منذر مبتسماً : مجرد سؤال حبيبتني فأنت حلمي وحضوري وكل أهلي وخاصتي .

مرّت الأيام سريعة حتى جاء موعد سفر أيار وزوجها الى بريطانيا وعلى الرغم من سعادتها البالغة في هذا السفر ، إلا أنها تأثرت عند توديع والديها وأخوتها وعمتها وكل افراد العائلة ، فخرجت والدموع تنحدر من عينيها متوجهين الى مطار البصرة الدولي ، ولكن الأجواء الجديدة التي دخلتها جعلت دموعها تجف وشوقها ولهفتها وحنينها الإسطوري لسبباً خففت من تأثرها ، وعبد الحافظ من النوع الذي يوثق كل اللحظات وفي كل خطوة لها وهكذا حتى وصلا مطار لندن منهكين من التعب بعدها توجهوا الى السكن المخصص سلفا لهما ، وعلى الرغم من التعب فان أيار طلبت منه إن يذهبها حالاً لسبباً .

عبد الحافظ ضاحكاً : ألم يرهقك السفر والله أنا متعب جداً جداً دعينا نأخذ قسطاً من الراحة ولا تستعجلي الغيث فأنت في ذات المنطقة التي تسكنها هي ، اطمئني وعدتك وأنا عند وعدي سأجعلك تفتين أمامها ، ولكن أين تحبين أن تلتقي بها في بيتها أم عملها أم في لقائها الإِسبوعي أم مع عشيقها الأجنبي ؟

أيار فغرت فاهما : عشيقها الأجنبي ولكن لماذا لم تكلمني عنه أهي مفاجأه أم ماذا ؟

عبد الحافظ : لا والله يا أيار كلمتك عنه أكثر من مرة .

أيار منزعة : لا تقسم يا رجل لم أسمع البتة بهذا الموضوع .

عبد الحافظ : ألم أخبرك بأنها تقابل عشيقها عند نهر التايمز كل يوم خميس ؟

أيار متتهدة : أرجوك زوجي لا تتلاعب بأعصابي ، ثم اني أريد أن ألتقيها عند هذا النهر الذي تعشقه ، وسأجعلها لها مفاجأة ، ولكن من من يرافقها كل أسبوع الى التايمز ألم تستعلم الأمر ؟

عبد الحافظ : حسناً أذن إتفقنا وغداً الخميس هيئي نفسك عصراً ، لا طبعاً استعلمت أحياناً بمفردها وأحياناً أخرى برفقة أصدقائها وصديقاتها الانكليز .

أيار : ولكن هل سباً من تدعوهم لرفقتها ؟

عبد الحافظ ضاحكاً : وكيف لي أن أعرف ذلك؟! أهو شعور بالغيرة ؟

أيار متتهدة : ربما . . نعم . . وربما ... لا . . ولكن الرفقة أفضل من الوحدة ، فلترافق من ترافق هذا شأنها . . . ليس لي علاقة بها .

عبد الحافظ ضاحكاً : واضح حبيبتني واضح من كلامك .

وبعد شهر من زواج مروة تم زواج خالد لسبيل وتحقق حلمه اليتيم الذي كان يظنه بعيداً جداً بعد السماء عن الأرض عن ولكن سبحان الله هذه الرسائل التي كتبتها دائماً أنامل القدر وتسوقها الى من تريد دون أن يعلم وما أجملها من رسائل ان كانت تجمع بين الأحبة وتحيطهم بأغصان الخير والمحبة وتحقيق الحلم الذي يظنه العبد مستحيلاً ، وقد تعود منذر على الحياة في مسكنه الجديد ، والعودة للعمل في المعمل بذات وظيفته السابقة بوجود نائل في الإدارة الذي غير أسلوبه معه مضطرا وبدافع

المصلحة ايضاً ، وبحث من مروة لمنذر ان يلين جانبه لنائل لأجلها حتى تستمر الحياة بدون مشاكل ، وفي جلسة جميلة لاحتساء الشاي في حديقة مروة تجمعها بزوجها ووالدتها واطفال زكية يجلسون حولهم بمودة من أم مروة يتجاذبون أطراف الحديث. مروة مبتسمة : أمي كم أتمنى لو تذهبي معنا الى تركيا أرجوك .

والدتها مبتسمة : لا يا حبيبة قلبي أنا لا أرتاح إلا في بيتي فهو جنتي وسعادتي لا أذهباً حفظكما الله الله ، ولكن متى ستذهبون بالضبط ؟

مروة : انتظر سُئِلَ وخالد .

ام مروة ام مبتسمة : حسناً تفعلين فالرفقة جميلة في السفر ، ماذا تقول يا منذر ؟

منذر مبتسماً : إذا تعلق الأمر بسُئِلَ . فلا قرار يعلو على قرار مروة .

مروة ممازحة : ها . . . أهي غيرة أم نوبة زعل ؟

منذر مبتسماً : بصراحة أشعر أحيانا بالغيرة لأنك تهتمين بها اكثر مني .

أم مروة : نعم لا بد أن تعتاد على ذلك لأنني أيضاً أحبها كحبي لمروة .

منذر مبتسماً : أعرف خالتي الغالية ولعلي أضمر أمراً لا لا تعرفه مروة ، فإن عمي أبا سراج رحمه الله أيضاً كان يحب سُئِلَ كثيراً ، فقد أعطاني المال لأشتري المستلزمات الضرورية لعيادة سُئِلَ وأوهم الجميع بأني ابيع لها بالاقساط ، وأنتم تعرفون القصة ، وما كان هذا التصرف إلا حباً وإهتماماً سُئِلَ وبني لأتقرب بهذا العمل الى مروة من وجهة نظره بحسب تحليلي للأمر.

وبينما كانت أيار جالسة متوسطة سريرها فتحت نقالها فاذا به يهلهل برسائل ماري فرحت بها كثيراً وراحت تقرأها بصوت عالٍ لتسمع عبد الحافظ الذي كان مشغولاً بترتيب أوراقه داخل حقيبتة الدبلوماسية ، فراحت ترد عليها وبصوت عالٍ أيضاً : أهلاً ماري أنا بخير انشغلت ولم أفتح النت بالأمس.

ماري : بماذا أنشغلت هل تفكرين بصديقتك المهاجرة يا ترى ؟

أيار مبتسمة : أية صديقة هذه وعلى قولك مهاجرة ، مجرد ذكرى سيئة لم أعتد أهتم لها ، أصبحت نسجاً من الخيال وأطمئك الحمد لله أنمحت مشاعري تجاهها تماماً ،

وإحتمال حتى إذا رأيتها لا ألقى عليها التحية لا تستحق ذلك ، وأطمئنتك أيضاً تعرفت على شخصية جديدة تعودت عليها ، لذلك تفضلاً منك لا تفتحي سيرة هذه المهاجرة الماكرة ، إتفقنا ، وبينما هي تكتب وتتكلم ومسترسلة قاطعها **عبد الحافظ** باستغراب وإعتراض : ما هذا يا أيار سبحان الله سرعان ما تنتقلين من الترغيب الى التهيب ومن التهيب الى الترغيب ، الذي يسمعك الآن لا يصدق كلامك وحنينك ودموعك لها بالأمس ، لا يعجبني هذا الاسلوب .

أيار متتهدة : أريدها أن تتذوق من ذات الكأس الذي سقتني منه ، وأعرف بأنها الآن تأثرت كثيراً وأظنها دخلت في موجة بكاء كما كنت أنا عندما أتأثر .

عبد الحافظ معترضاً : يكفي يا أيار لا أحب شخصيتك عندما تتلون بهذه المقاصد ، أحبك كما عرفتك بلون واحد فقط ، ثم أشار الى نقالها ولاحظي لم ترد على رسالتك ولاحظي كلامك وأنت تصفين حجم تأثرها ، لماذا ، هذا الإسلوب الحاد لأنك أصبحتي على مقربة منها أليس الله تعالى قادراً على أن يحرمك من رؤيتها تماماً ؟ وأين روحك الطيبة وأين توفك وحنينك ؟

أيار متأثرة : لا يا **عبد الحافظ** تحليك خاطيء للأمر ، فليس لرسالتي علاقة بمشاعري وانما لها علاقة بعمق شوقي إليها وتأثري من موقفها ، أريدها أن تعرف خطأ تصرفها وأن وضعت له المبررات أريدها أن تتصل وتتكلم مميمة اللثام عن وجهها وتقول هذه أنا سبأ ، اجتهدت وأخطأت ولكنها تستمر بالخطأ .

لقد تأثرت **ماري** كثيراً بسبب كلمات **أيار** الديناميتية ولم تستطع حتى الرد على الرسالة وانطوت على نفسها مما أثار إنتباه والديها اللذين تعودا على تقلبات مزاجها بحسب تغيرات الجو ، وبما أن اليوم الخميس وقد تعودت على الجلوس قرب نهر التايمز تتحدث مع **أيار** ، شعر والدها بأنها متأزمة علماً بأنها لم تخف عنه الامر ورأى رسالة **أيار** وإبتسم ، ولكنه اليوم رافقها الجلوس قرب التايمز وعن طريق الصدفة كانوا بعض أصدقائها الأنكليز عرفوا بموعدها مع التايمز فأحبوا الفكرة جلسوا قربها وقد فرحت بهم كثيراً ، وراحوا يتكلمون مع والدها وهي تترجم له ما يقولون

ولكنهم يهتمون كثيراً بل يلحون عليها بترجمة كلام والدها حتى عندما يتحاور معها معها مما خفف عنها الكثير من التوتر .

يمان (والد سباً) والكل يستمع له : بنيتي أنت راشدة وناضجة أما أن الآن لوضع النقاط على الحروف ، أما أن الأوان للإستقرار الروحي من هذا التوتر .

سباً تترجم حرفياً علماً بأنهم يعرفون قصتها مع أيار : أنا رهن أشارتك دلني على الطريق يا والدي كيف تستقر روعي من وجهة نظرك .

يمان متنهداً : لديك خيار واحد من خيارين ، فإما الإنسجام مع هذه الورود (مشيراً بيده الى أصدقائها الأولاد والبنات الإنجليز) كبديل ، ، وأما الإتصال وحالاً بأيار وإنهاء هذه المهزلة التي تتعبك وتتعبني .

سباً تأثرت : والدي أما الطريقة الأولى فهي نسج من الخيال ولا تطبق إلا في الاحلام ولا بديل للأصيل تعرف جيداً لكنك تواسيني ، ، وأما الثانية فهي الأصعب لا أستطيع المواجهة أخاف من ردة فعلها ويا ليتك تساعدني في ذلك .

يمان مبتسماً : نعم أساعدك والأن اتصلي بها وسأكلمها بالحال ، وحالما تمت الترجمة لأصدقائها أيدوا الفكرة بفرح وصفقوا بشكل مضحك مع أصوات بالتأييد ، فسأل الأب ابنته ضاحكاً : على ماذا يصفقون ويصرخون يا ماري .

سباً ضاحكة : هكذا هم يا أبي دائماً : يصفقون دليلاً للفرح والدعم والتشجيع يعني قصدهم الآن اتفقوا معك في الرأي .

يمان ضاحكاً : حسناً أخبريهم بأني أحببت رفقتهم وسألني دعوتهم هيا هيا لنصعد القارب الجميل ، وهكذا توجهوا الى ركوب القارب النهري الجميل الذي يشق أمواج النهر الرقراقة العذبة ، وفي هذه الأثناء وصلت أيار وزوجها الى جانب من جوانب النهر الواسعة الأركان والجوانب والأبنية والزوارق والجسر منظر رائع جداً ويبهير العين للوهلة الأولى ، وحالما وقفت تنظر الى النهر المترامي الأطراف بدأت دموعها بالإنهمار وهي تسأل : في أي مكان تجلس سباً ، كيف ساجده وسط كل هذا الزحام .

عبد الحافظ ضاحكاً : سترينها أكيد وستتخاضمين معها كل يوم ، فيما كانت سباً

والمجموعة في القارب وهو يتوسط النهر استلقت هاتفها من حقيبتها تحت إصرار والدها وأصدقائها الأجانب الذين يطالبونها بالترجمة الحرفية متحمسين ، وقد إزدادت ضربات قلبها فوق المعتاد وعلامات وجهها توحى بذلك بمائة مصداقية ، فاتصلت برقم أيار مترقبة سماعها والخوف من ردة فعلها عندما جو تسمع صوتها يزيدنها توتراً ، ولكن دون جدوى الرقم خارج التغطية .

يمان : لا تحزني حبيبي يوماً ما ستكون قريبة منك ، بلحظة يقول فيها الله تعالى كن فيكون ، لأن الإخوة في الله أسمى ، العلاقات البشرية ، حتى انها اقوى من علاقة الزواج بين الرجل والمرأة التي كثيراً ما تؤول الى الفشل والى الانتهاء بالطلاق ، إلا الصداقة فأنها جزء لا لا يتجزء من الروح ، هذه هي الحياة ، مهما تباعدت أطرافها تبقى قريبة منا جداً وتدبري قول الله تعالى دائماً : **{ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا (1) }** سورة الطلاق .

سبأ متأثرة : والنعم بالله يا أبتى لكنك تعرف جيداً بأنها الأقرب الى روعي وإن باعدت بيننا المسافات ، أشعر وكأنها الآن موجودة قربي هنا في القارب أتحدث إليها دائماً واسمع ردها بصوتها الملائكي أيضاً .

يمان مرتب على كتفها : نعم بُنيتي أفهمك أعدك بان كل شيء سيكون على ما يرام وسأتكلم معها وأن متأكد بأن المياه ستعود بينكما الى مجراها .

سبأ متأثرة : أبتى أعذرنى كل شيء يذكرني بها ، وحتى عبارتك الأخيرة هذه ، يوماً ما كانت تتمازح معي وأنا أقول لها ستعود المياه الى مجراها ، فقالت لي ضاحكة نعم تعود أكيد الى مجراها ولكن تصبح غير صالحة للشرب ، أشكرك أبتى أنا أحبك كثيراً لولاك لما تحملت هذه الحياة البائسة في لندن ، وفي هذه الأثناء اعترض أصدقائها الأجانب لإنفرادها بالحديث مع والدها دونما ترجمة انهم مباشرة ، ، فسألها والدها ما بهم ، فأخبرته بطلبهم فقال لها ضاحكاً أخبريهم بأن الحياة هنا جميلة معهم ولا تترجمي حرفياً ولا تنطقي كلمة البؤس .

سباً مبتسمة : أكيد أبتى فأنهم أصدقاء طيبون ولم أقصدهم البتة في كلامي توقف القارئب لنتهياً الى النزول ونتمشى على جوانب النهر الرائعة .

أيار تسأل زوجها : هل أتيت بنفسك الى النهر ورأيت أين تجلس سباً دائماً .

عبدالحافظ مبتسماً شاداً على يدها : نعم نحن في طريقا إليه أنظري الى النهر وإحفظي جوانبه ومعالمه ، فهو ثاني أطول أنهار بريطانيا وواحد على قائمة أجمل أماكن السياحة فى بريطانيا والعالم فهذا النهر جزء أصيل من ثقافة وحضارة وسياحة بريطانيا وبمجرد التنزه والمشي على ضفافه سوف تشعرى بمتعة لا تقاوم ، ويمكنك أيضاً ركوب القوارب فى النهر ويوفر لك النهر فى مشاهدة باقى أجمل أماكن السياحة فى لندن من جسر لندن وبيج بين ومبنى البرلمان ومسرح جلوب فهل شعرتى بذلك؟ أيار : أعذرني حبيبي مشاعري مضطربه الآن لم أسمع منك أية كلمة مما قلت ، وبينما هي كذلك فإذا تلمح من بعيد سباً مع مجموعتها فشعرت وكأن كيانها أختل من الفرح مشاعر مضطربة تشببت بزوجها بقوة وهي تصرخ فرحة والدموع تنهمر من عينيها هذه سباً هذه سباً أنظر أنظر هناك .

عبد الحافظ ضاحكاً واضعا يده فوق ناصيته محاولاً الرؤية : أين هي لا أراها ؟ ليتك تُحبيني بهذا الجنون الذي أراه الآن ، إذ بأيار تنحني أرضاً لتسجد لله شكراً وتطيل ، لله السجود في الحمد والشكر لله الذي أعطاهما ما كانت تعتقد انه مستحيل ، وعبد الحافظ يحاول أن يساعدها على النهوض وهو يقول لها أنهضي بسرعة فأنتك فى لندن ولست فى البصرة لئلا يظن أمن المنطقة بأنك إرهابية وجلستى لتدفني عبوة ناسفة ، ثم أريد أن ألفت انتباهك بأن كل المكان هنا محاط بالكاميرات حتى لحظة سجودك هذه ، هيا ها أنهضي بسرعة ، فنهضت وكأنها تطير بجناحي نسر لا كأنها تمشي على أرجل حتى وصلت لدى المجموعة وألتقت عيونهما على أمتار ، كادت سباً أن تصاب بالسكته فوثبتت على أبيها والدموع تتصبب من عينيها تسأله والذهول يملؤها : أبتى هل أنا فى واقع ؟ أو حلم ؟ هل ترى ما أرى ؟ والوالد أيضاً أصيب بالذهول وبدأت دموعه بالتصبب وهو يرى أيار تقترب منها فقال لها بصوت متحشرج فرح : هذه

أيار يا سبأ هذا لطف الله بكما ، وحالما وصلت إليها إنكفأت عليها كالموجة العارمة وكتاهما تبكيان دون ان تنبس بأي كلمة ، والأصدقاء الأجانب ينظرون بذهول وهم يسألون الأب ولماذا يبكي ومن هذه التي تعانقها سبأ بكل هذه اللهفة ولماذا البكاء ، ومن هذا الشاب الذي يحاول أن يخفي دموعه وهي تتصبب أيضاً ، فلم يستطع الوالد الترجمة فأجابه **عبد الحافظ** بأنه يجيد الإنكليزية وقال لهم هذه صديقتها أيار.

الأجانب بذهول فرحين : يا ألهي وكيف وصلت إليها بعضى سحرية ثم إستداروا حولهما وبدأوا يرفعون أصواتهم معلنين فرحهم بصراخ مضحك وتصفيق ملفت للنظر وكانهم أيقظوا الصديقتين من عناق أعمى ، فسحبت سبأ نفسها بسرعة وإنحنت على الأرض ساجدة سجدة طويلة باكياً شاكرة حامدة لله على ما أعتقدته مستحيلاً ، وبعد التحية بين المجموعة عرفت بزواج أيار من **عبد الحافظ** وفرحت لذلك أيما فرح ، وجلست الصديقتان على افراد على احدي المصاطب الموجودة في ذات المكان .

سبأ بفرح متشبثة بيد أيار : يا حبيبة روجي تعالي قولي لي كيف نزلتي علي هكذا كالطيف الجميل والسحر الأخاذ ، كيف وأين ومتى ... الخ أريد ان اعرف بالتفصيل ؟ أيار غارت ابتسامتها وكأنها توترت : قبل أن تبدأي بأي سؤال لابد أن تلومي نفسك على ما سببته لي من أذى فكيف أكون حبيبة روحك بهذا الكم الهائل من الوجد .

سبأ بدأت تبكي بحرقة : لك الحق في تعينفي لك الحق في قول أي كلام ، ولكن دعيني ، اشرح لك اسمعيني أولاً قبل أن تصدري حكماً جزافاً بحقي ، حسبي إنني أجتهدت وأخطأت ظننت بأنني أستطيع أن أجعلك تكرهيني ولا تتأثرين لفرأقي.

أيار باكياً : كل أعدارك ضعيفة وواهية لمستوى ولا ترقى لمستوى عذر منطقي ، ولن انسى لك الوجد الذي سببته لي أبداً طوال هذه المدة كنت أموت من الشعور بالإهانة .

سبأ باكياً : أسمعيني أرجوك من الألف الى الياء (كيت وكيت) ، فأنا والله لم أنم يوماً إلا بعد الإطمئنان عليك من خلال النت .

أيار متوترة باكية بصوت عالٍ : تصرف احمق وأهوج وقرار صياني مراهق ، عرفت بأن ماري هي أنت (كيت وكيت) وعبد الحافظ عرف من وعد كل شيء وأخبرني ، وإلا ما كنت لأسامحك لو إنطبقت السماء على الأرض ، ولكن لماذا هذا التصرف الأهوج الأجوف وهل ماتت بيننا لغة الحوار حتى تعاقبيني بهذا الإسلوب البوليسي ، جئت فقط لأسمع منك سبب هروبك من حياتي وسأرجع غداً الى البصرة ، وحالما سمعت سباً هذا الإسلوب العنيف دخلت في موجه عارمة من البكاء ثم شعرت وكأنها أصيبت بأزمة قلبية وهي تضع يدها على قلبها وتطلب من أيار أن تنادي ووالدها وقالت لها : ربما سأموت الحمد لله لقد رأيتك هذا كل ما تمنيته فسامحيني على قرارى المراهق ، جئت لتعائبينى أو لتحاسبينى وتعاقبيني وتقتليني بقاء ساعة وتسافري غداً .

أيار تشبث بها بتوتر : أهدي حبيبة روجي أهدي لقد سامحتك وأرجوك سامحيني لقد تخبطت خبط عشواء ، ولا تصدقي كلامي لقد أتيت لأجلك ولأجل عبد الحافظ الذي سيكمل دراسته العليا هنا وسأبقى معك سنوات وربما العمر كله ووالله لن أسافر غداً. سباً تنفست الصعداء مبتسمة وسط الدموع : أرجوك رفقاً بي لا أحتمل والله ما قلتية كاد قلبي ان يقف والله ولكني الآن أشعر بتحسن أزال الألم .

أيار مبتسمة وسط الدموع : حبيبة قلبي وروحي نحن هكذا تعودنا ولدت صداقتنا من رحم المعاناة وهي كالبحر تارة مد وأخرى جزر ، ولكن بحر صداقتنا زاخر بالحب والأخوة الصادقة في الله والصداقة الراضدة لا تموت أبداً ، واتذكر قول والدي الحبيب ، قبل سنين قبل أن أعرفك ، سنتسين هذا الشغف لصديقات المراهقة ، أتعرفين لماذا ، لأنك في المحطة الأولى من العمر ولم تتبلور مشاعرك بعد بالصورة التي يقتضيها العقل ، وهذا التلهف الآن يسمى نزوة عابرة ، وكلما تقدمتني في محطات الحياة ، سنتعرفين على صديقات أخريات بمشاعر ناضجة وستتذكرين كلامي هذا ، فكلنا عاش هذا الدور التراجيدي الذي تلاشى مع زحمة الأيام وامتلائها بالوجوه الجديدة .

سبأ : علمت من علماء النفس بأن المشاكل المستمرة بين القلوب المحبة تُعدُّ حالة صحية ، لذلك أنتفس الصعداء كلما سمعت ذلك .

أيار : بالله عليك كفى عن هذا الكلام وإن زعمتي بأنه تحليل لعلماء النفس ، تحليلاتهم محض تفسيرات بحثية تكسيةية ليس إلا ، ولا أوييد أبداً بان التوترات بين الأصدقاء الأوفياء هي حالة صحية بل بالعكس هي حالة مرضية هيستيرية غير إرادية ، وأرجوك لا تبرري لأخطائنا وتلبسيها ثوب الشرعية ، وانما تعالي ، نبحت عن الأسباب المرضية المتجذرة كالفيروس ، للوقاية منه والعمل على علاجه علاجاً ناجعاً وإياك والقول مرة أخرى بأنها حالة صحية أو طبيعية ، لقد قرأت الكثير من الكتب ولعل هناك من الكتب الجميلة الرائعة التي تتفق مع رأيك نوعاً ما في تحديد السلبيات ، ومنها كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف للإمام الفقيه ابن بن حزم الأندلسي ، يُعدُّ هذا الكتاب أدق ما كتبه العرب في دراسة الحب ومظاهره وأسبابه ويتناول الكتاب بالبحث والدرس عاطفة الحب الإنسانية على قاعدة تعتمد على شيء من التحليل النفسي من خلال الملاحظة والتجربة فيعالج ابن حزم بأسلوب قصصي هذه العاطفة من منظور انساني تحليلي ، والتوافق الروحي بين البشر بصورة لا مثيل لها ، ولكني لست تابعة لما يكتبه المؤلفون والعلماء ولا أنساق خلف تحليلاتهم وتفسيراتهم لقصص عاشوها هم أنفسهم وفي ضوء تجاربهم الشخصية شخصوا العلل .

سبأ : نعم أحسنتِ حبيبتي فهمت الآن ؟

أيار : أحسن الله إليك حبيبتي ، لا بد أن نجلس نحن ونشخص الاسباب والمسببات التي تعكر صفو علاقتنا الملانكية دائما لا لشيء سوء الاختلاف الرؤى ووجهات النظر التي تقود الى ضبابية في فهم المقصود من المنطوق ، هل فمتي قصدي ؟

سبأ مبتسمة : لقد تحدثنا كثيرا عن هذا الأمر لسنوات خلت لا تتعبي نفس وأقصد بأن هناك يداً خفية تجعلنا دائماً نتأرجح ما بين ما الجفاء والحنين ، لنعود ، من جديد بعد الشد ونرى عقدة صداقتنا أشد توثيقاً من ذي قبل ، حتى لو أصبح الجو مغبرا سيتغير المزاج وتختلف الرؤية ونتخاصم .

أيار ضاحكة : أذن تحليلي صحيح بأننا نعاني خلاً وحالة مرضية .
سباً مبتسمة : أرجوك حدثيني عن نفسك واخبارك وعائلتك وكيف تحققت امنيتي لك
 بزواجك من **عبدالحافظ** لطالما رأيته مناسباً لك فأنا أحب زوجك هل سمعتي أنا الآن
 أحب زوجك ؟

أيار ضاحكة : نعم سمعت وهو يحبك أيضاً ، أنا بخير وعائلتي بخير عدا وفاة جدي
 التي عكرت صفو راحتنا ، عمتي تزوجت **منذر ومُعَاذ** استقر في دبي في **وقتيبة** كما
 تعرفين تعين مع ابي في المحكمة وحببي **تسنيم** كبر وأصبح له أصدقاء أولاد أخي
قتيبة ، وانس في الاعدادية ، والدكتورة **سُئِل** تزوجت **خالد** .

سباً مبتسمة : كم أتمنى أن أبارك للدكتورة **مروة** الحمد لله وفقها الله تعالى تستحق
 منا كل الخير والتقدير والاحترام ، ولكن . . . بالنسبة للكثورة **سُئِل** ألا ترين هناك
 غرابة في الأمر كيف تقبلته ، وهي بالمستوى العلمي المتكلف الذي يشعر به كل من
 راها في موقع عملها .

أيار مبتسمة : هناك فرق ما بين الحياة الاجتماعية والحياة الوظيفية ، وهي ما انسانية
 عادية بسيطة كما تقول عمتي **مروة** ، ثم هي ليست مجبرة ان تتعامل بإبتدال مع عامة
 الناس ، والذي لا تعرفيه بأن **خالد** هذا الذي استغربتي لأجله اكمل دراسته في المعهد
 الطبي وتعين معاون طبيب وهو الآن في المرحلة الأولى من كلية الصيدلة ، أحب
 الدكتورة **سُئِل** وطور ذاته ليكن في مستواها العلمي وربما سيتجاوز مستواها لأنه كما
 عرفت طموح جداً .

سباً : والله أخبار حلوة وتتلج الصدر نعم التاريخ مليء بمثل هذه القصص والحب
 طاقة فولانية تدفع الانسان الى الرقي دائماً ولا سيما بمثل قصة **خالد** .

أيار مبتسمة : وأزيدك علماً بأن **ملاك ياس حكيم** الأخت الصغرى ل**خالد** في المرحلة
 الأولى من كلية الصيدلة ، وهنا نرى بأن أنامل القدر كتبت رسائلها ل**خالد** بعناية تامة
 لأنه كما تقول عمتي يستحق ذلك .

راحت سبأ تفرج أيار على معالم لندن وجيرانها العراقيين والعرب ، ولاسيما الأماكن التي كانت ترتادها في عملها وأصدقائها وكل جانب من جوانب نهر التايمز ، وفي كل مكان ترتاده سبأ تجد لها أصدقاء أجانب يبدؤون يسألون بإلحاح للتعرف على صديقتها أيار ، لاسيما وهم يعرفون القصة كاملة مما يجعلها مسرورة وتبدأ بالإجابة مباشرة ، ولكن أيار تتذمر من الأمر وتطلب منها بإلحاح أن تتجاهل لقائهم أو حتى غلق الحديث عنها ، لأنها تقدر الخصوصية التي تجمعها دائماً بصديقتها حتى عندما تتحدث معها في الهاتف تحرص على أن لا يسمعها أحد ، حتى وأن كانت أحاديثها عن أفلام الكارتون ، فكيف واليوم تعيش في هذا الجو المفتوح ، وفي اليوم التالي قام الأصدقاء الأجانب بإخبار سبأ بأنهم قد أحضروا لها مفاجأة ستسعددها ، ففرحت كثيراً وأخبرت أيار بذلك وكانت متلهفة بتوق لمعرفة ما هي المفاجأة ، لاسيما وهي تثق بأن هذه المجموعة تحبها كثيراً ولعل في دواخل سبأ فكرة استخدام هذه المجموعة لأثارة غير أيار بشكل غير مباشر ، ولكن المضحك المبكي بان هذه المفاجأة التي هيأها الأصدقاء الأنكليز كهدية لصديقتهم ، قادت الى زعل شديد وخصام وصدود من أيار ، فاحتارت سبأ من جديد في الأمر ، لاسيما وأن ليس لها يد في الأمر .

عبد الحافظ ضاحكاً : لم يمر أسبوع لماذا هذا الزعل ؟

أيار منزعة : لا تضحك دعني وشأني .

عبد الحافظ ضاحكاً : لماذا لا تردين عليها فقد اتصلت مراراً وتكرار ؟

أيار منزعة : قلت لك لا تتدخل أرجوك فان سبأ تغيرت كثيراً .

عبد الحافظ مبتسماً : إن سبأ في طريقها إليك الآن .. أسمعني يا طفلاتي الآن.

أيار منزعة : قلت لك لا تتدخل ولا تتصرف دون علمي .

عبد الحافظ : أنا ساخرج الى الجامعة وبينما هو يتكلم معها رن جرس الباب فأسرع مستبشراً فإذا بها سبأ والإبتسامة تملأ وجهها وحالما رأتها أيار بادلتها ذات الإبتسامة وأخذتها في الأحضان ، فضحك **عبد الحافظ** وقال لهما سبحان مغير الأحوال وبعد

الجلوس بدأ الحديث بوجود **عبد الحافظ** بحسب طلب سبأ على الرغم من استعجاله.
سبأ مبتسمة : أرجوك يا أيار أسمعني ثم علقي بما تشائين وبوجود **عبد الحافظ** ليحكم
 بيننا بالحق ويرى من المخطيء .

عبد الحافظ مبتسماً : والله من بعد أذن أيار لا أراك مخطئة أبداً حتى قبل أن أسمع.
 أيار : ماذا تقصد أنا المسببة أسمع الخطب الجلل أولاً الذي سيزعجك أيضاً لأنك كذلك
 موجود في الصورة فلا تستعجل الحكم يا حكيم .

سبأ متتهدة : أرجوكما حتى لا نتفرع دعوني أتحدث .

أيار : تحدثي حبيبتي لا عليك **بعبد الحافظ** فهو هكذا دائماً غير أبه بكل شيء .

سبأ : نعم حبيبتي أنت تعرفين جيداً ما عانيت بسبب فراقي لك وبإختصار الكل
 هنا لاحظ ما كنت أشعر به من كآبه بكل ما ما تعنيه كلمة كآبه ، وهذه المجموعة
 تكونت من خلال موقع عملي ومن المحيط الذي أعيش فيه ، وكانوا دائماً يواسوني
 ويسألوني دائماً ، ولفرط عشقي لذكرى أيار أجد نفسي أتلذذ بالحديث عنها ، حتى
 أنهم اعتبروا الأمر قصة حفظوا كل أجزاء وحلقاتها ، وراحوا في الأيام الأخيرة
 يأتون معي عصر الخميس على الرغم من أن عطلتهم تبدأ الأحد .

أيار **منزعجة** : وطبعاً وجودهم أنهى وجود أيار بحسب ما تقدم من قول .

عبد الحافظ ضاحكاً : يا إلهي كم تغار عليك ، يا ليتها تغار عليّ بمثل ما تفعل معك .

أيار **منزعجة** : أرجوك لا تكلمني بهذه الطريقة فأنا راشدة وأعي ما أقول .

سبأ مبتسمة وهي تشدُّ على يد أيار : وأنا أيضاً أبادلها ذات الشعور فلا تتعجب يا **عبد**
الحافظ فعلاقتنا روحية ملانكية ، المهم وعندما فاجأتني السماء بأجمل رسالة كتبتها لي
 أنامل القدر يوم رأيت أيار على نهر التايمز وهو أجمل يوم رأيته في حياتي .

أيار **مبتسمة شاعرة بالرضا متسائلة بنظرات شزر** : أكيد !؟

سبأ مبتسمة : نعم أكيد والله وبالله وتالله شعرت بأن الله يحبني لأنه استجاب لدعائي
 الذي حفظته كل يوم في سجودي بأن أراك من جديد ولو لساعة فقط .

عبد الحافظ مبتسماً : عذراً سبأ عندي دوام في الجامعة وماذا بدر من هذه المجموعة.

سبأ مبتسمة : في اللحظة التي رأيت فيها أيار شعرت وكأنني في حلم لم أر ولم أسمع احداً أمامي غيرها وأنت كنت موجوداً في المشهد ورأيت كل الحاضرين أليس كذلك؟

عبد الحافظ : نعم رأيت ، أختصري أرجوك والنتيجة ما هي !

سبأ مبتسمة : أيار لا تحب الإختصار ولا تقتنع إلا بالتفاصيل .

أيار بغير رضا : لستُ ثرثارة وبالأصل فأنا مغلقة مع الناس ولا أحب إلا تفاصيلك أنت فقط فعليك عندما تتحدثني عني أن تحددني بالضبط صفاتي ولا تتكلمني جزافاً.

عبد الحافظ ضاحكاً : يا إلهي قبل أن تتخاصما من جديد اعطوني الملخص .

سبأ مبتسمة : نعم وصلت الى الحكمة انتهى الصراع ، فان صديقتي **ديانا** هي بالأصل كاتبة للقصة القصيرة ، فاتخذت مني موضوعاً حياً لكتابة قصة جديدة بناءً

على ما تسمعه مني كل أسبوع وأقسم بالله بأنني لم أعرف بالأمر وقد فاجأتني به .

عبد الحافظ مبتسماً : رائع لقد أصبحتما أذن من المشاهير.

أيار وهي تضع يدها على خدها : واسمع المتبقي من من الحديث .

سبأ : نعم وقد قامت **ديانا** بتسجيل لحظة لقائي مع أيار وأدخلته في مونتاج رائع مع قصتها القصيرة التي انتهت حالما وصلت أيار الى لندن .

عبد الحافظ بدهشة : وأين القصة الآن أخشى أن يكون فيها ما لا يناسب مجتمعنا العربي اخشى ان تكون كتبتها بروح التحضر والانفتاح هنا .

سبأ : لا أطمئن لقد قرأتها كاملة وعدلت فيها بعض المصطلحات وأنها لم تنشر بعد بالشكل النهائي ، فقط نشرت على مواقع التواصل الإجتماعي وقد لاقت أعجاب

الألاف وحصدت آلاف التعليقات وعشرات دور النشر عرضت عليها النشر والتوزيع.

أيار بفرح متتهدة : لكنك لم تذكر لي بالك أطلعتي على نص القصة .

سبأ مبتسمة : وهل أعطيني مجالاً للحديث يا حبيبتي ؟

عبد الحافظ : رائع ما دمتي تأكدتي من النص أسمحوا لي الآن بالإنصراف .

أيار : وما هو عنوان القصة يا ترى ؟

- سبأ : أسم القصة رسائل بأنامل القدر .
- أيار بفرح : أسمها رائع كم أتوق لقراءتها .
- سبأ : ولماذا تتوقين لقراءتها وأنت عشتِ أحداثها .
- أيار : أريد أن أعرف بالضبط ما هو انطباعك وتصورك وماذا تحدثتي عني أمام صديقتك ديانا التي لم أحبها منذ الوهلة الأولى سبحان الله .
- سبأ ضاحكة : هي تحبني كثيراً .
- أيار قلبت شفقتها : أذن أذهبي إليها هي بانتظارك لأنك مصدر إيحائها .
- سبباً ضاحكة : أعشق شكلك وهو يمتلى بالغيرة .
- أيار : كلا . لا أنا لا أغار أبداً .
- سبباً ضاحكة : واضح حبيبتني واضح فالملامح توحى بذلك ، ثم أني لم أعرفك بعد على باقي المجموعة (الكروب) .
- أيار منزعجة : وماذا تريدان الآن !
- سبباً مبتسمة : الله . . . كم كنت أتوق لعبارتك هذه (وماذا تريدان الآن) ، تعالي نخرج للتنزه لتتعرفي على الطرق .
- أيار معترضة : لا لا أرجوك تعالي ندخل الى المطبخ ونطهو السمك اللذيذ ، ونأكل بعيداً عن أصدقائك ومعجبيك ومؤييدك ومواسيك فضلاً عن برودة الجو .
- سبأ : نعم كلامك صحيح ، وهذا ما سيحصل لك من اليوم ، هنا مجتمع مفتوح فلا تتفاجئي إذا رأيتي عشرات الصحفيين والمعجبين يتجمعون عند الباب الآن ، فماذا تفعلين ؟ هيني نفسك من الآن .
- أيار ممازحة : وأنا ... أنبهك وأحذرك من الآن ، سيكون في اليوم التالي هروبي مباشرة الى العراق لأنني لا أطيق هذا الإنفتاح الخانق للخصوصية .

لقد أقنعت سبأ صديقتها بالخروج معها والمشي والإطلاع على الحياة هنا ، فراحت سبأ تعرف أيار على كل مكان تراه وهي تشد على يدها والفرح والبشير يطفح من وجوههما وكأنهما أمتلكتا العالم بلقائهما .

سبأ : هل تذكرين كلام زميلاتنا سابقاً خلال مراحلنا الدراسية حول عمق علاقتنا الروحية المتأخية في الله ، وكيف أن لهفتنا هذه ستختفي وتتلاشى عندما نتزوج وتتحول العاطفة الى الزوج والأبناء والحياة الجديدة ، فهل ذلك رأيت صحيحاً ؟
أيار مبتسمة : نعم أتذكر بالضبط وبالحرف وبالأسم ، ولكن أنت تعرفين جيداً أذعاء هذه الشخصيات الحسودة المغرصة التي لا تحبب الخير أبداً .

سبأ بريية متتهدة : ماذا تقصدين كلامك ضبابي وغير واضح ، لا تتحرجي من الإجابة كلميني بصراحة ، أو بالأحرى ضعي أجابة لتساؤل الزميلات القديم ؟
أيار مبتسمة : نعم حقك تتأثرين بكلمة الضباب ما دمت عشت بمدينة الضباب ، لقد أعطيتك أجابة ولكنك تريدان الترجمة والتفصيل كعادتك أكيد .

سبأ بغير رضا : حسناً أنا أحب التفصيل أسحب السؤال لا أريد أجابة غيري الموضوع أيار ضاحكة : تبقين غريبة الأطوار ولكن أتعرفين غيرتك هذه رائعة ، لقد سالتيني وأجبتك ولكنك تتجاهلين الإجابة وتدعين عدم السماع وعدم الفهم .

سبأ قلبت شفيتها ووقفت : حسناً يكفي فهمت لا داعي للضحك والسخرية .
أيار ضاحكة ووقفت ووضعت يديها على كتفي سبأ : أيعقل يا سبأ بعد كل هذه المعاناة لا زلت تسألين هذا السؤال ، والطريف بالأمر أن عبد الحافظ أيضاً سألني أيكما الأقرب الى قلبي ، فسأقول لكما نفس الإجابة كلاهما قريبان لقلبي ، ووجودكما مهم في حياتي ، ولا يمكنني أبداً أن استغني عنكما ، وسأقول لك سرأ قد لا يرضي عبد الحافظ بأنني وافقت على الزواج به شريطة ان اسافر معه الى لندن ، مع حبي وتقديري له ، فألف فناة تتمنى الإقتران به ، وأنا سعيدة معه كل السعادة ، أتعرفين لماذا اشترطت هذا الشرط حتى أراك وأحظى بلقائك .

سبأ وقد عادت بسمتها مازحة : أشكرك حبيبتي لقد أرضيتني غروري .

وبعد أن دخلا أحد المطاعم وتناولوا وجبة غداء لم ترض أيار لعدم اعتيادها على أكل المطاعم خرجن للمشي مجدداً للإطلاع على معالم المدينة ، وقد ازدادت برودة الجو والغيوم البيضاء الجميلة تتربع صدر السماء ، منظر رائع يشرح الصدر وبينما الحديث عن جمال الغيوم تعالت أصوات موسيقى صاحبة جداً .

أيار بدهشة ممزحة : ما هذا ؟ أين نحن الآن ؟

سبا ضاحكة : نحن قرب أكبر مراقص الموسيقى الصاخبة في لندن ، هل تحبين الدخول والإطلاع عن كتب .

أيار ضاحكة : هيا لندخل ونطلع عن كتب ، وبالفعل دخلن والأضواء الصارخة تتغير كل لحظة وأصوات تكاد تشق الأسماع ، وحركات الرقص الجنونية تكاد تخطف الأبصار ، فراحا يطلعا على كل أجزاء المكان والسعادة والبشر والدهشة بادية عليهما ، وبينما هن كذلك عرفاهما أحد الشباب الموجودين من خلال شهرتهما على مواقع التواصل الإجتماعي ، وراح يحدق بوجههما وهو يشير بيده ويقول أنتما أيار وسبا أليس كذلك أنتما أيار وسبا أليس كذلك ، ثم تعالى صوته ، مما قاد بأيار وسبا الى الركض هرباً وهن ضاحكات بأقصى سرعة ممكنة والشباب يركضون خلفهما حتى تمكنتا باعجوبة من الدخول في أحد الفروع ، فجلستا على الأرض ، وهما يلهثان من شدة التعب ، وبعد استراحة قصيرة تعالى صوت الأذان بشكل يدخل الراحة في النفوس مما قاد الى دهشة أيار .

أيار مبتسمة : سبأ هل تسمعين ما أسمع يا الله يا الله كم أنا مسرورة .

سبأ : الحمد لله هذا من من أقدم الجوامع هنا هل تحبين الدخول والإطلاع عن كتب.

أيار مبتسمة متنهدة : والله يا ليت لو ندخل ونصلي معاً ويا ليت الله يجمعنا في مكة معتمرات أو حاجات ، والله لقد فرحت كثيراً لرؤية المسجد وسماع الأذان ، ولكن اعذريني لا أستطيع الدخول وبكل أسف فقد فقدت في طاقتي في الركض أعذريني .

سبأ ضاحكة : لقد نبهتك لأنني عشتُ هنا وأعرف كيف يتهاقت الناس على المشاهير ، اما مسألة فهي مسألة طبيعية جداً هنا ويوجد أماكن مخصصة لهذا الغرض ، وأكد

ستعتادين على الأمر وبمزاجك وسترين ، والمكان قريب منا جداً هيا لنذهب إليه ، ونطلع عن كئيب على الراكضين فيه .

أيار مبتسمة : لا عزيزتي اشكرك لن أركض بعد الآن .

سبأ مازحة : ألم أقل لك لا تقولي عزيزتي بعد اليوم .

أيار مبتسمة مازحة : لماذا فالكلمة لطيفة .

سبأ : حقيقة كلمة عزيزتي كلمة رسمية لا تعبّر عن المشاعر البتة مجرد كلمة مكونه من حروف خالية من الروح والاحساس ، ألسنت من كنتِ تقولي ذلك .

أيار مبتسمة : نعم وأنا عند رأيي ولن أحمده ، ، وخير دليل على ذلك شاهدي المذيعين كل يوم من على شاشات التلفاز وحتى في الإذاعات دون استثناء ، يقول اعزائي المشاهدين وهو لا يعرفهم ولا شاهدهم فأين الروح والحب في كلمة عزيزتي .

سبأ مبتسمة : نعم تحليك صائب فلا تكرري الكلمة مرة ثانية مفهوم ؟ والأآن تعالي نواصل الإطلاع على الأماكن انهضي بسرعة هيا انهضي بسرعة .

أيار مبتسمة : حاضر مولاتي لن أكررها بعد اليوم ، فنهضت وواصلت المشي والإطلاع على المعالم الجميلة وبتوثيق اللحظات في كل مكان حتى وصلنا الى المكان المخصص للمشبي والجري ، تفاجأت أيار ليس من مسألة الركض وإنما من وجود كبار في السن يركضون بذات الوتيرة للشباب ، وبعد أن كانت السماء ملبدة بالسحب بدأت تزف غيئها بزخات جميلة محببه للروح ومعدلة للمزاج فبدأ الكل بالركض هاربين من المطر ، فطلبت سبأ من أيار بتجربة الفكرة فوجدتها جاهزة للتجربة ما دام يركض وبالفعل بدأنا الركض تحت المطر مع الضحك المتواصل المملوء بالأحاديث التي تولد في اللحظة ولا تنتهي أبداً حتى انتهاء الوقت ، وعلى الرغم من هروب الجميع من المطر الى اطراف الشارع إلا أن الصديقتان واصلن الجري الى النهاية ، غير مكترثات ، وربما الشعور بالسعادة هو مصدر الطاقة والمواصلة تحت وقع المطر الذي ملأ كل أرجاء المكان ، وفي الوقت الذي تشهد لندن أجواء ممطرة تعاني

البصرة من أجواء مقرفة ، والعائلة كعادتها تجتمع عصر الخميس لإحتساء الشاي في بيت سراج الدين وكان جل الحديث عن الأبناء .

أميمة : برح الشوق بي لأيار ومُعَاذ الذي لا يفكر بالعودة أبداً .

سراج الدين : وأنا أيضاً بذات الشوق واللهفة ، ولكن شعوري أنهم بخير يجعلني أشعر بالراحة والحمد لله بإمكاننا أن نسمعهم ونراهم كل لحظة ، لا بد أن تتكفي .

أميمة متأثرة : كانت أيار تحاورني كثيراً معتقدة بأنني لا أشتاق إليها ولا أحبها معتقدة خطأ بأنني أحب أختها أكثر منها .

سراج الدين : عزيزتي لا تلومي نفسك الآن ، أن اشتقتي إليهما اسمعي صوتهما ، وسيرد عليك كلاهما بالحال اتصلي الآن وأطماني .

أميمة متأثر : اتصلت بأيار قبل ربع ساعة عدة مرات ولم ترد علي ، ولكن معاذ رد علي وسمعت صوته ورأيتته وهو في موقع عمله متالقاً .

مروة مبتسمة : أيار بخير والحمد لله ومغمورة بالسعادة لأنها ترى سبأ كل يوم، وتقضي اليوم بطوله تنفرج على معالم لندن برفقة سبأ لأن عبد الحافظ مشغول في

دراسته من الصباح للعصر ، وتكتب لي دائماً وترسل لي صور الأماكن التي تراها. أميمة : للأسف أعرف بأنها تعشق وجود سبأ في حياتها أكثر من وجودي ، ولاحظني

فهي تتواصل معك وترسل لك الصور ولا ترسلها لي .

مروة مبتسمة مستغربة : هذا تصريح خطير يا أم قتيبة فانت أمها ، نعم هي ترسل لي الصور لأنني أنا من أسألها دائماً وأطلب منها أن توافيني بأخبارها ، لا تقلقي فهي

ابنتك وجزء منك وأنت والدتها وأكد تشناق لك وسترد عليك .

سراج الدين مبتسماً : ولكن الحقيقة التي لا نريد أن نصدقها بأن الصديق الحقيقي أقرب للروح من الأم والأب والزوجة .

أميمة منزعة : أشكرك يا أبا قتيبة على هذا التصريح المؤلم .

سراج الدين ضاحكاً : نحن نتجنب اطراف الحديث يا غاليتي ولا أقصدك .

منذر مبتسماً : أنا أشعر بشعورك يا أم قتيبة ، لأن مروتي تطبق هذا القول بحذافيره
معى وأشعر كثيراً بأن سُبُل أقرب إليها منى .

فاطمة مبتسمة : نعم كلام أبا قتيبة حقيقي وواقعي لأن الصديق الحقيقي يمثل قلب
محب دون مصلحة وأذن صاغية لبوح حتى آخر نفس ، وملاذ فسيح دون أعراضا
وشعور بالأمان منقطع النظير دون خوف أو تردد ، ورأي سديد ، فهو يسمع ويحلل
ويستنتج ويقدم الحلول والمعالجات ، وكانك تتكلم عن نفسك مع نفسك دون رقيب .

مروة مسرورة : تحليك رائع أمة الغالية ولبت منذر يعرف بأن وجود الصديق في
حياة المرء لا يعنى إلغاء الآخر .

منذر مبتسماً : لا أقصد الإلغاء بل أقصد الإفراط بالإهتمام .

مروة بغير رضا : وهل تقصد بانى أهملك يا منذر .

منذر مبتسماً : لا أقصد حبيبتي لا أقصد ذلك لا تنزعجى ، فنحن نتجاذب أطراف ليس
إلاً ، نتجاذب لا نتنافر .

قتيبة مبتسماً : أنا أفهمك إنك تغار وهذا ملخص قولك .

سراج الدين : الغيرة حالة طبيعية توجد فى قلوب كل البشر .

مروة : الغيرة على الشخص جيدة وصحية ولكن الغيرة من الشخص ممقوته جداً .

منذر ضاحكاً : نعم حبيبتي أنا أقصد الغيرة عليك وليس الغيرة من سبل .

سراج الدين : هل سألت نفسك من قبل لماذا قد يغار شخص من صديق له فى العمل
ولا يغار من ممثل مشهور مثلاً ، فالشخص لا يغار من شخص آخر إلا إذا شعر انه
دخل معه فى منافسه ، الشخص الذى يغار من زميله فى العمل هو فى الواقع يخاف
ان يفقد ترقيته بسبب زميله هذا ، كذلك هناك اشخاص يغيرون من ممثلين مشهورين
، وذلك قد يحدث إذا سيطر هذا الشخص المشهور على أوقات اصدقائه وتفكيرهم الى
درجة انهم اصبحوا لا يهتمون به ، ولذلك فهو يعدُّ ذلك الشخص المشهور منافساً له
أيضا ، ولكن الزوج يغار من الصديقة أمر غريب !.

أميمة : أنا أتفق مع منذر فهو يتكلم في وادي وأنتم تحللون في وادٍ آخر ، قصده لا بد أن لا يكون هناك افراط بالاهتمام بالصديق على حساب الآخر ، لدرجة أن مروة أجلت سفرتها الى اسطنبول لتتفق مع سفرة سبل .

منذر مبتسماً : نعم أشكرك أم قتيبة لقد فهمتيني .

مروة وهي تنظر الى منذر باعتراض : نعم صحيح وما المشكلة في ذلك منذر ؟
منذر مبتسماً شاداً على يدها : لا لم أعترض ولن أعترض فسئبل أختك وقد تكيفت على ذلك ، وهذا رأي السيدة أم قتيبة وليس رأيي .

السيدة فاطمة مبتسمة : الشخص الذى يشعر بالغيره غير واثق بنفسه وقدراته في التغلب على هذا المنافس بكسب عاطفته ، وكلما غرت من شخص وهمست عليه ، من وراء ظهره كلما كان ذلك اعتراف بضعفك مقارنة به ، وإذا وجدت نفسك تشعر ، بالغيره تجاه شخص فحاول التركيز بقدراتك العاطفية ومدى تأثيرك النفسي والروحي في من تحب وسيختفي حينها الشعور بالغيره بدلا من ان تضع مجهودك وطاقتك في الكلام عليه ، فمحبة الصديق الحبيب كالدماء التي تسري في العروق ، يخفق القلب عندما تراه وتشعر بالسعادة عندما تقابله فيمكنك قول ما يدور في خاطرك وما يجول في ذهنك مع الصديق فتكون انت نفسك بكل ما فيك وبشخصيتك الحقيقية ، وعندما يبكي تسيل الدموع في عينيك وينجح قلبك من أجله ، فالصداقة الصادقة تبقى كالبحر المترامي الأطراف في مده وجزره وكره وفره ، لا تنتهي ولا تموت ، وصديق اليوم يبقى صديق الغد وأن باعدت بينهم المسافات تبقى الأرواح في لقاء دائم ومتواصل وأنا أستنتج رأيي هذا بحسب تجربتي مع زوجي ومع أبنتي التي عاصرت معها صداقتها مع سبل ، ولم أشعر إلا بأهمية وجودها في حياتها ، فالصداقة نافذة جميلة ومصدر راحة ونعمة وهبة من الله تعالى لا يتمتع فيها إلا القليل من الناس .